

تأثر اليهودية بالأديان الوثنية

الدكتور / فتحي محمد الزغبي

أستاذ العقيدة والفلسفة المساعد بجامعة الأزهر بطنطا

وأستاذ الثقافة الإسلامية المشارك بجامعة الإمام بالرياض

تقديم

أ.د/ يحيى هاشم حسن

العميد الأسبق لكلية أصول الدين بطنطا ورئيس قسم

الدراسات الإسلامية بكلية الآداب جامعة الإمارات

تأثر اليهودية
بالأديان الوثنية

الطبعة الأولى

١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م

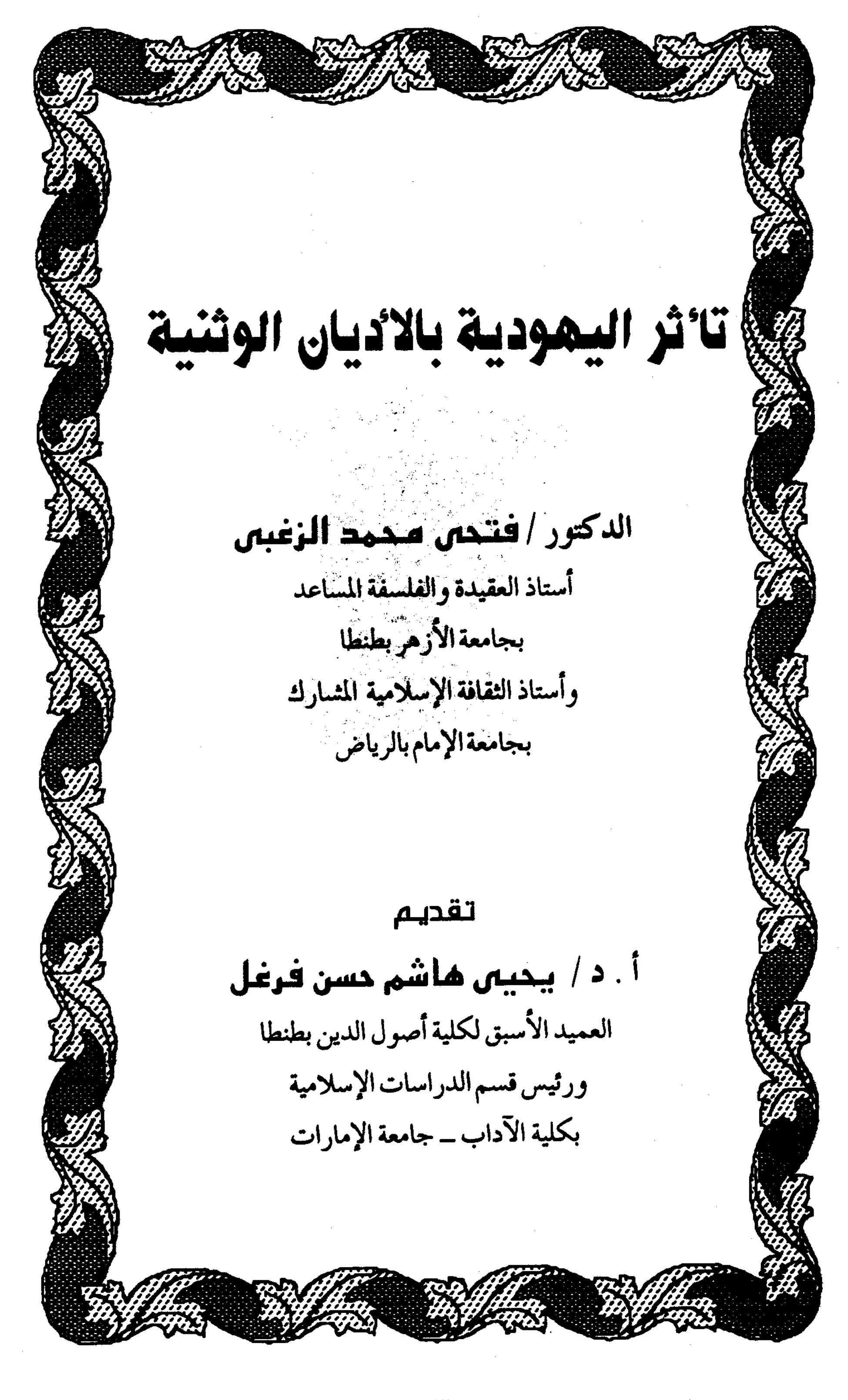
رقم الايداع ٩٤/٣٧٥٤

I.S.B.N : 1977/5065/87/9



دار البشير للثقافة والعلوم الإسلامية

مصر ـ طنطا ـ ٣٣ ش الشهيد عادل الزواوى أمام كلية التربية النوعية ت ٣٢٢٤٠٤ فاكس ٣٣١٨٠٠



تأثر اليهودية بالأديان الوثنية

الدكتور / **فتحى محمد الزغبى**

أستاذ العقيدة والفلسفة المساعد

بجامعة الأزهر بطنطا

وأستاذ الثقافة الإسلامية المشارك

بجامعة الإمام بالرياض

تقديم

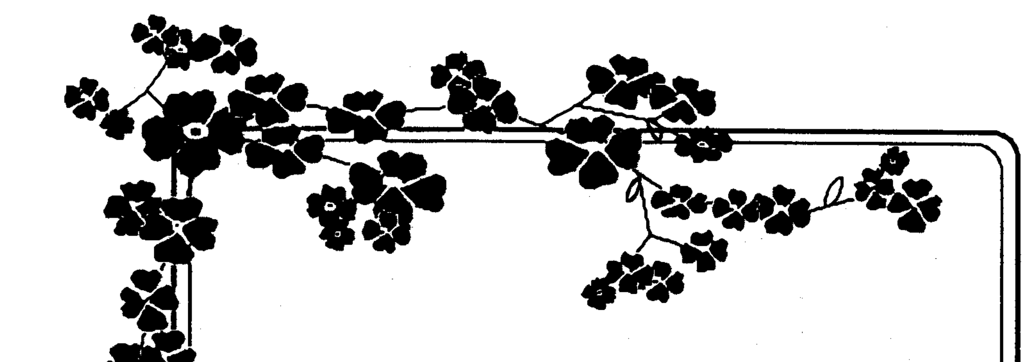
أ . د / **يحيى هاشم حسن فرغل**

العميد الأسبق لكلية أصول الدين بطنطا

ورئيس قسم الدراسات الإسلامية

بكلية الآداب ـ جامعة الإمارات





« تنويه »

هذا الكتاب هو فى الأصل أول رسالة دكتوراه قدمت ونوقشت بكلية أصول الدين والدعوة الإسلامية جامعة الأزهر فرع طنطا ، ونال بها المؤلف درجة العالمية (الدكتوراه) فى العقيدة والفلسفة بمرتبة الشرف الأولى فى ٢٩ / ٨ / ١٩٨٧ م

الإهداء

إلى روح والدى الذى رزق بى على الكبـر ، ومـالبث أن رحـل عنى فى الصغر ، فنفعنى الله بما قدم من صالح الأعمال وطيب الأثر .

إلى والدتى التى وهبتنى للقرآن ، ونذرتنى للأزهر ، وكـان لدعائها الفضل الأكبر .

إلى أسرتى التى وقـفت بجانبى ، وضـحّت فى سبيل راحـتى ، وهيأت لى جو البحث ، وحياة الباحثين .

إلى كل أهلى وأحبائى الذين أحاطونى بحبهم ، ورعايتهم ، ودعائهم .

إلى أسـاتذتى وزمـلائى وأصـدقـائى ، الذين لم يبـخلوا علىّ بتـوجـيـهـهـم وجهدهم .

إلى هؤلاء جميعا أهدى هذا الكتاب

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

بسم الله الرحمن الرحيم

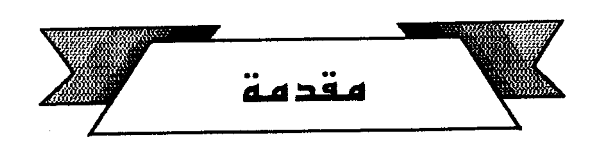
﴿ وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء وليزيدن كثيراً منهم ما أنزل إليك من ربك طغياناً وكفرا ﴾ (المائدة : ٦٤)

﴿ وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون ﴾ .

﴿ اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلهاً واحداً لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون ﴾ (التوبة : ٣٠ : ٣١)

﴿ لعن الذين كفروا من بنى اسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ، كانوا لايتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون ترى كثيراً منهم يتولون الذين كفروا لبئس ماقدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم وفى العذاب هم خالدون ، ولو كانوا يؤمنون بالله والنبى وما أنزل إليه ما اتخذوهم أولياء ولكن كثيراً منهم فاسقون ﴾ (المائدة ٧٨ ـ ٨١)

﴿ وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله ولاتتبع أهواءهم عما جاءك من الحق ﴾ (المائدة : ٤٨)



بقلم أستاذى الكبير

فضيلة الأستاذ الدكتور / يحيى هاشم حسن فرغل

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا الكتاب الذى نقدمه للقارىء بعنوان « تأثر اليهودية بالأديان الوثنية » هو فى أصله رسالة حصل بها صاحبها على الدكتوراه من قسم العقيدة بإحدى كليات الأزهر الشريف .

ولن أسمح لنفسى بالحيلولة بين صاحب الرسالة وبين القارىء فى تقديم الكتاب إليه ، فهو ـ أى الكاتب ـ أجدر بذلك ، وأقدر ، فيما يكتبه من مقدمة لاحقة .

كذلك فلن أسمح لنفسى بالمصادرة على القارىء بإعطاء تقويم سابق للرسالة ، وصاحبها ، وأحتفظ له بهذا الحق كاملاً .

لكنى أستسمحه فى أن أبدى رأيى فى تواضع فى شىء من منهج البحث ونتائجه فى هذا الكتاب ، ثم فى شىء من جوانب شخصية الباحث .

أما أولاً فهذه الرسالة تقوم ـ فى تقديرى ـ على منهج علمى دقيق ، حيث تتخذ لها « معياراً » فى بحر دراسات الأديان المتلاطم ، فى حين أن كثيراً غيرها من الرسائل والبحوث التى تقتحم هذا الميدان لاتبين بصراحة عن وجه المعيار ، أو تتخذ من المعايير مالايصلح ، أو تفتقد المعيار أصلاً .

أما فى هذه الرسالة ـ وفى حضن الأزهر الشريف الذى ظهرت على يديه ـ فالمعيار هو القرآن الكريم .

وكون القرآن الكريم معياراً يعطى ميزة لايمكن منافستها فى مثل هذه الأبحاث ، ذلك لأنه معيار من طبيعة الموضوع ، أى من طبيعة الدين ، بخلاف أبحاث أخرى تتخذ المعيار من طبيعة الدراسات الاجتماعية ، أو من طبيعة الدراسات التاريخية ، أو من طبيعة الدراسات النفسية ... الخ .

وهذا يعتبر زيفاً أو فقراً فى البناء البحثى ، فى تلك الدوائر التى تقوم بمقارنة الأديان على هذا الأساس ، هنا القرآن الكريم هو المعيار .

وهنا نكون قد لمسنا بأيدينا المعيار الموثق الوحيد ، بين تلكم الأساطير التى نخوض فيها عندما ندرس تلك الأديان .

إذن فالقرآن الكريم هو العلم الخفاق الموثق علمياً ، ونحن إذ نتمسك به ـ كمعيار لهذه الدراسات ـ فإننا لانتمسك به من منطلق التدين فحسب ، وإنما نتمسك به من منطلق المنهج العلمى فى حد ذاته .

هذا عن شىء من منهج البحث .

فإذا أردنا أن نشير إلى شىء من نتائجه فنكتفى بأمور ثلاثة :

الأمر الأول : تؤكد لنا هذه الدراسة أن ما غرقت فيه الديانة اليهودية من تفاعل بيئى مع الأديان الوثنية الأخرى يظهر لنا خطأ مادرج عليه البعض من وصفها ـ حالياً ـ بالديانة السماوية ـ فهى فى تقديرنا واعتقادنا وفى نتائج بحث هذه الرسالة ، ليست إلا ديانة وضعية ، احتفظت بأثارة هنا وأثارة هناك من رسالة السماء لايمكن تبينها إلا بهيمنة المعيار الصحيح ، ألا وهو القرآن الكريم .

وإغفال هذه الحقيقة وسط التيار الثقافى العام لشعوبنا الإسلامية المعاصرة ليس إلا مؤامرة كبرى على ا لعقيدة الإسلامية .

الأمر الثانى : تؤكد لنا هذه الدراسة أيضاً أن الوثنية ليست كما يشيع بعض المثقفين والكتاب بنت البدائية .

كلا ، فالوثنية كانت عند نزول الرسالات السماوية على أنبياء بنى إسرائيل ، هى عقيدة أكثر الشعوب تحضراً فى ذلك الوقت ، وما كان اقتباس كفار بنى إسرائيل منها إلا جرياً وراء ا لاقتباس الحضارى ! ! .

إن الوثنية تعيش وتترعرع مع أكثر الشعوب تحضراً ، وإن لهاالمداخل شديدة النفوذ والخطر ، فهى يمكن أن تتغذى بالفلسفة ، وترتوى بالفن ، وتتقوى بالحضارة ، ولا تعبأ بالعلم ، وإن لها مظاهر بالغة الرسوخ فى أشكال الثقافة القديمة والمعاصرة على السواء ، الأمر الذى يجعل من التضليل القول بأن الإنسانية تتقدم ، وأن ا لوثنية تصبح ـ أو أصبحت ـ فى ظل هذا التقدم تاريخاً غابراً .

كلا ، الوثنية خطر يهدد أى عقيدة ، وأى دين ، وأى مجتمع ، عندما يترك هذا

المجتمع جوهر الدين الإلهى ، الذى هو الاتباع الدقيق المحكم ، المطلق ، إلى « الابتداع » فى الدين بأى شكل من الأشكال ، وهذا أمر وارد باسم التقدم ، عندئذ يكون للوثنية مداخل ومداخل .

الأمر الثالث : إن هذه الرسالة بينت لنا ـ وربما على وجه الإجمال ـ أن قضية الإسرائيليات فى الفكر الإسلامى لاتقتصر خطورتها على كونها « إسرائيليات » أى نبتاً غريباً دخيلاً ، ولكن خطورتها الأشد تأتى من كونها « حصان طروادة » أى غطاء ـ وإن يكن مهترئاً ـ للوثنية .

ومن هنا يجب علينا أن نعيد النظر فى خطورة هذه الإسرائيليات ، وأن نضع هذه الخطورة فى موضعها الصحيح ، إذ تصبح هذه الخطورة مضاعفة أضعافاً كثيرة .

فالإسرائيليات ليست إسرائيليات فحسب ، وإنما هى نبت الوثنية الذى يتسلل إلينا .

الأمر الرابع : لهذه الرسالة صلة قوية فى كشف أوهام بعض ماتنتظره إسرائيل وعملاؤها ، من عملية التطبيع ، فهم قد ظنوا أن عملية التطبيع تصل فى نهاية الأمر إلى إزاحة الدراسات الإسلامية عن دوَرها فيما يسمونة « الدعاية المضادة » .

وهذا وهم كبير ، فالواقع أنه مادام هناك قرآن يقرأ ـ بله إن هناك أزهر ـ فإنه لانجاح لعملية التطبيع فى تزييف حقائق العلاقات الثقافية بين الطرفين .

قد يكون التطبيع عند البعض « مناورة » ، وقد يكون عند آخرين « مرحلة » ، وقد يكون عند غيرهم « وسيلة لغرض محدد » ولكنه لن يكون قط فاعلاً جوهرياً فى حقيقة الوضع الثقافى الأصيل .

وأخيراً ، ومهما اختلفنا فى تقويم هذه المبادىء ، أو هذه النتائج .

فالذى نشهد به أننا أمام بحث علمى أصيل ، مستوف لشروطه وأركانه ، صادق فى منهجه ، هام فى نتائجه ، رائد فى صدوره عن جامعته ، قام به شاب من علماء الأزهر ، رائد فى كليته ، شاب نفخر به ، ونغبطه على ما اتسم به من صبر على البحث ، وإخلاص فى المسعى ، وعمق فى النظر ، وصدق فى ا التعبير ، نتمنى له مواصلة المسير ، ونرجو منه المزيد ، ونتوقع منه بجهوده ، وجهود صحبة نعرفها من أمثاله ، خيراً كثيراً للبحث العلمى فى الأزهر ، وللجلاء العقدى فى الساحة

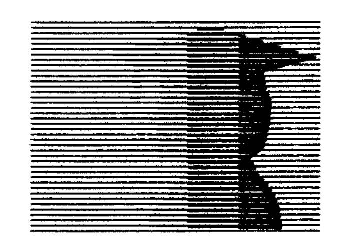
الإسلامية الكبرى .

ونترك المجال مفتوحاً للقارىء الكريم .

وبالله التوفيق

يحيى هاشم حسن فرغل

العين فى مايو ١٩٩٣م



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ، ومن والاه .

أما بعد

فإن هذه المقدمة تدور حول موضوع الكتاب « تأثر اليهودية بالأديان الوثنية » من حيث بيان أهمية وخطورة دراسته ، وجِدّة البحث فيه ، ومنهج البحث المستخدم في معالجته ، وضرورة اعتماد هذه المعالجة على المنهج القرآني ، الذى يقوم على المنهج العلمى الصحيح ، بجانب انطلاقه من الوحى السماوى الصادق ، وانبثاقه من المصدر الإلهى الموثق ، وبيان الضوابط التى ينبغى مراعاتها عند استخدام هذا المنهج ، بعد الإشارة إلى المخاطر والمفاسد التى ترتبت على معالجة مثل هذه الموضوعات ، باتباع المنهج الأوربى أو الغربى فى دراسة ومقارنة الأديان .

خطورة الموضوع وجدته :

لعل هذا الموضوع لم يعالج من قبل ـ حسب علمى ـ بطريقة شاملة من وجهة النظر الإسلامية .

ذلك أنه على الرغم من أن القرآن الكريم هو أول من تَحدث عن تحريف اليهود للتوراة السماوية المنزلة على سيدنا موسى عليه السلام ، وبين كفرهم وانحرافهم ، وكشف عن فسادهم وإفسادهم وحكى لنا عن إشراكهم وتقولهم على الله سبحانه ، وتطاولهم على ذاته العلية فى كثير من آياته الكريمة .

ومن هذه الآيات قوله سبحانه :

﴿ وقالت اليهود عزير ابن الله ، وقالت النصارى المسيح ابن الله ، ذلك قولهم بأفواههم ، يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون ﴾ (١) .

---

(١) التوبة : ٣٠ .

ففى هذه الآية الكريمة بيَّن الله سبحانه أن اليهود تقولوا على الله سبحانه بأن ادعو بنوة عزير له فقالوا ﴿ **عزير ابن الله** ﴾ وأن هذا القول قد صدر منهم ، وليس منقولاً عنهم ، ومن ثم يقول تعالى ﴿ **ذلك قولهم بأفواههم** ﴾ فأفاد هذا التعبير القرآنى أن اليهود لم يخفوا هذا القول ولم يذكروه على سبيل الرمز والتعريض ، وإنما صرحوا به وذكروه بألسنتهم ، وأنهم دعوا الخلق إلى هذا القول حتى وقع فى الأفواه والألسنة ، وأفاد أيضاً أن قولهم هذا الا يعضده برهان ولا حقيقة له فى عالم الواقع ، وإنما هو مجرد لفظ فارغ ، وقول بالأفواه ليس وراءه موضوع ولا حقيقة(١) .

وبينت الآية الكريمة أيضاً أن اليهود فى قولهم ﴿ **عزير ابن الله** ﴾ يضاهئون ـ أى يشابهون ـ قول الذين كفروا من قبل .

وعلى الرغم من كل ذلك فإن المفسرين المسلمين ، وكثيراً من علماء الإسلام فهموا أن المقصود بالذين كفروا ـ فى الآية ـ هم مشركوا مكة على وجه الخصوص ، وخاصة فى زعمهم أن الملائكة بنات الله (٢) .

ولعلهم كانوا معذورين فى ذلك ، حيث لم يكن علم الآثار قد وجد بعد ، وكشف لنا ضمن كشوفاته العلمية الحديثة ، عن أديان وثنية قديمة عاصرها اليهود ، واختلطوا بأصحابها ، وتأثروا بهم فى كثير من المجالات .

ومن هذه الأديان الوثنية القديمة : أديان بلاد الرافدين ، وأديان بلاد سورية ، وأديان مصر واليونان والرومان والفرس وغيرها .

وعليه فإن المفسرين القدامى وغيرهم من علماء المسلمين لم يتعرضوا لبحث تأثر الديانة اليهودية بهذه الأديان الوثنية القديمة ، حيث إن هذه الأديان لم يكن قد أميط عنها اللثام بعد .

---

(١) راجع التفسير الكبير للإمام الرازي جـ١٦ صـ٣٧ دار الفكر .

سيد قطب : في ظلال القرآن جـ١٠ صـ١٦٤٠ دار الشروق ١٩٨٧ / ١٤٠٧ هـ .

(٢) راجع تفسير الطبري جـ١٠ مجلد ٦ صـ٨٠ دار المعرفة بيروت ١٤٠٧ / ١٩٨٧ م ، تفسير النيسابوري ، غرائب القرآن ورغائب الفرقان جـ ١٠ صـ ٧٠ تفسير ابن كثير جـ٢ صـ٣٤٨ دار التراث بالقاهرة تفسير الرازي جـ١٦ صـ٣٧ .

المنهج الغربى فى دراسة الأديان والمفاسد المترتبة عليه :

وحينما جاء الغربيون ، وأخذوا يقارنون بين الأديان ، وتوسعوا فى دراسة الأديان القديمة والمعاصرة ، بحثوا ضمن مابحثوا تأثر اليهودية بالأديان الوثنية القديمة ، وتوصلوا إلى نتائج مذهلة ، وكشفت هذه النتائج عن جانب جديد من جوانب الإعجاز فى القرآن الكريم .

إلا أن معالجتهم لهذا الموضوع تمت دون أن يكون لديهم معيار صحيح وميزان ثابت فى الحكم على ماهو من الدين الصحيح ، والوحى السماوى ، ويفرقوا بينه وبين ماهو من الوثنيات .

بالإضافة إلى أنهم طبقوا نظرية التطور فى دراسة الأديان ، فذكروا أن العقيدة الإلهية بدأت بالتعدد ، ثم تطورت إلى الثنائية وارتقت أخيراً إلى التوحيد ، وأن الإنسان قد خطا خطوات عظيمة ، وجاهد جهاداً مريراً فى سبيل التخلص من مرحلة التعدد حتى وصل إلى مرحلة التوحيد .

وذكروا أن التطور كان هو القانون الذى يحكم مسيرة الأديان سواء فى تعددها أو فى تعدد الأنبياء .

فيما يتعلق بالمنهج الذى سلكه الغربيون فى دراستهم لنشأة الدين ومعرفة ما كان عليه الإنسان الأول فإنهم سلكوا منهجاً خاصاً يتمثل فى التنقيب عن أديان الأمم القديمة ، أو أديان الأمم المعاصرة غير المتحضرة ، واعتبروا أن أقدم مظهر معروف من مظاهر التفكير الدينى الذى انتهوا إليه ، هو صورة مطابقة لما كان عليه الإنسان الأول .

وقد انطوى استخدام هذا المنهج على خطأ مزدوج فى الغاية والوسيلة معاً .

أما من حيث الغاية التى يهدف إليها البحث ، وهى تحديد الأصل الأصيل للعقيدة ، والمظهر الذى ظهرت به فى أول الأزمنة بإطلاق فإن الخطأ يكمن فى أن العلم قد اعتبر هذه المنطقة « البدائية المحضة » شقة حراماً حظرها على نفسه ، وأعلن فى صراحة كاملة خروجها عن حدود عمله ، فاقتحامها الآن باسم العلم تعامل بصك مزيف ، وتستر بثوب مستعار ، وكل حكم يصدر تحت هذا الاسم يكون صادراً عن قاض معزول ، فاقداً للركن الأول من سلطته الشرعية (١) .

---

(١) راجع د . محمد عبد الله دراز : الدين صـ ١٠٦ ــ ١٠٨ .

وأما من حيث الخطأ فى الوسيلة فإن الاستدلال على ديانة الإنسانية الأولى بديانة الأمم المنعزلة المتخلفة عن ركب المدنية ، مبنى على افتراض أن هذه الأمم كانت منذ بدايتها على الحالة التى وصل إليها البحث ، وأنها لم تمر بها أدوار متقلبة ، وهو افتراض لم يقم عليه دليل ، بل الذى أثبته التاريخ ، واتفق عليه علماء الآثار ، هو أن فترات الركود والتقهقر التى سبقت مدنياتها الحاضرة كانت مسبوقة بمدنيات مزدهرة ، وأن هذه المدنيات قامت بدورها على أنقاض مدنيات بائدة ، فى أدوار تتعاقب على البشرية ، كتعاقب الفصول السنوية على الطبيعة ، بحيث يتعسر الحكم بصفة قاطعة بأيها بدأت دورة الزمان .

فكذلك يمكن أن نقول فى شأن العقائد الدينية ، إن الخرافات القديمة يمكن أن تكون بداية ديانات ، كما يمكن أن تكون نتيجة تحلل وتحريف لديانة صحيحة سابقة مزقت أهلها الحروب ، أو أفسدتهم الآفات الاجتماعية ، فقلت عنايتهم بأصول دينهم وشاعت بينهم روايات توارثوها حتى أصبحت سننا مقدسة (١) .

وفيما يتعلق باعتماد الغربيين على نظرية التطور فى دراستهم للأديان فإن ذلك يمثل خطراً شديداً على العقيدة من طرفين : طرف البداية وطرف النهاية معا .

فمن حيث طرف البداية فإن النظرية تقتضى أن يكون آدم عليه السلام فى درجة منحطة من التفكير والتدين ، بينما هو الذى يتحدى القرآن بعلمه علم الملائكة ، وهو الذى قام بين يدى الله يأخذ العلم منه كما ورد فى أول سورة البقرة (٢) .

وهذا مناقض تماماً لما تقتضيه نظرية التطور .

ومن حيث طرف النهاية فإنها تقتضى انفتاح المستقبل أمام رسالات جديدة ، لأن الباب مفتوح دائماً لنضج إنسانى جديد ، وتقدم جديد ، يقتضى عقيدة جديدة ... وهكذا .

---

(١) المصدر السابق صـ ١٠٨ ـ ١٠٩ .

(٢) يقول تعالي ﴿ وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم علي الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين ، قالوا سبحانك لاعلم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم ، قال يآدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إني أعلم غيب السماوات والأرض وأعلم ماتبدون وما كنتم تكتمون ﴾ (البقرة : ٣١ ـ ٣٣) .

وهذا مناقض تماماً لما تقتضيه العقيدة الإسلامية .

إذن فنظرية التطور مرفوضة تماماً من الناحية الإسلامية كتفسير لتعدد الأنبياء(١) .

والتفسير الصحيح لهذا التعدد ـ كما بينه أستاذنا الدكتور يحيى هاشم ـ فإنه يدور وجوداً وعدما مع بقاء الدين الحق بين أيدى الناس واندثاره من بين أيديهم .

فالظروف المكانية والزمانية ـ مع اختفاء وسائل الاتصال والحفظ ـ كان لها فى الماضى أثر فى اختفاء الدين الحق ـ الإسلام ـ الذى يأتى به نبى من الأنبياء (٢) .

فالبشرية بدأت طريقها مهتدية مؤمنة موحدة ، ثم أخذت تنحرف إلى جاهلية ضالة مشركة ـ بفعل العوامل المتشابكة المعقدة فى تركيب الإنسان ذاته ، وفى العوالم والعناصر التى يتعامل معها ، وهنا يأتيها رسول جديد بذات الحقيقة التى كانت عليها قبل أن تضل وتشرك ، هذه الحقيقة هى حقيقة التوحيد التى يقوم عليها دين الله كله ، وتعاقب بها الرسل جميعاً على مدار التاريخ .

وفى ضوء هذا يتبين مدى مفارقة منهج « الأديان المقارنة » الذى اعتمده الغربيون مع المنهج القرآنى ، يتبين أنه لم يكن هناك تدرج ولا « تطور » فى مفهوم العقيدة الأساسى ، الذى جاءت به الرسل كلها من عند الله ، وأن الذين يتحدثون عن « تطور » المعتقدات وتدرجها ، ويدمجون العقيدة الربانية فى هذا التدرج و« التطور » يقولون غير مايقوله القرآن الكريم .

فقد أخبرنا سبحانه أن الرسل جاءوا ـ رسولاً بعد رسول ـ بالتوحيد الخالص ، وبربوبية رب العالمين ، وبالحساب فى يوم الدين ، ولكن الانحرافات فى خط الاعتقاد ، مع الجاهليات الطارئة بعد كل رسالة ، تمثلت فى صور شتى من المعتقدات الجاهلية هى هذه التى يدرسها « علماء الأديان » ثم يزعمون أنها الخط الصاعد فى

---

(١) راجع أستاذنا الدكتور يحيي هاشم : الفكر الإسلامي في مواجهة التيارات الفكرية المعاصرة صـ ٢٧٧ ـ ٢٧٨ الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م .

راجع أيضاً كتابه « الإسلام والاتجاهات العلمية المعاصرة صـ ٦٢ ـ ٦٤ دار المعارف بمصر ١٩٨٤ م .

(٢) راجع الفكر الإسلامي في مواجهة التيارات الفكرية المعاصرة صـ ٢٧٦ ـ ٢٧٧ .

تدرج الديانات وتطورها (١)

هذا وقد تأثر بمنهج الأوربيين فى دراستهم للأديان عدد كبير من الأساتذة والباحثين المسلمين وخاصة المشتغلين منهم بالدراسات التاريخية للحضارات والديانات القديمة، فقد تبنوا نظرية التطور وطبقوها على دراساتهم، واستعانوا بها فى استنتاجاتهم (٢).

بل إن الأستاذ عباس محمود العقاد ـ وهو من هو فى كتاباته ومؤلفاته الإسلامية وجهوده فى الدفاع عن حقائق الإسلام، ومواجهة أباطيل خصومه، جهود بارزة ومشكورة ـ يذكر فى كتابه « الله » أن الإنسان ترقى فى العقائد كما ترقى فى العلوم والصناعات، فكانت عقائده الأولى مساوية لحياته الأولى، وكذلك كانت علومه وصناعاته، فليست أوائل العلم والصناعة بأرقى من أوائل الأديان والعبادات، وليست عناصر الحقيقة فى واحدة منها بأوفر من عناصر الحقيقة فى الأخرى.

ويذكر العقاد أيضاً أنه ينبغى أن تكون محاولات الإنسان فى سبيل الدين أشق وأطول من محاولاته فى سبيل العلوم والصناعات لأن حقيقة الكون الكبرى أشق مطلباً وأطول طريقاً من حقيقة هذه الأشياء المتفرقة التى يعالجها العلم تارة والصناعة تارة أخرى (٣).

ومن الواضح أن العقاد يرى أن البشر هم الذين ينشئون عقائدهم بأنفسهم، ومن ثم تظهر فيها أطوارهم العقلية والعلمية والحضارية والسياسية، وأن التطور من التعدد إلى التثنية إلى التوحيد تطور زمنى مطرد على الإجمال.

يدل على ذلك مانقله عن علماء المقابلة بين الأديان حيث يذكر أنهم يعرفون ثلاثة أطوار عامة مرت بها الأمم البدائية فى اعتقادها بالآلهة والأرباب: وهى دور التعدد، ودور التمييز والترجيح، ودور الوحدانية (٤).

---

(١) راجع سيد قطب: في ظلال القرآن جـ٨ صـ ١٣٠٤ ـ ١٣٠٥.

(٢) راجع الدراسات التي قام بها عدد كبير من أساتذة الجامعات في مختلف التخصصات والذين عرضوا لدراسة الأديان القديمة والمعاصرة، وتأثروا فيها بالمذهب التطوري في نشأة الدين.

(٣) الله: كتاب في نشأة العقيدة الإلهية صـ٥ دار المعارف بمصر ١٩٤٧م.

(٤) المصدر السابق صـ ٢١.

ويدل على ذلك أيضا ما قاله بالحرف الواحد فى مقدمة كتابه المذكور حيث يقول « موضوع هذا الكتاب نشأة العقيدة الإلهية منذ اتخذ الإنسان ربا إلى أن عرف الله الأحد ، واهتدى إلى نزاهة التوحيد » (١) .

ومن خلال كلام العقاد وغيره من الذين يرون تطور العقائد يتبين لنا أنهم بنوا كلامهم على افتراض لم يقم عليه دليل ، وهو قياس الملكات والأحاسيس الروحية ، على القوى البدنية والمكتسبات العقلية والتجريبية .

فقياس الأديان على الفنون والصناعات إنما هو محاولة للجمع بين أمرين لاتؤلف بينهما حقيقة نوعية مشتركة ، بل على العكس تتباين طبائعهما ووسائلهما ، فبينما حقائق العلوم ثروة واسعة ترحل النفس فى طلبها واكتسابها ، فإن حقيقة الدين توجد عناصرها قارة بين الجوانح ، ولايتوقف إدراكها على إدراكات حقائق الكون ودقائقه الجزئية ، ولايعد أشق منها كما يذكر العقاد ، بل إنه يتقدمها ويمهد لها (٢) .

والذى لاشك فيه أن الله سبحانه يقرر فى كتابه الكريم تقريراً واضحاً جازماً ، شيئاً آخر غير مايقرره صاحب كتاب « الله » متأثراً فيه بمنهج علماء الأديان المقارنة ، فآدم وهو أول البشر عرف حقيقة التوحيد كاملة ، وعرف نزاهة التوحيد غير مشوبة بشائبة من التعدد والتثنية ، وعرّف بنيه كل ذلك .

فلما طال الأمد على الأجيال المتتابعة من ذرية آدم ، انحرفت عن التوحيد ، ربما إلى التثنية وربما إلى التعدد ، ودانت لشتى الأرباب الزائفة ، حتى جاءها نوح عليه السلام بالتوحيد من جديد ، وهكذا جميع الأنبياء (٣) .

وقد بيّن الدكتور محمد عبد الله دراز بعد دراسة مستفيضة ونقد موضوعى للمذهب التطورى فى دراسة الدين ، أن وسائل العلوم قد عجزت عن أن تقدم لنا بياناً شافياً يطمئن إليه القلب عن ديانة الإنسان الأول ، وأنها عاجزة وحدها عن أن تصل بنا من طريق يقينى إلى نقطة البدء الحقيقى للدين .

وانتهى إلى أن الحل النهائى لهذه المسألة إنما يكون عن طريق الوحى ، لأنها

---

(١) المصدر السابق .

(٢) راجع د / محمد عبد الله دراز : الدين صـ ١١٠ ـ ١١١ .

(٣) راجع في ظلال القرآن جـ ١٢ صـ ١٨٨٤ ـ ١٨٨٥ جـ٢ صـ ٢١٦ .

داخلة فى منطقة الغيب التى هى موضوع الإيمان ، وليست من شأن العلوم الاستقرائية ولا العلوم الاستنتاجية(١) .

وليس المجال هنا للرد على المذهب التطورى فى نشأة الدين وإنما سنفرد له بحثاً مستقلاً ، ويكفينا هنا بعد الذى تبين أن نؤكد على تلك الحقيقة ... حقيقة أن أول عقيدة عرفت فى الأرض هى حقيقة التوحيد ، وأن هذه الحقيقة تقودنا إلى رفض كل مايخبط فيه من يسمونهم « علماء الأديان المقارنة » وغيرهم من التطوريين الذين يتحدثون عن التوحيد بوصفه طوراً متأخراً من أطوار العقيدة ، سبقته أطوار شتى من التعدد والتثنية للآلهة .. ومن تأليه الشموس والكواكب .. إلى آخر ماتخبط فيه هذه « البحوث » التى تقوم ابتداء على منهج موجه بعوامل تاريخية ونفسية وسياسية معينة ، يهدف إلى تحطيم قاعدة أن الدين السماوى والوحى الإلهى والرسالات من عند الله ، وإثبات أن الأديان من صنع البشر ، وأنها من ثم تطورت بتطور الفكر البشرى على مدار الزمان ! (٢) .

اختيار الموضوع وخطة البحث :

وحينما أقدمت على تسجيل هذا الموضوع ، راعنى أنه لم يعالج فى الدراسات الجامعية بطريقة شاملة ، ومن وجهة النظر الإسلامية :

ففى جامعة الأزهر لم أجد من تطرق إليه ، وفى الجامعات الأخرى بالرغم من أن عدداً من الباحثين قد أشاروا إليه ، وتحدثوا فيه ، إلا أنهم لم يبحثوه كموضوع مستقل ، ولم يدرسوه دراسة شاملة مستفيضة ، بالإضافة إلى أن معالجتهم له تمت بعيداً عن أمان التصور الإسلامى ، فأغفلوا هيمنة القرآن الكريم ، ولم يرجعوا إلى ميزان الإسلام فى الحكم على مايعرض لهم من أمور .

ومن ثم فقد رأيت أن الدراسات الجامعية فى أمسِّ الحاجة إلى بحث هذا الموضوع ، وخاصة أن فى بحثه خروجاً عن الموضوعات التقليدية المكررة التى تبحث فى مقارنة الأديان .

فاستخرت الله سبحانه ، وتوكلت عليه فى التقدم بهذا الموضوع إلى قسم

---

(١) الدين صـ ١٠٤ ـ ١١٣ .

(٢) راجع في ظلال القرآن جـ١٢ صـ ١٨٨٢ .

العقيدة والفلسفة لنيل درجة العالمية (الدكتوراه) .

ويتضمن التخطيط الذى سرت عليه فى كتابة هذا البحث خطة بموجبها يحتوى الكتاب على مقدمة ومدخل وثلاثة أبواب وخاتمة .

المدخل ويتضمن ثلاثة مباحث :

١ ـ التصوير القرآنى لديانة بنى إسرائيل

٢ ـ مصادر اليهود

٣ ـ تحديد أصول التسميات : عبرانى ، إسرائيلى ، يهودى والمراد بالديانة اليهودية

الباب الأول : (اليهود واتصالهم بالأديان الوثنية القديمة) .

ويشتمل هذا الباب على ثلاثة فصول :

الفصل الأول : اليهود فى التاريخ منذ عصر الآباء الأولين حتى عصر المكابيين

الفصل الثانى : الأديان الوثنية المعاصرة لليهود فى تاريخهم القديم

الفصل الثالث : قنوات الاتصال التاريخية بين اليهود وأصحاب الأديان الوثنية

الباب الثانى : (عوامل تأثر اليهودية بالأديان الوثنية)

ويشتمل على ثلاثة فصول :

الفصل الأول : فترات السبى والاضطهاد والاختلاط فى حياة اليهود

الفصل الثانى : فقدان اليهود للتوراة المنزلة على سيدنا موسى وتحريفهم لها وانتفاء قدسية العهد القديم

الفصل الثالث : الاتجاه الوثنى لدى بنى إسرائيل

الباب الثالث : (مظاهر تأثر اليهودية بالأديان الوثنية)

ويتشمل على ثلاثة فصول :

الفصل الأول : مظاهر التأثر فى تأليف الأسفار وتدوين الكتب

الفصل الثانى : مظاهر التأثر فى القصص الدينى والأساطير

الفصل الثالث : مظاهر التأثر فى عقيدة الألوهية

الخاتمة : وتشتمل على أهم نتائج البحث (١) .

---

(١) اشتملت المقدمة في الأصل علي خطة تفصيلية ذكرت فيها المباحث المختلفة للفصول وذكرتها هنا باختصار نظراً لطول المقدمة في الكتاب ، ويكفي القارىء أن يرجع إلي فهرس الموضوعات .

منهج البحث :

يقوم منهج البحث الذى استخدمته فى معالجة هذا الموضوع على اتباع المنهج القرآنى الذى يجمع بين قيامه على أساس منهج علمى معتمد من المناهج العلمية الصحيحة ، وبين كونه هو المصدر الإلهى الموثق ، والمرجع السماوى الصحيح ، وتتجلى ملامح هذا المنهج فى النقاط التالية :

أولاً : استخدمت المنهج التاريخى الوصفى فى عرض تاريخ اليهود ، ونقل أحوالهم ، ووصف عقائدهم ، حيث رجعت إلى المصدرين الرئيسيين لهم وهما أسفار العهد القديم وأسفار التلمود ، وقد اعتمدت على المصدر الأول بشكل خاص فى التعرف على تاريخ وأحوال اليهود ، فتاريخ اليهود جزء من ديانتهم ، ومن هنا تأتى أهميته ، حيث اعتبروه تاريخاً مقدساً ، وتكونت ديانتهم عبر مراحل حياتهم التاريخية .

ثانياً : ومن لوازم هذا المنهج أيضاً أننى رجعت فى تفسير هذه النصوص وبيان ماتهدف إليه وما يفهم منها ، إلى شراح العهد القديم ، وهم إما من اليهود أو من النصارى الذين يصورون عقائد اليهود ويذكرون تقاليدهم أولاً ثم يستنبطون منها مايروق لهم ويدعم عقائدهم النصرانية .

ثالثاً : وسوف يلاحظ القارىء أننى أكثرت من نقل النصوص من هذه الأسفار وخاصة فى وصف انحرافات اليهود عن التوحيد ، وجنوحهم إلى الوثنية ، وكان الهدف من ذلك إدانتهم من خلال مصادرهم وإلزامهم بما أوردته نصوصهم فى حقهم ، فاستشهدت بهذه النصوص على فساد طبيعتهم ، وشدة انحرافهم وتأثرهم بالوثنيين وانخراطهم فى سلك الوثنية ، وقد حرصت على نقل نصوصهم كاملة دون شرح أو اختصار ، حتى لا أتهم بأنى أتزيد عليهم ، أو أتصيد لهم ، أو أحرف عنهم .

رابعاً : اعتمدت فى نقل هذه النصوص على عدة طبعات للكتاب « المقدس » مترجمة إلى اللغة العربية :

١ ـ **الكتاب المقدس** : أى كتب العهد القديم والعهد الجديد طبعة البروتستانت التى أصدرتها دار الكتاب المقدس فى العالم العربى بدون تاريخ .

٢ ـ **الكتاب المقدس** : العهد العتيق والعهد الجديد : طبعة الأساقفة الكاثوليك

منشورات دار المشرق توزيع المكتبة الشرقية بيروت ١٩٨٦ م ، وتحتوى هذه الطبعة على مقدمة لكل سفر .

٣ ـ **الكتاب المقدس** : كتب الشريعة الخمسة ، طبعة الآباء اليسوعيين منشورات دار المشرق بيروت بإشراف جمعيات الكتاب المقدس فى المشرق ١٩٨٦ ، وتحتوى هذه الطبعة على مدخل إلى الكتاب المقدس ، ومدخل إلى العهد القديم ومقدمة وشرح لكل سفر .

٤ ـ **التوراة السامرية** (النص الكامل للتوراة السامرية باللغة العربية) ترجمة الكاهن السامرى : أبو الحسن إسحاق الصورى ، نشر دار الأنصار القاهرة الطبعة الأولى ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م .

وقد اعتمدت بشكل رئيسى على طبعة البروتستانت ، وجعلتها هى الأصل نظراً لاعتمادها على النسخة العبرية فى عدد الأسفار ، وأقرب إلى التقاليد اليهودية من غيرها .

خامساً : وبجانب استخدامى للمنهج التاريخى من جانبه الوصفى فإننى قد استخدمته أيضاً من جانبه الاستردادى النقدى ، والنقد كما يقول الدكتور عبد الرحمن بدوى هو الخطوة الحقيقية فى المنهج التاريخى ، ويقوم هذا المنهج على نقد الوثائق والمصادر ، وينقسم إلى نقد خارجى ، ونقد باطن فالنقد الخارجى ينقسم إلى نقد الاستعادة أو نقد التصحيح ويقوم على أساس التحقق من صحة الوثائق ، وإلى نقد المصدر لهذه الوثائق .

وأما النقد الباطن فإنه يتلخص فى خطوتين : الأولى عملية التحليل للنص ، والنقد الإيجابى لمعناه أى تفسيره ، والخطوة الثانية هى عملية النقد السلبى للنزاهة والدقة(١) .

وبناء على ذلك ـ ورغم ما ذكرته عن مفاسد المنهج الغربى فى دراسة الأديان فإننى قد استخدمت المنهج النقدى للكتاب المقدس ويسمى النقد التاريخى والذى بدأت حركته فى القرن السابع عشر ، وحمل لواء النقد فى هذا القرن ثلاثة :

---

(١) راجع تفاصيل الحديث عن هذا المنهج في كتابه « مناهج البحث العلمي صـ ١٨٣ ـ ٢٢١ وكالة المطبوعات الكويت ١٩٧٧ م .

سبينوزا ، ريتشارد سيمون ، جان استرويك (١) .

حيث وجدت أنه من الممكن للباحث أن يستعين بكثير من مراجع وكتابات الغربيين ، ويستشهد بأفكارهم وآرائهم فى بيان تأثر اليهودية بالأديان الوثنية ، فيما لايمس العقيدة الإسلامية بشكل خاص ، ولايتصادم مع التصور الإسلامى بشكل عام ، وذلك باتخاذ القرآن الكريم هو المعيار الأصلى والمقياس الأساسى .

ومن هنا فإننى رجعت إلى كتابات كثير من غير المسلمين ـ يهوداً كانوا أو مسيحيين ـ سواء كان منها الكتب المعربة التى ترجمت إلى اللغة العربية من اللغات الأخرى ، أو التى كتبت أصلاً باللغة العربية ، وكلما وجدت فى آرائهم قوة الاستدلال وبعداً عن التحيز ، وكلما وجدت فى الاستشهاد بها أماناً من التصادم مع الحق المبين كما جاء به الوحى الأمين .

وتأتى أهمية استخدام هذا المنهج وبتلك الضوابط فى أنه يدخل ضمن قوله : ﴿ **وشهد شاهد من أهلها** ﴾ فيكون أقوى فى الاستدلال وأكد فى الاحتجاج .

سادساً : ومن هذا الباب أيضاً فإننى فى بعض الأحيان استشهدت بنصوصهم الواردة فى أسفارهم على بطلان عقائدهم وبيان تناقضهم ، واختلافهم ، وقد يكون النص المستشهد به والمستخدم فى الاستدلال غير صحيح ، ولايقبل القول به ، سواء كان ذلك عرضاً لواقعة من وقائعهم ، أو وصفاً لحدث من أحداثهم ، أو بياناً لعقيدة من عقائدهم فكونى أستشهد بهذه النصوص لايعنى الإيمان بصحتها والقول بقبولها وإنما هو من باب إلزامهم بما فى مصادرهم ، وإبراز ما تحتوى عليه هذه المصادر من تناقض وتضارب واضطراب .

سابعاً : ووما ينبغى التنبيه عليه أن استخدامى للمنهج النقدى الذى استخدمه الأوربيون لايعنى أننى قد اعتمدت عليه فقط وأغفلت المنهج العلمى النقدى الذى استخدمه علماء المسلمين فى دراسة اليهودية والنصرانية ، ولايعنى أيضاً صحة مازعمه الدكتور / حسن حنفى من أن النقد التاريخى للكتب المقدسة يعتبر أحد

---

(١) راجع مقدمة د . حسن حنفي لكتاب سبينوزا : رسالة في اللاهوت والسياسة صـ ١٨ ، وذكر أن النقد التاريخي يتمثل في حسم مشكلة الصحة التاريخية وتشتمل أولاً : إثبات صحة نسبة النص إلي مؤلفه ويسمي حديثاً بنقد المصادر ، وثانياً إثبات تكامل النص من حيث المضمون ويسمي حديثاً « إعادة تكوين النص » .

المناهج العلمية التى وضعتها الفسفة الحديثة ، كما يعتبر من أهم مكاسب الحضارة الأوربية بالنسبة لدراسة التوراة والإنجيل ، حيث نتجت عن تأليه العقل فى القرن السابع عشر ، قرن اسبينوزا ، واخضاع الطبيعة له (١) .

فالمنهج النقدى للكتاب المقدس لايرجع الفضل فى حدوثه إلى الأوربيين وإنما يرجع الفضل فيه إلى القرآن الكريم وإلى مناقشات المسلمين فى العصور الأولى .

ويكفى هنا أن نشير إلى ابن حزم المتوفى فى عام ٤٥٦ هـ الذى يعتبر كتابه « الفصل فى الملل والأهواء والنحل » بما اشتمل عليه من نقد علمى للعهدين القديم والجديد أول دراسة نقدية لنصوص الكتاب المقدس تسبق بآماد طويلة تلك الدراسة التى ظهرت بوادرها فى أوربا فى القرن السابع عشر وازدهرت فى القرن التاسع عشر .

وقد اعترف بذلك علماء الغرب أنفسهم ، بل إن منهم من بيّن تأثر اسبينوزا بابن حزم فى نقده لليهودية وانتفاعه بمنهجه (٢) .

فقد كان للمسلمين أثر جليل فى دراسة الأديان تميز بطابعين جديدين لم يسبق إليهما أحد : **أحدهما** : أن الحديث عن الأديان بعد أن كان فى العصور السابقة مغموراً ومدفوعاً فى تيار البحوث النفسية أو الفلسفية أو الجدلية ، أصبح فى كتب المسلمين دراسة وصفية واقعية ، شاملة لكافة الأديان المعروفة فى عهدهم ، فكان لهم فضل السبق فى تدوينه علماً مستقلاً قبل أن تعرفه أوربا الحديثة بعشرة قرون .

وثانيهما : أنهم فى وصفهم للأديان المختلفة لم يعتمدوا على الأخيلة والظنون ، ولا على العوائد والخزعبلات الشائعة فى الطبقات الجاهلة ، ولكنهم كانوا يستمدون أوصافهم لكل ديانة من مصادرها الموثوق بها ويستقونها من منابعها الأولى .

وبذلك فإن المسلمين سباقون فى مجال دراسة الأديان ومقارنتها حيث اختطوه علماً مستقلاً ثم اتخذوا له منهجاً علمياً سليما (٣) .

ثامناً : الاعتماد على القرآن الكريم ، والرجوع إليه ، واتخاذه المقياس الصحيح ، والمعيار الثابت ، والميزان الدقيق ، باعتباره المصدر الإلهى الموثق ،

---

(١) مقدمة رسالة في اللاهوت والسياسة صـ١٨ .

(٢) راجع تفصيل ذلك في الفصل الثاني من الباب الثاني من هذا الكتاب وهو بعنوان : « فقدان اليهود للتوراة المنزلة وتحريفهم لها » .

(٣) راجع الدكتور / محمد عبد الله دراز : الدين صـ ٢١ ـ ٢٢ .

والكتاب السماوى الصحيح ، انطلاقاً من قوله تعالى : ﴿ **وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه ، فاحكم بينهم بما أنزل الله ولاتتبع أهواءهم عما جاءك من الحق** ﴾ (١) .

ومعنى قوله تعالى ﴿ **وأنزلنا إليك الكتاب** ﴾ أى الكتاب الكامل الذى أكملنا به الدين ، فكان هو الجدير بأن ينصرف إليه معنى الكتاب الإلهى عند الإطلاق ، وهو القرآن المجيد ، وهذه حكمة التعبير بالكتاب بعد التعبير عن كتاب موسى باسمه الخاص (التوراة) وعن كتاب عيسى باسمه الخاص (الإنجيل) (٢) .

وقوله ﴿ **بالحق** ﴾ أى بالصدق الذى لاريب فيه أنه من عند الله ، أى أنزلناه متلبساً بالحق مؤيداً به مشتملاً عليه مقرراً له ، بحيث لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه (٣) .

وقوله ﴿ **مصدقاً لما بين يديه من الكتاب** ﴾ أى مصدقاً لما تقدمه من جنس الكتب الإلهية كالتوراة والإنجيل ، أى ناطقاً بتصديق كونها من عند الله ، وأن الرسل الذين جاءوا بها لم يفتروها من عند أنفسهم (٤) .

ويقول ابن كثير « مصدقاً لما بين يديه من الكتب المتقدمة المتضمنة ذكره ومدحه وأنه سينزل من عند الله على عبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم ، فكان نزوله كما أخبرت به مما زادها صدقاً عند حامليها من ذوى البصائر الذين انقادوا لأمر الله واتبعوا شرائع الله ، وصدقوا رسل الله (٥) .

أما قوله تعالى ﴿ **ومهيمناً عليه** ﴾ فإن « المهيمن » فى اللغة بمعنى الأمين ، أو المؤتمن ، أو الشاهد ، وهيمن على كذا أى صار رقيباً عليه وحافظاً ، فأصل الهيمنة الحفظ والارتقاب (٦) .

---

(١) المائدة ٤٨ .

(٢) محمد رشيد رضا : تفسير المنار جـ ٦ صـ ٤١٠ دار الفكر بيروت .

(٣) المصدر السابق ، تفسير ابن كثير جـ ٢ صـ ٦٥ .

(٤) تفسير المنار جـ ٦ صـ ٤١٠ .

(٥) تفسير القرآن العظيم جـ ٢ صـ ٦٥ .

(٦) راجع القاموس المحيط صـ ١٦٠٠ مؤسسة الرسالة الطبعة الثالثة ١٩٩٣م ، تفسير الطبري جـ ٦ صـ ١٧٢ .

وقد أورد المفسرون عدة معان لقوله تعالى ﴿ ومهيمناً عليه ﴾ فروى عن ابن عباس أنه فسره بقوله « إن القرآن شاهد على التوراة والانجيل ، ومهيمن بمعنى أمين ويحكم على ما كان قبله من الكتب » وكذلك ورد عن قتادة ، وقال ابن جريج وآخرون : القرآن أمين على الكتب فيما إذا أخبرنا أهل الكتاب فى كتابهم بأمر إن كان فى القرآن فصدقوا وإلا كذبوا ، وقال ابن جرير : القرآن أمين على الكتب المتقدمة قبله فما وافقه منها فهو حق وما خالفه منها فهو باطل » (١) .

وهذه الأقوال كلها - فيما يذكر ابن كثير - متقاربة المعنى فإن اسم المهيمن يتضمن هذا كله فهو أمين وشاهد وحاكم على كل كتاب قبله ، فقد جعل الله هذا الكتاب العظيم الذى أنزله آخر الكتب وخاتمها ، وأشملها ، وأعظمها ، وأكملها ، حيث جمع فيه محاسن ما قبله ، وزاده من الكمالات ما ليس فى غيره ، فلهذا جعله شاهداً وأميناً وحاكماً عليها كلها ، وتكفل تعالى بحفظه بنفسه الكريمة فقال تعالى : ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾ (٢) .

وإذا كان القرآن الكريم هو الرقيب أو الحارس والأمين على الكتب السماوية السابقة فإن مما تقتضيه تلك الرقابة أو الحراسة الأمينة عليها أن لايكتفى الرقيب أو الحارس بتأييد ما فيها من حق وخير ، وإنما عليه أن يحميها من الدخيل الذى أضيف إليها ، وأن يبرز ما تمس إليه الحاجة من الحقائق التى أخفيت منها ، فمهمة القرآن إذن أن ينفى عن هذه الكتب الزوائد والإضافات ، وأن يبين ما كتمه أهل الكتاب وأخفوه يقول تعالى ﴿ يأأهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيراً مما كنتم تخفون من الكتاب ﴾ (٣) .

فعلاقة القرآن إذن بالكتب السماوية فى صورتها الأولى علاقة تصديق وتأييد كلى ، وأما علاقته بها بعد تحريفها فهى علاقة تصديق لما بقى من أجزائها الأصلية ، وتصحيح وتقويم لما طرأ عليها من البدع والإضافات الغريبة عنها .

ومن أجل ذلك فقد بيّن القرآن حقيقة حال هذه الكتب فى أصل انزالها وما كان

---

(١) راجع تفسير الطبري جـ ٦ صـ ١٧٢ ، تفسير ابن كثير جـ ٢ صـ ٦٥ .

(٢) تفسير القرآن العظيم جـ ٢ صـ ٦٥ .

(٣) المائدة : ١٥

من شأن من خوطبوا بها من نسيان حظ عظيم منها وإضاعته ، وتحريف كثير مما بقى منها وتأويله ، والإعراض عن الحكم والعمل بها (١) ، وكان النهى عن الرجوع إلى أهل الكتاب ، والأخذ منهم ، والتلقى عنهم ، ومن هنا يقول ابن عباس رضى الله عنهما فيما رواه البخارى « يامعشر المسلمين ، كيف تسألون أهل الكتاب وكتابكم الذى أنزل الله على نبيه صلى الله عليه وسلم أحدث الأخبار بالله ـ أى أقربها نزولاً إليكم من عند الله عز وجل كما قال ابن حجر ـ تقرءونه لم يشب ـ أى لم يخلط وقد حدثكم الله أن أهل ا لكتاب بدّلوا ما كتب الله ، وغيروا بأيديهم الكتاب فقالوا هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً ، يشير إلى قوله تعالى **﴿ فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون ﴾** (٢) .

وأورد البخارى فى صحيحه أيضاً حديثاً مرفوعاً إلى النبى صلى الله عليه وسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال : كان أهل الكتاب يقرءون التوراة بالعبرانية ، ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لاتصدقوا أهل الكتاب ولاتكذبوهم ، وقولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إليكم (٣) .

وجاء فى مجمع الزوائد أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه نسخ كتاباً من التوراة بالعربية فجاء به إلى النبى صلى الله عليه وسلم فجعل يقرأ ووجه رسول الله صلى الله عليه وسلم يتغير فقال رجل من الأنصار : ويحك يا ابن الخطاب ألا ترى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لاتسألوا أهل الكتاب عن شيء فإنهم لن يهدوكم وقد ضلوا ، وإنكم إما أن تكذبوا بحق أو تصدقوا بباطل والله لو كان موسى بين أظهركم ماحل له إلا أن يتبعنى .

وفى رواية أخرى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم غضب حين قرأ عمر

---

(١) راجع تفسير المنار جـ٦ صـ ٤١١ د / محمد عبد الله دراز الدين صـ ١٨١ .

(٢) البقرة : ٧٩ والحديث موقوف علي ابن عباس رواه البخاري في كتاب التوحيد وكتاب الشهادات والحديث رقم ٢٦٨٥ راجع فتح الباري جـ٥ صـ ٢٩١ ـ ٢٩٢ .

(٣) صحيح البخاري : كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة باب قول النبي صلي الله عليه وسلم « لاتسألوا أهل الكتاب عن شيء » فتح الباري جـ١٣ صـ ٣٣٣ حديث رقم ٧٣٦٢ طبعة محب الدين الخطيب ومحمد فؤاد عبد الباقي دار الفكر .

وقال : أمتهو كون فيها يا ابن الخطاب والذى نفسى بيده ، لقد جئتكم بها بيضاء نقية، لاتسألوهم عن شىء فيخبروكم بحق فتكذبوا به أو بباطل فتصدقوا به (١) .

وهكذا بطلت الثقة برواية أهل الكتاب ، ولم يعودوا أهلاً للسؤال ولا للتصديق لأن المصدق لهم معرض لتصديق الباطل والمكذب لهم معرض لتكذيب الحق ، إذ لايتيسر لنا أن نميز فيما عندهم بين المحفوظ السالم من التحريف وغيره ، فالاحتياط أن لانصدقهم ولانكذبهم ، إلا إذا رووا شيئاً يصدقه القرآن أو يكذبه ، لأنه مهيمن على الكتب السابقة ، وشهيد عليها ، وشهادته حق ، ومهيمناً عليه **﴿ فاحكم بينهم بما أنزل الله ولاتتبع أهواءهم عما جاءك من الحق ﴾** (٢) .

تاسعاً : واستخدامى لهذا المنهج جعلنى لا أجارى الكثيرين من الغربيين فى استنتاجاتهم ، ولا أتابعهم فى استنباطاتهم على وجه الإطلاق ، وسوف يلاحظ القارىء ذلك فى ثنايا البحث ، وخاصة فى الباب الثالث ، حينما يجدنى أعرض مثلا لمظاهر تأثر ا ليهودية بالأديان الوثنية فى القصص الدينى ، حيث أعرض لقصة الخلق أو لقصة الطوفان مثلا كما وردت فى توراة اليهود ، وأقوم بعد ذلك بالمقارنة بينهما ، وأبين مانقله اليهود من الوثنيات والأساطير التى تتعارض مع الدين السماوى ، وتتنافى مع عقيدة التوحيد ، وذلك بالفصل بين هذه الإضافات وبين ما كان ثابتاً فى التوراة المنزلة على سيدنا موسى عليه السلام .

وهكذا دواليك فى كل القضايا والمسائل التى تعرضت لها ، وبينت فيها مظاهر تأثر اليهودية بالأديان الوثنية .

عاشراً : واستخدامى لهذا المنهج أيضا جعلنى لا أقع فيما وقع فيه مثلا الدكتور / أحمد شلبى رغم سبقه فى مجال مقارنة الأديان حيث جارى الغربيين فى قضية اقتباس الشريعة اليهودية من قوانين « حمورابى » البابلية .

---

(١) هذا الحديث رواه أحمد وأبو يعلي والبزار عن جابر ، راجع مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للحافظ الهيثمي جـ ١ صـ ١٧٣ ـ ١٧٤ دار الكتاب العربي بيروت، وهو حديث حسن كما ذكر الشيخ الألباني وذكر له شواهد كثيرة ، راجع ارواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل جـ٦ صـ ٣٤ ـ ٣٨ المكتب الإسلامي بيروت .

(٢) راجع محمد رشيد رضا : تفسير المنار جـ ٦ صـ ٤١٢ .

فقد ذكر أن أهم مصدر اعتمدت عليه أسفار العهد القديم هو تشريع حمورابى الذى يرجع تاريخه إلى نحو ١٩٠٠ ق . م ، وأن كثيراً من العلماء ذهبوا إلى أن القوانين الإسرائيلية فى معظمها مأخوذة مباشرة من تشريع حمورابى (١) .

ومن الممكن قبول هذا الكلام ، وإخضاعه للبحث والدراسة ، وذلك بأن نعرض كل قضية من قضايا الشريعة اليهودية على المصدر السماوى الموثق وهو القرآن الكريم حتى يتبين لنا الحق من الباطل .

لكن الذى لايقبل على ا لإطلاق ، أن يذكر الدكتور / أحمد شلبى أن أبرز ماا تضح فى تشريع حمورابى ، وتحدر إلى ا لفكر الإسرائيلى « قانون المشابهة » الذى يوجد علاقة بين الجريمة والعقوبة ، ويلزم أن تكون العقوبة مضاعفة للجريمة وأن تكون مثلها بقدر الإمكان فالعضو الذى يحدث الضرر يلقى العقاب فكانت اليد التى تخطىء أو تسرق تعاقب بالقطع ... وإذا هجم رجل على آخر فأضر ببعض أعضائه كان العقاب فى مثل الموضع المصاب .

ثم يعقب على ذلك بقوله « هذه نماذج من تشريع حمورابى ونجدها فى ا لعهد القديم بنفسها أو مع اختلاف يسير ، مما يدل على أن تشريع حمورابى كان مصدراً مهماً من مصادر العهد القديم (٢) .

وبالرجوع إلى نصوص الأسفار التى أشار إليها الدكتور تبين أنها تتفق مع ماورد فى القرآن الكريم ، بل إن القرآن الكريم قد صرح بأن الله سبحانه قد كتبها عليهم فى ا لتوراة ا لمنزلة .

يقول تعالى ﴿ **وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسن بالسن والجروح قصاص** ﴾ (٣) .

ومن هنا تكون الحاجة ماسة إلى ضرورة معالجة مثل هذه الموضوعات حسب

---

(١) اليهودية ٢٦٣ الطبعة الرابعة ١٩٧٤ م مكتبة النهضة المصرية .

(٢) نصوص من تشريع حمورابي أوردها الدكتور في كتابه ثم قارن بينها وبين ماورد في سفر الخروج ٢١ : ٢٣ ــ ٣٦ ، وما ورد في سفر التثنية ١٩ : ٢١ وسفر اللاويين ٢٤ : ١٧ ــ ٢٢ . راجع المصدر السابق صـ ٢٦٣ ــ ٢٦٤ .

(٣) المائدة : ٤٥ .

المنهج القرآنى ، الذى يعصمنا من الزلل ، ويقينا من ا لتخبط والاضطراب .

وبعد ؛

فإنه ليسرني ويشرفنى أن أتقدم من أعماق قلبى بخالص الشكر وعظيم التقدير إلى أستاذى الكبير / فضيلة الأستاذ الدكتور / يحيى هاشم حسن فرغل ، فقد من الله سبحانه علىّ بفضله وكرمه بأن تم هذا البحث تحت عناية وإشراف فضيلته .

وكان لتشجيع فضيلته الدائم لى ، وحدبه الدائب على ، وكرمه المتواصل معى ، أثر كبير فى استمرار ومواصلة هذا البحث ، وكان لتوجيهاته الرشيدة ، ونصائحه السديدة ، وعلمه الغزير ، وخلقه النبيل ، وصدره الفسيح ، الفضل الأول فى إخراج هذا البحث على صورته الراهنة .

وإنى لأذكر بكل العرفان والتقدير رغبة فضيلته الصادقة المخلصة فى أن يجنبنى الكثير من المزالق التى يتعرض لها الباحث ، وحرصه الدائم على تهيئة الفرصة كاملة لاستقلالى الفكرى تحت رعايته ، داخل الإطار الإسلامى ، ودعمه لهذا الاستقلال ، وتغذيته بالمنهج العلمى الصحيح .

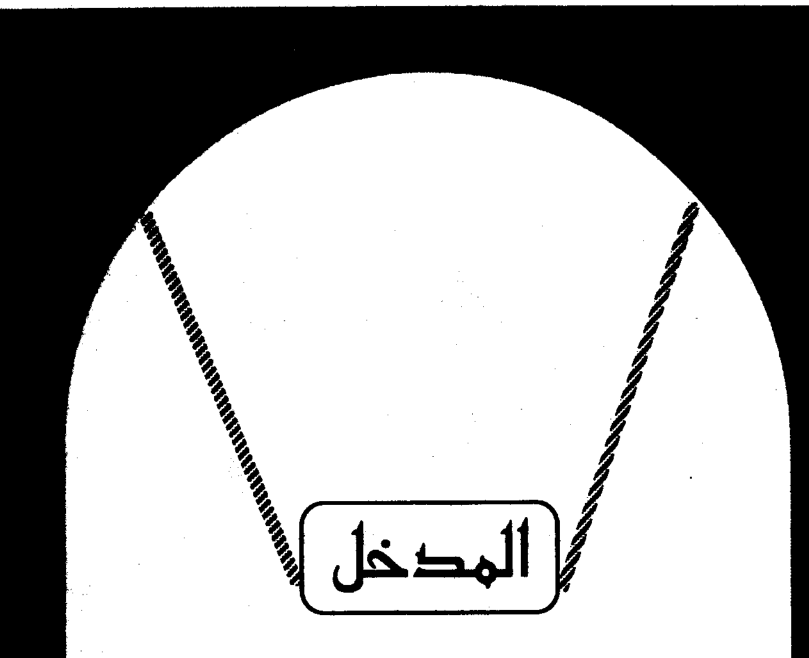
وإنى لأرجو الله سبحانه أن أكون قد وفقت بالدرجة التى تتناسب مع ما قدمه لى من معونة صادقة ، ومابذله معى من الوقت والجهد .

كما أنه لايفوتنى أن أتقدم بجزيل الشكر وخالص التقدير أيضاً إلى أستاذىّ الكريمين : فضيلة الأستاذ الدكتور / عبد العزيز عبد الله عبيد ، وفضيلة الأستاذ الدكتور / رءوف شلبى عضوى لجنة المناقشة على ما قدماه لى من نصح وتوجيه وتقويم ، فجزاهما الله عنى وعن طلاب العلم خير الجزاء .

والحمد لله على ما أنعم به علىّ أولاً وآخراً ، وأتضرع إليه سبحانه أن يتقبل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم ، إنه نعم المولى ونعم النصير .

الرياض فى ذى الحجة ١٤١٣ هـ / يونيو ١٩٩٣ م

فتحى محمد الزغبى



ويشتمل على ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : التصوير القرآنى لدين أنبياء بنى إسرائيل .

المبحث الثانى : مصادر اليهود .

المبحث الثالث : تحديد أصول التسميات الثلاث : عبرانى ، إسرائيلى ، يهودى والمراد بالديانة اليهودية .

المبحث الأول

التصوير القرآني لدين أنبياء بني اسرائيل

التوحيد عقيدة الأنبياء والرسل جميعاً :

يصور القرآن الكريم الدين الذى جاء به الأنبياء إلى بنى إسرائيل صلوات الله وسلامه عليهم بأنه دين الإسلام وأنه يقوم على وحدانية الله سبحانه وعدم الإشراك به والإيمان برسله جميعا .

حيث إن الإسلام القائم على التوحيد هو عقيدة الأنبياء والرسل جميعا بدءاً من سيدنا آدم عليه السلام إلى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .

فالقرآن الكريم يبين أن جميع الأنبياء دعوا أقوامهم إلى الإسلام والى عبادة الله وحده ، فكان كل رسول يجيء الى قومه يلقى اليهم بقوله ﴿ **اعبدوا الله مالكم من إله غيره** ﴾ .

فعلى سبيل المثال : يقول الله سبحانه عن سيدنا نوح عليه السلام ﴿ **لقد أرسلنا نوحا إلى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره** ﴾ (١) .

ويقول تعالى عن سيدنا هود عليه السلام ﴿ **وإلى عاد أخاهم هوداً قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره** ﴾ (٢) .

ويقول تعالى عن سيدنا صالح عليه السلام ﴿ **وإلى ثمود أخاهم صالحاً قال ياقوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره** ﴾ (٣) .

ويقول تعالى أيضاً عن سيدنا شعيب عليه السلام ﴿ **وإلى مدين أخاهم شعيبا قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره** ﴾ (٤) .

وعلى وجه الإجمال يقول الله سبحانه لرسوله صلى الله عليه وسلم : ﴿ **وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحى إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون** ﴾ (٥) .

---

(١) الأعراف : ٥٩ . (٢) الأعراف : ٦٥ . (٣) الأعراف : ٧٣ .
(٤) الأعراف : ٨٥ . (٥) الانبياء : ٢٥ .

ويقول تعالى : ﴿ ولقد بعثنا فى كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ﴾ (١) .

عقيدة التوحيد فى دين أنبياء بنى إسرائيل :

وفيما يتعلق بدعوات الأنبياء والرسل الذين لهم صلة ببنى إسرائيل نجد الدعوة إلى التوحيد أيضاً صريحة وواضحة .

سيدنا إبراهيم الخليل عليه السلام :

فسيدنا إبراهيم الخليل عليه السلام يعلن لقومه ـ بعد أن بين لهم بطلان عقيدتهم فى الكوكب والقمر والشمس ـ كما يقول الله تعالى : ﴿ **إنى وجهت وجهى للذى فطر السماوات والأرض حنيفاً ، وما أنا من المشركين ، وحاجه قومه قال أتحاجونى فى الله وقد هدان ولا أخاف ما تشركون به الا أن يشاء ربى شيئا وسع ربى كل شىء علما أفلا تتذكرون** ﴾ (٢) .

ويبين الخليل أيضاً ربوبية الخالق وحقيقة صلته به فى قوله تعالى : ﴿ **قال بل ربكم رب السماوات والأرض الذى فطرهن وأنا على ذلكم من الشاهدين** ﴾(٣).

وفى قوله تعالى ﴿ **فإنهم عدو لى إلا رب العالمين ، الذى خلقنى فهو يهدين ، والذى هو يطعمنى ويسقين ، وإذا مرضت فهو يشفين ، والذى يميتنى ثم يحيين ، والذى أطمع أن يغفر لى خطيئتى يوم الدين ، رب هب لى حكماً وألحقنى بالصالحين ، واجعل لى لسان صدق فى الآخرين** ﴾ (٤) .

سيدنا يعقوب عليه السلام :

وسيدنا يعقوب عليه السلام فى أثناء احتضاره : يوصى بنيه بالوحدانية وعبادة الله وحده ، يقول الله سبحانه ﴿ **أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت ، إذ قال**

---

(١) النحل : ٣٦ . (٢) الانعام : ٧٩ ـ ٨٠ . (٣) الأنبياء : ٥٦ .

(٤) الشعراء : ٧٧ ـ ٨٤ . راجع تفصيل الحديث عن دعوة سيدنا ابراهيم الخليل الى التوحيد وجهاده مع المشركين فى كتاب أستاذنا الدكتور / رؤف شلبى : الدعوة الإسلامية فى عهدها المكى : مناهجها وغايتها صـ٥٢ ـ ٧٨ الطبعة الثانية ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م ـ دار القلم الكويت .

لبنيه ما تعبدون من بعدى ، قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق إلهاً واحداً ونحن له مسلمون ﴾ (١) .

سيدنا يوسف عليه السلام :

ويصور القرآن الكريم عقيدة سيدنا يوسف ودعوته الى الإسلام والتوحيد فى قوله سبحانه على لسانه عليه السلام **﴿ إنّى تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون ، واتبعت ملة آبائى إبراهيم وإسحاق ويعقوب ، ما كان لنا أن نشرك بالله من شيء ، ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون ، يا صاحبى السجن أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار ، ما تعبدون من دونه إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان ، إن الحكم إلا لله أمر ألا تعبدوا إلا إياه ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾** (٢) .

سيدنا موسى عليه السلام :

وكذلك الأمر فيما يتعلق بسيدنا موسى عليه السلام : فكان أول نداء وجهه إليه ربه سبحانه حينما اختاره للرسالة يشتمل على وحدانية الله سبحانه .

يقول تعالى : **﴿ وهل أتاك حديث موسى ، إذ رأى ناراً فقال لأهله امكثوا إنى آنست ناراً لعلى آتيكم منها بقبس أو أجد على النار هدى ، فلما آتاها نودى يا موسى إنى أنا ربك فاخلع نعليك إنك بالواد المقدس طوى ، وأنا اخترتك فاستمع لما يوحى ، إننى أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدنى وأقم الصلاة لذكرى ﴾** (٣) .

وحينما أرسله الله تعالى هو وأخوه هارون عليهما السلام الى فرعون سألهما عن ربهما سبحانه فأجاباه كما يقول الله تعالى فى سورة طه : **﴿ قال فمن ربكما يا موسى ، قال ربنا الذى أعطى كل شيء خلقه ثم هدى ، قال فما بال القرون الأولى ، قال علمها عند ربى فى كتاب لا يضل ربى ولا ينسى ، الذى جعل لكم الأرض مهداً وسلك لكم فيها سبلا وأنزل من السماء ماءً فأخرجنا به أزواجاً من نبات شتى ﴾** (٤) .

---

(١) البقرة : ١٣٣ . (٢) يوسف : ٣٧ ـ ٤٠ . (٣) طه : ٩ ـ ١٤ . (٤) طه : ٤٩ ـ ٥٣ .

ففى هذه الآيات بيان عن الله الخالق الذى خلق كل شىء وهداه وعن علم الله سبحانه الشامل الواسع وفيها تنزيه لله سبحانه عن كل مالا يليق بذاته العلية المقدسة .

وحينما سأل فرعون سيدنا موسى عليه السلام عن ربه بين له موسى ربوبية الله للسموات والأرض والناس جميعاً والمشرق والمغرب وذلك كما ورد فى سورة الشعراء :

﴿ قال فرعون وما رب العالمين ، قال رب السماوات والأرض وما بينهما إن كنتم موقنين ، قال لمن حوله ألا تستمعون ، قال ربكم ورب آبائكم الأولين ، قال إن رسولكم الذى أرسل إليكم لمجنون ، قال رب المشرق والمغرب وما بينهما إن كنتم تعقلون ﴾ (١) .

وحينما ضل قوم موسى وعبدوا العجل بين لهم فساد ذلك وأن الله وحده الإله الذى لا إله إلا هو ، يقول سبحانه : **﴿ إنما إلهكم الله الذى لا إله إلا هو وسع كل شىء علما ﴾** (٢) .

عقيدة الإيمان بالآخرة (٣) :

ويذكر القرآن أن سيدنا إبراهيم الخليل تحدث عن الآخرة وعن البعث والجزاء والحساب والجنة :

يقول سبحانه وتعالى عن سيدنا إبرهيم أنه توجه الى ربه قائلا :

﴿ رب اغفر لى ولوالدى وللمؤمنين يوم يقوم الحساب ﴾ (٤) .

ويحكى الله سبحانه أيضاً على لسان الخليل إبراهيم قوله :

﴿ والذى أطمع أن يغفر لى خطيئتى يوم الدين ، رب هب لى حكماً وألحقنى

---

(١) الشعراء : ٢٣ ــ ٢٨ . (٢) طه : ٩٨ .

(٣) قدم الزميل فرج الله عبد البارى رسالة الماجستير الى قسم العقيدة والفلسفة بكلية أصول الدين بطنطا تحت عنوان « اليوم الآخر بين الأديان الثلاثة (اليهودية ، والمسيحية ، والإسلام) ١٩٨٧ وتم نشرها فى كتاب بنفس العنوان ١٤١١ هـ ١٩٩١ م دار الوفاء بمصر .

(٤) سورة ابراهيم : ٤١ .

بالصالحين ، واجعل لى لسان صدق فى الآخرين ، واجعلنى من ورثة جنة النعيم ، واغفر لأبى إنه كان من الضالين ، ولا تخزنى يوم يبعثون ، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم ﴾ (١) .

ويبين القرآن الكريم أن الله سبحانه وتعالى أخبر رسوله موسى عليه السلام بالساعة ودعاه الى الإيمان بها تمام الإيمان وحذره من منكريها بقوله تعالى :

﴿ إن الساعة آتية أكاد أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى ، فلا يصدنك عنها من لا يؤمن بها واتبع هواه فتردى ﴾ (٢) .

وأعلن السحرة بعد إيمانهم برب موسى وهارون عن إيمانهم بالآخرة وتحدثوا عن عذاب جهنم ونعيم الجنة وذلك كما ورد فى قوله تعالى :

﴿ قالوا لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات والذى فطرنا ، فاقض ما أنت قاض ، إنما تقضى هذه الحياة الدنيا ، إنا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا وما أكرهتنا عليه من السحر والله خير وأبقى ، إنه من يأت ربه مجرماً فإن له جهنم لا يموت فيها ولا يحيى ، ومن يأته مؤمناً قد عمل الصالحات فأولئك لهم الدرجات العلى ، جنات عدن تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ، وذلك جزاء من تزكى ﴾ (٣) .

صورة أنبياء بنى اسرائيل فى القرآن الكريم :

كذلك فإن القرآن الكريم قد قدم لنا الأنبياء فى صورة وضيئة مشرقة فوصفهم بالصفات الطيبة وأنزلهم الدرجات الرفيعة ، ووضعهم تحت عناية الله وعصمته (٤) .

يقول الله سبحانه عن سيدنا ابراهيم الخليل **﴿ واذكر فى الكتاب إبراهيم إنه كان صديقاً نبيا ﴾** (٥) .

---

(١) الشعراء : ٨٢ ـ ٨٩ . (٢) سورة طه : ١٥ ـ ١٦ .

(٣) طه : ٧٢ ـ ٧٦ . (٤) أقوم الآن بعون الله وتوفيقه بكتابة سلسلة من الدراسات بعنوان « أنبياء الله بين أهواء العهد القديم وحقائق القرآن الكريم » .

(٥) مريم : ٤١ .

﴿ ولقد اصطفيناه فى الدنيا وإنه فى الآخرة لمن الصالحين ﴾ (١) ، ﴿ إن ابراهيم لحليم أواه منيب ﴾ (٢) ، ﴿ إن ابراهيم لأواه حليم ﴾ (٣) .

وكرمه الله سبحانه بأن وهبه ذرية من الأنبياء والرسل حتى عرف بأبى الأنبياء يقول الله تعالى عن ذريته (إسحاق ويعقوب) فى سورة مريم : **﴿ فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله وهبنا له إسحاق ويعقوب وكلا جعلنا نبيا ، ووهبنا لهم من رحمتنا وجعلنا لهم لسان صدق عليا ﴾** (٤) .

ويقول تعالى عنهما فى سورة الأنبياء **﴿ ووهبنا له إسحاق ويعقوب نافلة وكلا جعلنا صالحين ، وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا وأوحينا إليهم فعل الخيرات وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين ﴾** (٥) .

ويقول عنهم فى سورة ص : **﴿ واذكر عبادنا إبراهيم وإسحاق ويعقوب أولى الأيدى والأبصار إنا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار ، وإنهم عندنا لمن المصطفين الأخيار ﴾** (٦) .

ويقول عن ذريته أيضاً بشكل عام فى سورة الأنعام :

﴿ ووهبنا له اسحاق ويعقوب ، كلا هدينا ، ونوحاً هدينا من قبل ، ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون وكذلك نجزى المحسنين ، وزكريا ويحيى وعيسى والياس كل من الصالحين ، واسماعيل واليسع ويونس ولوطاً وكلا فضلنا على العالمين ، ومن آبائهم وذرياتهم وإخوانهم واجتبيناهم وهديناهم الى صراط مستقيم ، ذلك هدى الله يهدى به من يشاء من عباده ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعلمون ، أولئك الذى آتيناهم الكتاب والحكم والنبوة ﴾ (٧) .

ويقول سبحانه عن سيدنا لوط **﴿ ولوطاً آتيناه حكماً وعلما ، ونجيناه من القرية التى كانت تعمل الخبائث إنهم كانوا قوم سوء فاسقين ، وأدخلناه فى رحمتنا إنه**

---

(١) البقرة : ١٣٠ . (٢) هود : ٧٥ . (٣) التوبة : ١١٤ .

(٤) مريم : ٤٩ ـ ٥٠ . (٥) الأنبياء : ٧٢ ـ ٧٣ . (٦) ص : ٤٥ ـ ٤٧ .

(٧) الأنعام : ٨٤ ـ ٨٩ .

من الصالحين ﴾ (١) .

وتحدث القرآن الكريم عن سيدنا موسى عليه السلام فبين منزلته وفضله في قوله تعالى :

﴿ واذكر في الكتاب موسى إنه كان مُخلَصاً وكان رسولاً نبيا وناديناه من جانب الطور الأيمن وقربناه نجياً ، ووهبنا له من رحمتنا أخاه هارون نبيا ﴾ (٢) .

وقال سبحانه :

﴿ وألقيت عليك محبة مني ، ولتصنع على عيني ﴾ (٣) .

﴿ واصطنعتك لنفسي ﴾ (٤) .

﴿ قال ياموسى إني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين ﴾ (٥) .

وتحدث القرآن الكريم عن منزلته مع أخيه هارون عليهما السلام وتكريم الله لهما فقال سبحانه ﴿ ولقد مننا على موسى وهارون ، ونجيناهما وقومهما من الكرب العظيم ، ونصرناهم فكانوا هم الغالبين ، وآتيناهما الكتاب المستبين ، وهديناهما الصراط المستقيم ، وتركنا عليهما في الآخرين ، سلام على موسى وهارون ، إنا كذلك نجزي المحسنين ، إنهما من عبادنا المؤمنين ﴾ (٦) .

وأنزل القرآن الكريم سيدنا داود عليه السلام منزلة رفيعة وأثنى عليه ثناءً حميداً فقال سبحانه :

﴿ ولقد آتينا داود منا فضلاً ، يا جبال أوبي معه والطير وألنا له الحديد ، أن أعمل سابغات وقدر في السرد واعملوا صالحاً إني بما تعملون بصير ﴾ (٧) .

وقال تعالى لرسوله الكريم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم :

﴿ اصبر على ما يقولون ، واذكر عبدنا داود ذا الأيدي إنه أواب ، إنا سخرنا

---

(١) الأنبياء : ٧٤ ـ ٧٥ . (٢) مريم : ٥١ ـ ٥٣ . (٣) طه : ٣٩ . (٤) طه : ٤١ .

(٥) الاعراف : ١٤٤ . (٦) الصافات : ١١٤ ـ ١٢٢ . (٧) سبأ : ١٠ ـ ١١ .

الجبال معه يسبحن بالعشى والإشراق والطير محشورة كل له أواب ، وشددنا ملكه وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب ﴾ (١) .

وقال تعالى عنه أيضاً **﴿ وإن له عندنا لزلفى وحسن مئاب ﴾** (٢) .

وتحدث القرآن عنه وعن ابنه سيدنا سليمان عليهما السلام فذكر ما أفاء الله به عليهما من علم وبين فضلهما على كثير من المؤمنين فقال تعالى **﴿ ولقد آتينا داود وسليمان علما ، وقالا الحمد لله الذى فضلنا على كثير من عباده المؤمنين ﴾** (٣) .

وبين سبحانه أن سليمان قد ورث أباه فى العلم والحكمة والفضل فقال تعالى : **﴿ وورث سليمان داود وقال يا أيها الناس علمنا منطق الطير وأوتينا من كل شىء إن هذا لهو الفضل المبين ، وحشر لسليمان جنوده من الجن والإنس والطير فهم يوزعون ﴾** (٤) .

وتحدث القرآن الكريم عن سليمان عليه السلام فأثنى عليه وبين ما خصه به الله من العلم والملك فقال تعالى **﴿ ووهبنا لداود سليمان نعم العبد إنه أواب إذ عرض عليه بالعشى الصافنات الجياد فقال إنى أحببت حب الخير عن ذكر ربى حتى توارت بالحجاب ، ردوها على فطفق مسحاً بالسوق والأعناق ، ولقد فتنا سليمان وألقينا على كرسيه جسدا ثم أناب ، قال رب اغفر لى وهب لى ملكاً لا ينبغى لأحد من بعدى إنك أنت الوهاب ، فسخرنا له الريح تجرى بأمره رخاء حيث أصاب ، والشياطين كل بناء وغواص ، وآخرين مقرنين فى الأصفاد ، هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب ، وإن له عندنا لزلفى وحسن مئاب ﴾** (٥) .

هذا ومن المؤكد لدينا نحن المسلمين أن هذا التصوير القرآنى لدين أنبياء بنى إسرائيل هو بعينه ماورد فى الكتب المنزلة على أنبيائه وخاصة الكتاب الذى أنزل على

---

(١) ص : ١٧ ـ ٢٠ . (٢) ص : ٢٥ راجع تفصيل ذلك فى كتابى « تنزيه نبى الله داود عن مطاعن وأكاذيب اليهود » فى العهد القديم والإسرائيليات ـ الطبعة الأولى ١٤١٢ هـ / ١٩٩١ م طنطا

(٣) النمل : ١٥ .

(٤) النمل : ١٦ ـ ١٧ . (٥) ص : ٣٠ ـ ٤٠ ـ راجع كتابى « فتنة سليمان فى القرآن بين مفتريات العهد القديم وأكاذيب الاسرائيليات » تحت الطبع .

سيدنا موسى وهو التوراة .

ويرجع ذلك الى وحدة المصدر الإلهى لكل من التوراة والقرآن الكريم أو لكل من القرآن وجميع الكتب التى أنزلها الله سبحانه على رسله الكرام صلوات الله وسلامه عليهم .

وقد بيّن القرآن الكريم وحدة المصدر الإلهى للكتب المنزلة : فهناك آيات كثيرة تنص على أن المصدر لكل رسالات الأنبياء هو الوحى من عند الله منها (١) :

قول الله تعالى ﴿ **إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده وأوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان وآتينا داود زبورا** ﴾ (٢) .

وقول الله سبحانه : ﴿ **حم ، عسق ، كذلك يوحى إليك وإلى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم** ﴾ (٣) .

ويرجع اتفاق ما جاء فى القرآن الكريم مع ما جاء فى التوراة المنزلة وغيرها من الكتب السماوية عن ديانة بنى إسرائيل أيضاً إلى أن الدين الذى جاء به سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم هو نفسه الدين الذى جاء به سيدنا موسى والأنبياء جميعاً من قبله ومن بعده عليهم الصلاة والسلام ذلك أن هذا الدين هو الإسلام .

وإذا أخذنا كلمة « الإسلام » بمعناها القرآنى نجدها لا تدع مجالاً للسؤال عن العلاقة بين الإسلام وبين سائر الأديان السماوية .

فالإسلام فى لغة القرآن الكريم ليس اسماً لدين خاص ، وإنما هو اسم للدين المشترك الذى هتف به كل الأنبياء وانتسب إليه كل أتباع الأنبياء (٤) .

---

(١) راجع تفصيل الحديث عن وحدة المصدر الإلهى لكل رسالات الأنبياء فى كتاب أستاذنا الدكتور / رءوف شلبى : يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء صـ١٩ ـ ٢١ نشر مكتبة الأزهر الطبعة الأولى ١٩٧٤ م ، آلهة فى الأسواق صـ٢٧ ـ ٢٨ مكتبة الأزهر ١٩٨٠ م .

(٢) النساء : ١٦٣ .　　　　(٣) الشورى : ١ ـ ٢ .

(٤) د / محمد عبد الله دارز : الدين صـ١٨٣ مطبعة السعادة ١٩٦٩ .

فمن الحقائق ذات المغزى العميق فى دلالتها على استغراق هذا الدين لجميع الأنبياء والمرسلين أن ترى القرآن الكريم يتتبع الرسل وأصحابهم فيما يشبه الاستقصاء ليصفهم بالمسلمين (١) .

يذكر القرآن الكريم أن سيدنا نوحاً عليه السلام قال لقومه :

﴿ فإن توليتم فما سألتكم من أجر إن أجرى إلا على الله ، وأمرت أن أكون من المسلمين ﴾ (٢) .

ويحكى القرآن الكريم عن سيدنا إبراهيم وسيدنا إسماعيل عليهما السلام قولهما **﴿ ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك ﴾** (٣) .

ويقول سبحانه عن سيدنا إبراهيم أيضاً **﴿ إذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين ﴾** (٤) .

ويأتى قوله تعالى أيضاً ـ فيما يشمل ابراهيم وبنيه وأحفاده : **﴿ ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب ، يا بنى إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون ﴾** (٥) .

﴿ أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدى قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق إلهاً واحداً ونحن له مسلمون ﴾ (٦) .

وفى شأن سيدنا لوط والمؤمنين من قومه يأتى وصفهم بالمسلمين :

﴿ فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين ﴾ (٧) .

وفى شأن سيدنا يوسف يأتى قوله تعالى :

﴿ توفنى مسلماً وألحقنى بالصالحين ﴾ (٨) .

---

(١) راجع أستاذنا الدكتور يحيى هاشم فى كتابه : الفكر الإسلامى فى مواجهة التيارات الفكرية المعاصرة صـ٢٧٤ الطبعة الأولى ١٩٨٦ م .
(٢) يونس : ٧٢ .
(٣) البقرة : ١٢٨ .
(٤) البقرة : ١٣١ .
(٥) البقرة : ١٣٢ .
(٦) البقرة : ١٣٣ .
(٧) الذاريات : ٣٦ .
(٨) يوسف : ١٠١ .

ويذكر القرآن الكريم أن سيدنا موسى قال لقومه ﴿ **يا قوم إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين** ﴾ (١) .

ويقول أصحابه لفرعون ﴿ **وما تنقم منا إلا أن آمنا بآيات ربنا لما جاءتنا ، ربنا أفرغ علينا صبراً وتوفنا مسلمين** ﴾ (٢) .

بل إن فرعون موسى حين غرق دوت في هيكل صدره حقيقة الدين الذى دعا إليه سيدنا موسى فقال عند احتضاره ﴿ **حتى إذا أدركه الغرق قال آمنت أنه لا إله إلا الذى آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين** ﴾ (٣) .

ويذكر القرآن الكريم أن سيدنا سليمان أرسل الى ملكة سبأ بقوله : ﴿ **ألا تعلوا علىّ وأتونى مسلمين** ﴾ (٤) .

وقال وهو يحمد الله على ما آتاه من الملك والنبوة :

﴿ **وأوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين** ﴾ (٥) .

وملكة سبأ إذ تستجيب لدعوته تقول : ﴿ **وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين** ﴾ (٦) .

وفى شأن سيدنا عيسى ، وصحبه الحواريين يقول تعالى :

﴿ **فلما أحس عيسى منهم الكفر قال من أنصارى إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله آمنا بالله واشهد بأنا مسلمون** ﴾ (٧) .

ويذكر القرآن الكريم أن الله أوحى الى الحواريين أن يؤمنوا به وبرسوله فأعلنوا الإسلام يقول تعالى :

﴿ **وإذ أوحيت إلى الحواريين أن آمنوا بى وبرسولى قالوا آمنا واشهد بأنا مسلمون** ﴾ (٨) .

---

(١) يونس : ٨٤ . (٢) الاعراف : ١٢٦ . (٣) يونس : ٩٠ .

(٤) النمل : ٣١ . (٥) النمل : ٤٢ . (٦) النمل : ٤٤ .

(٧) آل عمران : ٥٢ . (٨) المائدة : ١١١ .

وهكذا وجدنا الأنبياء والرسل جميعاً قد أقروا بأنهم على دين واحد هو دين الإسلام ...... ونطقوا بهذه التسمية الصريحة الموحدة (١) .

والإسلام ليس هو ما أنزل على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فحسب وليس هو ما أنزل على الرسل والأنبياء قاطبة فحسب بل إنه الدين عند الله أزلاً ، وأبداً .

وهذا هو ـ كما يقول أستاذنا الدكتور يحيى هاشم ـ معنى قوله تعالى ﴿ **إن الدين عند الله الإسلام** ﴾ (٢) .

ومن هنا يأتي قرار قاطع برفض كل دين غير دين الإسلام ﴿ **ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين** ﴾ (٣) .

وهذا الرفض ليس تعصباً ، ولا انحساراً إلى زاوية ضيقة من زوايا الكون أو المجتمع ... وإنما هو على العكس من ذلك هو إزاحة لكل ما يحول بين الإنسان وبين الانتساب إلى الكون فى شموله وأبديته ﴿ **إن الدين عند الله الإسلام** ﴾ .

بل هو إزاحة لكل ما يحول بين الإنسان وبين الانتساب إلى الإنسانية كافة :

يدل على ذلك شمول هذا الدين لجميع الأنبياء ... والرسل :

﴿ **شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذى أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه** ﴾ (٤) .

ويقول تعالى ﴿ **قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم**

---

(١) راجع الإمام ابن تيمية فى كتابه الصفدية صـ١ ٣٠١ ـ ٣٠٣ ، والجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح جـ١ صـ١١ ـ ١٢ ، وجامع الرسائل جـ١ صـ٢٨٤ وما بعدها وغيرها من كتبه ، راجع أيضاً الشيخ رشيد رضا : تفسير المنار جـ٦ صـ٤١٧ ـ ٤١٨ ـ مطبعة المنار بمصر ١٣٦٧ هـ والدكتور رءوف شلبى : يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء صـ٢٥ .

(٢) آل عمران : ١٩ . (٣) آل عمران : ٨٥ . (٤) الشورى : ١٣ .

لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون ﴾ (١) .

تحت عنوان « فصل فى أن دين الأنبياء واحد » يذكر شيخ الإسلام ابن تيمية أن دين الأنبياء واحد ، وهو دين الإسلام ، حيث ارتضاه الله سبحانه لنفسه ، وبعث به الأولين والآخرين من الرسل ولا يقبل من أحد ديناً غيره ، لا من الأولين ولا من الآخرين ، وهو دين الأنبياء وأتباعهم .

وأشار إلى حديث النبى صلى الله عليه وسلم الذى رواه البخارى « **نحن معاشر الأنبياء إخوة لعلات ديننا واحد** » (٢) .

وإلى هذا الحديث أشار أيضاً الحافظ ابن كثير وذكر أن الإسلام هو ملة الأنبياء قاطبة وإن تنوعت شرائعهم واختلفت مناهجهم ، وأن قوله تعالى **﴿ إن الدين عند الله الإسلام ﴾** يعد إخباراً منه تعالى بأنه لا دين عنده يقبله من أحد سوى الإسلام وهو اتباع الرسل فيما بعثهم الله به فى كل حين حتى ختموا بمحمد صلى الله عليه وسلم (٣) .

وجملة القول أن دين الله تعالى على ألسنة أنبيائه واحد فى أصوله ومقاصده ، وهى توحيد الله وتنزيهه ، وإثبات صفات الكمال له ، والإخلاص له فى الأعمال ، والإيمان باليوم الآخر ، والاستعداد له بالعمل الصالح (٤) .

وإذا كان الإسلام هو دين الأنبياء والرسل جميعاً ـ بما فيهم سيدنا موسى عليه السلام ـ من ناحية العقيدة ومن ناحية المصدر ومن ناحية التسمية ، فمعنى ذلك أن دين موسى عليه السلام هو الإسلام .

وإذا كان الأمر كذلك فما هى علاقة اليهودية ـ التى هى موضع البحث ، والتى هى مظنة التأثر الآن بالأديان الوثنية ـ بسيدنا موسى عليه السلام .

هذا هو ما سيتبين لنا من خلال المبحثين : الثانى والثالث من هذا المدخل .

---

(١) البقرة : ١٣٦ وانظر أستاذنا الدكتور يحيى هاشم فى كتابه « الفكر الإسلامى فى مواجهة التيارات الفكرية المعاصرة صـ٢٧٣ ـ ٢٧٤ .

(٢) راجع جامع الرسائل جـ١ صـ٢٨٤ والجواب الصحيح جـ١ صـ١١ وصـ٥ والصفدية صـ٣٠٥ ـ ٣٠٨ .

(٣) تفسير القرآن العظيم جـ١ صـ١٨٦ ، ٣٥٤ و جـ٢ صـ٦٦ مكتبة دار التراث بالقاهرة .

(٤) تفسير المنار جـ٦ صـ٤١٦ ـ ٤١٧ .

المبحث الثانى

مصادر اليهود

يعتمد اليهود فى إثبات عقائدهم واستخراج شرائعهم وعباداتهم على مصدرين أساسيين:

المصدر الأول : العهد القديم أو التوراة الكتابية .

المصدر الثاني : التلمود أو التوراة الشفهية .

المصدر الأول : العهد القديم :

يطلق العهد القديم (١) على مجموعة من الأسفار المقدسة لدى كل من اليهود والمسيحيين وإن كانوا يختلفون فى عددها وتقسيمها وترتيبها فيما بينهم .

فقد اختلف أحبار اليهود فى عدد هذه الأسفار وإن كان أكثرهم قد أجمعوا أو كادوا على أنها أربعة وعشرون سفراً ويقسمونها إلى ثلاثة أقسام رئيسة (٢) .

---

(١) أطلق اسم « العهد القديم » في العصور المسيحية على أسفار اليهود لـلتفرقة بينها وبين ما اعتمده المسيحيون من أسفارهم التي أطلقوا عليها اسم « العهد الجديد » ويراد بكلمة العهد في هاتين التسميتين ما يرادف معني الميثاق أي أن كلتا المجموعتين تمثل ميثاقاً أخذه الله علي الناس وارتبطوا به معه فأولاهما تمثل ميثاقاً قديماً من عهد موسي والأخري تمثل ميثاقاً جديداً من عهد عيسي ، ويرجح أن اسم العهد القديم مستمد من رسالة بولس الثانية إلي أهل كورنثوس ٣ : ١٤ راجع د / فؤاد حسنين علي : التوراة الهيروغليفية صـ٩ ، ١٢ ، ١٣ دار الكاتب العربي للطباعة والنشر بالقاهرة بدون تاريخ ، د / علي عبد الواحد وافي : الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام صـ١٣ دار نهضة مصر للطبع والنشر القاهرة ١٩٨٤ م ، قاموس الكتاب المقدس : تأليف نخبة من الأساتذة ذوي الاختصاص ومن اللاهوتيين بإشراف د / بطرس عبد الملك وآخرين من منشورات مكتبة المشعل في بيروت : رابطة الكنائس الإنجيلية في الشرق الأوسط الطبعة السادسة ١٩٨١ م .

(٢) راجع تفاصيل هذه الأقسام : دائرة المعارف الأمريكية صـ٦١٣ ، نقلاً عن مهندس / أحمد عبد الوهاب : فلسطين بين الحقائق والأباطيل صـ٢٢ الناشر مكتبة وهبة القاهرة / الطبعة الأولي ١٣٩٢ هـ / ١٩٧٢ م ، د / فؤاد حسنين علي : التوراة الهيروغليفية صـ١٣ ــ ١٤ التوراة عرض وتحليل صـ١٤ ــ ١٥ ، د / حسن ظاظا : الفكر الديني الإسرائيلي : أطواره ومذاهبه صـ١٢ ــ ٧٢ نشر التأليف مكتبة سعيد رأفت ١٩٧٥ ، حبيب سعيد : المدخل إلي الكتاب المقدس صـ٦٧ ــ ٦٩ صدر عن دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية بالقاهرة مع مجمع الكنائس في الشرق الأدني بدون تاريخ .

القسم الأول : التوراة (١) :

وهى كلمة عبرية معناها الهداية والإرشاد وتسمى ـ بالشريعة ويطلق عليها أيضاً الناموس ، وقد اتخذت باليونانية اسم « بانتاتيكوس » أى الكتاب ذو الأسفار الخمسة وانتقلت هذه اللفظة إلى اللاتينية وإلى معظم اللغات العصرية ، وهذه الأسفار الخمسة هى : ـ

١ ـ تكوين ، ٢ ـ خروج ، ٣ ـ لاوين ، ٤ ـ عدد ، ٥ ـ تثنية .

وكان اليهود قد أطلقوا على هذه الأسفار الخمسة أسماء خاصة لا تشير إلى محتوياتها عامة بل هى عبارة عن الألفاظ التى يبدأ بها كل سفر منها .

فالسفر الأول يبدأ بلفظ (براشيت = فى البدء) والثانى (شموت = أسماء) والثالث (ويقرأ = ودعا) والرابع (بمدبر = برية) ، الخامس (دبرتم = كلمات) .

أما هذه الأسماء المذكورة فهى من اطلاق الترجمة السبعينية فكل اسم يعبر عن بعض محتويات السفر وانتقلت عنها إلى الترجمة اللاتينية ومن ثَم إلى كثير من اللغات الأخرى .

فالسفر الأول يسمى (جنيزس = أصل أو تكوين) وذلك لأن هذا السفر يعرض إلى التاريخ الأول للإنسان وقصص الآباء الأولين .

والسفر الثانى (اكسودوس = خروج) وذلك لأنه يهتم بتاريخ الاسرائيليين فى مصر وخروجهم وإقامتهم فى صحراء سيناء حتى بناء خيمة العهد .

والسفر الثالث (ليفيتكوس = الطقوس الكهنوتية) وهو يعنى بالعقيدة والطقوس وسمى باللاوين أو الأحبار القائمين على هذه الطقوس .

---

(١) قد تطلق التوراة علي أسفار العهد القديم من باب اطلاق الجزء علي الكل أو لأهمية التوراة ونسبتها ـ في زعمهم ـ إلي سيدنا موسي عليه السلام د / أحمد شلبي : اليهودية صـ٢٣٨ سلسلة مقارنة الأديان الطبعة الخامسة ١٩٧٨ مكتبة النهضة المصرية .

راجع أيضاً د / مراد كامل : الكتب التاريخية في العهد القديم صـ٥ ـ ٦ معهد البحوث والدراسات العربية ١٩٦٨م .

والسفر الرابع (نوميرى = تعداد) وهو يعنى بالحديث عن إقامة بنى إسرائيل فى الصحراء حيث أجرى تعداد الشعب .

والسفر الخامس (دويترو نوميوم = تثنية الشريعة) وهو يهتم بخطبة موسى التى تدور حول الشريعة وعرضها مرة ثانية (١) .

القسم الثانى : الأنبياء (نبيئيم) وهو مشطور إلى شطرين (٢) .

الشطر الأول : الأنبياء المتقدمون أو الأنبياء الأول ويضم أربعة أسفار :

٦ ـ يشوع ٧ ـ القضاة ٨ ـ صموئيل الأول والثانى

٩ ـ الملوك الأول والثانى

الشطر الثانى : الأنبياء المتأخرون أو الأنبياء الأخر ويتفرع هذا الشطرإلى :

الأنبياء الكبار : ويقعون فى ثلاثة أسفار :

---

(١) أما بداية السفر ونهايته ومسألة تقديرية حيث روعي فيها الكم لا الكيف ، أما التقسيم الحالي إلي فصول أو اصحاحات فيرقي عهده إلي العصور الوسطي حيث قطع النص تقطيعاً منتظماً لتسهيل قراءته ودرسه .

راجع حول ذلك كله : د / فؤاد حسنين علي : التوراة الهيروغليفية صـ٣٩ ـ ٤٠ مدخل إلي التوراة (كتب الشريعة الخمسة) مقدمة الكتاب المقدس صـ٥٨ طبعة الرهبانية اليسوعية توزيع المكتبة الشرقية بيروت بإشراف جمعيات الكتاب المقدس في المشرق سنة ١٩٨٦ م ، مقدمة أسفار الشريعة الخمسة صـ٣ في المجلد الأول من كتاب العهد العتيق منشورات دار المشرق بيروت ١٩٨٣ م ، د / محمد بحر عبد المجيد : اليهودية صـ٣٥ ـ ٣٦ ملتزم الطبع والنشر مكتبة سعيد رأفت القاهرة ١٩٧٨ م .

(٢) يقول لوسيان جوتييه في مقدمته للعهد القديم : إن هذا التقسيم لا يتبع خطة تاريخية وإنما كانت تحتمه طبيعة محتوي هذا القسم كله إذ أن شطره الأول يجنح نحو التاريخ السياسي والعسكري والإداري البحت ، ولا تبدو فيه النبوة إلا من خلال الأحداث مرتبطة بها ومعتمدة عليها ، بينما الشطر الثاني نبوءات صرفة ، تبدو الأحداث من خلالها في المقام الثاني (نقلاً عن د / حسن ظاظا : الفكر الديني الاسرائيلي صـ٣٦) .

١٠ ـ اشعيا ١١ ـ ارميا ١٢ ـ حزقيال .

الأنبياء الصغار أو الأنبياء الاثنا عشر وهم :

ناحوم ، حيقوق ، هوشع ، يوئيل ، عاموس ، عوبيديا ، يونان ، ميخا ، صفنيا ، حجى ، زكريا ، ملاخى .

ويقع هؤلاء جميعاً فى سفر واحد (رقم ١٣) حيث يكونون مجموعة واحدة(١) .

القسم الثالث : الكتابات (كتوبيم) (٢) .

ويحتوى هذا القسم على أحد عشر سفراً وهى :

١٤ ـ المزامير ١٥ ـ الأمثال ١٦ ـ أيوب

١٧ ـ نشيد الإنشاد ١٨ ـ المراثى ١٩ ـ روشا

---

(١) رتب مؤرخو الكتاب المقدس المحدثون الأنبياء الآخر ترتيباً تاريخياً وعلمياً يختلف عن هذا الترتيب المذكور في العهد القديم الموجود بين أيدينا ، فمثلاً رتبهم لوسيان جوتييه علي النحو التالي ١ ـ عاموس (٧٦٠ ق . م) ٢ ـ هوشع (٧٥٠ ق . م) ٣ ـ اشعيا (٧٤٠ ق . م)
٤ ـ ميخا (٧٢٥ ق . م) ٥ ـ ناحوم (٦٥٠ ، ٦٢٥ ق . م) ٦ ـ ارميا (٦٢٦ ق . م)
٧ ـ صفنيا (٦٢٥ ق . م) ٨ ـ حبقوق (٦٠٨ أو القرن السادس ق . م) ٩ ـ حزقيال (٥٩٢ ق . م)
١٠ ـ عوبديا (القرن السادس أو الخامس ق . م) ١١ ـ حجاي (٥٢٠ ق . م)
١٢ ـ زكريا (٥٢٠ ق . م) ١٣ ـ ملاخي (القرن الخامس ق . م)
١٤ ـ يوئيل (القرن الخامس أو الرابع ق . م) .
١٥ ـ يونان (القرن الرابع ق . م) . راجع الفكر الديني الإسرائيلي ص٥١ ـ ٥٣ . راجع أيضاً ص٤٣ ـ ٤٤ من طبعة دار القلم بدمشق ١٩٨٧م « الفكر الدينى اليهودى » .

(٢) وتسمي أيضاً كتب الحكمة أو هجيوغرافيا وهي مجموعة أسفار يغلب عليها الطابع الأدبي شعراً أو نثراً ، وبعضها يتضمن تراثاً من القصص والحكم تتناقل عبر الأجيال ، كما أن بعضها الآخر يتصل بالكيان السياسي والاجتماعي والديني لليهود ، ويحتوي كثير منها علي تمجيد لبطولاتهم في الاستقرار في فلسطين ، أو الرجوع إليها بعد السبي البابلي علي يد الامبراطورية الفارسية وتحت سيادتها ـ د / ظاظا : الفكر الدينى الاسرائيلي ص٥٣ .

٢٠ ـ استير ٢١ ـ الجامعة ٢٢ ـ دانيال

٢٣ ـ عزرا ونحميا ٢٤ ـ أخبار الأيام الأولى والثانية (١) .

فالعهد القديم إذن وبناء على الرأى السائد لدى اليهود يضم ثلاثة أقسام أو أجزاء رئيسة هى : توراة ، أنبياء (نبيئيم) ، كتابات (اكتوبيم) ، ويجمعها فى العبرية لفظ (تناك) أو (تناخ) ، ويكتبها اليهود بالعبرية (ت . ن . ك) وهى حروف اختصار من ألفاظ الأجزاء الرئيسة التى يتألف منها العهد القديم (٢) .

ويشير هذا اللفظ (تناك) أيضاً إلا أن العهد القديم لم يكتسب القداسة أو القانونية ـ فى نظرهم ـ دفعة واحدة بل تدريجياً حسب مواضعه (٣) .

ومن الأسماء المستعملة عند اليهود لتحديد هذا الكتاب : « المقرا » أى النص المقروء ، لأنهم مطالبون بقراءته فى عباداتهم ، وللرجوع إلى الأحكام الشرعية التى تنظم حياتهم .

وهناك اسم ثالث له عندهم صفة علمية خاصة هو المسورة أو « المسورت » ويعنون بدلك النص المقدس المروى عن الأسلاف رواية متواترة ارتضتها أجيال العلماء ورفضت ما عداها (٤) .

وإذا كان هذا هو الرأى السائد الذى فرضته الأغلبية العظمى من أحبار اليهود

(١) وتسمى المزامير والامثال وأيوب أمهات الأسفار ، وتسمى نشيد الأناشيد وروث والمراثى والجامعة واستير المجلات الخمس وهى أسفار تستعمل فى الأعياد اليهودية الخمسة وقد وردت فى العهد القديم حسب مجيء الأعياد أى : ابريل ، يونيه ، أغسطس ، سبتمبر ، مارس (د / فؤاد حسنين : التوراة الهيروغليفية صـ١٤) .

(٢) التوراة الهيروغليفية صـ٣٠ الفكر الدينى الاسرائيلى صـ٧٣ ، د / بحر عبد المجيد : اليهودية صـ٣٥ ، سهيل ديب : التوراة بين الوثنية والتوحيد : الطبعة الثانية ١٤٠٥ هـ ١٩٨٥ م دار النفائس بيروت .

(٣) التوراة الهيروغليفية صـ٣٠ وتفصيل ذلك عند الحديث عن مدى قدسية أسفار العهد القديم فى الفصل الثانى من الباب الثانى .

(٤) د / حسن ظاظا : الفكر الدينى الإسرائيلى صـ٧٣ .

والذى يجمع الأسفار فى اطار أربعة وعشرين سفراً وذلك بإدماج بعض الأسفار (١) .

إذا كان ذلك فإن هناك فريقاً آخر من اليهود يرى أن عدد الأسفار يجب أن يتفق وعدد حروف الأبجدية العبرية فهو لديهم اثنان وعشرون سفراً إذ أمعن أصحابه فى محاولات الضغط والإدماج (٢) .

ويذهب فريق ثالث من اليهود إلى أن عدد الأسفار تسعة وثلاثون سفراً إذ أن أصحابه لم يلجأوا إلى ادماج الأسفار وإنما اعتبروا صموئيل والملوك وأخبار الأيام ستة أسفار بدلاً من ثلاثة ، وجعلوا مجموعة الأنبياء الصغار اثنى عشر سفراً بعد أن كانوا سفراً واحداً وبعد أن كان نحميا وعزرا يكونان سفراً واحداً قاموا بفصلهما واعتبار كل منهما سفراً مستقلاً بذاته (٣) .

هذا من ناحية اختلاف أحبار اليهود فى عدد الأسفار (٤) .

---

(١) إذ يدمجون كتابات « صغائر الأنبياء » الاثنى عشر فى سفر واحد جامع كما أشرت كما أنهم لا يعترفون بتجزئة أسفار صموئيل والملوك وأخبار الأيام ، كل الى نصفين متعاقبين ، ويتخذون نفس الموقف حيال عزرا ونحميا فهما سفر واحد متصل فى اعتبارهم (راجع حسين ذو الفقار صبرى : توراة اليهود بين أصول متشعثة وسعى إلى انعقاد بحث فى المجلة صـ٣ العدد ١٥٧ يناير ١٩٧٠ م .

(٢) التوراة الهيروغليفية صـ١٤ د / بحر عبد المجيد : اليهودية صـ٣٥ . حسين ذو الفقار صبرى : توراة اليهود صـ٣ ، فهم يضمون سفر « روثا » إلى سفر « القضاة » وجعلهما سفراً واحداً ، ويضمون « المراثى » إلى سفر « ارميا » وجعلهما سفراً واحداً أيضاً .

(٣) التوراة الهيروغليفية صـ١٤ د / بحر : اليهودية صـ٣٥ ، ويذكر حسين ذو الفقار صبرى أن هؤلاء يمثلون نفراً ضئيلاً من اليهود : توراة اليهود صـ٣ .

(٤) ومما يجدر ذكره أن السامريين (وهم إحدى فرق اليهود) يقدسون الأسفار الخمسة فقط ويرفضون بقية أسفار العهد القديم وإن كانوا أحياناً يضيفون إلى الأسفار الخمسة سفر يوشع وقيل أن بعضهم يضيف سفر القضاة أيضاً ، ويطلق على توراتهم التوراة السامرية وتوجد بينها وبين التوراة فروق تصل إلى ستة آلاف موضع وسنتعرض للحديث عنهم وعن توراتهم فى ثنايا هذا البحث ، راجع د / حسن ظاظا : الفكر الدينى صـ٢٤٧ ـ ٢٥٢ ، حبيب سعيد : المدخل الى الكتاب المقدس صـ٣٥ ـ ٣٦ قاموس الكتاب المقدس صـ٤٥٠ ـ ٤٥١ التوراة السامرية نشر دار الأنصار بتحقيق د / أحمد حجازى السقا / الطبعة الأولى ١٩٧٨ م .

أما بخصوص الترتيب والتقسيم فإن يهود فلسطين قد راعوا التسلسل التاريخي للأسفار وأزمنتها التاريخية فكان الترتيب الذى ذكرته آنفاً والتقسيم إلى ثلاثة أقسام: التوراة ، الأنبياء ، الكتابات ، وهو مانجده حتى الآن فى نسخة العهد القديم العبرية .

أما يهود الاسكندرية فقد رتبوا الأسفار حسب موضوعاتها (١) متبعين النظام اليونانى ومعتمدين على الترجمة السبعينية (٢) ، حيث قسموا أسفار العهد القديم إلى أربعة أقسام على الترتيب الآتى :

القسم الأول : (كتب موسى) أو الأسفار الخمسة أو « البانتا تيك » وهى :

١ ـ التكوين ٢ ـ الخروج ٣ ـ اللاويين

٤ ـ العدد ٥ ـ التثنية .

القسم الثاني : (الأسفار التاريخية) ومجموعها اثنا عشر سفراً وهى :

٦ ـ يوشع ٧ ـ القضاة ٨ ـ راعوث

٩ ـ صموئيل الأول ١٠ ـ صموئيل الثانى ١١ ـ الملوك الأول

١٣ ـ أخبار الأيام الأول ١٤ ـ أخبار الأيام الثانى ١٥ ـ عزرا

١٦ ـ نحميا ١٧ ـ استير .

القسم الثالث : (أسفار الأناشيد أو الأسفار الشعرية) وعددها خمسة أسفار وهى :

---

(١) الأسفار الخمسة وبعدها الأسفار التاريخية ثم الأسفار الشعرية ثم أسفار الأنبياء ، فالتوراة توطئة للأسفار التاريخية وهذه بدورها متصلة بالأنبياء أما الأسفار الشعرية فأسفار تعليمية تتصل بالحاضر فى الوقت الذى ترتبط فيه أسفار التاريخ بالماضى ، والأنبياء بالمستقبل ، لذلك جىء بالأنبياء فى نهاية العهد القديم والتوراة فى أوله وبين التوراة والأنبياء تقع الأسفار التاريخية وتليها الشعرية (التوراة الهيروغليفية صـ١٤ ـ ١٥) .

(٢) راجع التوراة الهيروغليفية صـ١٤ المدخل الى الكتاب المقدس صـ٦٧ ، وبيان هذه الترجمة فى ترجمات العهد القديم فى هذا المدخل .

١٨ ـ أيوب ١٩ ـ المزامير ٢٠ ـ الأمثال

٢١ ـ الجامعة ٢٢ ـ نشيد الأناشيد .

القسم الرابع : (أسفار الأنبياء) وعددها سبعة عشر سفراً وهي :

٢٣ ـ اشعياء ٢٤ ـ ارميا ٢٥ـ مراثي ارميا

٢٦ـ حزقيال ٢٧ ـ دانيال ٢٨ـ هوشع

٢٩ ـ يوئيل ٣٠ ـ عاموس ٣١ ـ عويديا

٣٢ ـ يونان ٣٣ ـ ميخا ٣٤ ـ ناحوم

٣٥ ـ حبقوق ٣٦ ـ صفنيا ٣٧ ـ حجى

٣٨ ـ زكريا ٣٩ ـ ملاخى (١) .

وقد أضاف يهود الإسكندرية إلى العهد القديم الذى اعتمده يهود فلسطين فى ترجمتهم السبعينية بعض الأسفار التى لم تكن قد ألفت باللغة العبرية بل باليونانية (٢)

---

(١)راجع حبيب سعيد : المدخل الى الكتاب المقدس صـ١٨١ ، راجع د / على عبد الواحد وافى : الأسفار المقدسة فى الأديان السابقة للإسلام صـ١٣ ـ ١٦ .

وجدير بالذكر أنه لما كانت الكنيسة المسيحية قد استخدمت اللغة اليونانية لا العبرية فإنها قد اتبعت الترتيب الاسكندرى وليس الفلسطينى وهو الترتيب الذى نجده فى الترجمات العربية للعهد القديم الذى يختلف كثيراً عن الترتيب اليهودى العبرى ، ومن هنا نشأ الخلاف فى ترتيب وتقسيم أسفار العهد القديم بين اليهود والمسيحيين ، راجع التوراة الهيروغليفية صـ١٤ ـ ١٥ حبيب سعيد : المدخل الى الكتاب المقدس صـ٦٧ ـ ٦٨ ، د / محمد مهران دراسات فى تاريخ الشرق جـ٩ صـ١١ .

(٢) ومن ثم فإن العهد القديم الاسكندرى المسمى بالسبعينى يعتبر أوسع مدى من الكتاب الفلسطينى أو العهد القديم العبرى .

وتعرف هذه الأسفار بأسفار « الأبوكريفا » (١) .

وهذه الأسفار هى :

١ ـ عزر الأول	٢ ـ عزر الثانى	٣ ـ المكابيين الأول
٤ ـ المكابيين الثانى	٥ ـ المكابيين الثالث	٦ ـ المكابيين الرابع
٧ ـ طوبيث	٨ ـ يوديث	٩ ـ صلاة منسى
١٠ ـ قصة سوسن	١١ ـ بعل بابل	١٢ ـ تنين بابل
١٣ ـ صلاة أساريا	١٤ ـ أغنية الرفاق الثلاثة	١٥ ـ تتمة سفر استير
١٦ ـ باروخ	١٧ ـ خطاب ارميا	١٨ ـ أمثال يشوع بن سيراح

---

(١) الأبوكريفا : كلمة يونانية معناها « مخفى » أو مخبأ أو سرى ، فقد كان هناك نوعان من المعرفة الدينية عند اليونان فى ذلك الحين : النوع الأول كان يشمل عقائد وطقوساً عامة يمكن لجميع طبقات البشر معرفتها وممارستها .
أما النوع الثانى : فقد كان يشمل حقائق عميقة غامضة لا يمكن أن يفهمها أو يدرك كنهها إلا قلة من الخاصة ولذلك بقيت (مخفية) أو (ابو كريفية) عن العامة ثم أضيفت إلى فكرة « الخفاء » والسرية فكرة الشبهة وصارت كلمةُ « ابوكريفا » مرادفة لكلمة باطل أو مزيف ، حتى أطلقت على الكتب الدينية الموضوعة التى لم ترد أصلاً فى التوراة وذلك تميزاً لها عن أسفار التوراة (العهد القديم) .
هذا وكانت أسفار الابوكريفا من وضع يهود فلسطين إذ كان معظمها مكتوباً باللغة العبرية أو الآرامية ، وقليل منها بالأغريقية ، لكن فى أوائل القرن الثانى الميلادى نجد ربانى اليهود ، يقفون منها موقفاً عدائياً ويرفضونها ويتغير تبعاً لذلك مدلول اللفظ وتصبح هذه الأسفار وتلك الرسائل بغيضة إلى النفس لايمسها المتدينون .
لكن الشيء الجدير بالذكر هنا أن رفض اليهود لهذه الأسفار وتنحيتها من العهد القديم العبرى ليس مرجعه الإقلال من قيمتها بل لأنها وضعت فى فترة متأخرة عن الزمن الذى اتفق على أنه العصر الذى ختم فيه العهد القديم .
راجع المدخل إلى الكتاب المقدس صـ١٨٤ ـ ١٨٥ ، قاموس الكتاب المقدس صـ١٨ ـ ١٩ التوراة الهيروغليفية صـ١٩٢ ، د / مصطفى كمال عبد العليم : اليهود فى مصر فى عصرى البطالمة والرومان صـ١٢١ الطبعة الأولى ١٩٦٨ مكتبة القاهرة الحديثة .

١٩ ـ حكمة سليمان (١) .

وهذه الأسفار ـ كما يرى العلماء ـ متنوعة المواضيع مختلفة العصور :

فمنها ما يتصل بالتاريخ ومنها ما يعالج القصص التاريخي ، ومنها ماهو أساطير وتحتوى أيضاً على حكم وأغان وأشعار ، فهي مفيدة جداً لنا في دراسة اليهودية لأنها تعيننا على فهم التاريخ اليهودى والعقلية اليهودية في الفترة الممتدة من القرن الثاني ق . م إلى أواخر القرن الأول الميلادى أعنى خراب أورشليم عام ٧٠ م ، وهي أيضاً تكون حلقة الاتصال بين اليهودية والمسيحية أو العهد القديم والجديد (٢) .

وإذا كان اليهود قد اختلفوا فيما بينهم ـ كما رأينا ـ في أسفار العهد القديم فيما يتعلق بعددها وترتيبها وتقسيمها ومن حيث موقفهم من أسفار الأبوكريفا ، فإن المسيحيين أيضاً بجانب أنهم خالفوا يهود فلسطين واتبعوا يهود الاسكندرية في ترتيب الأسفار وتقسيمها كما رأينا فإنهم قد اختلفوا فيما بينهم في الاعتراف بأسفار العهد القديم (٣) .

---

(١) راجع تفاصيل الحديث عن أسفار الابوكريفا : د / فؤاد حسنين على : التوراة الهيروغليفية صـ١٩٤ ـ ٢١٠ حبيب سعيد : المدخل إلى الكتاب المقدس صـ١٨٧ ـ ٢٠٦ قاموس الكتاب المقدس صـ١٩ .

(٢) د / فؤاد حسنين على : التوراة الهيروغليفية صـ١٩٣ د / نجيب ميخائيل ابراهيم : مصر والشرق الأدنى القديم جـ٣ سورية صـ١٦٨ ـ ١٦٩ الطبعة الثانية ١٩٦٤ دار المعارف بمصر .

(٣) حينما انفصل المسيحيون الأولون عن اليهودية وجدت الكنيسة نفسها أمام الكتابين :ـ الاسكندرى والفلسطينى أو اليونانى والعبرى فأخذت تستعمل الكتاب الاسكندرى اليونانى وصار هو الكتاب المقدس المعترف به في الكنيسة المسيحية أجيالاً طوالاً .

وفي عهد الإصلاح تبلورت الآراء المختلفة التي شاعت في الكنيسة الأولى وصارت عقائد ثابتة :

١ ـ فألغت الكنيسة الكاثوليكية في مجمع ترانت (١٥٤٦) كل تمييز بين الكتابيين وأدمج هذا المجمع في الكتاب المقدس القانونى كل الأسفار الموجودة في الابوكريفا ما عدا عزرا وصلاة منسى واعتبرها حجة رسمية في مسائل العقيدة .

٢ ـ وأما لوثر زعيم الاصلاح فقد فصل فصلا تاماً بين الأسفار القانونية وأسفار الابوكريفا وأدمج هذه الأخيرة في الكتاب المقدس ولكنه وضعها في تذييل تحت عنوان « ابوكريفا » أى أسفار لا تحسب في مستوى واحد مع الأسفار المقدسة ولكنها مع ذلك صالحة للقراءة أو التعليم . =

فيوجد الآن طبعتان متداولتان على الأقل للكتاب المقدس هما الطبعة البروتستانتية والطبعة الكاثوليكية : فعدد الأسفار فى الأولى تسعة وثلاثون سفراً ــ وهى نفس الأسفار التى اختارها الفريق الثالث من أحبار اليهود ــ وإن كان رجال الكنيسة البروتستانتية قد اتبعوا فيها يهود الإسكندرية من حيث ترتيبها وتقسيمها اتباعاً للنظام اليونانى دون النظام العبرى الفلسطينى .

أما الطبعة الثانية فإنها تزيد عليها سبعة أسفار إذ أن الكنيسة الكاثوليكية قد اعتمدت هذه الأسفار السبعة ضمن أسفار الأبوكريفا ــ التى أشرت إليها آنفاً ــ متبعة فى ذلك الترجمة السبعينية التى اعتمدها يهود الإسكندرية .

بالإضافة إلى أن إصحاحات البروتستانتية تختلف عن إصحاحات الكاثوليكية، كما أن هناك اختلافاً طفيفاً فى بعض التسميات (١) سيتبين لنا من خلال الجدول الذى سأعرض له بعد بيان الترجمات الخاصة بأسفار العهد القديم .

ترجمات العهد القديم أو (التوراة)

يذكر علماء اللغات أن جميع أسفار العهد القديم قد دونت بلغة واحدة وهى

= ٣ ــ أخذت الكنيسة الأسقفية بوجهة نظر لوثر ، فقررت استعمال أسفار الابوكريفا للأغراض الكنسية ولكنها لم تقبل كجزء من القواعد التعليمية العقائدية واحتفظ بها فى العبادات العامة كذات قيمة أدبية تاريخية ، ولكن لم تعط أى قيمة عقائدية مستقلة أو أى سلطان فى التعليم .

٤ ــ أما أنصار كالفن فقد رفضوا أسفار الابوكريفا كلية وقررت أنه لا يجوز قبولها أو استعمالها إلا ككتابات بشرية ، وكان من آثار ذلك أن منعت جمعية التوراة البريطانية والأجنبية بأحكام دستورها منذ سنة ١٨٢٥ من أسفار أبوكريفا فى الكتاب المقدس ، وامتنعت عن طبعها .

(راجع المدخل إلى الكتاب المقدس صـ١٨٢ ــ ١٨٤) .

(١) راجع لمعرفة مزيد من التفاصيل حول الفروق بين أسفار العهد القديم لدى الكاثوليك والبروتستانت حبيب سعيد : المدخل الى الكتاب المقدس صـ١٨١ ــ ١٨٦ ، الكتاب المقدس : كتب الشريعة الخمسة / طبعة الرهبان اليسوعيين د / نجيب ميخائيل : مصر والشرق الأدنى القديم جـ٣ صـ١٦٣ ــ ١٦٥ ، التوراة الهيروغليفية صـ٣٠ ــ ٣١ ــ ١٩٢ سهيل ديب :التوراة بين الوثنية والتوحيد صـ١٠٨ .

اللغة العبرية ، ما عدا بعض الفقرات التى ألفت من أول الأمر باللغة الآرامية (١) ، ثم ترجمت هذه الأسفار إلى اللغات الأخرى لتسد حاجة اليهود الذين لم يعرفوا العبرية ، كذلك ترجمه المسيحيون لينتفع به الذين اعتنقوا المسيحية (٢) .

ومن أهم هذه الترجمات :

١ ـ الترجمة الآرامية القديمة :

حينما رجع يهود السبى من بابل وجدوا أن الآرامية هى اللغة السائدة فى فلسطين وأصبحت العبرية لغة يصعب فهمها وخاصة بالنسبة لعامة الشعب حيث انهم كانوا قد نسوها تماماً .

وقد أدى ذلك إلى ضرورة إيجاد ترجمة بالآرامية ليفهمها الشعب ومن هنا ظهرت التراجم الآرامية لأسفار العهد القديم وإن كانت لم تصلنا أى ترجمة آرامية من هذه التراجم الأولى حيث قد لعبت بها أيدى الحدثان على مر الزمان (٣) .

٢ ـ الترجمة الاغريقية والسبعينية :

يرجع أصل تسمية الترجمة الاغريقية بالسبعينية إلى ما تقوله التقاليد اليهودية من أن سبعين عالماً من علماء الاسكندرية تحت رعاية بطليموس الثانى (فيلادلفوس)

---

(١) هذه الفقرات عبارة عن بعض أجزاء من سفرى عزرا ودانيال وفقرة واحدة من سفر ارميا ، وكلمتين اثنتين فى سفر التكوين وردتا باللغة الآرامية عن قصد ، ويرجح الباحثون أن ما ألف بالآرامية مباشرة من سفر عزرا يرجع تاريخ تدوينه إلى حوالى سنة ٣٠٠ ق . م وأن ما ألف بها من سفر دانيال يرجع تاريخ تدوينه الى سنة ١٦٧ أو ١٦٦ ق . م .

راجع دائرة المعارف الأمريكية صـ٦١٨ نقلاً عن مهندس أحمد عبد الوهاب : فلسطين بين الحقائق والاباطيل صـ٢٦ ، د / على عبد الواحد وافى : الأسفار المقدسة فى الأديان السابقة للإسلام صـ١٩ فقه اللغة صـ٦٣ دار نهضة مصر للطباعة والنشر .

(٢) حبيب سعيد : المدخل إلى الكتاب المقدس صـ٤٩ .

(٣)راجع دائرة المعارف الأمريكية صـ٦١٩ نقلاً عن فلسطين بين الحقائق والاباطيل صـ٢٦ ، كاترين هنرى : التاريخ فى الكتاب صـ١٢٠ ـ ١٢١ ويقول حديث يهودى قديم ان عزرا هو الذى ترجم سفر الشريعة وتفسيره إلى اللغة الآرامية ويؤيد كثيرون من العلماء صحة هذا الحديث (التاريخ فى الكتاب صـ١٢١) .

(٢٨٢ـ ٢٤٦ ق . م) ترجموا الأسفار الخمسة الأولى إلى اليونانية فى النصف الأول من القرن الثالث ق . م (٢٨٥ ـ ٢٤٧) أما بقية أسفار العهد القديم فقد ترجمت فى الفترة بين سنة ٢٥٠ ـ ١٠٠ ق . م .

وتشتمل هذه الترجمة على أسفار الابوكريفا التى لا توجد فى النسخة العبرية التى فى أيدينا (١) .

هذا وبجانب الترجمة السبعينية فإنه قد استحدثت تراجم أخرى لأسفار العهد القديم من العبرية إلى الاغريقية (٢) .

٣ ـ الترجمة السامرية :

توجد ترجمة آرامية للتوراة (أسفار موسى الخمسة) يستخدمها السامريون وتعرف بالترجمة السامرية ، ولقد كانت التوراة السامرية أصلاً بالعبرية ولكنها مكتوبة بحروف سامرية ، ولكن عندما فقد اللسان العبرى بين السامريين رأوا أنهم

---

(١) راجع دائرة المعارف الأمريكية صـ٦١٩ نقلاً عن فلسطين بين الحقائق صـ٢٦ .
كاترين هنرى : التاريخ فى الكتاب صـ١٢١ ـ ١٢٢ حبيب سعيد : المدخل إلى الكتاب المقدس صـ٤٩ ـ ٥٠ سبينوزا : رسالة فى اللاهوت والسياسة صـ٣٠٨ ـ ترجمة وتقديم د / حسن حنفى دار وهدان للطباعة والنشر بدون تاريخ . نسخة مصورة عن طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ القاهرة .
التوراة الهيروغليفية صـ٢٧ د / على عبد الواحد وافى : الأسفار المقدسة صـ١٩ ـ ٢٠ .

(٢) ذلك أنه بعد أن وضعت مدرسة أكيبا الصورة القانونية الأخيرة للعهد القديم بالعبرية وكان ذلك فى حوالى القرن الأول الميلادى ـ وجد كثير من اليهود أن الترجمة الاغريقية التى يتداولها المسيحيون ليست كافية فى نظرهم ولذلك تم عمل تراجم اغريقية أخرى من النسخة العبرية القانونية الأخيرة وعدد هذه الترجمات ثلاثة هى :
١ ـ ترجمة اكويلا : وهو يهودى ويرجع تاريخها إلى سنة ١٩٠ بعد الميلاد .
٢ ـ ترجمة ثيودتيون : وهو مسيحى ويرجع تاريخها أيضاً الى سنة ١٩٠ بعد الميلاد .
٣ ـ ترجمة سيما خوس ويرجع تاريخها الى سنة ٢٠٠ بعد الميلاد .
ولم تبق نسخة أصلية من هذه الترجمات وإنما تم معرفتها عن طريق كتاب آخرين أشهرهم أوريجانوس الذى جمع ست ترجمات للكتاب المقدس مقابل بعضها فى العبرية والعبرية فى حروف يونانية (راجع دائرة المعارف الأمريكية نقلاً عن فلسطين صـ٢٧ التوراة الهيروغليفية صـ٢٧ المدخل الى الكتاب المقدس صـ٥١ .

فى حاجة إلى ترجمة باللغة الآرامية التى يفهمونها ، ولقد بدأ تصنيفها فى مطلع القرن الأول الميلادى واستمر العمل بهـا حتى حلت اللغة العربية محل الآراميـة فى القرن الحادى عشر (١) .

٤ ـ الترجمة اللاتينية :

ترجمت أسفار العهد القديم عن الترجمة السبعينية إلى اللغة اللاتينية وبدأت أول ترجمة فى أواخر القرن الميلادى على الأرجح ويطلق عليها اسم الترجمة اللاتينية القديمة .

ثم قام القديس ايرونيموس فى الفترة بين ٣٩٢ ـ ٤٠٥ بعمل ترجمة إلى اللاتينية نقلاً عن العبرية مباشرة وتسمى هذه الترجمة باسم اللاتينية الأصلية إذ تعتبر أساس الكتاب المقدس اللاتينى (٢) .

٥ ـ الترجمة الآرامية الحديثة :

ترجم أحبار اليهود فى فلسطين أسفار العهد القديم من العبرية إلى اللهجة الآرامية الحديثة (٣) وساروا فى ترجمتهم هذه على منهج خاص يختلف عن مناهج التراجم المعتادة فكانوا يدونون الفقرة بنصها العبرى ، ثم يتبعونها بترجمتها إلى اللغة الآرامية وقد أطلق على كتبهم هذه اسم « الترجوم » (٤) وقد ألفت فى الفترة الواقعة بين أوائل القرن الثانى وأواخر القرن الخامس بعد الميلاد ، وتم معظمها فى القرنين

---

(١) دائرة المعارف الأمريكية نقلاً عن فلسطين صـ٢٦ ، كاترين هنرى : التاريخ فى الكتاب صـ١٢٣ ـ ١٢٤ خلاصة كتابين كتبا باللغة الإنجليزية تلخيص حبيب سعيد / صدر عن دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية بمصر بدون تاريخ .

(٢) راجع دائرة المعارف الأمريكية صـ٦١٩ نقلاً عن فلسطين بين الحقائق والأباطيل صـ٢٧ ، حبيب سعيد : المدخل الى الكتاب المقدس صـ٥٢ ، د / على عبد الواحد وافى : الأسفار المقدسة صـ ٢٠ د / فؤاد حسنين : التوراة الهيروغليفية صـ٢٨ .

(٣) وهى إحدى لهجات اللغة الآرامية وكانت مستخدمة فى منطقة فلسطين وما إليها .

(٤) ومن أشهرها ترجوم انقلوس وهو ترجمة للأسفار الخمسة وحدها وترجوم يوناثان وهو ترجمة لبقية أسفار العهد القديم .

الرابع والخامس الميلاديين (١) .

٦ ـ الترجمة السوريانية :

ترجم العهد القديم إلى اللغة السريانية (٢) في خلال القرن الثاني الميلادي ليخدم الطوائف اليهودية التي انتشر بينها هذا اللسان الآرامي وقد قبلتها الكنيسة المسيحية وراجعتها وصارت ابتداء من القرن الخامس الميلادي هي النسخة التي يأخذ بها النصارى اليعاقبة والنسطوريون (٣) .

ترجمات ثانوية :

بالإضافة إلى هذه الترجمات هناك ترجمات أخرى تعتبر ـ مع مالها من قيمة ـ ثانوية لأنها لم تنقل عن العبرية رأساً بل نقلت عن اليونانية مثل الترجمة القبطية (القرن الثالث) والأثيوبية أو الحبشية (القرن الخامس) والأرمينية (القرن الرابع) بعد الميلاد (٤) .

الترجمات العربية :

تبع انتشار الإسلام خارج حدود الجزيرة العربية ترجمات للكتاب المقدس في اللغة العربية .

وجاء في القاموس أن أول ترجمة عربية قام بها « يوحنا » أسقف اشبيليه في عام ٧٢٤ م قاصداً أن يساعد المسيحيين والمغاربة بواسطتها ، ثم قام بعد ذلك ، سعدياً جاون

---

(١) راجع د / على عبد الواحد وافى : الأسفار المقدسة صـ٢١ . فقه اللغة صـ٦٥ ـ ٦٦ ، سهيل ديب : التوراة بين الوثنية والتوحيد صـ٢٤ ـ ٢٥ دار النفائس بيروت / الطبعة الثانية ١٩٨٥ م .

(٢) وهى إحدى شعب اللغة الآرامية (راجع د / على عبد الواحد وافى : فقه اللغة صـ٥٩ ـ ٦١ .

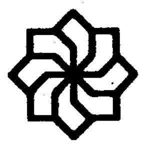
(٣) دائرة المعارف الأمريكية صـ٦١٩ : نقلاً عن فلسطين بين الحقائق والأباطيل صـ٢٧ ، حبيب سعيد : المدخل الى الكتاب المقدس صـ٥٢ .

(٤) راجع تفاصيل الحديث عن هذه الترجمات الثانوية : قاموس الكتاب المقدس صـ٧٧٠ ـ ٧٧٢ حبيب سعيد : المدخل الى الكتاب المقدس صـ٥٣ ، دائرة المعارف الأمريكية عن الترجمة القبطية خاصة نقلاً عن فلسطين بين الحقائق والأباطيل صـ٢٧ ـ ٢٨ .

« أو سعيد بن يوسف الفيومي (٨٩٢ ـ ٩٤٢ م) بترجمة التوراة من العبرانية إلى اللغة العربية ،لمنفعة يهود المشرق وشرحها « إبراهيم بن عزرا » شرحاً وافياً ثم أتى موسى بن ميمون (١١٣٥ ـ ١٢٠٤ م) فقدم تفسيراً عقلياً للتوراة وفي عام ١٢٥٠ قام هبة الله بن العسال بترجمة الكتاب المقدس من القبطية إلى العربية .

هذا وقد طبع الكتاب المقدس باللغة العربية في مجموعة باريس المتعددة اللغات عام (١٦٤٥ م) وفي مجموعة لندن (١٦٥٧ م) ، ونشرت ترجمة عربية من روما سنة (١٦٧١ م)[١] .

ومن بين الترجمات العربية الحديثة ـ التي تشرف عليها جمعيات الكتاب المقدس تلك الترجمة التي قام بها فارس الشدياق وطبعت سنة ١٨٥٧ م والترجمة التي قام بها عالي سمث وأكملها كرنيلوس فانديك بمعاونة بطرس البستاني وناصيف اليازجي والشيخ يوسف الأسير وطبعت في عام ١٨٦٥ م ، وترجمة الآباء الدومنيكان في الموصل عام ١٨٧٨ م ، وترجمة الآباء اليسوعيين التي طبعت في بيروت عام ١٨٨٠م[٢] .



(١) راجع قاموس الكتاب المقدس صـ٧٧١ د / محمد بيومي مهران : دراسات في تاريخ الشرق الدنى القديم جـ ٩ اسرائيل صـ١١٩ ناقلاً عن مصادر أجنبية ، سهيل ديب : التوراة بين الوثنية والترحيد صـ٢٦ .

(٢) راجع قاموس الكتاب المقدس صـ٧٧٢ .

الطبعة البروتستانتية			الطبعة الكاثوليكية		
رقم السفر	اسم السفر	عدد الاصحاحات	رقم السفر	اسم السفر	عدد الفصول
١	التكوين	٥٠	١	التكوين	٥٠
٢	الخروج	٤٠	٢	الخروج	٤٠
٣	اللاويين	٢٧	٣	الأحبار	٢٧
٤	العدد	٣٦	٤	العدد	٣٦
٥	التثنية	٣٤	٥	تثنية الاشتراع	٣٤
٦	يشوع	٢٤	٦	يشوع	٢٤
٧	القضاة	٢١	٧	القضاة	٢١
٨	راعوث	٤	٨	راعوث	٤
٩	صموئيل الأول	٣١	٩	الملوك الأول	٣١
١٠	صموئيل الثانى	٢٤	١٠	الملوك الثانى	٢٤
١١	الملوك الأول	٢٢	١١	الملوك الثالث	٢٢
١٢	الملوك الثانى	٢٥	١٢	الملوك الرابع	٢٥
١٣	أخبار الأيام الأول	٢٩	١٣	أخبار الأيام الأول	٢٩
١٤	أخبار الأيام الثانى	٣٦	١٤	أخبار الأيام الثانى	٣٦
١٥	عزرا	١٠	١٥	عزرا	١٠
١٦	نحميا	١٣	١٦	نحميا	١٣
—	—	—	١٧	طوبيا	١٤
—	—	—	١٨	يهوديت	١٦
١٧	استير	١٠	١٩	استير	١٦
١٨	أيوب	٤٢	٢٠	أيوب	٤٢
١٩	المزامير	١٥٠	٢١	المزامير	١٥٠
٢٠	الأمثال	٣١	٢٢	الأمثال	٣١
٢١	الجامعة	١٢	٢٣	الجامعة	١٢
٢٢	نشيد الانشاد	٨	٢٤	نشيد الانشاد	٨

الطبعة البروتستانتية			الطبعة الكاثوليكية		
رقم السفر	اسم السفر	عدد الاصحاحات	رقم السفر	اسم السفر	عدد الفصول
—	——	—	٢٥	الحكمة	١٩
—	——	—	٢٦	يشوع بين سيراخ	٥١
٢٣	اشعيا	٦٦	٢٧	نبوءة اشعيا	٦٦
٢٤	ارميا	٥٢	٢٨	نبوءة ارميا	٥٢
٢٥	مراثى ارميا	٥	٢٩	مراثى ارميا	٥
—	——	—	٣٠	نبوءة باروك	٦
٢٦	حزقيال	٤٨	٣١	نبوءة حزقيال	٤٨
٢٧	دانيال	١٢	٣٢	نبوءة دانيال	١٤
٢٨	هوشع	١٤	٣٣	نبوءة هوشع	١٤
٢٩	يوئيل	٣	٣٤	نبوءة يوئيل	٣
٣٠	عاموس	٩	٣٥	نبوءة عاموس	٩
٣١	عوبديا	١	٣٦	نبوءة عوبديا	١
٣٢	يونان	٤	٣٧	نبوءة يونان	٤
٣٣	ميخا	٧	٣٨	نبوءة ميخا	٧
٣٤	ناحوم	٣	٣٩	نبوءة نحوم	٣
٣٥	حبقوق	٣	٤٠	نبوءة حبقوق	٣
٣٦	صفنيا	٣	٤١	نبوءة صفنيا	٣
٣٧	حجى	٢	٤٢	نبوءة حجاى	٢
٣٨	زكريا	١٤	٤٣	نبوءة زكريا	١٤
٣٩	ملاخى	٤	٤٤	نبوءة ملاخى	٤
—	——	—	٤٥	سفر المكابيين الأول	١٦
—	——	—	٤٦	سفر المكابيين الثانى	١٥

هذا الجدول منقول عن فهرس كل من الطبعة البروتستانتية للعهد القديم التي أصدرتها دار الكتاب المقدس في العالم العربي (بدون تاريخ) ، والطبعة الكاثوليكية للعهد العتيق التي نشرتها دار المشرق وقامت بتوزيعها المكتبة الشرقية بيروت / لبنان / طبعة ١٩٨٦

المصدر الثانى : التلمود :

كلمة التلمود مستخرجة من كلمة « لامود » التى تعنى بالعبرية « المعرفة » أو « التعليم » وتطلق اليوم على الكتاب الذى يحتوى على التعاليم اليهودية التى تدعى بدورها اليوم ومنذ زمن طويل باسم التلمود أى الكتاب العقائدى الذى وحده يفسر ويبسط كل معارف الشعب اليهودى وتعاليمه (١) .

ويرجع التلمود فى نشأته أساساً إلى أن رجال الدين اليهودى قرروا أن شريعة موسى لم تكن مقصورة على النصوص المدونة فى الأسفار الخمسة ، بل تضمنت أيضاً شريعة شفوية انتقلت من المعلمين إلى تلاميذهم جيلاً بعد جيل مع ما كان يضاف إليها من زيادات وتعديلات (٢) .

وبعد الخلاف حول ما إذا كانت هذه الشريعة الشفوية هى الأخرى من عند الله انتهى الأمر باليهود إلى قبول الرأى الذى كان ينادى به الفريسيون من أنها مع الأسفار الخمسة شريعة مقدسة ينبغى التمسك بها والعمل بمقتضاها (٣) .

---

(١) راجع الأب آى . بى براناتيس : فضائح التلمود : تعاليم الحاخاميين السرية صـ٢١ اعداد زهدى الفاتح ـ دار النفائس بيروت الطبعة الثالثة ١٩٨٥ م ، ول ديورانت : قصة الحضارة (١٤) الجزء الثالث من المجلد الرابع : عصر الايمان صـ١٤ طبعة ١٩٧٥ د / صبرى جرجس : التراث اليهودى الصهيونى صـ٨٨ عالم الكتب القاهرة ١٩٧٠ .

(٢) ول ديورانت : المصدر السابق صـ١٠ د / صبرى جرجس : المصدر السابق صـ٨٨ ، راجع تفاصيل ذلك : فضائح التلمود صـ٢١ ـ ٢٢ .

(٣) انقسم اليهود فى مختلف مراحل تاريخهم إلى فرق دينية وأهم موضوع يدور حوله اختلاف هذه الفرق هو الاعتراف بأسفار العهد القديم وأسفار التلمود أو إنكار بعض هذه الأصول ورفض الأخذ بما جاء فيها من أحكام وتعاليم وترجع أهم فرقهم الباقية والمنقرضة إلى خمس فرق هى :

١ ـ الفريسيون ٢ ـ الصدوقيون ٣ ـ السامريون ٤ ـ الحسديون ٥ ـ القراءون .

راجع تفاصيل الحديث عن فرق اليهود : د / حسن ظاظا : الفكر الدينى صـ٢٤٣ ـ د / على عبد الواحد وافى : الأسفار المقدسة صـ٦٢ ـ ٧٥ اليهودية واليهود وكان أهم ما ثار حوله الجدل بين الفريسيين والصدوقيين هو :هل هذه الشريعة الشفوية هى الأخرى من عند الله فهى لذلك =

ويحتوى التلمود على قسمين رئيسين هما :

١ ـ المشناة : وهو الأصل (المتن) ومعنى المشناة : التكرار أو الشريعة المكررة لأن شريعة موسى المعروفة فى الكتب الخمسة وردت مكررة فى هذه المشناة مع توضيح وتفسير ما التبس منها .

٢ ـ الجمارا أو (الجاماراة) : ومعناها الاستكمال فهى عبارة عما أضيف إلى هذه الشريعة (المشناة) فيما بعد بقصد استكمالها (١) .

المشناة :

والمشناة هى مجموعة من الشرائع اليهودية المروية على الالسنة ، والتى كان اليهود ـ ومايزالون ـ يعتبرونها مصدراً من مصادر التشريع يأتى فى المقام الثانى بعد التوراة مباشرة ويظنون أنها أيضاً ترتفع إلى سيدنا موسى عليه السلام لذلك فإنهم يسمونها « التوراة الشفهية » (٢) .

= واجبة الطاعة ؟ ولما أن زال الصدوقيون بعد تشتت اليهود عام ٧٠ م وورث رجال الدين تقاليد الفريسيين ورواياتهم قبل جميع اليهود المتمسكين بدينهم الشريعة الشفوية وآمنوا بأنها أوامر من عند الله وأضافوها إلى أسفار موسى الخمسة فتكونت من هذه وتلك التوراة أو الشريعة الموسوية التى استمسك بها اليهود وعاشوا بمقتضاها (راجع ول ديورانت : قصة الحضارة (١٤) عصر الإيمان صـ ١٠ د / صبرى جرجس : التراث اليهودى الصهيونى والفكر الفرويدى صـ ٨٨ الناشر عالم الكتب الطبعة الأولى ١٩٧٠ م ، وجدير بالذكر أن فرقة القرائين التى نشأت فى أواخر القرن الثامن الميلادى أنكرت التلمود ولم تعترف به وبذلك يكون الصدوقيون والقراءون والسامريون منكرين للتلمود .

(١) ظفر الاسلام خان : التلمود تاريخه وتعاليمه صـ١١ دار النفائس بيروت الطبعة الثانية د / صبرى جرجس : التراث اليهودى صـ٨٨ .

(٢) د / حسن ظاظا : الفكر الدينى الاسرائيلى صـ٧٨ ظفر الاسلام خان : المصدر السابق صـ١٣ ـ ١٤ (راجع المحاولات الأولى لرواية شرائع المشنا وبداية تدوينها فى المصدرين السابقين : د / ظاظا صـ٧٨ ـ ٧٩ ، ظفر الاسلام خان صـ١٣ ـ ١٤ ، راجع أيضاً ول ديورانت : قصة الحضارة صـ١٠ ـ ١٥ ، وقد أورد د / حسن ظاظا أسماء طبقات فقهاء المشنا فى الصفحات من صـ٩١ ـ ٩٤ .

مباحث المشناة :

وتنقسم المشناة إلى ستة أقسام وتتكون من ستة مباحث :

١ ـ كتاب « زيرائيم » أى البذور وتتضمن اللوائح الزراعية .

٢ ـ كتاب « هوئيد » أى الأيام المقررة ويحتوى على الأحكام الدينية والفرائض الخاصة بالسبت وبقية الأعياد والايام المقدسة .

٣ ـ كتاب « ناشيم » أى المرأة أو النساء ويتضمن النظم والأحكام الخاصة بالزواج والطلاق .

٤ ـ كتاب « نيزيكين » أو « نزيقين » أى الأضرار ويشتمل على القوانين المدنية والجنائية

٥ ـ كتاب « كوداشيم » أو « قداشيم » أى المقدسات أو الأشياء المقدسة ويحتوى على الشرائع الخاصة بالقرابين وخدمة الهيكل .

٦ ـ كتاب « طهاروت » أو « توهاروت » أى الطهارة ويحتوى على قوانين الطهارة ، والنجاسة .

هذا ويحتوى كل قسم من هذه الأقسام الستة على عدة فصول بحيث يصل مجموع الفصول للأقسام كلها إلى ثلاثة وستين فصلاً (١) .

٢ ـ الجمارا :

اعتبرت « المشناة » الجزء الرئيسى والأساسى لـ « التلمود » كله واعتمده اليهود على أنه المرجع الرسمى الموثوق به لقانونهم فوزع على أكاديمياتهم فى بابل (٢)

---

(١) راجع د / حسن ظاظا : الفكر الدينى صـ٨٠ الأب آى . بى . براناتيس : فضائح التلمود صـ٢٦ ـ ٢٧ دائرة المعارف اليهودية العامة نقلاً عن ظفر الإسلام خان : التلمود تاريخه وتعاليمه صـ١٥ ـ ١٦ ، أما الفصول الخاصة بهذه الأقسام الستة فقد عرضها د / حسن ظاظا بالتفصيل من صـ٨١ ـ ٨٨ والأب آى بى براناتيس فضائح التلمود صـ٢٨ ـ ٣٦ .
راجع أيضاً ملحقات المشنا ـ د / حسن ظاظا : المصدر السابق صـ٨٩ ـ ٩٠ .

(٢) كانت مراكز البحث العلمى والدينى فى العراق موزعة على ثلاث نقط :
نهر دعه فى اقليم ما بين النهرين شمال العراق الى الجنوب الشرقى من مدينة الرها وأطلق عليه أكاديمية « نهارديا » وبلدة سورية القريبة من بغداد فى اقليم الجزيرة بوسط العراق وتسمى أكاديمية « سورا » ثم ظهرت أخيراً قاعدة ثالثة للنشاط اليهودى التلمودى فى مدينة عانه وسميت بأكاديمية « بومباديثا » .
(راجع فضائح التلمود صـ٢٣ الفكر الدينى صـ٩٤) .

وعلى أكاديمياتهم فى فلسطين (١) .

وبدأت طبقات متعاقبة من أحبار اليهود فى الأكاديميتين تشرح نص المشنا شرحاً مستفيضاً وأودعت فى خلاله ما أرادت الاحتفاظ به وأشاعته بين اليهود من شرائع وفتاوى وحكايات وأساطير وخرافات وتفريعات واستطردت فى كل علم وفن دون ترتيب أو تخطيط (٢) .

وأخذوا يدنون هذه الشروح حتى تكون منها فيما بعد مايعرف باسم « الجمارا » الذى يشكل القسم الثانى من التلمود (٣) .

وبذلك بدأ شرح « الجمارا » فى بيئتين مختلفتين هما فلسطين غرباً والعراق شرقاً وقد أدى هذا الى ظهور تلمودين اثنين :

١ ـ التلمود الأورشليمى :

وسمى بذلك تمسحاً فى مدينة أورشليم وتبركاً بها ، وكان يهود العراق يسمونه أيضاً بالتلمود الغربى بحكم وجود فلسطين فى الناحية الغربية من العراق كما أطلقوا عليه اسم تلمود أرض اسرائيل (٤) .

٢ ـ التلمود البابلى :

وسمى بذلك الاسم تذكيراً بقوة البحث الدينى فى العراق منذ السبى البابلى ولأن العراق كانت منذ ذلك الوقت تسمى عند اليهود « بابل » ويطلق على هذا

---

(١) أما فى فلسطين فكانت هناك ثلاثة مراكز أيضاً فى شمال البلاد هى : طبرية ، وقيساريه ، وزفورية وأطلق عليها أكاديميات : تيبرياس ، أيامينا فيدا ، (المصدران السابقان) .

(٢) د / حسن ظاظا : المصدر السابق صـ٩٥ ـ ٩٦ ، والطبعة الجديدة صـ٨٢ ـ ٨٣ .

(٣) الأب آى. بيبرناتيس : المصدر السابق صـ٢٣ .

(٤) راجع د / اسرائيل ولفنسون : موسى بن ميمون : حياته ومصنفاته صـ٤٦ د / حسن ظاظا الفكر الدينى صـ٩٦ ـ ٩٧ شاهين مكاريوس : تاريخ الإسرائيليين صـ١١٣ مطبعة المقتطف بمصر ١٩٠٤ م (هذا ومن المعلوم أن التلمود الأورشليمى لم يدون فى أورشليم وإنما فى فلسطين ولكنه سمى بذلك تبركاً بأورشليم كما قلت ولذلك فان ول ديورانت وغيره يسمونه بالتلمود الفلسطينى) .

التلمود « التلمود الشرقى » (١) .

هذا ويتفق التلمودان فى النص أى « المشنا » فمشنا التلمود البابلى هى بعينها مشنا التلمود الأورشليمى (٢) .

ولكنهما يختلفان فى الشروح أى « الجمارا » من عدة وجوه :

١ ـ يغطى التلمود البابلى بشرحه كل نص المشنا ، بينما ظل التلمود الأورشليمى ناقصاً لا يشرح إلا بعض المشنا فقط (٣) فالشروح فى التلمود البابلى تعادل أربعة أضعافها أو أمثالها فى التلمود الأورشليمى (٤) .

٢ ـ يكتفى الأورشليمى بالشرح أو التحليل لنص المشنا مع سرد مناقشة غير مطولة بين الأحبار ويعرض فى نهاية الأمر القول المرجح والأمر الفصل فى كل نظرية فقهية ومعاملة تشريعية .

أما التلمود البابلى فيفتح الباب على مصراعيه لمناقشات طويلة لا تنتهى إلى قول مرجح ويبدو فيه أن المناقشة جاءت لتمرين عقلى وتدريب منطقى وهو مشتمل على نظريات كثيرة فى الفلك والطبيعة وكل ما كان يشغل بال اليهود إلى القرن الخامس الميلادى(٥) .

٣ ـ كتب التلمود الأورشليمى باللغة العبرية التى تتخللها عبارات بالآرامية الغربية بينما التلمود البابلى كتب أغلبه بالآرامية الشرقية نسجت فيها عبارات بالعبرية ويتضمن كلمات عبرية وسريانية ويونانية ولاتينية وكلدانية (٦) .

---

(١) راجع المصادر السابقة .

(٢) ول ديورانت : قصة الحضارة (١٤) صـ١٤ .

(٣) د / حسن ظاظا : المصدر السابق صـ٩٧ .

(٤) ول ديورانت : المصدر السابق صـ١٤ شاهين مكاريوس : تاريخ الإسرائيليين صـ١٤ (وقيل إن مادة التلمود الأورشليمى تعادل ثلث مادة التلمود البابلى (محمد صبرى : التلمود شريعة بنى إسرائيل وحقائق ووقائع مؤسسة در الهلال) .

(٥) إسرائيل ولفنسون : موسى بن ميمون صـ٤٦ .

(٦) التلمود شريعة بنى اسرائيل صـ١٠ ترجمة واعداد محمد صبرى نشر مؤسسة دار الهلال ، ظفر الاسلام خان : التلمود تاريخه وتعاليمه صـ٣٩ .

٤ ـ إلى جانب ذلك نلاحظ أن طبقات « الأمورائيم » فى بابل كانت أطول زمناً من طبقات « الأمورائيم » فى فلسطين (١) .

٥ ـ كان أحبار اليهود في بابل يحظون بشقة أرسخ من ناحية التبحر والفكر اليهودى مما كان يحظى به شراح فلسطين بحيث بقى التلمود البابلى بعد ذلك يتمتع بتقدير عظيم فى أعين اليهود من التلمود الأورشليمى (٢) حتى أصبح التلمود البابلى الكتاب القياسى المعتمد للدين اليهودى (٣) .

وبذلك فإن التلمود يتألف من : المشنا والجمارا ، والجمارا بدورها تنقسم الى شرحين مختلفين كونا فيما بعد : الجمارا البابلية ، والجمارا الأورشليمية وبإضافة المشنا إليهما يخرج لنا تلمودان :

التلمود الأورشليمى : (مشنا وجمارا) .

التلمود البابلى : (مشنا وجمارا) .

ويذكر ول ديورانت أن الأموراثيم كانوا يطلقون لفظ التلمود على المشنا فقط لكن فى الاستعمال الحديث فإن لفظ التلمود يشتمل على المشنا والجمارا (٤) .

---

(١) الأمورائيم هم الأحبار الذين كتبوا الجمارا ومعناها فى لغتهم « المتكلمون » أى الذين انطلقت السنتهم فى المدارس المختلفة شارحين ومعلقين وباسطين فى ما يشبه المحاضرات الشفوية التى ينصت اليها التلاميذ ليصبحوا بدورهم عندما يصلون إلى النضج العلمى طبقة أخرى من الأمورائيم وعلى ذلك فان طبقات الأمورائيم هى الاستمرار الدينى والفكرى فى ظل الجمارا لطبقات (التنائيم) فى ظل المشنا (والتنائيم هم الذين علموا المشنا هذا) ، وطبقات الأمورائيم فى بابل كانت أطول زمناً إذ أنها تغطى المدة من سنة ٢١٩ م الى سنة ٥٠٠ م فى حين أن طبقات الفلسطينيين لا تغطى إلا الفترة من ٢١٩ ـ ٣٥٩ م ، (راجع د / حسن ظاظا : صـ٩٦ ـ ٩٧ وقد أورد أسماء طبقات الأمورائيم فى كل من فلسطين وبابل ، راجع من صـ٩٨ ـ ١٠١ فى كتابه الفكر الدينى الإسرائيلى وفى الطبعة الجديدة للكتاب من صـ٨٤ ـ ٨٧ وقد صدرت عام ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م بعنوان « الفكر الدينى اليهودى » نشر دار القلم دمشق ودار العلوم بيروت .

(٢) د / حسن ظاظا : الفكر الدينى اليهودى صـ٨٤ الطبعة الجديدة .

(٣) د / صبرى جرجس : التراث اليهودى الصهيونى صـ٨٩ .

(٤) قصة الحضارة (١٤) عصر الإيمان صـ١٤ .

وقد مر تدوين التلمود على صورته الراهنة بمراحل ثلاث :

المرحلة الأولى : مرحلة الـ« تنائيم » أى المعلمين الذين دونوا المشناة وبدأت هذه المرحلة بعد تدمير الرومان لأورشليم عام ٧٠ م .

المرحلة الثانية : مرحلة « الأموراثيم » أو « العموراثيم » أى الشراح ، وبدأت هذه المرحلة إلى حد ما منذ المرحلة الأولى واستمرت إلى أواخر القرن الخامس الميلادى .

المرحلة الثالثة : مرحلة « الصبوراثيم » أى المحققين أو المناطقة ، وقد امتدت إلى منتصف القرن السابع الميلادى [١] .

هذا وتوجد إلى جانب نص التلمود الأورشليمى والبابلى نصوص أخرى تنتمى إلى نفس الأسلوب ولكنها لم تدخل فى صميم التلمود ، وإنما بقيت خارجة عنه كأنما هى بالنسبة له نصوص برانية أو « أبوكريفا » ومع ذلك فمعظم هذه النصوص ينشر على أنه ملحق بطبعات التلمود الشائعة [٢] .

وقد كثرت الشروح والحواشى والمقدمات المؤلفة على التلمود وقام كثير من علماء اليهود بمحاولات لإعادة ترتيب التلمود [٣] وطبع التلمود طبعات كثيرة ، وكان ينشر كاملاً فى أول الأمر ، لكن كثيراً من عباراته حذفت فى طبعات بعد أن

---

(١) راجع بتوسع تفاصيل هذه المراحل الثلاث : ول ديورانت : قصة الحضارة (١٤) صـ١٠ ـ ١٥ الأب آى . بى براناتيس : فضائح التلمود صـ٢٢ ـ ٢٦ ، ظفر الإسلام خان : التلمود تاريخه وتعاليمه صـ١٨ ـ٢٤ ، شاهين مكاريوس : تاريخ الإسرائيليين صـ١١١ ـ١١٤ د / حسن ظاظا : الفكر الدينى صـ ٧٨ ـ ٧٩ ـ ٩٠ ـ ٩١ ، عجاج نويهض : بروتوكولات حكماء صهيون الجزء الرابع من المجلد الثانى صـ ١٥٩ ـ ١٦٣ الطبعة الأولى دار الجليل للنشر ـ عمان ١٩٨٤ م .

(٢) راجع تفاصيل هذه النصوص : د / حسن ظاظا : الفكر الدينى الاسرائيلى صـ١٠٢ ـ ١٠٣ وفى الطبعة الجديدة من صـ٨٨ ـ ٩٣ .

(٣) وأشهرهم موسى بن ميمون (راجع تفاصيل ذلك : إسرائيل ولفنسون : موسى بن ميمون) صـ٤٦ ـ ٤٩ الطبعة الأولى لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٣٥٥هـ / ١٩٣٦ م ، راجع أيضاً د / حسن ظاظا : المصدر السابق صـ١٠٤ ـ ١٠٦ .

تعرض للحرق مراراً (١) بسبب ما كان يحتويه من مطاعن بذيئة ضد المسيحية ومن تهجم فاحش على المسيح ونوايا شريرة بالنسبة للمسيحيين (٢) .

وقد ظهرت الطبعة الأولى الكاملة للتلمود البابلي في اثني عشر مجلداً من القطع الكبير من ١٥٢٠ الى ١٥٢٣ م .

أما الطبعات اللاحقة بعد ذلك فقد حذف منها الكثير من العبارات البذيئة وترك مكانها شاغراً (٣) .

أهمية التلمود وخطورته عند اليهود :

ويعتبر التلمود من أندر الكتب الموجودة في عالمنا على الإطلاق (٤) ويعد وثيقة من أهم الوثائق في التراث اليهودي ، إذ كان ولا يزال موضع التبجيل ككتاب مقدس يقف على قدم المساواة في نظر الكثيرين من اليهود مع التوراة (٥) بالإضافة إلى أنهم يعتبرونه موسوعة ضخمة لا غنى عنها في دراسة اليهودية ، موسوعة تتضمن الدين

---

(١) وآخر ماعرف من مناسبات حرقه ما حدث في بولندا في أواسط القرن الثامن عشر .

(٢) راجع تعاليم التلمود فيما يتعلق بالمسيح والمسيحيين : الأب آى . بى براناتيس : فضائح التلمود وتعاليم الحاخاميين السرية صـ٥٥ ـ ١٥١ إعداد زهدى الفائح دار النفائس بيروت .

(٣) وذلك تطبيقاً لقرار المجمع الديني لليهود في بولونيا عام ١٦٣١ ومن هذه الطبعات طبعة امستردام ١٦٤٤ ، وطبعة براغ عام ١٧٣٩ ، وطبعة وارسو عام ١٧٦٩ م (راجع طبعات التلمود : د / حسن ظاظا : الفكر الديني صـ١٠٦ ـ ١٠٨ ، ظفر الإسلام خان : التلمود تاريخه وتعاليمه صـ٢٧ ـ ٢٨ د / صبرى جرجس التراث اليهودى الصهيونى صـ٩٠ محمد صبرى : التلمود شريعة بنى اسرائيل صـ٩ .

(٤) محمد صبرى : التلمود شريعة بنى إسرائيل صـ٥ (راجع حول حرق التلمود وإعدامه : ظفر الإسلام خان : التلمود تاريخه وتعاليمه صـ٤٠ ـ ٤٩ .

(٥) يعتبر التلمود في نظر اليهود كتاباً مقدساً كالتوراة بل إنه عند بعضهم أعظم من التوراة ، ولهم في ذلك أقوال واضحة وصريحة فوق ماهي عليه من شطط ، وسنعرض لهذه الأقوال عند الحديث عن اتخاذ اليهود احبارهم أرباباً من دون الله وذلك في الباب الثالث ،راجع الطبعة الجديدة من كتاب « الكنز المرصود في قواعد التلمود » ترجمة الدكتور يوسف نصر الله وخاصة الكتاب الأول : اليهودى على حسب التلمود أو عقائد اليهود على حسب التلمود تأليف الدكتور / روهلنج نشر دار القلم دمشق ودارة العلوم بيروت ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٧ م .

والشرائع والآداب والتأملات الميتافيزيقية والعلوم الطبيعية، والفلك والقصص الشعبى ممتزجة جميعاً بألوان مختلفة من الفكر الخرافى (١) .

والتلمود بما يحتويه ـ وكما سيتبين لنا فى ثنايا الكتاب ـ لا يمكن أن يكون من الكتب المنزلة لأن ما يحتويه من التعاليم منافٍ لجميع الديانات والشرائع، وليس من حق الحاخامات أن يزعموا أنهم رسل مكلفون بتبليغ رسالة من قبل الله حتى يكتبوا أقوالاً لا علاقة لها بالرسالات السماوية أو بالشرائع الإلهية .

ولأن اليهود يعتقدون أن لكل الحاخامات سلطة إلهية وكل أقوالهم صادرة عن الله (٢) وما أصدق ما قاله الدكتور جوزيف باركلى عن التلمود :

« بعض أقوال التلمود مغال، وبعضها كريه، وبعضها الآخر كفر، ولكنها تشكل فى صورتها المخلوطة أثراً غير عادى للجهد الإنسانى، وللعقل الإنسانى وللحماقة الإنسانية(٣) .



(١) د/ صبرى جرجس : التراث اليهودى صـ٨٨ .

(٢) محمد صبرى : التلمود شريعة بنى إسرائيل صـ٥ ـ ٦ من التلمود : هدية منبر الإسلام العدد الخامس السنة ٢٥ جمادى الأول ١٩٨٧ هـ / أغسطس ١٩٦٧ م .

(٣) نقلاً عن التلمود شريعة بنى اسرائيل صـ١٣، التلمود تاريخه وتعاليمه صـ٩١ .

المبحث الثالث

تحديد أصول التسميات : عبراني ، اسرائيلى ، يهودى والمرادبالديانةاليهودية

وفى هذا المدخل أيضاً ينبغى أن نحدد أصول الكلمات التى يستعملها البعض كتسميات مترادفة دون تفريق ، مع أن كل واحدة منها قد أطلقت على مرحلة معينة من مراحل التاريخ اليهودى القديم ، وتم تداول كل تسمية فى عصر خاص بمدلول خاص أيضاً ، ويختلف عما هو مقصود به فى التسميات الأخرى .

هذه الكلمات أو التسميات هى : عبراني ، اسرائيلى ، يهودى .

١ ـ عبراني أو عبرى :

أطلق لفظ عبرانى على سيدنا إبراهيم عليه السلام ، فقد أفاد سفر التكوين أنه لما نزح إلى أرض كنعان لقبه الكنعانيون بالعبرانى (١) .

بل إنه عليه السلام كان أول من وصف بهذا الوصف وأطلق عليه ذلك اللقب (٢) .

وقد اختلفت الأقوال وتشعبت الآراء فى تعليل هذا الوصف وذلك الإطلاق وإن اتفقت على أن العبرانيين أو العبريين منسوبون الى جدهم الأعلى إبراهيم عليه السلام (٣) .

---

(١) فجاء من أفلت وأخبر ابرام العبرانى ... راجع (تكوين ١٤ : ١٣) .

(٢) حبيب سعيد : خليل الله فى اليهودية والمسيحية والاسلام صـ١٤ دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية القاهرة ١٩٥٩ ، د/ محمد بيومى مهران : دراسات فى تاريخ الشرق الأدنى القديم جـ٧ اسرائيل صـ٢٣ ـ ١٣٩٨ هـ ـ ١٩٧٨ الاسكندرية .

(٣) يقول الأب اسحاق ساكا : من الحقائق الراهنة أن العبرانيين منسوبون الى جدهم الأعلى ابراهيم صـ٥١ معنى التسميات للشعوب السامية الثلاثة الكبرى مجلة العربى الكويتية عدد ٩١ يونيو ١٩٦٦ ، ويقول اسرائيل ولفنسون : « من المعلوم أن كلمة عبرى لا تطلق إلا على من كان من ذرية ابراهيم العبرى ، ولكن لم سمى بالعبرى » تاريخ اللغات السامية صـ٧٧ لجنة التأليف والترجمة والنشر الطبعة الأولى ١٩٢٩ ، ويذكر الدكتور أحمد شلبى أن العلماء لا يتفقون على معنى =

الرأى الأول :

يذكر إسرائيل ولفنسون أن بعض المستشرقين يرون ـ اعتماداً على نظرية أحبار اليهود القدماء ـ ان ابراهيم إنما عرف بالعبرى لأنه عبر النهر (١) .

فكلمة عبرانى فى العبرية : عبرى ، والجمع عبريم ، وتفسر فى النص العبرى بمعنى العبور أى الانتقال من شط نهر إلى شطه الآخر ، أو من مكان إلى مكان آخر (٢) .

فهى فى الأصل مشتقة من الفعل الثلاثى عبر بمعنى قطع مرحلة من الطريق ، أوعبر الوادى أو النهر ، أو عبر السبيل : شقها (٣) .

وعلى ذلك فالعبرانى أو العبرانيون منسوبون الى عبور النهر أى عبوره الى الجهة الأخرى منه (٤) ، وإن كان هناك من يذهب إلى أن لفظ عبرى بدل (عبر) بمعنى الشاطىء نفسه (٥) على أننا لا نعلم أنهر الأردن هو أو الفرات لأن كلمة نهر كانت

= كلمة عبرى وإن اتفقوا جميعاً على مدلولها فالعبرى هو المنحدر من ذرية ابراهيم ، اليهودية صـ٤٨ النهضة المصرية القاهرة الطبعة الخامسة ١٩٧٨ م .

(١) تاريخ اللغات السامية صـ٧٧ .

(٢) د / مراد كامل : الكتب التاريخية فى العهد القديم صـ١٣ معهد البحوث والدراسات العربية ١٩٦٨ .

(٣) اسرائيل ولفنسون تاريخ اللغات السامية صـ٧٧ .

(٤) حامد عبد القادر : الأمم السامية دار نهضة مصر القاهرة ١٩٨١ م صـ١١٠ .

(٥) د / فؤاد حسنين : اسرائيل عبر التاريخ جـ١ صـ٥٣ دار النهضة العربية القاهرة ، ويذكر الدكتور / حسن ظاظا أن العبر اسم موجود فى اللغة العبرية بكسرتين خفيفتين ومعناه كما هو فى العبرية : الجهة الأخرى التى يستلزم الوصول اليها اجتيازاً وعبوراً ، واستعمل فى العبرية (عبر الوادى) بمعنى الناحية الأخرى (ولما رأى رجال اسرائيل الذين فى عبر الوادى) صموئيل الأول ٣١ : ٧ ، وعبر جدول صغير مثل الأرنون « وأتى من مشرق الشمس الى أرض موآب » ونزل فى عبر أرنون (قضاة ١١ : ٨) وعبر نهر مثل الأردن (تكوين ٥ : ١٠) وعبر بحر مثل البحر الأبيض المتوسط (ارميا ٢٥ : ٢٢) : الساميون ولغاتهم : صـ٧١ مطبعة المصرى الأسكندرية ١٩٧١ م .

تطلق فى التوراة على كل الأنهر الكبيرة دون أن يضاف إليها ما يميز بعضها عن بعض (١) ، وإن كان هناك ما يرجح أنه نهر الفرات (٢) .

الرأى الثانى :

يذهب بعض العلماء الى أن ابراهيم أطلق عليه لقب العبرانى نسبة الى جده عابر الذى ينحدر من سام اكبر ابناء نوح اصل الجنس البشرى فى التوراة بعد الطوفان(٣) .

وجاء فى قاموس الكتاب المقدس أن عابر هذا أحد أجداد إبراهيم الذى أتى بالعبرانيين الى فلسطين (٤) ! ! .

الرأى الثالث :

يذكر الدكتور ولفنسون أن كلمة عبرى فى الواقع لاترجع الى شخص بعينه أو حادثة معينة ، وإنما هى ترجع الى الموطن الأصلى لبنى إسرائيل ، وذلك أن بنى اسرائيل كانوا فى الأصل من الأمم البدوية الصحراوية التى لا تستقر فى مكان بل

(١) ولفنسون : تاريخ اللغات السامية صـ٧٧ .

(٢) ذكر الدكتور فؤاد حسنين أنه نهر أو شاطىء الأردن دون أن يستدل على ذلك اسرائيل عبر التاريخ جـ١ صـ٥٣ ، ولكن الدكتور حسن ظاظا يذكر أنه نهر الفرات ويستدل على ذلك بقوله « نحن نعلم أن الفرات بالنسبة للساميين جميعاً كان هو « النهر الكبير » (تكوين ١ : ١٨ ، تثنيه ١ : ٧ ، اشعيا ١ : ٤) وكان كثيراً ما يسمى النهر بدون ذكر اسمه أو صفته (تكوين ٣١ : ٢١ خروج ٢٣ : ٢١ ، عدد ٢٢ : ٥ تثنية ١١ : ٢٤ صموئيل ٧ : ٣ ، أرميا ٨ : ٧ وكذلك ١١ : ١٥ ، كان اليهود يقولون بلغتهم والاراميون يقولون (عبر نهراً) كما كان الأكاديون يقولون (ابرنارتى) أو (ارني ناري) وقريب منه ما فى النقوش العربية الجنوبية ، ومعنى ذلك كله الشط الآخر من النهر أى نهر الفرات بالذات « الساميون ولغاتهم صـ٧١ ، ٧٢ » .

(٣) هذا الرأى مبنى على ما ذكره سفر التكوين من أنساب « وسام أبو كل بنى عامر ... ، وشالح ولد عابر ، ولعامر ولد ابنان ... وابراهيم بن تارح بن ناحور بن سروج بن رعوين بن فالح بن عابر (١٠ : ٢١ ـ ٢٥) (١١ : ١٠ ـ ٢٦) ، راجع د / نجيب ميخائيل مصر والشرق الأدنى القديم جـ٣ صـ١٤٤ دار المعارف ط٢ ١٩٦٤ ، زكى شنوده المجتمع اليهودى صـ٦ مكتبة الخانجى القاهرة ، مصطفى حمزة ، تاريخ اليهود العبرانيين جـ١ صـ٨٥ دار فجر الاسلام الاسكندرية ١٩٨٤ ، ابكار السقاف : اسرائيل وعقيدة الأرض الموعودة صـ٧٤ عالم الكتب ١٩٧٦ .

(٤) صـ٩٥٦ من منشورات مكتبة المشعل بيروت الطبعة السادسة ١٩٨١ بإشراف رابطة الكنائس الإنجيلية فى الشرق الأوسط .

ترحل من بقعة الى أخرى بإبلها وماشيتها للبحث عن الماء والمرعى ، فكلمة عبرى تدل فى مجمل معانيها على التحول والتنقل الذى هو أخص ما يتصف به سكان الصحراء وأهل البادية ، وهى مثل كلمة بدوى (أى ساكن الصحراء والبادية) وقد كان الكنعانيون والمصريون والفلسطينيون يسمون بنى اسرائيل بالعبريين لعلاقتهم بالصحراء وليميزوهم عن أهل العمران (١) .

ترجيح الرأى الأول :

وقد رجح العلماء الثقات ، ومنهم العالمان السريانيان ابن الصليبى (١١٧١ م) وابن العبرى (١٢٨٦ م) الرأى الأول وهو أن التسمية ناتجة عن عبور ابراهيم نهر الفرات ، وأيد ابن العبرى قوله بالترجمة اليونانية « أكوبلا » التى تترجم العبرانى بـ « المجتاز » أو العابر .

وأخذ بهذا الرأى أيضاً د / أ . ف كليفن بقوله « إنه مشتق من فعل معناه عبور النهر وفى هذا اشارة الى عبور ابرام نهر الفرات ، وفى هذه الحالة يمكن أن تترجم الكلمة الى مهاجر وهذه قد تظهر طريقة الكنعانيين فى التحدث عن ابراهيم (٢) .

ويذكر الحاخام ايزيدور ابشتاين فى كتابه « اليهودية » أن كلمة عبرانيين مختلف على أصلها ، ولكن التفسير الأكثر ترجيحاً هو أنها مشتقة من عبور نهر الفرات (٣) .

ومما يؤكد هذا الرأى أيضاً ما ورد فى سفر يشوع « وقال يشوع لجميع الشعب ، هكذا قال الرب إله اسرائيل ، آباؤكم سكنوا فى عبر النهر منذ الدهر (٤) .

وأما الرأى الثانى فقد استبعده جمهور العلماء وذلك لسببين :

---

(١) تاريخ اللغات السامية صـ٧٨ وممن تبنى هذا الرأى الدكتور عبد المنعم الحفنى فى الموسوعة النقدية للفلسفة اليهودية صـ٨ نشر مكتبة مدبولى القاهرة ١٩٨٠ .

(٢) راجع دائرة المعارف للبستانى مجلد ١١ دار المعرفة بيروت صـ٦٥٩ ، وراجع أيضاً الأب اسحاق ساكا معنى التسميات للشعوب الثلاثة صـ١٥١ ـ ١٥٢ .

(٣) التوراة تاريخها وغايتها هامش صـ١٥ تأليف كاتب مسيحى لاهوتى ترجمة وتعليق سهيل ديب دار النفائس بيروت الطبعة الثانية ١٩٧٧ م .

(٤) ٢٤ : ٢ .

أولاً : لأن بين ابراهيم وبين عابر مـدة ستة أجـيال متواليـة ، فلو شاء إبراهيم أن ينسب الى أحد أجداده كان من البديهى أن يعزى إلى سام أشهر اجداده .

ثانياً : لو كانت النسبة إلى عابر فَلِمَ لَمْ تَرِد فى الكتاب طيلة ٦٠٠ سنة ؟ ولم لم يسم إبراهيم بها قبل عبوره نهر الفرات وهو بعد فى أرضه وعشيرته ؟ .

ومـا الحكمـة فى نسبتـه إلى عـابر دون غيـره ؟ ولم لم ينوه كـاتب التـوراة بـذلـك (١).

أما الرأى الثالث فلا يركن اليه لأنه لو كانت التسمية من الهجرة والنقل لكانت معظم الأمم الساميـة نعتت بها (٢) ولكن اختص بهـا العبرانيون دون غيرهم من الأمم السامية والتى لا تختلف عنهم فى موطنها الأصلى (٣) .

هذا وقد أطـلق لقب العبـرانيين على ذرية إبراهيم جـميعاً سواء كـانوا من أبناء اسحـاق أم من غيره ، ثم غلب بعد ذلك على بـنى إسرائيل بعد رحيلهم إلى مـصر ، حيـث يمكن أن يقال إن بنى إسـرائيل يتداولون فـيمـا بينهم أن جـدهـم الأكبـر كان يوصف بوصف العبرانى وإنهم احتفظوا بهذا الوصف لأنفسهم ولغتهم (٤) .

ورد فى قـامـوس الكتـاب المقـدس : وانتشـر الاسم « عـبـرانيـون » بين الأمم ، واستعمله المصريون والفلسطينيون واستعمله العبرانيون أنفسهم (٥) .

---

(١) دائرة المعارف للبستانى مجلد ١١ صـ٦٥٩ الأب اسحاق ساكا معنى التسميات صـ١٥٢ ــ ١٥٣ ، ويذكر الدكتور حسن ظاظا أن الرأى الأول هو الرأى السائد ، ويستبـعد الرأى الثانى مبيناً أن اشتقاق عبرانى من عابر شائـع فى تراث الأمم القديمة ، وإن كـان اليهود هنا قـد حاولوا أن يتناسـوا أن العرب أيضـاً هم من أبناء عابر هذا ، فـالتوراة تـذكر من أبنائه يقطان وهو المعروف عندنا باسم قـحطان الذى ينتمى اليه جميع قـبائل العرب الجنوبية فى اليمن وحضرموت وغيـرهم ، ولكن الفكر الشعبى فى تعلقه بالمأثورات لا يتحـرى هذا التدقيق ، ولذلك نجد اليـهود فى انتسابهم له يصـرون على أنهم وحدهم هم العبريون ، لا شريك لهـم فى ذلك « الشخـصية الاسـرائيلية صـ٢٣ ، ٢٥ » دار القـلم دمشق الطبـعة الأولى ١٩٨٥ .

(٢) الأب اسحاق ساكا المصدر السابق صـ١٥٣ .

(٣) د / محمد بيومى مهران دراسات فى تاريخ الشرق الأدنى جـ٧ صـ٢٤ .

(٤) محمد عزة دروزة تاريخ بنى اسرائيل من أسفارهم صـ٣١ منشورات المكتبة العصرية صيدا بيروت ١٩٦٩م .

(٥) قاموس الكتاب المقدس صـ٥٩٦ .

وقد كان لفظ عبراني يدل أولاً على غربة الشعب ، وكان يرد على لسان الشعوب التي كان هذا الشعب يعيش بينها مغترباً (١) .

ففي مصر جاء في سفر التكوين قول زوجة عزيز مصر عن يوسف بعد أن رفض مراودتها عن نفسه « انظروا كيف جاءنا برجل عبراني ليتلاعب بنا » (٢) وقالت « أتاني العبد العبراني » (٣) ، وقال يوسف لرئيس السقاة وهو في السجن « لأني قد خطفت من أرض العبرانيين » (٤) ، وذكر رئيس السقاة عند فرعون قائلاً « وكان معنا هناك غلام عبراني » (٥) وورد أيضاً أن المصريين لا يجوز لهم أن يأكلوا لحم العبريين لأنه رجس عند المصريين (٦) وظل بنو اسرائيل معروفين في مصر بالعبرانيين طوال المدة التي قضوها بها ، فقبل ولادة موسى « كلم ملك مصر قابلتي العبرانيات » (٧) وقال إذا استولدتما العبرانيات » (٨) فقالتا لفرعون إن العبرانيات لسن كالنساء المصريات » (٩) وبعد ولادة موسى عليه السلام رأته ابنة فرعون وهو يبكي في سفط على حافة النهر ، فرقت له وقالت هذا من أولاد العبرانيين » (١٠) وقالت لها أخته « هل أذهب وأدعو لك مرضعاً من العبرانيات » (١١) ، حتى بعد أن كبر موسى فرأى رجلاً مصرياً « يضرب رجلاً عبرانياً من اخوته » (١٢) ثم خرج في اليوم التالي فإذا برجلين عبرانيين يتضاربان (١٣) ، بل إن موسى في دعوته أمر بأن يقول لفرعون «الرب اله العبرانيين » التقانا (١٤) .

ثم ظل لقب العبرانيين لاحقاً باليهود بعد الخروج في كل أسفار التوراة (١٥) فقد أطلقه الفلسطينيون عليهم (١٦) ، وأطلقه اليهود أيضاً على أنفسهم ، وذلك في سياق

---

(١) د / مراد كامل الكتب التاريخية في العهد القديم صـ٣١ .

(٢) تكوين ٣٩ : ١٤ . (٣) تكوين ٣٩ : ١٧ . (٤) تكوين ٤٠ : ١٥ .

(٥) تكوين ٤١ : ١٢ . (٦) تكوين ٤٣ : ٣٢ . (٧) خروج ١ : ١٥ .

(٨) خروج ١ : ١٦ . (٩) خروج ١ : ١٩ . (١٠) خروج ٢ : ٦ .

(١١) خروج ٢ : ٧ . (١٢) خروج ٢ : ١١ . (١٣) خروج ٢ : ١٣ .

(١٤) خروج ٣ : ١٨ ووصف يهوه بأنه اله العبرانيين في هذا السفر ٣ : ١٨ / ٥ : ٣ / ٧ : ١٦ / ٩ : ١ ، ١٣ .

(١٥) زكي شنودة المجتمع اليهودي صـ٧ .

(١٦) صموئيل الأول ٤ : ٩ / ١٣ : ١٩ / ٢٩ : ٣ .

كلامهم حين يريدون التفريق بينهم وبين الشعوب الأخرى (١) الذين لم يدخلوا في ديانتهم(٢) .

هذا وبالرغم من استعمال العبرانيين لهذا اللقب إلا أنهم كانوا يفضلون عليه لفظ إسرائيليين(٣) .

إذ أنهم بعد أن استوطنوا أرض كنعان وعرفوا المدنية والحضارة صاروا ينفرون من كلمة عبرى التى كانت تذكرهم بحياتهم الأولى حياة البداوة والخشونة (٤) .

وقد تغير مدلول لفظ العبرانيين منذ سبى الأسباط العشرة ـ وهو ما يعرف بالسبى الآشورى ـ وتشتيتهم فى البلاد ، وتفرقهم بين الشعوب المختلفة ولم يتبق سوى يهوذا وبنيامين ، فتسمى الشعب يهودا نسبة الى السبط الأقوى ، وبطل استعمال لفظ عبرانيين التى كانت تدل على كل الشعب وأخذت معنىً جديداً(٥).

إذ أصبح لقب العبرانيين يدل على اليهود الذين هم من سلالة إبراهيم ويتكلمون اللغة العبرية ، تميزاً لهم عن الوثنيين الذين وإن كانوا قد اعتنقوا اليهودية فإنهم لم يكونوا من تلك السلالة ، ولم تكن اللغة العبرانية هى لغتهم الأصلية (٦) .

وأصبحت لفظة عبرانيين تدل أيضاً على المقيمين فى فلسطين والمتغربين المحافظين على تقاليدهم القديمة ، وأما اليهود المتغربون الذين فقدوا لغتهم العبرية وعاداتهم القديمة ، وكذلك الدخلاء فى اليهودية ، فلم يحسبوا إلا يهودا ، وهؤلاء لا يحق لهم الاشتراك فى نعم الشعب الخاصة (٧) .

---

(١) راجع تكوين ٤٣ : ٣٢ تثنية ١٥ : ١٢ ، صموئيل الأول ١٣ : ٣ / ١٤ : ٢١ ارميا ٣٤ : ٩ ، ٣٤ : ١٤ .

(٢) مراد كامل : الكتب التاريخية صـ١٤ .

(٣) قاموس الكتاب المقدس صـ٥٩٦ .

(٤) ولفنسون : تاريخ اللغات السامية صـ٧٨ .

(٥) راجع د / مراد كامل الكتب التاريخية فى العهد القديم صـ١٤ .

(٦) زكى شنودة المجتمع اليهودى صـ٨ .

(٧) د / مراد كامل المصدر السابق صـ١٤ ، ١٥ ، راجع أيضاً د / حسن ظاظا الشخصية الاسرائيلية صـ٢٤ ، ونلاحظ هذا التمييز فى سفر اعمال الرسل ٦ : ١ وفى رسالة بولس الى أهل فيلى ٣ : ٥ ، وإلى أهل كورنثوس ١١ ، ٢ ، وبولس يقول أنا عبرى بالرغم من تبعيته للرومان ، ولكنه اعتبر نفسه عبرياً لاصله اليهودى ومعرفته اللغة العبرية واتقانه للعلوم الدينية ، وهو يقول عن نفسه « أنا رجل يهودى » أعمال الرسل ٢٢ : ٣ د / مراد كامل المصدر السابق ١٥ .

٢ ـ اسرائيلى :

ترجع هذه التسمية إلى اسرائيل وهو الاسم البديل ليعقوب بن إسحاق عليهما السلام ، فقد عرف أبناؤه أولاً بأنهم أبناء يعقوب (١) ، ولما صار اسمه إسرائيل سموا بالاسرائيليين أو بنى اسرائيل ، إذ أن الله سبحانه ـ فيما ترى التوراة ـ ظهر ليعقوب وقال له « لا يدعى اسمك فيما بعد يعقوب بل يكون اسمك إسرائيل ، فدعا اسمه اسرائيل (٢) .

ويعتقد اليهود أن الله قد منح يعقوب هذا الاسم بعد النصر الذى اكتسبه جدهم على الاله فى معركة وقعت بينهما فى زعمهم طوال الليل (٣) .

وكلمة اسرائيل عبرانية مركبة تتكون من مقطعين : الأول : « اسرا » والثانى « ايل » ، وقد اختلف العلماء فى معناها :

يذهب البعض الى أن « اسرا» بمعنى عبد أو صفوة « وايل » بمعنى الله فيكون المعنى عبد الله أو صفوة الله (٤) .

ويفسر البعض الآخر « اسرا » بمعنى الحكم « ليحكم ايل أو ايل يحكم » (٥) .

بينما يفسرها فريق ثالث بالقوة والغلبة والمجاهدة مع إفادة الضراوة والفتك (٦) ، فقيل معناها « قوة الله » (٧) أو « جندى الله » (٨) أو يجاهد مع الله ، أو الله

---

(١) تكوين ٣٤ : ٧ ، ١٣ . (٢) تكوين ٣٥ : ٩ ، ١٠ .

(٣) تكوين ٢ : ٢٤ ـ ٣٢ ، راجع ادولف لودز (اسرائيل صـ١٥٥ نقلاً عن د / مهران دراسات فى تاريخ الشرق الأدنى جـ٧ صـ٢٩ ، د / اسماعيل الفاروقى أصول الصهيونية فى الدين اليهودى هامش صـ١٧ معهد الدراسات العربية ١٩٦٤) . وسوف نبين بطلان ذلك فى الباب الثالث إن شاء الله .

(٤) راجع تفسير الفخر الرازى جـ١ صـ٢٩ ، تفسير الطبرى جـ١ صـ٥٥٣ ، ابكار السقاف : إسرائيل وعقيدة الأرض الموعودة صـ١٣٣ .

(٥) فيليب حتى : تاريخ سورية جـ١ هامش صـ١٩١ مؤسسة فرانكلين ١٩٥٨ .

(٦) مصطفى حمزة تاريخ اليهود العبرانيين جـ١ صـ٨٨ .

(٧) د / حسن ظاظا الشخصية الاسرائيلية صـ١٦ .

(٨) دائرة معارف البستانى مجلد ٣ صـ٤٧٩ ، د / نجيب ميخائيل : مصر والشرق الأدنى جـ٣ صـ١٤٤ .

يصارع(١) .

ويذهب فريق رابع إلى أنها مشتقة من عبارة شوراإيل الذى يرى الله (٢) .

ويرى فريق خامس : أن لفظ اسرائيل لا يمكن أن يفسر بذلك وإنما معناه الحقيقى إذ أنه المعنى الذى يتجه اليه تلقائياً أذهان جمهرة اليهود هو « كان قوياً ضد الله » فقد كان الموقف يحتم على يعقوب التصدى لشخص الإله (٣) ، ولذلك فهى تفيد أيضاً معنى المنتصر على الإله وإن ادعى بعض اليهود أن الانتصار لم يكن على الله بل الى الله غير آبهين بالتناقض الذى وقعوا فيه (٤) .

وعلى كلٍ فإن أبناء يعقوب وذريته عرفوا باسم الاسرائيليين نسبة اليه وعرفوا أيضاً ببنى اسرائيل .

فقد أطلق عليهم ذلك فى حياة أبيهم بمصر بعد رحيلهم إليها (٥) ، واستمر بعد وفاته (٦) وسموا بجانب ذلك باسرائيل ، إذا اطلق اسم اسرائيل على نسل يعقوب

---

(١) قاموس الكتاب المقدس صـ٦٩ ، دى بورج تراث العالم القديم جـ١ هامش صـ٦٥ سلسلة الألف كتاب نشر دار الكرنك القاهرة ١٩٦٥ د / مراد كامل : الكتب التاريخية صـ١٧ ، ف . ب ماير : حياة يعقوب صـ١٠٩ ترجمة القمص مرقص داود مكتبة المحبة القاهرة ١٩٨٠ ، تفسير المنار الجزء الأول صـ٢٤٠ ، د / ثروت أنيس الأسيوطى : نظام الاسرة بين الاقتصاد والدين : بنو اسرائيل صـ١٣٠ دار الكاتب العربى القاهرة بدون تاريخ .

(٢) د / ثروت الأسيوطى : المصدر السابق ناقلاً عن مصدر أجنبى (تاريخ الأدب اليهودى جـ١ صـ١٤٥) .

(٣) حسين ذو الفقار صبرى : توراة اليهود صـ٥ مقال فى المجلة عدد ١٥٧ يناير ١٩٧٠ م .

(٤) د / اسماعيل راجى الفاروقى : أصول الصهيونية فى الدين اليهودى هامش صـ١٧ .

(٥) « ففعل بنو اسرائيل ... وأعطاهم يوسف عجلات » تكوين ٤٥ : ٢١ « وحمل بنو اسرائيل يعقوب اباهم .... » تكوين ٤٦ : ٥ ، وهكذا وجدنا أنه قد اطلق على أبناء يعقوب بنى اسرائيل فى سفر التكوين ، فليس صحيحاً ما ذهب اليه حسين ذو الفقار من أن رهط موسى هم أول من أطلق عليهم اسم بنى اسرائيل ، ويذكر أن سفر الخروج تتحاشى نصوصه كلمة عبرانيين وهو أيضا غير صحيح بدليل ما أوردته من قبل توراة اليهود صـ١٤ المجلة عدد ١٩٧٠ .

(٦) يقول غوستاف لوبون « لم يقع انقسام فى الاسرة بعد يعقوب فسمى أعضاؤها بنى اسرائيل » اليهود فى تاريخ الحضارات الأولى ترجمة عادل زعيتر عيسى البابلى الحلبى ١٩٧٠ .

جميعاً فاستعمل كمرادف لبنى اسرائيل (١) .

وحدث هذا ويعقوب ما يزال حياً (٢) ، وأيضاً بعد وفاته فقد سموا به أيضاً فى زمن موسى عليه السلام (٣) .

وهكذا صار اسم إسرائيل يطلق على جميع أسباط اليهود الاثنى عشر ، واستمر ذلك حتى بداية انفصال الأسباط العشرة عن سبطى يهوذا وبنيامين (٤) ، وحين وقع الانفصال أطلق الاسم على الأسباط العشرة التى تسكن الشمال لتميزها عن سبطى الجنوب(٥) .

وبعد الرجوع من السبى البابلى ـ ورغم أن أغلب العائدين كانوا من يهوذا ، فقد أطلق عليه اسم إسرائيل كمرادف لشعب إسرائيل أو بدل بني إسرائيل (٦) ، وقد اطلق اسم اسرائيل على يهوذا ، واستعمل اسماً للعوام تمييزاً لهم عن الكهنة واللاويين وغيرهم من القائمين على خدمة الرب (٧) .

هذا وقد ظل اليهود يفضلون لقب الاسرائيليين أو بنى اسرائيل على لقب العبرانيين ، بل إنهم كانوا يفخرون به ويعتزون ، لأن هذا اللقب أطلقه الرب على أبيهم ، مقترناً بالوعد الذى منحه لهم كشعب مختار كما يزعمون ، فى حين أن اللقب الثانى كان يقترن بغربتهم ومذلتهم ، ولذلك فإن لقب الاسرائيليين وكنية بنى اسرائيل يترددان فى كل أسفار التوراة مقترنين بزهو اليهود وفخارهم ، بالإضافة إلى أن لقب العبرانيين يدخل معهم أبناء ابراهيم من غير يعقوب ، أما لقب اسرائيل

---

(١) قاموس الكتاب المقدس صـ٦٩ تفسير المنار جـ١ صـ٢٤٠ .

(٢) تكوين ٣٤ : ٧ .

(٣) خروج ٣٢ : ٤ ، تثنية ٥٤ : ١ .

(٤) تفصيل هذه الأحداث سأتعرض لها فى الفصل الخاص بتاريخ اليهود .

(٥) صموئيل الأول ١١ : ٨ راجع دائرة معارف البستانى مجلد ٣ صـ٤٧٩ .

(٦) دائرة معارف البستانى مجلد ٣ صـ٤٧٩ ، قاموس الكتاب المقدس صـ٦٩ ، ٧٠ عزرا ١٠ : ٥ نحميا ٩ : ٢ .

(٧) عزرا ٦ : ١٦ / ٩ : ١ / ١٠ : ٣٥ ـ نحميا ١١ : ٣ راجع أيضاً دائرة المعارف للبستانى مجلد ٣ صـ٤٧٩ .

فلا يحتمل إلا نسل يعقوب فقط (١) .

وكانت كلمة « إسرائيل » فى عصر المسيح تؤدى معنى المدح والافتخار (٢) ، إذ كان رسل المسيح يخاطبون اليهود وينادونهم بالاسرائيليين حتى يستميلوا قلوبهم (٣) ومصطلح « اسرائيل » فى العهد الجديد وعند المسيحيين عامة يقصد به الكنيسة المسيحية المثلى أو جماعة المؤمنين الحقيقيين بالمعنى الدينى وهم يمثلون جميع الشعوب وكل الأجناس (٤) .

وأما فى القرآن الكريم فقد ورد ذكر اسم اسرائيل مرتين (٥) للدلالة على يعقوب ، وورد ذكر بنى اسرائيل إحدى وأربعين مرة ، للدلالة على قوم موسى فذكر قصتهم مع فرعون ونجاتهم منه وارسال موسى اليهم ودعوته لهم فى خمسة عشر موضعاً وكلها تتعلق بعصر موسى عليه السلام (٦) .

وذكر القرآن الكريم اتيانهم الكتاب وإرثهم له وما قضاه الله عليهم وما أحله لهم فيه فى ستة مواضع (٧) وأن الله أخذ عليهم الميثاق فى أربعة مواضع (٨) .

ومن بعد سيدنا موسى ذكرهم الله ثمانى مرات : فى عصر شاول (٩) وعلى

---

(١) راجع حول ذلك د / مراد كامل : الكتب التاريخية صـ١٧ ، ١٨ زكى شنوده : المجتمع اليهودى صـ٩ .

(٢) مراد كامل : الكتب التاريخية صـ١٩ .

(٣) يوحنا ١ : ٤٧ / ١ : ٤٩ ، لوقا ١ : ٥٤ المصدر السابق صـ١٨ .

(٤) اعمال الرسل ٢ : ٢٢ / ٣ : ١٢ / ١٣ : ١٦ ، ١٧ ، ٢٦ ، رسالة رومية ٩ : ٣ ـ٥ مراد كامل : المصدر السابق صـ١٨ .

(٥) المرة الأولى ﴿ كل الطعام كان حلاً لبنى اسرائيل إلا ما حرم إسرائيل على نفسه ﴾ ٩٣ آل عمران ، المرة الثانية « ومن ذرية ابراهيم واسرائيل وممن هدينا واجتبينا ﴾ مريم ٥٨ .

(٦) الأعراف : ١٠٥ ، ١٣٤ ، ١٣٧ ، ١٣٨ ، يونس : ٩٠ مكرر ، ٩٣ الإسراء : ٢ ـ طه : ٤٧ ، ٨٠ ، ٩٤ ـ الشعراء ١٧ ، ٢٢ ، ٥٩ ـ الدخان : ٣٠ .

(٧) ﴿ ولقد أورثنا بنى إسرائيل الكتاب والحكمة ﴾ غافر : ٥٣ ، ﴿ وآتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبنى اسرائيل ﴾ المائدة : ٣٢ ، ﴿ كل الطعام كان حلاً لبنى إسرائيل ﴾ آل عمران : ٩٣ .

(٨) البقرة : ٢٨٣ ، ٧٠ ، المائدة ١٢ ، ٧٠ .

(٩) ﴿ ألم تر إلى الملأ من بنى إسرائيل من بعد موسى إذ قالوا ...... البقرة : ٢٤٦ ، راجع الفصل الثانى الخاص بتاريخ اليهود عصر المملكة الموحدة .

لسان داود (١) وعلى لسان المسيح عيسى بن مريم وفى حياته :

فذكر الله تعالى أنه أرسل عيسى بن مريم رسولاً إلى بنى إسرائيل (٢) وأن المسيح أخبرهم بذلك (٣) وأنه دعاهم إلى توحيد الله (٤) ، وأن الله جعله مثلاً لهم (٥) ، ولكن طائفة منهم آمنت وطائفة كفرت (٦) ، وأن الذين كفروا من بنى إسرائيل لعنوا على لسانه (٧) ، وان الله كف بنى إسرائيل عنه (٨) .

وفى عصر الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ خاطب القرآن معاصريه بأن دعاهم يابنى اسرائيل ليذكروا نعمة الله عليهم (٩) وأمره الله أن يسألهم فى شخص أسلافهم (١٠) ، وذكر علاقة بنى إسرائيل بالقرآن الكريم (١١) ، وكل ذلك فى ثمانية مواضع ، بجانب ذلك فإن القرآن الكريم يعبر عنهم بقوم موسى فى كثير من المواضع ولم يأت ذكر العبرانيين إطلاقاً فى القرآن الكريم .

---

(١) ﴿ لعن الذين كفروا من بنى إسرائيل على لسان داود ﴾ المائدة : ٧٨ .

(٢) ﴿ ورسولاً إلى بنى إسرائيل ﴾ آل عمران : ٤٩ .

(٣) الصف : ٦ ، المائدة : ٧٢ .

(٤) المائدة : ٧٢ .

(٥) الزخرف : ٥٩ .

(٦) الصف : ١٤ .

(٧) المائدة : ٧٨ (مكرر مع داود) .

(٨) المائدة : ١٠ .

(٩) ﴿ يابنى اسرائيل اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم ﴾ البقرة : ٤٠ ، ٤٧ ، ١٢٢ .

(١٠) يقول تعالى ﴿ فاسأل بنى اسرائيل إذ جاءهم ﴾ ويقول تعالى ﴿ رسل بنى اسرائيل كم آتيناهم ﴾ الإسراء : ١٠١ ، البقرة ٢١١ .

(١١) ﴿ إن هذا القرآن يقص على بنى اسرائيل .... ﴾ النحل : ٧٦ ، ﴿ أولم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بنى إسرائيل ..... ﴾ الشعراء : ١٩٧ ، ﴿ قل أرأيتم إن كان من عند الله و كفرتم به و شهد شاهد من بنى إسرائيل على مثله ﴾ الأحقاف : ١٠ .

٣ ـ يهودى :

اختلف المؤرخون فى تفسير لقب يهودى : هل هو راجع إلى حادثة وقعت من اليهود ، أو إلى حالة كانوا عليها ، أو أنه راجع إلى شخص اشتهر بينهم .

فهناك من يذهب إلى أن قوم موسى سموا يهوداً حين تابوا عن عبادة العجل وقالوا إنا هدنا إليك أى رجعنا وتضرعنا (١) ، انطلاقاً من قول الله تعالى عنهم ﴿ **واكتب لنا فى هذه الدنيا حسنة وفى الآخرة إنا هدنا إليك** ﴾ (٢) ، ويؤيد ذلك ما ورد فى لسان العرب (٣) .

وهناك من يرى أنهم سموا يهوداً لأنهم يتهودون أى يتحركون عند قراءة التوراة (٤) .

ويذهب كثير من الباحثين إلى أنهم سموا يهوداً نسبة إلى يهوذا أحد أبناء يعقوب ورأس السبط الذى أصبح معروفاً باسمه (٥) كما ثبت من قبل نسبة الاسرائيليين الى (اسرائيل) وذلك اتساقاً مع ما كان جارياً فى ذلك الزمان من نسبة الأهل إلى رأس القبيلة أو السبط (٦) ، وإنما قالت العرب بالدال للتعريف فإن العرب إذا نقلوا أسماء

---

(١) راجع تفسير الطبري جـ٢ صـ١٤٣ ، الشهرستاني الملل والنحل جـ١ صـ٢١٠ طبعة مصطفي الحلبي ١٩٧٦ م ، تفسير الفخر الرازي : مجلد ١ جـ١ صـ١٠٥ .

(٢) الأعراف : ١٥٦ .

(٣) يقول ابن منظور : الهود : التوبة ، هوداً وتهود : تاب ورجع إلي الحق فهو هائد ، وسميت اليهود اشتقاقاً من هادوا أي تابوا ، وأراد باليهود اليهوديين ﴿ وعلي الذين هادوا ﴾ معناه : دخلوا في اليهودية وقوله : ﴿ إلا من كان هوداً ﴾ يريد يهودا ويجوز أن يجعل هودا جميعاً واحده هائد ، وهود الرجل : حوله إل يملة يهود وفي الحديث « كل مولود يولد علي الفطرة حتي يكون ابواه ، يهودانه : أي يعلمانه دين اليهودية ، والتهويد أن يصير الإنسان يهودياً وهاد تهود إذا صار يهودياً ، لسان العرب مجلد ١ جـ١ صـ١٠٥ طبعة دار المعارف الحديثة .

(٤) راجع تفسير الفخر الرازي مجلد١ جـ١ صـ١٠٥ .

(٥) راجع د / مراد كامل : الكتب التاريخية صـ١٥ ، زكي شنودة : المجتمع اليهودي صـ٩ ابكار السقاف : اسرائيل وعقيدة الأرض الموعودة صـ٤٥ .

(٦) د / محمد اسماعيل علي : مدي مشروعية أسانيد السيادة الاسرائيلية في فلسطين الناشر عالم الكتب القاهرة ١٩٧٥ صـ٢٢ .

من العجمية إلى لغتهم غيروا بعض حروفها [1] .

وهناك من يرى أنه نسبة إلى يهوذا ولكن المقصود بيهوذا هنا اسم المملكة الجنوبية بمقارنتها بالمملكة الشمالية (اسرائيل) [2] وذلك تمييزاً لسبط يهوذا عن الأسباط العشرة الذين سموا اسرائيل [3] .

ويعلل الدكتور حسن ظاظا ذلك بأن هذا السبط نبغ منه داود وسليمان أعظم حكام بني اسرائيل على الاطلاق فانتسب الشعب كله الى عشيرتهما وحملوا اسم اليهود [4] .

بداية اطلاق لقب اليهود :

بناء على الرأى الأول يكون لقب اليهود قد استعمل فى عصر سيدنا موسى وهو احتمال بعيد الوقوع خاصة أن هذا اللقب لم يرد فى الأسفار الأولى من العهد القديم فأول ما وصلنا ذكر هذا الاسم (يهودى) وقد سمى به سبط يهوذا وسبط بنيامين (المملكة الجنوبية) ما جاء فى سفر الملوك الثانى [5] .

ويتأكد استبعاد هذا الرأى حينما نجد أن القرآن الكريم إذا أشار إلى الذين عاصروا موسى عليه السلام يعبر عنهم ببنى اسرائيل أو قوم موسى كما رأينا فقد ورد لفظ اليهود فى القرآن الكريم ثمانى مرات : [6] .

منها مرتان حكاية عما دار بين اليهود والنصارى : ﴿ **وقالت اليهود ليست النصارى على شيء ، وقالت النصارى ليست اليهود على شيء** ﴾ [7] .

---

(1) تفسير الفخر الرازي جـ1 صـ105 .

(2) ملوك ثان 16 : 6 / 25 : 25 راجع د / نجيب ميخائيل : مصر والشرق الأدني القديم جـ3 صـ144 ، د / أحمد سوسة : مفصل العرب واليهود في التاريخ صـ89 من منشورات وزارة الثقافة بالعراق 1981 م الطبعة الخامسة .

(3) قاموس الكتاب المقدس صـ1084 .

(4) الشخصية الاسرائيلية صـ28 .

(5) ملوك ثان : 16 : 6 د / مراد كامل : الكتب التاريخية صـ16 .

(6) معجم ألفاظ القرآن الكريم جـ2 صـ713 مجمع اللغة العربية 1973 م . راجع أيضاً المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم لمحمد فؤاد عبد الباقى دار الحديث بالقاهرة صـ908 ، 941 .

(7) البقرة : 113 .

وثلاث مرات يقصد فيها اليهود الذين عاصروا رسول الله ـ صلى الله على وسلم ـ ﴿ ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم ﴾ (١) .

﴿ ياأيها الذين آمنوا لاتتخذوا اليهود والنصارى أولياء ﴾ (٢) .

﴿ لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ﴾ (٣) .

ثم حكى عنهم بعض أقوالهم فى ثلاث آيات أخرى مع قرينة توضح أنها أقوال متأخرة عن عصر موسى .

﴿ وقالت اليهود عزير ابن الله ، وقالت النصارى المسيح ابن الله ﴾ (٤) .

﴿ وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه ﴾ (٥) .

﴿ وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا ﴾ (٦) .

ثم عبر القرآن الكريم عن اليهود بالذين هادوا فى عشر آيات (٧) فذكرهم مع النصارى فى ثلاث آيات :

﴿ إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين .... ﴾ (٨) .

﴿ إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى .... ﴾ (٩) .

﴿ إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى .... ﴾ (١٠) .

وتحدث عن تحريفهم الكلم وسماعهم للكذب فى آيتين وحدث هذا بعد موسى عليه السلام :

﴿ من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه ﴾ (١١) .

﴿ ومن الذين هادوا سماعون للكذب ﴾ (١٢) .

---

(١) البقرة : ١٢٠ .
(٢) المائدة : ٥١ .
(٣) المائدة : ٨٢ .
(٤) التوبة : ٣٠ .
(٥) المائدة : ١٨ .
(٦) البقرة : ٦٤ .
(٧) معجم الفاظ القرآن الكريم جـ٢ صـ٦١٣ .
(٨) البقرة ٦٢ .
(٩) المائدة : ٦٩ .
(١٠) الحج : ١٧ .
(١١) النساء : ٤٦ .
(١٢) المائدة : ٤١ .

وتحدث عن النبيين بعد موسى وحكمهم بالتوراة للذين هادوا :

﴿ يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا .... ﴾ (١) .

وفي ثلاث آيات يبين أنه بسبب ظلمهم حرم الله عليهم طيبات أحلت لهم :

﴿ وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر .... ﴾ (٢) .

﴿ وعلى الذين هادوا حرمنا ما قصصنا عليك من قبل ...... ﴾ (٣) .

﴿ فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم ..... ﴾ (٤) .

وأمر الله سبحانه رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بأن يخاطب معاصريه من الذين هادوا فى آية :

﴿ قل يا أيها الذين هادوا إن زعمتم .... ﴾ (٥) .

وذكرهم القرآن الكريم بلفظ (هود) فى ثلاث آيات وكلها حكاية عن أقول لليهود المعاصرين للنبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ :

﴿ وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى تلك أمانيهم .... ﴾ (٦).

﴿ وقالوا كونوا هوداً أو نصارى تهتدوا قل بل ملة ابراهيم حنيفا .... ﴾ (٧) .

﴿ أم تقولون ان ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والأسباط كانوا هوداً أو نصارى ، قل ءأنتم أعلم أم الله .... ﴾ (٨) .

وبذلك فإن القرآن الكريم لايتحدث عن المعاصرين لموسى عليه السلام بلفظ اليهود ، وإن كان طبعاً يستفاد من الآيات أن اليهود الذين عاصروا النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ هم امتداد ليهود موسى والذين سماهم بنى اسرائيل ، إذ أنه خاطبهم باليهود ، والذين هادوا ، ويا بنى اسرائيل لكن وجه الاستشهاد هنا أن اطلاق لفظ اليهود لم ينسحب على من عاصروا موسى ، وفى هذا دلالة على أن لقب اليهود أو

---

(١) المائدة : ٤٤ . (٢) الأنعام : ١٤٦ .

(٣) النحل : ١١٨ . (٤) النساء : ١٦٠ .

(٥) الجمعة : ٦ . (٦) البقرة : ١١ .

(٧) البقرة : ١٣٥ . (٨) البقرة ١٤٠ .

يهودى قد استعمل بعد سيدنا موسى عليه السلام .

وهناك من يرجح بداية اطلاق لقب يهودى أيام داود (١٠٠٠ ـ ٩٦٠) ، وسليمان (٩٦٠ ـ ٩٢٠) حين كانت الغلبة على الاسرائيليين لسبطهما يهوذا ، وإن كانت التوراة لم تذكره قبل أيام احاز (٧٣٥ ـ ٧١٥ ق . م ملك يهوذا) (١) .

وهناك من يذكر أن الفرس هم الذين أطلقوا هذه التسمية أو ذلك اللقب على شعب مملكة يهوذا ، وذلك بعد أن هزموا البابليين ووقع اليهود تحت قبضتهم (٢) .

والراجح أنه أطلق أولاً على مملكة الجنوب بعد انفصال مملكة الشمال (٣) ، وظل هذا الاطلاق الى أن سبى الأسباط العشرة (وهو ما يعرف بالسبى الأشورى) ، ولم يبق إلا مملكة يهوذا بعد اختفاء مملكة الشمال ومن ثم حل اسم يهودى محل عبرى للدلالة على نسل ابراهيم (٤) ، وأصبح لفظ يهودى اسم جنس يطلق على كل أفراد الشعب (٥) .

فقد شاعت هذه التسمية أثناء السبى البابلى (٥٨٦ ـ ٥٣٩ ق . م) حتى غدت لقباً لكل الأمة (٦) .

وبعد العودة من السبى توسع معناها فصارت تشمل جميع من رجعوا من الأسر من الجنس العبرانى (٧) .

وكما يقول الدكتور نجيب ميخائيل « يرى المؤرخون المدققون أن كلمة يهودى تشير إلى العصر المتأخر لهذا الشعب لأنه بعد الأسر البابلى لم يبق إلا سبط يهوذا من

---

(١) د / محمد بيومى مهران : دراسات فى تاريخ الشرق الأدنى القديم جـ٧ صـ٣٣ ، ٣٤ .

(٢) سليمان مظهر : قصة الديانات صـ٣٥٨ دار الوطن العربى للطباعة والنشر .

(٣) د / اسماعيل الفاروقى : اصول الصهيونية صـ٢٢١ ، ، قاموس الكتاب المقدس صـ١٠٨٤ ، زكى شنودة : المجتمع اليهودى صـ٩ .

(٤) د / مراد كامل : الكتب التاريخية صـ١٥ دائرة معارف البستانى مجلد ١١ صـ٦٥٨ .

(٥) د / مراد كامل : المصدر السابق صـ١٦ .

(٦) د / محمد بيومى مهران : المصدر السابق جـ٧ صـ٣٤ .

(٧) قاموس الكتاب المقدس صـ١٠٨٤ ، د / حسن ظاظا : الشخصية الاسرائيلية صـ٣٠ زكى شنودة المجتمع اليهودى صـ١٠ .

بين الأسباط جميعاً محتفظاً بشيء من كيان العبرانيين (١) .

اتساع مدلول كلمة اليهود :

ثم اتسع مدلول هذه الكلمة فصار أعم من بنى اسرائيل لأن كثيراً من أجناس العرب والروم والفرس وغيرهم صاروا يهوداً ولم يكونوا من بنى اسرائيل (٢) فقد استمر يطلق على كل المعتنقين للدين اليهودى فى فلسطين فقط سواء أكانوا من أصل عبرانى أم غير عبرانى وسواء أكانوا يتكلمون العبرانية أم لا وسواء أكانوا يهوداً فى الأصل أو وثنيين ، ثم أصبح يشمل كل المعتنقين للدين اليهودى المشتتين فى كل أنحاء الأرض مهما كان أصلهم ومهما كانت لغتهم ومهما كانت جنسيتهم (٣) .

ونرى من هذا أن لفظة يهودى قد تغير مدلولها على العكس من لفظ عبرى الذى اقتصر مدلوله على تمييز اليهودى عن الأجنبى من الشعوب (٤) ، وكذلك كانت الشعوب حين تذكر اليهود بالنسبة اليهم تعبر عن ذلك بكلمة يهودى (٥) .

وبذلك فإن تسمية اليهود صارت تشمل جميع المتنسبين الى الديانة اليهودية فى مختلف أنحاء العالم ، وما زالت تستعمل حتى يومنا هذا بنفس هذا المدلول (٦) .

ورد في قاموس الكتاب المقدس « ولفظة يهود أعم من عبرانيين لأنها تشمل العبرانيين الأصليين والدخلاء (٧) .

---

(١) مصر والشرق الأدني القديم جـ٣ صـ١٤٤ .

(٢) ابو الفداء : المختصر في أخبار البشر المجلد الأول جـ١ صـ٩١ طبعة ١٩٣٥ م .

(٣) قاموس الكتاب المقدس صـ١٠٨٤ زكي شنودة : المجتمع اليهودي صـ١١٢١٠ .

(٤) د / مراد كامل : الكتب التاريخية صـ١٦ راجع اعمال الرسل ٢١ : ٣٨ ، ٣٩ / ٢٢ : ٣ رسالة رومية ٢ : ٩ ـ ١١ .

(٥) متي : ٢ : ٢ / ٢٧ : ٢٧ ، ٤٢ .

(٦) د / أحمد سوسة : مفصل العرب واليهود في التاريخ صـ٦١٥ .

(٧) صـ١٠٨٤ والد خلاء هم الذين دخلوا الديانة اليهودية من بين الوثنيين وقد دخل عدد غفير ممن لم يكونوا يهوداً أصلاً الي الديانة اليهودية (قاموس الكتاب المقدس صـ٣٦٩) .

كراهية الاسرائيليين للقب يهودى :

بيد أن اليهود الذين هم من أصل عبرانى ويتكلمون اللغة العبرانية ظلوا يعتقدون دائماً أنهم أشرف عنصراً وأسمى منزلة من اليهود الذين هم من أصل غير عبرانى ويتكلمون لغة غير عبرانية .

ولذلك يفضلون أن يلقبوا أنفسهم باللقب الذى هو موضع فخارهم وهو لقب الاسرائيليين(١) .

فالتسمية بيهودى لا تدل على فخر شخصى مثل الاسرائيلى أو على الإيمان بالله والتمسك بالعبادات القديمة مثل عبرى وإنما تدل على ذلة الشعب وخضوعهم لحكام البلاد التى سكنوها (٢) فاعتبرت هذه التسمية مقترنة بما لقوه فى السبي وبعد السبى من هوان وخراب قضى على أمتهم وشرد البقية الباقية منهم فى أنحاء الأرض (٣) .

هذا وقد يراد بهذه التسمية التحقير والانحطاط والتردى (٤) إذ شاعت وذاعت فى أيام اليونان والرومان (أى من القرن الرابع ق . م) وسجلت فى سجلاتهم ، ولاحقتهم بعد جلائهم عن الأرض وتشتتهم فى البلاد ، وفى الشتات اتخذت هذه التسمية معنى بغيضاً وكريهاً بين الأمم ، إلى جانب صفات سيئة اكتسبوها من الظروف الشاذة التى عاشوا فيها بين الأمم الأخرى على شكل أقلية محتقرة حتى أصبح أمراً عادياً أن يسمع الإنسان فى بقاع متفرقة من الأرض عبارات مثل « اليهودى التائه » اليهودى الجشع ، اليهودى القذر ، وهو أمر دعا كثيراً من أثرياء اليهود إلى تجنب هذه التسمية وتفضيل اسم اسرائيلى عليها (٥) .

ومن أجل ذلك ولما تثيره كلمة يهودى من اشمئزاز فى نفوس سامعيها أصبح اليهود يطلقون على أنفسهم الساميين نظراً لأنهم يتكلمون اللغة العبرية التى هى

---

(١) زكي شنودة : المجتمع اليهودي صـ١١ .

(٢) د / مراد كامل : الكتب التاريخية صـ١٥ .

(٣) زكي شنودة : المصدر السابق صـ١١ .

(٤) دائرة المعارف البستاني مجلد ١١ صـ٦٥٨ ، مصطفي حمزة : تاريخ اليهود العبرانيين جـ١ صـ٨٧ ، ٨٨ .

(٥) د / حسن ظاظا : الشخصية الاسرائيلية صـ١٨ ، ٣٠ .

إحدى اللهجات السامية (١) .

وأيضاً فإن الصهاينة عندما أعلنوا قيام دولتهم الملعونة فى فلسطين (١٥ مايو ١٩٤٨) أطلقوا عليها اسم اسرائيل مفضلين ذلك على الاسم الذى اختاره هرتزل زعيمهم وهو دولة اليهود (٢) .

وهكذا تبين لنا أن كل تسمية من هذه التسميات الثلاث لها مدلول معين ارتبط بها وإن كان قد حدث له تطور وتغير فى بعض الفترات ولا يعنى هذا أن مدلول كل تسمية يختلف عن مدلول التسمية الأخرى ، ولا يجتمع معه كلية ، بل إنه قد حدث تداخل بين هذه التسميات فى كثير من المراحل وأطلق على اليهود أكثر من اسم واحد فى فترة واحدة من فترات تاريخهم .

والواقع أن دلالة هذه التسميات الثلاث كما بيناها قائمة الى اليوم .

يقول الدكتور حسن ظاظا : « فى العصر الحديث نجد كلمة عبرى ترتبط على ألسنة اليهود بالمقدسات التراثية القديمة ، فبينما يسمى اتباع الشريعة الموسوية(اليهود) وتنظيمهم العنصرى الاستعمارى « الصهيونية » ودولتهم « اسرائيل » نجدهم يحرصون على عبارة « اللغة العبرية » ، والثقافة العبرية ، « الأدب العبرى » ، « الجامعة العبرية » ، « الصحافة العبرية » (٣) ولا يسمون أنفسهم

---

(١) د / محمد عبد القادر محمد : الساميون في العصور القديمة صـ٢٠٨ دار النهضة العربية ١٩٦٨ ، ومعني كلمة السامية ومن هم الشعوب السامية في الفصل الثاني من الباب الأول .

(٢) د / حسن ظاظا : الشخصية الاسرائيلية صـ١٩ .

ويذكر أن من أهم الاسباب التي دعتهم إلي ذلك :

١ ـ إيجاد تناسق بين اسم الدولة والاسم العبري لفلسطين وهو أرض اسرائيل .

٢ ـ ايثار الصفة العنصرية الكامنة في اسم اسرائيل علي الصفة الدينية في لفظ اليهود .

٣ ـ عدم الرغبة في التذكير بالحدود القديمة لمملكة اليهود البائدة ، التي لم تكن تشمل إلا القسم الجنوبى من فلسطين بدون ساحل البحر ، فيما يمثل قيدا تاريخياً للمطامع التوسعية الاستعمارية للصهاينة الذين يريدون أن يضعوا تحت قبضتهم أوسع رقعة ممكنة من الوطن العربي .

ومن هنا اكتسب لفظ « اسرائيل » في المصطلح السياسي المعاصر دلالة مختلفة تماماً عن الاسرائيلي قبل الصهيونية والاسرائيلي في بداوة العبرية الأولي .

(٣) المصدر السابق صـ٢٤ .

بالعبرانيين.

أما كلمة يهودى فتطلق على طائفة من الناس تعيش بين الشعوب المختلفة فيقال يهودى ألمانى أو يهودى نمساوى أو يهودى روسى وهكذا .

أما كلمة اسرائيل فيعبر بها اليهود الآن على كل نسل ابراهيم من يعقوب (اسرائيل) بالجسد (١) .

ومع ذلك فان وجود المصطلحات المتقاربة قد أوقع هؤلاء الناس فى حيرة كبيرة فالاسرائيلى اسم له صفة العنصرية ، واليهودى أصبح ينم فى النهاية عن العصبية الدينية ، كما أن صفة العبرى أصبحت تقترن بذكريات عن عشائر قديمة متناثرة .

ولكن النفسية الاسرائيلية انتهت الى تقسيم الموضوع تقسيماً تحكمياً اصطلاحياً فجعلت للجنسية مصطلح « الاسرائيلى » وللدين مصطلح (اليهودى) ، وللثقافة مصطلح « العبرى » (٢) .

---

(١) د / مراد كامل : الكتب التاريخية صـ١٨ ، ١٩ .

(٢) د / حسن ظاظا : المصدر السابق صـ٣٠ ، ٣١ .

المرادبالديانةاليهودية :

من خلال ما عرضته فى المبحث الأول من هذا المدخل تبين لنا أن الإسلام هو دين الأنبياء جميعاً بما فيهم سيدنا موسى عليه السلام من ناحية العقيدة (التوحيد) ومن ناحية المصدر (الوحى) ومن ناحية التسمية حيث يسمون أنفسهم وأتباعهم بالمسلمين وينعتون أنفسهم وأتباعهم بأنهم مسلمون .

ومن خلال ما عرضته فى المبحث الثانى من هذا المدخل تبين لنا أن اليهود يعتمدون فى مصادرهم على أسفار العهد القديم وأسفار التلمود وليس على التوراة المنزلة على سيدنا موسى عليه السلام ، وسوف يتبين لنا فى الفصل الثانى من الباب الثانى فقدان اليهود للتوراة المنزلة وتحريفهم لها ، وانتفاء قدسية أسفار العهد القديم .

ومن خلال ما عرضته فى المبحث الثالث تبين لنا أن اليهودية من حيث التسمية قد جاءت متأخرة عن زمن سيدنا موسى عليه السلام ، ولم تطلق فى عصره ، ومن ثم فإن مصطلح « اليهودية » الذى تسمى به الديانة الإسرائيلية لا ينسحب على دين موسى عليه السلام .

يضاف إلى ذلك ما سنطلع عليه بين ثنايا هذه الدراسة من انحراف اليهود عن عقيدة التوحيد التى جاءهم بها موسى عليه السلام وفساد تصورهم للذات العلية .

وإذا كان الأمر كذلك فإن دين موسى عليه السلام الذى هو الإسلام مخالف تماماً للديانة اليهودية التى كونها اليهود وسميت باليهودية بعد موته بفترة والتى هى موضوع الدراسة ومظنة التأثر بالأديان الوثنية .

والقرآن الكريم لا يعترف بهذه الديانة اليهودية ولا يقرها على أنها دين سيدنا موسى عليه السلام وكذلك الأمر فيما يتعلق بالنصرانية أو المسيحية على أنها دين عيسى عليه السلام .

وقد تبين لنا ذلك مما أوردناه فى المبحث الأول من هذا المدخل ويتضح بصورة أجلى من خلال قول الله تعالى ﴿ **ما كان ابراهيم يهودياً ولا نصرانيا ولكن كان**

حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين ﴾ (١) .

حيث ينفي القرآن الكريم نفياً قاطعاً اعتبار ابراهيم عليه السلام يهودياً أو نصرانياً.

والمقصود بقوله تعالى « يهودياً » هنا الدين وليس الجنس بدليل أنه قال سبحانه **﴿ ولكن كان حنيفاً مسلما ﴾** فهو لم يقل سبحانه ولكن كان عربياً أو غير ذلك إنما قال **﴿ مسلما ﴾** .

معنى ذلك أن سيدنا ابراهيم عليه السلام ليس على ديانة اليهود ولا على ديانة النصارى ، وأن كلاً من اليهودى أو النصرانى ليس مسلماً ، والمسلم ليس يهودياً ولا نصرانياً ، وسيدنا موسى عليه السلام كان مسلما شأنه فى ذلك شأن سيدنا ابراهيم عليه السلام ومن ثم فهو ليس يهودياً بمعنى أنه ليس على ديانة اليهود .

يقول الإمام الطبرى فى تفسير قوله تعالى **﴿ ومن يرغب عن ملة ابراهيم إلا من سفه نفسه ﴾** يعنى تعالى ذكره « وأى الناس يزهد فى ملة ابراهيم ويتركها رغبة عنها إلى غيرها وإنما عنى الله بذلك اليهود والنصارى لاختيارهم ما اختاروا من اليهودية والنصرانية على الإسلام لأن ملة ابراهيم هى الحنيفية المسلمة كما قال تعالى ذكره **﴿ ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانيا ولكن كان حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين ﴾** ثم نقل عن قتادة قوله « رغب عن ملته اليهود والنصارى واتخذوا اليهودية والنصرانية بدعة ليست من الله وتركوا ملة ابراهيم يعنى الإسلام حنيفاً كذلك بعث الله نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم بملة ابراهيم (٢) .

ويذكر ابن كثير أن هذه الآية نزلت فى اليهود لأنهم أحدثوا طريقاً ليست من عند الله وخالفوا ملة ابراهيم فيما أحدثوه (٣) .

وجاء فى تفسير الطبرى لقوله تعالى **﴿ أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدى قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق إلهاً واحداً ونحن له مسلمون ﴾** ما نصه :

---

(١) آل عمران : ٦٧ .

(٢) تفسير الطبرى جـ١ صـ٤٣٦ نشر دار المعرفة بيروت ١٤٠٦ / ١٩٨٦ م .

(٣) تفسير القرآن العظيم جـ١ صـ١٨٥ دار التراث القاهرة .

« أكنتم يا معشر اليهود والنصارى المكذبين بمحمد صلى الله عليه وسلم الجاحدين نبوته حضور يعقوب وشهوده إذ حضره الموت أى أنكم لم تحضروا ذلك فلا تدعوا على أنبيائى ورسلى الأباطيل وتنحلوهم اليهودية والنصرانية ، فإنى ابتعثت خليلى ابراهيم وولده اسحاق واسماعيل وذريتهم بالحنيفية المسلمة وبذلك وصوا بنيهم وبه عهدوا إلى أولادهم من بعدهم ، فلو حضرتموهم فسمعتم منهم علمتم أنهم على غير ما تنحلوهم من الأديان والملل من بعدهم » (١) .

ويذكر الطبرى أيضاً فى تفسير قوله تعالى ﴿ تلك أمة قد خلت ﴾ أن الله سبحانه يقول لليهود والنصارى : دعوا ذكر ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والمسلمين من أولادهم بغير ما هم أهله ولا تنحلوهم كفر اليهودية والنصرانية فتضيفونها إليهم » (٢) .

وقال الحسن البصرى فى قوله تعالى ﴿ ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله ﴾ .

« كانوا يقرءون فى كتاب الله الذى آتاهم أن الدين هو الإسلام وأن محمداً رسول الله وأن ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والأسباط كانوا برآء من اليهودية والنصرانية فشهدوا بذلك لله وأقروا على أنفسهم لله فكتموا شهادة الله عندهم من ذلك » (٣) .

وجاء فى تفسير المنار أن اسمى اليهودية والنصرانية حدثا بعد إبراهيم وإسحاق ويعقوب والأسباط ، بل إن اسم اليهودية حدث بعد موسى واسم النصرانية حدث بعد عيسى ، وأنه قد حدث لليهود تقاليد كثيرة صار مجموعها مميزاً لهم ، حيث أضافوا التلمود إلى ما عندهم من الأسفار وسموا مجموع ذلك مع تفاسيره وآراء أحبارهم فيه باليهودية (٤) .

---

(١) جامع البيان جـ١ صـ٤٣٩ .

(٢) المصدر السابق .

(٣) تفسير ابن كثير جـ١ صـ١٨٨ .

(٤) راجع الشيخ محمد عبده والشيخ رشيد رضا فى تفسير المنار جـ١ صـ٤٨١ ، ٤٨٧ ، ٤٨٩ .

وقد أجمع معظم علماء الأديان تقريباً بمن فيهم اليهود على أن اليهودية بوضعها الحالى هى غير الدين الذين جاء به النبى موسى عليه السلام (١) .

ويذكر الدكتور إسماعيل الفاروقى أن الدين اليهودى عبارة أطلقت على الطقوس الدينية التى كان يمارسها سكان مملكة يهوذا الذين سبوا من أورشليم إلى بابل عام ٥٨٦ ق .م ، وأن هذا الاسم قد أطلق فى المنفى أى فى بابل فقط حيث لم يكن يعرف قبل ذلك التاريخ .

وينتهى إلى أن عبارة « الدين اليهودى » ليست عبارة ذات مدلول فحوى ، إنما هى جغرافية صرفة مثل عبارة « الدين الهندوكى » أى الدين المتبع فى الهند (٢) .

وبناء على كل ما أوردناه فإن من الخطأ الشديد أن نقول إن اليهودية ديانة سماوية وكذلك المسيحية وليس هناك ما يقال عنه « الديانات السماوية الثلاث » فهو تعبير غير إسلامى ، حيث إن القرآن الكريم يتحدث عن اليهود والنصارى بأنهم « أهل كتاب » وعلماء المسلين تحدثوا عن هاتين الديانتين بأنهما من الأديان الكتابية ، ووصف الديانة بأنها كتابية وصف دقيق محايد ، لا يتضمن الحكم عليها بالصحة ، بخلاف وصفها بأنها سماوية .

وخلاصة الأمر أن الديانة اليهودية التى سأدرسها فى هذا البحث هى ديانة اليهود وليست دين موسى عليه السلام فلننظر كيف تم تأثرها بالأديان الوثنية وما هى العوامل التى ساعدت على ذلك ، وما هى المظاهر التى تمثل فيها هذا التأثر .

وهذا هو ما سيتبين لنا إن شاء الله فى الأبواب الثلاثة .

---

(١) سهيل ديب : التوراة تاريخها وغايتها صـ٦ .

(٢) الصهيونية فى الدين اليهودى صـ١ .



الباب الأول

اتصال اليهود بالأديان الوثنية

ويشتمل على فصلين * :

الفصل الأول : الأديان الوثنية المعاصرة لليهود في تاريخهم القديم .

الفصل الثاني : قنوات الاتصال التاريخية بين اليهود وأصحاب الأديان الوثنية .

(*) اشتمل الباب الأول فى الأصل على ثلاثة فصول بدلاً من فصلين حيث كان هناك فصل كامل ومطول عن « تاريخ اليهود القديم » بدءاً بعصر الآباء الأولين ومروراً بعصر موسى ويشوع وعصر القضاة وعصر المملكة الموحدة وعصر الانقسام وانتهاءً بعصر المكابيين .
وقد رأيت حذف هذا الفصل رغم أهميته عند نشر الكتاب نظراً لطوله ورغبة فى التخفيف عن القارىء على أمل أن يصدر فى كتاب خاص بعد زيادة وتنقيح . إن شاء الله .

الفصل الأول

الأديان الوثنية القديمة المعاصرة لليهود في تاريخهم القديم

ويشتمل على تمهيد وأربعة مباحث :

تمهيد : فى الحديث عن الشرق الأدنى القديم وهجرات الساميين .

المبحث الأول : أديان بلاد الرافدين .

أ ـ دين السومريين .

ب ـ دين الأكديين .

جـ دين البابليين .

د ـ دين الأشوريين .

المبحث الثانى : أديان بلاد سورية .

أ ـ دين الأموريين .

ب ـ دين الكنعانيين .

ج ـ دين الآراميين .

المبحث الثالث : ديانة مصر القديمة .

المبحث الرابع : ديانات الفرس واليونان والرومان .

الأديان الوثنية المعاصرة لليهود فى تاريخهم القديم

تمهيد :

ينبغى علينا ـ قبل الحديث عن الأديان الوثنية التى عاصرت اليهـود منذ نشأتهم وعلى امتداد تاريخهم القديم ـ أن نشير إلى المنطقة التى كانت مسرحا لتلك الأديان وشهدت انبعاث وتدفق الموجات المتتابعة من هجرات الساميين وغيرهم من الشعوب الذين أسسوا هذه الأديان .

الشرق الأدنى القديم :

يذكر موسكاتى أن بلاد العرب ، وسوريا وفلسطين ، وأرض الرافدين ، تؤلف معاً وحدة جغرافية كانت فى زمانها مسرحاً لحدث هام فى رواية الانسانية (١) .

ويضيف ول ديورانت إلى هذه المناطق : مصر وجميع بلاد آسيا الجنوبية الغربية الممتدة جنوب الروسيا والبحر الأسود وغرب الهند وأفغانستان ، ويطلق عليها جميعاً : بلاد الشرق الأدنى القديم (٢) .

وعلى ذلك فإن الشرق الأدنى القديم يشتمل على مصر وبلاد العرب ، وبلاد الشام وأرض الرافدين وبلاد فارس (ايران القديمة) (٣) .

وتعبير الشرق الأدنى القديم تعبير اصطلاحى تأثر إلى حد ما بالتعبير الأوربى

The Amcient Near East

---

(١) الحضارات السامية القديمة صـ٣٤ ترجمه وزاد عليه د / السيد يعقوب نشر دار الرقى بيروت طبعة ١٩٨٦م .

(٢) قصة الحضارة الجزء الثانى من المجلد الأول (الشرق الأدنى) صـ٩ ترجمة محمد بدران : لجنة التأليف والترجمة والنشر طبعة ١٩٧٢م .

(٣) راجع د / أحمد فخرى : دراسات تاريخ الشرق القديم صـ١٧ الطبعة الرابعة ١٩٨٤ مكتبة الانجلو المصرية ، وقارن د / فيليب حتى موجز تاريخ الشرق الأدنى صـ٧ ترجمة د / أنيس فريحة دار الثقافة بيروت .

وقد امتدت معالم الحضارة القديمة فيه امتداداً عميقاً واسعاً ، على الرغم من غلبة الطابع الصحراوى على معظم أراضيه (١) الأمر الذى جعله يحتل مرتبة فريدة من حيث تاريخه المدون ، ومن حيث عميم فضله وعطائه نحو تقدم الانسان ورقيه ، ويرجع ذلك إلى ما تميز به هذا الاقليم من عوامل طبيعية واستراتيجية (٢) .

بالإضافة إلى أنه ـ أى اقليم الشرق الأدنى القديم ـ قد تخلله منحى ثابت من التفكير حدد موقفه من الوجود : هذا المنحى هو غلبة الدين على بقية عوامل الحياة جميعاً ، مما طبعها بالطابع الدينى فاتخذت من الدين مصدراً مشتركاً للإلهام (٣) .

---

(١) د : عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم الجزء الأول (مصر والعراق) صـ ٥ مكتبة الانجلو المصرية الطبعة الرابعة ١٩٨٤ م .

(٢) من هذه العوامل :

أ ـ وقوعه فى مركز متوسط بين العالم القديم مما سهل اتصاله بغيره من الأقاليم فأمكن انتقال المؤثرات الحضارية منه واليه بسهولة.

ب ـ وجود أنهار عظيمة ومجارى مائية دائمة فى مختلف اقطاره مما أدى الى استقرار الجماعات البشرية التى سكنت قريباً منها واتاح لها فرصة النهوض والترقى .

جـ ـ سهولة اتصال أجزاء هذا الاقليم فيما بينها لعدم وجود فواصل طبيعية مانعة تحول دون ذلك حيث أتيحت لها فرصة الاحتكاك بعضها بالبعض فانتشرت مظاهر حضارية مختلفة .

(راجع فى ذلك د / فيليب حتى : موجز تاريخ الشرق الأدنى صـ١١٢٧ ، الشرق واليونان القديمه صـ٣٥ ، ٣٧ وهو المجلد الأول من تاريخ الحضارات العام تأليف اندريه ايمار ، جانين أو بواية ترجمة فريد م . داغر ، فؤاد ج . أبوريحان منشورات عويدات : بيروت لبنان الطبعة الأولى ١٩٦٤ ، د / ايفار ليسنر : الماضى الحى صـ١٩ ترجمة شاكر ابراهيم سعيد : الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨١ م .

د / محمد أبوالمحاسن عصفور : معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم صـ٤٥ ـ ٤٦ : النهضة العربية بيروت الطبعة الثالثة ١٩٨٤ م .

(٣) موسكاتى : الحضارات السامية القديمة صـ٢٢٦ .

هجرات الساميين :

شهد الشرق الأدنى القديم منذ آلاف السنين اندفاع موجات متعاقبة من هجرات الساميين حيث انتقلت من مناطق الجدب فيه إلى حيث الخصب والنماء .

الساميون :

الساميون : نسبة إلى سام بن نوح الذى ورد ذكره فى صحيفة الأنساب الواردة فى الإصحاح العاشر من سفر التكوين (١) .

« وهذه مواليد بنى نوح : سام وحام ويافث (٢) ، وبعد أن عدد الإصحاح أبناء يافث (٣) ذكر أن بني حام هم : كوش ومصرايم وفوط وكنعان (٤) وبنى سام هم عيلام واشور وارفكشاد ولود وأرام (٥) ، ثم ذكر أبناء هؤلاء جميعاً (٦) وقال فى نهاية الاصحاح « هؤلاء قبائل بنى نوح حسب مواليدهم بأممهم ، ومن هؤلاء تفرقت الأمم فى الأرض بعد الطوفان (٧) .

ففى هذه الصحيفة أو هذا الجدول من الأنساب نجد قائمة أبناء سام تضم أرام وأشور وعبر أى الآراميين والأشوريين والعبريين ، ولهذا استعمل العلماء الأوربيون قرب نهاية القرن الثامن عشر لفظ الساميين اسما مشتركاً لتلك المجموعة من الشعوب (٨) وذلك اعتماداً على القرابة اللغوية

---

(١) وهو اصحاح يسجل الصلات بين الشعوب المختلفة التى كان يعرفها كاتبه وسجلها فى صورة سلاسل أنساب تنحدر من أبناء نوح .

(٢) تكوين ١٠ : ١ . (٣) ١٠ : ٢ ــ ٥ . (٤) ١٠ : ٦ . (٤) ١٠ : ٢١ .

(٥) راجع الاصحاح كله ومعه الاصحاح الحادى عشر من نفس السفر : ١١ ــ ٢٦ .

(٦) ١٠ : ٣٢ . (٧) تكوين ١٠ : ٣٢ .

(٨) استعمل لفظ السامى « مطبوعاً لأول مرة عام ١٧٨١ على يد المستشرق الالمانى سلوتسر فى مقاله عن الكلدانيين الذى أورده ايشهورن فى فهارس الأدب الشرقى والتوراتى المجلد الثامن صـ١٦١ إذ قال : « من البحر المتوسط الى الفرات ومن أرض الرافدين حتى بلاد العرب جنوباً ، سادت كما هو معروف ، لغة واحدة ، لهذا كان السوريون والبابليون والعبريون والعرب شعباً واحداً ، وكان الفينيقيون (الحاميون) أيضاً يتكلمون هذه اللغة التى أود أن أسميها (اللغة السامية) » ، وقد تولى ايشهورن بعد ذلك نشر هذا الاصطلاح والدفاع عنه وإن ادعاه لنفسه ، ومنذ ذلك الحين أصبح عند العلماء =

بينهما(١) .

ولكن هناك من يرى أن هذه التسمية الشائعة غير موفقة ولا صحيحة (٢) ولاتؤيدها الأبحاث العلمية الحديثة (٣) حيث إنها تسمية لغوية فقط (٤) ، ولأن القرابة الواردة فى التوراة ، وذلك التقسيم المذكور فيها للبشر ، لا يستندان إلى أسس علمية أو عنصرية صحيحة بل بنيت القرابة ووضع ذلك التقسيم على اعتبارات سياسية وعاطفية ، وعلى الآراء التى كانت شائعة عند شعوب العالم فى ذلك الزمان عن النسب والأنساب وتوزع البشر (٥) .

وبالرغم من ذلك فإن تعبير الشعوب السامية أو (الساميون) مقبول على أساس شيوعه للدلالة على شعوب ربطت بين أهلها روابط التشبه فى الملامح العامة وروابط التشبيه فى تأثيرات البيئة والمناخ ، وروابط اللغات ، ثم روابط العقائد والتقاليد والتخيلات ، نتيجة التشابه فى الأسس التى قامت عليها والظروف التى أوحت بها ،

=والباحثين فى موضوع لغات الشرق الأدنى علما للمجموعة المذكورة من الشعوب .

(راجع د / السيد يعقوب بكر هوامش الحضارات السامية القديمة صـ٢٣٩ .

جواد على : المفصل فى تاريخ العرب قبل الاسلام الجزء الأول صـ٢٢٣

د / حسن ظاظا : الساميون ولغاتهم صـ٥ ـ ٦

الشيخ نسيب وهيبة الخازن : من الساميين الى العرب صـ٩ ، منشورات دار مكتبة الحياة بيروت بدون تاريخ.

(١) لمعرفة خصائص اللغات السامية وتقسيمها راجع موسكاتى فى كتابه السابق صـ٤٤ ـ ٤٨ هوامش المترجم صـ٢٣٩ ـ ٢٤٦ ، أو لبرايت : آثار فلسطين صـ١٧٢ ـ ١٧٤ ترجمة د / زكى اسكندر ، د / محمد عبد القادر محمد اصدار المجلس الأعلى للشئون الاسلامية ١٩٧١ م .

(٢) د/ طه باقر : مقدمة فى تاريخ الحضارات القديمة الجزء الأول صـ٦٥ نشر دار البيان بغداد طبعة ١٩٧٣م .

(٣) د / فيليب حتى : تاريخ العرب الجزء الأول صـ٩ طبعة ١٩٤٩ دار الكشاف للنشر والتوزيع .

(٤)نفس المؤلف : تاريخ سورية جـ١ صـ٦٦ ـ ٦٧ .

(٥) د / جواد على : المفصل فى تاريخ العرب جـ١ صـ٢٢٣ ، ٢٢٤ ، راجع أيضاً اسرائيل ولفنسون : تاريخ اللغات السامية صـ٢ ـ ٣

وينطبق ذلك بأطرافه على شعوب الشرق ، بدوله العربية فى شبه الجزيرة العربية والشام والعراق ومصر والدول العربية الافريقية (١) .

وكما يقول سبتينو موسكاتي « ان الشعوب السامية تؤلف فى لغتها كتلة واحدة ، لا باجتماعها فى صعيد جغرافى واحد والتحدث بلهجات لغة واحدة فحسب ، ولكن باشتراكها فى أصل حضارى تاريخي واحد أيضاً ، ومن هنايجوز لنا ألا نقصر الصفة السامية على الميدان اللغوى وأن نتحدث أيضاً عن الساميين وعن الشعوب والحضارة السامية (٢) .

وقد اختلفت أقوال العلماء وتشعبت آراؤهم فى تحديد الموطن الأصلى للشعوب السامية .

فهناك من يذهب الى أنه افريقيا (٣) بينما يرى فريق آخر أنه ارمينية (٤) على أن هناك فريقاً ثالثاً قد تبنى ما ترويه التوراة من أن مهد الساميين كان فى أرض بابل (بلاد ما بين النهرين) (٥) .

---

(١) د / محمد بيومى : دراسات فى تاريخ الشرق الأدنى القديم الجزء الثامن صـ٥٠٥ .

(٢) راجع الحضارات السامية القديمة صـ٤٨ ـ ٥٠ ، ٢٢٤ ـ ٢٢٥ ، ومع ذلك فهناك من يرى أن السامية ليست جنسا بالمعنى المفهوم من الجنس عند علماء الأجناس ، أى أنها ليست جنسا له خصائص جنسية وملامح خاصة تميزه عن الأجناس البشرية الأخرى راجع موسوعة تاريخ العالم الجزء الأول صـ٥٢ .

راجع قول العالم الفرنسى هبرى فليسن فى كتاب د / حسن ظاظا : الساميون ولغاتهم صـ٦ .

(٣) يسمى هؤلاء أصحاب المذهب الأفريقى ، ولمعرفة أدلة هذا المذهب والرد عليها راجع حامد عبد القادر : الأمم السامية دار نهضة مصر القاهرة ١٩٨١ .

(٤) أصحاب المذهب الأرمينى وفى مقدمتهم أرنست رينان (راجع مذهبهم والرد عليهم فى المصدر السابق صـ٥٤ ـ ٥٥ و د / السيد يعقوب بكر : هوامش موسكاتى صـ٢٤٦ ـ ٢٤٧ .

(٥) ويزعم اسرائيل ولفنسون أن البحوث التاريخية أثبتت أن أرض بابل هى المهد الأصلى للحضارة السامية ، وأيد العالم جويدى هذا الرأى ولكن نولدكه عارضه معارضة شديدة وانتهى فيليب حتى إلى فساد هذ الزعم تاريخ العرب جـ١ صـ١٠ ، جرجى زيدان : تاريخ العرب قبل الاسلام صـ٤١ ـ ٤٢ طبعة دار الهلال (راجع تاريخ اللغت السامية صـ ٤ ـ ٥) د/ فليب حتى : بدون تاريخ ، د / حسن ظاظا : الساميون ولغاتهم صـ٩ ـ ١١ ، د / يعقوب بكر هوامش موسكاتى صـ٢٤٧ ـ ٢٤٨) .

لكن جمهور العلماء يذهبون إلى بلاد العرب (شبه الجزيرة العربية) كانت الموطن الأصلى للشعوب السامية (١) .

وتدفقت هجرات الساميين من قلب هذه الجزيرة العربية « ذلك الخزان البشرى الشهير الذى لم يتوقف عن أن يقذف ـ كإقليم طرد و كصحراء فقيرة ولكنها « ولود » ـ يقذف بالموجة تلو الموجة إلى منطقة الهلال الخصيب (٢) المتاخمة والجذابة (٣) .

ويبدو أن تدفق هذه الموجات قد حدث منذ أقدم الأزمنة ولذلك فإنه لا يعرف على وجه التأكيد بداية ذلك التدفق (٤) .

---

(١) راجع موسكاتى : الحضارات السامية صـ٥٢ ـ ٥٣ ، ول ديورانت : قصة الحضارة مجلد ١ صـ٢ صـ٣٠٩ ، بريستيد : العصور القديمة صـ١١٤ ـ ١١٥ ، د / فيليب حتى : تاريخ العرب جـ١ صـ١٠ وقد أورد جميع هؤلاء العلماء فى الصفحات التالية صـ١١ ـ ١٤ .

(٢) يطلق مصطلح « الهلال الخصيب » على منطقة غربى آسيا وبالتحديد على الجزء المحصور بين الجبال فى الشمال والصحراء فى الجنوب ، وذلك لأنه يكون شكلا نصف دائرى على وجه التقريب ، ويرتكز طرفه الغربى فى جنوب شرقى البحر المتوسط ، ووسطه فوق شبه جزيرة العرب ، ويرتكز طرفه الآخر عند الخليج الفارسى ، وخلف ظهر هذا الهلال تقوم الجبال المرتفعة ، وعلى ذلك تكون فلسطين عند نهاية الجزء الغربى منه وبلاد بابل فى الجزء الشرقى بينما تكون بلاد اشور جزءا كبيراً من وسطه.

وأول من استعمل هذا المصطلح المؤرخ الأمريكى جيمس هنرى برستيد ، ثم شاع استعماله بين العلماء بعد ذلك (بريستيد : انتصار الحضارة صـ١٤٣ ترجمة د / أحمد فخرى مكتبة الانجلو المصرية الطبعة الأولى ١٩٥٥ م ، العصور القديمة ترجمة داود قربان مؤسسة عز الدين بيروت ١٩٨٣ م ، ويذكر الدكتور أحمد سوسه أن الهلال الخصيب يشمل سورية ولبنان وفلسطين وشرقى الأردن والعراق وبعضهم يدخل الجزء الشمالى وادى النيل ضمن الهلال خصيب (تاريخ حضارة وادى الرافدين جـ١ صـ١١٧ بغداد ١٩٨١ م .

(٣) راجع قصة الحضارة مجلد ١ جـ٢ صـ٢٠٩ بريستيد : انتصار الحضارة صـ١٤٧ ـ ١٤٨ ، د / جمال حمدان : اليهود انثروبولوجيا صـ٨ دار الكاتب العربى القاهرة ١٩٦٧ م .

(٤) يرتفع بعض المورخين بأول فوج من هذ الموجات إلى القرن الثلاثين ق . م (عباس العقاد ـ ابراهيم أبو الأنبياء منشورات المكتبة العصرية بيروت ـ صيدا ١٩٨١ صـ١٢٠ ، ويذكر الدكتور نجيب ميخائيل انها بدأت منذ حوالى خمسة وعشرين ألف عام : مصر والشرق الأدنى القديم : الجزء الثالث : الشرق الأدنى القديم سورية صـ١٢٦ ط ٢ / ١٩٦٤ ويذهب بعض العلماء إلى أن الفترة بين الموجة والتى تليها كانت تبلغ زهاء ألف عام (ونيكلر نقلاً عن د / مهران جـ١ اسرائيل صـ٥١٠ ، حامد عبد القادر : الأمم السامية صـ٦٦ .

وإن كان موسكاتي يرى أن أقدم الهجرات للشعوب السامية التي سجلها لنا التاريخ تمت منذ الآلف الثالث ق . م ، وكانت في اتجاه وادي الرافدين ، واستمرت بعد ذلك من حين الى حين ، وأدت إلى تكوين دول سامية قوية واسعة النطاق (١) .

وكذلك كانت بلاد سورية محطاً لهذه الهجرات ، وكانت بوتقة انصهرت فيها الحضارة والبداوة ، ولكن حصتها من موجات الساميين كانت أكثر من غيرها ، حيث تعرضت لخمس هجرات منها على الأقل حتى غدت مهداً للهجرات السامية الفرعية إلى نواحي الشرق الأدنى القديم (٢) .

هذا وقد اختلطت في منطقة الشرق الأدنى ـ نتيجة هذه الهجرات ـ شعوب سامية عديدة ، واتصلت هذه الشعوب بغيرهم من غير الساميين ، فتكونت بذلك ديانات كثيرة ومتنوعة ، ظلت هذه الديانات قائمة ، وبقي تأثيرها مستمراً حتى عاصرها اليهود منذ نشأتهم وعلى امتداد تاريخهم القديم .

ونظراً لكثرة تلك الديانات ، فإنني آثرت أن أضعها تحت هذا التقسيم في أربعة مباحث :

١ ـ ديانات بلاد الرافدين — ٢ ـ ديانات بلاد سورية

٣ ـ ديانات مصر القديمة — ٤ ـ ديانات الفرس واليونان والرومان

---

(١) الحضارات السامية صـ٦١ ، ويذهب الدكتور ظاظا إلى أن الهجرات المذكورة تاريخياً حدثت خلال الألف الرابع ق . م (الساميون ولغاتهم صـ٣٩) .

(٢) د / نجيب ميخائيل : مصر والشرق الأدنى الجزء الثالث : سورية صـ٧ ولكن ليست لدينا معلومات أكيدة عن أول توغل للشعوب السامية في سورية (موسكاتي : الحضارات السامية صـ١٢٢ ، وإن كان بريستد يرجح أنها قد بدأت في عام ٣٠٠٠ ق . م (انتصار الحضارة صـ١٤٧) .

المبحث الأول : ديانات بلاد الرافدين :

ظفرت بلاد الرافدين (١) بعناية من المؤرخين الدينيين ، وعلماء المقارنة بين الأديان ، لم يظفر بها قطر آخر ، ذلك لأنها ميدان للبحث لا يضارعه ميدان آخر فى اتساعه ، وامتداد تاريخه ، وتعدد أقوامه ، وقد تيسر البحث فيه لنوعين من المقارنة يندر جداً أن يتيسر فى رقعة أخرى من الكرة الأرضية ، هذان النوعان هما : مقارنة الأديان ومقارنة الأجناس فى وقت واحد (٢) .

---

(١) تسمى هذه البلاد بأرض الرفدين أو ما بين النهرين والمقصود بهما نهر دجلة والفرات ، وأطلق عليهما ولا يزال حتى الآن اسم العراق .

وكلمة « ما بين النهرين » ترجمة للكلمة الأغريقية « ميزوبوتاميا » وأصبحت الآن تدل على كل البلاد بعد أن كانت فى أصلها تدل على بابل وأشور فقط ، ولذلك يفضل البعض استعمال « بين النهرين » بدلاً من « ما بين النهرين » .

وأما كلمة عراق فقد اختلف فى أصلها فقيل إنه عربى الأصل بمعنى الشاطىء ، وقيل انها من أصل فارسى وتعنى الساحل أو السواد ، وقيل انها ترجع إلى تراث قديم ، وربما ظهر اسم العراق لأول مرة فى القرن الخامس ق . م حيث أطلقه الفرس ، وكان العرب يطلقون على القسم الجنوبى من البلاد اسم أرض السواد أو العراق أما القسم الشمالى فكان يعرف باسم الجزيرة .

(راجع تفاصيل ذلك فى : د / فيليب حتى : تاريخ سورية وفلسطين جـ١ صـ١٤٨ ، طه باقر : مقدمة فى تاريخ الحضارات القديمة الجزء الأول صـ٧ ـ ١٣ د / نجيب ميخائيل : مصر والشرق الأدنى الجزء الخامس صـ١١ ـ ١٢ وادى الرافدين الطبعة الأولى ١٩٦٣ دار المعارف د / عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم والجزء الأول مصر والعراق صـ٣٧٤ ، ٤٩٥ ـ ٤٩٦ ، د / تقى الدباغ : البيئة الطبيعية والانسان ضمن سلسلة حضارة العراق الجزء الأول دار الحرية للطباعة بغداد ١٩٨٥ د / سامى سعيد الأحمد : السومريون صـ٣ ـ ٤ من منشورات الجمعية التاريخية العراقية بغداد ١٩٧٥ م .

(٢) لأن مراجع الأديان الكتابية تبتدىء فيها منذ عهد ابراهيم الخليل الى عهد الشريعة الموسوية ، وشريعة حمورابى الى عهد السبى البابلى ، واختلاط بنى اسرائيل بالبابليين والفرس ، واقتباسهم ما اقتبسوه منهم فى العرف الدينى والشعائر التى لها اتصال بمراسم العبادة .

(عباس محمود العقاد : ابليس دار نهضة مصر للطبع والنشر القاهرة طبعة ١٩٨٥ م) .

وديانات بلاد الرافدين كثيرة ومتنوعة بيد أن الديانات الرئيسية تتركز فى ديانات كل من السومريين ، والاكاديين ، والبابليين ، والأشوريين .

وقبل أن نتحدث عن المظاهر العامة والملامح البارزة لهذه الديانات ينبغى أولاً أن نتعرف على هؤلاء الأقوام أصحاب تلك الديانات .

١ ـ السومريون :

بدأت خصائص العصور التاريخية (١) فى بلاد الرافدين فى فترة ما تراوحت تقديرات المؤرخين بشأنها بما بين أوائل القرن الثلاثين ق . م وبين القرن الثامن والعشرين ق . م (٢) ، وتعددت مراكز التجمع والتحضير حينذاك فى النصف الجنوبى من سهول النهرين (٣) ، هذه السهول ذكرتها نصوص القرن الخامس والعشرين ق . م باسم « سومر » أو « شومر » (٤) وهو اسم ليس من المستبعد أنه كان

---

(١) اصطلح العلماء على ما يسمى بالعصور التاريخية وعصور ما قبل التاريخ ، والمقصود بما قبل التاريخ كل الأزمنة السحيقة التى سبقت عصور اهتداء الأمم القديمة الى الكتابة وإلى تكوين الوحدات السياسية المستقرة والقوميات الكبيرة (د / عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم جـ١ صـ١٩) .

(٢) وهناك آراء تذكر أن السومريين بدأوا حياتهم فى اقليم ما بين النهرين عام ٣٥٠٠ ق . م (الماضى الحى صـ٢٠) وأخرى تعود بها الى عام ٤٠٠٠ ق . م (موسوعة تاريخ العالم جـ١ صـ٥٢) وان كان صموئيل نوح كريمر يرجع بها الى أبعد من ذلك إلى عام ٥٠٠٠ ق . م (من ألواح سومر صـ٢٣ ترجمة طه باقر ، مكتبة الخانجى القرهرة) .

(٣) من هذه المراكز المدن السومرية المطمورة وهى : اريدو (ابوشهرين الحديثة) وأور (المقبرة الحديثة) وأوروك المسماع المسماه (اراك) فى التوراة جـ٢ صـ ١٣ والمعروفة الآن باسم الوركاء ولاسا (المسماة فى التوراة باسم الاسار ، والمعروفة الآن باسم سنكره (قصة الحضارة الشرق الأدنى مجلد ١ جـ ٢ صـ١٣ .

وكانت أرض السومريين تمتد من الخليج الفارسى جنوباً حتى بغداد الحديثة شمالاً (الماضى الحى صـ ٢٠) .

(٤) كلمة سومر تعنى حرفياً ـ حسب كتابتها السومرية بلاد سيد أحراش القصب (هذا السيد هو الاله انكى) ، وربما تكون مأخوذة من اسم أول مدينة سومرية فى بداية تاريخها .

(طه باقر : مقدمة فى تاريخ الحضارات الجزء الأول صـ٩ ، ٥٨ د / سامى سعيد الأحمد : السومريون صـ٤١ .

يجرى على ألسنة أصحابه قبل ذلك بزمن طويل ، ثم شاع فيما بعد ا كثر مما سواه والتصق بأهله الذين عرفهم التاريخ باسم السومريين (١) .

ولقد ظل العالم يجهل كل شيء عن السومريين حتى منتصف القرن الماضى (أى حوالى عام ١٨٥٠ م) (٢) ، اذ تم اكتشافهم ، وتتابعت الأبحاث والدراسات عنهم .

ولكن بالرغم من اثبات العلماء أن السومريين هم أحد شعوب الشرق الأدنى القديم وتمكنوا من معرفة كثير من حضارتهم وديانتهم ، إلا أنهم لم يصلوا حتى الآن إلى الوقوف على جنسهم ، ونوع لغتهم ، وموطنهم الأصلى الذى هاجروا منه إلى وادى الرافدين (٣) .

وجل ما يمكن قوله بهذا الصدد أن السومريين لم يكونوا من الأقوام السامية ، ولغتهم غريبة لا تشبه اللغات السامية ، وانهم ازدهروا بثقافتهم فى القسم الجنوبى من العراق ، ومهما كان مهدهم الأصلى الذى نزحوا منه ، فالمعروف بين جمهور الباحثين أن الحضارة السومرية نشأت وترعرعت فى بلاد الرافدين ، وأنهم عاشوا مع الساميين ، ولكنهم ـ على ما هومجمع عليه ـ هم المؤسسون الأوائل لمقومات

---

(١) د / عبد العزيز صالح : الشرق الأدني القديم جـ١ مصر والعراق صـ٣٨٧ .

(٢) صموئيل كريمر : من ألواح سومر صـ٢٤ ، د / نجيب ميخائيل : مصر والشرق الأدني القديم الجزء الخامس صـ٤١ .

(٣) تفاصيل ذلك واجتهادات العلماء في تحديد أصولهم : قصة الحضارة المجلد الأول : الجزء الثاني (الشرق الأدني) صـ١٤ ـ ١٥ ، بريستد : العصور القديمة صـ١٢٠ ـ ١٢١ طه باقر : مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة الجزء الأول الخاص بتاريخ وادي الرافدين صـ ٥٦ ـ ٦٤ ، د/ سامى سعيد الاحمد : السومريون وتراثهم الحضارى صـ ٤١ ـ ٤٥ ، د / عبد العزيز صالح : الشرق الأدني القديم الجزء الأول صـ٣٨٨ ـ ٣٩١ .

د / نجيب ميخائيل مصر والشرق القديم الجزء الخامس صـ٤١ ـ ٤٣ .

وإن كان الدكتور فاضل عبد الواحد يري أنه ليس هناك ما يبرر الافتراض القائل بهجرة السومريين من بلد آخر الي جنوب وادي الرافدين ، ويذهب إلي أنهم امتداد لأقوام عصور ما قبل التاريخ في وادي الرافدين (راجع السومريون والاكاديون) ضمن كتاب العراق في التاريخ صـ٦٣ ـ ٦٨ بغداد ١٩٨٣ .

الحضارة والعمران ، ومنهم اقتبس الساميون فى العراق أصول حضارتهم (١)

وبالرغم من أن اليهود لم يعاصروا السومريين ، إلا أن التعرف على ديانتهم وذكرها ضمن الديانات التى عاصرها اليهود من الأمور اللازمة حيث إن هذه الديانة ظلت باقية ومؤثرة فى حياة البابليين والأشوريين اللذين اختلط بهما اليهود .

٢ ـ الأكديون :

من أشهر هجرات الساميين من الجزيرة العربية إلى بلاد الرافدين كانت هجرة الأكديين أو الآكاديين ، فهم الساميون الأول الذين استوطنوا العراق القديم بل إن الدكتور حسن ظاظا يذهب إلى أنهم أول شعبة سامية تظهر على مسرح التاريخ (٢).

وقد قامت على يد هؤلاء الاكديين الدولة الأكدية المشهورة ، إذ أنهم عاشوا أولاً مع السومريين جنباً إلى جنب وتفاعلوا معهم (٣) ، ثم بدأوا يحاربونهم ويغيرون عليهم حتى ظهر فيهم سرجون الأول (٤) فوحدهم وهزم السومريين وفرق شملهم

---

(١) صموئيل كريمر : من ألواح سومر صـ٨ ـ ٩ ، هـ . ج . ويلز : معالم تاريخ الانسانية ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد المجلد الأول والكتاب الثالث صـ١٥٩ طبعة ١٩٦٩ لجنة التأليف والترجمة ، صموئيل هنرى هوك : منعطف المخيلة البشرية ترجمة صبحى حديدا نشر دار الحوار : سورية الطبعة الأولى ١٩٨٣ .

(٢) الساميون ولغاتهم صـ٢٦ وراجع أيضاً د / فرج بصمجي : أقوام الشرق وهجراتهم صـ٩٢ مجلة سومر المجلد الثالث ١٩٤٧ م .

(٣) د / فاضل عبد الواحد : السومريون والاكديون ضمن العراق فى التايرخ صـ٧٢ .

(٤) ويلز : العالم تاريخ الانسانية المجلد الأول الكتاب الثالث صـ١٦٠ .

واسم سرجون فى اللغة الاكدية « شرو ـ كينو » ومعناه حرفياً الملك المكين ، أو الرئيس القوى ، أو الملك الشرعي ، ولعله يقصد بذلك اثبات شرعية اذ أنه لم يكن من أبناء الملوك فلم يعرف التاريخ له أبا ، وإنما كانت أمه عاهرة من عاهرات المعابد ، ولكنه استطاع الوصول إلى العرش بقيامة بثورة مسلحة ضد الملك (راجع اندريه بارو : سومر فنونها وحضارتها ترجمة د / عيسى سليمان وسليم طبعة دار الحرية للطباعة بغداد ١٩٧٨ صـ٢٢١ ، ديورانت : قصة الحضارة مجلد ١ جـ٢ صـ١٨ ، د / ظاظا : الساميون صـ٣٤ د / عبد العزيز صلاح : الشرق الأدنى جـ١ صـ٤١٨ ، ويقول عنه بريستيد ... كان سرجون أول قائد عظيم فى تاريخ الجنس السامى ، وأول ملك أنشأ أمة عظيمة فى آسيا الغربية ، وكان لفتوحاته الباهرة تأثير شديد فى نفوس سكان ما بين النهرين لم يمحه مر السنين وتراخى الحقب (راجع العصور القديمة صـ١٣٣ ـ ١٤٤ وراجع أيضاً د / حتى : موجز تاريخ الشرق صـ٣٧ ، الماضى الحى ٣٢ .

واستولى على دولتهم ، وأسس امبراطورية كبيرة جعل عاصمتها مدينة أكد (١) ، وعرفت بالامبراطورية الأكدية

وكان تأسيس هذه الأمبراطورية فى الألف الثالث ق . م (٢) .

هذا وبالرغم من غلبة الأكاديين على السومريين ، إلا أنهم اندمجوا فيهم ، وتأثروا بحضارتهم ، وتبنوا ديانتهم واقتبسوا منها الكثير كما سنرى .

٣ ـ البابليون :

أطلق اسم البابليين على عدد من الدول التى تأسست فى بلاد بابل على مدى تاريخها الطويل ، ويهمنا فى هذا الفصل أن نشير إلى دولتين من هذه الدول أو إلى عصرين من عصور البابليين :

١ ـ العصر البابلى القديم (دولة بابل الأولى) (٢٠٠٦ ـ ١٥٩٥ ق . م) :

---

(١) مدينة أكد هى التى انتسب اليها الأكديون وهى مدينة قديمة فى أرض شنعار وفى مملكة بابل وتذكر فى سفر التكوين ١٠ : ١٠ جنبا إلى جنب مع بابل كجزء من مملكة نمرود بن كوش ، وقد جعلها سرجون الأول عاصمة الامبراطورية حوالى عام ٢٤٠٠ ق . م وربما كان موقع هذه المدينة بقرب « ابى هبة » على نهر الفرات شمال بابل (قاموس الكتاب المقدس صـ٩٧) .

(٢) يتفق المؤرخون على أن حكم سرجون كان فى الألف الثالث ق . م ويتفقون أيضاً على أنه حكم حوالى خمسة وخمسين عاماً وان كانوا يختلفون فى تحديد بداية ونهاية هذه الفترة (راجع جورج رو : العراق القديم ترجمة حسين علوان وزارة الثقافة بالعراق ١٩٨٤ م اندريه بارو : سومر صـ٢٢١ ، د / فاضل عبد الواحد : السومريون والاكديون صـ٧٥) .

د / محمد أبو المحاسن عصفور : معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم من أقدم العصور إلى مجىء الاسكندر : دار النهضة العربية بيروت الطبعة الثالثة ١٩٨٤ م .

(٣) كلمة آموريين منقولة عن الاصطلاح السومرى « مارتو » ومنه الكلمة الاكدية « أمورو » وسماهم السومريون « أهل مارتو » أى أهل الغرب ، ثم سماهم الأكديون بالأموريين (د / حتى : تاريخ سورية جـ١ صـ٧٠ ، د / عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى جـ١ صـ٤٤٧ .

والأموريون أو العموريون هم الموجة الثانية من موجات الهجرة السامية الى بلاد الرافدين وكانوا قد أقاموا أولاً فى شمال سورية (موسوعة تاريخ العالم جـ١ صـ٥٢) .

(مارسون أو رسيل : الفلسفة فى الشرق صـ٣٣ ـ ٣٤ ترجمة محمد يوسف موسى (صموئيل هوك : منعطف المخيلة البشرية صـ١٥ ـ ١٦) .

يرجع البابليون القدماء فى أصلهم إلى العموريين أو الأموريين (٣) ، الذين استولوا على مدينة بابل (١) الصغيرة فى نهاية الألف الثالث ق . م ، والتى لم تكن فى ذلك العهد إلا قرية على الفرات لا شأن لها ولا خطر ، ثم أخذوا يغيرون على سومر وأكاد طمعاً فى الاستيلاء عليهما (٢) .

ويبدأ هذا العصر بسيطرة الأموريين فعلاً على ممالك سومر وأكاد ، إذ أنهم قاموا بتوحيد البلاد وأسسوا ما يسمى بسلالة بابل الأولى (٣) ، وكان من أشهر ملوك هذه السلالة الملك حمورابى (٤) .

الذى دام ملكه أكثر من أربعين عاماً (٥) ولاترجع شهرته إلى عبقريته العسكرية

---

(١) جاء اسم بابل من لفظ « باب ايلو » من اللغة الأكدية ومعناه « باب الله » ونفس اللفظ ترجمة للكلمة السومرية « كادنجرا » د / عبد العزيز صالح : مصر والعراق صـ٤٦٠ ، وتظهر أهمية بابل فى العصور القديمة من ورود ذكرها فى الكتاب المقدس أكثر من مائتى مرة وقد وردت فى سفر التكوين ١٠ : ١٠ / ١٤ : ١ على أنها العاصمة العظيمة لمملكة بابل القديمة « شنغار » .
وقد اطلق هذا الاسم أيضاً على أهل المدينة وعلى البابليين جميعاً (ملوك ثان : ٢٤ : ١ / ٥ : ٢٧ / مزمور ١٣٧ : ١) قاموس الكتاب المقدس صـ١٥٢ .
وقيل إن اسم بابل لم يطلق على كل البلاد البابلية إلا فى عهد الفرس ثم انتقل هذا الاستعمال منهم الى اليونان (ولفنسون : تاريخ اللغات السامية صـ٢٥) .

(٢) برستيد : العصور القديمة صـ١٣٨ ـ ١٣٩ منعطف المخيلة البشرية صـ١٥ ـ ١٦ د / حتى : موجز تاريخ الشرق الأدنى صـ٤٢ .

(٣) د / طه باقر : مقدمة فى تاريخ الحضارات الجزء الأول صـ٤٠٤ ـ ٤٠٥ / ٤٢٤ ـ ٤٢٨ د / سامى سعيد الأحمد : العصر البابلى القديم ضمن كتاب العراق فى التاريخ صـ٨٣ ـ ٨٨ .

(٤) اسم حمورابى مركب من كلمتين « حمو » وهو اسم اله سامى غربى من الآلهة الشمسية كما يدل على ذلك اسمه الذى يعنى الحرارة ، وكلمة « رابى » ومعناه عظيم أو كبير ، ويجوز قراءتها « رافىء » بمعنى « مكثر » ويسمى أيضاً عمورابى .
(د / طه باقر : المصدر السابق صـ٤٢٩ ، د / سامى سعيد الأحمد المصدر السابق صـ٨٨) .

(٥) يكاد المؤرخون يجمعون على أن فترة حكم حمورابى كانت فى القرن الثامن عشر ق . م ولكنهم يختلفون فى تقديرها بالتحديد وأرجح الأقوال أنها (١٧٩٣ ـ ١٧٥١) ق . م .
(راجع الحديث عن حمورابى وعصره فى بريستيد العصور القديمة صـ١٣٩ ، وما بعدها وج . دى بورج : تراث العالم القديم جـ١ ترجمة زكى سوس صـ٤٠ نشر دار الكرنك القاهرة ١٩٦٥ م ، جورج رو : العراق القديم صـ٢٦٧ وما بعدها ، أندريه بارو : سومر فنونها وحضارتها صـ٣٠٩ د / سامى سعيد الأحمد : العصر البابلى القديم ضمن العراق فى التاريخ صـ٨٨ وما بعدها ، د / فرج بصمجى : أقوام الشرق القديم صـ٩٢ ـ ٩٣ ، د / عبد العزيز صالح : مصر والعراق صـ٤٦٢ .

وانتصاراته الحربية فقط ، وإنما إلى القانون الذى يعرف به (قانون حمورابى) .

ب ــ العصر البابلى الحديث (دولة بابل الأخيرة) (٦٢٦ ــ ٥٣٩ ق . م) :

فى هذا العصر قامت الدولة البابلية الأخيرة على أيدى الكلدانيين [١] بقيادة ملكهم الأول نبوبولاصر (٦٢٦ ــ ٦٠٤ ق . م) الذى ثار على حكم الأشوريين وقضى على دولتهم [٢] .

وبلغت هذه الدولة أوج مجدها فى عهد ابنه بنوخذ نصر (بختنصر) والذى دام حكمه مدة طويلة بدأت من ٦٠٤ إلى ٥٦٢ ق . م .

وقد اعتبر المؤرخون هذه المدة من أزهى الفترات التى عاشها الساميون ــ على امتداد التاريخ القديم ــ فى العراق عسكريا وحضارياً [٣] ، ولكن أهمية وخطورة هذه الفترة تتمثل فيما يعنينا ــ بوقوع الأسر البابلى لليهود فيها ، وقيام بختنصر بتدمير أورشليم [٤] .

---

(١) ما يزال معرفة أصل الكلدانيين موضع جدل للصعوبات التي تكتنفه وندرة المصادر عنه (د / سامي سعيد الأحمد : بابل الحديثة ضمن العراق في التاريخ صـ١٦٣ بغداد ١٩٨٣) ، وإن كان هناك من يذهب إلي أنهم فرع من الأراميين (د / عبد العزيز صالح مصر والعراق صـ٥٤٨ ــ ٥٥٠) ، ويذكر كل من بريستيد وويلز أنهم قوم من الساميين الرحل زحفوا من الجنوب الشرقي وأنهم آخر من تسلطوا علي بابل من الساميين ، وقد أعادوا بنيان مدينة بابل بعد تدميرها علي يد الأشوريين وجعلوها عاصمة مملكتهم ، ولكنهم دعوا البلاد كلها باسمهم فصار اسمها كلدية وكانت تشتمل علي جميع أراضي الهلال الخصيب (العصور القديمة صـ١٨٠ معالم تاريخ الانسانية مجلد ١ كتاب ٣ صـ١٦٣ .

وقد ورد في قاموس الكتاب المقدس أن الكلدانيين كانوا يسكنون كلديا في جنوب بابل وكانوا هم الجنس الغالب في بابل ، وكانوا يشغلون كل مناصب السلطة والسيادة فيها ، وملأوا كل مناصب الكهنوت في العاصمة بحيث أصبح كلداني مرادفاً لكاهن الاله البابلي (قاموس صـ٧٨٥) .

(٢) لمعرفة مزيد من التفاصيل عن هذا الملك وثورته وتوسعه فى الحكم راجع طه باقر : مقدمة في تاريخ الحضارات جـ ١ صـ ٥٤٦ ، د/ سامي سعيد الأحمد سلالة بابل الحديثة ضمن العراق فى التاريخ صـ ١٦٤ .

(٣) راجع جورج رو : العراق القديم صـ٥٠٥ ــ ٥١٠ ، بريستيد : العصور القديمة صـ١٨١ دي بورج : تراث العالم القديم جـ١ صـ٤٣ ، طه باقر : المصدر السابق صـ٥٤٦ ــ ٥٤٧ د / سامي سعيد الأحمد : المصدر السابق صـ١٦٤ ــ ١٦٥ ، د / حسن ظاظا : الساميون ولغاتهم صـ٥١ .

(٤) تفصيل ذلك في الفصل الخامس بفترات السبي والاضطهاد التي تعرض لها اليهود .

هذا وقد تعاقب على عرش هذه المملكة بعد نبوخد نصر عدد من الملوك ، ولكنهم لم يكونوا فى درجة قوته ، ولذلك فإنها أخذت فى الضعف والانهيار حتى سيطر عليها الفرس عام ٥٣٩ ق . م (١) .

٤ ـ الأشوريون :

الأشوريون (٢) هم أحد الشعوب السامية التى نزحت إلى الهلال الخصيب وقد استقروا فى القسم الشمالى من العراق ، ربما منذ مطلع الألف الثالث ق . م (٣).

ونظراً لطول تاريخهم ، وتعدد مراحله ، فقد درج المؤرخون وعلماء الآثار على تقسيمه الى العصور التاريخية التالية :

١ ـ العصر الأشورى القديم (٢٠٠٠ ـ ١٥٠٠ ق . م) .

٢ ـ العصر الأشورى الوسيط (١٥٠٠ ـ ٩١١ ق . م) .

٣ ـ العصر الأشورى الحديث (٩١١ ـ ٦١٢ ق . م) (٤) .

---

(١) راجع د / طه باقر : المصدر السابق صـ ٥٥٠ وما بعدها .

(٢) اسم الاشوريين مأخوذ من النسبة إلى أشور ، وقد اشترك فى اسم اشور كل من الأرض والعاصمة والمعبود الأكبر للأشوريين بجانب سكانها الأوائل مع تحويره فى التشكيل والنطق بين كل حالة وأخرى ووردت تسمية آشور فى بعض النصوص الارامية بلفظ آثور وذكرتها النصوص المصرية باسم « اسر » و أسور (طه باقر : مقدمة فى تاريخ الحضارات جـ ١ صـ ٤٧١ ـ ٤٧٢ ، د / عبد العزيز صالح : مصر والعراق صـ ٥٠٠ ، ولفنسون : تاريخ اللغات السامية صـ ٣٠ (ووردت كلمة أشور فى العهد القديم للدلالة على اسم ثانى أبناء سام وإلى الأشوريين وللدلالة على بلادهم أيضاً (تكوين ٢ : ١٤ / ١٠ : ٢٢ أشعيا ٣١ : ٨) .

(قاموس الكتاب المقدس صـ ٧٨ دائرة المعارف للبستانى مجلد ٣ صـ ٧٠٩) .

(٣) أندريه بارو : بلاد اشور : نينوى وبابل : وزارة الثقافة بغداد ١٩٨٠ صـ ١٧ ، ويلز : معالم تاريخ الانسانية مجلد ١ ك ٣ صـ ١٦٢ ، د / عامر سليمان : العصر الأشورى ضمن كتاب العراق فى التاريخ صـ ١١٩ ، د / حسن ظاظا : الساميون صـ ٤٥ ـ ٤٦ .

(٤) طه باقر : مقدمة فى تاريخ الحضارات جـ ١ صـ ٤٧٥ وما بعدها .

ويهمنا من هذه العصور بوجه عام العصر الأشورى الحديث (١) الذى شهد قيام امبراطوريتين :

أ ـ الامبراطورية الأشورية الأولى (٩١١ ـ ٧٤٤ ق . م) .

ب ـ الامبراطورية الأشورية الثانية (٧٤٤ ـ ٦١٢ ق . م) .

ويهمنا بوجه خاص عهد الامبراطورية الثانية التى اتصل اليهود بها اتصالاً مباشراً وقضت على مملكة اسرائيل بعد أن احتلت عاصمتها السامرة ، وقامت بسبى أهلها بما عرف بالسبى الأشورى (٢) .

صعوبة التمييز بين ديانات بلاد الرافدين :

يعسر على الباحث الوقوف على أصول ديانات بلاد الرافدين ، أو معرفة بدايتها الأولى ، ويرجع ذلك إلى تعدد الشعوب التى توافدت عليها ، واختلاف الأجناس التى قطنت بها ، فأحدث ذلك نوعاً من الامتزاج الحضارى والاختلاط الدينى بين هذه الشعوب وتلك الأجناس .

وكل ما يمكن قوله فى هذا الشأن أن ديانة السومريين كانت هى الأساس الأول والمشترك فيما يرى المؤرخون (٣) لديانات الساميين فى بلاد الرافدين ، إذ أن الساميين قد وفدوا عليهم ، فذابوا فى حضارتهم ، واندمجوا فى ديانتهم .

يقول موسكاتى « وطابع التوفيق بين الأشياء المختلفة الذى يميز حضارة أرض الرافدين لا يتجلى فى شىء كما يتجلى فى نظمها الدينية ، فآلهتها السامية هى الى

---

(١) لقد تميز هذا العصر على مدى قرونه الثلاثة ـ بتعاظم قوة الأشوريين وبازدهار حضارتهم وامتداد نفوذهم حتى شملت حدود دولتهم جميع بلاد الشرق الأدنى القديم ، فكانت أعظم امبراطوريات الشرق القديم .

راجع طه باقر : المصدر السابق صـ٤٩٧ ـ ٤٩٨ .

د / عامر سليمان : العصر الأشورى ضمن العراق فى التاريخ صـ١٣٤ .

(٢) تفصيل ذلك فى الفصل الخاص بقنوات الاتصال التاريخية ، وفى الفصل الخاص بفترات السبى والاضطهاد.

(٣) راجع الفلسفة فى الشرق صـ٦٦ ، ٦٧ ، معالم تاريخ الانسانية مجلد ١ ك ٣ صـ١٦٠ .

حد كبير آلهة سومرية تقبلها الغزاة المنتصرون مع بعض التعديل » (١) .

وقد عبدت هذه الآلهة السومرية من قبل السومريين والساميين لأكثر من ثلاثة آلاف عام ولعبت المعتقدات الدينية السومرية فى هذه الفترة دوراً غير اعتيادى فى توجيه مناحى الحياة العامة والخاصة لسكان وادى الرافدين (٢) .

إذ كان استيعاب الساميين لعناصر الحضارة السومرية متصلاً واسع النطاق الى حد صارت معه جوانب عدة من الحضارات السامية تعتمد اعتماداً مباشراً على تلك العناصر (٣) .

ونتيجة ذلك أصبح ولا يزال من العسير أن نحدد فى الدين (السومر أكادى) ما يرجع أصله الى العنصر السامى من السكان وما هو من أصل سومرى حيث استقرت العقائد الأصلية واستمرت اللغة السومرية مستخدمة فى ممارسة العبادة ، وأداء الطقوس ، حتى بعد اختفاء السومريين (٤) .

وكذلك الأمر فيما يتعلق بديانتى البابليين والأشوريين ، فكما يقول ول ديورانت « كل ما فى وسعنا أن نقوله ، إن حضارتى البابليين والأشوريين مستمدتان من سومر

---

(١) الحضارات السامية صـ٧٥ .

(٢) جورج رو : العراق القديم صـ١٢٨ بل إن صمويل كريمر يذهب إلى أن آراء ومعتقدات السومريين أصبحت فيما بعد عقائد ومبادىء أساسية لكثير من شعوب الشرق الأدنى القديم .

(من ألواح سومر صـ١٥١ ــ ١٥٢) .

(٣) موسكاتى : الحضارات السامية صـ٧٣ ــ ٧٤ .

(٤) ل . ديلابوت : بلاد ما بين النهرين (الحضاراتان البابلية والأشورية) صـ١٦٥ ترجمة محرم كمال ، ملتزم الطبع والنشر مكتبة الآداب القاهرة ، تحت رقم (٣٥) من سلسلة الألف كتاب ، بدون تاريخ .

راجع أيضاً د / عبد المنعم أبو بكر : العراق القديم ضمن كتاب حضارة مصر والشرق القديم صـ٢٩٨ ، ٣٠١ مكتبة مصر القاهرة بدون تاريخ .

هذا وقد عاش الشعبان السومرى والاكادى مختلطين بعضهما ببعض إلى حد كبير ، فكانت حضارة أرض الرافدين وتاريخها نتاج شعب مركب يستحيل فى كثير من الأحيان التمييز فى وضوح بين العنصرين الأساسيين الذين يتألف منهما (راجع موسكاتى صـ٦٦ ، وول ديورانت : قصة الحضارة مجلد جـ٢ صـ١٩٠ .

وأكد ، أو أن سومر وأكد لقحتا الحضارتين البابلية والأشورية بلقاحهما ، ذلك أن آلهة بابل ونينوى (١) وأساطيرهما الدينية ، ليست فى كثير من الأحوال إلا آلهة وأساطير سومرية طرأ عليها التحوير والتطوير (٢) .

الخصائص العامة لديانات بلاد الرافدين (٣) .

ولذلك فإننى إذ أتحدث عن الخصائص العامة والصفات البارزة لديانات بلاد الرافدين نجد أن أول صفة من هذه الصفات صفة :

أ ـ الاستمرارية :

والمقصود بالاستمرارية هو أن الطقوس والمعتقدات والآلهة ظلت محافظة على جوهرها خلال العصور التاريخية المختلفة ، وهذا يعكس طبيعة الديانة العراقية القديمة فى الاستمرار والتواصل وبأنها ديانة جميع الأقوام التى عاشت فى بلاد الرافدين فى الفترات الزمنية المختلفة (٤) .

ب ـ التشبيه :

ومن أبرز الخصائص العامة فى ديانات بلاد الرافدين شيوع صفة التشبيه ووجود مذهب المشبهة أو مبدأ التأنس ، والمقصود بذلك أن تنسب الى الآلهة صفات البشر الروحية والمادية كالصورة والأعضاء والفكر كما عند الانسان غير أنها كانت تتميز عنهم بصفة الخلود (٥) .

فقد نقل السومريون ومعهم الساميون إلى آلهتهم جميع الأفعال التى يمارسها

---

(١) هى عاصمة الأشوريين بعد مدينة أشور .

(٢) قصة الحضارة مجلد ١ جـ٢ صـ٤٢ ـ ٤٣ راجع لانجر : موسوعة تاريخ العالم جـ١ صـ٥٥ .

(٣) بناء على ما رأينا من امتزاج واختلاط الديانات المختلفة رأيت أن من الافضل الاكتفاء بذكر الخصائص العامة والصفات البارزة لديانات بلاد الرافدين .

(٤) راجع طه باقر : ديانة البابليين والاشوريين صـ٢ ـ ٣ مجلة سومر العراقية المجلد الثانى سنة ١٩٤٦ م ، راجع أيضاً د / عامر سليمان : جوانب من حضارة العراق القديم ضمن كتاب العراق فى التاريخ صـ٢١٠ ـ ٢١١ .

(٥) وقد يحدث أن يموت بعض الآلهة مثل الاله الذى يمثل فصل الربيع ، ويكون ذلك لأمد محدد ويفسر الموت بالذهاب للعيش فى العالم الأسفل (راجع جورج رو : العراق القديم صـ١٣٠ ، طه باقر : ديانة البابليين صـ٥ مجلة سومر ١٩٤٦ م) .

البشر فى حياتهم الخاصة والعامة ، فهى تعيش وتأكل وتتزاوج وتلد ، وتسكن فى بيوت (هى المعابد المشيدة لها ، وفيها خدمها وطهاتها وكهنتها ، ولكل اله زوج أو زوجات ، وسرارى ومعشوقات ، وله بنون وبنات (١) ، وهم يرتدون لباساً كلباس البشر ، ولكن ثياب الآلهة كان أبهى من ثياب الأمراء كان يصدر عنها بريق يخطف الأبصار (٢) .

وتقع أيضاً من هذه الآلهة كل أخطاء ونزوات البشر ، فأفكارها قابلة للنضوب رغم علمها وثقافتها الواسعة ، وهى معرضة للنزق والطيش والظلم رغم اشتهارها بالعدالة ، وهى تتخاصم وتتحارب وتتألم ، ويمكن أيضاً أن تجرح ، وبإيجاز ، فقد كانت آلهة بلاد الرافدين تمثل أفضل جوانب الطبيعة البشرية وأسوأها (٣) .

جـ ـ الحيوية :

ومن الخصائص العامة أيضاً وجود مبدأ الحيوية (٤) وهو الاعتقاد بوجود قوى أو أرواح فى جميع الظواهر الطبيعية .

---

(١) ويلابورت : بلاد ما بين النهرين صـ١٦٦ ، كريمر : من ألواح سومر صـ١٥٤ ، ١٦٩ ، طه باقر : مقدمة فى تاريخ الحضارات جـ١ صـ٣٢٩ ـ ٣٣٠ ديانة البابليين صـ٤ ـ ٥ مجلة سومر ، د / نجيب ميخائيل : مصر والشرق الجزء السادس (حضارة العراق القديمة صـ١٠٩ ـ ١١٠ الطبعة الثانية ١٩٦٧ دار المعارف ، د / عامر سليمان : جوانب من حضارة العراق القديم ضمن العراق فى التاريخ صـ٢١١ .

ويقول ول ديورانت : « ولم يكن الآلهة بمنأى عن الأهلين ، فقد كان معظمهم يعيشون على الأرض فى الهياكل ، يأكلون الطعام بشهية قوية ، ويزورون الصالحات من النساء فى أثناء الليل فيستولدونهن أطفالاً » قصة الحضارة مجلد ١ صـ٢١٤ .

(٢) موسكاتى الحضارات السامية صـ٧٥ .

(٣) راجع جورج رو : العراق القديم صـ١٣ .

ونقرأ فى أدب وأساطير بلاد الرافدين تصوير كيد الأرباب بعضهم لبعض ، واسفاف بعضهم مع بعض ، وشيوع البغاء والمضاجعة والحسد فى مجتمعهم .

(راجع كريمر : من ألواح سومر صـ١٤٥ ، ١٨٦).

د / عبد العزيز صالح الشرق الأدنى القديم جـ١ مصر والعراق صـ٤٤٦ .

(٤) راجع طه باقر : مقدمة فى تاريخ الحضارات جـ١ صـ٣٣٠ ديانة البابليين صـ٤ مجلة سومر ، د / عبد العزيز صالح : مصر والعراق صـ٣٩٨ ـ ٣٩٩ ، د / عبد الحميد زايد : الشرق الخالد دار النهضة العربية صـ١٣٨ ، ١٤٨ .

فالآلهة السومرية والسامية فى الأصل ما هى إلا تجسيم أو تمثيل للظواهر البارزة فى هذا الكون ، ولا سيما القوى التى كانت تؤثر فى حياة القوم كالكواكب والظواهر الجوية المختلفة وفى مقدمتها القمر (١) ، والشمس (٢) والصواعق

---

(١) يأتى اله القمر قبل اله الشمس فى ترتيب الآلهة بناء على ما اعتقدوه من أن اله الشمس ابن لاله القمر ، وقد اشتهر اله القمر باسم (سين) وهو اسم سومرى نقله الأكديون عن السومريين ، وله نظائر سامية لدى الاراميين والأموريين ، وله أيضاً اسماء آخر منها (ننا) بمعنى رجل السماء وحرفه الأكديون الى (نتر) أى المنير « سين » هو سيد الشهير ، وكان خسوف القمر يمثل أهول الظواهر وأشدها روعاً ، وكان ينسب الى هجوم على الاله « سين » من سبع أرواح شريرة فى السماء ، وكانت صورة الكارثة تختلف حسب الشهر الذى يقع فيه الخوف ، فكانت ترسل الدعوات الى الاله ، وتقدم اليه القرابين ، حتى لا يولد من جديد أشد بهاء من ذى قبل منتصراً على الظلمات والموت .

وكان لهذا الاله زوجة تسمى « ننجل » وقد أنجبا كما يزعمون « الاله « شمش » اله الشمس والالهة « عشتر » واعتبروا « نسكو » اله النار ابناً لها فى بعض الأحيان .

وكانت مدينة أور مركز عبادة هذا الاله « سين » وزوجته وابنهما نسكو وزوجته ، وانتقلت عبادة هذه الآلهة الى حران (فى آرام) فى الشمال ، وانتشرت عبادة اله القمر من أور الى كل أرجاء بابل ومن حران الى سوريا وفينيقية .

راجع د. السيد يعقوب بكر : ناقلاً عن مصادر أجنبية : هوامش موسكاتى صـ٢٥٤ ـ ٢٥٥ الماضى الحى صـ٢٦ ـ ٢٧ ، ول ديورانت : قصة الحضارة مجلد ١ جـ٢ صـ٢٩ ، طه باقر : ديانة البابليين مجلة سومر صـ ، د / نجيب ميخائيل : مصر والشرق جـ٦ صـ١٢٤ ـ ١٢٦ .

وعن كيفية ولادة اله القمر من الاله انليل توجد اسطورة سومرية تبرز تصور السومريين للآلهة كيف تتزوج ويتصل ذكرها بأنثاها ثم يحدث الإنجاب .

راجع هذه الاسطورة من ألواح سومر صـ ١٦٥ ـ ١٦٩ .

(٢) اله الشمس (شمش) يأتى فى مرتبة الآلهة بعد ابيه اله القمر ، وذلك لاعتقادهم أن النهار يتولد من الليل فالشمس بنت القمر ، وكان السومريون يسمونه أوتو ، وكان يرمز به بقرص ذى جناحين ، ومن ألقابه « نور العالم » و « نور الآلهة » وهو الذى يطارد الظلمات ، ويقصر النهار ويطيل الليل كما يشاء ، وحياة العلم متوقفة عليه ، فهو الذى يهب الحياة ، وهو الذى يحى الموتى وكان له زوجة تسمى « أيا » وكان له أبناء ومستشارون يعاونوه فى القضاء ، وكانت له عدة مراكز هامة للعبادة منتشرة فى البلاد وبالرغم من تخصص عبادته هو واله القمر « سين » فى هذه المراكز إلا أنهما كانا بسبب طبيعتهما من المعبودات الجماهيرية حيث كانوا يطلقون ذلك عليهما.

(راجع جورج رو : العراق القديم صـ١٣١ ، د / السيد يعقوب بكر : هوامش موسكاتى صـ٢٥٥ ـ ٢٥٦ ، طه باقر : مجلة سومر صـ١٧ ـ ١٨ ، د / نجيب ميخائيل : مصر والشرق الأدنى جـ٦ صـ١٥٨ ـ ١٥٩ .

والعواصف (١) .

د ـ التعدد :

ومن هذه الخصائص أيضاً بل من أبرزها وضوحاً شيوع مبدأ « تعدد الآلهة (٢) وانتشار صفة الشرك فى ديانة بلاد الرافدين ، شأنها فى ذلك شأن سائر الديانات الوضعية القديمة .

ويرجع ذلك إلى أن هذه الآلهة ـ كما ذكرت آنفاً ـ كانت فى أصلها تمثل الظواهر الطبيعية المختلفة ، ولما كانت هذه الظواهر كثيرة ، وتكاد تكون غير محدودة ، فإن الآلهة قد ازدادت بزيادتها وتعددت بكثرتها ، حتى وصل عددها إلى الآلاف (٣) .

---

(١) اتخذ أهل الرافدين الهة للعواصف والقواصف وكان من أبرزها الاله أدد « وكان يسمى لدى السومريين (اشكر) ويرمز اليه فى كتابتهم بالرمز ومعناه « الريح » .
وكانت لأدد مكانة رفيعة فى البلاد حين قامت الدولة البابلية الأولى ، وفى قانون حمورابى يذكر أنه هو الذى يغرق الحقول ويحرق المحاصيل إذ أنه كان يمثل العاصفة سواء فى مظهرها اللين السخى من مطر وفيضان أو فى مظهرها العنيف المدمر من برق واعصار فقد كان قوة مدمرة وسخية فى نفس الوقت ، وكان له زوجة تسمى « شلا » ، وكان يعبد فى مدينة (شور منذ بداية الامبراطورية الأشورية) ويعد فيها ابنا لاله السماء (أن) .
وبجانب هذه الاله كان يوجد الاله ننجرسو على أنه اله العاصفة .
(راجع موسكاتى صـ٧٥ ، د / السيد يعقوب بكر : هوامش موسكاتى صـ٢٥٧ ـ ٢٥٨) ناقلاً عن مصادر أجنبية ، طه باقر : ديانة البابليين والأشوريين مجلة سومر صـ١٨ د / نجيب ميخائيل جـ٦ صـ١٣٥ ـ ١٤٠ .

(٢) راجع ألواح سومر : صـ١٧٠ ـ ١٧١ ، طه باقر : ديانة البابليين مجلة سومر صـ٤ ـ ٥ د / عبد العزيز صالح : مصر والعراق صـ٣٩٨ ، د / محمد جابر عبد العال : فى العقائد والأديان صـ٦٨ ـ ٧١ الهيئة العامة المصرية للتأليف والترجمة ١٩٧١ م .

(٣) ان الآلهة على كثرتها قد بلغت الألوف عدا توشك أن تملأ قاموساً كبيراً « أو مجلداً ضخماً وقد ألفت فعلاً عدة قواميس لهذه الآلهة .
يذكر العقاد أن أهل الرافدين قد ارتفعوا بعدد الآلهة إلى أربعة آلاف وقرنوا بها أنداداً لها من الشياطين والعفاريت تبلغ هذا العدد أو تزيد (الله صـ٢٠ الطبعة السادسة ١٩٦٩ دار المعارف) .
ويقول ول ديورانت : « ان الآلهة قد كثرت لأن أهل الرافدين كان لهم فى خلقها خيال واسع لا ينضب معينه ، وقد احصى عدد الآلهة احصاء رسمياً فى القرن التاسع ق . م فكانوا حوالى خمسة وستين ألف اله (قصة الحضارة مجلد ١ جـ٢ صـ٢١٣ .

مجمع الآلهة :

ولكن عندما تدرج القوم ، وارتفع مستواهم الاجتماعى ، وتكونت المدن المعظمة ، وتوحد القطر ، وانتقل من عهد دويلات المدن إلى دور الامبراطوريات الكبيرة ولد كل ذلك الحاجة إلى عملية الانتخاب من بين هذه الآلهة الكثيرة .

وتم انتخاب عدد كبير منها ـ مع تمييز بين الأهم والمهم من بين الظواهر الطبيعية التى تمثل الآلهة ـ وتنظيمها فى مجاميع ، وتحديد صفاتها ووظائفها ، وعلاقتها بعضها بالبعض وبالبشر ، مما كون لديهم لاهوتا منظما ، ونتج من هذا الانتخاب مجموعة كبيرة من الآلهة أطلق عليها « مجمع الآلهة » وكثيراً ما كانوا ينظمون آلهة هذا المجمع إلى مجموعات (١)صغيرة تحتوى كل منها على عدد من الآلهة يبلغ ثلاثة أو أربعة وعلى رأس تلك المجموعات تقف تلك المجموعة الرباعِية المكونة من هؤلاء الآلهة : آنو (٢) ، انليل (٣) ، انكى (٤) ، ننخرساك (٥) وتعتبر آلهة هذه المجموعة من الآلهة

---

(١) راجع كيفية تكوين هذه المجموعات وقيام الآلهة بوظائفها فى اطار تلك المجموعات : أرنولد توينبى : تاريخ البشرية الجزء الأول صـ٨٠ ـ ٨١ ترجمة نقولا زيادة بيروت ١٩٨٥ جورج رو : العراق القديم صـ١٣٠ ـ ١٣٥ ، صمويل كريمر : من ألواح سومر صـ١٥٥ ـ ١٥٦ موسكاتى : الحضارات السامية صـ٧٥ ، لانجر : موسوعة تاريخ العالم جـ١ صـ٥٤ ، طه باقر ديانة البابليين مجلة سومر صـ٥ ، د / عبد المنعم أبو بكر : العراق القديم ضمن كتاب حضارة مصر والشرق القديم صـ٣٠٢ .

(٢) آنو أو (أن) أو (أنوم) هو اله السماء كان يعتبر الاله الأعظم على مدى عصور التاريخ القديم فهو يتصدر دائماً قوائم الآلهة ، وتعتبره الآلهة أبا لهم جميعاً ، وكان له السلطة العليا التى تجعلهم خاضعين له ، فكان يفصل فى منازعاتهم ، وقراراته مطلقة لا تقبل الرد ولا الاستئناف ، وكان له زوجة تسمى « انتوم » (ديلابورت : بلاد ما بين النهرين صـ١٦٨ ، جورج رو : العراق القديم صـ١٣٣ ، د / السيد يعقوب بكر : هوامش موسكاتى : صـ٢٥٢ ـ ٢٥٣ ، طه باقر : ديانة البابليين سومر صـ١٥ ، د / نجيب ميخائيل : مصر والشرق جـ٦ صـ١١٣ ـ ١١٥ ، د / فوزى رشيد : المعتقدات الدينية ضمن كتاب حضارة العراق الجزء الأول صـ١٤٩ ـ ١٥٢ العراق بغداد ١٩٨٥ م .

(٣) انليل : (اله الجو والهواء) والمعنى الأصلى لاسمه المركب (ان ـ ليل) هو « سيد الريح » والريح تهب فى اعتقادهم من الجبل ، ولهذا لقب نليل بـ « الجبل الكبير » فى السومرية .

وبالرغم من أنه يأتى فى المرتبة بعد « آنو » لأنه أحد أبنائه ـ إلا أنه نجح فى اغتصاب حق « آنو » والاستحواذ على السيادة المطلقة على كافة الآلهة (وهو الذى أحدث الطوفان فى اعتقادهم ، وكانت له زوجة تسمى « ننليل » واسمها مأخوذ من اسمه ، وله سبعة أولاد (جورج رو : العراق القديم صـ١٣٣ ، ديلابورت : بلاد ما بين النهرين صـ١٦٩ ، د / رشيد الناضورى : =

العظام ـ فى تصورهم ـ التى عمت عبادتها وتقديسها جميع أنحاء البلاد ، واستمرت عبادتها وتقديسها أيضاً فى جميع أدوار التاريخ (١) .

عقيدة التفريد و « الآلهة القومية »

هذا ولم تعرف ـ حسب معلوماتنا ـ (٢) عقيدة التوحيد الخالص فى ديانة بلاد الرافدين ، وإنما وجد لديهم ما يسمى بعقيدة « التفريد » وهى لا تعنى توحيداً خالصاً ، وإنما تعنى إفراد اله واحد بالتقديس ، والاقتصار عليه فى العبادة ، من بين هذه الآلهة المتعددة وتفضيله عليها ، وهم فى ذلك لم يتخلصوا من الوثنية ، بل بقيت عالقة فى تصوراتهم الوثنية لهذا الاله ، وما يضفون عليه من خرافات ، وما ينسبونه اليه من أعمال بشرية ، وما يصفونه به من أوصاف آدمية .

= المدخل فى التطور التاريخى للفكر الدينى صـ٥٦ بيروت ١٩٦٩ م ، د / فوزى رشيد / المعتقدات الدينية (حضارة العراق جـ١ صـ١٥٢ ـ ١٥٤ ولمعرفة نموذج من أعمال هذا الاله ، وكيفية خلقه للصيف والشتاء وفصله بينهما فى تصورهم ـ راجع من ألواح سومر صـ٩٨ ـ ١٠٣ د / عبد العزيز صالح : مصر والعراق صـ٣٩٩ .

(٤) انكى : هو الاسم السومرى القديم ويعنى « سيد الأرض » ولأن الأرض لا تثمر بدون الماء فقد صار « انكى » اله المياه وأصبح اسمه « ايا » أى بيت الماء ، ويطلق على مملكته الـ « ايسو » مسكن المعرفة ، وبجانب ذلك فهو اله السحر والمعوذ بين الآلهة حيث إن الماء كان يستعمل فى التطهير والقضاء والتنبوء (ديلابورت : بلاد ما بين النهرين صـ١٦٩ ، د / السيد بكر : هوامش موسكاتى صـ٢٥٣ ـ ٢٥٤ ، د / نجيب ميخائيل جـ٦ صـ١١٧ ـ ١٢١ .

ولمعرفة مزيد من أعماله التى تنسب اليه راجع من ألواح سومر صـ١٧٨ ـ ١٨٢ د / عبد العزيز صالح : مصر والعراق صـ١٥٥ ـ ١٥٨ .

(٥) ننخرساك أو ننخرساج هى الالهة الخالقة (الالهة ـ الام) وتعرف باسم ننماخ أيضاً (أى السيدة المعظمة وباسم « ننتو » (أى السيدة التى تلد أو السيدة « الوالدة » وقد قامت بدور هام ـ حسب أساطيرهم ـ فى خلق الانسان .

(١) راجع حول ذلك فى كتاب صمويل كريمر : من ألواح سومر صـ١٨٣ ـ ١٨٤ .

(٢) راجع حول ذلك موسكاتى : الحضارات السامية صـ١٧١ ، طه باقر : ديانة البابليين والأشوريين صـ٤ مجلة سومر .

وهم فى نفس الوقت لا ينكرون وجود بقية الآلهة ، وإنما يعتقدون بوجودها ولكنها منهزمة ومستسلمة لالههم القومى الكبير ، أو أنهم ليسوا سوى مظاهر لهذا الاله .

ويمكن لنا أن نضرب لذلك مثلين ، أو نأخذ نموذجين من الآلهة القومية ممثلين فى عبادة كل من البابليين والأشوريين ، إذ كان لكل منهما اله قومى الطابع ، أفردوه بالعبادة والتقديس .

البابليون والههم القومى (مردوخ) أو « مردوك » :

لم يبلغ اله من آلهة الشرق القديم مثل ما بلغه مردوك (١) من شيوع ونفوذ إذ أنه قد ارتبط مصيره بمصير مدينة بابل (٢) ، فكان فى أول أمره الها محلياً وعبادته محصورة فى تلك المدينة (٣) وظل الشعب البابلى يقدم عبادته وولاءه لآلهة السومريين القديمة ولكن ما ان تفوقت بابل سياسياً ، وسيطرت على البلاد ، حتى تبوأ مردوخ المقام الأول بين الآلهة ، وحل محل الاله انليل كبير الآلهة السومرية (٤) .

وأخذ أهل الرافدين يبجلونه هو وزوجته ، حتى عندما فتح ملوك أشور أرض بابل ، أبدوا ولاءهم لآلهتها ، وفى مقدمتها مردوك وزوجه .

وفى عصر الدولة البابلية الأخيرة بلغ مردوك وزوجه ذروة مجدهما ، وبعد أن فتح كورش الفارسى بابل بقيت لمردوك وابنه مكانتهما بل ظلا موضع الإجلال بعد ذلك أيام السلوقيين سواء فى الحياة الخاصة أو الاحتفالات الرسمية (٥) .

---

(١) معنى مردوخ بالسومرية « عجل اله الشمس » وينطق أيضاً « ماردوكو » و « مارتوكو » بمعنى ابن الاله وكان له زوجة هى الاله صربانيتم ومعناها « الفضية » وينادونها فى الطقوس « يا سيدتى » كما ينادونه « يا سيدى » .

راجع هوامش موسكاتى صـ٢٦٣ ، د / نجيب ميخائيل : مصر والشرق جـ٦ صـ١٤٩ ـ ١٥٢ د / فوزى رشيد : المعتقدات الدينية ضمن حضارة العراق جـ١ صـ١٦١ ـ ١٦٢ .

(٢) د / السيد يعقوب بكر : هوامش موسكاتى صـ٢٦٠ ، د/ نجيب ميخائيل جـ٦ صـ١٤٩ .

(٣) طه باقر : ديانة البابليين مجلة سومر صـ١٦ .

(٤) ديلابورت : بلاد ما بين النهرين صـ١٧٢ ، لانجر : موسوعة تاريخ العالم جـ١ صـ٥٦ ، بريستيد : العصور القديمة صـ١٤٥ .

(٥) د / السيد يعقوب بكر : هوامش موسكاتى صـ٢٦٣ ، طه باقر : ديانة البابليين سومر صـ١٦.

هذا وقد شغل البابليون بتمجيد الههم القومي هذا منذ بداية الألف الثاني ق . م وساعدهم الكهنة في ذلك ، إذ أعادوا صياغة قصة الخلق السومرية حتى جعلوه هو الخالق الأول (١) واستمرت عبادته حتى تحدث عنه ارميا عندما سقطت بابل (٢) .

الأشوريون والههم القومي « اشور » :

اتسمت الحضارة الأشورية بالتفوق الحربي والنفوذ العسكري ، ولم يكن للدين سلطان مطلق على حكام اشور بقدر ما كان له في بابل ، إذ كان يتم تكييفه وتعديله بما يوافق حاجات الملوك وأذواقهم ، وبما يلائم عبقرية الشعب الحربية (٣) .

ومع ذلك ـ ولشدة انشغالهم بالفتوحات والحروب ـ فقد تبنوا ديانة بلاد الرافدين وثقافتها بوجه عام (٤) ، ولم يضيفوا اليها شيئاً ، وإنما تلقوها بقبول شديد ، وكان لهم دور كبير في حفظها وصيانتها (٥) .

وبالرغم من أنهم كانوا يقدسون جميع آلهة بلاد الرافدين تقريباً (٦) إلا أنهم ظلوا متمسكين باله قبيلتهم القديم أشور (٧) وجعلوه الههم القومي ، وأحلوه محل الاله

(١) تفاصيل ذلك عند الحديث عن تأثر اليهودية بالديانات في قصص الخلق والطوفان في الباب الثالث . وسبحان الله وتعالى عما يشركون .

(٢) ارميا ٥٠ : ٢ / ٥١ : ٤٤ ، ولمعرفة مزيد من التفاصيل راجع هوامش موسكاتي صـ٢٦٠ ، د / نجيب ميخائيل جـ٦ صـ١٤٩ ـ ١٥٢ .

(٣) راجع في ذلك ديلابورت : بلاد ما بين النهرين صـ٣٨١ ، ول ديورانت : قصة الحضارة مجلد ١ جـ٢ صـ٢٧٥ ـ ٢٨٣ ، د / عبد المنعم أبو بكر : العراق القديم ضمن حضارة مصر والشرق صـ٣٤٣ .

(٤) اندريه بارو : بلاد اشور : نينوى وبابل صـ١٧ ـ ١٨ .

(٥) راجع الفلسفة في الشرق صـ١٨١ ، موسوعة تاريخ العالم جـ١ صـ٥٧ .

(٦) ديلابورت : بلاد ما بين النهرين صـ٣٨٢ .

طه باقر : ديانة البابليين والأشوريين سومر صـ١٩ .

د / عبد المنعم أبو بكر : العراق القديم ضمن حضارة مصر والشرق صـ٢٤٣ .

(٧) اشور : بتشديد الشين أو تخفيفها هو الاله القومي للأشوريين ، وكبير آلهتهم حتى نهاية امبراطوريتهم ، وكانوا ينطقون اسمه بسين مشددة (هوامش موسكاتي صـ٢٦٤ ، د / ميخائيل جـ٦ صـ١٥٤ ـ ١٥٥ .

البابلى مردوخ فاغتصب الاختصاصات التى كان مردوخ قد سلبها من انليل كبير الآلهة السومرية (١) .

وهكذا استطعنا التعرف الى حد ما على ديانات بلاد الرافدين ، وإذا كنت قد حاولت ـ بصعوبة كبيرة وفى ايجاز شديد ـ أن أبرز الملامح الرئيسية لهذه الديانات ، فإن صورتها العامة ستتضح لنا أكثر من ذلك عند بيان تأثر اليهودية بها من نواحيها المختلفة وجوانبها المتعددة .



(١) ومن ذلك انهم جعلوه هو الخالق فى قصة الخلق الأشورية ، ونسبوا اليه زوجة انليل وسموها بعشتار الأشورية .

راجع بريستيد : العصور القديمة صـ١٦٢ ، ديلايورت : بلاد ما بين النهرين صـ٣٨١ ـ ٣٨٢ ، هوامش موسكاتى صـ٢٦٤ ، د / ميخائيل جـ٦ صـ١٥٥ ـ ١٥٧ د / فوزى رشيد : المعتقدات الدينية ضمن حضارة العراق جـ١ صـ١٦٣ ـ ١٦٤ .

المبحث الثاني : ديانات بلاد سورية :

إذا ذكرت سورية في التاريخ القديم فلا يقصد بها سورية بحدودها السياسية الحالية ، وإنما تعنى المنطقة التي عرفها اليونان بهذا الاسم (١) وسماها العرب ببلاد الشام (٢) ، وأطلق عليها العهد القديم بلاد آرام (٣) .

وتشتمل الآن على الوحدات السياسية الثلاث : الجمهورية السورية ، ولبنان ، وفلسطين (٤) .

وكانت سورية ـ بموقعها الاستراتيجي (٥) ـ ملتقى مدنيات وديانات كثيرة اختلطت فيها مع الديانات والحضارات السامية القديمة ،وكانت معينا استقت منه مدنيات البحر الأبيض المتوسط ، وعلى أرضها وتحت سمائها نشأت ديانات وأساطير

---

(١) سورية كلمة يونانية منقولة محرفة عن أصل سامي قديم ، ومنذ العهد اليوناني استخدم ـ اصطلاح سورية وظل استعماله ساريا حتى العصور الحديثة .(راجع عباس العقاد : الثقافة العربية أسبق من ثقافة اليونان ص ٢١ ـ ٢٢ الهيئة المصرية للكتاب ١٩٨٥ م ، د / محمد عبدالقادر محمد : الساميون في العصور القديمة ص ١٨٧ دار النهضة العربية ١٩٦٨ القاهرة د / نجيب ميخائيل جـ ٣ صـ٧ . (٢) أطلق عليها العرب اسم الشام وتعنى اليسار أو الشمال بالمقابلة مع اليمن بالنسبة لأهل الحجاز (المصدر السابق صـ٧ د / ميخائل ، د / عبد الحميد زايد / الشرق الخالد صـ ٢٣٥ .

(٣) قاموس الكتاب المقدس ص٤٩٢ .

(٤) د / فخرى : دراسات في تاريخ الشرق القديم صـ ٥٢ .

(٥) تمتد بلاد سورية من صحراء العراق شرقاً ومن ساحل البحر الأبيض المتوسط غرباً ، ويحدها من الشمال جبال طوروس في جنوبي الأناضول ، ومن الجنوب صحراء شبه الجزيرة العربية ، وبهذا الموقع كانت سورية حلقة الاتصال فيما بين القارات الثلاث الرئيسية في العالم القديم ، وكان لها أهميتها التجارية والثقافية (راجع موسكاتي ص ٣٦ ، ٣٩ ، ١٢٢ ، د / محمد ابو المحاسن عصفور : معالم تاريخ الشرق ـ الأدنى القديم صـ٢٦٤ و د / محمد عبد القادر محمد : الساميون في العصور القديمة د /نجيب ميخائيل : مصر والشرق جـ ٣ صـ ٧ ـ٨ .

كان لها الأثر الأكبر على الفكر الانسانى فيما تلا ذلك من عصور (١).

وقد سبق أن أشرت إلى أنها كانت محطا لهجرات عدد كبير من الأقوام الساميين بل ان نصابها من هذه الهجرات كان أكثر من غيرها .

ويهمنا هنا أن نتعرض لأبرز ديانات هؤلاء الساميين ، والتى ظلت قائمة حتى عاصرها اليهود واختلطوا بأصحابها.

ومن هذه الأديان :

١ ــ ديانة الأموريين ٢ ــ ديانة الكنعانيين ٣ ــ ديانة الاراميين

١ــ ديانة الأموريين :

الأموريون :

الأموريون (٢) هم أول شعب سامى هام أقام فى بلاد سورية (٣) ، اذ ــ أنهم يمثلون الموجة الأولى من الموجات السامية الكبرى .

وقد استقروا أولاً فى شمال البلاد ،ثم أخذوا ينتشرون في مختلف أنحائها حتى صبغوها بالصبغة السامية ، ولذلك فاننا لانعرف عن أهل البلاد الاصليين ــ قبل قدوم الأموريين اليها ــ الشئ الكثير ، بل ان معلوماتنا عنهم نادرة ان لم تكن معدومة

---

(١) د / أحمد فخرى : دراسات فى تاريخ الشرق القديم صــ ١٢١ ــ١٢٢ .

(٢) أول من سماهم بهذا الاسم هم جيرانهم السومريون فكلمة أموريين غير سليمة منقولة عن الاصطلاح السومرى « مارتو » ومنه الكلمة الأكدية « أمورو » ومنه كذلك « مارى » اسم عاصمتهم ، وهى تل الحريرى الان .

ومعنى الاموريين (أهل الغرب) بالنسبة للسومريين ،

وقد توسع البابليون فيما بعد فى مدلول الاسم فصار يشمل سورية كلها وسموا البحر المتوسط « بحر أمور العظيم » .

(د / فيليب حتى : تاريخ سورية جـ ١صــ ٧٠ ، تاريخ لبنان من أقدم العصور التاريخية إلى عصرنا الحاضر ترجمة د / انيس فريحة صــ ٨١ بيروت الطبعة الثالثة ١٩٧٨ ود / نجيب مخائيل : مصر والشرق جـ ٣ صــ ٢٨ .

(٣) د/ فيليب حتى : تاريخ سورية جـ١ ص٧٠ .

في بعض النواحي، ولكن العنصر الغالب عليها كان من الآموريين الذي عرفوا بتأسيس دولهم قبل الكنعانيين على أية حال (١) ، فقد أسسوا فى بداية الألف الثانى ق . م سلسلة من الدول فى بلاد سورية وأرض الرافدين (٢).

الديانة :

لم تختلف الديانة الامورية غالباً عن عبادة قوى الطبيعة عند الساميين التى كانت شائعة بين الرحل فى بادية الشام و بلاد العرب

فقد كانوا يعبدون اله قبيلتهم القديم واسمه « أمورو » أو « مارتو » وعرف لديهم بأنه اله الصيد والحرب ، ثم صار كبير آلهتهم، واعتقدوا أن له زوجة تسمى « عاشرة » وتتصف بحب المسرات والنشاط (٣) .

وكان يوجد بجانب هذه الاله عدد من الآلهة التى لم تحدد صفاتها ويظهر كثير منها فى اعداد الآلهة الكنعانية فيما بعد .

وأهم هذه الآلهة الاله « حدد » بالأكادية « أدد » أوآدو المعروف أيضاً باسم رمانو (صانع الصواعق) وهو اله الرعد والمطر والعاصفة ، وكان يمثل نوعاً شائعاً من الآلهة في غربى آسيا ، ويظهر عادة مع الثور والصاعقة ثم أصبح بعد ذلك البعل الأعظم ، والاله الرئيسى فعرف باسم « مارتو » ، ويوجد إله آخر ذى شأن اسمه « رشف » وهو اله النار الذى انتقلت عبادته إلى الأموريين من مصر ، ثم الاله دجن أو « دجان » اله الخصب والطعام (٤).

هذا وقد عرف الأموريون أيضاً عبادة الأفعى التى كانت تتصل بمعبودة لها علاقة بالقمر ويقابل اسمها « أشيراً » بالعبرية وهى عبارة عن عمود مقدس أوجذع

---

(١) د / نجيب ميخائيل : مصر والشرق جـ٣ صـ٢٧ ـ٢٨ .

(٢) موسكاتى : الحضارات السامية صـ١٢٣ ، ٢٢٥ ، د/ حتى : تاريخ سورية جـ١ صـ٧٢ وقد سبق أن ذكرت أن البابليين القدماء تفرعوا عنهم وأسسوا دولة بابل الأولى .

(٣) د / فيليب حتى : تاريخ سورية جـ١ صـ٨٣ ، د/ نجيب ميخائيل جـ ٣ صـ٢٨ ، د/ عبد الحميد زايد : الشرق الخالد صـ٢٣٩ .

(٤) د/ نجيب مخائيل جـ٣ صـ٢٩ ، د/ حتى المصدر السابق .

شجرة يستعملان في بعض الطقوس الدينية (١) .

وكان هذا العمود المقدس من الطقوس البارزة التي أدخلها الأموريون في البلاد (٢) .

وبجانب ذلك فقد تأثر الأموريون كثيراً بالديانة السومرية كما أشارت إلى ذلك مختلف المصادر (٣).

٢ ـ ديانة الكنعانيين الفينيقيين :

الكنعانيون الفينيقيون :

يذكر المؤرخون أن الكنعانيين الفنيقيين شديدو الصلة بالأموريين إذ ينتمي الشعبان إلى أصل سامي واحد(٤) ، ويتحدثان بلغتين متشابهتين إلى حد كبير(٥) .

ويبدوا أن الكنعانيين الفينيقيين قد قدموا إلى بلاد سورية مع الأموريين (٦) ـ أو في

---

(١) د/ حتى : المصدر السابق د : ميخائيل جـ ٣ صـ ٢٨ .

(٢) حتى : تاريخ سورية جـ١ صـ ٨٤ د/ عبد الحميد زايد / الشرق الخالد صـ ٢٣٩

(٣) د/ مخائيل جـ ٣ صـ ٢٨ .

(٤) يرى المؤرخون أنه ليس هناك من فروق عرقية أساسية بين الشعبين الكنعاني والأموري ، وإنما الخلاف البين بينهم ينحصر في تأثر الأموريين بحضارة وادي الرافدين ، حيث استوطنوا شمالي سورية القريب منه ، بينما استوطن الكنعانيون على الساحل اللبناني القريب من مصر ، فكان طبيعياً أن يتأثروا بالحضارة المصرية .

(د/ فيليب حتى : تاريخ لبنان صـ ٨١ ـ ٨٢ ، د/ نجيب ميخائيل : مصر والشرق جـ٣ صـ ٣٠ ـ ٣١) .

(٥) وقد أدى هذا التشابه إلى أن يطلق على لغة الأموريين « الكنعانية الشرقية » تمييزاً لها عن لغة الكنعانيين التي عرفت بالكنعانية العربية أو الفينيقية ، وذلك على أساس أن اللغتين تعدان لهجة من فروع كتلة اللغات السامية (د/ نجيب مخائيل : مصر والشرق جـ٣ صـ ٣٠ ، ٣١ ، د/ محمد بيومي مهران دراسات في تاريخ الشرق الأدنى اسرائيل جـ٨ ص ـ ٥١٤) .

(٦) يذهب كثير من المؤرخين إلى أن الموجة التي أتت بالشعب الأموري من الصحراء العربية إلى الهلال الخصيب هي الموجة ذاتها التي أتت بالشعب الكنعاني (د / حتى : تاريخ لبنان صـ ٨١ د/ نجيب ميخائيل جـ٣ صـ ٣٠ ، د/ محمد أبو المحاسن عصفور : معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم صـ ٢٧٨).

أعقابهم مباشرة (١) ـ ومن ثم فهم الجماعة السامية الثانية التى لعبت دوراً رئيسياً فى تاريخ البلاد (٢).

ولا يعرف على وجه اليقين متى دخل الكنعانيون إلى بلاد سورية ، ومن المرجح أن هجرتهم قد تمت فى أوئل الألف الثالث ق . م .

والسؤال الذى يتبادر إلى الذهن هو هل هناك فرق بين الكنعانيين والفينيقيين أو ـ أنهما شعب واحد ؟

والحقيقة أن المؤرخين يرون أن الكنعانيين والفينيقيين شعب واحد ، ويرجعان إلى أصل سامى واحد ، لكن غلبت التسمية الأولى على سكان الداخل وأطلقت التسمية على أهل الساحل (٣).

وجاءت التفرقة بينهما فى التسمية متأخرة عن طريق اليونان ـ اذ أن الفينيقيين أنفسهم كانوا يتسمون أولاً بالكنعانيين ، كما كان اليهود يسمون الفينيقيين كنعانيين بسائر فروعهم وأنسابهم (٤) ـ فقد حدث أن اليونانيين اتصلوا بالكنعانيين الذين اقاموا على الساحل اللبنانى و أطلقوا عليهم اسم الفينيقيين (٥) .

ومند ذلك الحين (١٢٠٠ ق . م) صارت كلمة فينقيا مرادفة لكلمة (كنعان) وأصبحتا تعنيان على الأغلب شيئاً واحداً ، فلقد وردت كلمة كناجى فى اللغة

---

(١) يذكر كونتنتو أن موجة الكنعانيين جاءت عقب موجة الأموريين فالكنعانيون يمثلون الموجة السامية الثانية (ج . كونتنوا : الحضارة الفينيقية صـ ٣٩٩ ترجمة محمد عبد الهادى شعيرة نشر ادارة الثقافة العامة بوزارة التربية والتعليم القاهرة من سلسلة المراجع الجامعية .

(٢) راجع د/ نجيب ميخائيل : مصر والشرق جـ ٣ صـ ٣٠ الطبعة الثالثة ، د/ محمد بيومى مهران : دراسات فى تاريخ الشرق جـ ٨ صـ ٥١٤ .

(٣) د/ ثروت أنيس الأسيوطى : نظام الأسرة بين الاقتصاد والدين ... بنو اسرائيل صـ ١٢٦ دار الكاتب العربى للطبع والنشر القاهرة ، الماضى الحى صـ ١٠٣ ، موسوعة تاريخ العالم جـ ١ صـ ٧٢ .

(٤) د/ حسن ظاظا : الساميون ولغاتهم صـ ٥٨ ، د/ عبد الحميد زايد : الشرق الخالد صـ ٢٤٢.

(٥) ولفنسون : تاريخ اللغات السامية صـ ٥٦ ، عباس العقاد : الثقافة العربية صـ ٢٢ ، واسم فينيقية مشتق من الكلمات اليونانية (فونيكس) بمعنى اللون الأحمر . (راجع كونتنتو : الحضارة الفينيقية صـ ٣٩١ـ ٣٩٢ .

الحورية وتعني اللون الأحمر وتقابلها فى الأكدية كلمة كناخي وهى فى الفينيقية كنيع وفى العبرية كنعان ، ـ لكنها مسميات تعنى الحمرة الأرجوانية (١) .

وبذلك فقد اتفقت التسمية السامية القديمة (٢) (كنعان) والتسمية اليونانية (فينيقيا) فى أن تربط الكنعانيين والفينيقيين باللون الأحمر ، وبناء على ذلك فان الكنعانيين هم الفينيقيون .

الديانة :

كانت الديانة الكنعانية الفينيقية ـ التى لم تكن تختلف جوهراً عن سائر الديانات السامية (٣) ديانة تؤله قوى الطبيعة وتعبدها (٤)، ومن أجل ذلك فانها قد ارتكزت أصلاً على مظاهر الخصب والإخصاب المتعلقة بمظاهر الطبيعة (٥).

ومن ثم يمكن رد الآلهة التى عبدها الكنعانيون إلى مبدأين مقدسين هما التذكير

---

(١) أطلق اليونانيون على سكان المدن السواحلية على شاطئ البحر المتوسط بما فيهم ـ الفينيقيون اسم (فونيكس) بمعنى اللون الأحمر لأنهم قد تخصصوا فى صناعة نوع من الصبغة الأرجوانية كانت تستخرج من حيوانات بحرية تكثر قرب شواطئها ، ومن هنا جاءت نسبتها إلى اللون الأحمر . (راجع د/ فيليب حتى : تاريخ سورية جـ١ صـ ٨٦ـ ٨٧ ، موجز تاريخ الشرق الأدنى صـ ٧٧ ، تاريخ لبنان صـ٨٢ ، كونتنو : الحضارة الفينيقية صـ ٣٩١ ـ ٣٩٢ ـ ، د/ محمد عبد القادر محمد : الساميون فى العصور القديمة صـ ١٩١ ،

(٢) من المؤرخين من يرى أن كلمة كنعان مشتقة من أصل سامى (خنع ـ قنع ـ كمع) اشارة إلى الصفة ، ومنها مجازاً « الأرض المنخفضة » على عكس مرتفعات لبنان فسمى هؤلاء الساميون بالكنعانيين أى سكان المنخفض (د/ محمد بيومى مهران : دراسات فى تاريخ الشرق الأدنى القديم جـ ٨ ، اسرائيل صـ ٥٢٠) .

ويعتقد اليهود أن الكنعانيين يرجعون إلى كنعان بن حام بن نوح (تكوين ١٠ : ٦ ، اخبار أول ١ : ٨) . وفى الفصل الثانى من هذا الباب سأتحدث عن الكنعانيين فى نظر اليهود عند بيان الصلات ـ التاريخية بينهم .

(٣) يذكر العلماء أن الكنعانيين قد استعاروا من عبادات جيرانهم وطقوسهم فى بابل ومصر وأعاروا هم أيضاً ، وهنا يتجلى الطابع المركب التوفيقى الذى تتسم به حضارتهم (راجع موسكاتى صـ ١٢٨ ، ١٣٠ ، ١٣١) ، كونتنو : الحضارة الفينيقية صـ١٠٧ . د/ حتى : تاريخ سورية جـ ١ صـ ١٢٥ .

(٤) د / حتى : تاريخ لبنان صـ١٦١ ، موجز تاريخ الشرق الأدنى صـ٨٧.

(٥) كونتنو : الحضارة الفينيقية صـ ١١٠ ، د/ نجيب ميخائيل جـ ٣ صـ ٦٤ ، أنيس فريحة ملاحم وأساطير من أوغاريت (رأس الشمرا) صـ ٩٠ لبنان ١٩٦٦ م .

والتأنيث ، أو الاله الكبير والإلهة الكبيرة ، وأمثالهما معروفة فى كل آسيا الغربية (١).

ويذكر موسكاتي أن الآلهة الكنعانية كانت ذات طابع غير محدد أو ثابت فكثيراً ماتتبادل صفاتها ، ووظائفها ، وصلاتها ، بل وجنسها أيضاً ، حتى ليصعب أحياناً أن نعرف حقيقة صفتهاو صلاتها بعضها ببعض (٢).

ولكن بعد العثور على نصوص أو غاريت (٣) حديثاً تبين أن هناك مجمعاً للآلهة الكنعانية الفينيقية .

وكان على رأس هذا المجمع رب يدعى « ال » وليس هذا الاسم علماً فى الأصل ، ولكنه اسم سامي عام معناه « اله» وقد استعملته شعوب كثيرة علماً على الإله الأكبر (٤) ، وكان هذا الإله يعتبر أبا للآلهة جميعاً ، اذ كان يجلس على عرش

---

(١) المبدآن كانا يعبدان فى جميع أنحاء تلك الأقاليم فى آسيا العربية مع اختلاف يسير فى الشكل ، فتارة يتخذ مبدأ التأنيث شكل الهة شأنها التكاثر مثل عشتار البابلية أو تتخذ مبدأ التأنيث شكل الحية شأنها الأخصاب مثل اترجاتيس السورية والالهة الكبيرة بأسيا الصغيرة .

وأما الذكر فيتمثل عادة فى صورة رجل ناضج ذى لحية يمسك فى يده بصاعقة ويتخذ من الثور لازمة حيوانية .... (راجع كونتنو : الحضارة الفينيقية صـ ١٢٨ . د/ نجيب ميخائيل : مصر والشرق جـ ٣ صـ ٦٤ . (٢) الحضارات السامية القديمة صـ ١٢٧ .

(٣) ثم العثور مصادفة على بلاطة فى رأس الشمرا شمالي مدينة اللاذقية ، وأدى ذلك إلى حفريات أسفرت عن اكتشاف مدينة أو غاريت بما فيها من نصوص كنعانية ، وقد أدى اكتشاف هذه النصوص إلى مزيد من المعلومات عن ديانة الكنعانيين ومدى علاقتها بالديانة اليهودية . (راجع تاريخ لبنان : د/ حتى صـ ١٥٣ ـ ١٥٤ ، د/ أنيس فريحة ملاحم وأساطير من أوغاريت (رأس الشمرا) صـ ٢٠ ـ ٢٦.٨٨ ـ ٩٣ . موسكاتي : الحضارات السامية صـ ١١٦ ـ ١١٨ (٤) كان هذا الاله يلقب بألقاب مختلفة واعتقد الكنعانيون أنه يسكن عند منبع النهرين ووسط مجارى المحيطين رأى فى أطراف العالم بعيداً عن الآلهة والبشر، وتصوروا له زوجة تسمى « أثرت » وتلقب في نصوص أوغاريت بلقب السيدة ، كما أن زوجها (ال) خالق الخلق فهي خالقة الآلهة وكان يتم التقرب إليها لتتدخل في التأثير علي زوجها (موسكاتيصـ١٢٧ ، هوامش موسكاتي د / سيد بكر صـ٢٧٢ ـ ٢٧٣ ، د / أنيس فريحة : ملاحم وأساطير من أوغاريت صـ٤١ ـ ٤٣ موسوعة تاريخ العالم جـ ١ صـ٧٣ .

الآلهة ويرأس المجمع المقدس (١) .

ويأتي بعد(ال) الاله بعل (٢) ، وكان أيضاً من أبرز الآلهة الكنعانية وقد كان له ألقاب يعرف بها منها الظافر ، والمنتصر ، أو الشجاع في الحرب (٣) وله زوجة تسمى عشيرة(٤) .

وكان من أخطر خصوم بعل ومنافسيه إله البحر والمياه المتمردة « يم » (٥) ومن الآلهة الثانوية كان يوجد الاله اشمون والاله « موت » والاله رشف والالهة عنات (٦) .

هذا وقد قدس الكنعانيون الأشجار والجبال والمياه ، وأنشأوا لآلهتهم الهياكل ، وقدموا لهم القرابين فوق المرتفعات والأماكن العالية ، واشتهروا بكثير من الطقوس والعادات التي تسربت إلى اليهود .

---

(١)ملاحم وأساطير من أوغاريت صـ ٤١ .

(٢) كلمة بعل اسم عام في الأصل معناه « سيد » ولهذا أمكن اطلاقه على آلهة مختلفة ، وقد جرى بعض العلماء على اعتبار بعل الها معينا وهذا خلط يحسن أن يزول فان اللفظ يطلق على الآلهة بوجه عام ، فيما عدا اطلاقه في نصوص رأس شمرا على الاله الأكبر بعل فيقال ماعدا هذا الاستثناء بعل هذا الاقليم أوذاك ، اذ كان لكل اقليم أو مدينة بعلها (أى سيدها) أو إلهها الخاص مثل بعل صوروبعل صيداً .

راجع كونتنو : الحضارة الفينيقية صـ ١٠٤ ، ١١٩ ـ ١٢٠ .

ول ديورانت : قصة الحضارة مجلد ١ صـ ٣١٥ ، الماضي الحي صـ ١٠٧ ، موسكاتي صـ ١٢٨

(٣) ملاحم وأساطير من أوغاريت صـ ٤٧ .

(٤) د/ نجيب ميخائيل : مصر والشرق جـ٣ صـ٦٣ .

(٥) وكان هذا الاله يلقب بقاضي النهر اذ ان كان الكنعانيين قد تخيلوا نهرا يحيط بأقاصي المعمورة ، وعنده ينتهي العالم العلوى ليبدأ العالم السفلى وعنده تؤدى كل نفس حسابها قبل دخول عالم الأموات وبما أن سيد العالم السفلى هو « يم » فكان على كل انسان أن يؤدى حسابه له فهو قاضي الأموات عند النهر ملاحم وأساطير صـ ٥٣ .

(٦) المصدر السابق صـ ٤٠ ـ ٤١ ، كونتنو صـ ١٠٨ ، تاريخ لبنان صـ ١٦٤ .

٣ـ ديانة الآراميين :

الأراميون :

يشكل الأراميون (١) الموجة الثالثة (٢) من موجات الساميين إلى بلاد سورية (٣) وكانوا فى بداية أمرهم مجموعات من قبائل البدو والرحل أطلق عليهم أسماء مختلفة (٤) .

وقد اختلف فى تحديد موطنهم الأصلى (٥) ولكن المرجح أنهم ـ كغيرهم من الساميين نزحوا من الجزيرة العربية (٦) .

ويؤكد المؤرخون العرب أن القبائل الأرامية ترجع إلى الأصل العربى فهى والعرب البائدة أو العاربة من أصل واحد ، ولذا كانوا ينسبون شعوب العرب البائدة جميعاً إلى ارم ويسمونها بالارمان (٧) .

---

(١) تسمية ارام معناها سكان البلاد المرتفعة أو العالية ، وورد فى قاموس الكتاب المقدس أن لفظ ارام فى الأكادية « ارامو » وان الإراميين يرجعون فى نسلهم إلى ارام بن سام بن نوح (تكوين ١٠ : ٢٢ ، ٢٣ ، أخبار أول ١ : ١٧) ، وقيل إن هناك صلة بين الأرامين وبين كلمة « إرم ذات العماد » الواردة فى القرآن الكريم (سورة الفجر) . وقد ذهب بعض اللغويين إلى أن أصل الاسم « ارام » مشتق من كلمة ان ع ام ون أى ـ مخلوقات أو كما فسره أحد العلماء بأنه اسم أو لقب آله ولكن (كريلنج) يرجع اسم آرام إلى أنه اسم لشعب وليس لمنطقة « (راجع قاموس الكتاب المقدس صـ ٤٣ ، مقدمة فى تاريخ الحضارات القديمة : طه با قر جـ١ صـ٤٩١ ، د/ بولس عياد : الأراميون فى مصر صـ ٨ مطبعة دار العالم العربى القاهرة ١٩٧٥ م .

(٢) بعد الاموريين والكنعانيين .

(٣) د/ نجيب ميخائيل : مصر والشرق جـ ٣ صـ ٣١ ـ ٣٢ ، د/ عصفور : معالم تاريخ الشرق الأدنى صـ ٢٨٢ .

(٤) وقد أطلق عليهم اسم « السوق والحوتي والاخلامو أو الأخلاموا الأراميين (د/ بولس عياد : الاراميون فى مصر صـ٧ ، د/ نجيب ميخائيل جـ٣ صـ ٣١ .

(٥) (د/ بولس عياد : المرجع السابق صـ ٧ ويرجح أن موطنهم الأصلى هو الصحراء السورية العربية.

(٦) راجع د/ محمد مهران : دراسات فى تاريخ الشرق الأدنى جـ ٨ ، اسرائيل صـ ٥٢٢ .

(٧) عباس العقاد : الثقافة العربية صـ ١٤ ـ ٢٠ ، راجع د/ أحمد سوسه : مفصل العرب واليهود فى التاريخ صـ٧٣ ـ ٧٤ .

وفيما يتعلق بمعرفة بداية ظهورهم فى المصادر التاريخية ، فقد ثبت الآن أن الأراميين يرجعون إلى أزمنة موغلة فى القدم (١) ومهما يكن من أمر فإن الأراميين لم يبلغوا أقصى أهميتهم السياسية فى تاريخ الشرق الأدنى إلا فى القرنين الحادى عشر والعاشر ق . م حيث أسسوا عددا من الدويلات فى سورية وأرض الرافدين ، وكان أعظمها دولة دمشق (٢) .

الديانة :

يبدو أن الآراميين لم يكن لهم ديانة خاصة أو حضارة مستقلة وانما تأثروا ـ بحضارات وديانات البلاد المحيطة بهم ، فقد كتب عليهم أن يكونوا أداة استيعاب ونقل ، ـ واشتهروا كتجار ووسطاء فى نقل الحضارات .

وقد تجلى هذا الطابع البارز فى مظاهر حضارتهم ـ تجلى قبل كل شئ فى دينهم فهو نتاج الأثر الذى أحدثته فى تراثهم القومى تأثيرات قوية من الحضارات والديانات المجاورة وكما يقول موسكاتى فالدين الآرامى كان يتبع الخطوط العامة للفكر الدينى السامى ، ويمثل نباتا مركبا ركبت فى جذعه المحلى فروع مشتقة من الحضارات المجاورة فى أرض الرافدين وآسيا الصغرى وكنعان (٣) .

ومع ذلك فقد اشتهر عنهم أنهم كانوا يعبدون الها ـ وان كان مستعارا من الأموريين والكنعانيين ـ إلا أنه صار خاصاً بهم وكان الإله الرئيسى فى ديانتهم وأهم المعبودات لديهم (٤) هذا الإله هو « هدد » ويمثل لديهم رمز

---

(١) كان الاعتقاد السائد من قبل أن نقوشا أشورية ترجع إلى القرن الرابع عشر ق. م تحتوى على أقدم اشارة إلى الاراميين ولكن ثبت الان أن الاراميين يرجعون إلى أزمنة موغلة فى القدم فقد عثر على نقش يرجع إلى القرن الثالث والعشرين ق . م يشير إلي إقليم يدعى آرام (موسكاتى صـ ١٧٦ ـ ١٧٧ ، د/ أحمد فخرى : دراسات فى تاريخ الشرق القديم صـ ١٠٢ ، د/ محمد عبد القادر محمد : الساميون فى العصور القديمة صـ ٢٠٠ ـ ٢٠١ د/ محمد مهران جـ ٨ صـ ٥٢٥.

(٢) د/ فيليب حتى : موجز تاريخ الشرق صـ ٨٢ ، طه باقر : مقدمة فى تارخ الحضارات جـ ١ صـ ٤٩٤ ، د/ نجيب ميخائيل جـ ٣ صـ ٣١٣ ،

(٣) الحضارات السامية القديمة ١٨٣ ـ ١٨٤ راجع معه أيضاً د/ فيليب حتى : موجز تاريخ الشرق الأدنى صـ٨٨ ، الشرق واليونان القديمة صـ٢٦٤ .

(٤) راجع موسكاتي صـ١٨٣ ، د/ أحمد فخرى : دراسات فى تاريخ الشرق صـ ١٠٥ ، د/ نجيب ميخائيل : مصر والشرق جـ٣ صـ ٤٤٢ .

الاخصاب والمنفعة (١) .

وكانت له معابد كثيرة ـ منتشرة فى البلاد ولكن معبده الرئيسى كان فى مدينة هيرابوليس (٢) .

ولأن هدد اشتهر بعد ذلك بأنه إله السماء قبل كل شئ ـ فى نظر الارآميين ـ دخل دين اليونان والرومان على أنه إله الشمس فاعتبروه نظير زيوس وجويتير (٣) .

---

(١) الاله هدد أو « حدد » وهو نظير الاله أدد عند البابليين والأشوريين وكان فى الأصل إله العاصفة ، يتجلى فى البرق والريح والمطر السخي ثم اشتهر بأنه إله الأمطار ومايصاحبها من زوابع ورعود وبروق ، وهو نافع حين يرسل الماء الذى يفيد الزراعة وهو مهلك أن أرسله سيولاً جارفة ، ومن هنا جاء لقبه « رمون » أو « رمان » أى المرعد مثير العواصف ، وقد صوره الأراميون فى تماثيلهم ممسكا بالبرق فى احدى يديه وبالفأس فى يده الأخرى ، كما يظهر أيضاً واقفاً على ظهر ثور رمزاً الاخصاب والقوى المولدة ، راجع موسكاتى صـ ١٨٣ ، هوامش موسكاتى صـ ٣٤٦ ـ ٣٤٧ ، د/ نجيب ميخايل جـ ٣ صـ ٤٤٢ ـ ٤٤٣ ولعل اسم الإله هدد مشتق من مادة هدد التي تدل في العربية علي الهدم الشديد والكسر والصوت المدوي ومن مشتقاتها الهادة أي الرعد ، انظر كوك صـ١٦٤ نقلا عن هوامش موسكاتي صـ٣٤٧ .

(٢) ذكرت هذه المدينة فى المصادر العربية باسم فبيح فرقميش ، وسميت بهذا الاسم فى العصور اليونانية ، وكان هدد يعبد أيضاً فى سمآل وحلب ، ومن دراسة الآثار السورية نعرف أن الإله « هدد » كان المعبود الأكبر فى منطقة حلب وقد اشتهرت ـ عبادته منذ منتصف الألف الثانى ق . م ، وكان يقصد هذا المعبد جميع سكان المناطق المجاورة التماساً للمشورة .

وكذلك كان يعبد فى مدينة دمشق حيث اتخذ ثلاثة من ملوكها اسماً مشتقاً من اسمه (بر هدد) ابن هدد » ، وكان هؤلاء الملوك من الذين اتصلوا بمملكتى اليهود فى القرنين العاشر والتاسع ق . م والحديث عنهم بالتفصيل فى الفصل الثانى.

(راجع موسكاتى صـ ١٨٣ ـ ١٨٤ ، هوامش موسكاتى صـ ٣٤٧ ـ ٣٤٨ ، د/ احمد فخرى : دراسات فى تارخ الشرق صـ ١٠٥ ـ ١٠٦ ، د/ عبد الحميد زايد : الشرق الخالد صـ ٣٦٨ ـ ٣٧٠.

(٣) زيوس هو اله اليونان وجويتر هو إله الرومان وسأتحدث عنهما قريباً ، وقد انتقل هدد إلى اليونان والرومان واعتبروه نظيراً لهما ، وهذا يفسر اطلاق اسم هليوبوليس « مدينة الشمس » على مدينة بعلبك التى كانت مركزاً كبيراً لعبادة هدد فى وادى البقاع (الذى يفصل جبال لبنان عن جبال لبنان الداخلة) ، هذا وقد انتشرت عبادة الاله هدد بعد اطلاق اسم جويتر عليه فى كافة أنحاء العالم الرومانى (موسكاتى صـ ١٨٤ ، هوامش موسكاتى صـ ٣٤٨ ، د/ نجيب ميخائيل جـ ٣ صـ ٤٤٣ ، الشرق الخالد صـ ٣٧٠ .

وكان للاله هدد زوجة تسمى أترجاتيس وهى تمثل الأمومة وتصور لا بسة تاجاً وبصحبتها أسد فى بعض الأحيان وتجمع فى رمزها بين الهلال وقرص الشمس ، وكانت تعبد مع هدد فى معبده الرئسى وان انتشرت عبادتهما معاً فى جميع أنحاء سورية(١) .

وكان هناك إلى جانب « هدد » وزوجته « أترجاتيس » آلهة آخرون أقل شأنا ،استعارهم الأراميون أيضا من الشعوب المجاورة واعترفوا بهم ، وقد كان للالهة الكنعانية المكان البارز بينهم ، بجانب آلهة وادى الرافدين (٢) .

وليس لدينا سوى إشارات قليلة يمكن اتخاذها أساساً للحكم على أشكال الطقوس ، ويبدو أنها كانت شبيهة بأشكال الطقوس لدى الكنعانيين أيضا (٣).

---

(١) الاسم اترجاتيس مكون من كلمتين هما أترأى عشتر وجاتيس أى الالهة الكمعانية القديمة(عنت) وهذا الاسم المركب يدل على اندماج الالهتين السماويتين الكبيرتين ،بعضهما فى بعض ، وكان الأسد والحمامة الحيوانين المقدسين للالهة اترجاتيس ، كما كان الثور الحيوان المقدس لزوجها هدد ، وقد انتشرت عبادتها مع زوجها فى كافة انحاء الامبراطورية الرومانية .

(موسكاتى صـ ١٨٤ ، هوامش موسكاتى صـ ٣٤٩)

د/ فخرى : دراسات فى تاريخ الشرق صـ ١٠٦ .

د/ نجيب ميخائيل : مصر والشرق جـ ٣ صـ ٤٤٣ .

د/ عبد الحميد زايد :الشرق الخالد صـ ٣٦٨ .

(٢) راجع موسكاتى صـ ١٨٤ ، اندرية ايمار : الشرق واليونان القديمة صـ ٢٦٤ .

جورج رو : العراق القديم صـ ٣٧١ .

د/ أحمد فخرى : دراسات فى تاريخ الشرق صـ ١٠٦ .

د/ نجيب ميخائيل : جـ ٣ صـ ٤٤٣ .

هوامش موسكاتى صـ ٣٤٩ ـ ٣٥٢ .

(٣) موسكاتى : صـ ١٨٤ .

المبحث الثالث : ديانة مصر القديمة :

تقسيم تاريخ مصر :

كانت كلمة مصر تعنى فى اللغات السامية « الحد » وعرفها الاشوريون باسم « مصر » والاراميون » باسم « مصرين » والعبرانيون باسم « مصرايم » (١) والعرب باسم مصر.

وأطلقت هذه الشعوب السامية على أهلها اسم المصريين ، أما المصريون القدماء فقد عرفوا مصر تحت اسم « كمت » أو « كيمة » أى الارض السوداء أو السمراء (٢) ، مفرقين بذلك بينها وبين الصحراوات ، وكثيراً ما عبروا عنها باسم « تاوى » أى الأرضين : أرض الدلتا وأرض الصعيد (٣) .

وقد اصطلح المؤرخون على تقسيم مراحل التاريخ المصرى القديم إلى أحدى وثلاثين اسرة متبعين فى ذلك تقسيماً قدمه المؤرخ المصرى مانيتون (٤) ، ويسمى هذا بتقسيم الأسرات ، ووافقه على هذا التقسيم كل من خلفه من المؤرخين حتى المحدثين منهم (٥) .

---

(١) يذكر سفر الكوين أن مصرايم هذا ابن حام بن نوح (تكوين ١٠ : ٦) .

(٢) اشارة إلى سمرة تربتها الطينية وخصوبتها .

(٣) وأما كلمة Egypt فهى أصلاً Egyptey وهى كلمة سمعها اليونان فى مصر محرفة من نطق أشورى للفظ مصري قديم هو « حت كابتاح » كان يطلق على معبد اللاله بتاح اكبر معبودات المصريين فى منف ثم أطلقه المصريون على المدينة نفسها ثم على القطر نفسه ، كما يطلق اسم مصر اليوم على البلاد كلها ، وعلى العاصمة وحدها كذلك ، وقيل أنه تحرف فى أصله عن آجيه المصرى بمعنى أرض الفيضان . (راجع د/ نجيب ميخائيل : مصر والشرق الأدنى القديم الجزء الأول صـ ١ ـ ٣ الطبعة الثانية ١٩٥٧ الاسكندرية ، راجع ايضاً / د/ عبد العزيز صالح : الشرق الادنى القديم الجزء الأول : مصر والعراق صـ ٣٥ .

(٤) مانيتون أو مانيتو كاهن سمنودى عاش فى القرن الثالث ق . م (راجع مرجريت مرى : مصر ومجدها الغابر ترجمة محرم كمال سلسلة الألف كتاب(١٠٠) ١٩٥٧ لجنة البيان العربى

(٥) بريستيد : تاريخ مصر من أقدم العصور إلى الفتح الفارسى صـ ٧ ترجمة د/ حسن كمال الطبعة الأولى وزارة المعارف العمومية ١٣٤٧ هـ ١٩٢٩ م .

واذا كان هناك من يوجه النقد إلى هذا التقسيم [١] إلا أنه صالح بوجه عام، وأصبح متأصلاً فى الدراسات كلها ، ولا يوجد تقسيم آخر أصلح منه [٢] ويحتوى هذا التقسيم على تلك العصور :

١ـ عصر ماقبل التاريخ .

٢ـ عصر بداية الأسرات [٣] (أو العصر العتيق) حوالى ٣٢٠٠ ـ ٢٧٨٠ ق.م (ويشمل الأسرتين الأولى والثانية)

٣ـ عصر الدولة القديمة : (٢٧٨٠ -٢٢٨٠ ق . م) (من الأسرة الثالثة حتى نهاية الأسرة السادسة)

٤ـ عصر الفترة الأولى أو (الاضمحلال الأول) (٢٢٨٠ـ ٢٠٥٢ ق . م) (من الاسرة السابعة إلى الأسرة العاشرة)

٥ـ عصر الدولة الوسطى (٢٠٥٢ ـ ١٧٧٨ ق . م) (الاسرتان ١١ ، ١٢)

٦ـ عصر الفترة الثانية أو (الاضمحلال الثانى) (١٧٧٨ ـ ١٥٧٠ ق . م) (من الاسرة ١٣ إلى الأسرة ١٧)

٧ـ عصر الدولة الحديثة (١٥٧٠ ـ ١٠٨٥ ق . م) (من الاسرة ١٨ إلى الأسرة ٢٠)

٨ ـ العصر المتأخر (١٠٨٥ ـ ٣٣٢ ق . م) (من الأسرة ٢١ إلى الأسرة ٣١) [٤].

ويضاف إلى هذه العصور : الاسكندر الأكبر ٣٣٢ ق . م ـ العصر البطلمى ٣٣٢ـ ٣٠ ق . م ـ العصر الرومانى ٣٠ ـ ٣٩٥ م ـ العصر البيزنطى ٣٩٥ ـ ٦٣٨م الفتح الاسلامى ٦٤٠ م .

(١) د/ نجيب ميخائيل : مصر والشرق الأدني القديم الجزء الأول صـ ٣٤ .

(٢) د/ احمد فخرى : مصر الفرعونية صـ ٦٢ ملتزم الطبع والنشر مكتبه الانجلو المصرية ١٩٨٣

(٣) هناك اختلاف بين علماء الدراسات المصرية القديمة فى تحديد بدء الأسرة الأولى ، على أن أحدث الآراء تميل إلى ما أخذت به (راجع الماضى الحى صـ ٤٥ ـ ٤٦) (د/ احمد فخرى : مصر الفرعونية صـ ٤٨ .

(٤) اعتمدت فى نقل هذا التقسيم على المصادر الآتية : بريستيد : تاريخ مصر منذ أقدم العصور إلى العصر الفارسى صـ ١٢ ـ ١٣ ، مرجريت مرى : مصر ومجدها الغابر صـ ٤١ ، د/ احمد فخرى : مصر الفرعونية صـ ١٧ ـ ٣ ، د/ نجيب ميخائيل : مصر والشرق الأدنى القديم الجزء الأول صـ ٣٤ ـ ٣٥ ، د/ عبد العزيز صالح مصر والعراق صـ ٣٥ ـ ٣٧ . ولا شك أن اثبات هذا التقسيم هنا يفيد نا فى التعرف على تحديد الفترات التى تم فيها الاتصال بين اليهود وبين المصريين خاصة وأن الصلة قديمة بين مصر وبين العبريين منذ عصر سيدنا ابراهيم الخليل إلى عصر المسيح عليه السلام .

الديانة :

يقول ول ديورانت « لقد كان الدين فى مصر من فوق كل شئ ومن أسفل منه ، فنحن نراه فيها فى كل مرحلة من مراحله (١) ، وفى كل شكل من أشكاله ، ومن الطوطم (٢) إلى علم اللاهوت ، ونرى أثره فى الأدب ، وفى نظام الحكم وفى الفن وفى كل شئ » (٣) .

فلم تكن هناك قوة فى حياة الإنسان القديم عامة ـ وفى مصر خاصة ـ يسيطر أثرها على نشاطه ـ فيما يرى برستد ـ كما يسيطر الدين ، ذلك لأن الدين كان منفذاً للخيالات ، ومحاولة لتفسير الظواهر المحيطة بالإنسان ، والحياة لا تتأثر بالدين فحسب ، بل تختلط وتمتزج به امتزاجاً يتأثر بالانطباعات الخارجية (٤) .

ولسنا نجد فى بلد من البلاد ـ اذا استثنيا بلاد الرومان والهند ، مانجده فى مصر القديمة من الآلهة الكثيرة (٥) ، فعندما يتصل المرء لأول مرة بعالم الآلهة فيها ، فانه يقع فى شئ من الحيرة أمام هذه الوفرة من المعبودات المختلفة التى تتخد أشكالاً

---

(١) فى كلامه اشارة إلى مذهب التطور فى الأديان ، وهومذهب مرفوض فى التصور الأسلامى ، الأننى أميل إلى امكان تطبيقه على الديانات الوضعية على اساس أنها من فكر الانسان ونتيجة لرأى البشر ، ولا شك أن أفكار وآراء البشرية خاضعة لسنة التطور ،

(٢)تطلق كلمة « توتم » أو طوطم التى تنسب إليها العقيدة « التوتمية » أو الطوطمية على كل أصل حيوانى أو نباتى تتخذه عشيرة ما رمزاً لها ، ولقباً لجميع أفرادها ، وتعتقد أنها تؤلف معه وحدة اجتماعية، وتنزله وتنزل الأمور التى ترمز إليه منزلة التقديس ، ويقصد من التوتم الحيوانى أو النباتى الفصيلة العامة التى ينتمى إليها الحيوان أو النبات لا فرد معين أو أفراد معينون من أفرادها التواتم الحيوانية أكثر عدداً وأوسع انتشاراً من التواتم النباتية . (راجع د / على عبد الواحد وافى كتاب « الطوطمية أشهر الديانات البدائية صـ ٧ ـ ٨ ، صـ ١٣ ـ ١٤ دار المعارف سلسلة اقرأ ٩٤ فبراير ١٩٥٩ وكتابه » غرائب النظام والتقالد والعادات صـ١٩ ، ٢٤ نهضة مصر القاهرة ١٩٨٤ م .

(٣) قصة الحضارة مجلد ١ جـ ٢ صـ ١٥٥ (وقد ذكر المؤرخون أن المصريين القدماء كانوا من أشد الأمم تديناً ، وأكثرهم ورعاً واهتماماً بالدين ـ حتى ولو كان فاسداً) راجع هيرودت فى مصر صـ ٤٧ فى القرن الخامس ق . م نقله من اليونانية وهيب كامل ملتزم ـ الطبع والنشر دار المعارف بمصر .

(٤) د/ نجيب ميخائيل : مصر والشرق الأرنى الجزء الرابع صـ ١٤٩ .

(٥) ول ديورانت : قصة الحضارة مجلد ١ جـ٢ صـ ١٥٦ .

متنوعة، ويدور فى خلد المرء تجاه مثل هذا الخليط المتراكم من الأوصاف والنعوت والشعارات المميزة فى حدود متفاوته أن يفكر فى ديانات مصرية متعددة لاديانة واحدة (١) .

فقد أخذت الديانة المصرية حين نشأتها ، وفى مراحل طويلة بتعدد المعبودات (٢) ، شأنها فى ذلك شأن مثيلاتها من الديانات الوضعية القديمة .

ولكنهاظلت أغنى من غيرها فى وفرة نصوصها ، ووضوح قضاياها ، وثباتها على مبادئها (٣) إذ كان المصريون يعبدون آلهة لا عدد لها ، فكان لكل منطقة ـ مهما كانت صغيرة على طول نهر النيل اله أو اكثر ، ولقد دونت اسماء ما يربو على الالفين من هذه الآلهة البدائية (٤) ومن ثم فإن علماء المصريات حاولوا أن يقسموا تلك الآلهة إلى أنواع (٥) حتى يتيسر للدارسين فهمها .

ولعل أفضل تقسيم ما انتهى إليه بول ماسون ـ أورسيل اذ يذكر أنه من الوجهة التاريخية كان هناك نوعان من الألهة : المعبودات المحلية كالحيوانات والأشجار والجبال ، والآلهة الكونيون كالسماء والأرض والكواكب والنيل ، ولهذا التقسيم أهميته الاجتماعية وصبغته الطبيعية (٦) .

---

(١) فرانسود وماس : آلهة مصر صـ ١٧ (ترجمة زكى سوسن سلسلة الألف كتاب الثانى برقم ١٠ الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٦ ويذكر فيليبحتى أن الديانة المصرية لم تكن ديانة واحدة ، بل كانت تضم ديانات مختلفة ، ففى سياق تطورها اقتبست بعض العناصر الدينية البدائية إلى جانب عناصر على جانب كبير من الرقى الفكرى (موجز تاريخ الشرق الأرنى صـ ٦٠ راجع معه حول هذا الشأن د/ نجيب ميخائيل جـ ٤ صـ ١٥٠ ـ ١٥١ .

(٢) لقد رد المصريون الأوائل كل ظاهرة حسية تأثرت بها دنياهم إلى قدرة علوية أو علة خفية تحركها وتتحكم فيها ، وتستحق التقديس من أجلها الأمر الذى أفضى إلى تعدد ما قدسوه من العلل والقوى الربانية المتكفلة بالرياح والأمطار وظواهر السماء ، وبجريان النيل وتعاقب الفيضانات وتجدد خصوبة الأرض ونمو النبات، وخصائص الخصب النوعى ، (د/ عبد العزيز صالح : مصر والعراق صـ ٣٢٩ ، د/ محمد جابر عبد العال : فى العقائد والأديان صـ ٦٦ (٣) د/ عبد العزيز صالح : المصدر السابق . (٤) د/ ايفار ليسنر : الماضى الحى صـ ٦٨ .

(٥) منهم من ذكر أن هناك آلهة رسمية أو الدين الرسمى وهناك العقائد الشعبية ومنهم من قال هناك آلهة رئسية وآلهة ثانوية وهناك من قسمها إلى سبعة أقسام الخ هذه التقسيمات الموجودة راجع على سبيل المثال د/ محمد عبد القادر محمد : الديانة فى مصر الفرعونية دار المعارف بدون تاريخ صـ ١٢ وما بعدها ، د/ رشيد الناضورى : المدخل فى التطور التاريخى للفكر الدينى صـ ٦٦ ـ ٧٢ ، د/ نجيب ميخائيل : مصر والشرق جـ ٤ صـ ١٥٠ـ ١٥١ .

(٦) الفلسفة فى الشرق صـ ٥١ وما بعدها .

ولعل أهم ما يعنينا أن نشير إليه فى هذا الفصل من تلك المعبودات المصرية ما يسمى بالمعبودات الحيوانية ، أو الحيوانات المقدسة ، اذ كان هذا النوع من الآلهة اكثر ذيوعاً بين المصريين من أى آلهة أخرى بل كانت الآلهة الحيوانية من الكثرة بحيث غصت بها هياكل كأنهامعرض حيوانات صاخبة » (١) .

ويذكر هيرودوت أن المصريين قد قدسوا كل الحيوانات التى كانت عندهم ، سواء منها الحيوانات المستأنسة وغير المستأنسة (٢) .

وقد بالغ المصريون فى تقديسهم للآلهة الحيوانية ، وتوسعوا فى عبادتها وأضفوا عليها كثيراً من الأهمية والخطورة (٣) .

واستمر هذا التقديس ـ الذى بدأ منذ عصر الدولة القديمة ـ حتى العصر

---

(١) ول ديورانت : قصة الحضارة مجلد ١ جـ٢ صـ ١٥٨ .

(٢) هيرودوت فى مصر (فى القرن الخامس ق. م) ص٦٥ ويذكر ادولف ارمان أن المصريين قد عبدوا فى هذه المقاطعة أو تلك وفى هذا الوقت أو ذاك : العجل والتمساح والصقر والبقرة والأوزة والعنزة والكبش والقط والكلب والدجاجة والخطاف وابن آوى والأفعى ، وتركوا بعض هذه الدواب تجوس خلال الهياكل ولها من الحرية ما للبقرة المقدسة فى الهند حتى هذه الأيام (ديانة مصر القديمة « نشأتها وتطورها ونهايتها فى أربعة آلاف سنة) » صـ ٩ ترجمة د/ عبد المنعم ابو بكر، د/ محمد أنور شكرى ملتزم بالطبع والنشر مصطفى الحلبى بمصر بدون تاريخ راجع أيضاً قصة الحضارة مجلد ١ جـ ٢ صـ ١٥٨ ، راجع أيضاً فيليب فاند نبرغ : لعنه الفراعنة ترجمة خالد اسعد ، احمد غسان دار قتيبة دمشق الطبعة الأولى ١٤٠٢ هـ ـ ١٩٨٢ م صـ ١٧٩

(٣) هناك مظاهر كثيرة تصور هذا التقديس و على سبيل المثال : ان كل من كان يقتل حيواناً مقدساً حتى فى حالة الدفاع عن النفس يعتبر مذنباً بانتهاك حرمة المقدسات التى كانت عقوبتها الموت ، واذا كان من الواجب والضرورى ذبح حيوان فكانت تقدم إليه القرابين السخية أولاً فقد اعتقد المصريون باعادة التجسد للحيوانات (التقمص) أى قدرتها على الرجوع بشكل آخر بعد الموت ، وخافوا من انتقام الحيوانات الأخرى للحيوان المتوفى وكان المصريون يوقفون علي كل نوع من الحيوانات المقدسة أرضاً تكفى غلتها للعناية بها وتغذيتها ويذكر المؤرخون أن كثيراً من الحيوانات الصغيرة كانت تحفظ فى منازل ـ خاصة وتعتبر كآلهة وتحفظ فى أقفاص تشبه الكنائس الخاصة وتقدم لها الهدايا والتقاديم الأخرى ، والأعجب من ذلك كما يروي هيرودوت أنه قد شب حريق ذات مرة فتنحي المصريون جانباً وأهملوا إطفاء الحريق ، ووجهوا كل إهتمامهم إلي إنقاذ القطط ، ويذكر أن موت بعض الحيوانات كالقطط والكلاب كان يعقبه في مصر حداد شامل وألم عميق . راجع هيرودوت في مصر صـ٦٦ ، فيليب فاندبرغ : لعنة الفراعنة صـ١٧٩ ـ ١٨٠ ، د/ محمد عبد القادر محمد : الديانة في مصر الفرعونية صـ٢٦٠ ـ ٢٦١ ، د/ محمد غلاب : الفلسفة الشرقية صـ٣١ الطبعة الثانية مكتبة الأنجلو القاهرة بدون تاريخ .

الرومانى فقد لاحظ المؤرخون أن عبادة الحيوان كانت سائدة فى مختلف العصور التاريخية (١) ، وأن ـ الديانة المصرية كانت تتميز بها خاصة فى أيام انحلالها ، وأن هذه العبادة قد ازدادت فى العصر اليونانى ـ الرومانى ـ حتى كاد القطر كله أن يكون مستعبداً لجيش من القطط والكلاب والتماسيح والثعابين والعقارب والجعلان المقدسة (٢) .

ومن بين هذه الآلهة الحيوانية احتلت عبادةالثور أو « عجل ابيس » (٣) أهمية خاصة ومكانة خطيرة فى الديانة المصرية القديمة .

اذ ترجع عبادته إلى عصور موغلة فى القدم « حيث تشهد بعض النقوش على وجودها منذ الأسرة الأولى (حوالى ٣٠٠٠ ق . م) (٤) ، وقد استمرت هذه العبادة على مدى العصور التاريخية المختلفة ، بل إنه كان أشهر المعبودات الحيوانية وخاصة فى عصر الدولة الحديثة والعصر المتأخر .

ويذكر ادولف ارمان انه كان يحتفل كل عام بعيد ميلاده سبعة ايام، واذا مات لبست عليه النساء ثياب الحداد ، «و لا يدخل أفواههن شئ غير الماء والخضر » سبعين يوماً حتى يتم دفنه ، وكان المصريون يحجون إلى قبره ، ويقام له شاهد يكتب عليه ماشاق من تاريخ حياة هذا العجل ، وكان دفنه يقترن بكل أنواع الترف والبذخ ، فالدولة نفسها كانت تعنى بذلك (٥) .

---

(١) هناك من يذكر أن الالهة المصرية القديمة بدأت على شكل حيوانات وكان لكل جماعة معبودها وحارسها (حبيب سعيد : أديان العالم صـ ٣٢ صدر عن دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية القاهرة١٩٧٧م

(٢) راجع ادولف ارمان : ديانة مصر القديمة صـ ١٧١ ـ ١٧٣ ، ٤٦ ـ ٤٧ ، صـ ٣٦٠ ، ٤٠٣ ـ ٤٠٤ .

(٣) اعتقد المصريون ان عجل ابيس ينشأ من شعاع من السماء ، وأنه أسود وأن على جبهته غرة مربعة ، وعلى ظهره صورة نسر ، وغير ذلك من الشيات ، وكان اذا وجد أبيس جديداً ـ احتفلت مصر جمعاء به فى ملابس العيد ، وبالأيام البهيجة . (ارمان : ديانة مصر القديمة صـ ٣٧١) راجع د/ رؤف شلبى : آلهة فى الأسواق صـ ٢٧٤

(٤) د/ محمد عبدالقادر محمد : الديانة فى مصر الفرعونية صـ ٢٤٦ .

(٥) ديانة مصر القديمة صـ ٣٦٠ ـ ٣٦٢ ويصف ادولف ارمان القواعد الوافية لمدفن أبيس فى العصر الأغريقى فيذكر أن خمسة من الكهنة كان يعهد إليهم بأداء هذه القواعد ، فيقومون بلف أعضائه باللفاف ، وبحشو بعضها كالرأس والفم والعينين والأنف ، ويغطون القرنين ويمدون الساقين ، ويغسلون تجويف بطنه ، ثم يقومون بحشوه أيضاً ، وكانت تلى ذلك الشعائر الجنائرية الحقيقية : فكانت الجثة توسد على نعشها فى داخل التابوت ، بينما تنوح النائحات ، وكان يستغرق هذا سبعين يوماً كانت فترة حداد وصيام لمصر قاطبة .

ديانة مصر القديمة صـ ٤٢٨ ـ ٤٢٩ .

راجع أيضاً د/ محمد عبد القادر محمد : الديانة فى مصر الفرعونية صـ ٢٤٦ .

هذا وقد اختلف المستمصرون فى تعليل عبادة الحيوانات لدى المصريين وبيان الأسباب التى حملتهم على هذا النوع من العبادة.

فذهب بعضهم إلى أن هذه العبادة كانت نوعاً من الطوطمية (١) .

وذهب البعض الآخر إلى أن المصريين لم يقدسوا حيواناً لذاته وانما اتخذوا تلك العبادة رمزاً للآلهة الخفية التى كانوا يقدسونها (٢) .

ويرى فريق ثالث أن المصريين قد اعتقدوا بحلول الآلهة فى أجساد هذه الحيوانات(٣) .

أما المؤرخون القدماء من اليونان والرومان فقد اتفقوا جميعاً على أن سبب تقديس المصريين للحيوانات أمر خفى لا يجوز التصريح به من شخص يحترم الآلهة(٤) .

ومهما يكن من الأمر ، ومهما قيل من الدفاع عن ذلك النوع العجيب من العبادة فان عبادة الحيوانات بوجه عام وعبادة العجل بوجه خاص كانت من أشهر العبادات الوثنية لدى المصريين القدماء ، ولسوف يتضح لنا أهمية هذه العبادة للبحث حينما أبين كيفية تأثر اليهود بها فى الباب الثالث إن شاء الله .

---

(١) راجع لعنة الفرعنة صـ ١٨٠ ، الفلسفة فى الشرق صـ ٢٧ .

(٢) د/ عبد العزيز صالح : مصر والعراق صـ ٣٣٠ .

(٣) د/ محمد غلاب : الفلسفة الشرقية صـ ٣١ ـ ٣٢ ، راجع أيضاً الشيخ محمد أبو زهرة ـ محاضرات فى مقارنة الأديان القسم الأول :الديانات القديمة صـ ١٥ دار الفكر العربى القاهرة بدون تاريخ .

(٤) منهم هيرودوت الذى يقول « ولو أننى ذكرت الأسباب التى قدست من أجلها الحيوانات لاستطردت فى حديثى إلى الشئون الدينية ، وهو أمرأتحاشي بوجه خاص الخوض فيه ،

ويقول ديودورا الصقلى إن الكهنة المصريين لديهم فى تقديس الحيوانات أسباب خفية ولهم حولها آراء سرية .

راجع هيرودوت فى مصر صـ ٦٥ ، د/ محمد غلاب : الفلسفة الشرقية صـ ٣٣ ، د/ محمد عبد القادر محمد : الديانة فى مصر الفرعونية صـ ٢٦٠ ـ ٢٦٨

المبحث الرابع : ديانات الفرس واليونان والرومان :

بجانب الديانات الرئيسة التى تحدثت عنها كانت توجد ثلاث ديانات أخرى ، وهى وإن لم تبلغ أهمية وخطورة الديانات السابقة فى التأثير على اليهودية الا أنها عاصرت اليهود فى بعض مراحلهم التاريخية ، واحتك اليهود بأصحابها احتكاكاً مباشراً هذه الديانات الثلاث هى :

١ـ ديانة الفرس ٢ـ ديانة اليونان ٣ـ ديانة الرومان

وأبدأ الحديث بـ :

١ـ ديانةالفرس

كلمة عن الفرس :

يرجع الفرس إلى الجنس الآرى (١) ، وهم يمثلون الموجة الثانية من الموجات الهند وأوربية (٢) التى نزحت إلى الشرق القديم ، ولعل تسميتهم بالفرس راجعة إلى

---

(١) الآرى : اسم أطلقته على نفسها مجموعة الشعوب الضاربة بقرب شواطى بحر قزوين أو التى كان أصلها ممن يضربون بالقرب من هذه الشواطئ ، أما اليوم فان هذا اللفظ يطلق بنوع خاص على المتيانيين والحيثيين والميديين ـ والفرس والهنود الفدا ـ أى على الشعبة الشرقية من الشعوب الهند وأوربية التى عمرت شعبتها الغربية بلاد أوربا (قصة الحضارة مجلد ١ جـ ٢ صـ ٣٠١)

(٢) اطلق الباحثون فى العصر الحديث اسم « الشعوب الهند وأوربية » على عدة شعوب كان موطنها الأصلى فى السهول الجنوبية من الاتحاد السوفيتى (شرقى بحر قزوين) ثم هاجرت حوالى عام ٢٠٠٠ ق. م إلى منطقة الشرق القديم ، هاجر فرع إلى آسيا الصغرى فكونوا دولة الحيثيين وهاجر فرع آخر إلى أعالى الفرات فكونوا الحوريين الذين أسسوا ـ مملكة ميتانى ، وسار أكثرهم إلى بلاد الهند فأسسوا هناك عدة ممالك ، وهاجر فرع رابع إلى بلاد إيران القديمة فكونوا الشعب الايرانى ثم انقسم هذا الشعب إلى الميديين ـ والى الفرس (راجع دى بورج : تراث العالم القديم جـ ١ صـ ٥٢ ، برستيد : العصور القديمة صـ ١٩٠ ـ ١٩٢ ، د/ أحمد فخرى : دراسات فى تاريخ الشرق القديم صـ ٢٠٠ ـ ٢١٤ ،هذا وقد استعمل هذا الاسم (الهند وأوربية) كبديل عن الجنس الثالث ـ المذكور فى التوراة اذ تذكر أن الشعوب الثلاثة الكبيرة هم : الساميون نسبة إلى سام ، والحاميون نسبة إلى حام ، واليافثيون نسبة إلى يافث أولاد نوح عليه السلام (كونتنتو : الحضارة الفينيقية صـ ٣٨٥) .

أن ملوكهم قد أقاموا فى مقاطعة باريس بأرض إيران القديمة ، فأطلق عليها اليونان بارسا أو برسيس وعرفها العرب بفارس (١) ، وسمى هذا الشعب الآرى أوالايرانى بالفرس أو ــ الفارسيين .

وقد سكن بلاد الفرس القديمة (٢) عدة أقوام ايرانيين (٣) ، ولا يعنينا منهم هنا سوى الإشارة إلى الفرس الأخمينيين ، الذين أسسوا تحت زعامة ملكهم قورش أو « كورش » الأعظم (٥٥٨ ــ ٥٣٠ ق .م) أكبر امبراطوريات الشرق الأدنى القديم (٤) ،

(١) د/ نجيب ميخائيل : مصر والشرق الادنى ــ القديم جـ ٦ صـ ٣٨١ ، ويذكر أن مقاطعة فارس لم تكن سوى اقليم مفرد فى الامبراطورية الايرانية القديمة . ولكنها لما كانت موطن البيت الأخمينى الحاكم فانها قد حظيت من المجد والفخار حتى اشتمل على الامبراطورية قاطبة .

(٢) لم تكن بلاد الفرس القديمة بعينها المعروفة لنا الآن والتى يسميها أهلها بلاد ايران ــ بل كانت هى الاقليم الأصغر المصاقب للخليج الفارسى مباشرة من جهة الشرق المعروفة لدى الفرس الأقدمين باسم بارس والفرس المحدثين باسم فارس أو فارستان وهى عبارة عن هضبة تتوسط بين منطقة الأحراش فى أواسط آسيا وبين سهول غربى آسيا (راجع قصة الحضارة مجلد ١ جـ ٢ صـ ٤٠٩ . د/ احمد فخرى :دراسات فى تاريخ الشرق صـ ١٨٩) د/ نجيب ميخائيل جـ ٦ صـ ٤٠٤

(٣) من هذه الأقوام الإيرانية القديمة : الكيمريون والإسكنيديون والميديون . (راجع ج . ب . جرندى : الفرس وامبراطورية الشاه الأعظم ضمن المجلد الثانى من تاريخ ا لعالم باشراف ونشر جون ١٠ . هامرتون ترجمة عبد الفتاح صدقى ، وقام بنشر تاريخ العالم وترجمته إلى العربية فى سبع مجلدات ادارة الترجمة بوزارة المعارف العمومية الطبعة الثانية دون تاريخ مكتبة النهضة المصرية القاهرة .راجع أيضاً د/ احمد فخرى : دراسات فى تاريخ الشرق القديم صـ ٢١٠ ــ ٢١٤ .

(٤) ظهر بين الفرس فى منتصف القرن السابع ق . م أسرة مالكة أسسها « هاخمانيش » ومنه تحدرت السلالة الأخمينية الحاكمة ، فجاء من بعد قمروش الأول (٦٤٠ ــ ٦٠٠ ق . م ثم قمبيز الأول الذى أنجب قورش الثانى الملقب بقورش الأكبر أو الأعظم (٥٥٨ ــ ٥٣٠) وهو يعتبر المؤسس الحقيقى للأسرة الأخمينية (أسرة الملوك العظام) التى حكمت بلاد الفرس فى أزهى أيامها وأعظمها شهرة ، نظم جيشاً قوياً لايقهر ، ثم ضم إلى الدولة الفارسية كل البلاد التى كانت تحت سلطان الامبراطوريات السابقة (أشور وبابل وليديا) وبلاد آسيا الصغرى حتى أصبحت الامبراطورية أوسع المنظمات السياسية فى العالم ــ القديم قبل الدولة الرومانية.
وسيكون لقورش الأكبر هذا ولدولته دور كبير فى حياة اليهود كما سنرى فى الفصل الثانى : راجع قصة الحضارة مجلد ١ جـ ٢ صـ ٤٠٣ ــ ٤٠٤ ، دى بورج : تراث العالم القديم جـ ١ صـ ٤٣ . د/ احمد فخرى : دراسات فى تاريخ الشرق القديم صـ ٤١٢ ــ ٢١٦ ، طه باقر : مقدمة فى تاريخ الحضارات القديمة جـ ١ صـ ٥٧٣ ، د/ عبد الحميد زايد : ــ الشرق الخالد صـ ٥٥٩ ــ ٥٦٠)

وعاش اليهود تحت ظلالهم، فترة من الزمان بدأت من عام ٥٣٩ ق.م وانتهت عام ٣٣١ ق. م فبعد موت كورش الأكبر تولى ابنه قمبيز الثانى (٥٣٠ ـ ٥٢٢) ق. م ثم جاء بعده الملك دارا الأول (٥٢٢ ـ ٤٨٦) ق.م الذى بلغت الامبراطورية الأخمينية فى عهده أوج عظمتها ومجدها.

ثم خلف من بعده ملوك (١) لم يكونوا على نفس الدرجة من القوة، فأخذت الإمبراطورية الضعف، حتى قضى عليها الإسكندر الأكبر، وبدأ عصر الإمبراطورية اليونانية وكان ذلك فى عام ٣٣١ ق. م (٢).

الديانة :

كانت ديانة الفرس القدماء فى العصور السابقة على ظهور الأخمينيين ـ وقبل أن يصبحوا قوة عالمية ـ واحدة من ديانات الهند و ـ وأوربيين الوثنية التى تقوم على العبادات المتعددة، فكان القدماء من الإيرانيين يقدسون مظاهر الطبيعة المختلفة، وتأمرهم ديانتهم القديمة بعبادة العناصر الأربعة : النار ممثلة فى كوكبيها العظيمين وهما الشمس والقمر، ثم الهواء والماء، والتراب، واتخذوا كلا من هذه العناصر آلهة لهم، يقدمون لها القرابين والأضاحى (٣).

ولم تمنعهم عبادة العناصر الأربعة من أن يتخذوا آلهة أخرى لكل منها اختصاص محدد مثل «اناهتيا» الهة الماء والخصوبة التى صورت بأشكال عدة، ومثل «هوماً» الثور ـ المقدس الذى مات وبعث حياً ووهب الجنس البشرى دمه

---

(١) هؤلاء الملوك هم : اخشويرش الأول ـ (٤٨٦ ـ٤٦٥ ق.م) ارتحشستا الأول (٤٦٥ ـ ٤٢٤) اخشويرش الثانى (٤٢٤) ق. م دار الثانى (٤٢٤ ـ ٤٠٤ ق.م) ارتحشستا الثانى (٤٠٤ ـ ٣٥٩ ق. م ارتحشتا الثالث (٣٥٩ ـ ٣٣٨ ق.م) داراً الثالث (٣٣٨ ـ ٣٣١ ق.م).

(٢) راجع ج. ب. جرندى : الفرس وامبراطورية الشاه الأعظم المجلد الثانى من تاريخ العالم صـ ٤٥٧ ـ ٤٦٣، د/ احمد فخرى : دراسات فى تارخ الشرق القديم صـ ٢١٦ ـ٢٢٥، د/ عبد الحميد زايد : الشرق الخالد صـ ٦٠٨ ـ ٦٤١.

(٣) راجع الفرس وامبراطورية الشاه الأعظم ضمن المجلد الثانى من تاريخ العالم صـ ٤٤١ ـ٤٤٢ راجع أيضاً ج. هـ. ايليف : فارس والعالم القديم ترجمة محمد صقر خفاجة صـ ٣٦ ضمن كتاب تراث فارس اشترك فى كتابته وأشرف على نشره ا. ج. اربرى راجع ترجمته د/ يحيى الخشاب : دار احياء الكتب العربية القاهرة ١٩٥٩، راجع أيضاً د/ احمد فخرى : دراسات فى تاريخ الشرق القديم صـ ٢٣٠، د/ نجيب ميخائيل جـ ٦ صـ ٤٣٢ ـ ٤٣٣.

شراباً ليسبغ عليه نعمة الخلود ، وكانوا يعبدونه بشرب عصير الـ « هوما المسكر(١).

واستمرت الديانة الفارسية القديمة على هذا الشكل حتى ظهر زرد شت (٢) فعندما ظهر أخذ يهاجمها وثار على آلهتها حتى استبدلها بدين جديد ، وقد اختلف العلماء قديماً وحديثاً في ما إذا كان هذا الدين الجديد يقوم على التوحيد أم على الوثنية(٣) ومهما يكن من أمر فالقائلون بالرأى الأول وبأن زردشت كان موحداً ، قد اعترفوا بأن الزردشتية قد تحولت بعده إلى وثنية ، وانقلب هذا التوحيد المزعوم إلى شرك وتعدد . اذ أن أثر الديانة القديمة كان لا يزال قائماً بين الشعب الفارسي ولهذا فانه لم يمض وقت طويل حتى أخذت بعض العناصر الوثنية القديمة تظهر في

---

(١) وهي عشب ينمو على سفوح جبالهم (راجع قصة الحضارة مجلد ١ جـ ٢ صـ ٤٢٥ ، د/ نجيب ميخائيل : مصر والشرق الأدنى القديم الجزء السادس الكتاب الثاني حضارة فارس صـ ٤٣٣.

(٢) لقد أطلق الفرس على زردشت اسم « زرثوسترا » وسماه اليونانيون زروسترز ، ومسألة وجوده موضع جدل بين الباحثين ، وحتى الذين يسلمون بوجوده يختلفون في زمن ظهوره لكن الرأى السائد هو أنه ولد في القرن ا لسابع ق .م وتوفى في القرن السادس ق . م ، وقد احيطت حياته منذ مولده إلى مماته بهالة من الأساطير والخرافات . (راجع حول ذلك بالتفصيل في : قصة الحضارة مجلد ١ جـ ٢ صـ ٤٢٤ ـ ٤٢٥ ، تراث العالم القديم جـ ١ صـ ٥٤ ، أ. و . ف توملين : فلاسفة الشرق ترجمة عبد الحميد سليم صـ ١٤٥ ـ ١٤٨ دار المعارف بمصر ١٩٨٠ ، حامد عبد القادر : زرادشت الحكيم صـ ٢٤ ـ ٢٧ مكتبة نهضة مصر القاهرة ١٩٥٦ ، راجع ايضا لنفس المؤلف (حامد عبد القادر) قصة الأدب الفارسي الجزء الأول صـ ٣٦ نهضة مصر ١٩٥١م

(٣) ليس هناك رأى قاطع في تحديد ديانة زردشت بين التوحيد والوثنية ، فالنصوص التي وردت عنه تحتمل الأمرين معاً ، اذ يذكر في موضع أن أهورامزدا هو الذى خلق النور والظلمة معاً ، وفي موضع آخر يذكر أن العالم يحكمه إلاهان : اله الخير واله الشر . راجع الشهرستاني : الملل والنحل جـ ١ صـ ٢٣٧ مكتبة مصطفى الحلبي تحقيق محمد سيد كيلاني ١٩٧٦ م . د/ أحمد فخرى : دراسات في تارخ مصر القديم صـ ٢٣٠ . د / بركات عبد القادر دويدار : الوحدانية مع دراسة في الأديان والفرق صـ ٥٥ مكتبة النهضة المصرية ١٩٧٧ م . حامد عبد الفتاح : زاراد شت الحكيم صـ ٧٩ ـ ٨٦ قصة الأدب الفرسي جـ١ صـ ٣٠ ـ ٣٦ . وراجع أيضا الحديث عن الزرد شتية في الفصل الخاص بالتأثير المجوسي من كتابي غلاة الشيعة وتأثرهم بالأديان المغايرة للأسلام صـ ٥٥٩ ، ٥٦١ .

ديانة زردشت فى شكل أوآخر (١) فنجد مثلاً منذ عهد « أرتخششتا الثانى (٤٠٤ ـ ٣٥٩ ق . م) أن إله الشمس « مترا » يظهر إلى جانب « أهورامزدا » اله زردشت كإله للعدل والاخلاص ، ويظل تقديسه شائعاً ومستمراً بين الإيرانيين بعد زردشت بمدة طويلة (٢) .

٢ـ ديانة اليونان

الشعب اليونانى

ينقسم الشعب اليونانى أو الأغريقى القديم إلى أربع قبائل وهى : الدوريون ، والايوليون ، والآخائيون ، والأيونيون .

وبالرغم من اختلاف هذه القبائل فى لهجاتها وفى الكثير من عاداتها إلا أنها ترجع إلى أصل واحد ، وتجمع بينها لغة واحدة وعادات وعقائد متشابهة .

وقد أدركت جميعها هذه الروابط بعد احتكاكها بالشعوب الأخرى ، فعرفت أنها أمة واحدة ، واتخذت لنفسها اسم « الهللنيين » بينما أطلقت على كافة الأقوام الأخرى اسم « برابرة » (٣) .

---

(١) جاء فى دائرة المعارف البريطانية « لقد أتى زراد شت بدين جديد ، وليس معنى ذلك أن كل ما أتى به من ابتكاراته الخاصة ، وأنه لم يتأثر بما سبقه من العقائد الوثنية الإيرانية القديمة ، فالحق أن العقيدة أساساً فى الديانة القومية الآرية أو الايرانية القديمة .نقلاً عن زرادشت الحكيم : حامد عبد القادر صـ ٢١ .

(٢) راجع قصة الحضارة مجلد ١ جـ ٢ صـ ٤٣٦ فلاسفة الشرق صـ ١٦٢ـ ١٦٣ ، الفرس ـ وامبراطورية الشاه الأعظم ضمن المجلد الثاني من تاريخ العالم صـ ٤٤٣ ، د/ فخرى : دراسات فى تاريخ الشرق القديم صـ ٢٣١ . والاله مثراً من الآلهة الايرانية القديمة ، وكان أصلاً من أتباع « اهورامازدا » ثم امتزج بالشمس كلية واقترن بها ، وقد ورد فى بعض أسفار الأبستاق ـ كتاب زرادشت ـ المقدس ـ أن مثر ا هو الحارس للمراعى اليقظ . د/ نجيب ميخائيل : مصر والشرق والجزء السادس الكتاب الثانى حضارة فارس صـ ٤٣٣ حامد عبد القادر :زرادشت الحكيم صـ ٢٠

(٣) هناك اسطورة يونانية تذكر أن اليونانيين ينتسبون إلى « هيللين » ابن « دوقاليون » ثم كان لهيللين ولدان هما (دوروس) (أثولوى) وحفيدان هما (ايون) و(آخيئوس) ومن هؤلاء تنحدر القبائل اليونانية الأربع المذكورة (راجع ويلز : معالم تاريخ الأنسانية مجلد ٢ الكتاب الرابع صـ ٣٢٧ ـ ٣٢٨ ، راجع أيضاً : استانلى كاسون : اليونان قبيل بلوغ أوج عظمتها ترجمة عبد الحافظ معوض ضمن المجلد الثانى من تاريخ العالم صـ ٣٣٠ ـ ٣٣٢ د/ محمد كامل عياد : تاريخ اليونان جـ ١ صـ ٨٦ الطبعة الثالثة ١٤٠٠ هـ ١٩٨٠ دمشق .

ولم تكن هذه القبائل من سكان شبه جزيرة اليونان الأصليين ، وانما هاجروا اليها ، والى شواطئ آسيا الصغرى ، وانتشروا فى جزر بحرايجة ، عن طريق البلقان فى موجات متعددة استمرت طوال الألف الثانى ق. م (١) .

واشتهر بين مدن اليونان القديمة مدينتا اسبرطة وأثينا ، واتصل اليونانيون بالأمم الشرقيةالقديمة المجاورة ، واقتبسوا الكثير من حضارتهم ، حتى كان غزو الاسكندر الأكبر للشرق القديم ، وقضاؤه على الأمبراطورية الفارسية عام ٣٣١ ق .م (٢) .

---

(١) لايعرف بالتأكيد الموطن الأصلى الذى هاجرت منه القبائل اليونانية ولم يحدد بالضبط التاريخ الذى تمت فيه هذه الهجرة ولكن ساد بين المؤرخين أن اليونانيين من الأقوام الهندية الأوربية - وأنهم هاجروا إلى بلاد اليونان طوال الألف الثانى ق . م (راجع ويلز : موجز تاريخ العالم ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد مكتبة النهضة المصرية ١٩٥٨ ، معالم تاريخ الانسانية مجلد ٢ ك ٤ صـ ٣٢٧ ، تاريخ اليونان جـ ١ صـ ٨٥ د/ محمد كامل عياد .

راجع أيضاً برترأندرسل : تاريخ الفلسفة الغربية : الكتاب الأول الفلسفة القديمة ترجمة زكى نجيب محمود الطبعة الثالثة صـ ٢٩ ١٩٧٨ .

(٢) من هذه الأمم الشرقية التى اتصل بها اليونانيون وتأثروا بحضارتها : مصر والفينيقيون والبابليون وغيرهم ، راجع العصر اليونانى المتأخر تأليف جون هامرتون ترجمة الأستاذ فؤاد أندراوس صـ ١٢ - ١٣ ضمن المجلد الثالث من تاريخ العالم وقد كتب و . رومين بارترسون دراسة عن الاسكندر الأكبر بوصفه بطلا من أبطال العالم فتحدث عن نشأته وخلقه وثقافته وعبقريته السياسية والحربية ضمن المجلد الثالث من تاريخ العالم صـ ٣١ - ٦٠ - ترجمة عبد الفتاح صدقى .

وقد عاش اليهود تحت الحكم اليونانى فى حياة الأسكندر ومن بعده عاشوا تحت حكم البطالمة والسلوقيين وتفصيل ذلك فى قنوات الاتصال التاريخية .

الديانة :

تقوم الديانة اليونانية القديمة ـ كما تتبدى لنا فى العصور التاريخية ـ على تعدد الآلهة (١) ، فقد عبد اليونانيون حشداً كبيراً من الآلهة يشق على الأنسان ذكر أسمائها جميعاً ، ولكن أمكن تقسيمها تقسيماً مصطنعاً إلى سبع مجموعات :

آلهة السماء ، وآلهة الأرض وآلهة الخصب ، والآلهة الحيوانية ، وآلهة ماتحت الأرض ، وآلهة الأسلاف والأبطال ، والآلهة الأوليمبية (٢) .

وان كان هناك من يقسم هذه الكثرة من الآلهة إلى طبقتين رئيستين فقط هما :

الالهة الأوليمبية وموطنها الحقيقى هو السماء ، والآلهة الأرضية وهم سكان الأرض (٣) .

بيد أن أضخم مجموعة من المعبودات اليونانية وأدومها كانت تلك المجموعة المعروفة باسم « الآلهة الاثنى عشر » الذين كانوا يعبدون سوياً فى أغلب الأحيان وهؤلاء هم : ، زيوس ، وبوسيدون ، وابولو ، وآريس ، وهيفا يستون ، وهيرميس ، ثم هيراً ، وآثينا ، وآرتمس ، وأفروديتى ، وديميتر ، وهستياً (٤).

---

(١) ه . ج . روز : الديانة اليونانية القديمة ترجمة رمزى عبده جرجس الناشر دار نهضة مصر القاهرة ١٩٦٥ صـ ١٩ ـ ٢١ ، فوستيل دى كولانج : المدينة العتيقة دراسة لعبادة الإغريق والرومان ترجمة عباس بيومى بك صـ ١٦٣ ـ ١٦٤ طبع ونشر النهضة المصرية القاهرة بدون تاريخ .ه.د . كيتو : الأغريق ترجمة عبد الرازق يسرى صـ ٢٥٦ ـ ٢٥٧ دار الفكر العربى ١٩٦٢ ويذكر أن تعدد الآلهة كان ديانة طبيعية زادها تعقيداً تعدد تجزئة الجنس الأغريقى واندماج أنواع مختلفة من الديانات فى جهات متعددة من بلاد الأغريق صـ ٢٦٢ ويقول روز إن العناصر المختلفة التى تألف منها الشعب اليونانى قد أسهمت بعوامل مختلفة فى تكوين الكل المعقد للديانة اليونانية (الديانة اليونانية القديمة صـ ١٤).

ويذهب تيودور جيانا كوليس إلى أن تعدد الآلهة فى الديانة اليونانية كان محاولة ـ لتنظيم الطبيعة التى كانت تبدو قائمة على الفوضى ـ فى تصورهم طبعاً ـ ولوضع طريقة كاملة معقولة تفسر الصلة بين القوى الطبيعية بعضه والبعض الآخر وتوضح مدى أهميتها (اليونان شعبها وأرضها صـ ٨١ ترجمة محمد آمين رستم مكتبة النهضة المصرية ١٩٦٣)

(٢) قصة الحضارة (٦) الجزء الأول من المجلد الثانى : حياة اليونان صـ ٣٢١ ـ ٣٢٨ ـ ترجمة محمد بدران الطبعة الثالثة ١٩٦٩ م لجنة التأليف والترجمة والنشر .

(٣) روز : الديانة اليونانية القديمة صـ ١٤ .

(٤) المصدر السابق صـ ٨٢ .

وكما لا حظنا فانه يقف على رأس هذه الآلهة الإثنى عشر - بل على رأس النظام الإلهى اليونانى كله - ماتصوره اليونانيون أنه رب الأرباب وهو «زيوس» العظيم (١).

اذ كان فى تصورهم طبعا - يجلس على عرش من ذهب ، وإلى جانبه زوجته هيرا، ومن حولهما الألهة العشرة الأخرون (٢).

هذا وقد صور اليونانيون آلهتهم بهيئات بشرية وحسبوها ذات صفات انسانية صالحة ورديئة ، فهم فى نظرهم يأكلون ويشربون ، ويتناسلون وينامون ، ويمشون فى الأسواق ، - ويشغلون حيزاً من الفراغ ، وتمر بهم الأزمنة وتتنابهم الأمراض ، ويرتكبون الجرائم ، ويقترفون أقبح الآثام ، ويستسلمون لأغلظ الشهوات ، ويتزوج ذكورهم باناثهم ،وقد يتصل ذكورهم باناث البشر ، واناثهم بذكور الآدميين (٣).

ومن أجل ذلك كانت الديانة اليونانية القديمة شديدة الصلة بمجريات الحياة اليومية ، فلم تكن الآلهة أسيرة هياكلها ، أوسماواتها أو ممالكها السفلى ، بل كانت تحيا فى الطرقات ، وفى بيوت الناس ، وتعيش معهم فى منازلهم وفى حقولهم (٤).

---

(١) (العظيم فى نظرهم طبعاً) وتروى اساطير اليونانيين عن زيوس هذا أنه أعلن الحرب على أبيه الملك وانتزع منه حكم العالم ، وعند ذلك أخذ هو واخوته يقسمون العالم ويوزعونه فيما بينهم ، فانتخب زيوس اله القبة الزرقاء وحكم الأرض والسماء وأصبح بوسا يدون - ربا للبحار ، وهيدنير لعالم الموتى .

(راجع قصة الحضارة (٦) الجزءالأول من المجلد الثانى صـ ٣٢٨ - ٣٢٩ ، لويس ر، فارنل : ديانة اليونانيين ترجمة درينى خشبة ضمن المجلد الثانى من تاريخ العالم صـ ٧٠٠ ، ٧٠٦ ، ٧٠٧ ، تيودور جيانا كوليس : اليونان شعبها وأرضها صـ ٨٥ .

(٢) كانت عبادة هيرا تقوم على أسس كونها «عذراء» و«زوجة» و«أرملة» اذ أنها كان الهة للنساء ، وجميع النسوة يندرجن تحت فئة من تلك الفئات الثلاثة (روز : الديانة اليونانية صـ ٧٤ ، راجع تيودور : (اليونان شعبها وأرضها صـ ٨٢ .

(٣)برستيد : العصور القديمة صـ ٢٩٩ ، لويس / فارنل : ديانة اليونانيين ضمن المجلد الثانى من تاريخ العالم صـ ٧٠٥ . روز : الديانة اليونانية القديمة صـ ٧٤ ، عباس محمود العقاد : الله صـ ١٠٦ ، د/ على عبد الواحد وافى : الأدب اليونانى القديم ودلالته على عقائد اليونان صـ ١١ دار نهضة مصر للطبع والنشر ١٩٧٩ م ، غرائب النظم والعادات والتقاليد صـ ٣٥ - ٣٦ نهضة مصر ١٩٨٤م .

(٤)روز : الديانة اليونانية القديمة صـ ١١ - ١٣ . وقد كان يوضع فى كل منزل مدفأة توقد فيها النار المقدسة ، وكانت كل اسرة تختار عددا من الآلهة ، وتحتفظ بها لنفسها باعتبارهم حماة لها ، وتسمى هذه الآلهة بالآلهة المنزلية .

روز : الديانة اليونانية صـ ١١ ، فوستيل دى كولانج : المدينة العتيقة صـ ١٦٣ وراجع فى نفس المصدر الفصل الخاص بالديانة المنزلية صـ ٤٠ - ٤٧ .

وجدير بالذكر أن الآلهة اليونانية القديمة كانت تشتمل على آلهة أجنبية استعارها اليونانيون من الأمم المجاورة والدول التى استعمروها مثل آلهة المصريين والفينيقيين ـ والبابليين والآراميين (١) .

٣ـ ديانة الرومان :

الرومان :

يبدأ تاريخ الرومان ـ على أرجح الآراء ـ فى عام ٧٥٣ ق .م حيث أسس رومولوس مدينة روما على تل البلاتين فى ايطاليا القديمة (٢) وكان يسكن ايطاليا فى ذلك الوقت عدد من الشعوب ينتمون إلى أصول مختلفة (٣).

ويقسم المؤرخون التاريخ الرومانى عادة إلى ثلاثة أقسام وهى :

(أ) عهد الملوك :

ويبدأ هذا العهد بتأسيس مدينة روما (٧٥٣ ق .م)

وينتهى بطرد آخر ملك من ملوكهم عام (٥١٠ ق .م)

(ب) عهد الجمهورية : ويبدأ من عام ٥٠٩ ق .م إلى ٢٧ ق .م .

(جـ) عهد الامبراطورية : ويبدأ من عام ٢٧ ق .م إلى عصر ظهور الاسلام (٤)

---

(١) راجع ويلز : معالم تاريخ الانسانية مجلد ٢ك ٤ صـ ٣٣٢ عباس العقاد :الله صـ ١٠٥ ـ ١٠٦.

(٢) دونالد .و. دولى : حضارة روما : ترجمة جميل يواقيم الذهبى وفاروق فريد صـ ٢٣ ، ١٨ دار نهضة مصر القاهرة ١٩٧٩ م ، ويلز : موجز تاريخ العالم صـ ١٣٤ ، ويلز : معالم تاريخ الانسانية مجلد ٢ الكتاب الخامس صـ ٥٠٥ ، ٥٠٩ .وكان تأسيس المدينة يعنى تجمعاً دينيا وسياسيا بين الأسرات ، والقبائل ، وقيل إن رومولس هذا كان رئيسا لعصابة من المغامرين فجمعهم وبدأ ببناء بضعة أكواخ ، (راجع بالتفصيل قصة بناء مدينة روما صـ١٧٦ : ١٨٧ من كتاب المدينة العتيقة فوستيل دى كولانج) وكان الرومان يحتفلون بعيد تأسيس هذه المدينة وقاموا بعبادة مؤسسها بما عرف لديهم بعبادة المؤسس (راجع المدينة العتيقة) صـ ١٨٨ ـ ١٩٣ .

(٣) دونالد .ر . دولى : حضارة روما صـ ١٦ ـ ١٧ ، هـ . ستورات جونز :روما وأسباب عظمتها فيما بعد ضمن المجلد الثالث من تارخ العالم صـ ٢٢٣ ترجمة عثمان نوية .

(٤) راجع ر . هـ . بارو : الرومان صـ ٢٠ وما بعدها ترجمة عبد الرازق يسرى سلسلة الأف كتاب (٦١٢) دار نهضة مصر ١٩٦٨ ، ف . م هيلر : مجمل تاريخ العالم صـ ١١٥ - ١١٩ ترجمة ابراهيم ميخائيل عودة دار اليقظة العربية للتأليف والرجمة والنشر بدون ـ تاريخ . ، ويلز :موجز تاريخ العالم صـ ١٣٥ .

وقد توسع الرومان في عهدى الجمهورية والأمبراطورية توسعاً شاملاً ، وازداد نفوذهم ازدياداً كبيراً ، حتى خضعت لهم بلاد اليونان ، وسيطروا على إمبراطوريات الشرق القديم بما فيها بلاد سورية وعاش اليهود تحت نفوذهم فترة من الزمان ، بدأت من عام ٦٣ ق .م ، وانتهت عام ٧٠ ق .م بتدمير أورشليم ، وتشتيت اليهود وهو ما يسمى بالشتات الأخير ، وبدأ ـ عهد التشرد والضياع (١).

الديانة :

قامت الديانة الرومانية ـ شأنها في ذلك شأن سائر الديانات الوثنية القديمة ـ على تعدد الآلهة .

فقد عبد الرومان آلهة كثيرة ، وبلغت في كثرتها إلى الحد الذى جعل ول ديورانت يقول « اننا لانعرف قط دينا يبلغ فيه عدد الآلهة ما بلغه عند الرومان ، فقد قدرت بثلاثين ألفاً ، بل ان بعض المدن الايطالية القديمة كان فيها من الآلهة اكثر مما فيها من الرجال (٢) .

وكان هناك نوعان من الآلهة : آلهة الدولة أو الالهة القومية الرسمية ، وآلهة الافراد أو الآلهة الشعبية (٣) .

وكان أحب الآلهة القومية إلى قلوب الشعب الرومانى ، وأعظمها وأفضلها لديه هو الاله جوبيتر (٤) ، الذى كان يمثل رفعة السماء المتلألئة وضياء الشمس والقمر ، وقصف الرعد ، والاخصاب ، وكانت ابواب هيكله لا تفتح إلا فى أيام الحرب ، ليخرج منها مع جيوش رومة لهزيمة آلهة الأعداء (٥).

وكان هناك إلى جانب جوبيتر آلهة أخرون برزوا ضمن الآلهة الرسمية ، مثل الإله مارس الذى تروى الأساطير أنه كان أبا للشعب الرومانى ، وكان جباراً فى

---

(١) تفصيل ذلك فى الفصل الاول من الباب الثانى .

(٢) قصة الحضارة (٩) الجزء الأول من المجلد الثالث : قيصر والمسيح أو الحضارة الرومانية ترجمة محمد بدران صـ ١٢٥ لجنة التأليف والرجمة والنشر الطبعة الثالثة ١٩٧٢ م .

(٣) م . ب تشارلرووث : الامبراطورية الرومانية ترجمة رمزى عبده جرجس صـ ١٦٠ ـ ١٦٣ ـ سلسلة الآلف كتاب (٣٦٠) دار الفكر العربى ١٩٦١ م .

(٤) لعل لفظ جوبيتر محرف عن ديسيا أو ديستير أى اله السماء .

(٥) ول وايريل ديورانت :قصة الحضارة (٩) الجزء الأول من المجلد الثالث صـ ١٢٧ .

الحروب ، مقداماً جسوراً ، يتولى حماية الجيوش الرومانية ، ويحظى بالعبادة الرسمية من الفرق ، والقوات الرومانية جميعها (١) .

وكان هناك عدد من الإلهات (٢) منها : فستا إلهة نار الموقد التى لاتنطفئ ورمز حياة البيت والأسرة علماً على خلود روما ، ومنيرفا إلهة كل من يعملون بعقولهم أو بأيديهم(٣) .

هذا بالاضافة إلى آلهة أجنبية استعارها الرومان من البلاد التى استعمروها ، كآلهة اليونانيين والمصريين والفينيقيين والآراميين وغيرهم من بلاد الشرق والقديم . (٤) .

ومما ينبغى الاشارة إليه أن الرومان ـ فى أغلب الأحيان لم يتخيلوا آلهتهم فى صورة بشرية كما تخيلها اليونانيون ، وانما تصوروها معنويات مجردة بالرغم من تعددها (٥) .

وان كان هذا لا يمنع أن الرومان قد رحبوا بآلهة اليونان ، وأقاموا لها الهياكل ، واستهواهم ما يقدم لها من مراسم وطقوس (٦) .

---

(١) الامبراطورية الرومانية صـ ١٦١ .

(٢) كانت إلهات روما أقل قوة من آلهتها ولكنهن كن أحب إلى قلوب الشعب من الآلهة الذكور (قصة الحضارة (٨) صـ ١٢٧) .

(٣) الامبراطورية الرومانية صـ ١٦١ ـ ١٦٢ .

(٤) راجع برسيتيد : العصور القديمة صـ ٤٩٤ ـ ٤٩٥ ، قصة الحضارة (٩) صـ ١٩٥ ـ ١٩٨ اندريه ايمار وجانين ابوابه :روما وامبراطوريتها ترجمة يوسف داغر ، فريد داغر صـ ٢٠٠ ، ٤٠٠ ، وهو الجزء الثانى من تارخ الخضارات العالم باشراف موريس كروزيه منشورات ـ عويدات لبنان الطبعة الأولى ١٩٦٤ م .

(٥) يبدو أنهم تصوروها فى صورة أرواح تقوم على حماية الانسان ، كاله للمرض واله الشفاء واله النصر واله الحظ واله العفاف إلى غير ذلك (قصة الحضارة (٩) صـ ١٢٤ ـ ١٢٥ ، سيريل بايلى : ديانة اللاتين ترجمة محمد بكر خليل صـ ٣٨٣ ـ ٣٨٤ ضمن المجلد الثالث من تاريخ العالم .

(٦) قصة الحضارة (٩) الجزء الأول من المجلد الثالث صـ ١٢٩ ـ ١٣٠ سيريل بايلى : ـ ديانة اللاتين صـ ٤٠٢ ـ ٤٠٣ ضمن المجلد الثالث من تاريخ العالم .

الفصل الثانى

قنوات الاتصال التاريخية بين اليهود
وأصحاب الأديان الوثنية

ويشتمل على ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : اتصال اليهود بمصر

المبحث الثانى : اتصال اليهود بشعوب فلسطين :

أولاً : العناصر السامية :

١ـ الكنعانيون الفينقيون

٢ـ الأموريون

٣ـ الآراميون

٤ـ دول شرق الأردن :

أ ـ الأدوميون

ب ـ المؤابيون

جـ ـ العمونيون

ثانياً ـ العناصر غير السامية :

أ ـ الحيثيون

ب ـ الفلسطينيون

المبحث الثالث : اتصال اليهود بالفرس

المبحث الأول : اتصال اليهود بمصر :

تحتل مصر منزلة هامة ورقعة واسعة فى تاريخ اليهود القديم على مدار مراحله المختلفة .

فالأسفار تضع المصريين ضمن قائمة الشعوب المتفرعة من أبناء نوح عليه السلام فأرجعتهم إلى مصرايم الابن الثانى لحام (١) .

وورد فيها أن الخليل ابراهيم قد هاجر إلى مصر ضمن هجراته المتعددة ، وذكرت قصة مجئ يوسف عليه السلام إلى مصر ، ثم دعوته إلى أبيه يعقوب وأسرته للاقامة بها ، وقد استوطن بنو اسرائيل فى مصر - فيما تزعم الأسفار - مدة أربعة قرون (٢) ، حتى كان خروجهم منها على يد النبى موسى عليه السلام .

لم تنقطع العلاقة بين مصر واليهود بعد ذلك ، إذ كان هناك اتصالات ومعاهدات بين فراعنة مصر وبين الأسرائيليين فى عصر المملكة الموحدة والانقسام بل ان اليهود - كما سنرى من خلال أسفار العهد القديم - وكما تشير الأدلة التاريخية - كانوا كلما ضاق بهم الحال ، أوحزبهم الأمر ، استنجدوا بمصر أوهاجروا اليها (٣) .

---

(١) راجع تكوين ١٠ : ٦ ، ١٣ ، أخبار الأيام الأولى ١ : ٨ ، ١١ - ١٢ ، قاموس الكتاب المقدس صـ ٩٠٥

(٢) تكوين ١٥ : ١٣ ويذكر سفر الخروج أنها أربعمائة وثلاثون عاماً (خروج ١٢ : ٤٠)

(٣) يذهب الدكتور مصطفى عبد العليم إلى أن العلاقة بين مصر واليهود بدأت منذ عهد الأسرة الخامسة (وقد سبق أن ذكرت فى تواريخ الأسر المصرية أن الأسرة الخامسة تقع ضمن أسر الدولة القديمة وتؤرخ بـ (٢٥٦٠ - ٢٤٢٠ ق . م) وهذا لا يتفق مع ماذهب إليه المؤرخون من أن عصر ابراهيم عليه السلام يقع - على الأغلب - بين القرنين العشرين والتاسع عشر ق . م ، بالاضافة إلى أن هجرته إلى مصر تم تأريخها كما سنرى فى عهد الأسرة الثانية عشرة (١٩٩١ - ١٧٧٨ ق . م) .

وتاريخ اليهود يبدأ بعصر الخليل ، ولم يكن لهم وجود قبله ، معنى ذلك أن علاقة اليهود بمصرترجع إلى عهد الاسرة الثانية عشر وليس إلى عهد الأسرة الخامسة . (راجع د/ مصطفى كمال عبد العليم : اليهود فى مصرفى عصرى البطالمة والرومان صـ ٣ الطبعة الأولى ١٩٦٨ مكتبة القاهرة الحديثة .

هذا وقد اتخذت تلك العلاقات مظاهر شتى عبر القرون الطويلة السابقة للميلاد ، وتلك القرون اللاحقة له ، اذ اختلفت تبعاً لاختلاف موضع فلسطين بالنسبة لمصر ، والصلات التى قامت بين مصر وفلسطين من ناحية ، وشعوب الشرق الأدنى من ناحية أخرى (١) .

هجرة الخليل ابراهيم إلى مصر :

يذكر سفر التكوين أن الخليل ابراهيم قد هاجر إلى مصر حينما حل القحط والجفاف بأرض كنعان « وحدث جوع فى الأرض فانحدر ابرام إلى مصر ليتغرب هناك لأن الجوع فى الأرض كان شديداً » (٢) .

وكانت هجرته اليها على الأرجح والمشهور ابان الأسرة الثانية عشرة من ملوك الدولة الوسطى فى القرن التاسع عشر ق .م (٣) .

ولم تذكر التوراة شيئاً عن المدة التى قضاها ابراهيم فى مصر وإن كان هناك من يقول انها نحو سبع سنوت تقريباً (٤) .

---

(١) د/ مصطفى عبد العليم : المصدر السابق صـ ٣ وبين جيمس باركس مدى ارتباط الأسرائيليين من حيث قوتهم وضعفهم بمصر فيقول « ان القبائل الاسرائيلية لم تستطع أن تقيم فيما بينها وحدة سياسية لها قيمة ــ فى أى يوم من الأيام ــ الا اذا كانت قد أفلتت من قبضة كل من مصر والعراق القديم » جميس باركس فى كتابه : تاريخ الشعب اليهودى نقلا عن مهندس احمد عبد الوهاب : فلسطين بين الحقائق والاباطيل صـ ١٠٧ مكتبة وهبة ١٩٧٢ القاهرة

(٢) تكوين ١٢ : ١٠ سوف نتحدث عن هذه الرحلة إلى مصر بالتفصيل فى بحثنا الشامل عن سيدنا ابراهيم الخليل بين أهواء العهد القديم وحقائق القرآن الكريم .

(٣) يؤرخ للأسرة الثانية عشرة بهذا التاريخ (١٩٩١ ــ ١٧٧٨ ق . م وهى الأسرة الثانية والأخيرة فى عصر الدولة الوسطى (٢٠٥٢ ــ ١٧٧٨ ق .م) وقد أورد الدكتور أحمد عبد الحميد يوسف عددا من الشواهد التاريخية التى تبرهن على صحة ذلك (راجع فى ذلك كاثرين هنرى : التاريخ فى الكتاب صـ ١٧ وهو خلاصة كتابين ألفا بالغة الانجليزية لخصهما حبيب سعيد وصدر عن دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية بمصر بدون تاريخ ، د/ احمد عبد الحميد يوسف : مصر فى القرآن والسنة صـ ٢٦ ــ ٢٣ سلسلة اقرأ دار المعارف بمصر ١٩٧٣ ، د/ محمد شفيق غربال : تكوين مصر صـ ٥٢ مكتبة النهضة المصرية القاهرة ١٩٥٧م .

(٤) نقل ذلك الدكتور / محمد احمد محمود حسن وسجل فى كتاب مصر والعرب واسرائيل فى الكتب المقدسة صـ ٧ دار المعارف بمصر ١٩٨٠ م .

دخول بني اسرائيل مصر :

لقد فصل لنا القرآن الكريم قصة يوسف عليه السلام ، وكيف أن اخوته كادوا له وائتمروا عليه حتى يتخلصوا منه ، وانتهى الأمر بأن اشتراه عزيز مصر وحدث له ما حدث من امرأة هذا العزيز ، الأمر الذى أدى إلى ادخاله السجن مظلوما ثم الخروج منه بعد استدعاء الملك له ، وتمكين الله له فى الأرض وتوليته الوزارة فى مصر ، ثم حدث أن التقى باخوته ،وانتهى بهم المطاف إلى أن يستدعيهم يوسف مع أبيهم يعقوب للاقامة بمصر وقال لهم : ادخلوا مصر ان شاء الله آمنين (١) .

ويعرض لنا سفر التكوين نفس أحداث القصة ولكن بكثير من الاضافات ومزيد من التفصيلات (٢) مع اغفاله لبعض الحقائق (٣) والوقوع فى نوع من التناقض (٤) .

---

(١) اقرأ سورة يوسف وبخاصة الآيات (٤ــ ١٠١)

(٢) راجع سفر التكوين الاصحاحات ٣٧ ، ٣٩ ،٤٥ ، راجع أيضاً د/ صموئيل شولتز : العهد القديم يتكلم صــ ٥٥٠ وما بعدها ترجمة أديبة شكرى يعقوب نشر معهد المراسلة الدولى فى بروكسل بيلجيكا طبع مطبعة السلام القاهرة ١٩٨٤ ، ف .ب . ماير :حياة يوسف مكتبة المحبة ١٩٧٨ ترجمة القمص مرقس داود .

(٣) على سبيل المثال انفرد القرآن الكريم بذكر دعوة يوسف عليه السلام فى السجن إلى وحدانية الله ، ونقده للتعدد الذى كان عليه المصريون (الآيات ٣٧ وــ ٤٠) وكذلك ورد فى سورة غافر على لسان الرجل المؤمن من ال فرعون « ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات فمازلتم فى شك مما جاءكم به حتى اذا هلك قلتم لن يبعث الله من بعده رسولاً » وهذا يثبت ارسال الله لسيدنا يوسف بالرسالة والبينات للمصريين قبل سيدنا موسى (غافر : ٣٤) .

(٤) من هذا التناقض أنه ورد فى الأصحاح ٣٧ من السفر أن يهوذا هو صاحب الكلمة الاخيرة فى أمر يوسف فاقترح أن يبيعوه للاسماعيليين ولكننا نقرأ فى موضع آخر أن راوبين هو صاحب الكلمة الأخيرة فاقترح القاءه فى الجب وهناك وجده تجار من مدين فلما تحدث ــ السفر عن بيعه إلى عزيز مصر ذكر فى موضع أن المديانيين الذين باعوه وفى موضع اخر أن ــ الاسماعيليين هم الذين باعوه ، ويرجع عصام الدين حفنى ناصف هذ الاضطرب وذلك التناقض ــ المعهود كثيراً فى الأسفار ــ إلى أن قصة يوسف ــ شأنها فى ذلك شأن الكثير من قصص الأنبياء فى الكتاب المقدس ــ مؤلفة من قصتين متباينتين مزجت كل منهما بالأخرى دون لباقة ولا انسجام فكانت عقبى ذلك شيوع التناقض فى اجزاء منها (راجع التكوين ٣٧ : ٢٦ ، ٢٨ ، ٢١ــ٢٤ / ٣٨ ، ٣٦ /٣٩ : ١ عصام الدين حفنى ناصف : الاسطورة والوعى صــ ٧٥ ــ ٧٧ دار العالم الجديد القاهرة الطبعة الأولى ١٩٧٦م

ومهما يكن من أمر فان السفر قد صرح بقدوم اسرائيل وبنيه إلى مصر (١) .

وذكر أن الفرعون (٢) قد احسن استقبالهم (٣) وقال ليوسف « أرض مصر قدامك في أفضل الأرض أسكن أباك وأخوتك ليسكنوا فى أرض جاسان (٤) وان علمت انه يوجد بينهم ذو قدرة ـ فاجعلهم رؤساء مواش على التى لى (٥) .

وبين استيطانهم فى مصر واستقرارهم بها فجاء في السفر « وسكن اسرائيل في

---

(١) تكوين ٤٦ : ٥ ـ ٧ وذكر السفر أسماء بني اسرائيل الذين جاءوا إلى مصر (بنوه وبنو بنيه وبناته وبنات بنيه وكل نسله جاءبهم معه إلى مصر) وقد بلغ عددهم حسب ما قال السفر سبعين فردا (راجع تكوين ٤٦ : ٨ ـ ٢٧) .

(٢) عرف عاهل مصر فى عصورها القديمة باسم فرعون ، وهو لقب اختص به كما اختص كسرى عند الفرس والنجاشي عند الأحباش . وقيصر عند الروم ، ولم يكن لفظ فرعون فى بدايته اكثر من تعريف اصطلاحي ادراى كتب فى صيغته المصرية « برعو » بمعنى البيت العالى أو القصر العظيم ونقل إلى العبرانية بلفظ « فرعو » وإلى العربية بلفظ (فرعون) فكان يكنى به أولاً عن قصر فرعون دون شخصه ، على أن دلالة اللفظ على شخص الملك نفسه لم تثبت إلا منذ الأسرة الثامنة عشر على عهد اخناتون (١٣٧٠ ـ ١٣٤٩) فلما كانت الأسرة التاسعة عشرة ـ وهى أسرة ـ رمسيس الثاني وبنيه ـ ذاع اللقب فيما ورد عن الملك فى الخبر والخطاب راجع د : عبد العزيز صالح : مصر والعراق صـ ٨١ ، د/ احمد يوسف مصر فِي القرآن والسنة صـ ١٣٣ ـ ١٣٤ . وعلى ذلك فان ذكر التوراة لحاكم مصر على أنه الفرعون يعتبر خطأ تاريخيا ، وتظهر دقة الإعجاز القرآني حين تحدث القرآن الكريم عن الملك فى عصر يوسف دون أن يصفه بأنه فرعون وانما بلقب الملك إذ لم يكن لقب فرعون ذائعاً فى ذلك العصر ولم يكن هذا الملك أيضاً مصريا حتى يلقب باللقب الذى اختص به الملوك المصريون وحين تكلم عن حاكم مصر فى عصر موسى وصفه بأنه فرعون .

(٣) تكوين ٤٧ : ١ ـ ٤ .

(٤) تكوين ٤٧ : ٥ ـ ٧ .

(٥) ارض جاسان :منطقة خصيبة فى مصر كثير ة المرعى للقطعان والمواشى واقعة شرق الدلتا وهى المعروفة الأن بالشرقية الممتدة من جوار ابى زعبل إلى البحر ومن برية جعفر إلى وادى توميلات (قاموس الكتاب المقدس صـ ٢٤٢ ـ ٢٤٣) وجاسان التى وردت فى التوراة يطلق عليها ارض جسم أو جاسام فى النصوص المصرية (مصر فى القرآن ـ والسنة صـ ٦٧) واذا أردت مزيدا من التفاصيل حول اختلاف العلماء فى تحديد موقعها راجع (محمد بيومى مهران : دراسات فى تاريخ الشرق الأدنى القديم الجزء السابع صـ ٢٣٢ ـ ٢٣٧ .

أرض مصر فى أرض جاسان وتملكوا فيها وأثمروا وكثروا جداً (١) .

عصر دخول بنى اسرائيل مصر :

ان من الصعب أن نحدد بشكل قاطع تاريخ دخول بنى اسرائيل إلى مصر ويرجع ذلك إلى أن الأسفار لم تعين هذا التاريخ ، وكذلك لم يعثر حتى الآن فى الآثار المصرية على أدنى اشارة إلى دخول بنى اسرائيل وخروجهم منها (٢) .

ومع ذلك فان كثيرا من علماء الآثار المصرية والمؤرخين (٣) يرجحون القول بأن

---

(١) تكوين ٤٧ : ٢٧ ـ ٢٨ .

(٢) لقد وردت أول اشارة إلى اسرائيل فى نقش مرنبتاح حوالى (١٢٢٠ ق .م) وهوأقدم نقش ورد فيه ذكر اسرائيل وهو عبارة عن انشودة انتصار (هوامش موسكاتى د/ السيد يعقوب بكر صـ ٢٧٨) وأما قصة دخول بنى ـ اسرائيل وخروجهم منها فلم يعثر حتى الان فى الآثار المصرية ولعلها تكون قد سجلت ولم تكتشف أوانها لم تسجل حيث انها ـ فيما يرى المؤرخون وعلماء الأثار ـ تعتبر من الحوادث التافهة لدى المصريين القدماء والسبب الذى أدى إلى عدم ذكر يوسف فى الآثار الرغم من مكانته فى الدولة هو أن كل عمل عظيم قام به كان ينسب إلى الملك الذى كانت النقوش تهدف إلى تعظيمه والاشادة بذكره لأن كل شئ كان من وحيه هو ولعل عدم ذكر حادث الخروج راجع إلى أن النقوش كانت تسجل الانتصارات وتغض الطرف عن الهزائم والانتكاسات ولايخفى أن الخروج وماتبعه من غرق فرعون وجيشه يشكل انتكاسة خطيرة وفشلاً ذريعاً فى الحياة المصرية ولعل هذا أيضا هو السبب فى الغموض الذى ساد فترة الهكسوس حيث كان عصرهم بغيضا إلى نفوس المصريين لأنه عصر الذلة والاحتلال . (راجع سليم حسن : مصر القديمة الجزء السابع صـ ١٠٦ ـ ١٠٨ طبعة دار الكتاب المصرية القاهرة ١٩٥٠ ، شاهين بك مكاريوس : تاريخ الاسرائيليين صـ ١٠ ، د / محمد بيومى مهران دراسات فى تاريخ الشرق الأدنى القديم الجزء السابع صـ ٢٥٥ .

(٣) راجع وليم ف . أولبرايت : آثار فلسطين صـ ٨٦ ترجمة د / زكى اسكندر ، د/ محمد عبد القادر المجلس الأعلى للشئون الاسلامية ١٩٧١ م ، غوستاف لوبون : اليهود فى تاريخ الحضارات الأولى صـ ٣٢ ـ ٣٣ ول ديورانت : قصة الحضارة مجلد ١ جـ ٢ صـ ٣٢٤ موريس بوكاى : دراسة الكتب المقدسة فى ضوء المعارف الحديث صـ ٢٥٥ دار المعارف الطبعة الرابعة ١٩٧٧ ، حبيب سعيد : أديان العالم صـ ١٧٤ ـ ١٧٥ دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية القاهرة ١٩٧٧ ، أحمد عبد الوهاب : فلسطين بين الحقائق ـ والأباطيل ناقلا عن مصادر اجنبية صـ ١٤٢ ـ ١٤٥ ، د/ محمد احمد حسن : مصر والعرب واسرائيل صـ ٨ ـ ٩ .

بني اسرائيل قد دخلوا مصر فى عهد الهكسوس (١) ، وأن ذلك الدخول تم فى منتصف القرن السابع عشر ق . م (٢) واعتمدوا فى هذا الترجيح على أدلة كثيرة (٣) وأيا ما كان الأمر فقد عاش بنو اسرائيل فى مصر ، واختلطوا بالمصريين وتفاعلوا معهم ونعموا بالأمان والرفاهية فى عهد يوسف عليه السلام وفى عهد الهكسوس .

يذكر سفر الخروج أن بنى اسرائيل بعد أن مات يوسف وكل اخوته « أثمروا

---

(١) تعنى كلمة الهكسوس ملوك البلدان الاجنبية والتفسير الشائع « الملوك الرعاة » ولا يزال اصلهم موضع خلاف ، وكل ماهو مقطوع به انهم كانوا غزاة من الشرق وانهم من عرق سامى ، وأنهم من شعوب متعددة ،وقد احتلوا مصر حوالى قرن كامل من الزمان تكونت منهم الأسر الثلاث (١٥ ، ١٦ ، ١٧) وكانوا فى فترة من ١٦٧٥ ـ ١٥٧٠ ق .م راجع حول هذا الموضوع بريستيد : العصور القديمة صـ ٨٥ موسكاتي : الحضارات السامية القديمة صـ ١٢٣ ـ ١٢٤ ، د/ فيليب حتى : موجز تاريخ الشرق الادنى صـ ٣٩ . جرجي زيدان : العرب قبل الاسلام صـ ٦٧ ، د/ عبد العزيز صالح مصر والعراق صـ ١٩٥ وما بعدها ، د/ احمد فخرى : مصر الفرعونية صـ ٢٤٤ ، وما بعدها د/ نجيب ميخائيل : مصر والشرق جـ ١ صـ ٣٢٤ ـ ٣٢٥ .

(٢) راجع بترى نقلا عن قصة الحضارة مجلد ١ جـ٢ صـ ٣٢٤ ـ ٣٢٥ ، اولبرايت :آثار فلسطين صـ ٨٦ ، د/ نجيب ميخائيل : مصر والشرق الادنى القديم الجزء الثالث صـ ٢٤٤ ـ ٢٤٥ .

(٣) ومن هذه الأدلة على سبيل المثال : ان عصر الهكسوس هو من أنسب العصور لدخول الإسرائيليين فى مصر لأنه عصر الاضطراب التاريخى لأنه فى مثل هذا الاضطراب التاريخى فقط كان يتسنى لهم أن يلقوا ترحابا وهم الغرباء النازحون (حبيب سعيد : أديان العالم صـ ١٧٥ ومنها ايضاً استدلال البعض أن فضيحة امرأة العزيز تصور ما كان عليه مجتمع الدخلاء من حكام الهكسوس فى مصر من فساد وانحلال ولأن ما حدث فيها يخالف طبيعة الأشياء ويخرج عن سليقة المصرى بما ركب فيه من الأنفة والحمية والكرامة والكبرياء (د/ احمد يوسف : مصر فى القرآن والسنة صـ ٤٠ ـ ٥٣ ، ومنها ايضاً أن التورة فى سفر التكوين تروى أن يوسف كان يركب فى عربة الفرعون الثانية على أساس أنه نائب الملك وفى هذا دلالة على عصر الهكسوس ذلك لأن حكام البلاد الأجنبية هؤلاء هم أو ل من أدخل عربة الحرب السريعة إلى مصر وأول من استعمل العربات الرسمية فى المناسبات العامة فى مصر (كيللر : التوراة كتاريخ نقلا عن د/ محمد بيومى مهران : دراسات فى تاريخ الشرق جـ ٧ صـ ٢٥٠.

وتوالدوا ونموا وكثروا كثيرا جداً وامتلأت الأرض منهم (١) .

ولكنهم بعد ذلك وكما يقول السفر قام ملك جديد على مصر لم يكن يعرف يوسف (٢) ـ فأذاقهم الذل والهوان (٣) .

واستمر بنو اسرائيل يعانون من ذل المصريين حتى أرسل الله إليهم وإلى فرعون سيدنا موسى مع أخيه هارون عليهما السلام .

وقد وردت قصة موسى عليه السلام مع فرعون مفصلة فى كثير من السور وأخذت حيزاً كبيراً من الآيات فى القرآن الكريم فهى تبدأ منذ ولادته والقائه فى اليم (٤) وتنتهى بمعجزة انفلاق البحر التى أجراها الله على يد موسى ونجاته هو وبنو اسرائيل من فرعون بعد أن غرق فرعون وجنوده (٥) .

---

(١) خروج ١ : ٧ (٢) خروج ١ : ٨ .

(٣) راجع خروج ١ : ٨ ـ ٢١ ، وتفصيل الحديث عن اضطهاد المصريين للاسرائيليين فى الفصل الخاص بفترات السبي والاضطهاد فى الباب الثانى .

(٤) مصداقا لقول الله سبحانه ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ (القصص : ٧ راجع ايضا طه : ٣٩ . واليم فى اللغة العربية البحر أو النهر وهو كذلك فى اللغة المصرية القديمة ، اذ اليم لفظة سامية عرفت فى المصرية منذ الاسرة الثامنة عشر حوالى القرن السادس عشر ق . م ، وكان المصريون يطلقون على البحر والنهر وما اتسع من لج الماء لفظ اليم ومنه جاء اسم منخفض الفيوم بعد اضافة فاء التعريف فى المصرية القديمة . على أن الذى يستوقف النظر هنا أن اللفظ ورد فى القرآن الكريم ثمانى مرات لم يذكرها في احدها في غير ما يخص مصر وليس غير ، حيث ذكر بمفهوم النيل ثلاثا وأطلق علي البحر الذي غرق فيه فرعون خمسا وكأنما يشير القرآن الكريم إلى موضع معلوم كما يدعوه أهله باسمه المعلوم (راجع د/ احمد عبد الحميد يوسف مصر فى القرآن والسنة صـ ٨٧ ، ابن منظور : لسان العرب المجلد السادس صـ ٤٩٦٦ ، مادة يم طبعة دار المعارف الحديثة معجم ألفاظ القرآن الكريم المجلد الثانى صـ ٧١٠ مجمع اللغة العربية ١٩٧٣

(٥) يقول الله تعالى ﴿ وجاوزنا ببنى اسرائيل البحر فاتبعهم فرعون وجنوده بغياً وعدواً حتى اذا أدركه الغرق قال آمنت أنه لا إله إلا الذى آمنت به بنو اسرائيل وأنا من المسلمين ﴾ إلى قوله تعالى ﴿ فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية ﴾ يونس : ٩٠ ـ ٩٢ .
وقال الله تعالى ﴿ وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَى . فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُم مِّنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴾ طه : ٧٧ ، ٧٨ .

وتتفق قصة سيدنا موسى وفرعون وخروجه ببنى اسرائيل فى التوراة مع القرآن الكريم فى كثير من الأحداث وأن كانت تختلف عنها فى بعض الأمور (١) .

هذا وقد اختلفت الأسفار فى تحديد المدة التى قضاها بنو اسرائيل بمصر : يذكر سفر الخروج أن الفترة التى قضاها بنو اسرائيل بمصر بلغت أربعمائة وثلاثين عاماً (٢).

بينما أورد سفر التكوين أن الله قد وعد ابراهيم بقوله له (اعلم يقينا أن نسلك سيكون غريباً فى أرض ليست لهم ويستعبدون لهم فيذلوهم أربع مائة سنة)(٣) .

خروج بنى اسرائيل من مصر :

وعلى أى حال فقد تم الخروج ، ولكن القرآن الكريم وكذلك التوراة الحالية لم يرد فيها تحديد أو إشارة لتاريخ الخروج .

وإن كانت التوراة ذكرت أن هناك فرعونين قد عاصرا موسى عليه السلام هما فرعون التسخير والاضطهاد وفرعون الخروج ولكن دون ذكر اسميهما (٤) .

ومن ثم فقد اختلفت أقوال المؤرخين وعلماء الآثار فى تحديد تاريخ خروج بنى اسرائيل من مصر .

فذهب فريق إلى أن خروجهم كان خلال القرن السادس عشر ق .م (٥) ، ويذهب فريق آخر إلى أن خروجهم كان فى عهد تحوتمس الثالث وكان فى عام

---

(١) راجع موريس بوكاى : الكتب المقدسة فى ضوء المعارف الحديثة صـ ٢٥٠ ـ ٢٥٤ .

(٢) خروج ١٢ : ٤٠ . (٣) تكوين ١٥ : ١٣ .

(٤) ورد فى سفر الخروج أن ملك مصر قد مات اثناء اقامة موسى فى مدين « وقال الرب لموسى فى مديان اذهب ارجع إلى مصر لانه قد مات جميع القوم الذين كانوا يطلبون نفسك وحدث فى تلك الأيام الكثيرة أن ملك مصر مات وتنهد بنو اسرائيل من العبودية » خروج ٢ : ٢٣ / ٤ : ١٩ ، وبالرغم من أن القرآن الكريم لا يصرح بموت فرعون الاضطهاد قبل ارسال موسى ولم يشر إلى أن هناك فرعونين إلا أن آياته الكريمة لا تمانع صحة ذلك .

(٥) يعتمد هؤلاء على ما رواه المؤرخ المصرى القديم مانيثون وعلى أن الخروج قد ارتبط بخروج الهكسوس واستمر هذا هو الرأى السائد حتى القرن التاسع عشر (قاموس الكتاب المقدس صـ ٣٣٩ ، زكى شنودة : اليهود صـ ٢٧ ، راجع د/ محمد مهران الجزء السابع صـ ٣٦١ ـ ٣٧٦ حيث قام بتخطئة هذا الرأى) .

١٤٤٧ ق .م [١] بينما يرى فريق ثالث أن الخروج كان فى عهد رمسيس الثانى . ١٢٨٠ ق .م أو ١٢٩٠ ق .م [٢] وبجانب هذه الآراء الثلاثة توجد آراء اخرى كثيرة[٣] .

لكن الرأى الذى يميل اليه جمهور الباحثين ويرون أنه أقرب الآراء إلى الصواب هو أن الخروج قد تم فى عهد مرنبتاح بن رمسيس الثانى وأنه وقع فى الثلث الأخير من القرن الثالث عشر أى حوالى ١٢٢٤ ق . م أو ١٢٢٠ ق . م وبناء على ذلك يكون فرعون التسخير هو أبوه رمسيس الثانى [٤] .

وجدير بالذكر أن عصر موسى عليه السلام ـ حسب ذكرنا سابقا لتاريخ مصر

---

(١) منهم جارستانج هامش قصة الحضارة مجلد ١ صـ ٣٢٦ جـ ٢ ، راجع قاموس الكتاب المقدس صـ ٣٤٠ ـ ٣٤١ ، د /ـ نجيب ميخائيل : مصر والشرق جـ ٣ صـ ٢٤٤ ـ ٢٤٥ ، راجع تخطئة هذا الرأى أيضا لدى د/ مهران الجزء السابع صـ ٣٧٧ ـ ٣٩٠ .

(٢) أشهر من قال بذلك هو أولبرايت ، راجع سليم حسن : مصر القديمة جـ ٧ صـ ١١٥ ـ ١١٧ قاموس الكتاب المقدس صـ ٣٤١ د / محمد احمد حسن : مصر والعرب واسرائيل صـ ١٠ . ومن العقبات التى تقف فى وجه هذا الرأى أنه يجعل رمسيس الثانى هو فرعون الاضطهاد وفرعون الخروج وهو بذلك يخالف التوراة (راجع د / مهران الجزء السابع صـ ٤١١ ـ ٤١٢ .

(٣) منها مايذكره الدكتور احمد يوسف من أن فرعون الخروج هو سيتى بن مرنبتاح (مصر فى القرآن والسنة صـ ١٣٩ ـ ١٤٨) وما رواه موريس بوكاى عن ج . دى ميسلى من أن فرعون الخروج هو تحتمس الثانى وكان فى ٩ ابريل ١٤٩٥ ق . م وكذلك ماذكره دانييل رويس أنه امينوفيس الثانى وغيرهم (موريس بوكاى : الكتب المقدسة فى ضؤ المعارف الحديثة صـ ٢٥٩)

(٤) ارتضى هذا الرأى موريس بوكاى وبرهن على ترجيحه بكثير من الادلة (راجع الكتب المقدسة فى ضوء المعارف الحديثة صـ ٢٦١ ـ ٢٧١ وكذلك فلندر بترى راجع هامش قصة الحضارة مجلد ١ جـ ٢ صـ ٣٢٤ ـ ٣٢٥ ، والدكتور فيليب حتي : تاريخ سورية جـ ١ صـ ١٩٣ موجز تاريخ الشرق الأدنى صـ ٣٤ ، الأب ديلى : تاريخ شعب العهد القديم صـ ١٣١ ، تيودور هـ . روبنسون : اسرائيل فى ضوء التاريخ ترجمة د/ عبد الحميد يونس المجلد الثانى صـ ١٠٧ من تاريخ العالم نشر جون هامرتون ، د/ عبد الحميد زايد / الشرق الخالد صـ ٣٧٨ ، ولمزيد من التفصيلات عن ترجيح هذا الرأى راجع د/ محمد مهران الجزء ٧ صـ ٤١٣ ـ ٤٣٦ .

ـ يواكب عصر الدولة الحديثة (١) فى عهد الاسرة التاسعة عشرة (١٣٠٤ ـ ١١٩٥ ق .م) فى القرن الثالث عشر ق .م.

مدى تعلق الاسرائليين بمصر :

هذا وبالرغم من خروج بنى اسرائيل من مصر الا أن قلوبهم ظلت متعلقة بها ، ونفوسهم بقيت تهفو إليها .

يدلنا على ذلك ما ورد فى سفر الخروج من تذمرهم بعد شهر ونصف من خروجهم من مصر « فتذمر كل جماعة بنى اسرائيل على موسى وهارون فى البرية ، وقال لهما بنو إسرائيل : ليتنا متنا بيد الرب فى أرض مصر اذ كنا جالسين عند قدور اللحم نأكل خبزا للشبع ، فانكما اخرجتمانا إلى هذا القفر لكى تميتا كل هذا الجمهور بالجوع(٢) .

وفى سفر العدد : « فعاد بنو اسرائيل ايضا وبكوا وقالوا من يطعمنا لحما ، قد تذكرنا السمك الذى كنا نأكله فى مصر مجانا فى مصر والقثاء والبطيخ والكرات والبصل والثوم ، والآن قد يبست أنفسنا ، ليس شئ غير أن أعيننا إلى هذا المن » (٣).

فهم قد ضاقوا بالمن وملوا منه وسرى فيهم الحنين إلى أطعمة مصر المتنوعة ولعل هذا هو المراد بقوله تعالى ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَن نَّصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ ﴾ (٤) .

هذا وقد وصل الاسرائيليون إلى ذروة التذمر على موسى وقمة حنينهم إلى مصر حينما اقترحوا على أنفسهم أن ينصبوا قائدا عليهم غير موسى ويعودوا تحت زعامته إلى مصر (٥) .

---

(١) يضم عصر الدولة الحديثة الاسر (١٨ ، ١٩ ، ٢٠) ١٥٧٠ـ ١٠٨٠ ق .م)

(٢) خروج ١٦ : ١ ـ ٢ راجع ايضاً عدد ٢٠ : ١ ـ ٥ .

(٣) راجع عدد ١١ : ٤ ـ ٩ راجع ايضا ١١ : ١٨ ـ ٢٠.

(٤) من الآية رقم ٦١ (سورة البقرة)

(٥) « فرفعت كل الجماعة صوتها وصرخت وبكى الشعب تلك الليلة ، وتذمر على موسى وعلى هارون جميع بنى اسرائيل وقال لهما كل الجماعة ليتنا متنا فى أرض مصر .. أليس خيراً لنا أن نرجع إلى مصر ، فقال بعضهم لبعض نقيم رئيساً ونرجع إلى مصر » راجع عدد ١٤ : ١ ـ ٤ . وحينما احتج اثنان منهم على هذا التذمر وذلك الاقتراح حكموا عليهما بأن يرجما بالحجارة (راجع عدد ١٤ : ٥ ـ ١٠ .

ومن ذلك يتبين لنا آن الاسرئيلين رغم خروجهم من مصر إلا أنهم كانوا يحنون إليها ويودون الاقامة بها مرة أخرى حتى ولو كانوا مستعبدين (١) .

مصر واليهود فى عهد سليمان :

يذكر سفر الملوك أن الملك سليمان قد صاهر فرعون ملك مصر فتزوج ابنته وأتى بها إلى مدينة داود (٢) ، وكان مهرها ـ فيما يزعم كاتب السفر ـ أن هذا الفرعون قد احرق مدينة كنعانية وقتل سكانها ، وأعطاها مهرا لابنته امرأة سليمان (٣) .

مع ذلك فقد كانت مصر ملجأ للفارين من الحكم الاسرائيلى ووكراً للناقمين عليه ، ورد فى سفر الملوك أن أحد الثائرين على سليمان واسمه هدد الأدومى كان قد فرالى مصر هرباً من المجزرة البشرية التى أقامها يوآب قائد جيش داود اذ أنه استباح مدينة الادوميين لمدة ستة شهور فذبح من فيها من ذكور، واستقبل هدد من فرعون مصر بكل ترحاب . بل إنه زوجه أخت امرأته ، وظل مقيماً فى مصر حتى علم بموت داود وهلاك يوآب ـ فعاد إلى بلاده ليقوم بالثورة ضد سليمان وصار من ألد خصومه (٤) .

---

(١) راجع خروج ١٤ : ١٠ ـ ١٢ . (٢) ملوك أول ٩ : ١٦ ، والواقع أن تحديد اسم هذا الفرعون لا يزال فى مرحلة الفروض فهو قد يكون شاآمون أو بسوسينيس الثنى (راجع ايتين دريوتون وجاك فانديه : مصر ترجمة عباس بيومى صـ ٥٧٦ ملتزم النشر والطبع مكتبة النهضة المصرية القاهرة سليم حسن : مصر القديمة الجزء التاسع صـ ١٣٠ مطبعة جامعة فؤاد الأول ١٩٥٢ م ، د / عبد العزيز صالح : مصر والعراق صـ ٢٦٥ .

(٣) ملوك أول ٩ : ١٦ وهذه المدينة تسمى « جازر » وهى احدى المدن الكنعانية القديمة واسمها الحالى « تل الجزر وتقع على بعد ١٨ ميلا شمالا غرب اورشليم (راجع قاموس صـ ٢٤٢)

(٤) ملوك أول ١١ : ١٤ ـ ٢٢ ـ ومما يذكر أن هدد هذا كان من أفراد الأسرة المالكة الأدومية ، والآدوميون كما سيأتى ذكرهم هم من نسل عيسو بن اسحاق ، ولآ يزال اسم هذا الفرعون الذى استقبله مجهولا ، وان كان هناك من يحتمل أنه هو نفس الفرعون الذى زوج ابنته لسليمان (دريوتون وفانديه :مصر صـ ٥٧٦ ، سليم حسن :مصر القديمة جـ ٩ صـ ١٣٠ ، د/ نجيب ميخائيل : مصر والشرق الأدنى القديم الجزء الأول : الكتاب الثانى صـ ٢٦٨ ، ويقول جاردنر ان هذه الاحداث مذكورة فقط فى العهد القديم ولا يوجد تأييد يمكن الحصول عليه من الجانب المصرى ، ولكن المؤرخين لايجدون أيضا مبرراً يمنع ذلك (د/ محمد أحمد حسن :مصر والعرب واسرائيل صـ ١٩) .

مصر واليهود فى عصر الانقسام :

ولقد كـان لمصر ايضا دور كـبير فى أحداث الانقـسام الكبيـر الذى وقع عقب وفاة سليمان عليه السلام (١) .

اذ أن يربعام (٢) كان قد تمرد على سليمان فى حياته فلما هم سليمان بقتله هرب إلى مصر فاستقبله ملكها شيشق (٣) وظل مقيما بها إلى وفاة سليمان (٤) .

وانخرط يربعام فى سلك المصـريين وتفاعل معهم حتى زوجه الـفرعون احدى بناته (٥) وقيل ان أمه ايضا كانت مصرية (٦) .

ولما كان المصريـون ينتهزون كل فرصة لتـنمية روح الانقسام بين حـكام اليهود فلم تلبث الفـرصة أن سنحت لهم عند مـوت سليمـان فأوعزوا إلى يربـعام أن يشق عصا الطاعة على رحبعام ويؤسس مملكة اسرائيل (٧) .

ولم ينته الأمر عند هذا الحد ، وانما كانت مـصر أول دولة خارجية تغزو مملكة الجنوب (يهـوذا) فـقد قـام ملكهـا بتـخريب مدن المـملكة ونهب مـدينة أورشليم

---

(١) يذكـر المؤرخون أن السياسة المصـرية فى الواقع كـانت فى ظاهرها تدل على المصافـاة والود مع ملوك اليهود لكن الفراعنة لم يتركوا آية فرصة لا ضعافهم وذلك بتشجيع كل محاولة للانشقاق عليـهم) دريوتون وفانديه : مـصر ترجـمة عبـاس بيومى صـ ٥٧٦ ـ ٥٧٧ سليم حسن :مـصر القديمة جـ ٩ صـ ١٣٣ .

(٢)يربعام هو أول ملوك مملكة اسرائيل .

(٣) ورد اسم هذا الفرعون فى التوراة « شيشق » ويكتب بالمصرية القديمة شيشنق أو شوشنق ويطلق عليـه شيشنق الأول (٩٥٠ ـ ٩٢٩ ق .م) حيث إنه أول ملوك الأسرة الثانيـة والعشرين (٩٥٠ ـ ٧٣٠ ق .م) دريوتون وفـانديه : مـصر صـ ٥٧٤ ، مـرجـريت مرى : مـصر ومـجدها الغـابر صـ١١٧ ، سليم حسن : مصر القديمة جـ ٩ صـ ١٠٩ .

(٤) راجع ملوك أول ١١ : ٢٦ ـ ٤٠ .

(٥) د/ فـيليب حـتى : تاريـخ سـورية جـ ١ صـ ٢١٥ ويلاحظ أن سلـيـمـان كـان قـد تزوج بنت الفرعون السابق فلم يمنع ذلك من تزويج عدوه ومنافسه يربعام .

(٦) د/ محمد بيـومى مهران : دراسات فى تاريخ الشرق الجزء ٨ صـ ١٩٢ ناقلا عن مـصدر أجنبى وذكرت كاترين هنرى أن يربعام كنان صف مصرى (التاريخ فى الكتاب صـ ٦٠ ـ ٦٦) .

(٧) دريوتون وفـانديه : مـصر صـ ٥٧٧ ، كاترين هنرى : التاريـخ فى الكتاب صـ ٦٠ ـ ٦١ ، د/ نجيب ميخائيل : مصر والشرق الأدنى جـ ١ ك ٢ صـ ٢٦٨ .



واستولى على كنوز الهيكل والقصر، وورد فى الأسفار « فى السنة الخامسة للملك رحبعام صعد شيشق ملك مصر إلى اورشليم وأخذ خزائن بيت الرب ، وخزائن بيت الملك ، وأخذ كل شئ وأخذ جميع أتراس الذهب التى عملها سليمان » (١) .

ويبدو أن هذا الغزو كان بايعاز من يربعام حتى يظهر قوته على منافسه رحبعام(٢) .

واذا كانت المصادر لم تذكر اشتباك شيشق مع يربعام فان ذلك لايمنع أن يكون قد فرض سيادته على مملكة اسرائيل لأن يربعام كان غرسته وصنيعته وأداة من أدواته (٣) .

يقول الدكتور احمد فخرى « وليس هناك شك فى أن نجاح يربعام كان بسبب تأييد مصر ومناصرتها له ، لهذا لا نعجب إذا ظل يربعام مواليها لها ، ولانعجب أيضا اذا كان رحبعام يعتقد أن مصائبه كلها أتت من مصر » (٤) .

وقد ظل ولاء مملكة اسرائيل لمصر مستمرا حتى تسبب بطريق غير مباشر فى القضاء عليها من الأشوريين جاء فى سفر الملوك الثانى « ووجد ملك أشور فى هوشع (٥) خيانة ، لأنه أرسل رسلا إلى سوا ملك مصر ، ولم يؤد جزية إلى ملك أشور .. فقبض عليه وأوثقه فى السجن ... وفى السنة التاسعة لهوشع أخذ ملك

---

(١) ملوك أول ١٤ : ٢٥ ـ ٢٧ راجع أخبار ثان ١٢ : ٢ ـ ٤ ، ٩ ـ ١٠ ، وكان عدد أتراس الذهب مائتى ترس من ذهب مطرق ، زنة الترس الواحد تسعمائة شاقل من الذهب وثلاثة مائة مجن من ذهب مطرق خص المجن قثلاثة أمناء من الذهب (ملوك أول ١ : ١٦ ـ ١٨) ، ويذكر العلماء أن هناك نقشا تارخيا قد اشار إلى هذه الغزوة وأن مصر قد عاشت ـ ما يقرب من قرنيين على هذه العنيمة التى حصل عليها الفرعون (د / يوتون وفانديه : مصر صـ ٥٧٧ ـ ٥٧٨ ، مرجريت مرى : مصر ومجدها الغابر صـ ١١٧)

(٢) يرى كل من سيسل روث وادولف لودز وهول أن يربعام قد استنجد بملك مصر لينتصر له على (حبعام) نقلا عن د / محمد بيومى مهران : دراسات فى تاريخ الشرق الجزء ٨ صـ ٩٥٥)

(٣) محمد غزة دروزة : تاريخ بنى اسرائيل من أسفارهم صـ ١٧٧ .

(٤) مصر الفرعونية صـ ٣٩٨ .

(٥) هوشع هو آخر ملوك مملكة اسرائيل.

اشور السامرة وسبى اسرائيل إلى اشور (١) .

وأما مملكة يهوذا فانها قد اتجهت إلى مصر وتحالفت معها ضد الأشوريين بعد زوا ل مملكة اسرئيل ،اذا استنصر بها حزقيا (٢) ضد ملك اشور فأرسل إليه من يقول له « والان على من اتكلت حتى عصيت عليّ ، هوذا قد اتكلت علي عكاز هذه القصبة المرضوضة ، على مصر التى اذا توكأ احد عليها دخلت فى كفه وثقبتها هكذا هو فرعون ملك مصر لجميع المتكلمين عليه » (٣) .

وكان اشعيا (٤) من معارضى سياسة التقرب من مصر والاعتماد عليها واعتبر ذلك جلبا للخزى والعار (٥) .

وكان من أثر هذه المعارضة أن مملكة يهوذا قد اتجهت إلى بابل ، وحاول ملكها يوشيا (٦) أن يتقرب إلى البابليين بالوقوف فى وجه مصر ففى أثناء ملكه زحف

---

(١) ملوك ثان ١٧ ـ ١ ـ ٦ ولم تعرف شخصيه هذا الفرعون (سوا) حتى الان وهناك ـ اجتهادات كثيرة حول هذا الشأن، وكل مايمكن قوله إن هذا الحدث يشير إلى أنه من ملوك الأسرة الرابعة والعشرين (راجع د / محمد مهران ا لجزء الثامن صـ ٩٤٠ ـ ٩٤٥ د/ محمد احمد حسن : مصر والعرب واسرائيل صـ ٢٣ .

(٢) هو الملك الثانى عشر من ملوك يهوذا .

(٣) راجع ملوك ثان ١٨ : ١٧ ـ ٢١ وقيل ان فرعون مصر فى ذلك الوقت كان يسمى (شيتكو) ثم خلفه فى مساعدة يهوذا خلفه (طهرقاً) وكان من ملوك الأسرة الخامسة والعشرين (د / احمد فخرى : مصر الفرعونية صـ ٤١٤ ـ ٤١٥ .

(٤) معنى أشعيا : الرب يخلص وهو اسم النبى الكبار الذى تنبأ فى يهوذا فى أيام عزيا ويوثام وآحاز وحزقيا ـ ملوك يهوذا ـ ويرجح أنه عاش إلى أن جاوز الثمانين من العمر ،ويعتبر أعظم أنبياء العهد القديم قاطبة (راجع الحديث عنه بالتفصيل فى قاموس الكتاب المقدس صـ ٨١ ـ ٨٢) .

(٥) ومن أقوال أشعيا على لسان يهوه « ويل للنبيين المتمردين ـ الذين يذهبون لينزلوا ألى مصر ولم يسألوا فمى ليلتجئوا إلى حصن فرعون ويحتموا بظل مصر، فيصير لكم حصن فرعون خجلا والآحتماء بظل مصر خزيا ، فان مصر تعين باطلا وعبثا (اشعياء ٣٠ : ١ـ ٧ راجع ٣١ : ١ ـ ٣)

(٦) يوشيا : هو الملك الخامس عشر من ملوك يهوذا .

فرعون مصر « نخو (١) ـ لينال من البابليين فتصدى له الملك يوشيا ولكنه انهزم امامه وقتل فى المعركة ، فقام اليهود بتولية ابنه يهواحاز عوضا عنه ، وبعد توليه بثلاثة شهور قام فرعون مصر بأسره وحمله معه إلى مصر حتى مات بها بعد أن عين أخاه الياقيم بن يوشيا بدلا منه وغير اسمه إلى يهو يا قيم ، وصار تابعا مخلصا له ، وأصبحت مملكة يهوذا خاضعة للسيادة المصرية (٢) .

سقوط مملكة يهوذا والهجرة الجماعية إلى مصر :

تمكن البابليون من هزيمة المصريين وأخضعوا مملكة يهوذا لسيطرتهم ، ولكن المصريين قاموا بتحريض اليهود على التمرد والثورة ضدهم فأدى ذلك إلى سقوط المملكة وتدميراورشليم (٣) .

وحين حدث ذلك فزع كثير من اليهود وفروا إلى مصر خوفاً من بطش البابليين (٤) غير

(١) نخو هو ابن بسمتيك الأول ـ ويسمى « نكاو الثانى » (٦٠٩ ـ ٥٩٤ ق .م) وهو أحد ملوك الأسرة السادسة والعشرين (٦٦٣ ـ ٥٢٥ ق . م) وكان هذا الزحف من أوائل أعماله التى قام بها (دريوتون وفانديه : مصر صـ ٦٤٧ مرجريت مارى : مصر ومجدها الغابر صـ ١٢٥ ، د/ احمد فخرى : مصر الفرعونية صـ ٤١٨ ، ٤٢٤ .

(٢) راجع ملوك ثان ٢٣ : ٢٩ ـ ٣٥ ، أخبار ثان ٣٥ : ٢٠ ـ ٢٥ / ٣٦ : ١ ـ ٤ .

(٣) أوقع بنوخذ نصر ملك بابل الهزيمة بالفرعون نخاو الثانى فى موقعة قرقميش عام ٦٠٥ ق .م وأجلاه عن فلسطين، ولما ثارت عليه مملكة يهوذا عام ٥٩٧ ق .م تمكن من اخماد ثورتهم فعادت إلى الثورة مرة ثانية (٨٨٥ ـ ٥٨٦ ق . م) مؤملة أن يسارع ملك مصر « ابريس » (من ملوك الاسرة السادسة والعشرين) وهو خفرع فى التوراة (٥٨٩ ـ ٥٦٩) إلى نجدتها ولكم ملك بابل سارع إلى اخماد الثورة وتدمير أورشليم تدميرا شاملا ، وكان فى يهوذا فى ذلك الوقت (٥٨٨ ـ ٥٨٦) حزبان أحدهما يميل إلى مناصرة مصر وملكها « وكانت لاتزال تداعب أحلام هذا الحزب ذكريات اليهود السعيدة عن مصر أرض الخصب والرخاء « وكان الحزب الآخر يرى الرضوخ للبابليين (راجع ارميا ٢٨ : ١ / ٣٧ : ١ ـ ٥ / ٤٤ : ٣٠ / ٤٦ : ١ ـ ٢ .راجع ايضا مرجريت مارى : مصرومجدها الغابر صـ ١٢٦ د / مصطفى عبد العليم : اليهود فى مصر فى عصرى البطالمة والرومان مع مقدمة عن مصر فى العصر الفرعونى صـ ٤ د/ صالح : مصر والعراق صـ ٣٠٦ .

(٤) جاء فى سفر الملوك الثانى أن الذين نجوا من السبى البابلى وبقوا فى اورشليم قتلوا من ولاه البابليون عليهم « فقام جميع الشعب من الصغير الى الكبير ورؤساء الجيوش وجاءوا إلى مصر لأنهم خافوا من الكلدانيين (راجع ٢٥ / ٢٢ ـ ٢٦) .

مبالين بتحذير نبيهم ارميا (١) وتوعده لهم بالهلاك ان هم نزحوا اليها (٢) ويبدو أنه قد اضطر هو أيضا إلى أن ينضم إليهم ويلوذ بالفرار معهم (٣) .

وفتحت مصر صدرها لهؤلاء المهاجرين ، فرحب بهم ملكها ، ومد لهم حبل الاقامة(٤) .

الجالية اليهودية فى اليفنتين (أسوان)

كما رأينا ،وكما –حدثتنا المصادر القديمة فإن اليهود قد انتشروا فى العصر الصاوى(٥) وبعده فى مختلف انحاء مصر ، وأنشأوا عددا من الجاليات اليهودية بها

---

(١) ارميا : ومعناه الرب يؤسس أو الرب يثبت وهو ابن خلقيا الكاهن وأحد الانبياء الكبار ويطلق عليه النبى العظيم وقد تنبأ فى عهد يوشيا وصدقيا وعاصر أحداث السبى البابلى وكان متهما بموالاة البابليين (راجع سفر ارميا الاصحاحات الأولى وراجع قاموس الكتاب المقدس صـ ٥٢ ـ ٥٣ .

(٢) أخذ الشعب يلح على ارميا ويرجوه ان يسأل الرب حتى يسمح لهم بالفرار إلى مصر ولكن ارميا اخبرهم بأن الرب يعارض الفرار إلى مصر وأنذرهم بالهلاك والموت إن هم عصوا أمره ولكنهم رموه بالكذب واتهموه بالخيانة ونزحوا إلى مصر فى هجرة جماعية) راجع ارميا ٤٢ : ١ـ ٢٢ ، / ٤٣ : ١ ـ ٧)

(٣) راجع ارميا ٤٣ : ٨ ـ ١٣ . صموئيل شولتز : العهد القديم يتكلم صـ ٤٦٥ ، بريستيد العصور القديمة صـ ٢٣١ .

(٤) لقد صادف قدوم اليهود إلى مصر قبولا لدى ملوك العصر الصاوى ـ ومنهم ابريس (الذى رحب بهم) ـ اذ كانوا يشجعون الاجانب على المجئ إلى مصر للاشتغال بالتجارة والجندية ، وقبل ابريس استخدم الملك بسماتيك الأول (٦٦٤ ـ ٦٠ ق .م) كثيراً من اليهود جندا مرتزقة ، وكذلك بسماتيك الثانى (٥٩٣ ـ ٥٨٩ ق .م) كاترين هنرى : التاريخ فى الكتاب صـ ٩٨ ـ ٩٩ . د/ ابراهيم نصحى : تاريخ مصر فى عصر البطالمة الجزء الثانى صـ ١٤٩ طبع ونشر مكتبة الأنجلو المصرية القاهرة ١٩٨١ م ، د/ مصطفى كمال عبد العليم : اليهود فى مصر فى عصرى البطالمة والرومان صـ ٥ـ ٦ ، وقد جاء فى سفر ارميا « الكلمة التى صارت إلى ارميا من جهة كل اليهود الساكنين فى أرض مصر ، الساكنين فى مجدل وفى تحفنحيس وفى نوف وفى أرض فتروس .. ارميا ٤٤ : ١ ، ويدل تشعب هذه الأماكن على وجود كثير من اليهود فى مصر قبل عصر النبى ارميا ، بالاضافة إلى أننا نجد فى ارميا ٢٤ : ٨ اشارة واضحة إلى وجود جماعات من اورشليم سكنت ارض مصر فى عصر « صدقيا ـ ملك يهوذا » راجع د/ مصطفى عبد العليم : اليهود فى مصر صـ ٣ ، محمد على هوارى الألوهية عند بنى اسرائيل صـ ٤٢١ ـ ٤٢٢ .

(٥) ينسب هذا العصر إلى اسم عاصمته (صا الحجر) على فرع رشيد فى غرب الدلتا وذكرت فى النصوص المصرية باسم « صاو » وعاشت فى هذا العصر الأسرة السادسة والعشرون (د/ عبد العزيز صالح : مصر والعراق صـ ٣٠٠)

وكانت جزيرة الفينيتين (أسوان) (١) من أهم وأشهر المناطق التى استقرت بها هذه الجاليات .

وترجع أهمية وشهرة هذه المنطقة إلى ما عثر فيها من البرديات والوثائق الآرامية (٢) .

وقد سميت هذه الوثائق وتلك البرديات بالآرامية ، لأن اليهود فى هذه الجزيرة قد اتصلوا بالآراميين اتصالا وثيقا ، واختلطوا بهم اختلاطا شديدا حتى صار من المتعذر التفرقة بين الأراميين واليهود.

ولذلك فقد أطلق العلماء عند الحديث عنهم تسمية الجالية الآرامية اليهودية (٣) .

---

(١) تقع جزيرة الفينتين والمعروفة الآن باسم جزيزة أسوان على بعد يقل عن ستة أميال من الشلال الأول مقابل مدينة اسوان الحالية عبر النهر ، ويعنى اسمها فى اللغة المصرية القديمة « فيل » والذى انتقل إلى اليونانية تحت اسم « اليفانتيين » ولذلك فانها تسمى جزيرة الفيلة ، وقد ذكرت أسوان فى سفر ـ حزقيال ٢٩ : ١٠ / ٣٠ : ٦ ، راجع بريستيد : العصور القديمة صـ ٢٣١ ، قاموس الكتاب المقدس صـ ٧٦ ، د/ مصطفى عبد العليم : اليهود فى مصر صـ ٦ ، د/ مهران : الجزء ٨ صـ١٠٨٤ .

(٢) اكتشفت هذه البرديات وتلك الوثائق عام ١٩٠٣ م وهى ترجع إلى القرن الخامس ق .م . وتعطينا صورة واضحة مفصلة عن حياة الجالية اليهودية فى اليفنين من كافة النواحى الدينية والإجتماعية والقانونية والاقتصادية ، كما أنها تمدنا ببعض المعلومات الأخرى عن أماكن أخرى استقر بها اليهود وذلك بفضل الرسائل التى كان أولئك اليهود يتبادلونها مع اخوانهم فى اليفتين ، وفضلا عن ذلك فان هذه البرديات تعتبر بمثابة سجل حافل بالاحداث التاريخة التى كانت اليفنتين بل مصر كلها إلى حد ما مسرحا لها فى العصر الفارسى (٥٢٥ د ـ ٣٣٢ ق .م) ويضم الاسر من ٢٧ ـ ٣١ . وقد كتب عن هذه الوثائق الدكتور مراد كامل تحت عنوان « النصوص الآرامية التى كشفت حديثا فى مصر فى مجلة أحاديث الثلاثاء بدار ـ السلام القاهرة ١٩٥٢ م (راجع د/ مصطفى عبد العليم :اليهود فى مصر صـ ٦ - ٧ بريستيد : العصور القديمة صـ ٢٣١، د/ عبد العزيز صالح : مصر والعراق صـ ٣١٧ .

(٣) قدم الدكتور بولس عياد دراسة عن الأراميين فى مصر وذكر فيها أن كلا من الآراميين واليهود قد نزحوا إلى مصر فى وقت متقارب واستقروا فى القرنين السادس والخامس ق .م وذكر أن من المتعذر التفرقة بينهم لأسباب كثيرة عدد منها ثلاثة عشر سببا ، وكلها توضح اختلاط الأسماء الآرامية باليهودية ، وأن اليهود قد تأرموا وأن كلا منهم قد استخدم اللغة الآرامية بعد أن صارت الآرامية لغة دولية ، وأنهم عبدوا الآلهة الوثنية المصرية وحدث بينهم تزاوج واختلاط (راجع كتاب الأراميون فى مصر صـ ٢٦ ـ ٣٢ ، راجع ايضا د/ صالح : مصر والعراق صـ ٣٢٠ .

هذا وقد تعددت وجهات النظر فى ظروف اتجاه هذه الجالية أو تلك الحامية اليهودية إلى أسوان ، وتوقيت بداية سكناها فيها وانضمامه إلي معسكراتها (١) .

وان كانت الآراء تكاد تتفق على أن يهود اليفتين كانوا من سلالة الجندالمرتزقة الذين عملوا فى جيش بسماتيك الثانى أو من سلالة الذين نجوا من السبى البابلى بعد تدمير هيكل أورشليم عام ٥٨٦ ق .م (٢) .

ولما كانت إحدى الوثائق الآرامية التى عثر عليها فى اليفنتين تشير إلى أن المعبد الذى أقامته الجالية اليهودية يرجع إلى عهد ملوك مصر فان الرأى السائد اليوم هو أن قيام تلك الجالية يرجع إلى ما قبل الفتح الفارسى لمصر عام ٥٢٥ ق .م (٣) .

كما يستنتج من النظريات المتعددة التى عرضها العلماء أن تكوين هذه الحامية يرجع إلى عهد الأسرة السادسة والعشرين المصرية ، وأنها استمرت طوال الاسرة السابعة والعشرين الفارسية (٤) .

---

(١) ظهرت نظريات متعددة تشير إلى بداية تكوين الحامية اليهودية فى اليفتين بلغت حوالى سبع نظريات ، وقد ربطت بعضها بين لجؤ اليهود إلى مصر وبين أحداث التاريخ اليهودى على فلسطين خلال القرنين السابع والسادس ق .م ، والتفتت نظريات اخرى ــ إلى أحداث مصر نفسهاودواعى اجتذاب بعض اليهود إلى حدودها الجنوبية .

ونستطيع القول بأن غالبية هذه الاراء تكون اقرب إلى الدقة، اذ اعتبرناها اشارات إلى الفترات التى شهدت هجرات يهودية متتالية إلى أرض مصر بشكل عام .

راجع / عبد العزيز صالح : مصر والعراق صـ ٣١٧ ــ ٣١٨ ، د/ بولس عياد : الاراميون فى مصر صـ ٣٨ ــ ٤٠ ، د/ محمد بيومى مهران : دراسات فى تاريخ الشرق الأدنى القديم الجزء الثامن صـ ١٠٧٨ ــ ١٠٨٥ ، محمد علِى حسن هوارى : الالوهية عند بنى اسرائيل رسالة دكتوراة بجامعة عين شمس صـ ٤٥٥ ــ ٤٥٩ .

(٢) د/ مصطفى عبد العليم : اليهود فى مصر فى عصرى البطالمة والرومان صـ ٧ .

(٣) أى إلى أوائل القرن السابع وأوئل القرن السادس ق .م راجع د/ ابراهيم نصحى :ــ تاريخ مصر فى عهد البطالمة الجزء الثانى صـ ١٥٠ ، د/ مصطفى عبد العليم صـ ٨

(٤) د/ بولس عياد : الأراميون فى مصر صـ ٤٠ .

المبحث الثانى : اتصال اليهود بشعوب فلسطين :

أرض فلسطين وأهميتها التاريخية :

تقع أرض فلسطين فى الجزء الجنوبى من بلاد سورية القديمة (١) ، وقد اشتق لفظ فلسطين من اسم الفلسطينين ، اذ أطلق أولاً على الجزء الجنوبى الغربى الذى كان يسكنه هؤلاء الفلسطينيون .

ومنذ القرن الثاني عشر ق .م أطلق اليونانيون اسم فلسطين على كل المنطقة التى كانت تسمى قبل ذلك بأرض كنعان (٢) .

وكانت فلسطين ـ بهذا الموقع ـ تتمتع بأهمية كبيرة من جميع النواحى : سياسية واقتصادية ، وثقافية ،

فهى من الناحية السياسية ـ فيما يذكر بريستيد ـ كانت هدفاً دولياً (٣) اذ ان ـ موقعها جعلها معتركا حربيا فتبارت على أرضها جيوش الأمم المحيطة تتقاتل وتتطاحن (٤) حتى غدت ميدانا للتطاحن العالمى ـ كما يقول روبنسون ـ فليس هناك على سطح الأرض ـ بقعة اقتتلت فيها الدول العظمى كما اقتتلت فى فلسطين (٥) .

وقد أثر ذلك بدوره على اليهود بعد دخولهم أرضها ومحاولة استقرارهم فى جزء منها .

---

(١) يمتد هذا الجزء بين البحر المتوسط والصحراء السورية من جبل حرمون حتى نهاية ـ البحر الميت من الجنوب (موسوعة تاريخ العالم جـ ١ صـ ٦٤ لا نجر) .

(٢) راجع المصدر السابق ، د/ فيليب حتى : تاريخ لبنان صـ ٨٢ ، د/ ثروت أنيس الأسيوطى نظام الأسرة بين الاقتصاد والدين ـ بنو اسرائيل صـ ١٢٣ ، د/ نجيب ميخائيل : مصر والشرق الادنى جـ ٣ صـ ١٥٤ ـ ١٥٥ ، راجع بالتفصيل قاموس الكتاب المقدس صـ ٦٨٥ ـ ٦٨٧ .

(٣) فجر الضمير صـ ٣٧٣ . (٤) العصور القديمة صـ ٢٢١ .

(٥) اسرائيل فى ضوء التاريخ صـ ١٠٢ ـ ١٠٣ ترجمة د / عبد الحميد يونس من المجلد الثانى من كتاب تاريخ العالم نشر جون هامرتون .

يقول ول ديورانت « كان من حسن حظ فلسطين أو من سوء حظها أن تقع بين عواصم النيل وعواصم دجلة والفرات ، وهذا الموقع قد جاء إلى هذه البلاد بالتجارة كما جاءها بالحرب . وكم من مرة ضيق على اليهود فلم يجدوا مخرجاً من ضيقهم إلا بالإنضمام إلى الطرفين فى الصراع القائم بين الامبراطوريات الكبرى أو بأداء الجزية عن يدوهم صاغرون ، وكم من مرة اجتاح المصطرعون بلادهم وكان من وراء التوراة ، ومن وراء صراخ أصحاب المزامير والأنبياء وعويلهم وطلبهم الغوث من رب السماء، كان من وراء هذا كله موقع اليهود التى تتهدده الأخطار بين شقى الرحى من فوقهم دول أرض الجزيرة ومن تحتهم مصر (١) .

ومن الناحية الاقتصادية فقد كانت فلسطين فيما يرى المؤرخون أعظم سوق دولية وأكبر مركز تجارى عالمى (٢) .

وأما من الناحية الثقافية فقد امتزجت فى فلسطين مدنيات مصر وبابل وفينيقية وبلاد ايجه وآسيا الصغرى على أسلوب لا مثيل له فى الشرق القديم (٣) .

شعوب فلسطين :

يقول اولبرايت « كما كانت فلسطين معبراً بين القارات ، كان أهلها دائماً خليطاً ، ولا يحتمل البتة وجود فترة ما منذ بداية العصر الحجرى القديم إلا مثلت فيها بفلسطين فصائل مختلفة من النماذج البشرية واللغات المتنوعة (٤) .

وطوال العصور التاريخية أخذت أجناس شتى تستقر فى فلسطين تضم عناصر سامية وعناصر اخرى غير سامية (٥) .

فمن العناصر السامية كان يوجد الكنعانيون والأموريون والأرآميون ، وبجانبهم

---

(١) قصة الحضارة مجلد ١ جـ ٢ صـ ٣٢١ ، ٣٢٢ .

(٢) روبنسون : اسرائيل فى ضؤ التاريخ صـ ١٠٤ ، بريستيد : العصور القديمة صـ ٢٢٠ ـ ٢٢١ د/ فؤاد حسنين على : فلسطين العربية صـ ١٦ معهد البحوث والدرسات العربية قسم البحوث والدراسات الفلسطينية ١٩٧٣ .

(٣) بريستيد : العصور القديمة صـ ٢٢١ فجر الضمير صـ ٣٧٣ .

(٤) آثار فلسطين صـ ١٦٩ .

(٥) المصدر السابق صـ ١٧٤ ، د/ نجيب ميخائيل : مصر والشرق الأدنى جـ٣ صـ ١٤٦ ـ ١٤٧.

كوكبة أخرى من القبائل السامية الصغرى كالأدوميين والمؤابيين والعمونيين .

ومن العناصر غير السامية كان يوجد الحثيون والفسطينيون (١) .

وعلى ذلك فان الاسرائيليين حيمنا دخلوا أرض فلسطين ـــ فى عصر يشوع وحاولوا الاستقرار بها فى عصر القضاة ، وكونوا مملكتهم الموحدة والتى انقسمت بعد ذلك ـ لم يكونوا من سكانها الأصليين وإنما طرأوا على هذه الشعوب السامية وغير السامية ، واختلطوا بهم ، وحدث بينهم صراع طويل انتهى إلى الفناء فيهم والإمتزاج بهم ، وكما يذكر سفر القضاة فسكنوا فى وسطهم واتخذوا بناتهم لأنفسهم نساء وأعطوا بناتهم لبنيهم وعبدوا آلهتهم » (٢) .

وكما يقول روبنسون « ان كل من استقر فى هذه البلاد من الغزاة قد خلط دمه بدم هذا الشعب الخليط (٣) .

أولا : العناصر السامية :

ومن العناصر السامية التى كونت شعوب فلسطين يعتبر الكنعانيون هم أقدم وأول من أقام بأرض فلسطين (٤) .

١ـ اتصال اليهود بالكنعانيين :

الكنعانيون فى نظر التوراة :

ينسب كتبة التوراة الكنعانيين إلى كنعان بن حام بن نوح (٥) وقد تسنى لهم أن يستبعدوا كنعان هذا من رحاب الاسرة النوحية بذلك الفصل الهازل الذى ختموا به

---

(١) راجع الاب ديلى : تاريخ شعب العهد القديم صـ ١٨٣ ، ١٨٥ ، لانجر : موسوعة تاريخ العالم جـ ١ صـ ٦٤ ، د/ فؤاد حسنين : اسرائيل عبر التاريخ صـ ٦٨ ، د/ جمال حمدان / اليهود انثروبولوجيا صـ ١٠ ، وقد ذكر سفر القضاة أن هؤلاء الأمم قد تركهم الرب فى البلاد ليمتحن بهم بنى اسرائيل فسكنوا فى وسطهم (قضاة ٣ : ١ ـ ٥) .

(٢) قضاة ٣ : ٥ ـ ٦.

(٣) اسرائيل فى ضؤ التاريخ صـ ١٠٢ .

(٤) راجع د/ فؤاد حسنين على : اسرئيل عبر التاريخ صـ ٦٨ ، د/ أحمد سوسة : مفصل العرب واليهود فى التاريخ صـ ١١١ وزارة الثقافة والإعلام العراق دار الرشيد بغداد ١٩٨١ .

(٥) « وبنو حام : كوش ومصرايم وفوط وكنعان » راجع تكوين ١٠ : ٦ أخبار الأيام الأول : ١ : ٨

سيرة ابيه ولونوا فيه اسم ذلك النبى الجليل (١) .

هجرة الخليل ابراهيم إلى كنعان :

يذكر سفر التكوين أن الرب أمر ابراهيم أن يخرج من أرض حاران إلى أرض كنعان فذهب إليها بصحبة لوط ابن اخيه ، وساراى امرأته ، وهناك التقى بالكنعانيين(٢) .

ثم حدث أن ارتحل إلى مصر (٣) ولما خرج منها عاد إلى كنعان مرة أخرى وهناك أطلق عليه لقب العبرانى (٤) .

وقد اختلف العلماء فى تاريخ هذه الرحلة ، وان كانوا يرجحون أنها تمت فى القرن التاسع عشر ق .م (٥) .

التحذير من الزواج بالكنعانيات :

وبالرغم من اقامة ابراهيم فى كنعان ومعاشرته للكنعانيين إلا أنه يرفض ــ فيما

---

(١) ورد فى سفر التكوين أن نوحا شرب من الخمر فسكر وتعرى داخل خبائه فأبصر حام أبو كنعان عورة ابيه وأخبر أخويه خارجا ، فأخذ سام ويافث الرداء ووضعاه على اكتافهما ، ومشيا إلى الوراء وسترا عورة ابيهما ووجهاهما إلى الوراء ، فلم يبصرا عورة ابيهما ، فلما استيقظ نوح من خمره علم مافعل به ابنه الصغير فقال ملعون كنعان ، عبد العبيد يكون لاخوته وقال مبارك الرب اله سام وليكن كنعان عبدا لهم ، ليفتح الله ليافث فيسكن فى مساكن سام وليكن كنعان عبدا لهم (تكوين ٩ : ٢١ ــ ٢٧) ولايخفى أن هذا الزعم وذلك التلفيق قد وضعا بعد غزوة كنعان حتى يتسنى للاسرائيليين تبرير استيلائهم على الكنعانيين ومحاولة النيل منهم ، وإلا فما ذنب كنعان وأبوه هو الذى كشف عورة ابيه كما يزعمون ، وماذنب نوح ايضا حتى يظهروه فى ثوب السكير العربيد ، ولمزيد من التفصيلات حول هذا المرضوع راجع عصام الدين حفنى ناصف : محنة التوراة على ايدى اليهود صـ ١٤ ــ ١٥ .

(٢) تكوين ١٢ : ١ ــ ٦ . (٣) تكوين ١٢ : ١٤ ــ ٢٠ .

(٤) راجع تكوين ١٣ : ١ ــ ١٢/ ١٤ : ١٣

(٥) يذكر ول ديورانت أن رحلة الخليل إلى كنعان كانت حوالى ٢٢٠٠ ق .م (قصة الحضارة مجلد ١ جـ ٢ ــ ٣٢٤ ، وهناك من يذهب إلى أنها تمت حوالى ١٧٥٠ ق. م (د/ احمد شلبى : اليهودية صـ ٥٠ سلسلة مقارنة الأديان الطبعة الخامسة ١٩٧٨) والأرجح أنها تمت فى منتصف القرن التاسع عشر أى حوالى ١٨٥٠ ق .م أو قبل ذلك بقليل (راجع صموئيل شولتز : العهد القديم يتكلم صـ ٤٠ ، جورج رو : العراق القديم صـ ٣٢٢ ــ ٢٢٣ .

روى سفر التكوين ـ أن يتزوج ابنه اسحاق من بناتهم (١) واعتبرت التوراة أرض كنعان أرض غربة له ولبنيه (٢) .

· وكذلك فعل اسحاق اذ دعا ابنه يعقوب وأوصاه أن لا يأخذ زوجة من بنات كنعان (٣) لأنهن شريرات فى عينه (٤) .

هجرة يعقوب إلى كنعان :

يقص سفر التكوين أن يعقوب بعد أن استقر فى فدان أرام وتزوج وأنجب (٥) هاجر إلى أرض كنعان هو وأسرته ، وأقاموا فى مدينة شكيم (٦) .

وهناك وقعت حادثة اغتصاب لابنته دينة من ابن رئيس شكيم (٧) وظل يعقوب وبنوه فى كنعان حتى هاجروا منها إلى مصر (٨) وكان ذلك كما سبق أن أشرت فى منتصف القرن السابع عشر .

موسى وأرض كنعان :

يذكر سفر العدد أن موسى أرسل رجالا ليتجسسوا أرض كنعان ، وطلب منهم

---

(١) « وقال ابراهيم لعبده وكبير بيته .... فأستحلفك بالرب إله السماء وإله الأرض أن لاتأخذ زوجة لا بنى من بنات الكنعانيين الذين أنا ساكن بينهم بل إلى أرضى وإلى عشيرتى تذهب وتأخذ زوجة لابنى إسحاق » تكوين ٢٤ : ٢ـ ٤ راجع تكوين ٢٤ : ٢٧ـ ٤١ .

(٢)تكوين ٣٥ : ٢٧ / ٣٧ : ١. (٣) تكوين ٢٨ : ١ . (٤)تكوين ٢٨ : ٧ـ ٨

(٥)راجع الاصحاحات ٢٩ ، ٣٠ ، ٣١ . (٦) تكوين ٣٣ : ١٨ ومدينة شكيم التى هى نابلس الآن تقع شمال أورشليم جنوب شرقى السامرة .

(راجع قاموس الكتاب المقدس صـ ٥١٤ ـ ٥١٥)

(٧) يذكر سفر التكوين أن دينه بنت يعقوب خرجت لتنظر بنات الأرض ، فرآها شكيم بن حمور الحوى رئيس الأرض وأخذها واضجع معها وأذلها ، ثم تعلقت نفسه بها ، فأراد أن يتزوجها فذهب ابوه إلى يعقوب وعرض عليه الزواج منها فرفض يعقوب وإخوانها وقالوا انه نجس دينة وهو أغلف فسيكون زواجه عاراً لنا ، ثم وافقوا بعد أن اختتن شكيم وقومه ،ولكن حدث ـ أن شمعون ولاوى ابنى يعقوب هجما على مدينة شكيم وقتلا كل ذكر وقتلا حمور وشكيم ابنه ، وأخذا اختهما دينه ، ثم جاء اخوتهم معهم ونهبوا كل مافى المدينة (راجع الاصحاح الرابع والثلاثين .

(٨)تكوين ٣٧ : ١ / ٤٥ : ١٧ـ ١٨ ، ٢٥ـ ٢٨ / ٤٦ : ١ـ ٧ .

أن يقدموا له تقريراً مفصلا عن أرض كنعان وعن الشعب الساكن بها (١) ، وعاد هؤلاء الرجال بعد أربعين يوما وقالوا ان الأرض تفيض لبنا وعسلا ، ولكنهم ذكروا أن الشعب الساكن بها معتز وأن مدنها محصنة تحصينا عظيما (٢) ، فأحدث ذلك التقرير تذمراً عاما بين الشعب ، ورفضا كاملا لتعاليم موسى (٣) ، فكان أن عاقبهم الرب وبدأت مرحلة التيه (٤) .

وتذكر الأسفار أن موسى حاول بعد ذلك الدخول إلى أرض كمعان ولكن محاولاته باءت بالفشل (٥) ، أو أن الرب ـ فى زعمهم ـ قد غضب عليه فحرمه من دخولها ، وسمح له فقط بالنظر اليها من بعيد قبل أن يموت (٦) .

ولكن اذا كان موسى لم يتمكن من دخول أرض كنعان فانه ـ كما زعمت التوراة الحالية ـ وضع للاسرائيليين خطة لغزوها وأعد لهم نظاما لتقسيمها (٧) .

يشوع وأرض كنعان :

كلف الرب يشوع بن نون أن يقود الشعب للدخول فى أرض كنعان (٨) فوضع نصب عينيه تلك الخطة التى وضعها موسى - حسب زعم التوراة ـ (٩) وجاهد فى تنفيذها رغم ماتحتوى عليه من قسوة ووحشية فبدأ بابادة مدينة أريحا (١٠) واستمر

---

(١) عدد ١٣ : ١ ـ ٢٠ . (٢) عدد ١٣ : ٢١ ـ ٣٣ . (٣) عدد ١٤ : ١ ـ ٤ .

(٤) تفصيل الحديث عن مرحلة التيه فى الباب الثانى فى الفصل الخاص بفترات الاضطهاد ـ والتيه التى تعرض لها اليهود .

(٥) عدد ٢٠ : ١٤ ـ ٢٩ ، وراجع ايضا الاصحاحات ٢١،٢٢،٢٣،٢٤ من نفس السفر .

(٦) تثنية ٣٢ : ٤٨ـ ٢٥ / ٣٤ : ١ـ ٦ . (٧) راجع الإصحاحات ٣٤،٣٥،٣٦ من سفر العدد .

(٨) يشوع ١ : ١ـ ٧ .

(٩) راجع الاصحاح السابع من سفر التثنية، والخطة كما يقول محمد عزة دروزة ـ توجيه نحو العدوان المباشر الهادف إلى ابادة السكان فى غرب الأردن والحلول محلهم بذريعة أنهم مشركون دونما اعتذار أو انذار ولا دعوة إلى سلم أو توحيد مما لم يكد التاريخ يسجل مثيلها فى الوحشية والقسوة (تاريخ بنى اسرائيل من أسفارهم صـ ١٠٠ ـ ١٠١)

(١٠) أريحا : معناها مدينة القمر أو مكان الروائح العطرية وهى مدينة ذات أهمية عظمى تقع على مسافة خمسة أميال غربى نهر الأردن وعلى مسافة سبعة عشر ميلا شمال شرقى أورشليم وأريحا التى ورد ذكرها فى العهد القديم موضعها الآن تل السلطان الذى يقع على بعد =

فى حروبه ضد الكنعانيين حتى سقطت فى يده احدى وثلاثون امارة لهم (١) ، ثم شرع على أثر ذلك فى توزيع أسباط بنى اسرائيل على الأرض المحتلة (٢) ، وهو توزيع استمر مائعاً غامض الحدود إلى عهد المملكة اليهودية بعد ذلك بنحو قرنين ونصف من الزمان (٣) .

وهكذا يصور لنا سفر يشوع أن الاسرائيليين بقيادة يوشع قد تملكوا كل أرض كنعان وسيطروا على جميع الساكنين بها (٤) .

ولاشك أن هذا نوع من المبالغة والتزيد ، أدى بكتبة السفر إلى الوقوع فى التناقض ، فهذه الصورة من الغزو العريض التى يرسمها السفر يوجد بين اصحاحاته

= مسافة ميل من مدينة أريحا الحديثة التى تدعى الآن « الريحا » (قاموس الكتاب المقدس صـ ٥٨)
وأريحا هى أول مدينة غزاها يشوع فكان المحاربون يطوفون حولها مرة كل يوم على مدى ستة أيام ، وفى اليوم السابع طافوا حوله سبع مرات وضرب الكهنة بالأبواق فسقطت أسوارها وأحرقوها وحرموا مابها وقتلوا كل من فيها سوى راحاب الزانية التى خانت قومها وكذا بيت أبيها وأسكنوها فى وسط اسرائيل لأنها خبأت الجواسيس الذين كانوا قد أرسلهم يشوع للتجسس .
(راجع يشوع الاصحاحات ٢ ـ ٦ . د/ نجيب ميخائيل : مصر والشرق الأدنى جـ ٣ صـ ١٧٩ ٢٨٠ قاموس الكتاب المقدس صـ ٥٨ ـ ٥٩ .

(١) يشوع ١٢ : ٧ ـ ٢٤ ،

(٢) قام يشوع بتوزيع الأرض التى اغتصبها على أسباط بنى اسرائيل ما عدا سبط رأوبين وسبط جاد ونصف سبط منسى الذين صبق لهم أن أخذوا نصيبهم فى الأرض التى اغتصبها الاسرائيليون بقيادة موسى شرقى الأردن وفى الأسفار تفصيل كامل لتوزيع هذه الانصبة
(راجع سفر يشوع ١٣ : ١٥ ـ ٣٣ / ١٤ / ١٥ / ١٦ / ١٧ ، صموئيل شولتز : العهد القديم يتكلم صـ ١٣٢ ـ ١٣٣ ، ل . توماس هولد كروفت : الأسفار التاريخية تعريب : أديبة شكرى يعقوب دار الجيل للطباعة القاهرة من الدراسات الكتابية للكنيسة الرسولية ١٩٨٥ ، زكى شنودة : اليهود صـ ٥٤ ـ ٥٨ .

(٣) د/ حسن ظاظا : الساميون ولغاتهم صـ ٧٩ ـ ٨٠ .

(٤) راجع ايضا يشوع ١١٢ : ٢٣ فأخذ يشوع كل الأرض حسب كل ما كلم به الرب موسى وأعطاها يشوع ملكا لاسرائيل حسب فرقهم وأسباطهم واستراحت الأرض من الحرب .

ما يقضي على صحتها (١) .

بالاضافة إلى ما ورد في الأسفار التالية وخاصة سفر القضاة (٢) الذي يستدل منه على أن الإسرائيليين لم يسيطروا على أرض كنعان وأنهم لم يبيدوا الكنعانيين كما زعم كاتب سفر يشوع (٣) .

ويرجع الدكتور نجيب ميخائيل الخلط الذي وقع فيه هذا الكاتب إلى أن السفر كتب خلال الأسر البابلي ، وأن ما يرويه على أنه تم في خمس سنوات قد استغرق قرنين ونصف من الزمان ليكتمل حدوثه فعلا ، ذلك أن الاخضاع الكامل لكنعان لم يحدث إلا في عهد سليمان (٤) .

ولعل في بعد الشقة مابين الأحداث وتسجيلها ما يشفع في هذا الخلط بل مايشفع في المغالاة والتفاخر بما ارتكب من مجازر لم يكن لها من أساس إلا في أذهان مؤلفيها الذين شهدوها في بربرية الأشوريين والبابليين فخيل إليهم أن أسلافهم مارسوا نفس ـ اللون من القهر والاذلال (٥) ولذلك فان المؤرخين يؤيدون ما ورد في

---

(١) على سبيل المثال ورد في الاصحاح الثالث عشر « وشاخ يشوع فقال له الرب أنت قد شخت ..... وقد بقيت أرض كثيرة جدا للأمتلاك هذه هي الأرض الباقية راجع ١٣ : ١ـ٤ ، راجع أيضاً ١٣ : ١٣ . ١٥ : ٦٣ / ١٦ : ١٠ / ١٧ : ١١ ـ ١٣ مما يثبت أن سكان أرض كنعان من الكنعانيين ظلوا في اماكنهم ، وأن الاسرائيليين أقاموا في وسطهم ،وأن اورشليم مثلا لم يتم الاستيلاء عليها إلا في عهد داود عليه السلام ـ (اخبار الأيام الأول ١١ : ٤ ـ ٨)

(٢) ورد في الاصحاح الأول من سفر القضاة أن بني اسرائيل سألوا الرب من يصعد إلى الكنعانيين لمحاربتهم (١ : ١ ـ ٧) وأن سبط بنيامين لم يطرد اليبوسيين سكان ـ أورشليم وأقاموا بينهم (١ : ٢١) ، وأن سبط افرايم لم يطرد الكنعانيين الساكنين في جازر فسكن الكنعانيون في وسطهم (١ : ٢٩) وسكن الكنعانيون في وسط سبط زبولون (١ : ٣١) وكذلك الأشيريون (سبط أشير) سكنوا في وسط الكنعانيين سكان الأرض لأنهم لم يطردوهم وسبط نفتالي سكن أيضا في وسط الكنعانيين (١ : ٣٢ ـ ٣٣) وجاء في السفر أيضا أن بني إسرائيل سكنوا في وسط الكنعانيين وغيرهم من الشعوب واتخذوا بناتهم لأنفسهم نساء وأعطوا بناتهم لبنيهم وعبدوا آلهتهم (٣ : ٥ ـ ٦)

(٣) يشوع ٣ : ١٠ / ٦ : ٢١ ـ ٢٤ / ٨ : ٢٦ / ١٠ : ٢٦ ـ ٣٣ / ١١ : ٦ ـ ٢٣ .

(٤) د/ نجيب ميخائيل : مصر والشرق جـ ٣ صـ ٢٨٣ ـ ٢٨٤ .

(٥) المصدر السابق صـ ٢٨٤ ، ويتضح من مضمون سفر يشوع أن المعلومات التاريخية الواردة فيه من تخيلات أمة تضفي على شخصية من الشخصيات بطولة لم يحلم هوبها مقلدة في ذلك الشعوب التي عاشت بينها، فلم يكن لدى بني اسرائيل بعد فترة التنيه الاستعداد النفسي ولا العتاد الحربي لمحاربة مدن محصنة تحصينا كاملا .

(د/ محمد بحر عبد المجيد : اليهودية صـ ٧٠ مكتبة سعيد رأفت القاهرة ١٩٧٨ م .

سفر القضاة ، ويذكرون أن الاسرائيليين حينما دخلوا أرض فلسطين وجدوا الكنعانيين يقيمون فى مدن محصنة تطوقها الأسواق الضخمة فلم يستطيعوا أن يفتتحوا منها إلا المدن الضعيفة (١) وأن أسباطهم لم يسيطروا إلا على الجبال والتلال والأراضى الفقيرة ، وأن الكنعانيين بقوا فى السهول الغنية يقفون لهم بالمرصاد ويحولون دون تقدمهم (٢) .

وأن القبائل الاسرائيلية بدأت فى التسرب بين الكنعانيين والاقامة فى وسطهم نتيجة حروب قبلية قامت بينهم و انتهت إلى مخالطتهم والامتزاج بهم كما ورد فى سفر القضاة (٣) .

إذ أنهم لم يعتمدوا على جيش منظم ، بل كانت كل قبيلة تسير وفقا لهواها تمارس ألوانا من السلب والنهب (٤) .

فلم يكن هناك اذن غزو أو فتح بالمعنى الصحيح والمفهوم لأرض كنعان أعقبه احتلال لها على الرغم من أقاصيص مؤرخيهم المملؤة انتفاخا (٥) .

بل ان الاسرائيليين حاولوا الاستقرار فى كنعان عن طريق التسلل التدريجى الذى أخذ صورة تغلغل سلمى بطيئ فأدى إلى اندماجهم فى السكان الأصليين ، بجانب بعض الغارات القبلية التى كانت أشبه بحرب العصابات (٦) .

---

(١) بريستيد : العصور القديمة صـ ٢٢٢ أولبرايت :اثار فلسطين صـ ١١٥ .

(٢) كاترين هنرى : التاريخ فى الكتاب صـ ٣٣ ، د:جمال حمدان : اليهود انثروبولوجيا صـ ١١

(٣) راجع الاصحاحات الأولى من السفر .

(٤) د/ ثروت أنيس الأسيوطى : نظام الأسرة بين الاقتصاد والدين بنو اسرائيل صـ ١٣١ ، د/ نجيب ميخائيل : مصر والشرق الأدنى جـ ٣ صـ ٢٨٤ . وكان يوجد بجانب مقاومة الكنعانيين للاسرائيليين التنافس الشديد بين الأسباط والتنازع على الإقامة فى مكان بعينه واستتبع هذا التنافس طبعا لفرق الأسباط وتشتتهم وقد أدى ذلك إلى أن الاستيطان لم يكن جماعيا بل كان فرديا (د/ فؤاد حسنين على : اسرائيل عبر التاريخ صـ ٥٩ .

(٥) غوستاف لوبون : اليهود فى تاريخ الحضارات الأولى صـ ٣٤ .

(٦) د/ فيليب حتى : تاريخ سورية الجزء الأول صـ ١٩٥ موسكاتى : الحضارات السامية القديمة صـ ١٤٠ . د/ فؤاد حسنين على : اسرائيل صـ ٦٨ـ ٦٩ .

وعلى أى حال فقد اختلفت ألوان الصلات بين الكنعانيين والاسرائيليين باختلاف المواضع والنواحي التى التقوا فيها كذالك باختلاف الوضع القائم بينهما ، وقد سجلت الأسفار أشكالا مختلفة وأطوارا سريعة متلاحقة من الصراع بينهما (١) .

بين الاسرائيليين والفينيقيين :

واذا كان قد قدر لكنعان أن تلعب دورها فى التاريخ بعيدا عن فينيقيا فانه ما ان تمت السيطرة الكاملة على أرض كنعان بالكامل فى عصر سليمان حتى بدأت صلات جديدة بين الاسراعيليين وبين الفينيقيين (٢) .

اذ ظلت المدن الفينيقية مستقلة فى الجوهر واتبع الإسرائيليون نحوها سياسة قوامها العلاقات الودية ، وكان ذلك يرجع إلى الموقف السلمى الذى وقفته تلك المدن ، التى كانت منهمكة كل الانهماك فى التجارة ولم تكن لها مطامع سياسية (٣)

وكان من أشهر هذه المدن مدينتا صيدا (٤) وصور(٥) وكانت صيدا فى الأزمنة الأولى المدينة الفينيقية الهامة إلا أنها حوالى القرن الثانى عشر ق .م تخلت عن

---

(١) راجع د/ نجيب ميخائيل : مصر والشرق جـ ٢٨٩ ، وفى الفصل الخاص بخضوع الاسرائيلين للشعوب الوثنية سأتعرض لامتزاج الكنعانيين بالاسرائيليين وتأثرهم بهم .

(٢)راجع المصدر السابق جـ ٣ صـ ٥٤ ، أولبرايت : آثار فلسطين صـ ١١٠ .

(٣) موسكاتى : الحضارات السامية القديمة صـ ١٢٤ ـ ١٢٥ ، وقد أسس الفينيقيون سلسلة من المستعمرات التجارية ومن أهمها مستعمرة قرطاجنة التى أسستها حكومة صور قرب نهاية القرن التاسع عشر ق . م (المصدر السابق صـ ١٢٥ ، دى بورج : تراث العالم القديم جـ ١ صـ ٤٧ .

(٤) ورد فى سفر التكوين أن بكر كنعان بن حام ـ كان يسمى صيدون (١٠ : ٥) وذكر كونتتو أن صيدون يمثل فينيقية كلها فى شخص واحد ولذلك فقد كان اليهود يطلقون على الفينيقيين بأنهم أهل صيدا (الحضارة الفينيقية صـ ٣٨٥ ـ ٣٨٦) ويرجع ذلك إلى شهرة مدينة صيدا وكثرة معابد ها (ولفنسون : تارخ اللغات السامية صـ ٥٧ ـ ٥٨ ، وقد اتصل بها اليهود وعبدوا آلهتها ، ويمتد موقعها من ساحل عرضه نحو ميلين بين جبال لبنان والبحر المتوسط على بعد ٢٢ ميلا شمالى صور ـ (قاموس الكتاب المقدس صـ ٥٦٥ ـ ٥٦٦) .

(٥)صور : مدينة فينيقية شهيرة وهى قديمة جدا ولكنها أسست أو بلغت أهميتها بعد مدينة صيدا ، وقد أقيمت صور وفق الشهادة القديمة على البر ومع تقادم الزمن نقلت إلى الجزيرة الصخرية المجاورة فاشتق منها اسمها ، وكثيرا ماذكر الكتاب القدماء أنها قائمة فى البحر (راجع اشعياء ٢٣ : ٧، ١٢ (حزقيال ٢٦ : ١٧ / ٢٧ : ٣٢) . ول ديورانت : قصة الحضارة مجلد ١ جـ ٢ صـ ٣١٤ ، قاموس الكتاب المقدس صـ ٥٥٩ .

مركزها لمدينة صور (١) ، التى فاقتها فى الشهرة والعظمة وكانت أقرب منها إلى بنى اسرائيل (٢) .

ومن أشهر ملوك صور الملك حيرام (٩٨٠ ـ ٩٣٦ ق .م) (٣) الذى كان ـ حسب قول التوراة ـ على علاقة طيبة بالملك داود (٤) .

وتطورت العلاقة إلى صداقة قوية بينه وبين الملك سليمان وتوجت تلك الصداقة بتوقيع تحالف تجارى بين المملكتين (٥) .

وصار هذا التحالف خطا سياسيا تقليديا التزمه من اتى بعد هذين الملكين (٦) .

فقد ظلت العلاقات قائمة بين الفينيقيين والاسرائيليين وازدادت مع مضى الزمن قوة حتى العصور المتأخرة وبخاصة أيام المملكة الشمالية (٧) .

---

(١) دى بورج : تراث العالم القديم جـ ١ صـ ٤٧ . (٢) قاموس الكتاب المقدس صـ ٥٥٩ .

(٣) الحضارة الفينيقية ـ كونتنتو صـ ٧١ . (٤) ملوك أول ٥ : ١ ، أخبار الأيام الثانى ٢ : ٣ .

(٥) ملوك أول ٥ : ٥ ـ ١٨ ، وكانت اورشليم قد أصبحت فى عهد سليمان من أنشط الأسواق ـ التجارية فى الشرق الادنى ، اذ أنشا اسطولا تجاريا فى البحر الأحمر واغرى حيرام ملك صور على أن يستخدم هذا الطريق الجديد بدلاً من طريق مصر فى تجارته مع العرب وافريقية ، وكانت الصداقة بين صور واسرائيل مبنية عليى المنفعة المتبادلة فصور كانت فقيرة بالمحاصيل الزراعية بينما كانت اسرائيل بحاجة إلى المواد التى تنقلها التجارة البحرية (راجع ول ديورانت : قصة الحضارة مجلد ١ جـ ٢ صـ ٣٣٢ ، بريستيد : العصور القديمة صـ ٢٢٤ ، ويلز : معالم تاريخ الانسانية مجلد ٢ ك ٤ صـ ٢٩٢ ، راجع أيضا تفاصيل العلاقات التجارية بين الفينيقيين والاسرائيليين فى عصر سليمان فى قاموس ـ الكتاب المقدس صـ ٢١٢ ، ٣٣٠ ، كونتنتو : الحضارة الفينيقية صـ ٧١ ـ ٧٣ ، موسكاتى : الحضارات السامية صـ ١٤٣ ـ ١٤٤ ، د/ فيليب حتى : تاريخ سورية صـ ٢٠٤ ومنها يتبين كما ذكرت الأسفار أن سليمان قد استعان بالصوريين فى بناء الهيكل .

(٦) د/ حسن ظاظا : الساميون ولغاتهم صـ ٦٤ ، والحقيقة الجديرة بالملاحظة أن البطون الاسرائيلية الشمالية مثل يساكر وزبولون ونفتالى كانت اكثر اتصالاً بالفينيقيين منها بالقبائل الاخرى (تكوين ٤٩ : ١٣) ، د/ فؤاد حسنين على : اسرائيل عبر التاريخ صـ ٧٠ .

(٧) د/ فؤاد حسنين على : اسرائيل عبر التاريخ صـ ٧٠ .

إذ أن عمرى (١) قد أقام علاقات ودية مع اثبعل (٢) انتهت بزواج اخآب (٣) من ايزابل ابنة اثبعل (٤) .

وبهذا الزواج توطدت الصلة بين اخآب والفينيقيين، ولكن اذا كان هذا الزواج قد أفاد الدولة الاسرائيلية من الناحيتين السياسية والتجارية (٥) ، فانه كان له أسوأ الآثار وأخطرها من الناحيتين الاجتماعية والدينية (٦) .

وكان لهذا الزواج أيضا دور كبير فى اقامة علاقات فينيقية مع دولة يهوذا ، اذ أن يهورام ملك يهوذا قد تزوج عثليا (٧) التى ساهمت فى ادخال عبادة البعل إلى المملكة الجنوبية .

هذا وقد اتصل باليهود فى فلسطين ايضا عدة قبائل أو مجموعة من الطوائف تنسب إلى الكنعانيين (٨) وهم :

---

(١) سادس ملوك مملكة إسرائيل ومؤسس الأسرة الرابعة.

(٢)اثبعل ملك الفينيقيين وكان له إلى جانب لقب الملك كهانة عشتروت (الحضارة الفينيقية صـ٧٤)

(٣) اخآب بن عمرى سابع ملوك اسرائيل .

(٤) ايزابل زوجة آخآب وكان لها دور كبير فى نشر عبادة البعل بين الاسرائيليين وسيتضح ذلك عند حديثنا فى الباب الثالث عن مظاهر تأثر اليهود فى عبادة البعل .

(٥) فيما يرى كل من صموئيل شولتز : العهد القديم يتكلم صـ ٢٣٤ ، وكاترين هنرى : التاريخ فى الكتاب صـ ٧٢ ، وان كان الدكتور فؤاد حسنين يرى أن هذا الزواج يشير إلى مدى التبعية القائمة بين اسرائيل وفينيقيا (اسرائيل عبر التاريخ صـ ٧٠ ، ويبدو أن المؤلفين يقصدون بالفائدة السياسية التى عادت على مملكة اسرائيل ان الزواج كان منقذاً لاسرائيل من خطر الآراميين ، كما يقول د/ نجيب ميخائيل إن فينيقيا كانت فى الكفة المقابلة لدمشق الأرامية ولكى يتحاشى الاسرائيليون خطر الأراميين كان هذا الزواج (مصر والشرق الادنى القديم جـ ٣ صـ ٣٥٨ .

(٦) وسنفصل تلك الآثار عند ذكر مظاهر تأثر اليهودية بعبادة البعل (راجع حول ذلك التاريخ فى الكتاب صـ ٧٢ ـ ٧٣ ، صموئيل شولتز : العهد القديم يتكلم صـ ٢٣٤ ـ ٢٣٩ د/ حسن ظاظا :الساميون صـ ٦٤ .

(٧) عثليا بنت آخآب من ايزابل وقد تولت الملك فى يهوذا فترة من الزمن كما سبق .

(٨) ذكرت هذه القبائل ضمن أولاد كنعان فى قائمة انساب التوراة وعقب عليها الكاتب بقوله : « وبعد ذلك تفرقت قبائل الكنعانى » وهو قول يفيد أن هذه القبائل تجمعها الجامعة الكنعانية ، ومما يسوغ تصويب أرومتها الكنعانية أنها كانت تنزل فى أرض كنعان ومن المحتمل أن تكون قد تميزت =

الفرزيون (١) ، واليبوسيون (٢) ، والجرجاشيون (٣) ، والحويون (٤) .

٢ - اتصال اليهود بالأموريين :

لقد سبق أن ذكرت أن الأموريين أسسوا عدة دول في كل من بلاد الرافدين وبلاد سورية (٥)

ويهمنا هنا الاشارة إلى وجودهم ضمن شعوب فلسطين حينما دخل الاسرائيلون أرض فلسطين فاحتكوا بهم وحدث صراع بينهم .

= بميزة ما جعلتهم يذكرون منفردين أو أن تكون نسبتهم اتية من اسماء مدنهم (تكوين ١٠ : ١٥ - ١٨ ، محمد عزة دروزة : تاريخ بنى اسرائيل من اسفارهم صـ ٤٧ .

(١) الفرزيون هم طائفة مهمة من الكنعانيين أحصيت مرارا مع قبائل فلسطين (تكوين ١٥ : ٢٠ خروج ٣ : ٨ ، يشوع ٩ : ١ وكانوا من سكان منطقة شكيم (يشوع ١١ : ٣) فى بقعة أعطيت بعدئذ لافرايم ومنسى (يشوع ١٧ : ١٥) ويهوذا (قضاة ١٥ : ٤ - ٥) وقد سمح لهم بالتزاوج مع الاسرائيليين فجروهم إلى عبادة الأوثان (قضاة ٣ : ٥) راجع (قاموس الكتاب المقدس صـ ٦٧٥ ، زكى شنودة : اليهود صـ ٥٠ ، محمد عزة دروزة : تاريخ بنى اسرائيل من أسفارهم صـ ٤٦ .

(٢) اليبوسيون : اسم قبيلة كنعانية سكنت يبوس (الاسم القديم لأورشليم) والجبال التى حولها فى أيام يشوع ، تثنية ٧ : ١ / ٢٠ : ١٧) وقد سكنوا مع بنى يهوذا وبنيامين (يشوع ١٥ : ٦٣) قضاة ١ : ٢١) ، وعندما استولى داود على اورشليم ظلوا مقيمين بها حتى أخضعهم سليمان وبقوا فى اليهودية إلى مابعد الرجوع من السبى البابلى (عزرا ٩ : ١ - ٢) ، راجع قاموس الكتاب المقدس صـ ١٠٥٢-١٠٥٣ ، د/ عبد الحميد زايد : القدس الخالدة صـ ٣٩ - ١٠ .

(٣) الجرجاشيون : حمع جرجاش وقد وردت فى صيغة المفرد (تكوين ١٠ :١٦) وبصيغ الجمع كاحدى قبائل كنعان (تكوين ١٥ : ٢١) ، تثنية ٧ : ١ ، يشوع ٣ : ١٠ / ٢٣ : ١١ نحميا ٩ : ٨ (راجع قاموس الكتاب المقدس صـ ٢٥٥) .

(٤) الحويون : هم أحد اجناس كنعان قبل غزو الاسرائيليين لها ، قد شتتوا إلى عدة - جماعات ، وكان مقرهم الرئيسى فى سطح جبل لبنان من جبل حرمون إلى مدخل حماة - (تكوين ١٠:١٧ ، خروج ٣ : ١٧ ، يشوع ٩٤ : ١٠ / ١١ : ٣ قضاة ٣ : ٣ راجع الحديث عنهم بالتفصيل (قاموس الكتاب المقدس صـ ٣٢٩).

(٥) فى الفصل الأول من هذا الباب عند الحديث عن دياناتهم ضمن الديانات الوثنية القديمة المصاحبة لنشأة اليهود على مدى تاريخهم القديم .

وكان الأموريون قد بلغوا من الأهمية والخطورة فى فلسطين إلى الحد الذى كان يطلق اسمهم في بعض الأحيان على كل شعوب فلسطين ويطلق على أرض فلسطين أرض الأموريين (١) .

بل انه قد بلغ من انتشارهم وقوة تأثيرهم فى أرض كنعان أن حزقيال (٢) حينما خاطب مدينة ارشليم على لسان الرب قال تلك الكلمة المشهورة « مخرجك ومولدك من أرض كنعان أبوك أمورى وأمك حيثية » (٣) .

اذ كان الأموريون فى عصر إبراهيم أهم قبيلة فى الأرض الجبلية فى جنوب فلسطين (٤) .

ثم افتتحوا قبل خروج بنى اسرائيل من مصر ما وراء الأردن من نهر أرنون فى الجنوب إلى جبل حرمو ن فى الشمال (٥) .

ويرى المؤرخون أن الأموريين كانوا فى القرن الثالث عشر ق . م يسيطرون على المواقع الاستراتيجية ورؤس التلال فى سورية الجنوبية وأنهم أسسوا بعض المراكز التى تطورت فيما بعد فأصبحت تلك المدن الكنعانية الهائلة التى توقف عند أسوارها وأبراجها القادمون الأسرائيليون (٦) .

وكانوا قد أقاموا مملكتين فى شرق الأردن هما : مملكة سيحون ، ومملكة

---

(١) تكوين ١٥ : ١٦ ، عدد ١٣ : ٢٩ ، يشوع ٧ : ٧/ ٢٤ :٨ ، قضاة ٦ : ١ عاموس ٢ : ١٠ راجع ايضا قاموس الكتاب المقدس صـ ١٢٠ ، د/ فيليب حتى تاريخ سورية جـ ١ صـ ٨١ .

(٢) حزقيال :اسم عبرى معناه « الله يقوى » وهوأحد الانبياء الكبار ولد ونشأ فى فلسطين وربما فى اورشليم فى بيئة الهيكل اثناء خدمة النبى ارميا ثم حمل مع المسبيين إلى بابل وعاش معهم وتنبأ هناك (راجع بالتفصيل قاموس الكتاب المقدس صـ ٣٠١ ـ ٣٠٢).

(٣) حزقيال ١٦ : ٣ راجع أيضا كونتنتو : الحضارة الفينيقية صـ ٣٩٩ ، والحثيون سنتحدث عنهم ضمن العناصر غير السامية التى أقامت فى بلاد فلسطين .

(٤) تكوين ١٤ : ٧ ، ١٣ (قاموس الكتاب المقدس صـ ١١٩) .

(٥) عدد ٢١ : ٢٦ ـ ٣٠ ، تثنية ٣ : ٨ / ٤ : ٤٨ ، يشوع ٢ : ١٠ / ٩ : ١٠ ، قضاة ١١ : ٢٢ ، راجع زكى شنودة اليهود صـ ٤٨ .

(٦) د./ فيليب حتى : تاريخ سورية جـ ١ صـ ٨١ .

باشان (١) ، فهزم الاسرائيليون هاتين المملكتين واحتلوا أرضهما (٢) .

وفى عصر يشوع تم غزو الأموريين الذين كانوا يقطنون الأرض الجبلية فى غرب فلسطين(٣) .

ولكن الأموريين ظلوا أقوياء فى أرض فلسطين حتى إن الاسرائيليين قد عقدوا معهم صلحا فى زمن صموئيل (٤) ، حيث يفيد هذا أن الأموريين كانوا بدورهم محتفظين بكيانهم وسيادتهم فى البلاد التى كانت فى حوزتهم فى شرق الأردن وغربه (٥) ، واستمر وجود الأموريين قائما حتى عصر الملك سليمان (٦) ، وظل الاسرائيليون يذكرونهم ويتحدثون عن قوتهم فى عصر عاموس (٧) .

٣- اتصال اليهود بالآراميين :

ينسب كتاب التوارة الآراميين إلى آرام (٨)، ويذكرون عنه فى موضع انه أحد أبناء سام (٩) ، وفى موضع آخر أنه حفيد ناحور أخى ابراهيم الخليل (١٠) .

ولذلك فان العلماء يرجحون وجود صلة قرابة بين العبريين والآراميين (١١) ،

---

(١) كان سيحون ملكا للأرض الواقعة بين ارنون واليبوق ، وكان الاسرائيليون قد طلبوا منه أن يمروا من ارضه وهم فى طريقهم إلى كنعان إلا أنه رفض فاندلعت الحرب بينه وبينهم ـ وأمامملكة باشان فكان على رأسها ملك يسمى عوج راجع عدد ٢١ : ٢١ـ ٣٤ ، قاموس ـ الكتاب المقدس صـ ١١٩ ، د/ محمد مهران : دراسات فى تارخ الشرق الأدنى القديم جـ٨ صـ ٥١٤ .

(٢) قاموس الكتاب المقدس صـ ١١٩ (٣) يشوع ١٠ : ٥ ـ ١٢ .

(٤) صموئيل الأول ٧ : ١٤ (٥) تاريخ بنى اسرائيل من أسفارهم صـ ١٣٥ .

(٦) ملوك أول ٩ : ٢٠ ـ ٢١ ، أخبار ثان ٨ : ٧.

(٧) ورد فى سفر عاموس أن « قامة العموريين مثل قامة الأرز وهو قوى كالبلوط » فكان الأموريون أمة قوية شبهوا بأرز لبنان ـ وهو شجر يبلغ ارتفاع الواحدة منها أكثر من ثلاثين مترا وسمكها اكثر من متر ، وكانوا اقوياء كشجرة البلوط أو السنديان ، وتبدو قامات الأموريين فى المبانى الاثرية طويلة عسكرية ـ راجع سفر عاموس ٢ : ٩ القس عاموس عبد المسيح : دراسة فى عاموس ترجمة : القس حارث قريضة الطبعة الثانية ١٩٧٩ صـ ٨٩ـ ٩٠ ، د/ فيلب حتى : تاريخ سورية جـ ١ صـ ٨٢ (٨) قاموس الكتاب المقدس صـ ٤٢ .

(٩) تكوين ١٠ : ٢٢ ، أخبار الأيام الاول ١ : ١٧ (١٠) تكوين ٢٢ : ٢٠ ـ ٢١ .

(١١) ورد فى العهد القديم مايفيد وجود قرابة اكيدة بين الآراميين والعبرانيين ، وأصل الاسمين =

هذا بالاضافة إلى مصاهرة كل من اسحاق ويعقوب للآراميين فى فدان آرام (١) وفدان آرام أو (آرام النهرين) تعتبر من أقدم الدويلات الآرامية التى ظهرت على مسرح التاريخ (٢).

ومن أشهر الدويلات الآرامية (٣) التى عاصرها اليهود واتصلوا بأهلها :

= اللذين يطلقان على ذلك الشعب قد اشتقا من (آرام وعبر) وقد كتب كل من الاسمين متجاورين فى القوائم الخاصة بأبناء سام ، د/ عبد الحميد زايد : الشرق الخالد صـ ٣٢٤ ـ ٣٤٤ ، وجاء فى سفر التثنية ٢٦ : ٥ ان يعقوب لقب مرة ب« الآرمى التائه » راجع تفصيل الحديث عن صلة القرابة بينهما ، د/ فليب حتى : موجز تاريخ الشرق الادنى صـ ٨٢ ، دايرنكر فى كتاب « الابجدية مفتاح تاريخ الانسان نقلا عن عباس العقاد : الثقافة العربية أسبق من ثقافة اليونانيين والعبريين صـ ١٦ ، د/ احمد سوسة : مفصل العرب واليهود فى التاريخ صـ ١٦١ ، د/ حسن احمد محمود : العبرانيون من بحث (الساميون القدماء) ضمن كتاب حضارة مصر والشرق القديم صـ ٣٤٩ ـ ٣٥٠.

(١) راجع زواج اسحاق (تكوين ٢٤ : ١٠ ـ ٦١ ، زواج يعقوب تكوين ٢٨ : ٢ ـ ٤ ، ٢٩ : ١ ـ ٢٠ ، وفدان آرام اسم سامى معناه سهل ارام ويقع فى رام النهرين والنهران هما دجلة والفراتوان كان هناك من يرجح أنهما الفرات ورافده خابور ، وليس هناك ـ اختلاف يذكر بين آرام النهرين وفدان أرام (راجع تكون ٢٤ : ١٠ / ٢٨ : ١ ـ ٢ ، راجع قاموس الكتاب المقدس صـ ٤٣ ، ٦٧٢ ، د/ محمد مهران : الجزء الثامن صـ ٥٢٩

(٢) د/ بولس عياد : الآراميون فى مصر صـ ٩ ، وفى نظر كريلنج أن اصطلاح آرام النهرين نشأ فى القرن الثالث عشر ، ولكن يرد على ذلك بأن هذا الاصطلاح ظهر فى عصر مبكر منذ أيام ابراهيم واسحاق ويعقوب كما أن هذا الاصطلاح ظهر فى ألواح العمارنة : (المصدر السابق صـ ٩).

(٣) ظهرت عدة دويلات آرامية فى نفس الوقت الذى نشأت فيه مملكة فى أرض اسرائيل وهذه الدويلات هى : ١ـ ارام النهرين ٢ ـ ارام دمشق ٣ـ ارام صوبة ٤ـ ارام معكة ٥ـ ارام جشور ٦ـ ارام ـ بيت رحوب ٧ ـ اما رة طوب (راجع قاموس الكتاب المقدس صـ ٤٣ ، د/ محمد بيومى مهران الجزء الثامن ثـ ٥٣٥ ـ ٥٤٢ ، راجع بتوسع د/ بولس عياد : الاراميون فى مصر صـ ٩ ـ ٢٤ ، ويذكر موسكاتى أن الاراميين قد بلغوا أقصى أهميتهم السياسية فى القرنين الحادى عشر والعاشر ق.م وتوسعوا فى فتوحاتهم ولكنهم لم ينظموا هذه الفتوحات ولم ينشئوا وحدة سياسية فعالة ، وكان العامل الرئيسى فى ضعفهم وانقسامهم إلى ممالك محلية صغيرة مع كثرة الاجناس المتباينة التى اختلطوا بها (الحضارات السامية القديمة صـ ١٧٨)

آرام صوبا وارام دمشق ، اذ كان بينهما وبين الاسرائيليين صراع مرير أدى إلى حروب ـ كثيرة ومناوشات مستمرة .

فقد كانالآراميون يمثلون تحديا سافراً للاسرائيليين نتيجة العداوة التى استحكمت بينهم .

يقول ولفنسون « كان بنو اسوائيل من ألد أعداء الآراميين فقد ذكرت الأسفار كثيرا من أخبار الحروب التي نشبت بين بنى اسرائيل وبنى آرام ، ومنها يتبين أن الحرب بينهما كانت سجالا فطورا يكون الفوز لآل يعقوب وتارة يكون لطوائف الآراميين[1] .

فأما آرام صوبا (٢) فيظهر أن العداوة كانت على أشدها بين حكومتها وبين الاسرائيليين فى عصر شاول (٣) .

وفى عهد داود كان الصراع شديدا بينه وبين حدد عزر ملك صوبة حتى إن الحرب كانت على ثلاث مراحل ، وقد ساهم فيها معظم الدويلات الآرامية التابعة لصوبة وانتهت الحرب ـ بانتصار داود[4] .

وعاد الصراع من جديد فى عهد الملك سليمان ، فقد كان رزون الآرامى أحد

---

(١) تارخ اللغات السامية صـ ١١٧ ، ويرى المؤرخون أن الارامييـن هم الذين كسروا شوكة اسرائيل .

(٢) صوبا أو صوبة كانت فى أيام شاول وداود وسليمان مملكة عظيمة من أقوى ممالك آرام إلى غربى الفرات • صموئيل الأول ١٤ : ٤٧ / صموئيل الثانى ٨ : ٣ اخبارالايام الثانى ٨ : ٣ ، وسماها الكتبة العبرانيون آرام صوبا (صوئيل الثانى ١٠ : ٦) وقد امتدت سلطتها يوما حتى حدود حماة إلى الشمال الغربى (أخبار الايام الثانى ١٨ : ٢ ، صموئيل الثانى ٨ : ١٠ ويرجح كربلنج أن مكانها الان بلدة عنجر فى البقاع جنوبى زحلة (راجع : قاموس ـ الكتاب المقدس صـ ٥٥٨ ، شولتز : العهد الديم يتكلم صـ ١٥٥ ، كاترين هنرى : التاريخ فى الكتاب صـ ٦٣ ، آرام واسرائيل صـ ٤٠ نقلا عن د/ احمد فخرى : دراسات فى تاريخ الشرق القديم صـ ١٠٣ .

(٣) راجع شولتز : العهد القديم يتكلم صـ ١٧٨ ـ ١٧٩ ، كاترين هنرى : التاريخ فى الكتاب صـ ٦٣ ، د/ عبد الحميد زايد : الشرق الخالد صـ ٣٤٩ ـ ٣٥١ ، راجع اخبار الايام الأول ١٨ : ٣ ـ ٨ / ١٩ : ٦ / ٢٠ : ١ . صموئيل الثانى ٨ : ٣ / ١٠ : ٦ ـ ١٨ .

(٤) ملوك أول ١١ : ٢٣ ـ ٢٥ .

الناقمين على حكم سليمان وقام بالتمرد عليه وسبب ازعاجا للاسرائيليين (١) .

ومن الملاحظ أن صوبا بعد هذه الأحداث قلت أهميتها كثيرا واحتلت مكانتها ارام ـ دمشق أو مملكة دمشق (٢) التى زاد من نفوذها انقسام مملكة العبرانيين إلى مملكتين بعد موت سليمان (٣) .

وقد دارت بينهما وبين الاسرائيليين حروب طاحنة استمرت آمادا طويلة وأدت إلى خضوع مملكة اسرائيل للارآميين فترة من الزمان .

ورد فى سفر الملوك الأول أن (آسا) ملك يهوذا لما علم بأن ملك اسرائيل (بعشا) يتهيأ لغزوه لم يجد من يلجأ إليه ويستنجد به سوى بنهدد ملك آرام ، فجمع له كل مافى خزائن بيت الرب وبيت الملك وأرسلها اليه حتى يتدخل لحمايته، وفعلا بعد أن وصلت إليه تلك الرشوة أرسل جيوشه إلى ملك اسرائيل وقام بتأديبه حتى كف عن ملك يهوذا (٤) .

وفى هذا دليل كاف على مدى ضعف المملكتين ومدى سيطرة دمشق الارامية عليهما، وتمكنها منهما .

---

(١)راجع شولتز : العهد القديم يتكم صـ ٢٠٤ ، محمد عزة دروزة : تاريخ بنى اسرائيل من اسفارهم صـ ١٧٠ .

(٢) كان داود قد أخضع مدينة دمشق ، فلما ثار رزون على سليمان تمكن من السيطرة عليها وأسس المملكة السورية التى سميت بآرام دمشق ، وقد حازت هذه المملكة على شهرة واسعة ونفوذ هائل خلال قرنين تقريبا على حساب اسرائيل ، وكان من ملوكها حزيون وطبريمون وبنهدد وحزائيل ورحين (راجع قاموس الكتاب المقدس صـ ٣٧٥ - ٣٧٦ . ٤٩٢ ، صموئيل شولتز : العهد القديم يتكلم صـ ٢٢١ ـ ٢٢٢ .

(٣) بلغت دولة دمشق ذروتها فى العظمة والمنعة حوالى منتصف القرن الحادى عشر ق .م ، وحالفها الحظ بانقسام مملكة العبرانيين إلى مملكتين حيث أخذت تؤلب آحداهما ضد الاخرى (راجع د/ فيليب حتى : موجز تاريخ الشرق الادنى صـ ٨٢ ، بولس عياد : الآراميون فى مصر صـ ١٠ ، محمد أبو المحاسن عصفور : معالم تاريخ الشرق الادنى القديم صـ ٢٨٢ ـ ٢٨٣ .

(٤) راجع ملوك أول ١٥ : ١٧ ـ ٢٢ . يذكر شولتز : أن هذا الاجراء رغم أنه حقق أغراض آسا إلا أنه فى الواقع ساعد على ـ تصاعد نفوذ سوريا حتى أصبحت تهدد المملكتين وتتحكم فيهما (العهد القديم يتكلم صـ ٢٢) .

وفى عهد الملك عمرى صارت اسرائيل ايالة تدفع الجزية لدمشق (١) ،بل كانت سياسته العامة نابعة من وحى دمشق التى كان يهمها تأمين اتصالها بالبحر الغربى ، ولعل هذا يوضح أمر صراعها الدائم مع اسرائيل ـ وقد سلم عمرى بتأثير هذا الضغط بضع مدائن إلى دمشق كما خصص أحياء معينة فى السامرة نفسها للتجار الارآميين(٢) .

فيرى أن ابنه اخاب رفض دفع الجزية ، وأراد أن يتحرر من ضغط دمشق فهاجمه ملكها وحاربه فى عاصمته السامرة (٣) .

وظلت الحرب قائمة بينهما حتى قتل أخآب على ايدى الآراميين (٤) واستمر الآراميون فى الاغارة على مملكة اسرائيل ، واعلان حالة الحرب بينهما(٥) ثم قاموا بحصار السامرة وتجويع أهلها، حتى اضطروا إلى أن يأكلو جيفة الحمار وزبل الحمام ،بل إن الجوع قد اشتد بهم حتى أكلوا أطفالهم (٦) .

وحينما تولى حزائيل (٧) حكم آرام دمشق أخذ يناوش مملكتى اليهود معا فخرج إليه اخزيا ملك يهوذا ويهورام ملك اسرائيل ، ولكنه هزمهما وانتهت المعركة بأن اصيب ملك اسرائيل بجرح تسبب بعد ذلك فى مصرعه (٨) .

وفى أخريات ايام يا هو ملك اسرائيل هاجم حزائيل مملكته من جميع تخومها واقتطع منها مساحات كبيرة (٩) .

---

(١) د/ فيليب حتى : موجز تاريخ الشرق الادنى صـ ٨٢

(٢) د/ نجيب ميخائيل ك مصر والشرق الادنى جـ ٣ صـ ٨٥٣ ، ملوك أول ٢٠ : ٣٤ .

(٣) ويذكر سفر الملوك الأول أن بنهدد ملك ارام أرسل إلى آخاب يقول له « لى فضتك وذهبك ولى نساؤك وبنوك الحسان ، فأجاب ملك اسرائيل وقال حسب قولك ياسيدى الملك أنا وجميع مالى لك (ملوك أول ٢٠ : ١ ـ ٤) راجع تفاصيل هجوم ملك آرام على السامرة فى : ملوك أول ٢٠ : ١ ـ ٢١ ، د/ فيليب حتى : موجز تاريخ الشرق صـ ٨٢.

(٤) ملوك أول ٢٢ : ٣١ ـ ٢٨ . (٥) ملوك ثان ٥ : ٢ . (٦) ملوك ثان ٦ : ٨ ـ ٩

(٧) حزائيل : اغتصب الملك من بنهدد بعد أن قتله وأصبح من أقوى الملوك الذين عرفهم التاريخ حتى إن السيادة الآرامية امتدت حتى وصلت إلى فلسطين .

(راجع قاموس صـ ٣٠١ ، صموئيل شولتز : العهد القديم يتكلم صـ ٢٢٣ ، كاترين هنرى : التاريخ فى الكتاب صـ ٧٤ (٨) ملوك ثان ٨ : ٢٨ ـ ٢٩ / ٩ : ٢٢ ـ ٢٤ .

(٩) ملوك ثان ١٠ : ٣٢ ـ ٣٣ .

وفى عهد يهواحاز بن يا هو أخذ حزائيل ايضا يتحكم فى الاسرائيليين ويضايقهم حتى أذلهم اذلالا شديدا (١) .

وامتد بسلطانه إلى مملكة يهوذا فاقتطع منها احدى مدنها (٢) ، ولما توجه إلى غزو عاصمتها أورشليم ، جمع ملكها يوآش كل كنوز الهيكل وأرسلها إليه حتى رجع عنها (٣) .

واستمر فى فرض الجزية على يهوذا، ولكن يبدو أنهم تأخروا فى دفعها فأرسل إليهم جيشه فهاجم أورشليم وقتل رؤساءها وأصاب ملكها وعاد قواده ظافرين بغنيمتهم إلى حزائيل (٤) .

وبذلك يكون حزايل قد تمكن من احضاع المملكتين واذلال سكانهما ، وهذا يعنى بسط سلطان الآراميين على اليهود طوال مدة حكمة .

ولما تولى بنهدد بن حزائيل ظل مسيطرا على مملكة اسرائيل كل أيامه (٥) ، فأفنى منهم الكثير وداسهم كالتراب (٦) .

وفى عهد رصين (٧) الذى تولى بعده ـ تحالف معه فقح بن رمليا ملك اسرائيل ضد آحاز ملك يهوذا ، فسارا إليه ، وحاصراه فى أورشليم (٨) ، حتى تمكنا منه ، وضرباه ضربة شديدة ، وسبيا منه سبيا عظيماً ، وقُتِلَ من يهوذا فى يوم واحد مائة وعشرون الفاً (٩) .

---

(١) ملوك ثان ١٣ :٣، ٢٢ .

راجع قاموس الكتاب المقدس صـ ٣٠١ (ومن صور هذا الاذلال انه اطلق النار فى حصونهم وقتل بالسيف شبانهم ، وشق بطون حواملهم) (ملوك ثان ١٢ : ١٧ ـ ١٨

(٢) هى مدينة جت وهى احدى مدن الفلسطينيين الخمس وكانت مملكة يهوذا قد ضمتها إلى نفسها (راجع قاموس صـ ٢٤٨) .

(٣) ملوك ثان ١٢ : ١٧ ـ ١٨ . (٤) أخبار الايام الثانى ٢٤ : ٢٣ ـ ٢٤ . صموئيل شولتز : العهد القديم يتكلم صـ ٢٧١ ـ ٢٧٢. (٥) ملوك ثان ٣١ : ٣ .

(٦) جاء فى سفر الملوك الثانى « لأنه لم يبق ليهوا حاز شعباً إلا خمسين فارسا وعشر مركبات ، وعشرة آلاف رجل لأن ملك ارام أفناهم ووضعهم كالتراب للدوس » (ملك ثان ١٣ : ٧)

(٧) رصين : اسم ارامى معناه جدول ماء صغير تولى حكم آرام حوالى ٧٢٨ ق .م (قاموس الكتاب المقدس صـ ٤٠٥)

(٨) ملوك ثان ١٦ : ٥ . (٩) أخبار الأيام الثانى ٢ : ٥ ـ ٦ .

٤ـ اتصال اليهود بدول شرق الاردن :

ومن العناصر السامية التي تكونت منها شعوب فلسطين اتصل اليهود بالقبائل أو الممالك الثلاث الصغيرة : الأدوميون ، المؤابيون ، العمونيون ، والتى كانت تعرف بدول شرق الأردن .

الأدوميون :

ينسب كتاب التوراة الأدوميين إلى أدوم (عيسو) أخى يعقوب (١) فهم إذن أبناء عمومة بالنسبة للاسرائيليين .

ومن أجل ذلك فإنهم يعدون من أقرب العناصر دماء ولغة إلي بنى إسرائيل لأنه لم يكن بينهم أقل فرق قبل أن يعتنق بنو اسرائيل ديانة موسى عليه السلام (٢) .

واستوطن الأدميون « أرض سعير » وقد اشتهرت بهم حتى أطلق عليها « أرض أدوم » (٣) وكان حكام أوم فى البداية أمراء يشبهون روساء القبائل ولكنهم أصبحوا فيما بعد وقبل قيام مملكة اسرائيل يلقبون بالملوك (٤) .

وعلى ذلك فقد كانت للأدوميين مملكة مستقلة ضمن ممالك فلسطين قبل قدوم

---

(١) عيسو أو أدوم هو توأم يعقوب كما روت الأسفار ، وكما ذكرت فى الفصل الخاص بتاريخ اليهود ، وكان بينهما ـ فيما تذكر الأسفار ـ تنازع دائم وهما فى بطن أمهما ، وعلى بركة اسحاق ، وعلى البكورية

(٢) ولفنسون : تاريخ اللغات السامية صـ ١٠٤ .

(٣) أرض أدوم هو الاقليم الذى كان يسكنه الأدوميون وكان يسمى أرض سعير ويقع ضمن جبال ـ شبه جزيرة سيناء فى منطقة شايعة الأطراف تمتد شمالاً إلى تخوم فلسطين وجنوبا إلى البحر الأحمر ، فكان بذلك فى أقصى جنوب بلاد شرق الأردن ، والجزء الشرقى الآن من أدوم يقع فى المملكة الأردنية الهاشمية (راجع تكوين ٣٢ : ٣ قاموس الكتاب المقدس صـ ٣٩ نوث نقلا عن د / مهران جـ ٨ صـ ٥٤٧ ، اسرائيل ولفنسون : تاريخ اللغات السامية ١٠٥

(٤) يذكر صموئيل شولتز أن للأدوميين فى الواقع تاريخا لامعا وشهيرا ولكن المعلوم عنهم لا يتعدى البيان الموجز المذكور فى سفر التكوين ٣٦ : ١ ـ ٤٣ والذى يتضمن الاشارة إلى ملوك متعددين حكموا ادوم ـ قبل أن يحكم ملك فى اسرائيل (راجع شولتز : العهد القديم يتكلم صـ ٥٠ قاموس الكتاب المقدس صـ ٣٩ الشيخ نسيب وهيبه الخازن : من الساميين إلى العرب صـ ٧٠ منشورات مكتبة الحياة بيروت .

الاسرائيليين اليها.

ويذكر سفر العدد أن شعب اسرائيل بقيادة موسى قد طلب من ملك أدوم أن يأذن لهم فى المرور فى أرضه ـ وهم فى طريقهم إلى كنعان ـ ولكن ملك أدوم رفض ذلك وخرج اليهم بجيش كثيف فتولوا عنه هاربين (١) .

ومن ثم فقد تجددت العداوة بين الاسرائيليين والأدوميين (٢) .

يقول اسرائيل ولفنسون : كان الاسرائيليون يعدون الأدوميين من ألد أعدائهم مع أنهم أقرب العناصر اليهم واستمرت المنازعات السياسية بينهم عدة قرون إلى أن انتهى النضال بفناء أهل أدوم أو اندماجهم فى اليهود (٣) .

اذ كان الأدوميون ممن يهددون المملكة الاسرائيلية فى عصر شاول فقام بمحاربتهم (٤) وأما داود فقد قام قائد جيشه (يؤاب) بغزوهم (٥) ، وبعد موت داود كان هدد الأدومى أحد المتمردين على سليمان (٦) ، واشترك الأدوميون مع العمونيين والمؤابيين فى غزوهم لمملكة يهوذا فى عهد يهو شافاط (٧) ، وقاموا باعلان التمرد عليها والثورة على ملكها يهورام ، ـ فتحرروا من سلطانه واستقلوا بمملكتهم (٨) .

وفى عهد احاز قام الأدوميون بمهاجمة مملكة يهوذ وسبوا منها سبيا عظيما ، ولما

---

(١) عدد ٢٠ : ١٤ ـ ٢١ .

(٢) ذكرت التوراة أن عيسو حقد على يعقوب حينما اغتصب منه بركة اسحاق وعزم على قتله فهرب منه يعقوب إلى فدان أرام ، ولما عاد أرسل إلى ادوم فى أرض سعير فجاء إليه ومعه أربعمائة رجل فخاف منه يعقوب (تكوين ٢٧ : ٤١ ـ ٤٦ / ٣٢ : ٢ ـ ٨ ، ويذكر ابراهيم خليل احمد أن التنافر المزعوم بين الأخوين قد أورث أبناءهما العداوة والكراهية « اسرائيل فتنة الأجيال : العصور القديمة صـ ١١٠ مكتبة الوعى العربى القاهرة ١٩٦٩ .

(٣) تاريخ اللغات السامية صـ ١٠٥ ويُرْجعُ ذلك إلى النفسية السامية التى قد تبغض الأقارب اكثر مما تبغض الأباعد ؟؟؟ .

(٤) صموئيل الأول ١٤ : ٤٧

(٥) صموئيل الثانى ٨ : ١٤ ، ملوك أول ١١ : ١٦

(٦) ملوك أول ١١ : ١٤ ـ ٢٢ .

(٧) اخبار الايام الثانى ٢٠ : ١ ، ٢٢ ، ٢٣ ، قاموس الكتاب المقدس صـ ٤٠ .

(٨) ملوك ثان ٨ : ٢٠ ـ ٢٢ ، أخبار ثان ـ ٢١ : ٨ ـ ١٠

عجز آحاز عن مقاومتهم استغاث بالآشوريين ليصدوهم عنه (١).

وبالرغم من مهجامة أمصيا لهم فى مملكتهم، وانتصاره عليهم، الأنه ضعف أمام آلهتهم فقد حملها معه وعاد بها إلى أورشليم، وأخذ يتعبد لها (٢).

ولم يستطع أمصيا اخضاعهم لحكم يهوذا، بل ظلوا مستقلين حتى تم تخريب أورشليم فأظهروا الشماتة فى أهل يهوذا واشتركوا فى نهب المدينة (٣) وقاموا بالاستيلاء على ديار يهوذا الجنوبية (٤) وانتهت حياة الأدوميين القومية عام ١٣٠ ق .م حين أراد الملك ـ اليهودى يوحنا هركانوس (٥) أن يزيل مابينهم وبين اليهود من الفوارق الدينية فأرغمهم على الدخول فى اليهودية (٦) ولكنهم برزوا وتحكموا فى اليهود بعد أن تولى هيرودوس حكم اليهودية من قبل الرومان، اذ كان من الأدوميين الذين دخلوا فى اليهودية (٧).

المؤابيون :

يرجع المؤابيون ـ فى نظر كتبة التوراة (٨) ـ إلى مؤاب بكر لوط عليه

---

(١) أخبار الايام الثانى ٢٨ : ١٦ ـ ١٧ .

(٢) أخبار الأيام الثانى ٢٥ : ١١ ـ ١٤، ١٩ ـ ٢٠ . ، ملوك ثان ١٤ : ٧ .

(٣) مزمور ١٣٧ : ٧ وقد تنبأ الأنبياء بتدمير أدوم وأعلنوا غضب الرب على الأدوميين من أجل اشتراكهم فى نهب اورشليم (راجع اشعياء ٣٤ : ٥ ـ ١٥ ارميا ٤٩ : ٧ـ ٢٢، راجع أيضا عوبيد يا وهو عبارة عن اصحاح واحد كله تنديد بالأدوميين).

(٤) د/ احمد سوسة : مفصل العرب واليهود فى التا يخ صـ ٦٠٧ .

(٥) من ملوك المكابيين .

(٦) اسرائيل ولفنسون : تاريخ اللغات السامية :صـ ١٠٥ الشيخ نسيب الخازن : من الساميين إلى العرب صـ ٧٣ .

(٧) سيتبين دور هيردوس الأدومى وأثره فى تأثر اليهودية بالرومانية فى الفصل الخاص بالاضطهادات التى تعرض لها اليهود ومنها الاضطهاد الرومانى .

(٨) أورد سفر التكوين زورا وبهتانا ـ ضمن تشنيعاته على الأنبياء ـ أن ابنتى لوط قد سقتا أباهما خمرا واضطجعتا معه فأنجبتا منه ولدين وسمى ابن الكبرى مؤاب وابن الصغرى بن عمى (راجع تكوين ١٩ : ٣٠ ـ ٣٨) ومع ما فى هذا الادعاء الكاذب من الاساءة إلى النبى لوط عليه السلام والحط من قدره إلا أن بيت القصيد ـ فيما يذكر عصام الدين حفنى ناصف أن المؤابيين =

السلام (١) فهم بناء على ذلك من أقارب بنى اسرائيل حيث كان لوط ابنا لأخى الخليل ابراهيم عليهما السلام (٢) .

وأما موطنهم فانهم قد أقاموا فى منطقة أطلق عليها أرض مؤاب (٣) .

وقد مر بهم الاسرائيليون بعد خروجهم من مصر ، وهم فى طريقهم إلى كنعان (٤) فأقاموا فى شطيم (٥) ، وهناك كما قال السفر « وابتدأ الشعب يزنون مع بنات مؤاب ، فدعون الشعب إلى ذبائح آلهتهن ، فأكل الشعب وسجدوا لآلهتهن » (٦) .

وكانت أرض مؤاب ضمن نصيب سبط رأوبين بعد أن سيطر عليها

= والعمونيين طالت مقاومتهما لبنى اسرائيل ولبثا إلى زمن ادراج هذه القصة المخترعة فى التوراة يناصبانهم العداء ويكيلان لهم الضربة تلو الضربة ، فلم يجد اليهود مثلبة ينتقصون بها من مروءتهما أعظم من رميهما ووصمهما بأنهما أولاد زنى (الإسطورة والوعى) صـ ٦٤ ، ١٥٦ ، وقد بيّنا بطلان القصة من أساسها فى كتابنا عن داود عليه السلام .

(١) مؤاب اسم سامى ربما كان معناه من أبوه ؟ ويطلق لفظ مؤاب أيضا على الشعب المؤابى ، وعلى أرض المؤابيين (قاموس ـ الكتاب المقدس صـ ٩٢٧)

(٢) تكوين ١١ : ٢٧ (لوط بن هاران بن تارح ـ اخى ابراهيم)

(٣) أرض مؤاب يقابلها اليوم القسم الشرقى من البحر الميت لمملكة الأردن ، وكان يحدها فى الأصل أرنون شمالا ثم امتدت إلى الشمال فى أرض الأموريين ، وكانت منقسمة إلى قسمين (أ) أرض مؤاب أى ماوقع شرقى البحر الميت ويسمى ايضا بلاد مؤاب وهى سهل مرتفع يحده غربا سلسلة من الجبال (ب) عربات مؤاب وهى ما كان فى وادى الأردن مقابل أريحا بين مصب يوق والبحر الميت (قاموس الكتاب القدس صـ ٩٢٧ ـ ٩٢٨) .

(٤) راجع عدد ٢١ : ١١ ـ ١٣ وراجع محاولة ملك المؤابيين للوقوف فى وجه الاسرائيليين سفر العدد أيضا الاصحاحات ٢٢ ، ٢٣ . ٢٤ .

(٥) شطيم : مخيم هام لبنى اسرائيل أقيم فى سهول مؤاب فى شرق الأردن مقابل أريحا (قاموس الكتاب المقدس صـ ٥٠٩) .

(٦) عدد ٢٥ : ١ ـ ٢ .

الاسرائيليون فأقام الراؤبيون مع المؤابيين وظلوا وراء عباداتهم الفاسدة (١) .

وفى عصر القضاة رجحت كفة المؤابيين فأخضعوا بنى اسرائيل وأذلوهم وفرضوا عليهم الجزية مدة ثمانية عشر عاماً (٢) .

وفى عهد شاول احتمى داود بمؤآب فرارا منه ، وعهد إلى ملك المؤابيين بحماية ابيه وأمه وتركهما أمانة لديه (٣) .

ولكن يذكر السفر أن داود بعد أن تولى الملك ضرب المؤابيين ضربة شديدة وصاروا له عبيداً (٤) ، هذا على الرغم من أن جدة داود كانت مؤابية (٥) .

وفى عصر الانقسام صارت مؤاب تابعة للمملكة الشمالية ، واستمر ذلك حتى عهد اخآب ، ولما علم المؤآبيون بموت اخآب سارعوا بخلع نير الاسرائيليين عن رقابهم ، وأعلنوا التمرد عليهم والعصيان لهم ،وأدى ذلك إلى نشوب معركة كبيرة بينهم انتهت بانهزام اسرائيل (٦) .

---

(١) راجع قاموس الكتاب المقدس صـ ٩٢٨ . (٢) قضاة ٣ : ١٢ ـ ١٤ .

(٣) صموئيل الأول ٢٢ : ٣ ـ ٤ . (٤) صموئيل الثانى ٨ : ٢ .

(٥) وكانت تسمى راعوث راجع قصتها فى سفر راعوث (أربعة اصحاحات) فقد أنجبت من بوعز عوبيد ، وهو أبو يسى والد داود (راعوث ٤ : ١٣ ـ ١٧)

(٦) روى هذا الحادث فى الاصحاح الثالث من سفر الملوك الثانى ، وتم العثور على نقش يرجع إلى عام ٨٥٠ ق .م سجل فيه هذا الحدث ولكنه يغاير ما أورده سفر الملوك فى بعض النقاط ، وأشار إلى أن الحرب كانت بين ميشع ملك مؤاب وبين اخآب ، وليس بعد موت اخآب كما ذكرت التوراة ، وان كان المؤرخون يرجحون ماورد فى النقش حيث إنه وثيقة تاريخية معاصرة للحدث ، وأما الأسفار فقد كتبت فى عصر السبى وعموما فان النصين قد اتفقا على أن الحملة قد انتهت بهزيمة اسرائيل وحلفائها ، ولكنهما يختلفان فى أن ـ النص التوراتى قد أطنب فيما أحرزته اسرائيل من نجاح بادئ ذى بدء ـ بينما يمر النص المؤابى على ذلك مر الكرام ، وأن التوراة تشير إلى النتيجة النهائية باختصار ، راجع سفر الملوك الثانى :الاصحاح الثانى راجع تفصيل ذلك وترجمة النقش فى اسرائيل ولفنسون تاريخ اللغات السامية صـ ١٠٥ ـ ١١١ . د/ نجيب ميخائيل : مصر والشرق الادنى جـ ٣ صـ ٣٥٩ ـ ٣٦١ د/ محمد بيومى مهران جـ ٨ صـ ٩١٩ ـ ٩٢٤ ، محمد عزة دروزة تاريخ بنى اسرائيل من أسفارهم صـ ١٩٧ .

وبعد ذلك كانت مؤاب تارة خاضعة وأخرى مستقلة (١) .

وفي عهد يهويا قيم (٢) شارك المؤابيون في غزو يهوذا مع الكلدانيين والآراميين - والعمونيين (٣) .

هذا وقد ظل المؤآبيون حتى عصر السبي ، اذ أظهروا شماتتهم ، وأعلنوا مسرتهم بعد أن لحقت المذلة باليهود وتم تخريب أورشليم (٤) .

العمونيون :

يسب العمونيون - كالمؤابيين - إلى لوط عليه السلام على أنهم نسل ابنه الثاني - في زعم كتبة التوراة - بني عمي (٥) .

وبناء على هذا الزعم يكون العمونيون كالمؤابيين أقارب بني اسرائيل من جهة الخليل عليه السلام

وبالرغم من ذلك فلم تكن العلاقة بينهم علاقة سلم ومودة ، وانما كانت علاقة عداء وبغضاء (٦) فقد استقر العمونيون في أرضهم (٧) حتى استولى الاسرائيليون على جزء منها ، بعد أن - خرجوا من مصر وفي طريقهم إلى كنعان (٨) .

وفي عصر القضاة حاول ملك بني عمون أن يسترد أرضهم المغتصبة فقام بغزو الاسرائيليين وتمكن من استعبادهم حتى صرخوا إلى الرب واستنجدوا بيفتاح حتى ينقذهم ودارت بينهم معركة كبيرة (٩) .

---

(١) قاموس الكتاب المقدس صـ ٩٢٨ . (٢) ملك يهوذا السابع عشر . (٣) ملوك ثان ٢٤ : ٢

(٤) حزقيال ٢٥ : ٨ - ١١ صفنيا ٢ : - ١١ ، ارميا : ٤٨ .

(٥) راجع بداية الحديث عن المؤابيين

(٦) ورد في سفر التثنة أن الرب قد غضب على العمونيين لتحالفهم مع المؤابيين ولأنهم لم يلاقوا بني اسراعيل بالخبز والماء في الطريق عند خروجهم من مصر (تثنية ٢٣ : ٣ - ٦) وقد تحالف العمونيون أيضا مع المؤابيين في ضرب اسرائيل في عصر القضاة (قضاة ٣ : ١٣) وجاء في سفر الأنبياء أن الرب قد غضب عليهم وأنزل عليهم لعناته لما قاموا به ضد الاسرائيليين راجع حزقيال ٢٥ : ٣ - ٧ ارميا ٤٩ : ١ - ٦ صفنيا ٢ : ٨ - ١١ عاموس ١ : ١١ - ١٥ .

(٧) كانت أرض العمونيين منطقة جبلية شرقي الاردن ، وتمتد من نهر أرنون إلى يبوق وهي الآن في أواسط المملكة الاردنية الهاشمية ، بل ان مدينة عمان عاصمتها قد أقيمت على بقايا عاصمة العمونيين ربة عمون (راجع قاموس الكتاب المقدس صـ ٦٤٠ نوث نقلا عن د/ مهران : صـ ٥٥٧ .

(٨) قضاة ١١ : ١٣ (٩) قضاة ١٠ : ٩ ، ١٧ / ١١ : ٤ - ٣٣ .

واستمرت حالة العداء والحرب قائمة بين العمونيين والاسرائليين فى عصر المملكة الموحدة فقد قام كل من شاول (١) وداود (٢) بمحاربتهم .

وفى عصر الانقسام انتهز العمونيون فرصة ضعف يهو شافاط واشتركوا مع المؤابيين والأدوميين فى هجومهم على مملكة يهوذا وحاولوا طرد اليهود منها (٣) .

وكرروا هذا الهجوم أيضا فى عهد يهويا قيم (٤) .

وأما فى عهد عزيا فقد اتصل بهم وتقبل منهم الهدايا (٥) ولكن ابنه يوثام حاربهم وأخذ منهم الجزية (٦) .

وتذكر الأسفار أن العمونيين قد احتلوا أرض بنى اسرائيل بعد سبيهم إلى أشور (٧) وتهكموا على اليهود بعد سبيهم إلى بابل (٨) ولما عاد اليهود من سبيهم وقف العمونيون فى وجههم وعارضوا اعادة بناء أسوار أورشليم (٩) وظل العمونيون معاصرين لليهود حتى عصر المكابيين (١٠) .

وهكذا وجدنا أن ممالك شرق الاردن الثلاث ظلت محتفظة بكيانها واستقلالها فى أغلب مراحل التاريخ القديم ، فاتصل اليهود بشعوبهم ، ودار بينهم صراع وصيال .

---

(١) راجع صموبل أول ١١ : ١ - ١١ . وفيه ان ناحاش ملك العمونيين قد أغار على يابيش جلعاد فاستنجدوا بشاول فخرج بجيش من بنى اسراءيل وحارب ملك بنى عمون

(٢) تذكر الاسفار أن داود قد تصالح مع ناحاش ولما مات أرسل وفدا للتعزية فيه وتهنئة ابنه حانون - الذى تولى الملك بعده - ولكن حانون أساء معاملة الوفد بعد ما أوعز إليه معاونوه بأن داود قد أرسله للتجسس على أرض عمون ، وعلى أثر ذلك اندلعت الحرب بينه وبين داود (قاموس الكتاب المقدس صـ ٢٨٤ ، ٦٤٣ ، ٩٤٣ ، صموئيل الثانى ١٠ ، ١١) .

(٣) اخبار الايام الثانى ٢٠ : ١ - ١٣ .

(٤) ارميا ٤٩ : ١ - ٦ .

(٥) اخبار الايام الثانى ٢٦ : ٨ .

(٦) المصدر السابق ٢٧ : ٥ .

(٧) ارميا ٤٩ : ١ - ٦ .

(٨) حزقيال ٢٥ : ١ - ٧ ، ١٠

(٩) نحميا ٤ : ١ - ٧ .

(١٠) راجع قاموس الكتاب المقدس صـ ٦٤٠ .

ثانيا : العناصر غير السامية :

بجانب العناصر السامية التى تحدثت عنها كانت هناك عناصر غير سامية سكنت بلاد فلسطين قبل نزوح الاسرائيليين اليها ، وظلت موجودة بها حتى عاصرهم اليهود واختلطوا بهم وتزاوجوا معهم ،وكان من أبرز هذه العناصر : الحثيون ، والفلسطينيون (١) .

١ـ اتصال اليهود بالحثيين :

لا يعرف على وجه التحقيق الأصل الذى ينتمى إليه الحثيون ، وان كان ـ العلماء يرجحون أنهم آريون وأنهم فرع من فروع الشعوب الهند وأوربية (٢) .

ومهما يكن من أمر فان ما يعنينا هنا بالدرجة الاولى أن هناك اجماعا على أنهم قدموا إلى بلاد فلسطين ، وقطنوا بها ، وعرفوا ضمن شعوبها ، التى عاصرها اليهود

---

(١) هناك شعوب اخرى ضمن العناصر غير السامية مثل الحوريين والثيكر ولكنهما ليسا على درجة كبيرة من الأهمية ولأن القول بأنهم غيرساميين لم يتأكد حتى الآن فقد قيل عن الحوريين أنهم هم الحويون وأنهم ساميون ، ومتفرعون عن الكنعانيين .

أما الحثيون والفلسطينيون فهما غير ساميين بتحقيق العلماء والمؤرخين ، يقول الدكتور فؤاد حسنين « اذ استثنينا الفلسطينيين والحثين فسكان البلاد (فلسطين) قبل نزوح الاسرائيليين اليها كانوا من الساميين » اسرائيل عبر التاريخ صـ ٦٨ راجع أيضا د/ نجيب ميخائيل جـ ٣ صـ ١٤٦ ـ ١٤٧ .

واذا كان قد ورد فى سفر التكوين (١٠ : ١٥) أن ابن كنعان كان يسمى « حث » ويرى بعض شراح العهد القديم أن الحثيين يرجعون إليه فان العلماء والمورخين قد استقر رأيهم على أن الكنعانيين ساميون وأن الحثيين غير ساميين وأصبحوا لا يعيرون اهتماما لهذا الفهم (راجع قاموس الكتاب المقدس صـ ٢٨٩ ، دى بورج : تراث العالم القديم جـ ١ صـ ٤٦ ، د/ محمد مهران : دراسات فى تارخ الشرق الادنى القديم جـ ٨ صـ ٥٨٦

(٢) لمعرفة مزيد من التفاصيل عن أصل الحثيين وتارخهم راجع د/ حتى : موجز تاريخ الشرق الأدنى صـ ٤٦ ـ ٤٧ ، تاريخ سورية جـ ١ صـ ١٦٦ ، بريستيد : العصور القديمة صـ ١٠١ ـ ١٠٢ ، كونتنو : الحضارة الفينيقية صـ ٣٩٨ ـ ٣٩٩ . دى بورج : تراث العالم القديم جـ ١ صـ ٤٦ وما بعدها ، د/ كاترين هنرى :التاريخ فى الكتاب صـ ٢٣ ـ ٢٤ ، د/ احمد فخرى : دراسات فى تاريخ الشرق صـ ٨٧ ـ ٨٩ ، د/ عبد الحميد زايد :الشرق الخالد صـ ٤٤٦ وما بعدها .

واختلطوا بها (١) ، والحثيون من الشعوب الهامة في تاريخ اليهود .

جاء في قاموس الكتاب المقدس أن كلمة حثي وحثيين (مفرد وجمع) وردت ٤٧ مرة في العهد القديم ، بينما وردت كلمة حث ١٤ مرة أخرى (٢) .

بل إن سفر التكوين قد أطلق اسم الحثيين بوجه عام على جميع سكان فلسطين من غير الساميين قبل مجيء الاسرائيليين ، وذكر أن الحثيين أقاموا بفلسطين منذ عصر الخليل ابراهيم ، وكانوا يسكنون بمدينة حبرون (الخليل) (٣) وورد فيه أيضاً أن عيسو قد اتخذ منهم زوجتين (٤) .

هذا وقد ذكر الحثيون أكثر من مرة ضمن الأمم المقيمة في فلسطين قبل دخول الاسرائيليين(٥) .

وحينما عاد الرجال الذين أرسلهم موسى ليتجسسوا أرض فلسطين أخذوا يعدون شعوبها ويصفون موقع اقامتهم ، فذكروا أن الحثيين يقطنون الجبال بجانب اليبوسيين والأموريين (٦) ، وبعد أن دخل الاسرائيليون أرض كنعان أو فلسطين اعتبروا الحثيين شعبا قويا معروفا واعترفوا لهم بأرضهم (٧) .

---

(١) راجع في ذلك كونتنو : الحضارة الفينيقية صـ٣٩٩ (يذكر كونتنو أن الحثيين نزلوا بلاد سورية حتى بلغوا قلب فلسطين وحتى كان أحد ملوك بيت المقدس في آخر الالف الثاني ق . م يجمع اسما حيثيا هو عيدى ـ هيبا ـ وامتزج بهؤلاء الحثيين من غير شك عناصر هندية ـ أوربية أو على كل حال عناصر غير سامية) يراجع أيضاً د / حتى : موجز تاريخ الشرق صـ٤٧ ، د / فؤاد حسنين علي : اسرائيل عبد التاريخ صـ٦٨ ، د / نجيب ميخائيل : مصر والشرق جـ٣ صـ١٤٦ ـ ١٤٧ ، د/ محمد بيومي مهران : دراسات في تاريخ الشرق الادنى القديم جـ٨ صـ٥٨٦ ، زكي شنودة : اليهود صـ٤٨ ، د / محمد أبو المحاسن عصفور : معالم تاريخ الشرق الادنى القديم صـ٣٢٧ ومابعدها .

(٢) قاموس الكتاب المقدس صـ٢٩٠ .

(٣) راجع تكوين ١٥ : ١٨ ـ ٢١ / ٢٣ : ٢ ـ ٢٠ راجع أيضاً د / فيليب حتى : تاريخ سورية جـ١ صـ١٦٩ ، د / عبد الحميد زايد : الشرق الخالد صـ٤٤٦ .

(٤) كان اسم الزوجة الأولى « يهوديت بنت بيرى الحثى » واسم الثانية « بسمة بنت ايلون الحثى» راجع تكوين ٢٦ : ٣٤ .

(٥)راجع تكوين ١٥ : ٢٠ / ٣ : ٨ ، تثنية ٧ : ١ / ٢٠ : ١٧ ، ٣ : ١٠ / ١١ : ٢٤١٣ : ١١ .

(٦) عدد ١٣ : ٢٦ ـ ٢٩ . (٧) يشوع ١ : ٤ راجع قاموس الكتاب المقدس صـ٢٩٠ .

وفى عصر القضاة اتصل الإسرائيليون بالحثيين فسكنوا فى وسطهم ، واختلطوا بهم وتزاوجوا معهم ، فاتخذوا بناتهم لأنفسهم نساء ، وأعطوا بناتهم لبنيهم وعبدوا آلهتهم (١) .

وفى عصر المملكة الموحدة ازداد اختلاط الاسرائيليين بالحثيين حتى اتخذ داود منهم رفقاء له (٢) ، وجعل منهم من يحارب فى جيشه (٣) .

وظل الحثيون يقيمون فى فلسطين فى عهد سليمان ، فهم يذكرون ضمن الشعوب التى فرض عليهم السخرة (٤) .

بل إن سفر الملوك يذهب إلى أن سليمان قدتزوج بنساء حثيات (٥) .

وقد بلغ من أهمية الحثيين وخطورتهم فى فلسطين أن الأسفار تذكر ملوكهم فى جملة واحدة مع ملوك أرام (٦)، وتضعهم فى مرتبة واحدة مع المصريين كدليل على عظمتهم (٧) .

بل إن حزقيال حينما خاطب مدينة أورشليم على لسان الرب مبينا أصل فسادها وسبب انحرافها قال « أبوك أمورى ، وأمك حثية » (٨) .

٢ ـ اتصال اليهود بالفلسطينيين :

اختلف فى أصل الفلسطينيين ، ومن المرجح أنهم ينتمون إلى شعوب البحر الأبيض المتوسط الذين هاجروا إلى كنعان فى أواخر القرن الثالث عشر وأوائل القرن

---

(١) قضاة ٣ : ٥ ـ ٦ .

(٢) صموئيل الأول ٢٦ : ٦ وكان من بين رفقائه أخيما لك الحثي الذي اختبأ معه حينما هربوا من شاول .

(٣) صموئيل الثاني : ١١ : ٦ ـ ٢١ ، ومن أبرز هؤلاء كان أوريا الحثي الذي حارب في جيش داود ضد العمونيين .

(٤) ملوك أول ٩ : ٢٠ ـ ٢١ ، أخبار ثان ٨ : ٧ ـ ٨ .

(٥) ملوك أول ١١ : ١ .

(٦) ملوك أول ١٠ : ٢٩ ، أخبار ثان ١ : ١٧ .

(٧) ملوك ثان ٧ : ٦ ـ ٧ وقد وردت علي لسان أفراد جيش الآرامي حينما سمعوا جلبة جيش اسرائيل « فإن الرب أسمع جيش الآراميين صوت مركبات وصوت خيل صوت جيش عظيم فقال الواحد لأخيه هوذا ملك اسرائيل قد استأجر ضدنا ملوك الحثيين وملوك المصريين ليأتوا علينا » (راجع أيضاً قاموس الكتاب المقدس صـ ٢٩٠) .

(٨) حزقيال ١٦ : ١ ـ ٣ .

الثانى عشر ق . م (١) .

وبناء على هذا الترجيح ، واعتمادا على ماسبق من عرض لهجرات الشعوب الأخرى وتاريخ استيطانهم بأرض كنعان ، فإن الفلسطينيين يكونون آخر الشعوب التى نزحت إلى بلاد كنعان وأحدث العناصر التى أقامت بها قبل الاسرائيليين .

ولعل ذلك قد ساهم فى أن تعرف أرض كنعان بأرض فلسطين نسبة إليهم واشتقاقاً من اسمهم (٢) .

وعلى الرغم من أن الفلسطينيين قد انتصروا على الكنعانيين ، وهزموهم حينما نزلوا أرض كنعان إلا أنهم سرعان ماانديمجوا فيهم وامتزجوا بهم فتعودوا عاداتهم

---

(١) يذكر المؤرخون أنه فى أواخر القرن الثالث عشر وأوائل القرن الثانى عشر ق . م غمر سواحل فلسطين أو كنعان فيض من شعوب البحر المشهورين فى التاريخ القديم ، من جزر شمال البحر المتوسط وشواطئه وخاصة من بحر ايجه وجزيرة كريت ، وهذه الشعوب تنتمى إلى العرق الهندو أوربى ، ويبدو أنها شغلت كل السهل الساحلى لفلسطين ، وأشهر هذه الشعوب هم الفلسطينيون الذى قطنوا المنطقة الساحلية فى بلاد كنعان جنوبى الكرمل وكانت تمتد من غزة إلى يافا ولكنهم أخذوا يتوسعون بعد ذلك على حساب الكنعانيين راجع فى ذلك أولبرايت : آثار فلسطين صـ١١٥ ــ ١٧٦ ، بريستيد : العصور القديمة صـ٢٢٣ ، د / حتى : موجز تاريخ الشرق الادنى صـ٧٧ ، تاريخ لبنان من أقدم العصور إلى وقتنا الحاضر صـ١١١ ، ماسون أورسيل الفلسفة فى الشرق صـ٣٤ ــ ٣٥ .

(٢) سميت فلسطين بهذا الاسم نسبة إلى الفلسطينيين وقد وردت فى العهد القديم بلفظ « فلاشت » وفى المصادر الأشورية والمصرية باسم « بيلشتى أو بالاستو أو برنست » وقد عرب لفظ فلسطين من لفظ فلستيا اليونانى الذى أصبح بالستيا ، وكان يطلق أولاً على المناطق التى سكنها الفلسطينيون ثم أخذت المصادر اليونانية الرومانية تطلقه على جميع فلسطين الحالية وحتى شرقى نهر الأردن ، وكان المؤرخ اليونانى هيرودوت هو أول من ذكر اسم فلسطين (راجع خروج ١٥ : ١٤ ، اشعيا ١٤ : ٢٩ ، د / فؤاد حسنين على : اسرائيل عبر التاريخ صـ٦٠ ، ظفر الاسلام خان : تاريخ فلسطين القديم صـ١٨ ، د / أحمد سوسة : مفصل العرب واليهود فى التاريخ صـ٢٢٢ ، عبد الحكيم ذا النون : تاريخ فلسطين القديم والخلفية الزائفة للصهيونية صـ٤٥ ــ ٤٧ دار الكتاب العربى سورية ١٩٨٤ م ، ويقول الدكتور محمد بيومى مهران « وقد احتفظ التاريخ باسمهم على فلسطين وإن كان ذلك لايرجع إلى أنهم قد أصبحوا غالبية السكان فيها أو أنهم قد بسطوا نفوذهم عليها جميعاً ولكن ربما لأنهم آخر من نزل بها ، ولكثرة ترديد التوراة لاسمهم (دراسات فى تاريخ الشرق الأدنى القديم الجزء الثامن : اسرائيل صـ٥٩٤ ــ ٥٩٥ .

وتحدثوا لغتهم واقتبسوا من ثقافتهم (١) .

ولايعنى هذا أن الفلسطينيين قد ذابت شخصيتهم ، وضاعت هويتهم تماما فى المجتمع الكنعانى ، وإنما هم على العكس من ذلك قد احتفظوا باستقلالهم واستمسكوا بأرضهم واشتهروا بشجاعتهم وقوتهم ، حتى اذا مادخل الاسرائيليون أرض كنعان وجدوهم أهل شدة وبأس ، واعتبروهم عدوهم الأول ومنافسهم الاكبر ودار بينهم صراع طويل كانت الغلبة فيه ولمدة قرنين من الزمان للفلسطينيين (٢) .

وقد كانت البداية حينما تحاشى الاسرائيليون الاحتكاك بالفلسطينيين وعدلوا عن الطريق التى تمر بهم وهم فى طريقهم إلى كنعان خوفاً من بطشهم وجبروتهم :

---

(١) راجع أولبرايت : آثار فلسطين صـ١١٥ ، د / نجيب ميخائيل : مصر والشرق جـ٣ صـ٢١٢ د / أحمد سوسة : مفصل العرب واليهود فى التاريخ صـ٢٢٥ ، ولعل اندماج الفلسطينيين فى الكنعانيين جعل بعض الباحثين يميلون إلى أنهم ينتمون إلى الأصل الكنعانى ، وأن هجرتهم من كريت كانت هجرة سامية راجعة مرتدة حيث عادوا إلى بلاد أجدادهم ثانية ليقفوا مع أشقائهم الكنعانيين (د / نجيب ميخائيل : مصر والشرق الادنى جـ٣ صـ٣١٠ - ٣١١ ، د / محمد بديع شريف : مدخل لدراسة مطامع اليهود فى فلسطين قديما وحديثاً صـ٤٦) معهد البحوث والدراسات العربية ١٩٧٣ م .

ولكن د / نجيب ميخائيل يعود فيذكر أن الاسرائيليين يشيرون إلى الفلسطينيين كقوم لايختتنون (صموئيل الأول ١٨ : ٢٥) وهو اصطلاح ينأى بهم عن الساميين والمصريين معا (المصدر السابق صـ٣١١) هذا بالإضافة إلى أن جمهرة العلماء والمؤرخين يرجحون أصل الفلسطينيين غير السامى مما يجعل القول بأنهم ساميون أمراً مستبعدا .

(٢) كانت أرض كنعان موطن الصراع بين الفلسطينيين والاسراذيليين وقد ترك مصيرها للفريق الغالب ، ويرجح العلماء تفوق الفلسطينيين إلى عدة مزايا : منها أنهم قد استوطنوا أغنى قطاع من أرض فلسطين إذ كانوا على السهل بجانب البحر على طريق التجارة بين مصر وما بين النهرين ومنها أنهم قاموا بتحصين مدنهم الخمسة : غزة وأشقلون (عسقلان) وجت وأشدود وعقرون .

بالاضافة إلى أنهم بجانب تطبعهم على الشجاعة والقوة قد أحضروا معهم عند استقرارهم فى كنعان عرباتهم الثقيلة التى تجرها الثيران ، واحتفظوا بأسرار صهر الحديد ولم يطلعوا الاسرائيليين عليها (إلا حينما علم الله داود صناعتها كما ورد فى القرآن الكريم) وعلى ذلك استطاع الفلسطينيون أن يؤكدوا وجودهم ضد الاسرائيليين الذين لم يكونوا قد عرفوا الوحدة على أية حال (راجع كاترين هنرى : التاريخ فى الكتاب صـ١٣٨ - ١٣٩ ، صموئيل شولتر : العهد القديم يتكلم صـ١٥٤ ، د / نجيب ميخائيل : مصر والشرق جـ٣ صـ٣١٤ د / محمد مهران : الجزء الثامن صـ٥٨٥ .

ورد فى سفر الخروج « وكان لما أطلق فرعون الشعب أن الله لم يهدهم فى طريق الفلسطينيين مع أنها قريبة لأن الله قال لئلا يندم الشعب اذا رأوا حربا ويرجعوا إلى مصر .

وفى عصر يشوع وبالرغم من أنه هاجم مناطق متعددة من أرض كنعان إلا أنه لم يتجانس على غزو الفلسطينيون ومات دون المساس بأرضهم (١) .

وبعد أن مات يشوع هاجم سبط يهوذا أرض الفلسطينيين وسيطروا على بعض مدنهم (٢) ،إلا أن الفلسطينيين سرعان مااستردوا هذه المدن ، فتحالفوا مع العمونيين وسقط الاسرائيليون فى قبضتهم (٣) .

ويبدو أن الفلسطينيين قد سلموا الاسرائيليين العمونيين وتركوهم بعد أن خلصوا مدنهم (٤) ، ثم حدث أن هاجم الفلسطينيون الاسرائيليين مرة أخرى وتمكنوا من اخضاعهم واستذلالهم مدة أربعين عاما (٥) .

ثم حاول الاسرائيليون أن يتخلصوا من نير الفلسطينيين فخرجوا إليهم للحرب أواخر عصر القضاة وفى عهد عالى الكاهن ، ولكنهم ماإن بدأ القتال حتى بدا ضعف الاسرائيليين وانكسارهم فقتل منهم أربعة آلاف رجل (٦).

فاجتمع شيوخ اسرائيل ليبحثوا سبب هذا الانكسار المروع ، وانتهوا إلى أن يصطحبوا معهم تابوت عهد الرب حتى يكون فى وسطهم ويخلصهم من يد أعدائهم (٧) .

وعاودوا الهجوم وهم يهتفون خلف التابوت فخاف الفلسطينيون من هذا الهتاف ولكنهم تواصوا قائلين بعضهم لبعض « تشددوا وكونوا رجالا أيها الفلسطينيون لئلا تستعبدوا للعبرانيين كما استعبدوا هم لكم (٨) .

---

(١) يشوع ١٣ : ١ ـ ٣ . (٢) قضاة ١ : ١٧ ـ ١٨ .

(٣) المصدر السابق ١٠ : ٧ ـ ٨ راجع قاموس الكتاب المقدس صـ٦٩٣ .

(٤) وقد ذكر سفر القضاة أن الاسرائيليين ظلوا تحت قبضة العمونيين ثمانية عشر عاما حتى خلصهم يفتاح ولم يشر السفر هنا إلى الفلسطينيين (قضاة ١٠ : ٦ ـ ١٨ / ١١ : ١ ـ ٣٣).

(٥) قضاة ١٣ : ١ . (٦) صموئيل الأول : ٤ : ١ ـ ٢ .

(٧) المصدر السابق ٤ : ٣ . (٨) المصدر السابق ٤ : ٤ ـ ٩ .

فحارب الفلسطينيون بكل شجاعة ، وانكسرت اسرائيل مرة أخرى ، وأخذ الفلسطينيون التابوت ثم أعادوه إلى الاسرائيليين بعد أن ظل فى بلادهم سبعة شهور (١) .

وحينما تولى صموئيل القضاء فى اسرائيل جمع الشعب وأخذ يعظهم وينصحهم بالعودة إلى الرب ، وفى أثناء ذلك هجم عليهم الفلسطينيون واندلعت بين الفريقين معركة جديدة (٢) .

وفى عصر المملكة الموحدة بدأ شاول حكمه بمهاجمة الفلسطينيين ولعل هذا الهجوم هو الذى جعل منه ملكا (٣) .

ولكن الفلسطينيين عادوا فتسلطوا على الاسرائيليين وتمكنوا من اضعافهم ، وذلك باحتكارهم صناعة الآلات والأسلحة الحديدية ، فجردوا بنى اسرائيل من أسلحتهم وكما ورد فى السفر « ولم يوجد صانع فى كل أرض اسرائيل ، لأن الفلسطينيين قالوا لئلا يعمل العبرانيون سيفاً أو رمحاً » « وكان فى يوم الحرب أنه لم يوجد سيف ولا رمح بيد جميع الشعب الذى مع شاول » (٤) .

فكان هذا كفيلا بترجيح كفة الفلسطينيين فى الحروب التى خاضها شاول ضدهم (٥) .

وفى أخريات أيام شاول هجم الفلسطينيون على الاسرائيليين بجيش كثيف ، فلما رآه شاول خاف واضطرب قلبه جداً (٦) ، ودارت بينهما معركة ساخنة انتهت

---

(١) صموئيل الأول ٤ : ١٠ ـ ٢٢ / ٥ / ٦ : ٦ : ١ ـ ١٦ ولمزيد من معرفة تفاصيل هذه المعركة راجع د / ماير : حياة صموئيل النبى صـ٣٦ ـ ٤٥ ، د / نجيب ميخائيل : مصر والشرق الادنى جـ٣ سورية صـ٣١٤ ـ ٣١٦ .

(٢) صموئيل الأول ٧ : ٣ ـ ١٤ ، ويشير السفر إلى أن الاسرائيليين بقيادة صموئيل قد هزموا الفلسطينيين وأذلوهم ولم يعودوا بعد للدخول فى تخم اسرائيل وهذا مخالف لما سنعرض له من الصراع بين شاول والفلسطينيين ومن الأسفار نفسها .

(٣) أولبرايت : آثار فلسطين صـ١١٦ ، غوستاف لوبون : اليهود فى تاريخ الحضارات صـ٣٦ ، د / نجيب ميخائيل المصدر السابق جـ٣ صـ٣٢٤ ، ٣٢٢ ومما يذكر أن ضغط الفلسطينيين على الاسرائيليين كان من أقوى العوامل لتجميع قواهم وإنشاء مملكة وتنصيب ملك عليهم .

(٤) راجع صموئيل الأول : ١٣ : ١٩ ـ ٢٢ .

(٥) راجع صموئيل الأول ١٤ : ١ ـ ٤٦ / ١٧ : ١ ـ ١١ .

(٦) راجع المصدر السابق ٢٨ : ١ ـ ٢ . ٤ ـ ٥ وقد لجأ شاول إلى الرب فلم يستجب له فلجأ إلى صاحبة الجان (صموئيل الأول ٢٨ : ٦ ـ ٢٤) .

كما قال السفر بموت شاول وأبنائه الثلاثة وحامل سلاحه وجميع رجاله معا [1] وهرب الاسرائيليون من مدنهم وقام الفلسطينيون باحتلالها [2] .

وأما علاقة الملك داود بالفلسطينيين كما تصورها الأسفار فقد كانت متقلبة ، فهو الذى قتل بطلهم جليات [3] ، وحينما طلب منه شاول أن يقدم له صداق ابنته مائة غلفة من الفلسطينيين سارع داود وقتل مائتين منهم وأتى شاول بغلفهم [4] .

وخرج بعد ذلك لحربهم على رأس جيش حتى هربوا من أمامه [5] ، ولكنه يلجأ إليهم ويحتمي عندهم ويقيم عندهم هو ورجاله وأهله مدة سنة وأربعة أشهر [6] .

وليت الأمر يقف عند هذا الحد وإنما تنشب معركة بين الفلسطينيين والاسرائيليين فيقاتل داود ورجاله فى صفوف الفلسطينيين ، وحينما يرجوه ملكهم أن يرجع ـ بعد أن اعترض رؤساء الفلسطينيين على مشاركته لهم يصر داود على الوقوف معهم ، ويعلن للملك أنه لايليق به أن يتخلف عن مقاتلة أعداء سيده الملك [7] .

وبعد أن تولى داود الملك ضاق الفلسطينيون بذلك ، وأخذوا يغيرون على مملكته ويغزون أرضه وهو يرد غاراتهم ويصد غزواتهم ، وانتهى الأمر بأن حاربهم فى أرضهم ، وتمكن من اخضاعهم [8] .

ولكن على الرغم من انتصارات داود المتكررة على الفلسطينيين والتى حدثتنا عنها التوراة فى سفر صموئيل الثانى ـــ والتى إن لم تجعل الفلسطينيين تابعين لداود سياسيا فقد أجبرتهم على الاعتراف بسيادته على الجزء الأكبر من البلاد ـ على الرغم من ذلك فقد بقى الفلسطينيون فى اقليمهم الصغير القوة الوحيدة التى لم يقدر

---

(١) صموئيل الأول ٣٢ : ١ ـ ٦ ويقصد حرسه الخاص وأهل بيته .

(٢) المصدر السابق ٣١ : ٥ .

(٣) المصدر السابق ١٧ : ٣٢ ـ ٥٤ ، ولعل جليات هذا هو جالوت المذكور فى القرآن الكريم ، ﴿ وقتل داود جالوت ﴾ البقرة : ٢٥١ .

(٤) صموئيل الأول ١٨ : ٢٥ ـ ٢٧ .　　(٥) المصدر السابق ١٩ : ٨ .

(٦) المصدر السابق ٢٧ : ١ ـ ٧ .　　(٧) المصدر السابق ٢٨ : ١ ـ ٢ / ٢٩ : ٢ ـ ١١ .

وقد روى الاصحاح (٢١) من نفس السفر أن داود ذهب إلى الفلسطينيين قبل ذلك ولما عرفوه تظاهر بالجنون حتى طردوه (٢١ : ١٠ ـ ١٥) .

(٨) صموئيل الثانى ٥ : ١٧ ـ ٢٥ / ٨ : ١ / ٢١ : ١٥ ـ ٢٢ / ٢٣ : ٩ ـ ١٧ .

لداود أن يخضعها إن عاجلاً أو آجلا (١) .

وإذا كان لا يرد ذكر الفلسطينيين فى الأسفار كثيراً ـ بعد موت داود (٢) ـ فليس يعنى هذا أن صراعهم مع الاسرائيليين قد انتهى ، وإنما استمر إلى عصر الانقسام.

ففى هذا العصر أخذوا يتحرشون ببنى اسرائيل بعد سليمان فى وقت مبكر فقام ناداب بن يربعام الأول ملك اسرائيل لمحاصرتهم (٣) .

وفى عهد يهوشافاط ملك يهوذا اتصل به الفلسطينيون وقدموا له هدايا (٤) .

ولكننا نجدهم فى عهد ابنه يهورام قد قاموا بغزو يهوذا ونهبوا مافيها من الأموال والخزائن وسبوا كل أبنائه ونسائه ولم يتركوا إلا آحاز أصغر أبنائه (٥) .

ويبدو أنهم أخذوا يناوشون عزيا فخرج لمحاربتهم وتمكن من غلبتهم (٦) .

ولكنهم فى عهد احاز عاودوا هجومهم على يهوذا وقاموا بغزوها واقتحموا عددا من مدنها (٧) .

وفى عهد حزقيال اندلعت الحرب بينه وبينهم ولكنه تمكن من ضربهم (٨) .

وهذا وقد عبر أنبياء بنى اسرائيل عن العداوة المستحكمة بين الاسرائيليين والفلسطينيين فأخذوا يشنعون عليهم ويتنبأون بهلاكهم وتخريب أرضهم (٩) .

وظل وجود الفلسطينيين قائما وبقى عداؤهم للاسرائيليين مستمراً حتى عصر المكابيين حيث إننا نراهم يخرجون مع انطيوخوس السلوقى فى حملته على يهوذا (١٠) .

---

(١) نوث نقلا عن د / مهران : دراسات فى تاريخ الشرق الادنى جـ٨ صـ٧١٢ .

(٢) قاموس الكتاب المقدس صـ٦٩٤ .

(٣) ملوك أول ١٥ : ٢٧ ، راجع محمد عزة دروزة : تاريخ بنى اسرائيل صـ١٩٣ .

(٤) اخبار الايام الثانى ١٧ : ١١ .

(٥) المصدر السابق ٢١ : ١٦ ـ ١٧ وقد ورد فى نفس الاصحاح أن إحدى المدن الفلسطينية قد تمردت على يهورام ٢١ : ١٠ .

(٦) أخبار ثان ٢٦ : ٦ ـ ٧ . (٧) المصدر السابق ٢٨ : ١٨ . (٨) ملوك ثان ١٨ : ٨ .

(٩) راجع أشعيا ١١ : ١٤ ، ارميا ٢٥ : ٢٠ / ٤٧ : ١ ـ ٧ ، صفنيا ٢ : ٤ ـ ٧ ، زكريا ٩ : ٥ ـ ٧ .

(١٠) راجع المكابيين الأول ٣ : ٤١ ، قاموس الكتاب المقدس صـ٦٩٤ .

راجع أيضاً سفر المكابيين الأول ٥ : ٦٨ / ١٠ : ٨٣ ـ ٨٩ ، ١١ : ٦٠ ـ ٦١ .

المبحث الثالث : اتصال اليهود بالفرس :

سبق أن اشرت إلى أن مملكة اسرائيل قد زالت من الوجود بعد حدوث السبى الأشورى (٧٢٢ ق . م) وإلى أن مملكة يهوذا قد انتهت إلى الأبد بعد تدمير أورشليم ووقوع السبى البابلى (٥٨٦ ق . م) (١) .

وكان البابليون قد تغلبوا على الأشوريين ، فورثوا عنهم امبراطوريتهم ومنها بلاد فلسطين التى يسكنها اليهود، وحينما ضعف البابليون وانهارت دولتهم (٥٣٩ق.م) برزت إلى الوجود امبراطورية الفرس فأطاحت بالبابليين ، وتولت قيادة العالم فى الشرق الأدنى القديم .

وكان يتزعم هذه الإمبراطورية الملك كورش الثانى (٥٥٨ ـ ٥٣٠ ق . م) ، وحين دخل بابل فى (٥٣٩ ـ ٥٣٨ ق . م) وجد فيها جالية يهودية يعود أصلها الى السبى على يد نبوخذ نصر فى عامى (٥٩٧ ، ٥٨٦ ق . م) ، فسارع أى كورش إلى اصدار مرسوم ملكى يخول الذين يودون الرجوع إلى أرض آبائهم (أورشليم) واعادة بناء معبدهم حق العودة (٢) .

ولم يكتف كورش باصدار ذلك المرسوم فقط ، وإنما مهد لهم سبل العودة ، وأمدهم بما يعينهم من مال وأمتعة (٣) .

---

(١) لقد رأيت أن أفراد فصلا خاصاً فى الباب الثانى بفترات السبى والاضطهاد التى تعرض لها اليهود فى تاريخهم القديم ، على أنها أحداث خطيرة ، وتتمثل خطورتها فى أنها كانت من عوامل تأثر اليهود بالأديان الوثنية ، ومن تلك الفترات : فترة السبى الأشورى ، وفترة السبى البابلى .

(٢) راجع أخبار الايام الثانى ٣٦ : ٢٢ ـ ٢٣ ، عزرا ١ : ١ ـ ٤ / ٦ : ٣ : ٥ ، د / فيليب حتى : تاريخ سورية ولبنان وفلسطين جـ١ صـ٢٤٢ ، شاهين بك مكاريوس : تاريخ الاسراءيليين صـ٣١ ، صموئيل شولتز : العهد القديم يتكلم صـ٣٤٣ .

(٣) لقد قام كورش برد ما تبقى من خزائن البابليين من الذهب والفضة اللذين اغتصبهما بنوخذ نصر من الهيكل ، وأمر الجماعات التى كان اليهود المنفيون يعيشون بينها أن تعينهم بالمال لذى يحتاجونه فى أثناء رحلتهم الطويلة الى أورشليم (راجع عزرا ١ : ٥ ـ ١١ ، ول ديورانت : قصة الحضارة مجلد ١ جـ٢ صـ٣٦٤ .

ومن الواضح أن كورش قد أظهر عطفاً على اليهود، ولا ندرى هل فعل هذا من منطلق سياسة التسامح التى اتبعها تجاه الشعوب التى كانت فى حوزته ، أو أن ذلك كان اعترافاً بفضل اليهود الذين ساعدوه فى احتلال بابل (١) .

وأياً ما كان الأمر فإنه رغم سماح كورش لليهود بالعودة الى أورشليم إلا أن أكثرهم من الأثرياء والشباب لم يتحمسوا ــ على حد تعبير ول ديورانت ــ لهذا التحرير ، لأنهم كانوا قد تأقلموا فى التربة البابلية وامتدت أصولهم فيها ، فترددوا طويلاً فى ترك حقولهم الخصبة وتجارتهم الرائجة ليعودوا الى القفار الخربة فى المدينة المقدسة (٢) .

---

(١) يميل أكثر الباحثين إلى أن اليهود قد ساهموا فى احتلال الفارسيين لمدينة بابل وأنهم استقبلوا كورش بالترحيب ، واعتقدوا أنه هو المخلص المنقذ لهم على يد الرب الذى تنبأ به الأنبياء حتى أطلقوا عليه مسيح الرب ، وأنه تأثر بذلك وتحرك بروح الرب (راجع اشعيا ٤٤ : ٢٨ / ٤٥ : ١ ، برستيد : العصور القديمة صـ٣٣٢ ، د / فيليب حتى : تاريخ سورية جـ١ صـ٢٤٢ ، ل . توماس هولد كروفت : الأسفار التاريخية صـ٣٢٣ ــ ٣٢٤ أندرى بارو : بلاد أشور صـ٢٠٦ د / عبد الحميد زايد الشرق الخالد صـ٦٠٤ ، وهناك من يرى أن كورش قد فعل ذلك من منطلق المصلحة الخاصة لشعبه وامبراطوريته متصوراً أن وجود طائفة يهودية فى فلسطين تدين بوجودها لاحسانه سيشكل توازناً فعالاً تجاه الحزب الموالى للمصريين (راجع د / حتى : تاريخ سورية جـ١ صـ٢٤٢ ويلز : معالم تاريخ الانسانية مجلد ٢ ك ٣ صـ٢١٥ ، وان كان هناك من يذهب الى أن فعل كورش كان من منطلق سياسة التسامح التى كانت طابع الحكومة الفارسية اذ كانوا يراعون عادات وأديان الشعوب الخاضعة لهم ويعملون على انعاشها (ج . هـ . ايليف : فارس والعالم القديم صـ٣٢ من كتاب تراث فارس نشر أربرى) ، ويذهب كل من اندريه ايمار وجانين ابوابه الى أن فعل كورش لم يكن تعبيراً عن كياسة سياسية وإنما كان اقتبالاً لديانة اعتبرت على غير مستوى (الشرق واليونان القديمة صـ٢٢٤) ، ويرى بعض النقاد المحدثين أن كورش قد أبدى تعاطفاً خاصاً مع الديانة اليهودية لما بينها وبين ديانة الفرس من تشابه (لودرز صـ٨٨٥ نقلاً عن عبد الرحمن على عوف (عزير وعزرا فى القرآن الكريم والعهد القديم صـ٤٤ ، رسالة ماجستير بكلية دار العلوم جامعة القاهرة ١٩٧٤ م .

(٢) قصة الحضارة مجلد ١ جـ٢ صـ ٣٦٥ ، راجع أيضاً بريستيد : العصور القديمة صـ٢٣٣ .

وبعد هذا التردد استقر رأيهم ـ وهم الأغلبية الساحقة ـ على البقاء فى بابل (١) وفضلوها على أورشليم (٢) ، وشكلوا أفراد ما عرف بـ « الدياسبورا » أى اليهود المقيمين خارج فلسطين أو يهود الشتات (٣) .

وأما الذين عادوا إلى أورشليم فكانوا من الكهنة المتحمسين ، والفقراء المتدينين من سبطى يهوذا وبنيامين (٤) .

وكانت عودتهم تتم تدريجياً و وفى فترات متباعدة على شكل أفواج متتالية .

فوج زَرُبَّابل :

فأما الفوج الأول (٥) فكان فى عام ٥٣٨ ق . م بقيادة زر بابل (٦) ، ولأنه كان من بيت داود فقد تسلم من كورش الآنية المقدسة التى ردت إلى أورشليم وقام

---

(١) د / فيليب حتى / تاريخ سوريا جـ١ صـ٢٤٣ ، رينان : تاريخ شعب اسرائيل نقلاً عن ثروت الأسيوطى : نظام الاسرة بين الاقتصاد والدين صـ١٣٤ ، ويك نقلا عن د / أحمد شلبى : اليهودية صـ٩٢ .

(٢) هناك من الباحثين من يذهب إلى أن زعماء المنفيين إنما كانوا يضعون بابل فى مرتبة تفوق مرتبة أورشليم نفسها (راجع قول بارون نقلا عن د / محمد مهران : دراسات فى تاريخ الشرق جـ٨ صـ١٠٣٥) .

(٣) د / فيليب حتى : تاريخ سورية جـ١ صـ٢٤٣ ـ ٢٤٤ ، ويذكر د / حتى أن أغنياء المسبيين قد فضلوا البقاء حيث هم بدليل ورود اسماء عبرانية بصورة متكررة فى الوثائق التجارية لذلك العهد ، وكان بعض هذه الأسماء مركبة من أسماء آلهة بابلية ، وكانت أهم مراكز اقامتهم على قناة خابور التى تتفرع عن الفرات الى الجنوب الشرقى من بابل .

(٤) رينان نقلا عن ثروت الأسيوطى : المصدر السابق صـ١٣٤ ، زكى شنودة : اليهود صـ١٤٤ .

(٥) ذكرت الأسفار أن الذين عادوا إلى أورشليم فى الفوج الأول تحت قيادة زر بابل كان عددهم اثنين وأربعين ألفاً وثلاث مائة وستين عزرا ٢ : ٦٤ ـ ٦٧ ، نحميا ٧ : ٦٦ ـ ٦٩ ، ويرى د / فيليب حتى : أن هذا الرقم مبالغ فيه إذا ما قورن بمجموع المسبيين (٥٨,٠٠٠) ، كما أنه لا ينطبق مع ما جاء فى القوائم المفصلة التى تسبق الجمع النهائى (راجع عزرا ٢ / ٦٤ : ٦٧ ، نحميا : ٦٦ ـ ٦٩ ، د / حتى : تاريخ سورية جـ١ صـ٢٤٣ .

(٦) زربابل : اسم أكادى معناه « زرع بابل » أو « المولود فى بابل » وهو ابن شالتئيل (عزرا ٣١ : ٢ ، ٨ ، نحميا ١٢ : ١) راجع الحديث عنه بالتفصيل (قاموس الكتاب المقدس صـ٢٤٥) .

بتعيينه والياً على اليهود (١) ، وصارت اليهودية بذلك ولاية من ولايات فارس (٢) .

ولكن أفراد هذا الفوج ـ والأفواج التى تليه ـ لم يلقوا ترحيباً كبيراً فى وطنهم القديم ذلك أن أقواماً آخرين من الساميين قد استقروا فى تلك البلاد ، وتملكوا الأرض بحق احتلالها والعمل فيها ، وأخذت هذه القبائل تنظر بعين المقت الى أولئك الذين خالوهم مغيرين على بلادهم وحقولهم ، ولولا تلك الدولة القوية (دولة الفرس) التى كانت تحمى اليهود العائدين لما استطاعوا أن يستقروا فى فلسطين (٣) .

فإن عودة اليهود ونشاطهم فى سبيل استئناف حياتهم واقامة هيكلهم فى أورشليم جعلت شعوب البلاد القدماء يتحركون ويتألبون ويبذلون جهودهم فى احباط حركتهم والقيام بازعاجهم (٤) .

وكان على رأس من وقف ضدهم وحال دون اقامتهم للهيكل :السامريون (٥) .

---

(١) المصدر السابق صـ٢٥ ، شولتز العهد القديم يتكلم صـ٣٤٤ .

(٢) شاهين مكاريوس : تاريخ الاسرائيليين صـ٣١ ــ ٣٢ ، وأطلق اسم اليهودية على القسم الجنوبى من فلسطين الذى سكنه العائدون من سبى بابل وسميت فى العهد القديم ببلاد يهوذا وكانت حدودها الشمالية تمتد من يافا على ساحل البحر المتوسط الى نقطة الأردن التى تبعد ١٠ أميال إلى الشمال من البحر الميت ، وحدودها الجنوبية من وادى غزة إلى الجنوب الغربى من غزة فإلى بئر سبع فإلى القسم الجنوبى من البحر الميت (قاموس الكتاب المقدس صـ١٠٨٥) .

(٣) راجع ول ديورانت : قصة الحضارة مجلد ١ جـ٢ صـ٣٦٥ .

(٤) محمد عزة دروزة : تاريخ بنى اسرائيل من اسفارهم صـ٢٧١ .

(٥) السامريون هم احدى الفرق اليهودية ، وترجع نشأتهم الى الفترة التى أعقبت السبى الأشورى حيث أتى الأشوريون بقبائل من بلاد بابل وعيلام وسورية وبلاد العرب لتحل محل الاسرائيليين المسبيين وأسكنوها فى السامرة ومنطقتها فاختلطت هذه القبائل مع اليهود الباقين وامتزجت بهم وشكلوا تلك الطائفة والتى تسمى السامرة أيضاً ، وقد حدث الانشقاق النهائى بين السامريين واليهود العائدين الى أورشليم فى العصر الفارسى حينما أراد زربابل أن يضم المعبد فعرض عليه السامريون الاشتراك معه فى بنائه ، ولكن اليهود العائدين رأوا أن الهيكل خاص بهم وأن هؤلاء السامريين وثنيون ورفضوا مشاركتهم فأخذ السامريون يناوئونهم وأرسلوا شكاوى إلى ملك الفرس حتى تعطل بناء الهيكل ولم يهتم اعادة بنائه إلا فى عام ٥١٥ ق . م كما سنرى .

وازداد العداء بين الفريقين على مر الزمن ، وحرم بينهم التزاوج والاختلاط ويختلف السامريون عن بقية اليهود فى اعتقادهم بالأسفار الخمسة فقط وتختلف التوراة لديهم عن التوراة العبرانية ، وهم يقدسون جبل جرزيم بدلاً من أورشليم . =

ورد فى سفر عزرا « أن أعداء يهوذا أو بنيامين لما سمعوا أن بنى السبى يبنون هيكلا للرب اله اسرائيل تقدموا الى زربابل ورؤس الآباء وقالوا لهم نبنى معكم لأننا نظير كم نطلب الهكم ... فقال لهم زربابل ويشوع (١) وبقية رؤساء اسرائيل : ليس لكم ولنا نبنى بيتا لالهنا ولكننا وحدنا نبنى للرب اله اسرائيل كما أمرنا الملك كورش ملك فارس ، وكان شعب الأرض يرخون أيدى شعب يهوذا ويذعرونهم عن البناء ، واستأجروا ضدهم مشيرين ليبطلوا مشورتهم كل أيام كورش ملك فارس وحتى ملك داريوس ملك فارس (٢) .

فوج حجى وزكريا :

وحوالى سنة ٥٢٠ ق. م عادت جماعة من اليهود واستوطنوا أورشليم وماحولها تحت زعامة النبيين : حجى (٣) ، وزكريا (٤) اللذين استنهضا همم الشعب ليحاولوا

= راجع الحديث عن تاريخهم وعقائدهم وتوراتهم بالتفصيل فى د / فيليب حتى / تاريخ سورية جـ١ صـ٢١٤ ـ ٢١٥ ، قاموس الكتاب المقدس صـ٤٤٨ ـ ٤٥٢ ، د / عبد المنعم الحفنى : الموسوعة النقدية للفلسفة اليهودية صـ١٥٥ ، وقد نشر د / أحمد حجازى السقا نص التوراة السامرية وقام بتحقيقه وبيان الفروق بينها وبين التوراة العبرانية وقد تحدثنا عنها عند الحديث عن نسخ التوراة المتعددة (دار الانصار القاهرة ١٩٧٨) .

(١) يشوع هذا من أبرز معاونى زربابل وكان مشرفاً على أعمال الكهانة والنواحي الدينية ويسمى يشوع بن يهوصاداق (قاموس الكتاب المقدس صـ ١٠٧١) .

(٢) عزرا ٤ : ١ ـ ٥ والملك داريوس هو الملك دارا الأول (٥٢٢ ـ ٤٨٦ ق . م) (د / أحمد فخرى: دراسات فى تاريخ الشرق صـ٢١٩) .

(٣) حجى : اسم عبرى معناه « عيد » أى مولود فى يوم عيد وهو نبى معاصر لزكريا وتنبأ بعد الرجوع من بابل ، وساهم فى انهاض الشعب للشروع فى اعادة بناء الهيكل (قاموس الكتاب المقدس صـ٢٩١) .

(٤) زكريا : اسم عبرى معناه « يهوه قد ذكر » وتسمى بهذا الاسم اثنان وثلاثون شخصاً فى الكتاب المقدس .
وزكريا المقصود هنا هو زكريا بن برخيا بن عدو ، ويجىء ترتيبه الحادى عشر بين الأنبياء الصغار ، ويظهر أنه كان من نسل لاوى ولذلك كان مستحقاً وظيفة كاهن ونبى وقد تنبأ زكريا فى عصر داريوس وساهم فى تقوية عزائم الشعب الضعيف وانهاض هممه الساقطة وخاصة فى اعادة بناء الهيكل الفارسى (قاموس الكتاب المقدس صـ٤٢٨) ، ومن الأهمية أن أذكر أن زكريا هذا ليس هو سيدنا زكريا عليه السلام الذى جاء ذكره فى القرآن الكريم .

بناء الهيكل من جديد بسبب استمرار معاكسة جيرانهم ، إلى أن أرسلوا الى داريوس يرجونه فى اعادة بناء الهيكل معتمدين على مرسوم كورش ، فاهتم داريوس بالأمر ، ولما عصر على هذا المرسوم ضمن وثائق الدولة ، أصدر مرسوماً جديداً بإعادة البناء ، ومد لهم يد العون والمساعدة ، وأزال كل ما يقف فى طريقهم من عقبات وعثرات فتم بناء الهيكل من جديد عام ٥١٥ ق . م (١) .

عودة نحميا وعزرا الى أورشليم :

ساد الغموض الفترة التى تلت اعادة بناء الهيكل (٥١٥ ق .م) : فبجانب أن الأسفار قد التزمت الصمت إلى درجة أنه لا يعرف حتى الآن مصير زربابل (٢) نجد أنها ذكرت بعد ذلك أن عزرا الكاتب رجع على رأس فوج إلى أورشليم فى السنة السابعة من حكم أرتحشستا ملك فارس (٣) .

---

(١) راجع عزرا ٥ : ١ ـ ١٧ / ٦ : ١ ـ ١٥ ، حجى ١ ، ٢ ، صموئيل شولتر : العهد القديم يتكلم صـ٣٤٦ - ٣٤٧ ، كاترين هنرى : التاريخ فى الكتابة صـ٩٧ ، و . أ . ل . المسلى : سقوط أورشليم وأهميته العالمية صـ٦٤٤ ترجمة فؤاد أندراوس المجلد الثالث من كتاب تاريخ العالم : نشر جون هامرتون ، وجاء فى القاموس أن هذا الهيكل سمى بهيكل زربابل أو الهيكل الثانى ، وبالرغم من أنه كان أضخم من الهيكل الأول (سليمان) إلا أنه كان أقل منه فى الفخامة وفى التكلفة ، وأن قدس الأقداس كان خالياً لأن تابوت العهد قد اختفى ، وأن هذا الهيكل قد بقى خمسة قرون (صـ١٠١٤) .

(٢) لايعرف حتى الآن المصير الذى انتهى اليه زربابل حيث اختفى فجأة من مسرح الأحداث بسبب ما يزال موضع خلاف بين الباحثين فالدكتور المسلى يرجح أن اختفاءه يرجع إلى ازدياد الخصومة وتفاقم الصراع بينه وبين الكهنة وانتهى الأمر لصالح الكهنة (سقوط أورشليم وأهميته العالمية صـ٦٤٤ مجلد ٣ تاريخ العالم) .

وقيل ان حاكم السامرة المعاصر له قد وشى به لدى ملك الفرس فتم عزله ، الى غير ذلك من وجوه الحدس والتخمين (راجع د / مهران جـ٨ صـ١٠٤٧ ـ ١٠٤٨) .

(٣) عزرا ٧ : ٨ يرجع نسب عزرا حسب ما ورد فى سفره الى هارون (٧ : ١ ـ ٥) ولأنه كان مقرباً من الملك ويعمل مستشاراً له فى شئون الطائفة اليهودية ، فقد طلب منه أن يسمح بعودة فوج ثالث الى أورشليم ، فوافق الملك وأمده بكل مايلزمه من مال ومعونة وفى الإصحاح الثامن من سفره احصاء للعائدين معه إلى أورشليم ، وقد بلغ مجموع ذكورهم ألفاً وثمانمائة ، ويفيد الاصحاح أنه ظل كثير من سبى اسرائيل ويهوذا حيث هم فى المنفى ولم يعودوا مع عزرا =

وأن نحميا الحاكم عاد أيضاً إلى أورشليم فى السنة العشرين من حكم أرتحشستا وقام ببناء أسوار أورشليم (١) .

دون أن تحدد لنا هل هو نفس الملك أو غيره (٢) ، ففهم العلماء القدامى من

= إلى أورشليم والأغلب أنهم اندمجوا فى حياة العراق الدينية والسياسية والاجتماعية .

ولقد لقب عزرا بالكاتب ، وعرف لدى اليهود بإخلاصه ونشاطه فى سبيلهم فحاز ثقتهم وإعجابهم ، ويعرف لدى الكثيرين بأنه مؤسس اليهودية حيث يرجع إليه الفضل فى جمع الأسفار وإعادة ترتيب الشريعة وتفصيل ذلك فى الفصل الخاص بفقدان التوراة المنزلة على سيدنا موسى وهو الفصل الثانى من الباب الثانى .

راجع عزرا ٧ ، ٨ قاموس الكتاب المقدس صـ٦٢١ ، صموئيل شولتر : العهد القديم يتكلم صـ٣٥٥ ـ ٣٥٧ ، كاترين هنرى : التاريخ فى الكتاب ثـ٩٧ ـ ٩٨ ، ل . توماس هولد كروفت : الأسفار التاريخية صـ٣٣٦ ـ ٣٣٧ ، محمد عزة دروزة : تاريخ بنى اسرائيل من أسفارهم صـ٢٧٤ .

(١) نحميا ٢ : ١ / ٥ : ١٤ .

ويسمى نحميا بن حلكيا ، وتذكر الأسفار أنه كان من اليهود المسبيين فى بابل واشتغل فى بلاط الملك الفارسى ساقياً ، وشاهده الملك ذات يوم حزيناً ، ولما سأله أخبره بأنه حزين للحالة التى وصل إليها أورشليم من الدمار والتخريب وأن أهله هناك يعيشون فى شر عظيم ، ورجا الملك أن يسمح له بالعودة إليها وبناء أسوارها ، وإعادة الحياة إلى بيوتها وأحيائها الراكدة فوافق الملك وأرسل معه حامية عسكرية لحراسته ومعاونته وعينه حاكماً على ولاية اليهودية .

وحين وصل إلى أورشليم أخذ يفحص الأسوار المتهدمة سراً فى الليل ، ثم دعا اليهود للقيام بعمل سريع ، فاستجابوا له لقوة شخصيته وللتفويض الملكى الذى يحمله ، وعارضه السامريون وغيرهم من الشعوب المقيمة فى فلسطين ، ولكنه تغلب عليهم وتم بناء الأسوار فى اثنين وخمسين يوماً ، وظل نحميا يحكم اليهودية حتى عام ٤٣٣ أو ٤٣٢ حيث عاد إلى شوشن عاصمة الفرس ولكنه مالبث أن رجع إلى أورشليم مرة أخرى ، ويذكر المسلى أن نحميا قد أثبت طول باعه فى ميدان السياسة والحكم .

راجع سفر نحميا ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٦ : ١٥ قاموس الكتاب المقدس صـ٩٦٢ ، شولتز : العهد القديم يتكلم صـ٣٥٩ ـ ٣٧١ ، سقوط أورشليم وأهميته العالمية صـ٦٤٥ ـ ٦٤٦ .

(٢) سمى بهذا الاسم ثلاثة من ملوك الفرس فى هذه الفترة (أرتحشستا الأول (٤٦٥ ـ ٤٢٤ ق . م) (أرتحشستا الثانى ٤٠٤ ـ ٣٥٩ ق . م) (أرتحشستا الثالث ٣٥٩ ـ ٣٣٨ ق . م) د / فخرى : دراسات فى تاريخ الشرق صـ٢٢٢ ـ ٢٢٥ .

المفسرين والمؤرخين أنه هو نفسه ، وحينما تبين أن سنوات حكمه تمتد من (٤٦٥ ــ ٤٢٤ ق . م) (١) ، رأى عدد من العلماء المعاصرين أن عودة عزرا تمت فى عام (٤٥٨ ق . م) وأن عودة نحميا تمت فى (٤٤٥ ق . م) (٢) ، وعلى ذلك يكون عزرا قد وصل إلى أورشليم قبل نحميا اعتماداً على هذه الاستنتاجات .

يقول د / فيليب حتى : ذكرت مرويات التوراة التى قبلها عدد متزايد من العلماء أن عزرا الكاهن والكاتب قد رجع إلى أورشليم قبل نحميا ليصلح ديانة الشعب برخصة من الملك وكما كان يهدف الى ايجاد عقيدة دينية نقية فإنه كان يهدف أيضاً لإيجاد نقاوة العنصر (٣) .

إلا أن كثيراً من العلماء المعاصرين والنقاد المحدثين (٤) قد اتفقوا على أن عودة عزرا إلى أورشليم كانت بعد عودة نحميا ، وإن اختلفوا فى تعيين الملك الذى عاصره كل منهما .

فبينما ذهب فريق إلى أنهما قد اجتمعا معاً فى عصر أرتحشستا الأول (٦٤٥ ــ ٤٢٤ ق . م) يرى فريق آخر أن مهمة نحميا تمت في عصر أرتحشستا الأول وأن مهمة عزرا تمت فى عصر ارتحشستا الثانى (٤٠٤ ــ ٣٥٩ ق . م) .

فمن الفريق الأول يؤكد كل من سيسيل روث ودانيال رويس ويونج أن مهمة عزرا جاءت بعد مهمة نحميا وأن أحداث نحميا تسبق بالضرورة أحداث عزرا إلا أنهم لا يمانعون أن يكون الاثنان قد عاشا فى عصر واحد فربما ذهب عزرا أثناء تأدية

---

(١) المصدر السابق صـ٢٢٢ ــ ٢٢٣ .

(٢) راجع منهم على سبيل المثال : كاترين هنريالتاريخ فى الكتاب صـ٩٨ ، صموئيل شولتر : العهد القديم يتكلم صـ٣٥٥ ــ ٣٥٩ : قاموس الكتاب المقدس صـ٦٢١ ، ٩٦٢ ، زكى شنودة : اليهود صـ١٤٧ ، ١٤٨ ، شاهين مكاريوس : تاريخ الاسرائيسليين صـ٣٢ .

(٣) د / فيليب حتى / تاريخ سورية صـ٢٤٥ .

(٤) ومن هؤلاء : سيسل روث ، ودانيال روبس ،وابا لين ، وبونج ، وفايفر ، وشيتى (راجع عزير وعزرا فى القرآن الكريم والعهد القديم صـ١٦٦ ــ ١٦٩ ، ومارتن نوث وستانلى كوك ووليم أولبرايت وجاك فنجان ، ورولى وغيرهم (د / مهران : دراسات فى تاريخ الشرق الأدنى القديم جـ٨ صـ١٦٠) .

و د/ و . ا . ل . المسلى (دكتور فى اللاهوت وأستاذ العبرية وأدب العهد القديم بكلية وسنمتستر فى مقاله « سقوط أورشليم وأهميته العالمية » من المجلد الثالث من كتاب تاريخ العالم نشر جون هامرتون ، والدكتور نجيب ميخائيل (مصر والشرق الأدنى القديم جـ٣) .

نحميا لمهمته (١) .

ويتفق معهم شيني ويرجح قيام عزرا بمهمته بين رحلتي نحميا لأورشليم (٢) .

ومن الفريق الثاني أبا ابين ، والدكتور نجيب ميخائيل ومعهما آخرون (٣) الذين رأوا أن نحميا وصل إلى أورشليم في عام ٤٤٥ أو ٤٤٤ ق . م وأن وصول عزرا قد تم في عام ٣٩٧ ق . م (٤) .

ويدلل ابا ابين على ذلك بقوله انه لا يحتمل أن يكون نحميا وجد عدد السكان قليلا عندما وصل إلى يهوذا في حين وجد عزرا هذا العدد كبيراً وهذا دليل على أن نحميا وصل قبل عزرا وباشر نشاطه السياسي والاداري قبله في حين قام عزرا باصلاحات دينية وروحانية فقط (٥) .

وأما الدكتور نجيب ميخائيل فيذكر أن أخبار التوراة تروى لنا أن عزرا يسبق نحميا من الناحية التاريخية ولكن هناك أكثر من سبب يدفعنا إلى رفض ذلك :

فإن ماكتبه كل منهما على حدة يشير إلى أن عمل كل منهما مستقل عن الآخر وليس هناك ذكر لاسم واحد ممن عادوا مع عزرا (٦) يشير إلى أنه عاون نحميا في بناء الأسوار (٧) .

هذا إلى أن عزرا يتنبأ بعمل نحميا فهو لا يذكر بناء المعبد وحده بل يشير كذلك إلى الأسوار (٨) .

---

(١) نقلا عن رسالة الماجستير (عزير وعزرا صـ١٦٧ ــ ١٦٨) .

(٢) المصدر السابق صـ١٦٨ ، وقد ورد في سفر نحميا أن نحميا قد غادر أورشليم ثم عاد إليها مرة أخري في السنة الاثنين والثلاثين من حكم الملك ارتحشستا فحددت بعام ٤٣٢ أو ٤٣٣ ق . م (نحميا ١٣ : ٦ ـ ٧) .

(٣) ذكر فايفر منهم ياتين ، وكسترزوفان هوناكير ودي ساولسي وأولبرايت ولودز وغيرهم (نقلاً عن عزيز وعزرا في القرآن الكريم والعهد القديم صـ١٦٣) .

(٤) د / نجيب ميخائيل : مصر والشرق الأدني القديم جـ٣ صـ٤٣٢ وطبعا هم حددوا هذا التاريخ علي أساس أن هذا الملك تولي (٤٠٤ ق . م) وعزرا راجع إلي أورشليم في السنة السابعة من حكمه .

(٥) نقلاً عن عزيز وعزرا في القرآن الكريم والعهد القديم صـ١٦٧ .

(٦) عزرا ٧ : ٧ . (٧) نحميا : ٣ . (٨) عزرا ١٠ : ٦ .

يضاف إلى ذلك أننا نرى نحميا يحرم الزواج بالأجنبيات مستقبلا ولا يفرض الغاء الزيجات القائمة فعلاً (١) ، بينما يطلب عزرا إلى اليهود تطليق الأجنبيات (٢) وهو أمر لاحق للأمر السابق حين رؤى أنه غير كفيل بمعالجة الأمر (٣) .

ولعل ما شجع القائلين بعودة عزرا بعد نحميا إلى مخالفة السابقين هو أن كلا من سفرى عزرا ونحميا (وهما المصدران الرئيسيان لأحداث عزرا ونحميا) تنقصهما الدقة ، ويبدو فيهما التناقض فقد كانا فى الأصل سفراً واحداً ، ثم تم انفصالهما ، فأدى ذلك إلى تقديم وتأخير فى الأحداث ، فهما يحتاجان إلى إعادة ترتيب لاصحاحاتهما(٤) .

بالإضافة إلى أن الفترة الفارسية عموماً يسودها الغموض من الناحية التاريخية وإن كانت أحداث نحميا تعتبر أوضح من أحداث عزرا إلى حد ما .

يقول المسلى : لقد كان من حظنا أن احتفظ الكاتب فى ثنايا روايته المشوشة عن هذه الفترة بمذكرات دقيقة مفصلة كتبها نحميا نفسه وهى تمدنا بقصة من هذه القصص الشخصية النابضة بالحياة ، والتى تلقى أضواء بين الحين والحين فتنير ظلمة العصور الغابرة ، وبعد أن يلخص حياة نحميا ويبين وضوحها تاريخيا يعود فيقول :

« ويقرن كاتب الأخبار جهود عزرا ـ وهو كاتب من بابل ـ بالجيل الذى عاش فيه نحميا ولكن لما كانت روايته عن عزرا لا يمكن الاعتماد عليها بحال ، فقد حمل هذا البعض على الزعم بأن عزرا ليس إلا شخصية وهمية لقديس اتخذته طوائف الكتبة والكهنة حامياً لهم .

---

(١) نحميا ١٣ : ٢٣ ـ ٢٨ .

(٢) عزرا ١٠ : ٣ ـ ١٧ وسنتحدث عن زواج اليهود بالأجنبيات ودوره فى تأثر اليهودية بالوثنيات فى الفصل الخاص بخضوع اليهود للشعوب الوثنية وسرعة الامتزاج بهم من الباب الثانى .

(٣) مصر والشرق الأدنى القديم الجزء الثالث سورية صـ ٤٣١ ، (ويضيف الدكتور ميخائيل إلى ذلك أيضاً أن بردية « الفنتين » الآرامية والتى أشرت إليها فى بداية هذا الفصل تشير إلى أن كبير كهنة يدعى يوحانان كان معاصراً لعزرا (٤٠٨ ق . م) عزرا ٩ : ٩ ويوحانان هذا هو حفيد الياشيب المعاصر لنحميا الذى كان يرتبط به طوبيا العمونى برابطة النسب (المصدر السابق) .

(٤) سيتضح ذلك بشكل أكثر عند الحديث عن مدى المصداقية التاريخية لأسفار العهد القديم ومدى وجود التناقض فى سردها للأحداث .

ولكنه لا يوافق على ذلك ويرى أن من الجائز أن نتصور أن الجهود الجبارة التى بذلها نحميا قد استنهضت همم يهود بابل ، وأنه بعد قيام نحميا بإصلاحاته(لا قبله) عاد فريق من المسببين يتزعمهم عزرا إلى أورشليم وهم مشوقون لاكمال عمل نحميا من ناحيته الدينية ولإقناع أهل صهيون بالملائمة بين ما يمارسون من ناموس وبين الشرائع الكاملة التى جمعت مفصلة فى بابل (١) .

فمهمة عزرا إذن كانت مختلفة عن مهمة نحميا وإن كانت كل منهما تكمل الأخرى يقول جيمس باركس :

فى عام ٥١٥ ق . م جدد الهيكل وأعيد افتتاحه ولكن يبدو أن الكهنة والشعب قد انغمسوا سريعاً فى عاداتهم القديمة حتى كان القرن الخامس ق . م حين عاد الرجلان نحميا وعزرا واللذان كان عملهما متميزاً ، وإن كنا لا نعرف من الذى رجع أولاً ، بيد أنه من المرجح أن يكون نحميا .

لقدكان نحميا موظفاً فى البلاط الفارسى ، فجدد أسوار أورشليم ومبانيها ، ثم تبعه عزرا الذى تركزت مهمته فى تحقيق أهداف محددة (٢) .

وبعد ، فهذه هى الأفكار المختلفة والمتنوعة حول أحداث نحميا وعزرا وهى تدور حول تنازع اتجاهين فى تاريخ مهمة كل منهما ، وأيهما سبق الآخر فى الرجوع إلى أورشليم عام ٤٥٨ ق . م وحاول مباشرة مهمته التى ذهب من أجلها ، ولكنه فشل فرجع إلى بابل ، وأثناء وجوده بها وجد نحميا أنه لابد من اعادة بناء اسوار أورشليم والقيام بالاعداد السياسى والتمهيد الادارى لعزرا حتى يؤدى مهمته الدينية والكهنوتية فى جو ملائم ، وبذلك يكون عزرا قد باشر مهمته الدينية بعد وصول نحميا قبله إلى أورشليم ، لكن ليس بين يدى ما يؤيد هذا الاحتمال لذا فإننى أرجح

---

(١) سقوط أورشليم وأهميته العالمية صـ٦٤٥ ـ ٦٤٦ .

(٢) جيمس باركس : تاريخ الشعب اليهودي صـ١٣ ـــ ١٥ نقلاً عن أحمد عبد الوهاب : فلسطين بين الحقائق والأباطيل صـ١١٥ ـ ١١٦ ، ويلخص تلك الأهداف في أنه كان يريد أن يطهر الشعب من خطاياه التي كانت سبباً في عقابه وسبيه ، وتطهير الهيكل وطقوس العبادة مما علق بها ، إذ كانت إباحة الزواج بالوثنيات تعني السماح بالدعارة بين كلا الجنسين ووأد البنين وممارسة كل طقوس الاخصاب التي تخصصت فيها الشعوب المجاورة .

الاتجاه الثانى الذى يجمع أصحابه على رجوع عـزرا بعد نحميا وخاصة الفريق الذى يجعل وصول نحميا عام ٤٤٥ ق . م ووصول عزرا عام ٣٩٧ ق . م .

وعلى أى حال فإن اليـهود الذين سبوا فى العصر البـابلى سواء منهم من عاد إلى أورشليم أو من بقى فى بابل ، ظلوا خاضـعين للسيادة الفارسـية منذ عام ٥٣٩ ق . م حتى غزو الاسكندر عام ٣٣٢ ق . م (١) .

وإن كان العـائدون إلى أورشليم قـد تمتعوا بالحكم الذاتى فى عهـدى : زربابل ونحميا : ولكن اللغة العبرية فى عهدهما لم تعد تستعمل كلغة دارجة وذلك ليس فى بلاد سبيـهم فحـسب وإنما فى بلاد يهوذا أيضـاً وقد حلت مـحلها اللـغة الآرامـية ، وظلت العبرية تستخـدم كلغـة دينية ، واستـعمـل اليهـود الآرامـيـة فى مراسـلاتهم الرسمية(٢) .

ولم يعرف على وجـه اليقـين متى انتهت فـترة حكم نحـميا ، وإن كـان شاهين مكاريوس يرى أنه ظل والياً حتى عام ٤٢٠ ق . م (٣) .

ولا يعرف أيضـاً نظام الحكم الذى سـاد عقب انتهـاء حكم نحـميا وحـتى غزو الإسكندر (٤٢٠ ـ ٣٣٢ ق . م) وإن كـان من المرجح أن طبـقـة من الـكهنة قـد باشرت الحـكم الدينى من قبل الفـرس ، وعلى سبـيل المثال فـقد أرسل الفـرس عزرا كاهناً دينياً وليس حاكماً عسكرياً .

هذا وتعتبر فترة الحكم الفارسى من أهم الفترات فى تاريخ اليهود القديم ففيها تم كتـابة كثير من الأسـفار وتجميـعها ، وفيـها أيضاً تم اعـلان الشريعة التى ألفهـا أو أعاد ترتيبها عزرا .

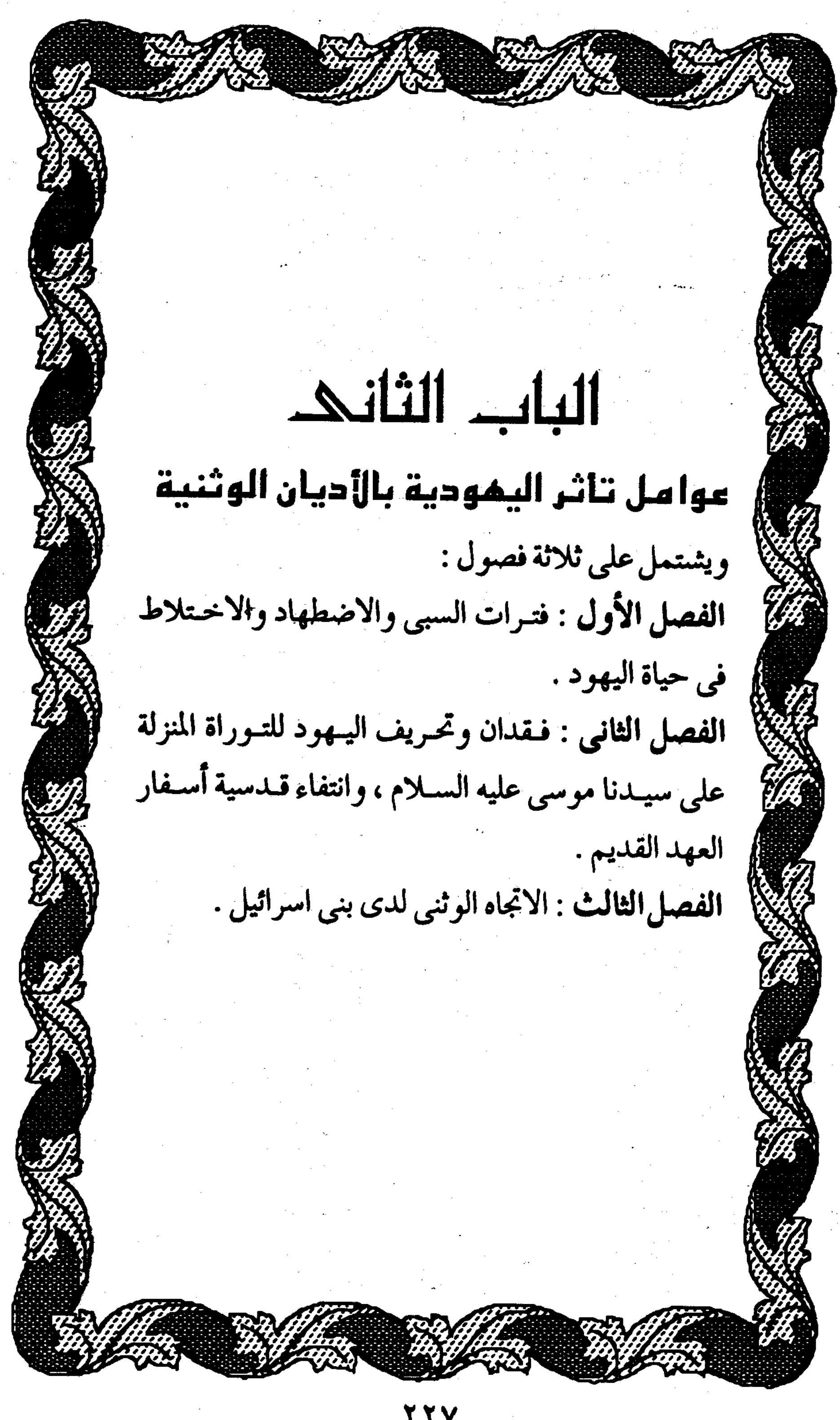
بالإضافة إلى ما حدث أثناءها من اتصال واختلاط بين اليهود والفرس فتأثروا بهم فى كثير من العادات واقتبسوا منهم كثيراً من الأفكار والمعتقدات .

---

(١) راجع دى بورج : تراث العالم القديم جـ١ صـ١٠٥ .

(٢) نحميا ١٣ : ٢٤ / عزرا ٤ : ٧ ، د / فيليب حتى : تاريخ سورية جـ١ صـ٢٤٥ .

(٣) تاريخ الاسـرائيلـيين صـ٣٢ ، ويرى زكى شنودة أن نحـميـا مـات فى عـام ٤١٥ ق . م ـ اليهـود صـ١٤٨ .



الباب الثانى

عوامل تأثر اليهودية بالأديان الوثنية

ويشتمل على ثلاثة فصول :

الفصل الأول : فترات السبى والاضطهاد والاختلاط فى حياة اليهود .

الفصل الثانى : فقدان وتحريف اليهود للتوراة المنزلة على سيدنا موسى عليه السلام ، وانتفاء قدسية أسفار العهد القديم .

الفصل الثالث : الاتجاه الوثنى لدى بنى اسرائيل .

الفصل الأول

فترات السبى والاضطهاد والاختلاط فى حياة اليهود

ويتضمن دراسة هذه المباحث :

المبحث الأول : الاضطهاد فى مصر .

المبحث الثانى : التيه فى البرية .

المبحث الثالث : الذل فى عصر القضاة .

المبحث الرابع : تسلط الأشوريين على اليهود والسبى الأشورى .

المبحث الخامس : سقوط مملكة يهوذا والسبى البابلى .

المبحث السادس : الاضطهاد اليونانى والشتات الهلينى .

المبحث السابع : الاضطهاد الرومانى والشتات الأخير .

المبحث الثامن : اختلاط اليهود بالشعوب الوثنية وزواجهم بالوثنيات

المبحث الأول : الاضطهاد فى مصر :

يذكر سفر التكوين ـ وكما تبين لنا فى الفصل السابق ـ أن بنى اسرائيل دخلوا مصر واستوطنوا بها ونعموا فيها بالراحة والأمان فى عهد يوسف عليه السلام (١) ، وفى عصر الأسرة الحاكمة التى استوزر فيها ، وقد ترجح لدينا أنه عصر الهكسوس(٢) .

لذلك فإن بعض العلماء يذهبون إلى أن تلك الراحة وذلك الأمان كانا مرتبطين بعهد يوسف وبعصر الهكسوس ، ويرون أن فترة الاضطهاد والاذلال والاستعباد لبنى اسرائيل فى مصر قد بدأت عقب طرد الهكسوس من مصر ، واعتلاء الفراعنة عرش بلادهم (٣) .

ويذهب آخرون إلى أن هذه الفترة قد بدأت متأخرة عن هذا التاريخ وأن بنى اسرائيل ظلوا يعيشون فى سلام وأن حكام مصر قد ترفقوا بهم ، واتخذوا منهم جنوداً لجيوشهم فى حملاتهم حتى عهد الأسرة التاسعة عشرة (٤) .

(١) وإن كان المصريون قد استقبلوا أخوة يوسف بشيء من النفور ونوع من الاستعلاء كما اعترف بذلك سفر التكوين حين يروي أن يوسف طلب أن يقدم لهم الطعام « فقدموا له وحده ، ولهم وحدهم وللمصريين الاكلين عنده وحدهم لأن المصريين لا يقدرون أن يأكلوا طعاماً مع العبرانيين لأنه رجس عند المصريين » تكوين ٤٣ : ٣٢ .

(٢) راجع الفصل الثالث من الباب الأول « اتصال اليهود بمصر » .

(٣) راجع كاترين هنري : التاريخ في الكتاب صـ٢٩ ، صموئيل شولتز : العهد القديم يتكلم صـ٦٣ ، شاهين مكاريوس : تاريخ الاسرائيليين صـ٩ ، د / أحمد يوسف : مصر في القرآن والسنة صـ٧٤ ، ويذكر هؤلاء أن المصريين قد استشعروا مدي التحالف القائم بين الهكسوس وبين بني اسرائيل واعتبروه نوعاً من الخيانة لهم ، وقد قيل ان بني اسرائيل ساهموا فعلاً في استمرار احتلال الهكسوس لمصر ولذلك نظر إليهم المصريون علي أنهم عملاء للمستعمر وينبغي الحذر منهم فهم من أحذق خلق الله علي التقلب والتلون واثارة القلاقل واستغلال الأزمات .

(٤) راجع الأب ديلي : تاريخ شعب العهد القديم صـ١٣٣ ، كاترين هنري : التاريخ في =

وكان من ملوك هذه الأسرة الفرعونية رمسيس الثانى الذى يرجح أنه هو الذى بدأ بإذلال الاسرائيليين واستعبادهم واستخدامهم فى أعمال السخرة اعتماداً على رواية التوراة .

ورد فى سفر الخروج « ومات يوسف وكل اخوته وجميع ذلك الجيل وأما بنو اسرائيل فأثمروا وتوالدوا ونموا وكثروا كثيراً جدا وامتلأت الأرض منهم ، ثم قام ملك جديد على مصر لم يكن يعرف يوسف فقال لشعبه هوذا بنو اسرائيل شعب أكثر وأعظم منا (١) هلم نحتال عليهم لئلا ينموا فيكون إذا وقعت حرب انهم ينضمون إلى اعدائنا ويحاربوننا ويخرجون من الأرض ، فجعلوا عليهم رؤساء تسخير لكى يذلوهم بأثقالهم فبنوا الفرعون مدينتى مخازن فيثوم ورعمسيس (٢) .

وقد رأى جمهور العلماء والمؤرخين أن هاتين المدينتين أنشئتا فى عهد رمسيس الثاني وأنه هو فرعون التسخير والاضطهاد (٣) .

= الكتاب صـ٢٩ ، زكي شنودة : اليهود صـ٢٢ ، د / أحمد شلبي : اليهودية صـ٦٢ .

وإن كان هؤلاء لم يمانعوا في أن الفراعنة عقب طرد الهكسوس بدأوا يتوجسون خيفة من الاسرائيليين ويتعاملون معهم بحذر .

(١) لاشك أن كاتب هذا الجزء من التوراة إنما أوغل في المبالغة وأغرق في التعصب حين أطلق علي لسان فرعون أن بني اسرائيل شعب اكثر وأعظم من المصريين فلو كان ذلك كذلك لما استطاعت قلة المصريين أن تسخر كثرتهم المزعومة ، ولعل التوراة قد بالغت عموماً في ذكر الأرقام والأعداد حتي وصلت إلي حد التناقض في كثير من النقاط واستدل النقاد والباحثون من ذلك علي بطلان نسبتها إلي موسي عليه السلام وأنها غير التوراة المنزلة عليه ، (راجع الفصل لابن حزم جـ١ صـ١٢٤ ـ ١٢٧ عصام الدين حفني ناصف : محنة التوراة علي أيدي اليهود صـ٣٥ د / أحمد يوسف : مصر في القرآن والسنة صـ٧٢ ـ ٧٣ .

(٢) خروج ١ : ٦ ـ ١١ .

(٣) راجع قاموس الكتاب المقدس صـ٣٤٠ موريس بوكاي : دراسة الكتب المقدسة صـ٢٦١ ـ ٢٦٣ تيودور روبنسون : اسرائيل في ضوء التاريخ صـ١٠٧ ، د / مهران : دراسات في تاريخ الشرق الأدني القديم جـ٧ صـ٢٧٢ ـ ٢٧٣ د / أحمد يوسف : مصر في القرآن والسنة صـ٨٤ ، ٨٥ وقد عثر علماء الآثار منذ القرن الماضي علي أطلال هاتين المدينتين وكشفوا عن آثارهما وحققوا اسم كل منهما في التوراة فردوا الأولي إلي تصحيف في اسمها الأصيل برتوم بمعني دار توم اله الشمس الأكبر =

واعتماداً على ذلك تكون المدة التى قضاها بنو اسرائيل فى الاضطهاد والاذلال مدة قليلة وان كان سفر التكوين يذكر على لسان الرب قوله لابراهيم : « اعلم يقيناً أن نسلك سيكون غريباً فى أرض ليست لهم ويستعبدون لهم فيذلونهم أربعمائة سنة » (١) .

ومهما يكن من أمر فان المصريين باعتراف التوراة قد اضطهدوا الاسرائيليين وأذلوهم حين توجسوا خيفة منهم وفقدوا الثقة فيهم « فيكون اذا وقعت حرب انهم ينضمون إلى اعدائنا ويحاربوننا » .

« فاستعبد المصريون بنى اسرائيل بعنف ، ودمروا حياتهم بعبودية قاسية فى الطين واللبن وسائر أعمال الأرض وجميع خدمتهم التى استخدموهم فيها كانت بقسوة » (٢) .

= الذي عبد في عين شمس في صورة الشمس المكتملة أو التامة وردوا الثانية كما هو ظاهر الي اسم رمسيس وعثروا علي آثار له تحمل اسمه هناك وكان قد اتخذها بنوه من بعده عاصمة لهم باسم رعمسيس بمعني دار رمسيس ، وكانت المدينتان تقعان في منطقة تانيس قنطير فى الجزء الشرقي من دلتا النيل (د / أحمد يوسف : مصر في القرآن والسنة صـ٨٥ ـ ٨٦) ، موريس بوكاي : دراسة الكتب المقدسة صـ٢٦٢ .

(١) تكوين ١٥ : ١٣ .

ولعل كاتب هذا السفر يذكر هذا من منطلق أن مجرد وجود الاسرائيليين تحت الحكم المصري هو نوع من العبودية والاستذلال لهم . (٢) خروج ١ : ١٠ ، ١٣ ـ ١٤ .

يذكر الدكتور حسن ظاظا أن الفرعون قد اختار للوقاية من شرور الاسرائيليين أسلوباً عنيفاً قاسياً ولكنه وبنص كتابهم المقدس لم يكن اعتداء مجانيا وإنما كان سببه من أقوي الأسباب التي تخيف منهم أمة متحضرة كمصر وملكا مهيباً كفرعون وهو انعدام ولائهم لهذه البلاد واستعدادهم للانضمام إلي أعدائها وشن الحرب عليها .

ويذكر زكي شنوده أن الاسرائيليين كانوا قد كونوا شعبا داخل شعب ودولة داخل دولة وكانوا قوما مجبولين علي الخيانة والغدر كثيري العصيان والتمرد بل ان سليمان مظهر يذكر أن شعب مصر قد اكتشف بالفعل أن بني اسرائيل كانوا يتآمرون عليه (زكي شنودة ـ اليهود صـ٢٣ سليمان مظهر : قصة الديانات صـ٣٢٦) والحقيقة أنه مهما كانت الدوافع التي حدت بفرعون الي اضطهاد الاسرائيليين وتعذيبهم فانه قد أفرط في طغيانه وتجبره عليهم .

ولكن يبدوا أن هذا الاسلوب وحده لم يكن كافيا فى القضاء على مخاوف الفرعون منهم والحد من تزايدهم وتكاثرهم كما تذكر التوراة « غير انهم كانوا كلما أذلوهم ينمون ويمتدون حتى تخوفوا من قبل بنى اسرائيل » (١) فلجأ فرعون إلى حيلة أخرى بأن كلم قابلتى (٢) العبرانيات « اذ استولدتما العبرانيات فانظروا عند الكراسى فان كان ذكر فاقتلاه وإن كانت انثى فاستبقياها ولكن القابلتين خافتا الله ولم تفعلا كما كلمهما ملك مصر ، بل استحيتا الأولاد » (٣) ونما الشعب وكثر جدا ثم أمر فرعون جميع شعبه قائلاً : كل ذكر يولد لهم فاطرحوه فى النهر وكل انثى فاستبقوها » (٤) .

وقد أشار القرآن الكريم إلى طغيان فرعون على الاسرائيليين وتنكيله بهم واستضعافه لهم بقتله لذكورهم واستحيائه لنسائهم فقال سبحانه ﴿ **إن فرعون علا فى الأرض وجعل أهلها شيعاً ، يستضعف طائفة منهم يذبِّح أبناءهم ويستحيى نساءهم إنه كان من المفسدين** ﴾ (٥) .

وتكررت الإشارة إلى ذلك فى بعض الآيات وبنفس الألفاظ والكلمات (٦) بل

---

(١) خروج ١ : ١٢ .

(٢) اسم احداهما شفرة والأخري فوعة خروج ١ : ١٥ .

(٣) يذكر السفر أن القابلتين بررتا ذلك بأن النساء العبرانيات لسن كالمصريات فانهن قويات يلدن قبل أن تأتيهم القابلة فأحسن الرب إليهما .

(٤) راجع خروج ١ : ١٥ ـ ٢٢ ، ويري الفخر الرازي أن الإبقاء علي النساء دون الذكران يوجب صيرورتهن مستفرشات الأعداء وذلك نهاية الذل والهوان (التفسير الكبير المسمي بمفاتيح الغيب جـ٣ صـ٦٨) ، ويري بعض الباحثين أن فرعون لجأ إلي تقتيل ذكورهم واستبقاء اناثهم حتي لا يزداد نسلهم أكثر من ذلك وعندئذ تضطر بناتهم من الزواج من المصريين ويكفل هذا التزاوج انصهار الشعب الغريب في الشعب الأصيل (راجع سليمان مظهر : قصة الديانات صـ٣٢٧) ، د / حسين فوزي : أرض الميعاد صـ١٣٥ .

وقيل إن المنجمين قد أنبأوا فرعون وهم يفسرون له حلماً أفزعه بأن ولدا سيخرج من بني اسرائيل ويكون علي يديه زوال ملكه فعمد إلي قتل ذكورهم (راجع الفخر الرازي الجزء الثالث من المجلد الثاني صـ٦٩ ، القرطبي : الجامع لأحكام القرآن مجلد ١ جـ١ صـ٣٨٦ .

(٥) سورة القصص : ٤ .

(٦) يقول الله تعالي في سورة الأعراف ﴿ وإذ أنجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يقتلون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم ﴾ الأعراف : ١٤١ .

إن القرآن الكريم وجه الخطاب إلى اليهود الذين عاصروا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بأن ذكرهم بنعمته عليهم فقال لهم :

﴿ يابنى اسرائيل اذكروا نعمتى التى انعمت عليكم وأنى فضلتكم على العالمين ، واتقوا يوما لا تجزى نفس عن نفس شيئاً ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل ولاهم ينصرون ، وإذ نجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفى ذلكم بلاء من ربكم عظيم ﴾ (١) .

وقد استمر اضطهاد المصريين للاسرائيليين وتعذيبهم فى عصر موسى عليه السلام ، جاء فى سفر الخروج « وحدث فى تلك الأيام لما كبر موسى أنه خرج إلى اخوته لينظر فى أثقالهم » (٢) .

وتذكر التوراة أنه بموت هذا الملك (الذى يرجح أنه رمسيس الثانى : فرعون الاضطهاد) تنهد بنو اسرائيل من العبودية ، وكان موسى وقتئذ فى مدين » (٣) .

ولكنها تعود الى القول بأن الرب قال لموسى « وأنا أيضاً قد سمعت أنين بنى اسرائيل الذين يستعبدهم المصريون وتذكرت عهدى لذلك قل لبنى اسرائيل أنا الرب وأنا أخرجكم من تحت أثقال المصريين وأنقذكم من عبوديتهم » (٤) .

وتذكر أيضاً أن فرعون زاد فى تعذيب الاسرائيليين وبالغ فى ضرب السخرة عليهم حتى ينصرفوا عن دعوة موسى » (٥) .

ويشير القرآن الكريم إلى استمرار الاضطهاد والتعذيب فى عصر موسى عليه السلام بعد أن أرسله الله إلى فرعون ويذكر أن موسى وهارون عليهما السلام قالا لفرعون **﴿ فأرسل معنا بنى اسرائيل ولا تعذبهم ﴾** (٦) .

وبعد أن آمن به السحرة توعدهم فرعون بقوله **﴿ لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ثم لأصلبنكم أجمعين ﴾** (٧) .

وحينما قال موسى لقومه **﴿ استعينوا بالله واصبروا ﴾** (٨) قالوا **﴿ أوذينا من قبل**

---

(١) البقرة : ٤٧ ـ ٤٩ .
(٢) خروج ٢ : ١١ .
(٣) خروج ٢ : ٢٣ ـ ٢٤ .
(٤) خروج ٦ : ٥ ـ ٦ .
(٥) راجع خروج ٥ : ٥ ـ ١٩ .
(٦) سورة طه : ٤٧ .
(٧) الأعراف : ١٢٤ .
(٨) الأعراف : ١٢٨ .

أن تأتينا ومن بعد ماجئتنا ﴾ (١) .

وعلى أى حال فقد كانت فترة استعباد الاسرائيليين فى مصر من الفترات التى لا تنسى فى تاريخهم والتى لا تفتأ أسفارهم تذكرها وتتحدث عنها (٢) حتى نقشت فى أذهانهم وكان لها أثر كبير فى حياتهم .

« فمن العرف الشائع بينهم أنهم يتشاءمون تشاؤماً تقليدياً بالأيام التى قضوها فى مصر ويحسبونها بلية البلايا ، ومحنة المحن فى تاريخهم كله من عهد الخليل إلى عهد النازية الهتلرية فى القرن العشرين .

وقد مرت بهم محنة السبى إلى وادى النهرين ولكنهم لا يتشاءمون بها كما تشاءموا بالمقام فى مصر ، ولا يجعلون الخروج من بابل عيداً باقياً متجدداً كعيد الخروج من أرض وادى النيل (٣) .

بل إن اضطهادهم فى مصر وما قاسوه فيها من ذل وكبت وعبودية قد أورثهم عقدة نفسية ظلت تلازمهم طوال تاريخهم القديم وكانت الناظمة لسيرتهم وصلاتهم مع مختلف الشعوب التى احتكوا بها أو عاشوا معها وكانت بدورها سبباً لانحرافاتهم المستمرة الخلقية والدينية (٤) .

فإنهم لم يسمعوا لقول موسى كما ذكر سفر الخروج من صغر النفس ومن العبودية القاسية (٥) .

ويعتقد سبينوزا أن الاسرائيليين لم يعرفوا الله معرفة صحيحة ويرجع ذلك إلى

---

(١) الأعراف : ١٢٩ .

(٢) راجع أسفار : الخروج ، العدد ، المزامير وغيرها .

(٣) عباس محمود العقاد : الثقافة العربية أسبق من ثقافة اليونان والعبريين صـ٥٨ .

فقد ظلت الأجيال اللاحقة تذكر هذا الاختبار المأثور في تاريخهم حتي خلعوا عليه معني دينياً وقومياً ، وارتبط عيد الفصح بذكري خروجهم من مصر (راجع التاريخ في الكتاب صـ٢٩ ، راجع أيضاً : الكتاب المقدس : كتب الشريعة الخمسة صـ١٤٩ ـ ١٥١ دار المشرق بيروت ـ ١٩٨٦ جمعيات الكتاب المقدس في المشرق .

(٤) راجع محمد عزة دروزة : تاريخ بني اسرائيل من أسفارهم صـ٧ ـ٨ .

(٥) خروج ٦ : ٩ .

أنهم أناس أجلاف أنهكهم شقاء العبودية فى مصر (١) .

وقد استمرأ بنو اسرائيل هذا الذل واستعذبوا ذلك العذاب واستكانوا إلى الضعف والاستعباد حتى انهم ليقولون لموسى بعد خروجهم من مصر « ماذا صنعت بنا حتى أخرجتنا من مصر ، اليس هذا هو الكلام الذى كلمناك به فى مصر قائلين : كف عنا فنخدم المصريين لأنه خير لنا أن نخدم المصريين من أن نموت فى البرية (٢) .

وكان استعباد بنى اسرائيل فى مصر واضطهادهم بها من العوامل التى ساعدت على تقبلهم للأفكار وتأثرهم بالديانات الوثنية القديمة .

إذ أنهم شربوا من كؤوس الذى حتى استمرأوا مذاقه ، فمردوا عليه واستكانوا دهراً طويلاً ، والذل يفسد الفطرة البشرية حتى تأسن وتتعفن ، ويذهب ما فيها من الخير والجمال والتطلع ومن الاشمئزاز من العفن والنتن والرجس والدنس .

وأيضاً فان الاستعباد الطويل فى ظل الفرعونية الوثنية كان قد أفسد طبيعة القوم وأضعف استعدادهم لاحتمال التكاليف والصبر عليها ، والوفاء بالعهد والثبات عليه ، وترك فى كيانهم النفسى خلخلة واستعداداً للانقياد والتقليد المريح ، فليس أفسد للنفس البشرية من الذل والخضوع للطغيان طويلاً ، ومن الحياة فى ظل الإرهاب والخوف والتخفى والالتواء لتفادى الأخطار والعذاب ، والحركة فى الظلام مع الذعر الدائم والتوقع الدائم للبلاء (٣) .

---

(١) باروخ اسبينوزا : رسالة في اللاهوت والسياسة صـ١٦٤ ترجمة وتقديم : د / حسن حنفي مراجعة د / فؤاد زكريا : دار وهدان للطباعة والنشر طبعة مصورة عن طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب بدون تاريخ.

(٢) خروج ١٤ : ١١ ــ ١٢ .

(٣) راجع سيد قطب : في ظلال القرآن المجلد الثالث صـ١٣٦٤ ـ ١٣٦٥ ، المجلد الرابع صـ٣٢٤٦ المجلد الخامس صـ٢٦٩٠ الطبعة الشرعية العاشرة لدار الشروق ١٤٠٢ هـ ــ ١٩٨٢ م .

المبحث الثانى : التيه فى البرية :

وكان من آثار الاضطهاد الذى تعرض له بنو اسرائيل فى مصر ، والعبودية التى ذاقوا مرارتها أن نفوسهم قد جبلت على الخوف ، وأن قلوبهم مردت على الجبن ، فتقاعسوا عن أمر موسى لهم بدخول الأرض المقدسة (أرض كنعان) واستكانوا إلى الخنوع والاستسلام.

فمنذ أن خرجوا من مصر فى طريقهم إلى أرض كنعان وهم فى سلسلة متعددة من التذمرات وأشكال متنوعة من الاحتجاجات ، وقد تمادوا فى تمردهم وعصيانهم على موسى وهارون حتى صرخ موسى الى الرب فيما يروى سفر العدد : « فقال موسى للرب لماذا أسأت إلى عبدك ولماذا لم أجد فى عينيك حتى أنك وضعت ثقل جميع هذا الشعب على ، ألعلى حبلت بجميع هذا الشعب أو لعلى ولدته حتى تقول لى احمله فى حضنك كما يحمل المربى الرضيع إلى الأرض التى حلفت لآبائه ، من أين لى لحم حتى أعطى جميع هذا الشعب لأنهم يبكون على قائلين أعطنا لحماً نأكله (١) ، لا أقدر أنا وحدى أن احمل جميع هذا الشعب لأنه ثقيل على فإن كنت

---

(١) يذكر سفر العدد : أن الأخلاط الذين بين بنى اسرائيل واللفيف الذى فى وسطهم قد اشتهوا شهوة فتابعهم بنو اسرائيل وبكوا هم أيضاً وقالوا من يطعمنا لحما ، فقد ذكرنا السم ؛ الذى كنا نأكله فى مصر مجاناً والقثاء والبطيخ والكرات والبصل والثوم والآن قد يبست أنفسنا لا شىء أمام عيوننا غير المن وقد كانوا يجدون المن أو العسل الذى يشتارونه فى غير مشقة ولاجهد ويجدون السلوى أو السمانى وفيراً يسيراً صيده ، وكانت سيناء ومازالت قبلة للأفواج الكثيرة من طيور الهجرة تقبل فى الخريف متعبة مرهقة بعد عبور البحر ، فما أن تجد الأرض حتى تحط فلا تكاد تريم فإذا لاحت تباشير الربيع عادت إلى اجتياز سيناء فى طريقها الى البحر تعبره حيث تقيم .

ومع ذلك فلم يرض اليهود بما نزل عليهم من رزق الله إذ كان الذى احتملوه فى مصر أحب إليهم من الحرية فى الصحراء ، فالحياة الذليلة والعبودية المهينة تهون عليهم مادامت قدور اللحم والسمك .

وإلى ذلك يشير القرآن الكريم فى قوله تعالى ﴿ وإذ قلتم ياموسى لن نصبر على طعام واحد ، فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الأرض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها ، قال أتستبدلون الذى هو أدنى بالذى هو خير ، اهبطوا مصراً فإن لكم ماسألتم وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله ﴾ (سورة البقرة : ٦١) .

راجع سفر العدد ١١ : ٤ ـ ٩ ، د / أحمد يوسف : مصر فى القرآن والسنة صـ١٢٨ ـ ١٢٩ .

تفعل بى هكذا فاقتلنى قتلا إن وجدت نعمة فى عينيك فلا أرى بليتى » (١) .

ووصل الأمر ببنى اسرائيل فى تذمرهم وتمردهم على موسى أن نادوا بخلعه وعزله وتولية آخر مكانه قائداً عليهم (٢) حينما عاد الاثناعشر رجلاً الذين أرسلهم موسى إلى أرض كنعان ليستطلعوا أخبارها وأخذ عشرة منهم يشيعون الخوف فى نفوس الشعب وينشرون الذعر فى قلوب أفراده ويثبطون هممهم عن دخولها (٣) .

فكان أن قال الرب لموسى فيما يروى سفر العدد « حتى متى يهيننى هذا الشعب ويستخف بى وحتى متى لا يؤمنون بى مع جميع الآيات التى صنعتها فيما بينهم (٤) .

وأنذر ليضربنهم بالوباء ويصير موسى وحده شعباً أكثر منهم ، فراجعه موسى منبها اياه إلى ما قد يناله من كلام الشعوب الذين يسمعون بذلك الأمر والذين سيقولون إنه لم يقدر أن يدخل الشعب الذى حلف لهم فقتلهم فى القفر وسأله الصفح والمغفرة لهم فصفح الرب (٥) ولكنه قال « ان جميع الرجال الذين رأوا مجدى وآياتى التى صنعتها فى مصر وفى البرية وجربونى الآن عشر مرات ولم يسمعوا لقولى لن يروا الأرض التى خلقت لآبائهم وجميع الذين أهانونى لايرونها» (٦) .

ثم قال له أيضاً « حتى متى أغفر لهذه الجماعة الشريرة المتذمرة على قد سمعت تذمر بنى اسرائيل الذى يتذمرونه على قل لهم .... فى هذا القفر تسقط جثثكم جميع المعدودين منكم حسب عددكم من ابن عشرين سنة فصاعدا الذين تذمروا على لن تدخلوا الأرض التى رفعت يدى لأسكنكم فيها ماعدا كالب بن يفنه ويشوع بن نون (٧) ، وأما أطفالكم فإنى سأدخلهم فيعرفون الأرض التى احتقرتموها فجثثكم أنتم تسقط فى هذا القفر ، وبنوكم يكونون رعاة فى القفر أربعين سنة ويحملون فجوركم حتى تفنى جثثكم في هذا القفر كعدد الأيام التى تجسستم فيها أربعين يوماً للسنة يوم تحملون ذنوبكم أربعين سنة فتعرفون ابتعادى ، أنا الرب قد تكلمت لأفعلن

---

(١) عدد ١١ : ١١ ـ ١٥ . (٢) عدد ١٤ : ١ ـ ٤ .
(٣) المصدر السابق ١٣ : ١٧ ـ ٣٣ . (٤) المصدر السابق ٢٤ : ١٠ ـ ١١ .
(٥) المصدر السابق ١٤ : ١٢ ـ ٢٠ . (٦) عدد ١٤ : ٢٢ ـ ٢٣ .
(٧) هما بقية الرجال الاثنى عشر وقد حرضا الشعب على الدخول ومزقا ثيابهما حين نادى الاسرائيليون بعزل موسى وتولية آخر مكانه .

هـذا بكل هـذه الجماعـة الشريـرة المتفقة علىٌ فى هذا القفر يفنون وفيه يموتون (١).

هذا وقد ذكر القرآن الكريم قصة تقاعسهم عن دخول الأرض المقدسة فى قوله تعـالى « حكاية عن مـوسى » ﴿ **ياقوم ادخلـوا الأرض المقدسة التى كـتب الله لكم ولا ترتدوا على أدباركم فتنقـلبوا خاسرين ، قـالوا ياموسى إن فيـها قوماً جـبارين وإنا لن ندخلهـا حتى يخـرجوا منها ، فإن يخـرجوا منهـا فإنا داخلون ، قـال رجلان (٢) من الذين يخافون أنعم الله عليـهما ادخلوا عليهم الباب فإذا دخلتموه فإنكم غـالبون وعلى الله فتـوكلوا إن كنتم مؤمنين ، قالوا يامـوسى إنا لن ندخلها أبداً مادامـوا فيهـا فاذهب أنت وربك فقـاتلا إنا هاهنا قاعـدون ، قال رب إنى لا أملك إلا نفسى وأخى فافرق بيننا وبـين القوم الفاسقين ، قال فإنها مـحرمة عليهم أربعين سنة يتيهون فى الأرض فلا تأس على القوم الفاسقين** ﴾ (٣) .

وقد ذكر بعض المفسرين أنه ينبـغى الوقوف عند قوله تعالى ﴿ **محرمة عليهم** ﴾ ثم نبدأ القراءة قوله ﴿ **أربعين سنة يتيهون فى الأرض** ﴾ .

وبناءً على ذلك فقـد ذهب البعض إلى أن التيه هو الذى حـدد بأربعين سنة وأن التحـريم أبدى مطلق ذلك لأن الرجال الصـالحين للحـرب الذين عصوا أمـر موسى ماتوا فى البرية أثناء فـترة التيه ولم يدخل أحد منهم إلى أرض كنعان فـكانت محرمة عليهم باطلاق (٤) .

وهكذا باء بنو اسرائيل ـ بسبب تمردهم وعصيانهم ـ بغـضب من الله فضرب عليـهم الذلة والمسكنة وحـرم عليهم دخـول الأرض وقـضى عليهـم بالتيـه والحيـرة والضلال والتشتت فأخذوا يهيمون فى الصحراء على وجوههم مدة أربعين عاماً .

---

(١) راجع عدد ١٤ : ٢٢ ـ ٢٥ .

(٢) ذكر المفسرون أن المقصود بهما : كالب ويشوع اللذين أشرت اليهما آنفا (راجع تفسير ابن كثير جـ٢ صـ٣٨) .

(٣) الآيات فى سورة المائدة من ٢١ ـ ٢٦ (راجع تفسيرها فى التفسير الكبير المسمى بمفاتيح الغيب للإمام الفخر الرازى الجزء الحادى عشر صـ١٩٦ ـ ٢٠٢ .

(٤) راجع تفسير القرطبى الجزء السادس صـ١٣٠ ، تفسير ابن كثير جـ٢ صـ٤٠ ، الشيخ عبد الوهاب النجار : قصص الأنبياء صـ٢٧٣ ، واعتمادا على هذا التفسير يكون النص القرآنى متفقاً مع نص التوراة الذى أورته سابقاً من سفر العدد ـ فى أن مدة التيه كانت أربعين عاماً .

وكان هذا التيه عقاباً لهم على الجبن الذى صار دَيْدنهم والخور الذى لازمهم نتيجة ماعانوه فى مصر من الدل وماقاسوه من العبودية .

« فالشعوب التى تنشأ فى مهد الاستبداد وتساس بالظلم والاضطهاد تفسد أخلاقها وتذل نفوسها ويذهب بأسها وتضرب عليها الذلة والمسكنة وتألف الخضوع وتأنس المهانة والخنوع ، وإذا طال عليها أمد الظلم تصير هذه الأخلاق موروثة ومكتسبة حتى تكون كالغرائز الفطرية والطبائع الخلقية إذا أخرجت صاحبها من بينها ورفعت عن رقبته نيرها ألفته ينزع بطبعه اليها ويتفلت منك ليقتحم فيها » (١) .

ومن ثم فإن البعض يرى أن الحكمة من التيه الذى امتد إلى جيل كامل تاريخياً فى بيئة صحراوية قاسية جغرافياً ، هو اخضاع اليهود لعملية صارمة من « الانتخاب الطبيعى » تصفى وتستبعد منهم العناصر الضعيفة الخائرة وتنتخب العناصر القوية الصلبة ، وبذلك تديل من جيل هش منسحق إلى جيل مجدد فوار يصلح للرسالة (٢).

ولكن يبدو أن أثر هذ التيه قد انعكس على أبنائهم الذين استبقاهم الرب ودخلوا مع يوشع أرض كنعان فإذا كان آباؤهم تمردوا على الله وعبدوا العجل وتذمروا على موسى وهارون فإن هؤلاء قد تابعوا مسيرة التمرد والتذمر وواصلوا إغاظتهم للحرب باتخاذ الآلهة الأجنبية واستمروا على حياة الذلة والهوان (٣) .

وهكذا فقد كانت فترة التيه من فترات الضياع التى تعرض لها اليهود ولاقوا فيها العنت وعانوا الشتات والتشرد ولكن هذا الشتات وذلك التشرد يتضاءلان إلى جانب ما سيلقونه بعد ذلك من السبى والاندثار .

---

(١) راجع الشيخ رشيد رضا : تفسير المنار المجلد الثالث الجزء السادس : صـ٢٧٨ .

(٢) د / جمال حمدان : اليهود انثروبولوجيا صـ١٢ ، راجع مثل ذلك لدى الشيخ عبد الوهاب النجار : قصص الأنبياء صـ٢٧٢ ـ ٢٧٣ .

(٣) راجع على سبيل المثال : عدد ٣٢ : ٦ ـ ١٥ ، يشوع ٧ : ١ ـ ١٥ .

المبحث الثالث : الذل فى عصر القضاة :

يعتبر عصر القضاة هو عصر التفكك الكامل والفوضى الشاملة فى حياة اليهود على مدار تاريخهم القديم فكما ورد فى السفر أنه « فى تلك الأيام لم يكن لبنى اسرائيل ملك وكان كل انسان يعمل ما حسن فى عينيه » (١) .

وقد ساعد هذ التفكك وتلك الفوضى على حدوث اضطرابات وانتكاسات تعرض لها اليهود فى هذ العصر أدت بهم إلى الوقوع تحت سيطرة الشعوب التى كانت تقيم معهم فى فلسطين فأذاقوهم كئوس الذل والهوان .

يذكر سفر القضاة أن الرب قال لبنى اسرائيل « قد أصعدتكم من مصر وأتيت بكم إلى الأرض التى أقسمت لآبائكم وقلت لا أنكث عهدى معكم إلى الأبد ، وأنتم فلا تقطعوا عهداً مع سكان هذه الأرض اهدموا مذابحهم ، ولم تسمعوا لصوتى ، فماذا علمتم فقلت أيضاً لا أطردهم من أمامكم بل يكونون لكم مضايقين وتكون آلهتهم لكم شركا » (٢) .

وجاء فيه أيضاً « فحمى غضب الرب على اسرائيل فدفعهم بأيدى ناهبين نهبوهم وباعوهم بيد أعدائهم حولهم ولم يقدروا بعد على الوقوف أمام أعدائهم ، حيثما خرجوا كانت يد الرب عليهم للشر كما تكلم الرب وكما أقسم الرب لهم فضاق بهم الأمر جداً » (٣) .

« وأقام الرب قضاة فخلصوهم من يد ناهبيهم ، وحينما أقام الرب لهم قضاة كان الرب مع القاضى وخلصهم من يد أعدائهم كل أيام القاضى لأن الرب ندم من أجل أنينهم وبسبب مضايقتهم وزاحميهم » (٤) .

ولكنهم عند موت القاضى كانوا يرجعون ويفسدون أكثر من آبائهم ، ولم يحيدوا عن سوء أعمالهم وطريق قساوتهم ، فاشتد غضب الرب على اسرائيل وقال بما أن هذه الأمة قد تعدت عهدى الذى أمرت به آباءها ولم تسمع لصوتى فلا أعود

---

(١) قضاة ٢١ : ٢٥ . (٢) راجع ٢ : ١٦ – ١٨ .

(٣) قضاة ٢ : ١ – ٣ . (٤) قضاة ٢ : ١١ – ١٥ .

أنا أيضاً أطرد أحداً من أمامها من الأمم التى تركها يشوع عند وفاته لكى أمتحن بها اسرائيل أيحفظون طريق الرب أم لا فترك الرب أولئك الأمم ولم يطردهم سريعاً ولم يدفعهم بيد يشوع » (١) .

وهكذا باعتراف التوراة استمر سكان فلسطين فى تسلطهم على اليهود ومضايقتهم لهم وسواء كان هذا بأمر الرب ــ كما تقول النصوص ــ أم أنه نتيجة ضعفهم واستسلامهم لهذه الشعوب فإن ما يهمنا هنا هو خضوع الاسرائيليين لشعوب فلسطين ووقوعهم تحت قبضتهم فى سلسلة متواصلة من الاضطهاد والاستذلال فى عصر القضاة .

ولو أننا تتبعنا النصوص لوجدنا أن الرب قد اشتد غضبه على بنى اسرائيل فباعهم بيد الآراميين واستذلهم ملكهم وسامهم الخسف والنكال مدة ثمانية أعوام (٢) .

ثم تمكن منهم عجلون ملك المؤابيين فجمع اليه العمونيين والعماليق (٣) وقاموا بضربهم واحتلالهم وتعبد بنو اسرائيل لملك موآب وقدموا له الجزية ثمانية عشر عاماً (٤) .

وبعد ذلك وقع الاسرائيليون تحت قبضة الكنعانيين إذ باعهم الرب بيد ملكهم الذى ضايقهم بأن أخذ يكيل لهم الضربات المتتالية وضيق عليهم الخناق بأن استذلهم

---

(١) راجع قضاة ٢ : ١٩ ــ ٢٣ .

(٢) قضاة ٣ : ٨ ، ويذكر الاستاذ محمد فؤاد الهاشمي أن ملك الأراميين قد تمكن من رقاب الاسرائيليين فأذلهم واستعمل فيهم صنوف أسلحة العذاب واتخذ نساءهم جواري له ولاط قومه بذكورهم وحلق لحي شوارب رجالهم واتخذ الحسان من بناتهم هدايا لإرضاء حاشيته وجيرانه من الملوك فكسر شوكتهم حتي استحكمت الحلقة وضاقت عليهم (اليهود من الكتب المقدسة صـ٤١) .

(٣) العماليق هم شعب من أقدم سكان سورية الجنوبية ومن ذرية عيسو أخي يعقوب وكانوا يقيمون في البدء قرب قادش في جنوب فلسطين وكانوا هناك عند بدء مجيء العبرانيين من مصر وكانت بلادهم تري من فوق جبل عبرايم وكانوا مصدر ازعاج لبني اسرائيل في البرية ويذكر عجاج نويهض أن العمالقة هم أول شعب عربي قديم ذو عصبية قوية الشكيمة في شرق سيناء وجنوب فلسطين وقف بالسيف في وجه بني اسرائيل (راجع بالتفصيل الحديث عنهم : قاموس الكتاب المقدس صـ٦٣٦ ــ ٦٣٧ ، بروتوكولات حكماء صهيون صـ٣٨ محمود نعناعة : المشكلة اليهودية صـ١٥٦ ــ ١٥٨ .

(٤) قضاة ٣ : ١٢ ــ ١٤ .

بشدة مدة عشرين عاماً » (١) .

وكان من أشد فترات الذل التى تعرض لها اليهود فى عصر القضاة تلك الفترة التى خضعوا فيها للمديانيين (٢) بمشاركة العماليق فقد اذاقوهم من كل صنوف العذاب طيلة سبع سنوات حتى اضطروهم إلى أن يهيموا على وجوههم ويتركوا مدنهم وقراهم ويلتجئوا الى المغاور والكهوف والحصون التى أقاموها فى الجبال اتقاء لشرهم وهربا من بطشهم ويصف السفر هذا بقوله « وقويت أيدى مديان على اسرائيل فاتخذ بنو اسرائيل لأنفسهم المغاور التى فى الجبال والكهوف والحصون من وجه مدين وكان إذا زرع اسرائيل يصعد المديانيون والعمالقة وبنو المشرق ويخرجون عليهم ، ويجيشون عليهم ويفسدون غلة الأرض إلى مدخل عزة ولا يبقون ميرة فى اسرائيل ولا غنماً ولا بقراً ولا حميراً ، لأنهم كانوا يصعدون بماشيتهم وخيامهم ويأتون فى مثل كثرة الجراد وليس لهم ولجمالهم عدد (٣) ويدخلون الأرض لكى يخربوها فذل اسرائيل جداً من قبل المديانيين » (٤) .

ويذكر الاصحاح العاشر فى سفر القضاة أن الرب بعد أن أنقذهم من أيدى المديانيين تركوا الرب ولم يعبدوه فاشتد غضبه عليهم وباعهم بيد الفلسطينيين وبيد العمونيين فحطموا ورضضوا بنى اسرائيل وداسوهم طوال ثمانية عشر عاماً (٥) .

وكان أطول مدة استذل فيها اليهود وذاقوا مرارة الضيق والهوان ــ فى هذا العصر فيما يروى سفر القضاة ــ هى المدة التى رزحوا فيها تحت نير الفلسطينيين إذ أنها طالت حتى وصلت أربعين سنة (٦) .

---

(١) قضاة ٤ : ١ ــ ٣ .

(٢) يرجع المديانيون في نسبهم إلي مديان وهو أحد أولاد ابراهيم من زوجته قطورة وقيل إن أرض مديان كانت تمتد من خليج العقبة إلي مؤاب وطور سيناء وكانوا يتاجرون مع فلسطين ولبنان ومصر ، وقد اتحدوا مع مؤاب ضد بني اسرائيل فأنبأ الرب بهلاكهم (راجع الحديث عنهم بالتفصيل : قاموس الكتاب المقدس صـ ٨٥٠) .

(٣) لقد وصفهم السفر في موضع آخر بأنه لم يكن لجمالهم عدد لأنها كانت في الكثرة كالرمل علي شاطيء البحر (قضاة ٧ : ١٢) .

(٤) قضاة ٦ : ٢ ــ ٦ .

(٥) حسب تعبير السفر في الترجمتين الكاثوليكية والبروتستانتية قضاة ١٠ : ٦ ــ ٨ .

(٦) قضاة ١٣ : ١ راجع التفاصيل في الاصحاحات : ١٣ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٦ من سفر القضاة .

وهكذا ـ وبحساب التوراة ـ يكون اليهود فى عصر القضاة قد عاشوا تحت سياط الرق والاستعباد ورزحوا تحت نير التعذيب والاضطهاد وشربوا من كئوس الذل والهوان مدة مائة وأحد عشر عاماً ذاقوا فيها كل ألوان المر ولاقوا فيها كل صنوف العذاب .

وكما رأينا فإنهم كانوا يرضخون لآلهة مستعبديهم وينحرفون إلى عبادة معذبيهم فساعد ذلك على تأثرهم بديانات تلك الشعوب واقتباسهم منها كثيراً من عقائدهم وأفكارهم وأدخلوا إلى اليهودية كثيراً من طقوسهم وعباداتهم .



المبحث الرابع : تسلط الأشوريين على اليهود وسبيهم إلى أشور :

ينسب الأشوريون ـ في نظر اليهود ـ إلى أشور ثانى أبناء سام بن نوح عليه السلام(١) .

وقد سبق أن أشرت إلى العصور التاريخية للأشوريين وذكرت أنهم قد اتصلوا اتصالاً مباشراً باليهود فى العصر الأشورى الحديث وخاصة فى بداية الامبراطورية الأشورية الثانية .

والحقيقة أن الأشوريين والبابليين ومن بعدهم قد شكلوا خطراً كبيراً على مملكتى اليهود فى عصر الانقسام وكانوا سببا فى القضاء عليهما حتى إن ويلز يصف هذا العصر بقوله « لقد ظلت حياة العبرانيين طوال ثلاثة قرون شبيهة بحياة رجل أصر على العيش وسط سوق صاخب فكان مصيره أن تدهمه سيارات الجمهور والبضائع(٢) .

وكان أول اتصال بين الأشوريين والاسرائيليين حينما قاومهم اخآب بن عمرى ملك اسرائيل بأن تحالف ضدهم مع الآراميين فى القرن التاسع ق . م (٣) ولكن الملك ياهو ضعف بعد ذلك أمامهم ودفع لهم الجزية عام ٨٤١ فى عهد ملكهم

---

(١) تكوين ١٠ : ٢٢ دائرة معارف البستانى مجلد ٣ صـ٧٠٩ قاموس الكتاب المقدس صـ٧٨ .

(٢) معالم تاريخ الانسانية مجلد ٢ الكتاب ٤ صـ٢٩٦ .

(٣) وكانت دولة أشور تنتعش فى بطء حتى أصبحت مرة أخرى أيام ملكهم (أشور نصير ـ بال ـ) (٨٨٤ ـ ٨٥٩ ق . م) دولة عالمية قوية وبلغ ملكها بجيوشه سواحل البحر المتوسط نفسه وجرد ابنه شلمنصر الثالث عام ٨٥٣ ق . م حملة كبيرة على فلسطين لادخالها فى ملكه ، فتحالف الاسرائيليون مع الآراميين واتحدوا جميعاً أمام خطر الأشوريين وأعد جيشاً كبيراً لمقاومتهم ولكنهم منوا بخسارة جسيمة فى موقعة كركر أو قرقار عام ٨٥٣ ق . م وإن لم يعقبها نصر مباشر للأشوريين حيث إنهم لم يتابعوا غزوهم (راجع تيودور روبنسون : اسرائيل فى ضوء التاريخ صـ١١٣ المجلد الثانى من تاريخ العالم نشر جون هامرتون ، د / نجيب ميخائيل : مصر والشرق جـ٣ صـ٣٧٠ .

شلمنصر الثالث (١) .

ثم أعقبت موت هذا الملك فترة ضعف للأشوريين شغلوا فيها باضطرابات خارجية ومتاعب داخلية (٢) .

وفي هذه الفترة تمكنت اسرائيل من النهوض والازدهار وكان هذا أثناء حكم يربعام الثاني (٣) .

غير أن الوضع قد تغير حينما ظهر تغلات فلاسر الثالث (٧٤٥ - ٧٢٧ ق.م) الذى جدد سلطة الامبراطورية الأشورية (٤) ، وبادر إلى استعادة جميع الأراضى التى فقدها أسلافه وأخذ الجزية من منحيم (ملك اسرائيل عام ٧٣٨ ق . م) (٥) ، ونجح بسلسلة حملات فى اخضاع دمشق وعدد من مدن مملكة اسرائيل وتحويلها إلى مقاطعات أشورية وسبى سكانها إلى أشور (٦) ، فهو أول من انتهج سياسة سبى سكان

---

(١) كان من أول أعمال ياهو أن خضع للأشوريين وأدى لهم الجزية عام ٨٤١ ق . م وتذلل لملكهم شلمنصر الثالث الذى عاود هجماته على دمشق ولعل « ياهو » رأى أنه يستطيع أن يوطد ملكه بتجنب عداء الأشوريين والاعتماد على معاونتهم إذا ثارت عليه رعيته ، ويمثل هذا الملك « ياهو » أو رسوله على « المسلة السوداء » التى اقامها شلمنصر الثالث وهو يقبل الأرض عند قدمى الملك الأشورى ويقدم الجزية بشكل أوان من الفضة والذهب والرصاص .

راجع روبنسون : اسرائيل فى ضوء التاريخ صـ١١٨ ، ١٢٠ ، د / فيليب حتى : تاريخ سورية جـ١ صـ٢١١ ، موسكاتي : الحضارات السامية القديمة صـ١٤٥ .

(٢) تيودور روبنسون : اسرائيل فى ضوء التاريخ صـ١١٨ . (٣) قاموس الكتاب المقدس صـ٧١ .

(٤) د / فيليب حتى / تاريخ سورية جـ١ صـ٢١٣ .

(٥) روبنسون : المصدر السابق صـ١٢١ - ١٢٢ .

ورد فى سفر الملوك الثانى أن فول ملك أشور قدم على أرض اسرائيل ليحتلها فدفع له ملكها مخيم بن حادى ألف قنطار من الفضة فرجع عنها وثبت له ملكه (لوك ثان ١٥ : ١٩ ــ ٢٠) ، وذكر المؤرخون أن فول هذا هو تغلات فلاسر الثالث نفسه (راجع قاموس الكتاب المقدس صـ٢١٩ ، ويلز : معالم تاريخ الإنسانية مجلد ٢ ك ٤ صـ٢٩٦) .

(٦) راجع ملوك ثان ١٥ : ٢٩ جاء فيه « فى أيام فتح ملك اسرائيل جاء تغلث فلاسر ملك أشور وأخذ عيون وابل بيت معكة ويانوح وقادوس وحاصور وجلعاد والخليل وكل أرض نفتالى وسباهم إلى أشور » وجاء فى كتابات تجلات بلاسر الثالث ما هذا نصه « قمت بضم جميع مدن بيت عومرى (مملكة اسرائيل وكانت تشتهر فى الآثار الأشورية على أنها بيت عمرى » حملاتى السابقة ولم أترك سوى مدينة السامرة . =

الأقاليم التي يفتحها ونقلهم إلى أقاليم أخرى وإسكان أقوام آخرين في بلدانهم ثم تبعه عليها الملوك الذين جاءوا من بعده (١) .

ولم يكتف أيضاً بالأسلوب القديم وهو ابقاء الحكم الوطني كتابع بل بدأ سياسة جديدة تقوم على إرسال نواب أشوريين من قبله ليحكموا المقاطعات المفتتحة (٢) .

وكان مما شجعه على ارسال تلك الحملات أن آحاز ملك يهوذا قد استنجد به حينما تحالف ضده كل من رصين ملك دمشق وفقح بن رمليا ملك اسرائيل جاء في سفر الملوك الثاني : « وأرسل آحاز رسلا إلى تغلث فلاسر ملك أشور قائلاً : أنا عبدك وابنك اصعد وخلصني من يد ملك ارام ومن يد ملك اسرائيل القائمين على ، فأخذ آحاز الفضة والذهب الموجودة في بيت الرب وفي خزائن بيت الملك وأرسلها إلى ملك أشور هدية ، فسمح له ملك أشور وصعد إلى دمشق وأخذها وسباها إلى قير (٣) وقتل رصين ، وسار الملك آحاز للقاء تغلث فلاسر ملك اشور إلى دمشق » (٤) .

هذا ويذكر تيودور روبنسون أن سيطرة ملك أشور على دمشق وعلى مدن مملكة اسرائيل فيما عدا السامرة ــ قد تم عام ٧٣٢ ق . م (٥) .

وحينما تولى آخر ملوك اسرائيل (هوشع بن أيلة) الحكم صعد عليه كما ورد في سفر الملوك الثاني شلمنصر الخامس (٦) فصار له هوشع عبداً ودفع له الجزية (٧)

= راجع كيللر : التوراة كتاريخ نقلاً عن د / أحمد سوسة : مفصل العرب واليهود في التاريخ صـ٥٨٥ .

(١) طه باقر : مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة الجزء الأول صـ٥٠٩ .

(٢) د / حتي : تاريخ سورية جـ١ صـ٢١٣ .

(٣) قير : سام معناه « سور أو مدينة ذات سور » ويطلق على مدينة كانت وطن الأراميين الأول ومنها خرجوا إلى الشام (راجع قاموس الكتاب المقدس صـ٧٥٢) .

(٤) ملوك ثان ١٦ : ٧ ــ ١٠ .

(٥) اسرائيل في ضوء التاريخ صـ١٢٢ .

(٦) شامنصر الخامس تولى ملك أشور بعد تغلث فلاسر وقد حكم من ٧٢٨ ــ ٧٢٢ ق .م (راجع قاموس الكتاب المقدس صـ٥١٦ ــ ٥١٧ .

(٧) ملوك ثان ١٧ : ٣ .

ويبدو أن الأشوريين هم الذين نصبوه ملكاً صورياً من قبلهم حتى يدين لهم بالولاء ويدفع لهم الجزية صاغراً (١) .

ولكن بعد سنوات من حكمه ـ وبتحريض من ملك مصر ـ لم يلبث هوشع أن تمرد على الأشوريين وامتنع عن دفع الجزية لهم فقام ملكهم شلمنصر الخامس بمهاجمته وتمكن من القبض عليه وألقى به فى السجن وحاصر مدينة السامرة مدة ثلاث سنوات (٢) .

وفى عام ٧٢٢ ق . م وعقب موت شلمنصر الخامس مباشرة سقطت السامرة حتى لنرى خلفه سرجون (٣) الثانى (٧٢٢ ـ ٧٠٥) ينسب لنفسه فضل النصر عليها ويسجله فى حولياته قائلاً : « فى بداية حكمى وفى السنة الأولى حاصرت السامرة واستوليت على خمسين عربة من السلاح الملكى ثم ملأتها بسكان أكثر مما كان بها فأحللت بها مواطنين جددا من بلاد كنت قد استوليت عليها وعينت رجالى حكاما عليها وفرضت عليها الجزية والضرائب كما يفعل الأشوريون (٤) .

وهكذا فإن الأشوريين قد قاموا بترحيل خيرة أو زبدة رجال مملكة اسرائيل

---

(١) ملوك ثان ١٦ : ٣٠ وقد ورد فى النقوش الأشورية « أما فيما يتصل ببيت خومريا فقد حملت أهلها وما يملكون جميعاً إلى أشور وأما ملكهم فقد خلع وعينت مكانه هوشع » راجع د / نجيب ميخائيل : مصر والشرق جـ٣ صـ٣٨٠ ـ ٣٨٢ ، زكى شنودة : اليهود صـ١٢١ ، د / محمد بيومى مهران : دراسات فى تاريخ الشرق جـ٨ صـ٩٣٩ .

(٢) ملوك ثان ١٧ : ٤ ـ ٥ ، وجاء فى السفر أن ملك أشور وجد فى هوشع خيانة لأنه أرسل رسلاً إلى سوا ملك مصر ولم يؤد جزية إلى ملك أشور حسب كل سنة .

(٣) لا يعرف على وجه اليقين علاقة سرجون بالملك السابق شلمنصر الخامس وإن كان قد قيل انه أغتصب منه العرش عن طريق انقلاب قام به وحاول أن يتملق عواطف البابليين ومشاعرهم فأطلق على نفسه اسماً سومرياً قديماً (راجع الحديث عنه بالتفصيل : بريستيد : العصور القديمة صـ١٦٤ ، ويلز : معالم تاريخ الانسانية المجلد الأول الكتاب الثالث صـ١٦٣ ، قاموس الكتاب المقدس صـ٤٦٣ ، طه باقر : مقدمة فى تاريخ الحضارات القديمة جـ١ صـ٥١١ .

(٤) راجع تفاصيل ذلك : د / فيليب حتى : تاريخ سورية جـ١ صـ٢١٣ ، موسكاتى : الحضارات السامية صـ١٤٦ ، روبنسون : اسرائيل فى ضوء التاريخ صـ١٢٢ ، دائرة معارف البستانى مجلد ٣ صـ٧١٣ ـ ٧١٤ ، د / نجيب ميخائيل : مصر والشرق جـ٣ صـ٣٨٢ جـ٥ صـ٢٦٩ ، د / سليم حسن : مصر جـ٩ صـ٥٢٣ .

وأحلوا مكانهم فى مدينة السامرة شعوباً وأقواماً من جنسيات متعددة (١) فاندمجوا مع من بقى من الاسرائيليين وذابوا فيهم حتى تكون منهم ماعرفوا بالسامريين فى التاريخ اليهودى (٢) .

وكان من أثر هذا الاندماج وذلك الذوبان أن أخذ كل شعب من هذه الشعوب يعبد آلهته الخاصة به فى السامرة فتعددت الآلهة وتنوعت صور العبادة حتى بلغ ذلك ملك أشور فأرسل إليهم أحد الكهنة ليعلمهم كيف يتقون الرب ولكنهم لم يسمعوا له وخلطوا بين ما يأمرهم به وبين العبادات الوثنية (٣) .

ولكن أين ذهب أسباط اسرائيل العشرة سكان المملكة الشمالية وماذا كان

---

(١) جاء فى سفر الملوك أن ملك أشور أتى بقوم من بابل وكوث وعوا وحماة وسفروايم وأسكنهم فى مدن السامرة عوضاً عن بنى اسرائيل ، فامتلكوا السامرة وسكنوا فى مدنها (ملوك ثان ١٧ : ٢٤) .

أما بابل فقد تحدثنا عنها قبل ذلك وأما كوث فكما يقول زكى شنودة : تقع فى الموضع المسمى اليوم تل ابراهيم الشمال الشرقى من بابل ، وعوا كانت تقع فى بلاد الكلدان وأما حماة فهى التى لازالت تحمل هذا الاسم وكانت مدينة حيثية تقع على نهر العاصى شمالى دمشق ، وأما سفروائيم فكانت مدينة بابلية تقع على نهر الفرات (راجع اليهود صـ١٢٤) وبذلك فإن الأشوريين ـ فضلاً عن سياسة النفى التى اتبعوها بنقل أولئك الذين كانوا شوكة فى جانبهم ـ قد استعملوا طريقة الاستعمار وذلك بأن أحلوا محل المنفيين من الاسرائيليين غيرهم من قبائل بابل وعيلام وسوريا وبلاد العرب ووطنوهم فى السامرة وأقطارها (سليم حسن : مصر جـ٩ صـ٥٢٣ ـ ٥٢٤) ، ويذكر كوك أن الأشوريين كانوا يهدفون من وراء ذلك إلى كسر التحالفات القديمة بإدخال أجانب فى البلاد والعمل على تحطيم الروابط الإجتماعية والسياسية والدينية بدرجة أكثر فاعلية عما سبقه من اجراءات وبدون شك فإن الغزوات الأشورية قد عجلت بنهاية الدويلات السامية المنهارة كما أن الأحوال القديمة قد تغيرت واختفت المعالم القديمة واضمحلت المشاعر العامة والقومية (نقلاً عن د / مهران : دراسات فى تاريخ الشرق جـ٨ صـ٩٤٩ .

(٢) سبق أن تحدثت عنهم فى الفصل الثالث من الباب الأول .

(٣) راجع سفر الملوك الثانى ١٧ : ٢٥ ـ ٤١ .

ومما جاء فيه أنه كانت كل أمة تعمل آلهتها وتصنعها فى بيوت المرتفعات التى أقامها السامريون فعمل أهل بابل سكوث بنوث وأهل كوث عملوا نرجل وأهل حماة عملوا أشيما والعويون عملوا نِبْحَز وترتاق والسفروايميون كانوا يحرقون بنيهم بالنار لأدرملك وعنملك الهى سفروايم وقال : كانوا يتقون الرب ويعبدون آلهتهم كعادة الأمم الذين سبوهم من بينهم .

مصيرهم ؟ (١) .

لقد وضع الأشوريون نهاية لكيانهم كأمة وأنهوا حياتهم كشعب فلم يقدر لهذه الأسباط أن تعود إلى مواطنها التى كانت قد أخذتها غيلة واغتصابا من أصحابها ، وظلت تحتكر الحياة فيها مدى قرنين ونصف من الزمان .

ومن الثابت أنهم شردوا فى أنحاء الامبراطورية الأشورية ولو أن الأشوريين قضوا عليهم لقلنا إن أمرهم انتهى بموتهم ولكنهم ظلوا أحياء يتكاثرون ويتناسلون ، ولعل هذا هو ما دعا بعض الباحثين إلى محاولة القاء أضواء على الأماكن التى شردوا فيها أو استقروا بها (٢) .

ومن متابعة مختلف المصادر التى اعتمد عليها هؤلاء الباحثون فإننا نستطيع أن نصل إلى نتيجة لامفر منها وهى أن الاسرائيليين قد انتشروا فى أعقاب السبى فى أنحاء العالم شرقاً وغرباً ولم يستطيعوا أن يستقروا فى مكان واحد وامتصوا فى يسر فى الشعوب التى حلوا بها اكتسبوا لغاتها وعاداتها وتقاليدها ومرت قرون طويلة ضاعت خلالها قوميتهم وجنسيتهم وكما لم يكونوا فى الأصل جنساً نقياً ظلوا كذلك بعد السبى وفقدوا فى التاريخ بعد أن امتزجوا بالشعوب التى حلوا فيها

---

(١) سبق أن ذكرت أن تغلاث فلاسر قد احتل مدن المملكة الشمالية (عدا السامرة) وسبي سكانها إلي اشور ، ثم كان سبي أهل السامرة الذي تم علي يد سرجون الثاني وكما ورد في نقوشهم وصل إلي ٢٧٩٠ مواطناً وعلي ذلك يكون الغالبية من الأسباط العشرة قد هاجرت من المملكة الشمالية وتم سبيهم إلي بلاد أشور .

(٢) ورد في سفر الملوك الثاني أن ملك أشور حينما فتح مدينة السامرة قام بسبي الاسرائيليين إلي أشور وأسكنهم في حلج وخابور نهر جوزان وفي مدن مادي وحلج تسمي اليوم حلا علي نهر الخابور أحد فروع نهر الفرات وجوزان ولاية من ولايات مابين النهرين بالقرب من حران (ملوك ثان ١٧ : ٦ ، ١٨ : ١١ ، زكي شنودة : اليهود صـ١٢٣) .

ويذكر ويلز أن القبائل العشرة التائهة قد حير مصيرها عدداً كبيراً من الأذهان الطلعة وأورد الدكتور نجيب ميخائيل بعض الآراء لعدد من المؤرخين القدامي أمثال جوزيف اليهودي وهيرودوت اليوناني.

راجع تفاصيل ذلك مصر والشرق جـ٣ صـ٣٨٢ ـ ٣٨٥ .

ويلز : معالم تاريخ الإنسانية المجلد الأول الكتاب الثالث صـ١٦٣ .

امتزاجاً كاملاً (١) .

وهكذا زال الاسرائيليون من الوجود أو كما قال د / فيليب حتى : تلاشت مملكتهم إلى الأبد (٢) وتحقق ما كان يهدف إليه الأشوريون من سبى هؤلاء الأسباط وإجلائهم .

فقد كان الهدف من ذلك ـ كما يقول توينى ـ هو تجزئة جماعاتهم وتحطيم هويتهم ومحو ذكرى أيام الاستقلال من نفوس مواطنيهم (٣) .

ويذكر بريستيد أن الأشوريين قصدوا من إجلاء السكان عن أوطانهم إماتة روح التضامن الوطنى بحيث لايتمكن الناقمون منهم على الفاتحين من الدفاع وحماية الديار (٤) .

وأيضاً فإنه حتى لايتيسر لهؤلاء الأسباط العشرة التجمع فى مكان واحد والتكتل على أمل العودة إلى مناطقهم التى أبعدوا عنها تم تهجيرهم إلى المناطق الجبلية المنعزلة فى كردستان والعراق وتركيا وإيران ضمن حدود الامبرطورية الأشورية حتى خفيت أخبارهم عن يهود المملكة الجنوبية فاعتبروا بحكم المفقودين لذلك سماهم الباحثون « الأسباط العشرة المفقودة » (٥) .

وكانت هذه خطة عجيبة عملت على خلط شعوب الشرق الأدنى وأحلت البؤس والشقاء فى ربوعها ، وكثيراً ما صورت تلك المشاهد المؤلمة فى المنحوتات الأشورية .

---

(١) د / نجيب ميخائيل : مصر والشرق جـ٣ صـ٣٨٥ ـ ٣٨٦ ، د / فيليب حتي : تاريخ سورية جـ١ صـ٢١٣ ، وينقل ظفر الإسلام خان عن جون مارلو قوله « وحسب الممارسة الأشورية المعتادة قد نقلت أغلبية السكان إلي جزء آخر من الولايات الأشورية فأدي هذا إلي أختفائهم من التاريخ حيث انهم قد اندمجوا تماماً مع الشعوب المجاورة في مناطق النفي (تاريخ فلسطين القديم صـ٥٥) .

(٢) تاريخ سورية جـ١ صـ٢١٣ .

(٣) تاريخ البشرية جـ١ صـ١٩٦١ ـ ١٩٧ ـ ٢١٢ ترجمة د / نقولا زيادة : الأهلية للنشر والتوزيع بيروت ١٩٨٥ .

(٤) بريستيد : العصور القديمة صـ١٦٩ ، راجع كاترين هنري : التاريخ في الكتاب صـ٧٦ .

(٥) د / أحمد سوسة : مفصل العرب واليهود في التاريخ صـ٥٩٣ .

ولنا أن نتصور مبلغ الشقاء والعذاب اللذين كانت تقاسيهما تلك الجموع البائسة وهى تساق مسافات طويلة مع شيوخها وأطفالها ومرضاها (١) .

هذا وكان قد تنبأ عدد من أنبياء العهد القديم بانهيار وسقوط مملكة اسرائيل ورسموا صورة وصفية للأحداث التى سبقت هذا الانهيار وذلك السقوط ومن هؤلاء هوشع وعاموس .

فأما هوشع فقد رسم صورة لاسرائيل (وهو نبى معاصر للأحداث) ولعل فيها كثيراً من الصدق لما كان يجرى فعلاً فهو يقول : « افرايم يختلط بالشعوب ..... افرايم صار خبز مَلَّة لم يقلب ، أكل الغرباء ثروته وهو لايعرف ، وقد رش عليه الشيب وهو لا يعرف وقد أذلت عظمة اسرائيل فى وجهه وهم لايرجعون الى الرب الههم ولايطلبونه مع كل هذا ، وصار افرايم كحمامة رعناء بلا قلب يدعون مصر يمضون إلى أشور ، عندما يمضون أبسط عليهم شبكتى ألقيتهم كطيور السماء ، أؤدبهم بحسب خبر جماعتهم ، ويل لهم لأنهم هربوا عنى - تباً لهم لأنهم أذنبوا إلى أنا أفديهم وهم تكلموا على بكذب ولا يصرخون إلى بقلوبهم حينما يولون على مضاجعهم » (٢) .

---

(١) طه باقر : مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة جـ١ صـ٥٠٩ ، (والحقيقة أن الأشوريين فيما يري المؤرخون كانوا أول من قام بترحيل شعوب الأمم المنهزمة علي نطاق واسع من بلادهم إلي بلاد أخري وإحلال شعب آخر محلهم وكان ملوكهم يفخرون في سجلاتهم بقوتهم الحربية ومعاملتهم الأمم المغلوبة علي أمرها بكل صنوف القسوة فكانت جيوشهم أني سارت وكيفما توجهت تلقي الخوف والرعب في القلوب نظراً إلى ما كان عندها من الأسلحة ومعدات الحصار وما كانت عليه من شراسة الأخلاق والميل إلي الفتك والتنكيل بالأعداء مما جعل سكان آسيا الغربية يذوبون فرقاً ويقفون أمامهم صاغرين (راجع بريستيد : العصور القديمة صـ١٦٩ دي بورج : تراث العالم القديم جـ١ صـ٤١ ، أورسيل : الفلسفة في الشرق صـ٨٠ قاموس الكتاب المقدس صـ٦٨ - ٦٩ ، ٨٠) .

(٢) فهو يذكر أن افرايم أي سكان مملكة اسرائيل يختلطون بالشعوب إذ أنهم اندمجوا فيهم وامتزجوا بهم وفقدوا صفاتهم بينهم فصاروا كالرغيف الذي يحترق من جانب ويبقي عجينا من الجانب الآخر ولا يصلح بشيء علي أي وجه .

وكانوا يدفعون أنفسهم بسكون وبطء نحو هلاك امتهم بنوع ما باعتداء الغرباء عليهم =

وأما عاموس فنراه يقول على لسان الرب كذلك « اسمعوا هذا القول الذى أنا أنادى ربه عليكم مرثاة يابيت اسرائيل ، سقطت عذراء اسرائيل لاتعود تقوم ، انطرحت على أرضها ليس من يقيمها » (١) .

ويقول أيضاً « فى جميع الأسواق نحيب وفى جميع الأزقة يقولون آه آه ويدعون الفلاح إلى النوح وجميع عارفى الثراء للندب وفى جميع الكروم ندب » (٢) .

ويقول « بل حملتهم خيمة مَلْكومِكُم وتمثال أصنامكم نجم الهكم الذى صنعتم لنفوسكم ، فأسبيكم إلى وراء دمشق (٣) .

وقد قال عاموس لأمصيا كاهن بيت ايل « هكذا قال الرب امرأتك تزنى فى المدينة وبنوك وبناتك يسقطون بالسيف وأرضك تقسم بالحبل وأنت تموت فى أرض نجسة واسرائيل يسبى سبيا عن أرضه » (٤) .

ويقول عاموس أيضاً « فقال لى الرب قد أتت النهاية على شعبى اسرائيل لاأعود اصفح له بعد فتصير أغانى القصر ولاول فى ذلك اليوم يقول السيد الرب : الجثث

= « أكل الغرباء ثروته » .

وصاروا كالحمامة الرعناء التي لاتعرف كيف تدافع عن نفسها ولاتدبر لسلامته فهي لاتحزن علي فقدها لصغارها إذا ماأخذت منها وتغوي بسهولة بالطعم الذي يوضع في الشبكة وتطير وتحوم في كل مكان حتي تعرض نفسها للخطر .

فالشعب لم يطيروا كالحمام إلي بيوتها لكي يأمنوا من كل الطيور الجارحة التي انقضت عليهم لكنهم طرحوا بأنفسهم بعيداً عن حماية الله إذ صارووا يدعون مصر لاغاثتهم وأسرعوا إلي أشور لاعانتهم ، (راجع هوشع ٧ : ٨ ـ ١٢ ، متي هنري : تفسير هوشع ترجمة القمص مرقص داود صـ١٨٩ ـ ١٩٦ ، د / نجيب ميخائيل : مصر والشرق جـ٣ صـ٣٧٦ ، قاموس الكتاب المقدس صـ٧٩ ، بريستيد : العصور القديمة صـ٢٢٨ .

(١) عاموس ٥ : ١ ـ ٢ .

(٢) عاموس ٥ : ١٦ ـ ١٧ .

(٣) عاموس ٥ : ٢٦ ـ ٢٧ .

(٤) عاموس ٧ : ١٦ ـ ١٧ .

كثيرة يطرحونها فى كل موضع بالسكوت » (١) .

« وأحول أعيادكم نوحاً وجميع أغانيكم مراثى وأصعد على كل الأحقاء مسحاً وعلى كل رأس قرعة وأجعلها كمناحة الوحيد وآخرها يوماً مرا » (٢) .

وقد كان عاموس يمثل هذا النوع الجرىء الصادق من الوعاظ إذ هاله الزيف والفسق والفجور فى اسرائيل (٣) .

هذا وقد اتجهت آمال اليهود إلى مملكة يهوذا الجنوبية بعد خراب مملكة اسرائيل الشمالية(٤) .

لكن إذا كان الأشوريون قد قضوا على مملكة اسرائيل وأسقطوا السامرة ٧٢٢ ق . م فإن مملكة يهوذا أيضاً لم تكن بعيدة عن متناول يدهم ولم يكن أهلها يعيشون بمأمن منهم .

فمنذ أن استنجد ملكهم احاز بالملك تغلات الثالث ولبى دعوته وأغار على الأراميين ومملكة اسرائيل عام ٧٣٢ ق . م صارت مملكة يهوذا خاضعة للأشوريين تدين لهم بالولاء وتتبع سياستهم وتؤدى لهم الجزية (٥) .

وظل احاز طوال حياته مخلصاً للأشوريين حتى يقال انهم أقطعوا عدداً من قرى المملكة الشمالية مكافأة له على ولائه لهم (٦) .

---

(١) عاموس ٨ : ١ ـ ٣ .

(٢) عاموس ٨ : ١٠ .

(٣) راجع بالتفصيل عاموس عبد المسيح : دراسة في عاموس صـ١٢٧ ومابعدها ، د / نجيب ميخائيل : مصر والشرق جـ٣ صـ٣٧٦ ـ ٣٧٧ قاموس الكتاب المقدس صـ٧٩ ، د / محمد بيومي مهران : النبوة والأنبياء عند بني اسرائيل صـ١٠٠ مطبعة الرشاد الاسكندرية ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م .

(٤) بريستيد : العصور القديمة صـ٢٢٨ .

(٥) راجع د / نجيب ميخائيل : مصر والشرق جـ٣صـ٣٩٩ ، د/ مهران : دراسات في تاريخ الشرق الأدني القديم جـ٨ اسرائيل صـ٩٧٠ .

(٦) تيودور روبنسون : اسرائيل في ضوء التاريخ صـ١٢٢ ، فؤاد حسنين علي : التوراة الهيروغليفية صـ٨٩ دار الكاتب العربي للطباعة والنشر بدون تاريخ .

وإذا كانت مملكة يهوذا قد عمرت بعد سقوط مملكة اسرائيل (١) أكثر من قرن وثلث من الزمان فإنه بسقوط الثانية أصبحت الأولى مكشوفة للأشوريين وأكثر تعرضاً لهجماتهم المباشرة (٢) .

فبعد أن مات حليفهم آحاز تولى بعده ابنه حزقيا (٧٢١ ـ ٦٩٣ ق . م) وقد بدأ حكمه باستمرار ولائه لهم ، ولكنه في عام ٧١١ ق . م عقد حلفاً ضدهم مع مصر فعاجله سرجون الثاني وقضى على هذا الحلف وأحبط محاولته في مهدها (٣).

وظل حزقيا تبعاً للأشوريين خوفاً منهم حتى مات ملكهم سرجون الثاني ، وحينما تولى ابنه سنحاريب ملك اشور (٧٠٥ ـ ٦٨١ ق . م) (٤) تحداه حزقيا وتمرد عليه وامتنع عن دفع الجزية له وتحالف مرة أخرى مع أعدائه ، فاستشاط سنحاريب غضباً وزحف على مملكة يهوذا في حملة قوية عام (٧٠١ ق . م)

(١) يرجع الدكتور نجيب ميخائيل ذلك إلى أسباب متعددة من بينها بعد المملكة الجنوبية عن الطريق الطبيعي من الشرق إلى الغرب كما أن أورشليم كانت منيعة نوعاً ما ، بينما الشمال مفتوح للغزو في يسر للطامعين وكان الاستيلاء عليه هدفاً تطمع في الوصول إليه أشور إن أرادت أن تطل على البحر وهو إلى جانب ذلك غزير الموارد الحربية في صورة تهدد باستمرار الأمن الداخلي ، لكنه يذكر أن المملكة الجنوبية قد عمرت مدى قرنين تقريباً وهو خطأ ذلك لأن سقوط اسرائيل تم في عام ٧٢٢ ق . م وسقوط يهوذا كان في عام ٥٨٦ ق . م كما اجمع على ذلك المؤرخون وهو من بينهم (راجع مصر واشرق الأدنى القديم جـ٣ صـ سورية ٣٨٧) .

(٢) راجع د . فيليب حتى : تاريخ سورية جـ١ صـ٢١٦ ، سليم حسن : مصر جـ٩ صـ٥٢٧ ، د / حسن ظاظا : الساميون ولغاتهم صـ٨٧ .

(٣) د / حتى : المصدر السابق صـ٢١٦ ، قاموس الكتاب المقدس صـ٣٠٦ ، د / عبد الحميد زايد : الشرق الخالد صـ٣٩٥ ، د / فؤاد حسنين : التوراة الهيروغليفية صـ٨٩ .

(٤) تولى سنحاريب الملك بعد موت أبيه سرجون الثاني ويذكر بريستيد أنه قد فاقه عظمة واجلالا ويعد من أعظم رجال السياسة في زمانه حنكة ودراسة ليس في بلاده فقط بل في سائر بلدان الشرق الأدنى القديم وكان مجرد ذكر اسمه كافياً لإلقاء الرهبة والمهابة في قلوب الناس (العصور القديمة صـ١٦٤ ، جورج رو : العراق القديم صـ٤٢٦ ـ ٤٣٢ قاموس الكتاب المقدس صـ٤٨٧ ـ ٤٨٨ .

وستولى على عدد كبير من مدنها المحصنة ، وعدد كبير من قراها المجاورة ونهب مافيها من أموال وخزائن (١) .

وقام بسبى الآلاف من أهلها (٢) ، وحاصر حزقيال فى أورشليم دون أن يتمكن من فتحها وظل محاصراً له ولم يرجع عنه حتى أرسل إليه حزقيا قائلاً له :

« قد أخطأت ، ارجع عني ومهما جعلت على حملته » .

ففرض عليه ثلاث مائة وزنة من الفضة وثلاثين وزنه من الذهب وقدم له كل ما فى بيت الرب وبيت الملك من خزائن (٣) .

وسمح سنحاريب لحزقيا أن يحتفظ بعرش يهوذا كتابع لاشور وأجبره على أن يدفع ما عليه من جزية متأخرة وأن يرسل إليه بناته ومحظياته من نساء القصر امعاناً فى

---

(١) ملوك ثان ١٨ : ١٣ تيودور روبنسون : اسرائيل فى ضوء التاريخ صـ١٢ ، وإذا كان سفر الملوك الثانى يذكر أن سنحاريب قد استولى على جميع مدن يهوذا المحصنة فإن النص الأشورى يذكر على لسان سنحاريب قوله : أما حزقيا اليهودى الذى لم يخضع لسلطتى فإننى حاصرت ستاً وأربعين من مدنه القوية المسورة والمدن التى بجوارها والتى لايمكن تعدادها وفتحها ونهبتها واعتبرتها كغنائم » وقد أورد نص سنحاريب كتاب د / حتى : تاريخ سورية جـ١ صـ٢١٧ ، د / نجيب ميخائيل : مصر والشرق جـ٥ صـ٢٨٠ ـ ٢٨٢ ، د / أحمد سوسة : مفصل العرب واليهود فى التاريخ صـ٥٨٨ ـ ٥٨٩ ، وقد نقش النص على جداران قصره فى نينوى إلى جانب صورته وهو جالس على عرشه فى مقر عملياته .

(٢) جاء فى الاثر الأشورى على لسان سنحاريب قوله « واستوليت منهم على ١٥٠ ، ٢٠٠ ألف نسمة رجالا ونساء وأطفالا وشيوخاً » ويذهب فيليب حتى إلى أن ما يدعيه سنحاريب من أخذ هذا العدد من الرجال يشير إلى عدد سكان يهوذا كما كانوا يقدرونه حينذاك وقد اعتبرهم الملك الأشورى غنائم حرب ، تاريخ سورية جـ١ صـ٢١٧ .

(٣) راجع ملوك ثان ١٨ : ١٤ ـ ١٩ وورد فى النص الأشورى على لسان سنحاريب « وأما حزقيا فإننى حبسته كعصفور فى قفص فى أورشليم وأحطته بأكوام من الأتربة للتضييق على كل من يحاول الخروج من باب المدينة .

راجع د / حتى : تاريخ سورية جـ١ صـ٢١٧ ، د / أحمد سوسة : مفصل العرب واليهود فى التاريخ صـ٥٨٩ .

إذلاله (١) .

ومن المتفق عليه أن سنحاريب قد أوقع على حزقيا عقاباً قاسياً وأنه جعل سلطانه مقصوراً على دولة المدينة الصغيرة أورشليم (مدينة داود) واستولى منه على كل بلاد يهوذا التى وهبها للملوك الفلسطينيين الموالين له (٢) .

ولانزاع فى أن مملكة يهوذاقد ضعفت قوتها وتقلصت رقعتها وخربت مدنها بسبب هذه الحملة ، وظلت فى الثلاثة أرباع الأولى للقرن السابع ق . م خاضعة للأشوريين وتدفع لهم الجزية بانتظام (٣) .

إذ استمر منسى بن حزقيا على ولائه لهم وإن كان قد حاول التمرد على أسرحدون بن سنحاريب (٤) (٦٨١ ـ ٦٦٩ ق . م) فأرسل إليه جنده وحملوه مكبلاً بقيوده إلى بابل ثم أعادوه إلى أورشليم مرة أخرى (٥) فظل مستسلماً لهم وبالغ فى ارضائهم طوال حياته (٦) .

ويبدو أن ابنه أمون قد تابعه فى ذلك حتى إذا ما اعتلى يوشيا العرش حوالى عام ٦٣٨ ، بدأ فى التحرر من سلطان الأشوريين مستغلاً ضعفهم الذى أدى إلى زوال دولتهم وسقوط عاصمتهم عام ٦١٢ ق . م (٧) .

وإذا كانت مملكة يهوذا بذلك قد تحررت من تسلط الأشوريين فإنها لم تلبث أن وقعت تحت قبضة البابليين وهو ماسنراه فى الصفحات التالية .

---

(١) د / حتى : تاريخ سورية جـ١ صـ٢١٧ ، د / مهران جـ٨ نقلا عن مصادر أجنبية صـ٩٧٥ .

(٢) د / مهران جـ٨ صـ٩٧٥ ـ ٩٧٦ نقلاً عن مصادر أجنبية ، راجع النص الأشورى الذى سجله سنحاريب ، د / نجيب ميخائيل جـ٥ صـ٢٨٠ ـ ٢٨١ ، د / أحمد سوسة : مفصل العرب واليهود صـ٥٨٩ .

(٣) د / حتى : تاريخ سورية جـ١ صـ٢١٨ ، راجع سليم حسن : مصر جـ٩ صـ٥٢٨ ـ ٥٢٩ .

(٤) راجع تفاصيل الحديث عنه : جورج رو : العراق القديم صـ٤٣٣ ـ ٤٣٨ ، قاموس الكتاب المقدس صـ٦ .

(٥) أخبار الأيام الثانى ٣٣ : ١١ ـ ١٣ .

(٦) روبنسون : اسرائيل فى ضوء التاريخ صـ١٢٣ ، صموئيل شولتر : العهد القديم يتكلم صـ٢٨٩ .

(٧) راجع د / فيليب حتى : تاريخ سورية جـ١ صـ٢١٨ ، موسكاتى : الحضارات السامية القديمة صـ٧٠ .

المبحث الخامس : سقوط مملكة يهوذا والسبى البابلى :

يذكر بريستيد أن اليهود حينما رأوا خراب نينوى (عاصمة الأشوريين) عام ٦١٢ امتلأت قلوبهم بهجة وأملوا أن يكون معنى هذا الخراب خلاصهم من ظلم الأجنبى ، إلا أن ذلك لم يكن إلا استبدال سيد اجنبى بآخر (١) .

فبعد زوال الأشوريين وقعت مملكة يهوذا بين شقى الرحى : مصر وقوة بابل الصاعدة وترددت أورشليم وتأرجحت بين سياسة الخضوع للكلدانيين (٢) وبين سياسة التحالف مع المصريين ولكن ملكها (يهوياقيم (٦٠٨ ــ ٥٩٧) اختار السياسة الأخيرة (٣) مخالفاً بذلك سياسة أبيه يوشيا (٤) ومن قبله حزقيا (٥) وضارباً بعرض الحائط تحذيرات النبى ارميا (٦) .

فكان هذا التحالف يمثل تحدياً لملك الكلدانيين (بنوخد نصر (٧) ٦٠٥ ــ ٥٦٢

---

(١) العصور القديمة صـ٢٣٠ .

(٢) الكلدانيون هم الذين كونوا سلالة بابل الحديثة وأقاموا الدولة البابلية الأخيرة وسيطروا على الشرق القديم بعد الأشوريين .

(٣) راجع د / حتى : تاريخ سورية جـ١ صـ٢١٨ ، موسكاتي : الحضارات السامية صـ١٤٦ .

(٤) سبق أن ذكرت وكما ورد فى سفر الملوك الثانى أن يوشيا قد وقف فى وجه ملك مصر (الفرعون نخو) فقتله فى مَجَدُّو حين رآه (ملوك ثان ٢٣ : ٢٩ ــ ٣٠) .

(٥) كان حزقيا ممن يميلون إلى بابل وقد استقبل الوفد البابلى الذى بعثه اليه ملكهم مردوخ بلادان برسائل وهدايا فسمح لهم حزقيا وأطلعهم على أسرار ملكه وحين علم بذلك أشعيا تنبأ له بأن قومه سيساقون أسرى إلى بابل ويؤخذ من بيته من يكونون خصياناً فى قصر ملك بابل (ملوك ثان ٢٠ : ١٢ ــ ١٩) .

(٦) راجع ارميا ٣٦ : ١ ــ ٣٢ / ٤٦ : ١٣ ــ ٢٦ .

(٧) بنوخذ نصر هو ابن بنوبولاسر وخليفته وقد استمر فى الحكم مدة ثلاثة وأربعين عاماً (٦٠٥ ــ ٥٦٢ ق . م) وقيل من (٦٠٤ ــ ٥٦١ ق . م) وهو أعظم ملوك الكلدانيين وبلغت قوة بابل فى عهده ذروتها . =

ق . م) الذى قضى على سيادة المصريين بأن هزمهم فى موقعة قرقميش عام (٦٠٥ ق . م) (١) .

ويبدو أن بنوخذ نصر قد واصل السير بجيشه إلى فلسطين فدخلها ٦٠٤ ق . م وحينئذ اضطر يهوياقيم إلى الاستسلام له وأظهر الخضوع والطاعة مدة ثلاث سنوات « فى أيامه صعد بنوخذ نصر ملك بابل فكان له يهويا قيم عبداً ثلاث سنين ثم عاد فتمرد عليه » (٢) وذكر المؤرخون أن هذا التمرد كان فى عام ٦٠١ ق . م وكان بتشجيع من مصر (٣) ، ولكن بنوخذ نصر قضى على هذا التمرد فأرسل إليه جيشاً مؤلفاً من الكلدانيين والآرميين والمؤابيين والعمونيين حيث لم ير ضرورة الذهاب إليه بنفسه (٤).

لكنه بعد ذلك قام بشن حملة عليه فى عام ٥٩٧ ق . م إذ زحف بجيشه على أورشليم وبينما هو فى طريقه اليها مات يهوياقيم (٥) فخلفه ابنه يهوياكين الذى لم

= راجع الحديث عنه بالتفصيل بريستيد : العصور القديمة ، دى بورج : تراث العالم القديم جـ١ صـ٤٣ ، طه باقر : مقدمة فى تاريخ الحضارات القديمة جـ١ صـ٥٤٦ ومابعدها ، د / سامى سعيد الأحمد : سلالة بابل الحديثة ضمن العراق فى التاريخ صـ١٦٤ ـ ١٦٥ .

(١) راجع د / حتى : تاريخ سورية جـ١ صـ٢١٩ ، كاترين هنرى : التاريخ فى الكتاب صـ٨٨ د / عبد العزيز صالح : مصر والعراق صـ٣٠٣ ـ ٣٠٤ ، سليم حسن : مصر جـ٩ صـ٥٣٠ .

(٢) ملوك ثان ٢٤ : ١ ويذكر سفر الأخبار الثانى أن بنوخذ نصر قد قيده قبل أن يظهر خضوعه بسلاسل من نحاس ليذهب إلى بابل (٣٦ : ٦) .

(٣) د / عبد لعزيز صالح : مصر والعراق صـ٣٠٤ .

(٤) ملوك ثان ٢٤ : ٢ .

(٥) ذكربعض المؤرخين أن يهوياقيم قد مات ميتة طبيعية قبل أن يصل اليها بنوخذ نصر (راجع د / ميخائيل : مصر والشرق جـ٣ صـ٤١٢ جـ٥ صـ٣١٧ ، د / مهران جـ٨ صـ٩٨٩ نقلاً عن مصادر أجنبية) وهناك من يذكر أنه مات أثناء حصار بنوخذ نصر لأورشليم (طه باقر : مقدمة فى تاريخ الحضارات جـ١ صـ٥٤٧ ، د/ أحمد سوسة : مفصل العرب واليهود صـ٦٠٥ ، وقيل إنه قتل وطرحت جثته خارج أبواب أورشليم كما تنبأ له أرميا بأنه سيدفن دفن حمار (راجع ارميا ٢٢ : ١٨ ـ ١٩ / ٣٦ : ٢٧ ـ ٣٢ ، شولتر العهد القديم يتكلم صـ٣٠٣ ، د / حتى : تاريخ سورية جـ١ صـ٢١٩) .

يستغرق حكمه سوى ثلاثة شهور (١) .

وحين وصل بنوخذ نصر إلى أورشليم فرض عليها الحصار فاضطر يهوياكين الى الاستسلام فقام بنوخذ نصر بنهب ما فى أورشليم من خزائن الهيكل وخزائن بيت الملك وساق يهوياكين وأمه ونساءه ورجال الجيش ورؤساء اليهود وصناعهم أسرى إلى بابل (٢) ، وقد اختلفت الأسفار فى تحديد أعدادهم (٣) .

وكان تسليم يهوياكين لأورشليم انقاذاً لها من دمار محقق بل كان من ثمرة هذا الاستسلام أن عامل بنوخذ نصر المدينة برفق نسبى (٤) .

ويعتبر هذا السبى هو السبى الأول ليهود أورشليم إلى بابل ، وتنظر التوراة إليه على أنه مرحلة حاسمة فى تاريخ نهاية يهوذا فلقد تم فيه ابعاد حوالى عشرة آلاف رجل ـ على أرجح الآراء ـ سيكونون هم وأسرهم قرابة الثلاثين ألفاً من الناس معظمهم من أورشليم والبقية الباقية من مدن الجنوب (٥) .

على أن ذلك السبى لاتقاس أهميته فى الواقع بعدد المسبيين ولكن بنوعيتهم فقد سبيت العائلة المالكة والكهنة والأنبياء (٦) ، وفوق كل هؤلاء الجنود والصناع

---

(١) ملوك ثان ٢٤ : ٨ وزاد عليها سفر اخبار الايام الثانى عشرة أيام (٣٦ : ٩) .

(٢) راجع ملوك ثان ٢٤ : ١٠ ـ ١٦ .

(٣) فى عدد أفراد السبى كثير من المفارقات فهو مرة عشرة آلاف وأخرى ثمانية آلاف وثالثة ثلاثة آلاف وثلاثة وعشرون يصلون إلى أربعة آلاف وستمائة أحياناً على دفعات ، ويرجح أغلب العلماء أنهم كانوا عشرة آلاف .

راجع ملوك ثان ٢٤ : ١٤ ، ١٦ ، ارميا ٥٢ : ٢٨ ، د/ حتى : تاريخ سورية جـ١ صـ٢١٩ ول ديورانت : قصة الحضارة المجلد الأول الجزء الثانى صـ٣٥٧ ، طه باقر : مقدمة فى تاريخ الحضارات جـ١ صـ٥٤٧ ، د/ نجيب ميخائيل : مصر والشرق جـ٣ صـ٤١٢ ـ ٤١٣ .

(٤) هوامش موسكاتى للدكتور السيد بكر صـ٢٨٣ نقلاً عن مصادر أجنبية ، د/ نجيب ميخائيل مصر والشرق جـ٣ صـ٤١٢ .

(٥) راجع ملوك ثان ٢٤ : ١٠ ـ ١٤ ، ارميا ٢٤ : ١ ٢٧١ : ٢٠ / ٢٩ : ١ ـ ٢ ، د/ محمد بيومى مهران : دراسات فى تاريخ الشرق الأدنى جـ٨ صـ٩٩٠ .

(٦) ملوك ثان ٢٤ : ١٤ راجع د/ مهران : المصدر السابق نقلاً عن مصادر أجنبية .

والحرفيون وهذه المجموعة الأخيرة تكون الجيش ومعداته ولهذا فإن لذكرها أهمية خاصة ولعل مما يشير كثيراً إلى أهمية المنفيين قول التوراة أنه « لم يبق أحد إلا مساكين شعب الأرض » (١) .

وبهذا السبى يكون قد تم نفى خيرة الشعب ليبدأ بذلك عصر المنفى أو عصر السبى البابلى .

وإذا كان بنوخذ نصر قد قام بخلع يهوياكين ونفيه إلى بابل (٢) فإنه عين مكانه عمه متتنيا بن يوشيا ملكاً على يهوذا وغير اسمه إلى صدقيا (٣) ووعده بنوخذ نصر بالاحتفاظ بعرشه على أن يتعهد له بالولاء التام لبابل وأكد له هذا التعهد بأن استحلفه بالله (٤) .

وقد استمر صدقيا (٥) (٥٩٧ ـ ٥٨٦ ق . م) على ولائه وخضوعه لملك بابل طيلة أربع سنوات حتى « صار فيها كالعوبة أو دمية فى يده » (٦) .

ولكنه فى عام ٥٩٣ (٧) أو فى عام ٥٩٤ ق . م (٨) قام بأول حركة ثورية ضد الاحتلال البابلى إذ تم عقد تحالف سرى بين يهوذا وأدوم ومؤاب وعمون وصيدا وصور بحضور صدقيا فى أورشليم (٩) بقصد القيام بحركة عامة ضد بابل .

ولكن لم يقدر لهذه الحركة النجاح وإنما باءت بالفشل بل ربما انتهت إلى

---

(١) من أبرز الأنبياء الذين تم اسرهم فى هذا السبى النبى حزقيا (راجع ول ديورانت : قصة الحضارة مجلد ١ جـ٢ صـ٣٦١ ، د / فيليب حتى : تاريخ سورية جـ١ صـ٢١٩ ، صموئيل شولتر : العهد القديم يتكلم صـ٤٧٧ .

(٢) تذكر الأسفار أن يهوياكين بقى مسجوناً وقربه إليه وأكرمه (ملوك ثان ٢٥ : ٢٧ ـ ٣٠ ، ارميا ٥٢ : ٣١ ـ ٣٤) .

(٣) ملوك ثان ٢٤ : ١٧ ، أخبار ثان ٣٦ : ١٠ ، ولا يخفى أن تغيير الاسم ينبيء عن سيادة بنوخذ نصر ومدى خضوع وتبعية صدقيا .

(٤) اخبار ثان : ٣٦ : ١٣ .

(٥) آخر ملوك يهوذا .

(٦) شولتر : العهد القديم يتكلم صـ٣٠٤ .

(٧) الأدب ديلى : تاريخ شعب العهد القديم صـ٧٦٠ .

(٨) د / نجيب ميخائيل : مصر والشرق الأدنى جـ٣ صـ٤١٣ .

(٩) ارميا ٢٧ : ٣ .

التشكيك في نوايا صدقيا وفي ولائه ، إذا أنه استدعى إلى بابل ليحاسب عن أعماله وليقدم تفسيراً عن كل ذلك (١) .

ولكن حدث بعد ذلك وفي عام ٥٨٨ ق . م أن صدقيا أعلن تمرده على ملك بابل وقام بحركة جديدة ـ بتشجيع من مصر ـ للتخلص من النير البابلي (٢) .

وانقسم أهل يهوذا في ذلك الوقت إلى فريقين : فريق يتزعمه صدقيا ويتكلم باسمه (النبي) حننيا ويدعو إلى كسر النير البابلي باسم الرب ويعلن أن قبضة البابليين خشبية ويجب أن تكسر (٣) .

والفريق الآخر يتزعمه (النبي) ارميا الذي أخذ يتحرك منذراً بفمه وبنير من الخشب يحمله على كتفيه مشيراً إلى أن نير بابل سيظل على كواهل الشعب بأمر يهوه وأن محاولة التخلص منه عبث لاطائل وراءه (٤) .

وحينما كسر حننيا منه نير الخشب أعلن أن الرب قد استبدله بنير من الحديد وأن قبضة البابليين حديدية ولن تتمزق (٥) .

وأخذ يتنبأ بأن ملك مصر سوف يعود إلى بلده وأن البابليين سوف يستولون على أورشليم ويحرقونها وأنه يجب وضع أعناق الأمة تحت نير ملك بابل بأمر الرب أيضاً ، وهكذا كان شأن من يدعون النبوة من بني اسرائيل إلا من عصم (٦) .

ولذلك فإن ول ديورانت يذكر أن ارميا كان من أشد الأنبياء حقداً على قومه

---

(١) ارميا ٥١ : ٥٩ (راجع د . ميخاذيل : مصر والشرق جـ٣ صـ٤١٣ ـ ٣١٤ ، د / محمد مهران جـ٨ صـ٩٩٩ نقلاً عن مصدر أجنبي .

(٢) ملوك ثان ٢٤ : ٢٠ ، أخبار ثان ٣٦ : ١٣ ، حزقيا ١٧ : ١٥ .
وقد حددها العلماء بهذا التاريخ على أساس أن حزقيا تولى عام ٥٩٧ ويذكر السفر أن التمرد كان في السنة التاسعة من حكمه (٥٨٨ ق . م) .

(٣) راجع ارميا ٢٨ : ١ ـ ٤ والنبي حننيا كان أحد الأنبياء المعاصرين لارميا (راجع قاموس الكتاب المقدس صـ٣٢٤) .

(٤) راجع د / ماير : حياة ارميا صـ٢١٩ ، د / نجيب ميخائيل : مصر والشرق جـ٣ صـ٤١٣ ، د / عبد العزيز صالح : مصر والعراق صـ ٣٠٦ ، ٥٥٦ .

(٥) راجع ارميا ٢٨ : ١٠ ـ ١٤ .

(٦) د / عبد العزيز صالح المصدر السابق .

يدافع عن بابل ويعلن فى الملأ أنها سوط عذاب فى يد الله ، ويتهم حكام يهوذا بأنهم بلهاء معاندون وينصحهم بأن يسلموا أمرهم كله إلى بنوخذ نصر ، حتى ليكاد من يقرأ أقواله (١) فى تلك الأيام يظن أنه من صنائع بابل المأجورين (٢) .

وعلى أى حال فإن صدقيا ـ كما تذكر الأسفار ـ لم يسمع هو ولا عبيده ولا شعب الأرض لكلام الرب الذى تكلم به عن يد ارميا (النبى) (٣) واستمر فى تمرده على ملك بابل .

وما إن علم بنوخذ نصر بهذا التمرد حتى استشاط غضباً وزحف بجيش كثيف على مملكة يهوذا (٤) فأخذ يسقط مدنها الواحدة (٥) تلو الأخرى حتى وصل إلى أورشليم فحاصرها واستمر حصاره لها حوالى ثمانية عشر شهراً (٦) .

---

(١) ومن بعض أقوال ارميا ما ورد فى سفره « قال رب الجنود اله اسرائيل هكذا تقولون لسادتكم انى أنا صنعت الأرض والانسان والحيوان الذى على وجه الأرض بقوتى العظيمة وبذراعى الممدودة وأعطيتها لمن حسن فى عينى والآن قد دفعت كل هذه الأراضى ليد بنوخذ نصر ملك بابل عيدى وأعطته أيضا حيوان الحقل ليخدمه فتخدمه كل الشعوب وابنه وابن ابنه حتى يأتى وقت أرضه أيضا فتستخدمه شعوب كثيرة وملوك عظام أو يكون أن الأمة التى لا تخدم بنوخذ نصر ملك بابل والتى لا تجعل عنقها تحت نير ملك بابل أنى اعاقب تلك الأمة بالسيف والجوع والوباء ، يقول الرب حتى أفنيها بيده فلا تسمعوا أنتم لأنبيائكم وعرافيكم وحاليكم وعائقكم وسحرتكم الذين يكلمونكم قائلين لاتخدموا ملك بابل لأنهم إنما يتبأون لكم بالكذب لكى يبعدوكم من أرضكم ولأطردكم فتهلكوا والأمة التى تدخل عنقها تحت نير ملك بابل وتخدمه أجعلها تستقر فى أرضها وتعملها وتسكن بها .

(ارمسا ٢٧ : ٥ ـ ١١) .

وحدث ارميا بهذا الكلام صدقيا وكلم به الكهنة (ارميا ٢٧ : ١٢ ـ ١٨) .

وكتب بمثله أيضاً إلى المنفيين فى بابل من أهل السبى الأول وأخبرهم بأن الرب سيذكرهم بعد سبعين عاما من إقامتهم فى بابل ويردهم إلى أورشليم . (ارميا ٢٩ : ١٠) .

(٢) قصة الحضارة مجلد ١ جـ٢ صـ٣٥٨ . (٣) اخبار ثان ٣٦ : ١٢ .

(٤) ارميا ٣٧ : ١ ـ ٢ . (٥) ملوك ثان ٢٥ : ١ .

(٦) تولى صدقيا الحكم عام ٥٩٧ ق م وتذكر الأسفار أن جيش بنوخذ نصر حاصر أورشليم فى الشهر العاشر من العام التاسع من حكم صدقيا أى ما يوافق أواخر عام ٥٨٨ ق . م وتم فتحها فى الشهر الرابع من السنة الحادية عشرة من حكمه أى ما يوافق أوائل عام ٥٨٦ ق . م فتكون مدة الحصار حوالى ثمانية عشر شهراً أى مايعادل عاماً ونصف العام (راجع ارميا ٣٩ : ١ ـ ٢ (ملوك ثان ٢٥ : ١ ـ ٣) .

وإن كان قد تم رفع الحصار مؤقتاً حينما اضطر البابليون لمحاربة الجيش المصرى الذى خرج لنجدة المحاصرين جاء فى سفر ارميا « وخرج جيش فرعون من مصر ، فلما سمع الكلدانيون المحاصرون أورشليم بخبره صعدوا عن أورشليم (١) .

وحين رفع الحصار فرح اليهود وأملوا فى الخلاص من البابليين ولكن ارميا خيب أملهم بقوله « هب ان جيش فرعون الخارج إليكم لمساعدتكم يرجع إلى أرضه إلى مصر ويرجع الكلدانيون ويحاربون هذه المدينة ويأخذونها ويحرقونها بالنار هكذا قال الرب لاتخدعوا أنفسكم قائلين : إن الكلدانيين سيذهبون عنا لأنهم لايذهبون(٢) .

وقد وقع فعلاً ماتنبأ به ارميا إذ تمكن البابليون من صد المصريين وارجاعهم على أعقابهم ثم استأنفوا فرض الحصار على اورشليم ولكن بشكل أكثر عنفاً وأشد قسوة من ذى قبل ، وبدأ المحاصرون يحسون بوطأته بسبب تفشى المجاعة وماصاحبها من ذعر واضطراب (٣) .

وأخيراً تمكن الجيش المحاصر من التسلل إلى المدينة بعد أن أحدثوا ثغرة فى أحد أسوارها فغدا الموقف ميئوساً منه وحاول صدقيا الهرب بأسرته ومعه رجال جيشه

(١) ارميا ٣٧ : ٥ سبق أن أشرت إلى هذا الفرعون الذى يسمى فى التوراة « خفرع » وقد اشتهر عند الإغريق باسم ابريس (ارميا ٤٤ : ٣٠ مصر والعراق صـ٣٠٥) .

(٢) راجع ارميا ٣٧ : ٦ ـ ١٠ ، تاريخ شعب العهد القديم صـ٢٩٠ ـ ٢٩١ ، وقد خيل إلى الأمراء فى حاشية صدقيا أن كلام ارميا هذا غدر بالوطن وخيانة له وتفريق لآراء اليهود وأرواحهم فى ساحة المحنة ولكنه لم يعبأ بأقوالهم وأخذ يسخر منهم ويتنبأ بخراب أورشليم وحاول الكهنة اثناءه عن عمله هذا بوضع رأسه فى الدهق ولكنه وهو فى هذا الوضع ظل يشهر بهم فما كان منهم إلا أن يستدعوه إلى الهيكل وأرادوا قتله غير أنه استطاع أن يفلت منهم بمعونة صديق له من الكهنة ثم قبض عليه الأمراء وربطوه فى حبال وأنزلوه فى بئر مملوءة بالوحل ، ولكن صدقيا خفف هذا العقاب بأن سجنه فى فناء القصر وفيه وجده البابليون حين سقطت أورشليم فى أيديهم وأمر بنوخذ نصر رجاله أن يحسنوا معاملته وأن يعفوه من قرار النفى العام (راجع ارميا ٣٧ : ١١ ـ ٢١ / ٣٨ : ١٠ ـ ١٣ ، قصة الحضارة مجلد ١ جـ٢ صـ٣٦٠ .

(٣) راجع أخبار تلك المجاعة وذلك الاضطراب فى الاصحاح الأول من مراثى ارميا وسفر ارميا ٢١ : ٧ ـ ٩ ، ملوك ثان ٢٤ : ٣ ـ ٤ ، راجع أيضاً د / حتى : تاريخ سورية جـ١ صـ٢٢٠ ، د / نجيب ميخائيل : مصر والشرق الأدنى القديم جـ٣ سورية صـ٤١٥ ، د : أحمد سوسة : مفصل العرب واليهود فى التاريخ صـ٦٠٦ .

ولكن الكلدانيين أخذوا فى مطاردتهم حتى أدركوا الملك فى أريحا ـ وقد تفرق عنه جيشه ـ فقبضوا عليه وحملوه إلى معسكر بنوخذ نصر في ربلة (١) وهناك ذبحوا أبناءه أمامه ثم فقأ الملك عينيه امعاناً فى اذلاله وليكون ذبح أبنائه آخر مشهد يراه بهما ، ثم قيدوه بالسلاسل ليعودوا به مغلولاً إلى بابل (٢) .

وبعد حوالى شهر من الزمان قام الجيش الكلدانى بتدمير أورشليم تدميراً كاملاً إذ أحرق أفراد بيت الرب وبيت الملك بعد أن نهبوا ما فيها من كنوز وخزائن وأحرقوا كل بيوت عظماء أورشليم وهدموا جميع أسوارها وقبضوا على الآلاف من اليهود فحملوا بعضهم إلى ملكهم فى ربله فقتلهم وقاموا بسبى الذين بقوا من السيف ـ كما يعبر السفر ـ إلى بابل فكانوا للملك بابل ولبنيه عبيداً إلى أن ملكت مملكة فارس .

ولم يبق فى أرض يهوذا إلا مساكين الأرض من الكرامين والفلاحين (٣) وقد تم تدمير أورشليم وترحيل صدقيا ومن معه من اليهود المسبيين إلى بابل فى عام ٥٨٦ ق . م (٤) .

ويسمى هذا السبى بالسبى الثانى إلى بابل ، واختلف العلماء فى تحديد أعداد الذين سبوا فيه فقدرهم البعض بنحو خمسين ألفاً (٥) وقدرهم البعض الآخر بحوالى أربعين ألفاً (٦) .

---

(١) مدينة فى أرض حماة عسكر فيها بنوخذ نصر قريباً من أورشليم (راجع قاموس الكتاب المقدس صـ٣٩٨) .

(٢) راجع تفاصيل هذه الاحداث فى سفر الملوك الثانى ٢٥ : ٣ ـ ٧ ، ارميا ٣٩ : ٢ ـ ٧ .

(٣) راجع تفاصيل ذلك فى : سفر الملوك الثانى ٢٥ : ٨ ـ ٢١ ، وأخبار الايام الثانى ٣٦ : ١٧ ـ ٢١ ، ارميا ٣٩ : ٨ ـ ١٠ .

(٤) هناك شبه اجماع من المؤرخين على أن التدمير والسبى الثانى تم فى هذا التاريخ ٥٨٦ ق . م اعتماداً على نصوص التوراة ومقارنتها بالآثار التاريخية (راجع على سبيل المثال موسكاتى : الحضارات السامية : صـ٧٠ ، ٧١ ، بريستيد : العصور القديمة صـ٣٠ ، ويلز : معالم تاريخ الانسانية مجلد ٢ ك ٤ صـ٢٩٧ ـ ٢٩٨ .

(٥) د / فيليب حتى : تاريخ سورية جـ١ صـ٢٢٠ ، سليم حسن : مصر جـ٩ صـ٥٣٢ ، د / أحمد سوسة : مفصل العرب واليهود فى التاريخ صـ٦٠٦ .

(٦) طه باقر : مقدمة فى تاريخ الحضارات جـ١ صـ٥٤٨ ، د / نجيب ميخائيل : مصر والشرق الأدنى القديم جـ٥ صـ٣٢٠ .

وهكذا دمرت أورشليم وصارت قاعاً صفصفاً ، وسقطت مملكة يهوذا بعد أن خربت السامرة وسقطت مملكة اسرائيل من قبل .

وقد لخص ويلز تاريخ المملكتين ونهايتهما بقوله « ويصبح تاريخ ملوك اسرائيل وملوك يهوذا تاريخ ولايتين صغيرتين بين شقى الرحى تعركهما على التوالى سوريا ثم بابل من الشمال ومصر من الجنوب .

وهى قصة نكبات وتحررات لاتعود عليهم إلا بارجاء نزول النكبة القاضية ، هى قصة ملوك همج يحكمون شعباً من الهمج ، حتى إذا وافت سنة (٧٢٢ ق . م) محت يد الأسر الأشورى مملكة إسرائيل من الوجود وزال شعبها من التاريخ زوالاً تاماً ، وظلت مملكة يهوذا تكافح حتى حل بها ماحل بإسرائيل وكان ذلك عام (٥٨٦ ق . م) (١) .

وتكاد الأحداث تكون متشابهة فى المراحل التى مرت بالسامرة وأورشليم وأدت إلى انهيارها وسقوطها (٢) .

إلا أن الملك البابلى قد اختلف عن نظيره الأشورى فى أنه لم يقم بترحيل كل اليهود من أورشليم وإنما أبقى منها ـ كما أشرت من قبل ـ عدداً من البائسين والتعساء (مساكين شعب الأرض) (٣) .

---

(١) موجز تاريخ العالم صـ٩٣ .

(٢) من أوجه التشابه والتماثل التى لاحظها المؤرخون أن أمر الملكية قد انتهى فى المملكة الشمالية بستة من الملوك حكموا مدى عشرين عاماً لم يمت منهم ميتة طبيعية سوى مناحم وفى المملكة الجنوبية نلتقى كذلك ستة ملوك فى آخر عهدها بالمملكة لاينجو من بنيهم من القتل أو الأسر سوى يهوياقيم وإن كان أحراهم بهذا المصير .

وكما كان هناك نبيان يرقبان سقوط اسرائيل : واحد من الداخل والآخر من الخاصرج وهما هوشع واشعيا فإن الأمر كذلك بالنسبة ليهوذا إذ كان هناك ارميا وحزقيا فى نفس الموضع ، أما معول تدمير السامرة وانهيارها فكانت أشور وأما سقوط أورشليم فكان على يدى بابل .

راجع د / نجيب ميخائيل : مصو والشرق الأدنى القديم جـ٣ صـ٤١٠ .

محمود نعناعة : المشكلة اليهودية وهل تحلها اسراذيل صـ٢٩٣ مكتبة الانجلو المصرية .

(٣) ملوك ثان ٢٥ : ١٢ .

وهو أيضاً لم يعين أحد البابليين حاكماً على أورشليم ـ كما فعل ملك أشور حينما عين أحد الأشوريين حاكماً على السامرة ـ وإنما أقام على اليهود واحداً منهم(١) .

وكان من الدعاة المتحمسين للاحتلال البابلى ومن المشجعين عليه إذ أنه قال لقومه « لا تخافوا من عبيد الكلدانيين اسكنوا الأرض وتعبدوا لملك بابل فيكون خيراً لكم » (٢) .

ولكن بعد سبعة أشهر من تعيينه خرج عليه أحد أفراد النسل الملكى (٣) ومعه عشرة من الرجال فقتلوه هو ومن معه من اليهود والكلدانيين (٤) .

ويذكر سفر ارميا أن الكلدانيين قد سبوا مجموعة من اليهود فى عام ٥٨٢ ق . م بلغ عددها سبعمائة وخمسة وأربعين فرداً ويسمى هذا السبى بالسبى الثالث إلى بابل(٥) .

وهكذا تم السبى البابلى على ثلاثة مراحل :

المرحلة الأولى : كانت فى عام ٥٩٧ ق . م واختلف فى عدد المسبيين فيها ، وإن كان غالبية العلماء يرجحون أنهم عشرة آلاف .

المرحلة الثانية : كانت فى عام ٥٨٦ ق . م واختلف أيضاً فى عدد المسبيين ما بين أربعين ألفاً وخمسين ألفا كما سبق .

المرحلة الثالثة : وقد اعتمد فيها المؤرخون ما ورد فى سفر ارميا من أنهم كانوا

---

(١) واسمه جداليا بن أخيقام .　　(٢) راجع ملوك ثان ٢٥ : ٢٤ ارميا ٤٠ : ٩ .

(٣) ويسمى اسماعيل بن نثنيا .

(٤) ملوك ثان ٢٥ : ٢٥ وقد ورد فى سفر ارميا تفاصيل قتله وما تلاه من أحداث حيث أقاموا له وليمة ثم ائتمروا به وقضوا عليه (راجع ارميا ٤١ : ١ ـ ١٨) .

(٥) ارميا ٥٢ : ٣٠ .

ولقد تولى بنوخذ نصر حكم بابل عام ٦٠٥ ق . م وسفر ارميا يذكر أن هذا السبى الثالث قد تم فى السنة الثالثة والعشرين من حكمه فلو أضفنا الخمس سنوات المتبقية من القرن السابع إلى ثمانية عشر عاماً من القرن السادس يكون التاريخ ٥٨٢ ق . م وقد اتفق على ذلك معظم المؤرخين .

سبعمائه وخمسة وأربعين فرداً .

حالة يهوذا بعد سقوطها :

وبذلك فإن اليهود بعد سقوط مملكة يهوذا قد تفرقوا إلى ثلاث مجموعات :

المجموعة الأولى : وهم الذين تم سبيهم إلى بابل .

المجموعة الثانية : وهم الذين سمح لهم بالإقامة فى بلاد يهوذا .

المجموعة الثالثة : وهم الذين هاجروا إلى مصر خوفاً من البابليين .

فأما الذين هاجروا إلي مصر فقد أقاموا واتصلوا بالمصريين واختلطوا بهم وعبدوا آلهتهم كما سبق أن أشرت .

وأما الذين بقوا فى بلاد يهوذا فقد كان عددهم كبيراً (١) إذ أن البلاد لم تخل خلواً تاماً من سكانها إذ ظل أكثر أهل الريف فى مواطنهم (٢) ، فكانت يهوذا على أيه حال أبعد من أن تكون قد أفرغت ـ كالسامرة ـ من أهلها أو أتلفت أو دمرت دون أن تزرع (٣) بل إن هناك ما يشير إلى استقدام وفود جدد إليها ليحلوا محل من أخذوا للسبى (٤) .

ولعل أفكار هذه الوفود أثرت تأثيراً دقيقاً جداً فى تشكيل التقاليد الأدبية العبرية من جديد فى فترة مابعد السبى (٥) .

وأيضاً فإن بلاد يهوذا قد اشتد فيها الاتصال بين اليهود والفلسطينيين والعمونيين والمؤابيين وكثر التزاوج بينهم مما أدى إلى نشوء طبقة حديدة تفسر نشأتها مظاهر الانحطاط الدينى التى تجلت بعد ذلك (٦) .

---

(١) حزقيا ٣٣ : ٢٤.   (٢) د / المسلى : سقوط أورشليم وأهميته العالمية صـ٦٣٩ ، تيودور روبنسون : اسرائيل فى ضوء التاريخ صـ١٢٥ .

(٣) د / نجيب ميخائيل : مصر والشرق الأدنى القديم جـ٣ سورية صـ٤١٨ .

(٤) من هذه الوفود القينيون والقنزيون والكليبيون الذين كانوا يتعرضون لضغط الأدوميين (راجع المصدرين السابقين) .

(٥) سقوط اورشليم صـ٦٣٩ .   (٦) د / نحيب ميخائيل : مصر والشرق جـ٣ صـ٤١٩

هذا بالإضافة إلى أن وجود البابليين كحكام وكحامية على هذه المجموعة قد أدى إلى قيام المعبودات البابلية والاعتراف بها بينهم (١) .

وأما الذين سبوا إلى بابل فبالرغم من أنهم استقروا فى احدى مناطقها (٢) ، ولم يشردوا فى أماكن شتى ـ كسكان السامرة فى السبى الأشورى ـ إلا أن هذا الاستقرار لم يخل من خطر الاستكانة والاستسلام إذ أن هذا السبى قد أدى إلى اندثار أمتهم وأصبحوا هم عبيداً لسادتهم يسخرونهم فى الأعمال الوضيعة الشاقة وتعمدوا أن يقتلوا فى نفوسهم عصبيتهم القومية ونعرتهم الدينية ليأمنوا تمردهم وعصيانهم فلم يلبث اليهود بالفعل أن فقدوا شخصيتهم وخف لديهم الشعور الوطنى ونضبت عندهم العاطفة الدينية (٣) .

وبخاصة أن هذا الاستقرار قد ساعد الأغلبية منهم على أن يختلطوا بالبابليين اختلاطاً شديداً فتعاملوا معهم بالتجارة حتى ازدادت ثروتهم فى أرض بابل بالزراعة حتى ارتبطوا بها تهيأ لهم الاطلاع على الثقافة الكلدانية حتى امتزجوا بها امتزاجاً كاملاً فأدى ذلك إلى أن تعودوا عادات الكلدانيين وتخلقوا بأخلاقهم وعبدوا آلهتهم(٤) .

وقد تنبه إلى خطورة ذلك الامتزاج وأثره على الديانة اليهودية نبيهم حزقيال الذى حاول بشتى الطرق أن يبقى على نفسية بنى وطنه المنفيين ويؤخر اندماجهم فى الثقافة البابلية وفى الدم البابلى وأخذ يحذرهم من عواقبه الوخيمة ، ولكنهم كانوا قد

---

(١) من هذه المعبودات ملكة السماء عشتار وقد احتج ارميا على عبادتها (ارميا ٤٤ : ١٨ ، ١٩ وأقام اليهود تماثيل للآلهة البابلية ومارس نساؤهم طقوس الاله تموز (حزقيا ٨ : ٢ ، ١٤) راجع تفاصيل ذلك د / نجيب ميخائيل : مصر والشرق جـ٣ صـ٤١٩ .

(٢) هذه المنطقة كانت تسمى نهر الخابور وهذا النهر عبارة عن قناة كبيرة فى جنوب شرق بابل وقد استقر اليهود المسبيون حولها (راجع حزقيا ١ : ١ ، ٣ ، ٣ : ١٥ ، ٢٣ / ١٠ : ١٥ ، ٢٠ قاموس الكتاب المقدس صـ٣٣٤) .

(٣) الأب ديلى : تاريخ شعب العهد القديم صـ٣٠٧ ، زكى شنودة : المجتمع اليهودى صـ٤٣١ ، ٤٣٢ .

(٤) راجع ويلز : معالم تاريخ الانسانية مجلد ٢ك ٤ صـ٢٨٢ ، الأب ديلى : تاريخ شعب العهد القديم صـ ٣٠٧ ـ ٣٠٨ ، شاهين مكاريوس : تاريخ الاسرائيليين صـ٣١ .

أثروا وحسنت حالـهم فى أرض الجزيرة الغنية وسرعان مـازاد عددهم ونمت ثروتهم وأيسروا فيمـا عاد به عليهم خضوعهم للبابليين من هدوء ووفـاق لم يتعودوهما من قبل .

وأخـذت طائفـة منهم مطردة الزيادة تعبـد الآلهـة البـابليـة وتـألف الأسـاليب الشهوانيـة الشائعة فى العاصـمة القديمة ، وبعـد بضع سنوات أصبح اليهود يتسمون بأسمـاء بابلية ويسيـرون على التقويم البـابلى وأخذوا يهـملون العبرانيـة وأشرب أبناء الطبقات المتعلمة أفكاراً جديدة لم يكن بنو اسرائيل يعـرفون عنها شيئاً من قبل ، حتى إذا كان الجيل الثانى من أبناء المنفيين كـانت ذكرى أورشليم قـد محيت أو كادت تمحى من أذهانهم (١) .

هذا ومما ساعد على تقبل المسبيين للأفكار الوثنيـة أنهم أصيبوا بالهزيمة الداخلية أمام قوة البابليين ومجدهم وضعفوا أمام اغراءات العبادات البابلية وطقوسها .

فقد كان لانتصار بابل وهى فى أوج مجدها وقمة عزها شأن فى الانحلال العام الذى أصاب المسبيين ، فهذه المـدينة الزاهرة التى يشهدونها وهذا المجـد الباهر الذى يكلل هامة الغـالـب وهذه الطقوس الدينية تتـجلى فى الطواف بالآلهة التى إليهـا تعزو بابل انتصاراتها .

كل ذلك أدى إلى شكهم فـى عقيـدتهم فى الهـهم وشكهم فى التعـاليم التى تلقـوها عن أنبيـائهم فاستولت عليـهم الكآبة وتملك الحـزن قلوبهم ، واندفعـوا بكل قوتهم نحو الوثنية البابلية التى ارتفعت بانتـصار بنوخذ نصر وازدهرت ازدهاراً كبيراً فى عهد بنو نيدس (٥٥٥ ـ ٥٣٩ ق . م) (٢) .

---

(١) راجع ول ديورانت : قـصة الحـضارة الجـزء الثـانى من المجلد الأول صـ٣٦٢ ، الأب ديلى : تاريخ شعب العهد القديم صـ٣٠٧ اسرائيل ولفنسون : تاريخ اللغات السامية صـ٨٩ .

(٢) راجع الأب ديلى : تاريخ شـعب العهـد القديم صـ ٣٠٨ ـ ٣٠٩ ، بريـستيـد : العصـور القديـمة صـ٢٣١ ، موسكاتى : الحضارات السامية القـديمة صـ٧١ ، ويلز : معالم تاريخ الانسانية مجلد ٢ ك ٤ صـ٢٩٩ ، طه باقر : مـقدمـة فى تاريخ الحضارات جـ١ صـ٥٥٠ ، د / عـبد العـزيز صالح : مصر والعراق صـ٥٦٢ ـ ٥٦٣ .

ومما يذكر عن بنونيـدس (آخر ملوك الدولة الكلدانية) أنه كان مـولعاً بدراسة الآثار وبذل جهداً كـبيراً لاعادة واحياء اقدم صور العبادة البابلية .

وقد تهيأ لليهود أيضاً فى فترة السبى البابلى الاطلاع على الثقافات القديمة الأخرى بجانب الثقافة البابلية إذ أن الشرق الأدنى فى عهد بنوخذ نصر كان كما يقول ول ديورانت كأنه بحر خضم يتلاطم فيه خليط من الآدميين من مختلف الشعوب والأجناس (١) .

وفى هذا المناخ الثقافى العالمى بدأ جمع العهد القديم ، فأهمية السبى البابلى فى التاريخ اليهودى القديم تبرز أكثر ما تبرز فى أن العهد القديم الذى ظهر فى التاريخ فى القرن الرابع أو الخامس ق . م ـ فيما يقول ويلز ـ قد جمع شتاته لأول مرة فى بابل ـ حيث أن الشعب اليهودى فى أثناء السبى البابلى قد جمع تاريخه بعضه إلى بعض وطور تقاليده ونماها (٢) .

ذلك أن اليهود الذين عادوا بعد فترة تزيد على الجيلين إلى أورشليم من بابل أيام الملك (قورش) كانوا شعباً مختلفاً جد الاختلاف فى الروح والمعارف عن أولئك اليهود الدين خرجوا منها مأسورين لأنهم تعلموا الحضارة من البابليين (٣) .

والحقيقة المجردة المستخلصة من رواية الكتاب المقدس ـ وكما يذكرها ويلز أيضاً ـ هى أن اليهود ذهبوا إلى بابل همجاً وعادوا منها ممدنين وذهبوا وليس لهم أدب مشترك معروف بينهم كافة وعادوا إلى أورشليم ومعهم الشطر الأكبر من مادة العهد القديم (٤) .

ويرجع ذلك ـ كما يعتقد معه كثير من الأعلام والثقات ـ إلى أن اليهود قد اختلطوا بالبابليين فى فترة السبى البابلى اختلاطاً عنصرياً وفكرياً عظيماً (٥) .

وأصبح الآن من الأمور البديهية لدى العلماء والمؤرخين أن البابليين كان لهم أثر كبير على الديانة اليهودية فى أثناء السبى البابلى (٦) .

---

(١) قصة الحضارة : الجزء الثانى من المجلد الأول صـ٣٠٠ ، راجع أيضاً طه باقر : مقدمة فى تاريخ الحضارات القديمة الجزء الأول صـ٥٨٤ .

(٢) موجز تاريخ العالم صـ٨٩ ، ٩٤ ، راجع أيضاً الأب ديلى : تاريخ شعب العهد القديم صـ١٥٦ .

(٣) موجز تاريخ العالم صـ٩٤ ، معالم تاريخ الانسانية مجلد ٢ ك صـ٢٩٨ .

(٤) معالم تاريخ الانسانية مجلد ٢ ك ٤ صـ٢٩٨ . (٥) المصدر السابق صـ٢٨٢ .

(٦) دى بورج : تراث العالم القديم جـ١ صـ٤٤ ،طه باقر : مقدمة فى تاريخ الحضارات جـ١ صـ٥٤٨ .

المبحث السادس: الاضطهاد اليوناني والشتات الهليني :

لقد سبق أن أشرت إلى أن اليهـود سواء منهم من عادوا إلى اورشليم بعد السبى أو من بقوا فى بابل ـ عاشوا تحت ظـلال الحكم الفارسى ، وكان ذلك من عام ٥٣٩ ـ وهو العـام الذى اسـتولى فيـه كورش على بابل ـ إلى عام ٣٣٢ وهو العـام الذى استولى فيه الاسكندر الأكبر على فلسطين (١) .

وباستيلاء الاسكندر على فلسطين بما فيهـا بلاد يهوذا يبدأ الحكم اليونانى لليهود أو مايسمى بالعهد الاغريقى فى التاريخ اليهودى والذى يستمر إلى عام ٦٣ ق . م .

هذا وقد ورد أن الاسكندر الأكبر حـينما دخل أورشليم استقبل استقـبالا حافلا من اليهـود فقدم له رئيس الكهنة فروض الـطاعة وهتف الشعب له بالدعاء وسـرعان مادانوا له بالخضوع والولاء (٢) .

---

(١) استيلاء الاسكندر الأكبر على فلسطين فى عام ٣٣٢ ق . م من الأمور المشهورة والمجمع عليها لدى المؤرخين (راجع على سـبيل المثال : أولبـرايت : آثار فلسـطين صـ١٤٣ ، شاهـين مكاريوس : تاريخ الاسرائيليين صـ٢٣ .

(٢) أشار الفصل الأول من سفر المكابيين الأول اشارة خاطفة إلى الاسكندر المقدونى وفتوحاته ويذكر يوسيفوس اليهـودى أنه حين صـعد إلى أورشليم اسـتقبله الشـعب يتقدمـهم الكاهن الأعظم فأكـرمهم إكراماً زائداً وأبدى احترامـا كبيرا للهيكل ، وقيل انه قام بتقديم القـرابين لاله اليهود ، وقد أطلعه رئيس الكهنة على نبوءات دانيـال النبى التى تقول بأن ملكا عظيمـا سيقضى على دولة الفرس وأخبره بأنه هو الملك المقـصود فطرب الاسكندر لذلك وسـر به ، ولم يلبث أن دان له كل اليهـود والسامـريين وانتظم كثيـرون منهم فى جيشه حتى قيل إنه خصص حيـا كاملا لاقامتـهم بمدينة الاسكندرية (راجـع مكابيين أول ١ : ١ ـ ٥ ، شـاهين مكاريوس : تاريخ الاسـرائيليين صـ٣٣ ـ ٣٥ ، زكـى شنودة : اليـهـود صـ٣٤٩ ـ ٣٥٠ ، محـمد عزة دروزة : تاريخ بنى اسـرائيل من أسـفـارهم صـ٩٩ قامـوس الكتـاب المقدس صـ١٠١) .

وإن كـان الدكتـور مصطفى عبـد العليم يذكر أن هـذه الرواية تقابل بالرفـض من كثير من المؤرخين وخاصة فيما يتعلق بتخـصيص حى لليهود بالاسكندرية وقـيام الاسكندر بتـقـديم القـرابين لاله اليهـود (راجع تحقيق ذلك فى كتابه : اليهود فى مصر فى عصرى البطالمة والرومان صـ٣٠ ـ ٣٣) .

ولكن بعد موت الاسكندر عام ٣٢٣ ق . م تمزقت امبراطوريته المترامية الأطراف وتسابق قواده فيما بينهم وطمع كل منهم أن يفوز بأحسن أقسامها ، ويهمنا فيما يتعلق بتاريخ اليهود أن نشير إلى اثنين منهم وهما : بطليموس الذى استولى على مصر وأسس فيها أسرة البطالمة أو البطالسه ، وسلوقس الذى استولى على بابل ثم على سورية وأسس فيها أسرة السلوقيين (١) .

أما أرض اليهود أو بلاد يهوذا فكانت أولا من نصيب لاوميدون ثم صارت بعد ذلك مثار نزاع عنيف بين البطالمة والسلوقيين (٢) .

وقد استمر هذا النزاع وأدى إلى قيام حروب بين الدولتين وتبادل فيها الطرفان النصر والهزيمة كما تعرض فيها اليهود للشدائد والمحن ، وربما بسبب تقلب الحكم من دولة لأخرى وربما لأن القوم بطبيعتهم كانوا يندمجون فى الدسائس والمؤامرات (٣) .

وبموت الاسكندر الأكبر يبدأ مايسمى بالعصر الهلليني أو الهلنستي وهو يطلق على القرون الثلاثة التى أعقبت موته أو المدة التى نشرت فيها المدنية اليونانية أعلامها فى العالم القديم طرا ولاسيما الشرق الذى كان لثقافته تأثير كبير عليها (٤) .

ويذكر ول ديورانت أن تاريخ اليهود فى هذا العصر يدور حول نزاعين أو

---

(١) يذكر المؤرخون أن قواده قد عقدوا مؤتمراً فى بابل بعد موته مباشرة (٣٢٣ ق . م) ليقتسموا الامبراطورية وتسابقوا فى الحصول على أكبر رقعة منها وانطوى هذا التسابق على حروب طويلة دامية وعانى الشرق الادنى بسببها فترة من الاضطراب والفوضى ، ويبرز من هؤلاء القواد أربعة قواد على رأس أربع دول : بطليموس على مصر وسلوقس فى بابل وسورية وانتغيوس فى آسيا الصغرى ، وانتباشر فى مقدونيا ، وكان بطليموس أكثر هؤلاء الأربعة ذكاء إلا أن سلوقس كان بالتأكيد أقدرهم ، وهذا بلغة دانيال « انكسر القرن العظيم » وطلع عوضا عنه أربعة قرون معتبرة نحو رياح السماء الأربع (دانيال ٨ : ٨) (راجع تفاصيل ذلك فى : فيليب حتى : موجز تاريخ الشرق الادنى صـ٩٣ ــ ٩٤ ، تاريخ سورية جـ١ صـ٢٥٩ ، كاترين هنرى : التاريخ فى الكتاب صـ١٠٦ ، د / ابراهيم نصحى : تاريخ مصر فى عصر البطالمة الجزء الأول صـ٤٥ ــ ٥١ .

(٢) كاترين هنرى : التاريخ فى الكتاب صـ١٠٦ ، زكى شنودة : اليهود صـ٤٣٣ .

(٣) محمد عزة دروزة : تاريخ بنى اسرائيل من أسفارهم صـ٣٩٤ ، د / محمد بيومى مهران : دراسات فى تاريخ الشرق الادنى جـ٨ صـ١١٠٨ .

(٤) بريستيد : العصور القديمة صـ٤٤٥ .

كفاحين :

الكفاح الخارجى بين آسية السلوقية ومصر البطالمة للاستيلاء على فلسطين .

والكفاح الداخلى بين أساليب الحياة الهلنية والحياة العبرية أو الصراع الحقيقى بين الهلنية واليهودية (١) .

اليهود تحت حكم البطالمة :

بدأت علاقة اليهود بالبطالمة منذ أن تطلع بطليموس الأول (٣٢٣ ـ ٢٨٢ ق . م) إلى السيطرة على فلسطين ونازع عليها السلوقيين ثم انتصر عليهم اذ قام بغزو سوريا عام ٣٢٠ ق . م واستولى على بلاد اليهود بما فيها أورشليم فى عام ٣١٩ ـ ٣١٨ ق. م وظلت خاضعة لسلطان البطالمة أكثر من مائة عام (٣١٨ ـ ١٩٨) (٢).

وإن كان قد تخللت هذه الفترة مناوشات بينهم وبين السلوقيين (٣) .

ومن المشهور بين المؤرخين أن ملوك البطالمة الثلاثة الأوائل قد أظهروا عطفهم نحو اليهود (٤) ، وان كان بطليموس الأول ـ كما قيل ـ قد عاملهم بقسوة حينما فتح أورشليم ٣١٩ ق . م وأسر منهم مائة ألف يهودى وعاد بهم إلى مصر ، غير أنه لم يلبث أن رضى عنهم ووثق فيهم ، واختار منهم لخدمته ثلاثين ألف رجل وعهد

(١) قصة الحضارة (٨) الجزء الثالث من المجلد الثانى : حياة اليونان صـ٥١ ترجمة محمد بدران / الطبعة الثالثة ١٩٧٣ .

(٢) ول ديورانت : قصة الحضارة (٨) حياة اليونان صـ٥١ ، د / مصطفى كمال عبد العليم : اليهود فى مصر فى عصرى البطالمة والرومان صـ٣٣ ، د / ابراهيم نصحى : تاريخ مصر فى عصر البطالمة جـ١ صـ٧١ .

(٣) ظلت بلاد يهوذا خاضعة لسلطان البطالمة من (٣١٨ ـ ١٩٨ ق . م) باستثناء فترات متقطعة اضطر فيها البطالمة الى الانسحاب منها ثم العودة إليها كما حدث فى عام ٣١٢ ـ ٣٠٢ ق . م حتى استقر لهم الأمر فيها إلى حد كبير عام ٣٠١ ق . م ثم فى عام ٢١٧ ق . م حاول السلوقيون انتزاعها منهم إلا أنهم تمكنوا من صدهم وانتصروا عليهم وكان ذلك فى موقعة رفح (راجع د / حتى : تاريخ سورية جـ١ صـ٢٦٠ ، د / ابراهيم نصحى : تاريخ مصر فى عصر البطالمة جـ١ صـ١٥٤ ـ ١٥٧ ، د / مصطفى عبد العليم : اليهود فى مصر صـ٣٣) .

(٤) د / ابراهيم نصحى : تاريخ مصر فى عهد البطالمة الجزء الثانى صـ١٥٩ .

إليهم بحراسة القلاع الهامة فى مملكته (١) .

أما بطليموس الثانى (٢٨٢ ـ ٢٤٦ ق . م) فقد ازداد فى عهد توافد اليهود على مصر ووصف بأنه صديق اليهود بسبب ماكلأهم به من الرعاية أكثر من أى ملك آخر من ملوك البطالمة حتى قيل إنه افتدى أسراهم من ماله الخاص وأجزل الهدايا القيمة لمعبدهم فى بيت المقدس (٢) .

وأما بطليموس الثالث (٢٤٦ ـ ٢٢١ ق . م) فقد أظهر من الحدب عليهم والتسامح معهم أنه منح أحد هياكلهم حق حماية اللاجئين إليه (٣) إلا أنه اشتد عليهم فترة وهددهم بالطرد من أرضهم حينما امتنعوا عن دفع الجزية بتحريض من السلوقيين (٤) .

---

(١) حاول بطليموس فى أول الأمر أن يشترى بلاد يهوذا من لاومدون ولما لم يوفق فى ذلك استولى عليها عنوة (د / نصحى جـ١ صـ٧١) ويذكر مؤرخو اليهود أن أورشليم قد تصدت لمقاومة بطليموس فحاصرها زمنا طويلا حتى تمكن من فتحها فى يوم سبت فعامل اليهود بغاية القسوة وأخذ منهم أكثر من مائة ألف أسير إلى مصر (زكى شنودة : اليهود أو الجزء الثامن من موسوعة تاريخ الأقباط والمسحية صـ١٥٠ ـ ١٥١) ويرى المؤرخون أن الرواية اليهودية قد بالغت فى عدد هؤلاء الأسرى اليهود الذين جلبهم بطليموس إلى مصر وحررهم ابنه بطليموس الثانى ، ويرجح الأستاذ وسترمان أن عدد الأسرى كان أقل من ذلك بكثير وخاصة أنه لم يقم دليل على أن أحداً من البطالمة الأوائل قد أتيح له أن يأسر مثل هذا العدد الضخم فى إحدى حملاته الحربية ، وينتهى المؤرخون إلى القول بأن بطليموس الأول قد أتى إلى مصر بيهود كانوا مزيجاً من الأسرى ومن بعض الأحرار الذين نزحوا إليها أفواجاً من تلقاء أنفسهم وبمحض رغبتهم بعد أن استشعروا عطف الملك عليهم ولمسوا فيه النواحى الطيبة ومالبثت الحياة الجديدة لتى نشطت فى مصر أن اجتذبت عناصر جديدة من اليهود سرعان ماانتشروا فى كثير من أرجاء البلاد ينعمون بعطف ملوكها (راجع د / مصطفى عبد العليم : اليهود فى مصر صـ٣٣ ـ ٣٦ ، د / ابراهيم نصحى : تاريخ مصر فى عصر البطالمة جـ٢ صـ١٥١ ـ ١٥٢ .

(٢) د / ابراهيم نصحى : المصدر السابق جـ٢ صـ١٥٢ ، زكى شنوده : موسوعة تاريخ الأقباط والمسيحية الجزء الخامس صـ١٣٢ ، ومما يذكر أن الترجمة السبعينية للتوراة قد أنجزت فى عهده وتحت رعايته كما سبق .

(٣) د / ابراهيم نصحى جـ٢ صـ١٥٢ ، ١٦٠ .

(٤) يروى يوسيفوس فى كتابه تاريخ اليهود أن أونياس رئيس كهنة اليهود فى عهد بطليموس الثالث امنع عن دفع الجزية المفروضة على بلاد يهوذا سنوات عديدة فأرسل بطليموس نائبا عنه إلى أورشليم كى يرغم أهلها على دفع الجزية فاشتد فى معاملتهم وهددهم بالطرد من أرضهم ثم طرح قيمة الجزية المفروضة على اليهود فى المزاد وتكفل بها يوسف رئيس الكهنة وقام بجبايتها من اليهود (راجع د / فؤاد حسنين على : فلسطين العربية صـ٨٤ ـ ٨٦ ، زكى شنوده : اليهود أو الجزء الثامن من الموسوعة صـ١٥١ ، دروزة : تاريخ بنى اسرائيل صـ٢٩٦) .

لكن بطليموس الرابع (٢٢١ ـ ٢٠٣ ق . م) نهج سياسة معادية لليهودية ولاقى اليهود على يديه قدرا كبيرا من الاضطهاد إذ أنه زار أورشليم بعد انتصاره على السلوقيين فى موقعة رفح عام ٢١٧ ق . م وأبدى رغبته فى دخول قدس الأقداس فرفض رئيس الكهنة أن يسمح له بذلك كما تذمر اليهود جميعا ، فعاد إلى مصر يتأجج غضبا وانتقم من اليهود المقيمين بها شر انتقام وجردهم من جميع امتيازاتهم التى كانوا يتمتعون بها (١) .

هذا وقد انتهى حكم البطالمة لبلاد يهوذا فى عهد بطليموس الخامس (٢٠٣ ـ ١٨٠ ق . م) وانتقلت إلى حكم السلوقيين كما سنرى .

ومما ينبغى ذكره أن البطالمة كانوا يتبعون سياسة معتدلة إزاء اليهود فى فلسطين حيث إنهم اكتفوا بفرض الجزية عليهم وتفادوا التدخل بشكل محسوس فى شئونهم الداخلية مفضلين أن يتركوا لهم قدرا كبيرا من الحكم الذاتى تحت سلطان كاهن أورشليم الأكبر (٢) .

وكان من أثر هذه السياسة أن بلاد يهوذا قد ازدهرت وعمها الرخاء رغم عبء

---

(١) وقد وصف الكتاب المكابى الثالث ـ الذى وضع فى الاسكندرية وباللغة اليونانية زيارة بطليموس الرابع لأورشليم وانتهاكه حرمة المعبد واقتحامه له عنوة ، وعرض لانتقامه من يهود مصر وكيف أنه جمعهم وأوثقهم بحبال غليظة وألقى بهم دون تردد فى حلقات السباق بالاسكندرية وأطلق عليهم خمسمائة فيل أشربت الخمر من قبل لتدهسهم ، وماحدث بعد ذلك ولمعرفة رأى المحققين من المؤرخين فى هذه الرواية وتسليمهم باضطهاد اليهود فى عصر بطليموس الرابع (راجع د / ابراهيم نصحى : تاريخ مصر فى عهد البطالمة جـ٢ صـ١٦٠ ـ ١٦٢ ، د / مصطفى عبد العليم : اليهود فى مصر فى عصرى البطالمة والرومان صـ٣٩ ـ ٤٣ ، د / فؤاد حسنين على : التوراة الهيروغليفية صـ١٩٧ ـ ١٩٨ ، زكى شنودة : موسوعة تاريخ الأقباط جـ٨ صـ١٥١ ـ ١٥٢ جـ٥ صـ١٤٧ .

(٢) ول ديورانت : قصة الحضارة (٨) صـ٥١ ـ ٥٢ ، د / مصطفى عبد العليم : اليهود فى مصر فى عصرى البطالمة والرومان صـ٣٧ ، ويبدو أنه كان هناك ارتباط بين السياسة التى انتهجها البطالمة فى فلسطين والسياسة التى ساروا عليها نحو اليهود فى مصر بحيث نستطيع القول بصفة عامة أنه كان للبطالمة سياسة يهودية تستهدف كسب رضاء اليهود فى مصر وفى يهوذا بمعاملتهم جميعا برفق وهواده ليتخذوا من اليهود عضدا لهم فى دعم حكمهم وعونا لهم على تحقيق أهدافهم فى سوريا ، ومن الجدير بالذكر أن السياسة التى انتهجها البطالمة ازاء اليهود كانت شديدة الشبه بالسياسة التى اتبعها الفرس معهم حينما كانوا يحكمون فلسطين (راجع د / نصحى جـ٢ صـ١٦٦ ، د / مصطفى عبد العليم : اليهود فى مصر صـ٣٦ ـ ٣٧ .

الجزية الثقيل (١) .

ولكن على الرغم من هذا التسامح الذى لمسه اليهود من البطالمة إلا أنهم واجهوا فى عهدهم هجوما من نوع جديد وتعرضت اليهودية على أيديهم لامتحان عسير ، وهو ما أشار إليه ول ديورانت ـ كما سبق ـ على أنه النزاع الداخلى أو الصراع الحيقى بين الهلينية واليهودية .

ذلك أن الهلينية (٢) بدأت تغزو مدن الشرق وتتغلغل فى أعماقه ، إذ أن خلفاء الأسكندر حاولوا أن يحققوا ماكان يهدف إليه من توحيد العالم تحت لواء الثقافة اليونانية فأسسوا المدن الأغريقية وشيدوا المبانى اليونانية مثل المسارح وساحات الألعاب والحمامات العامة (٣) .

وكانت أورشليم بعيدة عن التيار الرئيس الذى اتجه فيه التأثير الهلينى ، ولكن لم يمض قرن على موت الاسكندر حتى تأثرت هى أيضاً بإغراء الهلينية الذى لامهرب منه فقد كان اغراء ماديا من ناحية (٤) ، ثم إنه اغراء اجتماعى من ناحية أخرى ، ذلك

---

(١) ول ديورانت : قصة الحضارة (٨) صـ٥١ ، الأب ديلى : تاريخ شعب العهد القديم صـ٣٧٨ ، كان اليهود يؤدون جزية سنوية مقدارها ثمانية آلاف وزنة .

(٢) ينبغى لنا أن نذكر أن الهلينية كانت مظهرا ثقافيا من مظاهر الحياة المدنية لا الحياة الريفية ، وكان الطامحون الى تبوء المراكز الحكومية الهلينية ، أو الطامعون فى حياة أدبية فكرية يتلقون دروسهم باللغة الأغريقية فكانوا بذلك يحيون الهلينية كذلك فإن الهلينية لم تكن تقتصر على العطاء الفكرى بل انها كانت تعطى وتأخذ فان الأغريق الغربيين أخذوا بالديانات الشرقية الغنية بطقوسها وبشعائرها وبمعتقداتها الغيبية الغريبة فراحوا يتبنون آلهة شرقية ويسبغون عليها صفات اغريقية وأسماء اغريقية وهكذا أصبح البعل عند الأغريق زفس ، وعند الرومان جوبيتر المشترى كبير الآلهة .
وأصبح تموز أدونيس ، هذا ولم تقتصر الهلينية على نواحيها السياسية والثقافية بل كانت تتعداها إلى نواح اقتصادية فان الشرق الادنى تحت تأثير الهلنية كان ينعم بشىء من الوحدة والانسجام (راجع د / حتى : موجز تاريخ الشرق الأدنى صـ١٠٠ ـ ١٠٣ .

(٣) كاترين هنرى : التاريخ فى الكتاب صـ١٠٦ ، د / المسلى : سقوط أورشليم وأهميته العالمية صـ٦٤٩ ـ ٦٥٠ .

(٤) ففى وسعك أن تتصور التجار الاغريق يغدون ويروحون فى أسواق أورشليم والفرص المتاحة لكل يهودى حاذق مغامر فى المراكز التجارية الهلينية العظمى التى تنتشر الآن من حوله ، لاسيما فى الاسكندرية أعظمها شأنا وهى لم تكن تبعد إلا رحلة أيام قليلة إلى الجنوب (د / المسلى : سقوط أورشليم صـ٦٥٠) .

أن الهلينية كانت بسبيلها إلى أن تصبح الهواء الذى يتنفسه الناس وهو أخيرا وفوق كل شيء اغراء ثقافى .

ولم يمض زمن طويل حتى عرضت الهلينية مفاتنها الاجتماعية والثقافية بل والرياضية جهاراً أمام أعين الشباب الطموح فى أورشليم (١) .

فقد أقبل على أورشليم من المدن الأغريقية (٢) يونان ويهود يحملون العدوى الهلينية عدوى الفلسفة والفن والأدب والاستمتاع بالجمال واللذة والغناء والرقص والشراب والطعام والألعاب الرياضية والعشيقات والغلمان ، فضلا عن السفسطة المرحة التى ترتاب فى جميع القوانين الأخلاقية والتشكك الذى قضى على كل عقيدة فى خوارق الطبيعة (٣) .

ولم يستطع الشباب اليهودى أن يقاوم هذه المغريات التى تدعو إلى الاستمتاع باللذة وإلى التحرر من آلاف القيود الضيقة الثقيلة .

فبدأوا يسخرون من الكهنة ويصفونهم بأنهم طلاب مال كما يصفون الأتقياء من أتباعهم بأنهم حمقى ينحدرون إلى الشيخوخة من غير أن يعرفوا الملاذ والترف ومباهج الحياة (٤) .

ولكن بريق الهلينية لم يخطف أبصار الشباب فحسب بل انضم اليهم فى هذا أغنياء اليهود لأنهم كانوا يستطيعون أن يستجيبوا لداعى الغواية ، وأحس اليهود الذى كانوا يطلبون المناصب من الموظفين اليونان بأن من حسن السياسة أن يتكلموا اللغة اليونانية وأن يعيشوا كما يعيش اليونان بل أن يقولوا بضع كلمات طيبة فى حق الآلهة اليونانية (٥) .

---

(١) د / المسلى : المصدر السابق .

(٢) كان يحيط ببلاد يهوذا حلقة من المستعمرات والمدن الاغريقية منها السامرة وبنوبوليس وغزة وعسقلان ودمشق وغيرها ، وكانت تقوم فى كل واحدة من هذه المدن نظم ومؤسسات يونانية وهياكل للآلهة والالهات اليونانية ومدارس ومجامع علمية ومدارس وساحات للألعاب الرياضية ألعاب يشترك فيها الناس وهم عراة (قصة الحضارة (٨) صـ٥٣) .

(٣) المصدر السابق صـ٥٣ ، كاترين هنرى : التاريخ فى الكتاب صـ١٣٠ .

(٤) ول ديورانت : المصدر السابق (٨) صـ٥٣ ، د / المسلى : سقوط أورشليم صـ٦٤٩ ــ ٦٥٠ .

(٥) د / المسلى : سقوط أورشليم وأهميته العالمية صـ٦٥٠ ، ول ديوانت : المصدر السابق (٨) صـ٥٣ ــ ٥٤ .

ودارت الدوائر على اليهود الذين كانوا حتى ذلك الحين فى موقف يتيح لهم على الأقل أن يحتقروا تفكير هؤلاء الغزاة الوثنيين ، فقد وجدوا أنفسهم يتعرضون للتهكم الخفيف من هؤلاء الغزاة ينظرون إليهم نظرتهم إلى أبناء عمومة ريفيين يجب أن تبذل الجهود لإخراجهم من تفكيرهم الجافى (١) .

وهكذا أدخل الغزاة اليونان فى حياة اليهود كل ما فى الحضارة الأبيقورية من أسباب اللهو والغواية (٢) .

وكما يقول ج . ا . سمث « ان العالم الوثنى لم يعد يضرب شواطىء يهوذا ذلك الضرب الذى قرع أسماء اشعيا ، لم يعد يلطمه فى غضب وصخب كما تلطم أمواج البحر الهائج شاطىء فلسطين الوعر ، بل أخذ يداعبه الآن بموسيقى الحرية والمغامرة والثروة والسعادة الحرة التى لاحدود لها (٣) .

هذا وقد استمر تأثير الهلينية يتسلل إلى اليهودية بهذا التغلغل السلمى فى عهد البطالمة حتى انتقلت بلاد يهوذا إلى السلوقيين الذين اندفعوا فى فرض الهلينية على اليهود بالقوة وأرغموهم على ممارسة العبادات اليونانية بالتنكيل والاضطهاد .

اليهود تحت حكم السلوقيين (١٩٨ ـ ٦٣ ق . م)

ظلت بلاد يهوذا تابعة للبطالمة فى مصر حتى عام ١٩٨ ق . م حين أوقع أنتيوخوس الثالث (٢٢٣ ـ ١٨٧ ق . م) ملك السلوقيين هزيمة ساحقة بالملك بطليموس الخامس (٢٠٣ ـ ١٨٠ ق . م) وضم البلاد إلى الامبراطورية السلوقية (٤) .

---

(١) سقوط أورشليم صـ٦٥٠ .

(٢) ول ديورانت قصة الحضارة (٨) صـ٥٣ .

(٣) نقلا عن د / المسلمى : سقوط أورشليم وأهميته العالمية صـ٦٥٠ المجلد الثالث من تاريخ العالم نشر جون هامرتون .

(٤) ول ديورانت : قصة الحضارة (٨) صـ٥٤ ، د / فيليب حتى : تاريخ سورية جـ١ صـ٢٦٥ ، د / مصطفى عبد العليم : اليهود فى مصر صـ٣٦ ولمعرفة المزيد من التفاصيل والمعلومات عن الامبراطورية السلوقية وحضارتها وملوكها راجع قصة الحضارة (٨) صـ٣٦ ـ ٥٠ ، د / حتى : موجز تاريخ الشرق الادنى صـ٩٤ ـ ٩٦ تاريخ سورية جـ١ صـ٢٦٤ .

وكان اليهود قد ملوا حكم البطالمة فأعانوا انتيوخوس ورحبوا باستيلائه على أورشليم وتحريرهم من حكامهم فاستتب له الأمر فى النهاية ، وكان ملكا قويا طموجا ، وظل مسيطرا عليها حتى مات مقتولا عام ١٨٧ ق . م (١) .

وبوقوع فلسطين فى أيدى السلوقيين انفتحت صفحة جديدة من تاريخ يهود أورشليم إذ زاد الضغط عليهم لاعتناق طريق الحياة اليونانية وكذلك الدين اليونانى (٢) ، فقد كانوا طغاة لم يعرفوا التسامح الذى سار عليه البطالسه فأرادوا أن يفرضوا الثقافة اليونانية على اليهود قهراً وارغاما ويجعلوها طريق الحياة دون العقائد اليهودية (٣) .

وكان انطيوخوس الثالث (٢٢٣ ـ ١٨٧ ق . م) قد اضطهد بعض اليهود الذين ظلوا يناصرون البطالمة ففروا إلى مصر وأقاموا بها ، ثم أخذوا يدسون دسائسهم فى اليهود الباقين فى اليهودية ويحركونهم ضد السلوقيين ، واستجاب بعضهم فعلا لهذه الدسائس ، فأثار ذلك ابنه سلوقس الرابع (١٨٧ ـ ١٧٥ ق . م) الذى تولى من بعده وجعله يشتد عليهم قمعا وتدميرا ، ثم جعل السلوقيين يبذلون جهودهم فى تحويل اليهود عن التقاليد الدينية والاجتماعية الى التقاليد اليونانية (٤) .

وقد أدى ذلك إلى خلق جماعة من اليهود الموالين لليونانية أو الهلينية وكانوا من

---

(١) قصة الحضارة : (٨) صـ٥٤ ، موجز تاريخ الشرق الأدنى صـ٩٦ ، كاترين هنرى : التاريخ فى الكتاب صـ١٢٠ ، زكى شنوده : اليهود صـ١٥٢ ، يذكر المؤرخون أن اليهود حين علموا باقترابه من بلادهم خرجوا لاستقباله وفى أيديهم مفاتيح مدنهم وحصونهم وحين دخل أورشليم خف للقائه رئيس الكهنة وشيوخ اليهود فى احتفال عظيم وساعدوه على طرد الحامية البطلمية التى كانت تعتصم فى قلعة أورشليم .

(٢) الأب ديلى : تاريخ شعب العهد القديم صـ٣٨٨ ، حبيب سعيد / أديان العالم صـ٢٠٣ .

(٣) كاترين هنرى : التاريخ فى الكتاب صـ١٠٧ ، محمد عزة دروزة : تاريخ بنى اسرائيل من اسفارهم صـ٢٩٦ ، راجع أيضاً د / محمد بيومى مهران : دراسات فى تاريخ الشرق الادنى القديم جـ٨ صـ١١٠ .

(٤)محمد عزة دروزة : تاريخ بنى اسرائيل من اسفارهم صـ٢٩٦ ، راجع أيضا د / محمد بيومى مهران : دراسات فى تاريخ الشرق الادنى القديم جـ٨ صـ١١١٠.

أغنياء اليهود وعظمائهم لذلك كونوا حزبا قويا انضم إليه جاسون (١) ابن الحاخام الأكبر وكان له مكانة مرموقة بين رجال الدين فكسب هذا الحزب نفرا من الحاخاميين الذين يدعون أنهم من سلالة هارون ، وتطرف أعضاؤه فى عدائهم لخصومهم وولائهم للهلينية فتنكروا للشريعة اليهودية وعادات اليهود وتقاليدهم وذهبوا ففكروا فى القضاء على الشريعة ليسهل عليهم كسب اليهود بعد ذلك إلى الهلينية ثقافة وجنسا وعقيدة أعنى تحويل اليهود إلى يونانيين وثنيين (٢) .

وعارض هذا الحزب أو ذلك الاتجاه عدد من اليهود المحافظين وكونوا الجماعة المعروفة فى التاريخ اليهودى العقائدى « الحسيديم » (٣) واحتدم النزاع بين اليهود المؤمنين بالآراء والمذاهب اليونانية الهيلينية وبين المحافظين (٤) .

حتى إذا ماتولى انطيوخوس الرابع (١٧٥ ــ ١٦٤ ق . م) ملك السلوقيين أخذ يناصر الحزب الأول واعتمد على أعضائه فى فرض الثقافة اليونانية على بلاد اليهود وصبغها بالصبغة الهلينية (٥) .

---

(١) يسمى فى سفر المكابيين الأول : « ياسون » ٤ : ٧ ، ١٦ .

(٢) د / فؤاد حسنين على : فلسطين العربية صـ٨٩ .

(٣) كلمة « الحسديم » معناها « المقدس » وهى تطلق على المؤمنين الأوفياء الغيورين على الشريعة والمتدينى الصادقين والوطنيين المتحمسين وكانوا لايفكرون فى تحوير أى شىء دينى لإيمانهم الشديد بقدسيته (المصدر السابق صـ٨٩ ، سقوط أورشليم صـ٦٥١ ، برتراندرسل : الفلسفة الكاثوليكية صـ٢٢ .

(٤) د / فؤاد حسنين على : فلسطين العربية صـ٨٩ ــ ٩٠ .

(٥) كان انطيوخوس الرابع يتبع السياسة التقليدية للأسرة السلوقية التى اعتبرت الهيلينية هى القاسم المشترك الذى سيلتقى عنده جميع رعاياهم ، وكان مما يقلق باله اختلاف الطقوس الدينية الشرقية فى بلاد آسيا اليونانية وقوة هذه الطقوس فأراد أن يوحد امبراطوريته المتعددة اللغات والأجناس باخضاعها كلها لشريعة واحدة وعقيدة واحدة (راجع د / حتى : تاريخ سورية جـ١ صـ٢٦٧ ، ول ديورانت : قصة الحضارة (٨) صـ٥٥) ومما قاله عنه ول ديورانت « أنه كان اجدر أفراد الاسرة السلوقية بالاهتمام واكثرهم اخطاء ذلك أنه كان مزيجا من الذكاء والجنون والجاذبية وقد حكم مملكته حكما حازما رغم مالرتكبه من مئات المظالم والسخافات ، وإذا أردت المزيد من هذه الأقوال راجع قصة الحضارة (٨) صـ٣٩ ــ ٤٠ .

جاء فى سفر المكابيين الأول « وخرجت منهم (١) جرثومة أثيمة هى انطيوكس الشهير ابن انطيوكس الملك » وفى تلك الأيام خرج من اسرائيل أبناء منافقون فأغروا كثيرين قائلين هلم نعقد عهدا مع الأمم حولنا فانا منذ انفصلنا عنهم لحقتنا شرور كثيرة فحسن الكلام فى عيونهم وبادر نفر من الشعب ، وذهبوا إلى الملك فأطلق لهم أن يصنعوا بحسب أحكام الأمم ، فابتنوا مدرسة فى أورشليم على حسب سنن الأمم وعملوا لهم غلفا وارتدوا عن العهد المقدس ومازحوا الأمم وباعوا أنفسهم لصنيع الشر (٢) .

ويذكر سفر المكابيين الثانى أن زعيمهم « ياسون » طمع فى رئاسة الكهنوت الأعظم فوفد على الملك ووعده بثلاث مائة وستين قنطارا فضة وبثمانين قنطارا من دخل آخر وماعدا ذلك ضمن له مائه وخمسين قنطارا غيرها ، ، ان رخص له سلطة الملك فى إقامة مدرسة للتروض (٣) وموضع للغلمان وأن يكتب أهل أورشليم فى رعويه انطاكية (٤) .

فأجابه الملك إلى ذلك فتقلد الرئاسة ومالبث أن صرف شعبه إلى عادات الأمم وأبطل رسوم الشريعة وأدخل مايخالفها من السنن وبادر فأقام مدرسة للتروض تحت القلعة وساق نخبة الغلمان فجعلهم تحت القبعة (٥) .

فتمكن الميل إلى عادات اليونان والتخلق بأخلاق الاجانب بشدة فجور ياسون

(١) أى من خلفاء الاسكندر (السلوقيين) .

(٢) سفر المكابيين الأول ١ : ١١ ـ ١٦ .

(٣) كانت مدرسة التروض عبارة عن ناد من الاندية التى كان اليونان يسمونها « الجمنازيوم » وكانوا يتلقون فيها العلوم العقلية والرياضية البدنية ويلقنون فيها عوائد اليونان وتقاليدهم (راجع تاريخ سورية جـ١ صـ٢٦٧ ، زكى شنودة : اليهود صـ١٥٣ .

(٤) معناها أن يصبح اليهود انطيوخين أو مقدونيين فلم يكن لديهم أدنى اعتراض على ذلك لأنهم طمحوا إلى هذا الشرف لينالوا المساواة مع اليونانيين (د / حتى : تاريخ سورية جـ١ صـ٢٦٧ ، د / فؤاد حسنين : فلسطين عربية صـ٩٠ .

(٥) أى يلبسون قبعات يونانية وهم يمارسون الألعاب الرياضية (برترندرسل : تاريخ الفلسفة الغربية : الكتاب الثانى : الفلسفة الكاثوليكية صـ٢٢ ترجمة د / زكى نجيب محمود ، راجعه المرحوم د / أحمد أمين الطبعة الثانية ١٩٦٨ لجنة التأليف والترجمة والنشر .

الذى هو كـافر لا كـاهن أعظم ، حتى ان الكهنة لم يعـودوا يحرصـون على خدمـة المذبح واستهانوا بالهيكل وأهملوا الذبائـح لينالوا حظا فى جوائز الملعب المحرقـة بعد المباراة فى رمى المطاث ، وكانوا يستخفون بمآثر آبائهم ويتنافسون بمفاخر اليونان (١) .

ويذكر ول ديورانت أن شباب اليهود والكهنة قد اشتركوا فى الألعاب الرياضية وهم عراة وبلغ من تحمس بعضهم للهلينية أن تحملوا جـراحات فى أجسامهم ليعالجوا بها بعض العيوب ـ كالختان مثلا ـ التى قد تكشف عن أصلهم (٢) .

وقد حدث أن أقيمـت حفلة مصارعة فى صور حضرها الملك لمناسبة عيد الاله الوثنى هيراكليـوس فأرسل ياسون بعض شـبان اليهـود ومعهم ثمن ذبيـحة ليقـدموها لذلك الاله فى معبد صور (٣) ولكن على الرغم مما بذله ياسون فى نشر الهلينية إلا أن انطيوكوس سرعان ماعين منلوس بدلا منه بعد أن وعد بأكثر مما وعده به سلفه ونفحه برشوة أكبر (٤) .

ولم يكـن منلوس هذا عـلى شىء مما يلـيق بالكهـنوت الأعظم وإنمـا كـانت له أخلاق غاشم عنيف وأحـقاد وحش ضار (٥) ، ولما عجز عن الوفـاء بما وعد به الملك من المال لجأ إلى سرقـة بعض آنية الهـيكل الذهبيـة وباعهـا وقدم للملك ثمنـها (٦) ، واستـقر فى الرئاسة بشـره ذوى الأحكام وكان لايزداد إلا خبـثا ولم يزل لأهل وطنه كمينا مهلكا (٧) .

ثم حدث أن قام انطيوكس الرابع بغـزو مصر وهزم ملكهـا بطليمـوس السـادس

---

(١) سفر المكابيين الثانى ٤ : ٧ ـ ١٥ .

(٢) قصة الحضارة (٨) صـ٥٥ راجع أيضا الأب ديلى : تاريخ شعب العهد القديم صـ٣٨٨ ، د / فؤاد حسنين على : فلسطين العربية صـ٩٠ .

(٣) راجع سفر المكابيين الثانى ٤ : ١٨ ـ ٢٠ .

(٤) ول ديورانت : قصة الحضارة (٨) صـ٥٥ وورد فى سفر المكـابيين الثانى أن « ياسون كان قد وجه منلاوس هذا إلى الملك ليقدم له أمـوالا فتزلـف إلى الملك وأطرأ عظمة سلطانه وأحـال الكهنوت الأعظم إلى نفسه بأن زاد ثلاث مائة قنطار فضة على ماأعطى ياسون (٤ : ٢٣ ـ ٢٤) .

(٥) سفر المكابيين الثانى ٤ : ٢٥ .   (٦) المصدر السابق : ٤ : ٢٧ ، ٣٢ ، ٣٩ .

(٧) المصدر السابق ٤ : ٥٠ .

(١٨٠ ـ ١٤٥ ق . م) ، وتمكن من محاصرة الاسكندرية ، لكنه لم يلبث أن بلغته أنباء اطرابات وقلاقل أثارها اليهود فى أورشليم (١) وأشاعوا أنه قد مات فى مصر ، فعاد الملك إلى أورشليم واتهم اليهود بالخيانة له والتآمر عليه (٢) فتنمر فى قلبه ـ حسب تعبير المكابيين ـ وبدأ فى عام ١٦٨ ق . م ـ فيما يرى د / المسلى ـ أول اضطهاد دينى كبير سجله التاريخ (٣) .

فقد دخل أورشليم بجيش كثيف ـ كما يقول سفر المكابيين ـ وأمر الجنود أن يقتلوا كل من صادفوه دون رحمة ويذبحوا المختبئين فى البيوت ، فطفقوا يهلكون الشباب والشيوخ ويبيدون الرجال والنساء والأولاد ويذبحون العذارى والأطفال ، فهلك ثمانون ألف نفس فى ثلاثة أيام منهم أربعون ألفا فى المعركة وبيع منهم عدد ليس بأقل من القتلى (٤) .

ولم يكتف بذلك بل أجترأ ودخل الهيكل الذى هو أقدس موضع فى الأرض كلها وكان دليله منلاوس الخائن للشريعة والوطن ، وأخذ الآنية المقدسة بيديه الدنستين مع ماأهدته ملوك الأجانب لزينة الموضع وبهائه وكرامته وقبض عليها بيديه النجستين ومضى (٥) .

ويصف سفر المكابيين الأول تلك الأحداث بقوله « أكثر من القتل وتكلم بتجبر عظيم ، فكانت مناحة عظيمة فى اسرائيل فى كل أرضهم ، وانتحب الرؤساء والشيوخ وخارت العذارى والفتيان وتغير جمال النساء ، وكل عروس اتخذت مرثاة والجالسة فى الحجلة عقدت مناحة ، فارتجت الأرض على سكانها وجميع آل يعقوب لبسوا الخزى » (٦) .

---

(١) راجع تفاصيل هذه الغزوة : د / ابراهيم نصحى : تاريخ مصر فى عصر البطالمة جـ١ صـ٢٠٦ ـ ٢٠٩.

(٢) سفر المكابيين الثانى ٥ : ١ ـ ١١ .

(٣) سقوط أورشليم وأهميته العالمية صـ ٦٥٠ المجلد الثالث من كتاب تاريخ العالم نشر جون هامرتون .

(٤) سفر المكابيين الأول ١ : ٢٢ ، سفر المكابيين الثانى ٥ : ١٢ ـ ١٤ .

(٥) المكابيين الثانى ٥ : ١٥ ـ ١٦ وراجع أيضاً مكابيين أول ١ : ٢٣ ـ ٢٤ .

(٦) المكابيين الأول ١ : ٢٥ ـ ٢٩ .

ويستطرد السفر فى عرض اضطهاد انطيوكوس فيذكر أنه بعد ذلك « أرسل رئيس الجزية إلى مدن يهوذا فوفد على أورشليم بجيش كثيف وخاطبهم خطاب سلام مكرا فوثقوا به ، ثم هجم على المدينة فجأة وضربها ضربة عظيمة وأهلك شعباً كثيرا من اسرائيل وسلب غنائم المدينة وأحرقها بالنار وهدم بيوتها وأسوارها من حولها ، وسبوا النساء والأولاد واستولوا على المواشى وبنوا على مدينة داود سورا عظيما متينا وبروجا حصينة فصارت قلعة لهم ، وجعلوا هناك أمة أثيمة رجالا منافقين فتحصنوا فيها ووضعوا فيها السلاح والطعام وجمعوا غنائم أورشليم ووضعوها هناك فصاروا لهم شركا مهلكا ، وكان ذلك مكمنا للمقدس وشيطانا خبيثا لاسرائيل على الدوام فسفكوا الدم الزكى حول المقدس ونجسوا المقدس فهرب أهل أورشليم بسببهم فأمست مساكن غرباء وصارت غريبة للمولودين فيها وأبناؤها هجروها ، ورد مقدسها خرابا كالقفر وحولت أعيادها مناحا وسبوتها عارا وعزها اضمحلالا ، وعلى قدر مجدها اكثر هوانها ورفعتها وآلت إلى مناحة » (١) .

ويواصل السفر فيذكر كيف أن انطيوكوس حاول فرض الثقافة الهلينية على جميع مملكته ومنها بلاد يهوذ فيقول « وكتب الملك انطيوكوس إلى مملكته كلها بأن يكونوا جميعهم شعبا ويتركوا كل واحد سنته ، فأذعنت الأمم بأسرها لكلام الملك وكثيرون من اسرائيل ارتضوا دينه وذبحوا للأصنام ودنسوا السبت ، فقد أنفذ الملك كتبا على ايدى رسل إلى أورشليم ومدن يهوذا أن يتبعوا سنن الأجانب فى الأرض ويمتنعوا عن المحرقات والذبيحة والسكيب فى المقدس ويدنسوا السبوت والأعياد وينجسوا المقادس والقديسين ويبتنوا مذابح وهياكل ومعابد للأصنام ويذبحوا الخنازير والحيوانات النجسة ، ويتركوا بنيهم قلفا ويقذروا أنفسهم بكل نجاسة ورجس حتى ينسوا الشريعة ويغيروا جميع الأحكام ومن لا يعمل بمقتضى كلام الملك يقتل ، وكتب بمثل هذا الكلام كله إلى مملكته بأسرها وأقام رقباء على جميع الشعب ، وأمر مدائن يهوذا بأن يذبحوا فى كل مدينة ، فانضم إليهم كثيرون من الشعب كل من نبذ الشريعة فصنعوا الشر فى الأرض والجأوا اسرائيل إلى المختبآت فى كل موضع فروا إليه (٢) .

---

(١) مكابيين أول ١ : ٣٠ ـ ٤٢ ، وراجع مكابيين ثان : ٥ : ٢٤ ـ ٢٦ .

(٢) سفر المكابيين الأول ١ : ٤٣ ـ ٥٦ .

ويذكر سفر المكابيين الثانى أن الملك أرسل شيخا أثينيا ليضطر اليهود أن يرتدوا عن شريعة آبائهم ولايتبعوا شريعة الله وليدنس هيكل أورشليم ويجعله على اسم زوس الأولمبى ويجعل هيكل جرزيم على اسم زوس مؤوى الغرباء لأن أهل الموضع كانوا غرباء ، فاشتد انفجار الشر وعظم على الجماهير وامتلأ الهيكل عهرا وقصوفا ، وأخذ الأمم يفسقون بالمأبونين ويضاجعون النساء فى الدور المقدسة ويدخلون إليها مالا يحل ، وكان المذبح مغطى بالمحارم التى نهت الشريعة عنها ، ولم يكن لأحد أن يعيد السبت ولايحفظ أعياد الآباء ، ولا يعترف بأنه يهودى أصلا ، وكانوا كل شهر يوم مولد الملك يساقون قسراً للتضحية ، وفى عيد ديوتيسيون يضطرون إلى الطواف اجلالا له وعليهم أكاليل من اللبلاب ، وصدر أمر إلى المدن اليونانية المجاورة باغراء البطالمة أن يلزموا بمثل ذلك وبالتضحية (١) .

وأصدر الملك أوامره أن من أبى أن يتخذ السنن اليونانية يقتل فذاق اليهود بذلك أمر البلاء ، وأن كل من وجد عنده سفر من العهد أو اتبع الشريعة فإنه مقتول بأمر الملك ، ولذلك فما وجد الجنود من أسفار الشريعة مزقوه وأحرقوه بالنار ، والنساء اللواتى ختن أولادهن قتلوهن بمقتضى الأمر وعلقوا الأطفال فى أعناقهن ونهبوا بيوتهن وقتلوا الذين ختنوهم ، ولجأ قوم إلى مغاور كانت بالقرب منهم لاقامة السبت سرا فوشى بهم إلى فيلبس (الحاكم) فأحرقهم بالنار وهم لايجترئون أن يدافعوا عن أنفسهم اجلالا لهذا اليوم العظيم (٢) .

وزاد الاضطهاد شدة على مر الزمن ذلك أنه ـ كما يقول ول ديورانت ـ « يوجد دائما فى كل مجتمع أقلية فطرت على الابتهاج إذا أذن لها بالاضطهاد ولأنها ترى فى هذا الاضطهاد انطلاقا من قيود الحضارة وكان عملاء انطيوخوس من هذه الأقلية فإنهم بعد أن قضوا على المظاهر اليهودية فى أورشليم انطلقوا انطلاق اللهب يبحثون عن هذه المظاهر فى المدائن والقرى وكانوا أينما حلوا يخيرون الأهلين بين الموت والاشتراك فى العبادات الهيلينية (٣) .

---

(١) سفر المكابيين الثانى ٦ : ١ ـ ٨ .

(٢) مكابيين أول ١ : ٥٩ ـ ٦٥ .

مكابيين ثان : ٦ : ٩ ـ ١١ .

(٣) قصة الحضارة (٨) صـ٥٦ .

وهكذا ـ كما رأينا من وصف سفرى المكابيين ـ أصدر انطيوخوس الرابع أوامره بفرض الثقافة الهلينية على بلاد يهوذا فرضا جبريا وارغام اليهود جميعا على الدخول فى الديانة اليونانية والارتداد عن ديانتهم ارتدادا تاما ، وكما رأينا أيضا فإن أغلب اليهود قد امتثلوا لأوامر الملك وارتدوا عن ديانتهم وتخلوا عن أعيادهم واعتنقوا الديانة اليونانية وقربوا لآلهتها ومارسوا طقوسها الوثنية .

الشتات الهيلينى :

لقد سبق أن أشرت إلى أن كثيرا من اليهود الذين سبوا إلى بابل آثروا الإقامة بها ولم يفضلوا العودة إلى فلسطين فى العصر الفارسى فأطلق عليهم « يهود الشتات » أو « الدياسبورا » .

وكذلك فى العصر الهلسنتى فإن كثيرا من اليهود كانوا يقيمون خارج بلاد يهوذا وسط الوثنيين إما بمحض ارادتهم وإما فرارا من اضطهاد انطيوكوس الرابع فأطلق عليهم أيضا يهود الشتات (١) .

وإذا كان الشتات الأول سمى بالشتات البابلى فإن الشتات فى العصر اليونانى أو الهلنستى سمى بالشتات الهللينى (٢) .

وقد كان تشتت اليهود وانتشارهم على نطاق واسع فى الدول الهلنستية ظاهرة عامة تميزت بها حياتهم فى ذلك العصر وتميزوا أيضا بازدياد تقبلهم للاصطباغ بالروح الهلينية (٣) .

ويذكر المؤرخون أن عدد يهود الشتات قد زاد كثيرا عن عدد اليهود الذين بقوا فى يهوذا فقد بلغ عددهم مثلا فى سوريا ومصر حسب تقدير المؤرخين أضعاف عدد اليهود فى يهوذا (٤) ، إذ كانت مصر تحت حكم البطالمة من بين الدول الهلنستية التى

---

(١) د / مصطفى عبد العليم : اليهود فى مصر صـ٢٩ ، د / ابراهيم نصحى : تاريخ مصر فى عصر البطالمة جـ٢ صـ١٦٢ .

(٢) د / جمال حمدان : اليهود انثروبولوجيا صـ١٤ ، ١٧ .

(٣) برتراندرسل : تاريخ الفلسفة الغربية : الفلسفة الكاثوليكية صـ٢٤ ، د/ مصطفى عبد العليم اليهود فى مصر صـ٢٩ .

(٤) د / مصطفى عبد العليم : المصدر السابق .

استوعبت عددا كبيرا من يهود الشتات الذين هاجروا من يهوذا وانتشروا على نطاق واسع فى تلك الدول ، ولم تكن مصر لتخلو تماما من اليهود فى العصر البطلمى .

ومن المرجح أنه كانت لاتزال بها بقايا بعض الجاليات اليهودية من العصر الفارسى وإن هجرة اليهود الجديدة دفعتها وبعثت فيها الحياة من جديد وعلى أى حال فإن اليهود قد انتشروا فى ارجاء مصر وقامت لهم بها جاليات منظمة كان من أبرزها جالية الاسكندرية دون شك (١) .

وكان أفراد هذه الجالية يسكنون فى حى من أحيائها ، وكان عددهم يفوق عدد اليهود فى أورشليم ذاتها (٢) ، وقد نقلوا إلى تلك المدينة التى أصبحت فى وقت وجيز من أهم مدن العالم الهلنستى نشاطهم الفكرى والاقتصادى مما جعل منها مركزا من أهم مراكز اليهودية حتى إنه كان لايقل خطورة وأهمية عن أورشليم أو بابل يوم أن كانت من أهم تلك المراكز فى العالم القديم (٣) .

وأصبح اليهود الاسكندريون أكثر اصطباغا بالصبغة الهلينية من اليهود الذين أقاموا فى بلاد اليهودية ذاتها ونسوا اللغة العبرية حتى لقد بات من الضرورى أن تترجم التوراة إلى اليونانية (٤) ، فأخرجوا ليهود العالم المنتشرين فى كثير من أنحائه الترجمة الاغريقية للتوراة أو بعبارة أخرى التوراة فى صورتها الاغريقية (٥) .

ومن الاسكندرية انساب اليهود إلى كثير من أقطار البحر الأبيض المتوسط وأصبحوا عنصرا هاما من عناصر سكانها (٦) .

---

(١) راجع ويلز معالم تاريخ الانسانية مجلد ٢ ك ٤ صـ٤٦٤ ، د/ مصطفى عبد العليم : اليهود فى مصر صـ٢٨ ، د / ابراهيم نصحى : تاريخ مصر فى عصر البطالمة جـ٢ صـ١٥٤ ـ ١٥٥ .

(٢) ويلز : معالم تاريخ الانسانية مجلد ٢ ك صـ٤٦٤ ، ويذكر الدكتور جمال حمدان أن ثلث سكان الإسكندرية البطلمية كانوا من اليهود كما يقال إنهم قاموا فيها بثورة قتلوا فيها ٢٢٠ ألفا من السكان الأصليين (اليهود انثروبولوجيا صـ١٧) .

(٣) د / مصطفى عبد العليم : اليهود فى مصر صـ٢٩ ، د / عبد الحميد زاهد : القدس الخالدة صـ١٠٩ .

(٤) برتراندرسل : الفلسفة الكاثوليكية صـ٣٢ ، د / ابراهيم نصحى جـ٢ صـ١٥٩ ـ ١٦٠ .

(٥) برتر اندرسل : المصدر السابق صـ٣٢ ـ ٣٣ ، د / مصطفى عبد العليم : اليهود فى مصر صـ٢٩..

(٦) د / مصطفى عبد العليم : اليهود فى مصر صـ٢٩ .

(١) د / جمال حمدان : اليهود انثروبولوجيا صـ١٧ .

وبجانب مصر فقد وجد اليهود في سوريا وآسيا الصغرى وكان ثمة مركزان رئيسان لتمركز اليهود : البلقان ، وسواحل اليحر الأسود (١) .

وكذلك كان يوجد عدد كبير من اليهود في انطاكية عاصمة السلوقيين ، وعاشوا في جالية منظمة وكان بوسع من شاء من أفرادها أن يصبح أهلاً للحصول على حقوق المواطنين كاملة إذا ما تخلى عن عقيدته وقام بعبادة آلهة المدينة (٢) .

وهكذا فإن يهود الشتات أو يهود المهجر ـ كما أطلق عليهم شارل جنيبير ـ قد انتشروا في أنحاء كثيرة من العالم الهلنستي والبيزنطي وتشبعوا بالثقافة اليونانية وتأثروا بالعقائد الوثنية ، وأدى ذلك إلى تشرب بني اسرائيل بالكثير من الأفكار الخارجية خلال القرون الثلاثة السابقة للتاريخ المسيحي (٣).



(٢) راجع الحديث بالتفصيل عن مدينة انطاكية وعن الجالية اليهودية بها : جلانفيل داوني : انطاكية القديمة صـ ٤٥ وما بعدها ،صـ ٨٤ ـ ٨٧، ١٦٩ ترجمة د/ ابراهيم نصحي الناشر : دار نهضة مصر ١٩٦٧ .

(٣) راجع شارل جينيبير : المسيحية نشأتها وتطورها صـ ٤٠، ٤١، ٧٦ـ٧٧، ١٠٤ ـ ١٠٥ ترجمة د/ عبد الحليم محمود دار المعارف بمصر ١٩٨١ .

المبحث السابع : الاضطهاد الروماني والشتات الأخير :

سبق أن أشرت إلى أن اليهود قاموا بالثورة المكابية كرد فعل للاضطهاد العنيف الذى تعرضوا له على يد انطيوكوس الرابع ، وأنهم تمتعوا بنوع من الاستقلال الذاتى فى مايسمى بالعصر المكابى (١٦٧ـ ٣٧ق .م) تحت اسرة المكابيين أو الحشمونائيين وهو الاسم الذى غلب عليهم (١) .

ولم يكن انتصار المكابيين معناه ـــ كما يقول د/ المسلى « أن كل يهودى قد أشرب من التحمس للشريعة قدراً يوازى تحمسه للحرب ، كما أنه لم يغير شيئاً من ثقافة العالم بوجه عام فما زالت أورشليم جزيرة فى محيط الهيلينية لأكثر وما زال الاغراء باعتباره المبالغة فى حفظ الناموس ضرباً من الظلامية ، وبالاصطباغ بالصبغة الهيلينية إلى حد ما ، مازال هذا الاغراء يحمل فى مثابرة وقوة كما كان يعمل من قبل (٢) .

ويذكر ول ديورانت أن الهسمونيين أنفسهم قد فقدوا غيرتهم الدينية واستسلموا شيئاً فشيئاً لما كان فى العناصر التى ضموها إلى بلادهم من نزعة هلنسيتية (٣) وكان من سوء الطالع أن تتأجج نار الحزبية فى عهد ملوكهم الكهنة ، وتندلع ألسنتها بين الحين فى صورة اضطهاد مروع وتقتيل بشع ، وأن تصبح هذه الحزبية منذ ذلك الحين أشد العوامل فتكا فى مأساة السياسة اليهودية (٤) .

وكان الرومان فى عصر المكابيين قد ظهروا كقوة كبرى مرهوبة الجانب فى العالم القديم فلما سمع يهوذا المكابى بمدى قدرتهم وسرعة مناصرتهم لاتباعهم استنجد بهم من السلوقيين بعد أن تودد إليهم وعرض عليهم أن يكون اليهود من جملة مناصريهم

---

(١) وسمون أيضاً « الهسمونيين » .　　(٢) سقوط أورشليم صـ ٦٥١ .

(٣)قصة الحضارة (١١) الجزء الثالث من المجلد الثالث : قيصر والمسيح أو الحضارة الرومانية صـ ١٦١ ـ ترجمة محمد بدران الطبعة الثالثة ١٩٧٣ .

(٤) سقوط اورشليم صـ ٦٥١ المجلد الثالث من تاريخ العالم نشر جون هامرتون ، راجع تفاصيل الصراع الحزبى وآثاره على السياسة اليهودية فى نفس المصدر صـ ٦٥١ ـ ٦٥٢ .

وأوليائهم فقبل الرومان ولاء اليهود وحذروا ملك السلوقيين من التعرض لهم (١) .

وحين اشتعلت الحرب الاهلية بين اليهود فى عهد اسكندر حنايوس (١٠٤ ـ ٧٨ ق .م) وظهر على مسرح الحوادث حزبان يهوديان ينتمى أولهما إلى هركانوس الثانى وثانيهما إلى اخيه ارستوبولس وأخذا يتنازعان السلطة بعد موت أمهم اسكندرة ، واستمر الصراع بينهما فترة طويلة استجار بعدها كل منهما واستنجد بالقائد الرومانى بومبى وكانت روما ـ حينذاك ـ قد بلغت ذروتها فى الجبروت والعظمة ، وأصبحت معنية أشد العناية بشئون مصر والشرق الادنى القديم فزحف الجيش الرومانى بقيادة بومبى على أورشليم عام ٦٣ ق .م ، وبعد أن حاصرها مدة ثلاثة شهور تمكن من فتحها بعد معركة دامية ذبح فيها من اليهود اثنى عشر ألفاً ، وانتهك حرمة المعبد بدخوله قدس الأقداس ونصب هركانوس الثانى حاخاماً اعظم وحاكما بالاسم على بلاد اليهود ، ولكنه كان فى حراسةأنتيباتر الأدومى الذى ـ أعانه فى هذه الحرب ، وبذلك خضع اليهود للرومان بعد أن قضوا على استقلالهم وأصبحت اليهودية جزءاً من ولاية سورية الرومانية (٢) .

وقد ازدحم النصف الثانى من القرن الأول ق . م بالأحداث الخطيرة التى صحبت انتقال روما من النظام الجمهورى إلى النظام الامبراطورى (٣) .

وكان انتيباتر الأدومى أثناء ذلك يتحين الفرص وهو محتجب خلف هركانوس الثانى فالتمس الحظوة عند الرومان ، واستطاع فى النهاية أن يقدم ليوليوس قيصر (الامبراطور الرومانى) من الخدمات أثناء الحملة التى قادها ضد بطليموس ملك مصر عام ٤٧ ق .م ـ ماحمل قيصر على مكافأته بجباية فلسطين كلها وعلى منح اليهود امتيازات كثيرة ، ولكن

---

(١) راجع تفاصيل ذلك فى سفر المكابيين الفصل الثامن كله وفيه ابراز لمدى ما وصل إليه الرومان من شوكة واقتدار ونص لعقد المناصرة والولاء الذى وقعه الجانبان وكيف أن يهوذا المكابى قد ارسل إلى الرومان مبعوثين من قبله ليقدموا لهم فروض الولاء.

(٢) راجع تفاصيل هذه الاحداث : د/ المسلى : سقوط أورشليم وأهمتيه العالمية صـ ٦٥٢ـ ٦٥٣ ، كاترين هنرى : التاريخ فى الكتاب صـ ١٣١ ـ ١٣٢ ول ديورانت : قصة الحضارة (١١) صـ ١٦١ ـ ١٦٢ أولبرايت : آثار فلسطين صـ ٢٠١٤ .

(٣) د/ المسلى : سقوط اورشليم صـ ٦٥٣ راجع تفاصيل هذه الأحداث فى كتاب م . ب تشارلز وورث : الامبراطورية الرومانية صـ ١٠ـ١٧ ، راجع ايضا الفصل الاول من الباب الاول من هذا البحث .

اليهود كانوا يكرهونه رغم هذه الامتيازت (١) .

على أن مقتله عام ٤٣ ق.م أسلمهم إلى قبضة هيرودوس ثاني أولاده ـ والذى سمى بهيرود الكبير ـ بعد نضال هائل انتهى بفرض الحصار من جديد على أورشليم والاستيلاء عليها (٢) .

ثم تهيأت له أسباب الحكم على بلاد اليهود وتم تعيينه ملكاً عليها من قبل الرومان عام ٣٧ ق . م واستمر على خضوعه وانقياده لهم حتى مات عام ٤ ق .م (٣) .

ولكن اليهود لم يروا فيه ملكاً حقيقياً لبنى اسرائيل فقد ظل فـى نظرهم أدومياً يتربع على عرش داود ، والحق ـ فيما يقول د/ المسلى ـ أنه كـان لرعيته العـذر كل العذر في مقتـه بصرف النظر عن أصله الادومى ، فقد روعتـهم كثيراً هذه الوحشيـة التى عامل بها خصـومه ـ المعـروفين منهم والمظنونين ـ على الرغم من أن الناس كـانوا قد ألفـوا الفظائع والأهوال وأفزعـتهم كثرة مـا اقترفـه من التقتيل والإعـدم بين أفراد اسرته (ومنهم زوجـته

---

(١) د/ المسلى : سقوط اورشليم صـ ٦٥٣ قصـة الحضارة (١١) صـ ١٦٣ ، وكـان اليهود يكرهون أنتيباتر ويكرهون ابنه هيرود الكبير نظرا لأصلهما الأدومى ، وكان المكابيون بقيادة هركانوس الأول قد اضطهـدوا الأدوميين وأكرهوهم عل الاختتان واعـتناق اليهودية عام ١٢٦ ق . م ،و لعلهم عوقبوا على ذلك بتولى هيرودس الأول أو هيرود الكبير على اليهودية عام ٣٧ ق.م (راجع مكابيين أول ٤ : ٢٩ / ٥ : ٥٦ ، د/ حتى تاريخ سـورية جـ ١ صـ ٣٦٩ ، سقـوط أورشليم صـ ٦٥٢٠ ، قـاموس الكـتاب المقدس صـ ١٠٠٨ ، أولبرايت : آثار فلسطين صـ ١٥١ .

(٢) حين تولى أنتيباتر حـاكما على اليـهودية قام بتـعيين ولده البكر فـاسيل حاكـمـا على أورشليم وابنه الثانى هيرود حاكما على الجليل فلما مات بالسم عام ٤٣ ق.م تقاسم الاثنان سلطتـه وكان قسم هيرود هو الأكـبـر ، وفى هذا الوقت زحف ـ البـارثيـون على بلاد اليـهـود وعـينوا أنتـيـجـوس آخـر ملوك الهسـمونيين ملكا على البـلاد بعدآن استولوا على أروشليـم وهرب هيرود إلى روما مستـغيثـا بالرومان فـقرروا تنصيـبه ملـكا على بلاد اليهـود ، وتجـهز بـجيش كـثيف من الرومان والمرتـزقة والسـوريين والأدوميين وطرد البارثيين من البلاد وأرسل انتيجوس إلى انطونيوس ليعدمه وذبح جميع زعماء اليهود الذين عـاونوه (الآب ديلى : تـاريخ شـعب الهـد القـديم صـ ٤٠٠ ـ ٤٠١ . ول ديورانت : قـصـة الحـضارة (١١) صـ ١٦٢ ـ ١٦٣ ، قاموس الكـتـاب المقدس صـ ١٠٠٨ ـ ١٠٠٩ ، د/ عبد الحميد زايد القدس الخالدة صـ ١١٩ ـ ١٢٠ (٣) ول ديورانت : قـصة الحضارة (١١) صـ ١٦٣ ـ ١٦٥ ، أولبرايت : آثار فلسطين صـ ١٤٩ ، دى بورج : تراث العالم القديم . جـ ١ صـ ١٠٥

وولداه) بسبب ما كان يخالجه من شكوك فى نواياهم (١) وكان أكثر ما أسخطهم عليه هذا الاحتقار المقنع الذى كانت تنطوى عليه يهوديته الزائفة (٢) .

وقد جر منصب رياسة الكهنة إلى الحضيض يخلعه على الأشرار المفسدين ممن يختارهم على هواه (٣) ، بالاضافة إلى أنه رغم تهوده إلا أنه لم يكن مؤمناً باليهودية عن عقيدة وانما كان فى طويته هيلينيا كافرا (٤) فقد أظهر ميوله الحقيقية مع الهلينية بأن بنى مدنا

(١) اصطبغ عهد هيرودس كله بالدماء وبأبشع مذابح القتل التى شهدها التاريخ اذ أنه اكتشف مؤامرات حيكت ضده فقبض على المشتركين فيها وعذبهم وقتلهم ولم يكتف بقتلهم وحدهم بل قتل أسرهم كلها فى بعض الأحيان وأطلق عيونه بين الشعب وتخفى ليتجسس بنفسه على رعاياه فكان يعاقبهم على كل كلمة يشتم منها رائحة العداء له ، فقد قتل أعضاء مجلس السنهد ريم جميعاً حين صارحوه بكراهيتهم له وذبح عدداً كبيراً من شيوخ اليهود وكهنتهم الذين بدرت منهم أقل بادرة من المعارضة لحكمه ، ولم يسلم من بطشه حتى أهل بيته وأقرب الأقربين إليه فقتل زوجته وعدداً من أولاده وزوج اخته ، وكان مغرما بابادة أعداد كبيرة من الناس بالجملة فقتل مائةمن تلاميذ الفريسيين مع اثنين من زعمائهم ، وحين بلغه نبأ ميلاد المسيح فى بيت لحم وعلم أنه سيكون ملكا على اليهود أمر بقتل كل أطفال المدينة من ابن سنتين فأقل فذهب ضحية هذه المذبحة عدة آلاف من الأطفال الأبرياء وحين اقترب من الموت ـ وكان موقنا بأن اليهود سيفرحون بموته ـ أصدر أمره بدعوة شيوخ أكبر العائلات فى بلاد اليهودية كلها إلى أريحا ثم أغلق عليهم ملعب الخيل وطلب إلى أخته سالومى أن تأمر الجنود بذبحهم جميعاً فى اللحظة التى يموت هو فيها ، وهكذا اتسم عهد هذا الطاغية بأبشع صور الشراسة والوحشية والتعطش إلى الدماء والتفنن فى أساليب القتل بالخنق والشنق والحرق وتمزيق الجسم إلى نصفين ، وانتزاع الاعترافات بتعذيبات لا مثيل لبشاعتها ، كما اتسمت طبيعته بالشر والضغينة والحقد والرغبة العامة فى التنكيل بكل من يحيطون به والتمثيل بهم والانتقام منهم حتى ان سفراء اليهود اشتكوه لدى قيصر قائلين : « ان الذين بقوا أحياء أثناء حكمه كانوا أتعس من الذين أصابهم بطشه » راجع د/ المسلى : سقوط أورشليم صـ ٦٥٣ ، ول ديورانت : قصة الحضارة (١١) صـ ١٦٨ ـ ١٦٩ ، زكى شنوده : اليهود صـ ١٩٧ ـ ١٩٨ ، قاموس الكتاب المقدس صـ ١٠٠٩ ، الأب ديلى : تاريخ شعب العهد القديم صـ ٤٠٢

(٢) سقوط أورشليم صـ ٦٥٣ .

(٣) المصدر السابق صـ ٦٥٣ ، زكى شنوده : اليهود صـ ٤٠٢ .

(٤) سقوط أورشليم صـ ٦٥٣ ، برتراندرسل : الفلسفة الكاثوليكية صـ ٣١ ، ول ديورانت : قصة الحضارة (١١) صـ ١٦٥ .

جديدة فى فلسطين على غرار المدن الاغريقية وتشييده المعابد الوثنية فيها (١) .

وأنشأ فى أورشليم داراً فخمة للتمثيل ومدرجا وزينها بتماثيل لأغسطس وغيره من الوثنيين ، وأنفق فى ذلك أموالا طائلة ، وأدخل فى بلاده الألعاب الرياضية والمباريات الموسيقية اليونانية وصراع المجتلدين الرومانى ، وأقام فى الأماكن العامة تماثيل يونانية أثارت دهشة اليهود وغضبهم بعريها ، كما أثار غضبهم عرى المصارعين فى الألعاب الرياضية(٢) .

وبلغ من شدة خضوعه للرومان والعمل بكل وسيلة على ارضائهم والتقرب اليهم أن أقام هياكل وثنية لعبادة الإمبراطور الرومانى فى أورشليم ذاتها ووضع على باب الهيكل تمثالا ضخما من الذهب للنسر الذى هو شعار الدولة الرومانية ، فاعتبر اليهود ذلك النسر صنما وثنياً(٣) .

وقد شاد لنفسه قصراً أقامه على الطراز اليونانى وملأه بالذهب والرخام والأثاث الفخم الثمين وأحاطه بحدائق واسعة محتذيا فى ذلك حذو أسياده الرومان (٤) ، وصدم مشاعر الشعب حين أعلن أن الهيكل الذى شاده زربابل منذ خمسة قرون كان ضيقا وأنه يعتزم أن يهدمه ويقيم فى مكانه هيكلاً أوسع منه (٥) ، ولم يبال باحتجاج الأهلين ومخاوفهم وحقق رغبته بأن أقام المعبد الفخم ـ الذى سيدمره تيطس عام ٧٠ م كما سنرى ـ على الطراز الهيللينى ووضع عليه النسر الذهبى الكبير الذى أشرت إليه آنفا

---

(١) من أمثال هذه المدن قيصرية فيلبس التى أصبحت ميناء فلسطين الرومانية وسماها قيصرية تكريما لمولاة أوغسطس قيصر (راجع الحديث عنها د/ حتى : موجز تاريخ الشرق الادنى صـ ١١٣ ، قاموس الكتاب المقدس صـ ٧٥٥ ـ ٧٥٦ .

(٢) سقوط أورشليم صـ ٦٥٣ ، قصة الحضارة (١١) صـ ١٦٦ .

(٣) قصة الحضارة (١١) صـ ١٦٧ ـ ١٦٨ ، براتراندرسل : الفلسفة الكاثوليكية صـ ٣١ ، زكى شنودة : اليهود صـ ١٩١ .

(٤) قصح الحضارة (١١) صـ ١٦٦ ، راجع الوصف الكامل لعمارة هذا القصر وغيره من القصور التى أقامها فى اورشليم : د/ عبد الحميد زايد : القدس الخالدة صـ ١٢١ ـ ١٢٢ .

(٥) يذكر د/ المسلى أن هيرودس شرع فى عام ٢٠ ق .م فى بناء هيكل جديد يحل محل هيكل زربابل وكان قد تهدم أثناء القتال قبل ذلك بسبعة عشر عاما فأزيلت كل المبانى غير القريبة من التل وشيد فوق هذه البقعة الفسيحة هيكلا لم تر أورشليم له نظيراً فى الفخامة والروعة (سقوط اورشليم صـ ٦٥٤) .

والذى تحدى به اليهود (١) .

وجدير بالذكر أن هذا الهيكل هو الذى كان يعلم فيه السيد المسيح (٢) .

وقد اتضح لليهود أن هيرود يريد أن يكون معبود العالم اليونانى لا ملكا لهم فحسب ومن أجل هذا كان انتصار الروح الهلينية على الروح العبرانية فى شخص حاكمهم نذيراً لهم بكارثة مدلهمة لا تقل عما حل بهم من الاضطهاد على يدى أنطيوكوس الرابع (٣) .

فلا عجب بعد ذلك أن اغتبط اليهود بما رافق مرضه وموته عام ٤ ق.م من عذاب نفسى وبدنى أليم (٤) حتى لقد قالوا عنه « إنه تسلل إلى العرش تسلل الثعلب وحكم حكم النمر ومات ميتة الكلب » (٥) .

وكان هيرود قد أوصى قبل وفاته بأن تقسم مملكته بين أبنائه الثلاثة الباقين أحياء (٦) ، فتولى ارخيلاوس على اليهود وهيرودس أنتيباس على الجليل (٧) وفيلبس على الاقليم الشرقى المعروف باسم بنتانيا (٨) وقد تابع الثلاثة سياسة أبيهم فى التزلف إلى الرومان والانبهار بوثنيتهم(٩) .

غير أن أغسطس قيصر لم يلبث أن استجاب لشكوى اليهود بالغاء الملكية فى بلاد اليهود على أثر فتن يهودية ومنازعات عائلية وخلع أرخيلاوس عام ٦ ق .م وجعل اليهودية

---

(١) قصة الحضارة (١١) صـ ١٦٦-١٦٨ ، برتراندرسل الفلسفة الكاثوليكية صـ ٣١ ، راجع التفاصيل الكاملة لهذا المعبد والأبحاث الأثرية التى دارت حوله : د/ عبد الحميد زايد : القدس الخالدة صـ ١٢٣ - ١٣٦ ، قاموس الكتاب المقدس صـ ١٠١٤ - ١٠١٥ .

(٢) د/ فيليب حتى : موجز تاريخ الشرق الادنى صـ ١١٣ .

(٣) ول ديورانت : قصة الحضارة (١١) صـ ١٦٨ .

(٤) سقوط اورشليم صـ ٦٥٣ ، أصيب هيرودس فى أواخر أيامه بداء الاستسقاء والقروح والحمى والتشنج والنفس الكريه الرائحة حتى لقد اقدم قبل موته بخمسة أيام على محاولة للانتحار خلاصا من الاوجاع الرهيبة التى تنتابه وظل هكذا فريسة العذاب الشنيع حتى زهقت روحه أخيراً وهو كاره للجميع مكروه من الجميع (قصة الحضارة (١١) صـ ١٦٩ ،زكى شنودة لليهود : صـ ١٩٨) .

(٥) ول ديورانت : قصة الحضارة (١١) صـ ١٦٩ .

(٦) قصة الحضارة (١١ صـ ١٧٥ ، ١٩٨

(٧) هوالذى عاصر يوحنا المعمدان (راجع قاموس الكتاب المقدس صـ ١٠١١)

(٨) وهى المناطق الواقعة شمال شرقى بحر الجليل وتشمل ايطورية وتراخونيس (زكى شنودة اليهود : صـ ٢٠٣ .

(٩) راجع زكى شنودة : اليهود أو الجزء الثامن من موسوعة تاريخ الأقباط صـ ١٩٨ - ٢٠٣ .

ولاية رومانية من الدرجة الثانية بأن عين عليها حاكما رومانيا مسئولا أمام والى سوريا الرومانية (١) ودام هذا النوع من الحكم (فيما عدا فترة الثلاث سنوات ٤١ــ ٤٤ م عندما حكم هيرود أغربا الأول اليهودية كملك (٢) حتى الثورة العظيمة التى حدثت عام ٦٦م وتدمير طيطس لأورشليم فى عام ٧٠ م (٣).

فعلى أثر المظالم المتتالية والاضطهادات المستمرة التى اقترفها الولاة الرومانيون (٤).

---

(١) راجع ول ديورانت : قصة الحضارة (١١ صــ ١٨٤ ، الأب ديلى : تاريخ شعب العهد القديم صــ ٤١٣ دى بورج : تراث العالم القديم جــ ١ صــ ١٠٥ ، د/ المسلى : سقوط اورشليم صــ ٦٥٣ ، وكان الحاكم الرومانى فى عهد المسيح عليه السلام يسمى بيلاطس.

(٢) تولى الامبراطور تيبريوس حكم الرومان بعد أغسطس ونعمت البلاد المضطربة بفترة صغيرة من السلام فلما جلس كلجيولا على العرش أراد أن يجعل عبادة الامبراطور دينا يوحد به أجزاء الامبراطورية المختلفة فأمر أن تشمل كل العبادات قربانا يقرب لصورته وأصدر تعليماته إلى الموظفين فى اورشليم أن يضعوا تمثاله فى الهيكل وكان اليهود فى عهد أغسطس وتيبريوس قد خطوا نصف الطريق إلى ترضية الأباطرة بأن كانوا يضحون بيهوه باسم الامبراطور ولكنهم عارضوا أمر كليجولا حتى مات وتولى من بعده الامبراطور كلوديوس فقام بتعيين حفيد هيرودس الكبير ويسمى هيرود أغربا أو أجربا ــ ملكا على فلسطين كلها سنة ٤١ فلما مات عام ٤٤ تم تعيين حاكم من قبل رومة كما كان من قبل (راجع تفاصيل ذلك فى قصة الحضارة (١١) صــ ١٨٤ــ ١٨٥)

(٣) دى بورج : تراث العالم القديم جــ ١ صــ ١٠٥

(٤) يذكر المؤرخون أن حكم الرومان لولاية اليهودية كان أكبر وصمة فى تاريخهم الادارى ــ بسبب خطئهم وعدم توفيقهم فى تعيين ولاة عليها لا ترتفع كفايتهم عن الدرجة الثانية وتهبط أخلاقهم إلى الدرجة العاشرة فقد كان معظمهم عاجزين أو سفلة فكرههم اليهود ودأبوا على منا وأتهم ، والتمرد عليهم ، ولم تكن السنوات الشقية (٦ــ ٧٠ م) إلاكابوسا من المظالم القاسية التى لقيت مقاومة صحبتها فظائع وحشية ، واذا كان بيلاطس الذى ــ عاصره المسيح عليه السلام ــ قد اشتهر اسمه دون غيره من الولاة الرومانيين على يهوذا ، فانه رغم قسوته واثارته لسخط الناس لم يكن من وجهة نظر اليهودية شر هؤلاء الولاة المتعاقبين ، إلا أنه لابد من القول بأن اليهود كانوا فى نظر هؤلاء الولاة شعبا مشاكسا صعب المعاشرة صعب الانقياد وليس من السهل اخضاعه وأن المحافظة على الهدوء والنظام فى فلسطين كان عبئا ثقيلا ومطلبا عسيراً .

(راجع الأب ديلى : تاريخ شعب العهد القديم صــ ٤١٣ ، د/ المسلى : سقوط ــ أورشليم صــ ٦٥٣ ، ول ديورانت : قصة الحضارة (١١) صــ ١٨٥ ، زكى شنودة اليهود صــ ٢٠٤ ــ ٢٠٦ . ، اندريه ايمار ،و جانين اوبوابه :روما وامبراطوريتها صــ ٤١٧ ــ ٤١٨ ترجمة يوسف سعد دارم وفريد م. داغر : منشورات عويدات بيروت لبنان الطبعة الأولى ١٩٦٤ ، وهو الجزء الثانى من تاريخ الحضارات العام باشراف موريس كروريه .

اندلعت ثورة اليهود فى أورشليم وقاموا بذبح الحامية الرومانية ، وقبل أن يحل شهر سبتمبر من عام ٦٦ ق.م كان الثوار قد استولوا على اورشليم وعلى فلسطين كلها تقريباً(١) .

ولكن رد الرومان على الثورة كان عنيفاً ، فقد انتقموا من اليهود شر انتقام اذ أرسلوا اليهم جيشاً ضخما قوامه ستون ألف مقاتل فى عام ٦٧ م بقيادة فسباسان فحاصر أورشليم وظل يضيق الخناق على اليهود حتى اذا ما انتخبه الجيش الرومانى امبراطور الدولة الرومانية فى عام ٦٩م ترك ولده تيطس على أبواب أورشليم ليواصل الحصار ، وظلت اورشليم تستميت فى المقاومة حتى تمكن الجيش الرومانى من فتح ثغرات فى حصونها واختتمت آلام الجوع والوباء والتقتيل باضرام النيران فى الهيكل فاحترق عن آخره وتم الاستيلاء على اورشليم بعد أن خيم عليها الدمار والخراب فى ٩أغسطس عام ٧٠ م (٢) .

(١) بدأت الثورة بمظاهرة احتجاج مجموعة من شباب اليهود على الوالى الرومانى فلورس الذى تولى ٦٤م وتميز عهده بالمذابح ـ لكنه فرق المتظاهرين وقبض على زعماء الفتنة ثم قام بقتل ثلاثة آلاف وستمائة يهودى فغضب اليهود وقبضوا على الحامية الرومانية ثم قتلوهم عن آخرهم وهكذا استحالت الفتنة إلى ثورة وخاصة أن الرومان قتلوا فى نفس هذا اليوم ـ الذى ذبحت فيه أفراد الحامية الرومانية ـ عشرين ألفا من اليهود فى قيصرية فيلبس وعشرة آلاف يهودى فى دمشق ، وتخفى الالآف من اليهود وقاموا بتدمير عدد كبير من المدن اليونانية فى فلسطين وسوريا وأحرقوا بعضها عن آخرها وقتلوا عدداً كبيراً من أهلها كما قتل منهم أيضاً كثيرون ، ويقول يوسيفوس اليهودى فى هذا « وكان من المناظر المألوفة فى ذلك الوقت أن ترى المدن مملوءة بجثث الموتى ملقاة فيها دون أن تدفن وأن نشاهد جثث الشيوخ إلى جانب جثث الأطفال وبينها جثث النساء عارية من كل غطاء لكن الثوار تمكنوا فى النهاية من السيطرة على أورشليم ، وعلى معظم مدن فلسطين (راجع ول ديورانت : قصة الحضارة (١١) صـ ١٨٥ ـ ١٨٧ ، د/ المسلى : سقوط اورشليم صـ ٦٥٤ جلانفيل داونى : انطاكية القديمة صـ ١٢٣ ـ ١٢٤ ، تشارلز وورث : الامبراطورية الرومانية صـ ٦٨ ، ٦٧ .

(٢) د/ المسلى : سقوط اورشليم صـ ٦٥٥ ، قصة الحضارة ١٨٧ـ ١٨٨ (١١) ، الامبراطورية الرومانية صـ ٦٨ ، انطاكية القديمة صـ ١٢٥ ، روما وامبراطوريتها صـ ٤١٩ ، د/ عبد الحميد زايد القدس الخالدة صـ ١٤٦ ـ ١٤٧ ، زكى شنودة : اليهود صـ ٢٠٩ ـ ٢١١ .

وقد قدم يوسيفوس وصفا مفصلا لهذه الأحداث التى عاصرها فمما يذكر أن الرومان أسروا آلافاً من اليهود وصلبوهم وقد بلغوا من الكثرة حداً لم تتسع معه الارض لاقامة الصلبان ولم يوجد من الصلبان ما يكفى لاجسامهم وازدحمت شوارع المدينة بجثث الموتى ، وكانت جماعات من النهابين تطوف بالموتى وتقطع اجسامهم وتنهب مالهم ويقال ان ١١٦,٠٠٠ جثة ألقيت =

ويذكر المؤرخ يوسيفوس ـ أن عدد من أسر من اليهود وبيع فى أسواق الرقيق بلغ سبعة وتسعين ألفاً وأن عدد من أبيد وقتل قد تجاوز المليون .

لكن هناك من المؤرخين مثل تاستس من يقدرهم بستمائة ألف قتيل فقط (١) .

وعلى أى حال فان تيطس عاد إلى روما وقام هو ووالده بموكب كبير عرضت فيه كنوز الهيكل وأخصها الشمعدان الذهبى ذو السبع شعب ، وشريعة اليهود ، وسار فى الموكب أسرى اليهود الذين جئ بهم من اورشليم ، وحتى يسجل استيلاء على اورشليم أقام قوسا للنصر سمى قوس النصر العظيم لتيطس بنى فى ساحة روما ونقش عليه الكثير من المناظر (٢) .

وقيل إن بعض اليهود ظلوا يقاومون فى أماكن متفرقة حتى عام ٧٣ م لكن تدمير الهيكل كان في واقع الأمر نهاية الفتنة ونهاية الدولة اليهودية ، وصودرت أملاك الذين اشتركوا فى الثورة وبيعت ، وكادت اليهودية أن تخلو من اليهود ، وعاش من بقى منهم فيها عيش الكفاف وكان أفقر فقرائهم يرغم على أن يؤدى للهيكل الوثنى فى رومه نصف الشاقل الذى كان ـ العبرانيون الصالحون يؤدونه فى كل عام لصيانة هيكل أورشليم (٣).

= من فوق أسوار أورشليم وان بعض اليهود بلعوا قطعاً من الذهب وخرجوا خلسة من اورشليم وأن الرومان أو السوريين الذين قبضوا عليهم شقوا بطونهم ليحصلوا على مابتلعوه من الذهب . (راجع قصة الحضارة (١١) صـ ١٨٨) .

(١) قصة الحضارة (١١) زكى شنودة : اليهود صـ ٢١٠ .

وقد علق هنتيجتون ـ وهو جغرافى يهودى لا يخفى تعصبه على هذه الأرقام التى ذكرها يوسيفوس بأنها أرقام مبالغ فيها بلا شك، ويذكر الدكتور جمال حمدان انه يمكننا نحن أيضاً أن ننبذها ونعدها خرافية تماماً لأن الادلة التاريخة وإشارت التوراة نفسها كما رأينا تضع كل تعداد اليهود فى حدود تقصر دون ذلك كثيراً جداً ولا تتجاوز ثلاثة أرباع المليون كحد أعلى .

ومن الناحية الأخرى فاذا صح ما يقوله البعض من أن عدد من أبيد من اليهود فى هذه الثورة لا يقل عن ٦٠٠ ألف ـ ولعله أدنى إلى العقل ـ فذاك انقراض جنسى حقيقى لم يكد يترك منهم شيئاً (راجع اليهود انثروبولوجياً صـ ١٩ ـ ٢٠ .

(٢) راجع جلانفيل داونى : انطاكية القديمة صـ ١٢٧ ـ ١٢٨ ، د/ عبد الحميد زايد :القدس الخالدة صـ ١٤٦ـ ١٤٧ .

(٣) راجع قصة الحضارة (١١) الجزء الثالث من المجلد الثالث : قيصر والمسيح أو الحضارة الرومانية / ترجمة محمد بدران صـ ١٨٨ ـ ١٨٩ / الطبعة الثالثة ١٩٧٣ .

ثورة ١٣٥ والشتات الأخير :

وكانت آخر وقفة وقفها اليهود فى التارخ القديم لاستعادة حريتهم تلك الثورة التى أشعلوها فى عام ١٣٢ بزعامة شمعون باركوشيبا أو باركوخيا (١) .

لكن الرومان تمكنوا من قمعها والقضاء عليها فى عام ١٣٥ م بعد أن قاموا بمذبحة رهيبة ونهائية قضت على اليهود وختمت على مصيرهم فى فلسطين كدولة قومية فعدا تدمير أورشليم والهيكل مرة آخرى صفيت بقايا اليهود بالابادة والهجرة (٢) .

فقد اتسع شتات اليهود ، وفر كثير منهم ورحلوا عن فلسطين وحل محلهم فيها اقوام جديدة من عروق مختلفة (٣) .

وبنى الامبراطور هدريان فوق أطلال اورشليم مدينة جديدة عرفت باسم « ايليا كابتوليا» (٤) وشيد فيها معبداً للاله جوبيتر على أنقاض الهيكل القديم وأقام لنفسه تمثالا لنفسه أمام هذا الهيكل ، وأحيا فيها ما يعرف بعبادة الامبراطور ، كما شيد أيضا معبداً للإله

---

(١) يذكر المؤرخون أن الرومان بحمقهم وبلاهتهم هم الذين أشعلوا نار هذه الثورة ذلك أن هدريان أعلن فى عام ١٣٠ م أنه يعتزم بناء ضريح لجوبيتر فى مكان الهيكل ثم آصدر فى عام ١٣١ مرسوماً بتحريم الختان وتعليم الشريعة اليهودية علنا وكان شمعون بن كوزيبا الذى اطلق عليه باركوخيا قد ادعى أنه المسيح المنتظر فالتف حوله اليهود وقاموا بتلك الثورة .

راجع روما وامبراطوريتها صـ ٤١٩ ، ول ديورانت : قصة الحضارة (١١) صـ ١٩٤ ، د/ عبد الحميد زايد : القدس الخالدة صـ ١٥٤ .

(٢) يذكر المؤرخون أن الرومان قد دمروا تسعمائة وخمساً وثمانين قرية ومدينة فى فلسطين وذبحوا خمسمائة وثمانين ألفاً من اليهود ، ويقال إن الذين ماتوا من الجوع والمرض والحريق كانوا اكثر من هذا العدد وخربت بلاد اليهود كلها تقريباً وخر باركوشيبا أو باركوخيا نفسه صريعاً وكان الذين بيعوا من اليهود فى أسواق الرقيق من الكثرة بحيث انخفض ثمن الواحد منهم حتى ساوى ثمن الحصان واختبأ آلاف منهم فى سراديب تحت الأرض مفضلين ذلك على الأسر ولما أحاط بهم الرومان هلكوا من الجوع واحداً بعد واحد وكان الأحياء منهم يأكلون جثث الموتى (راجع قصة الحضارة (١١) صـ ١٩٤ـ ١٩٥ ، الأب ديلى : تاريخ شعب العهد القديم صـ ٤١٣ ، د/ جمال حمدان : اليهود انثروبولوجيا صـ ١٩ .

(٣) روما وامبراطوريتها صـ ٤١٩ . (٤) واليا هو لقب أسرة الامبراطور الرومانى هدريان أو هدريوناس قبل ارتقائه العرش وكابتولين جوبيتر هو الاله الرومانى الرئيس (راجع روما وامبراطوريتها صـ ٤١٩ ، القدس الخالدة ١٥٤ ـ ١٥٥

(٥) راجع روما وامبراطوريتها صـ ٤١٩ ، قصة الحضارة (١١) صـ ١٩٥ ، القدس الخالدة صـ ١٥٤ـ ١٥٥ .

فينوس عند موقع الجلجثة ونصب عنده تمثال الزهرة عشترت (٥) .

وهكذا ومن هذا التاريخ (١٣٥ م) ومن يوم أن جعل هدريان أورشليم قاعاً صفصفاً حكم الرومان على اليهود بالتشتيت النهائى حيث حرموا عليهم دخول أورشليم نهائياً (١) ، وطردوهم من فلسطين إلى كل أجزاء الامبراطورية ، وانتهت علاقتهم بها سياسيا وسكانياً فى التاريخ القديم .

وعرف هذا الشتات أو الخروج بالشتات الأخير (٢) .

كذلك فقد قتل الرومان أو طردوا كل اليهود فى قبرص ، وحتى ندرك ضآلة ماتبقى من اليهود بعد هذه المذابح والمطاردات يكفى أن نذكر أن عدد يهود الخروج الأخير أو الشتات الأخير هذا يقدر بنحو أربعين الفا فقط وهو رقم لا بد أن نتذكره دائماً لما سيكون له من دلالات جنسية وتاريخية وسياسية عميقة المغزى ، أما ما تبقى بعد هذا وذاك من يهود فلسطين فشراذام ضئيلة ازدادت تناقصا فيما بعد بتحول بعض أفرادها إلى المسيحية (٣) .

هذا وقد ظل اليهود قرونا عدة يعانون آثار النكبة التى حلت بهم بعد ثورة ١٣٥ م ـ ودخلوا من هذه اللحظة فى دور الكهولة وتخلوا عن كل العلوم الدنيوية ما عدا الطب ، ولم يتلقوا السلوى أو الوحدة إلا من أحبارهم وشعرائهم الصوفيين ، وكما يقول ول

---

(١) استثنى من هذا التحريم يوم واحد سمح فيه الرومان لليهود بالدخول فى أورشليم وهو اليوم التاسع من اغسطس (ذكرى تدمير الهيكل وحرقه) نظير جعل معين ليندبوا ويبكوا أمام خرائب الهيكل ، ويذكر الدكتور عبد الحميد زايد أن هذا الاستثناء لم يحدث الافى القرن الرابع الميلادى ، ثم الغى التحريم فى القرن التالى حينما تدخلت الامبراطورة ايدوسيا أرملة الامبراطور ثيودوسيوس الثانى واستطاع اليهود الاقامة مرة اخرى فى المدينة (راجع قصة الحضارة (١١) صـ ١٩٥ ، (١٤) صـ ٤ روما وامبراطوريتها صـ ٤١٩ ، القدس الخالدة صـ ١٥٥ .

(٢) القدس الخالدة صـ ١٥٥ ، اليهود انثروبولوجيا صـ ٢٠ ـ على أن يهود الشتات الرومانى لم يكونوا من طريدى فلسطين وحدها وإنما من كل مستعمراتهم السابقة القائمة فى العالم الهلنستى فتبعوا الرومان إلى إيطاليا وألمانيا حتى الراين ـ راجع تفاصيل ذلك : د/ جمال حمدان : اليهود انثروبولوجيا صـ ٢١ ـ ٢٢ .

(٣) ولعل اهم تلك البقايا : السامريون الذين تحولوا إلى قوقعة قزمية مغلقة فى نابلس (شكيم القديمة) حتى انها لا تزيد اليوم عن مائة أو مائتين ، وفى بداية القرن التاسع عشر لم يكن عدد اليهود فى فلسطين كلها ليزيد عن عشرة الاف نسمة (د/ جمال حمدان : اليهود انثروبولوجيا صـ ٢٠ ، ٢١)

ديورانت : (لقد حرم عليهم أن يدخلوا المدينةالمقدسة وأرغموا على تسليمها للوثنية ثم للمسيحية ، وشردوا فى كل ولاية من ولايات الدولة الومانية وإلى ماوراء حدود تلك الدولة وضربت عليهم الذلة والمسكنة (١) .

ولم يجدوا لهم صديقاً حتى بين الفلاسفة والقديسين فابتعدوا عن المناصب العامة وعكفوا على عزلتهم ، واستمسكوا أشد الاستمساك بأقوال علمائهم وأخذوا يتأهبون لكتابتها آخر الأمر فى تلمود بابل وفلسطين ، وهكذا اختبأت اليهودية فى ظلمات الخوف والفزع بينما كانت وليدتها المسيحية تخرج إلى العالم (٢) .



(١) الملاحظ أن تحولاً جذرياً قد طرأ على اليهود بعد هذه الابادة الشاملة والتشريد فتاريخهم قبل عصر التوراة وبعده تاريخ دموى حربى كله الغزو والعدوان وتغلب عليهم فيه صفة الشراسة والعنف ، أما بعد مجازر الأشوريين والبابليين ثم اليونان والرومان فقد تحول اليهودى فجأة إلى شخصية مستضعفة خانعة تحقق أغراضها بالوسائل الناعمة والملتوية وبالتزلف والمكر والخديعة ، ويرجع هنتيجتون هذا التحول فى الشخصية الجماعية إلى عمليات الانتخاب التى فرضتها تلك المجازر ـ حيث بادت فها العناصر المناضلة المقاومة ولم يبق إلا عناصر الجبن والمسكنة والخبث، ومنها ومن حينها أخذ اليهود طابعهم الذى عرفوا به فى كل العالم حتى اليوم .

(د . جمال حمدان : اليهود انثروبولوجيا صـ٢١) .

(٢) قصة الحضارة (١١) صـ ١٩٥ ـ ١٩٦ ، راجع أيضا قصة الحضارة (١٤) الجزء الثالث من المجلد الرابع عصر الايمان صـ ٤ ـ ٩ ترجمة محمد بدران طبعة ١٩٧٥ وفى هذه الصفحات يتحدث المؤلف عن مصير اليهود بعد الشتات الأخير وحياتهم بين عام ١٣٥ إلى عام ٥٦٥ م .

المبحث الثامن : اختلاط اليهود بالشعوب الوثنية وزواجهم بالوثنيات :

وهكذا كان اليهود ـ على مدار تاريخهم القديم ـ كالكرة تتقاذفها الاقدام وتنتقل من قدم إلى الأخرى ، وعاشوا يلقون الصفعات المتتالية والضربات المستمرة ما ان يفيقوا من صفعة حتى تنهال عليهم ضربة أشد .

ولعل عزرا يشير إلى ذلك حين تضرع إلى الرب وقال « اللهم انى أخجل وأخزى من أرفع ياالهى وجهى نحوك لأن ذنوبنا قد كثرت فوق رؤسنا وآثامنا تعاظمت إلى السماء منذ ايام آبائنا نحن فى اثم عظيم إلى هذا اليوم ولأجل ذنوبنا قد دفعنا نحن وملوكنا وكهنتنا ليد ملوك الأرض للسيف والسبى والنهب وخزى الوجوه كهذا اليوم » (١) .

وكما لاحظنا فان الاسرائيليين قد اضطهدوا فى مصر سنوات طويلة وعانوا فيها ظلم العبودية وبؤس السخرة ثم تاهوا فى البرية أربعين سنة يهيمون على وجوههم فى ضلال وضياع، وحين دخلوا كنعان ظلوا فى نزاع دائم وحرب مستمرة فى عهد يشوع ، وفى عصر القضاة لاقوا الذل والمرارة على أيدى شعوب فلسطين .

ولم يشعروا بكيانهم إلا فى عصر المملكة الموحدة وخاصة فى عهدى داود وسليمان عليهما السلام ، ولكن سرعان ما تتجزأ المملكة ويدخل عصر الانقسام بنزاعاته الدائمة وصراعاته المستمرة حتى تزول مملكة الشمال ويتم تخريب السامرة على أيدى الأشوريين ويقع السبى الأشورى ٧٢٢ ق . م وتنتهى مملكة الجنوب ويتم تدمير أورشليم على أيدى البابليين ويحدث السبى البابلى ٥٨٦ ق . م .

وما ان ينعمون بفترة من الهدوء فى العصر الفارسى حتى يفجعهم الاضطهاد اليونانى ويبدأ الشتات الهيلينى ، ثم يجئ الاضطهاد الرومانى وتحرق اورشليم بهيكلها عام ٧٠ ثم تكون الابادة الشاملة عام ١٣٥ م ويبدأ الشتات الرومانى أو ما يعرف بالشتات الأخير .

فعاش اليهود أغلب حياتهم تحت سياط القهر والاستعباد ، وعانوا مزيداً من الذل والاضطهاد ، وصحب كل ذلك تحريق وتخريب وتدمير وانتهى كل ذلك أيضاً إلى تيه وضياع ، وإلى سبى وتشرد وشتات .

وقد أدى هذا كله إلى زلزلة كيان اليهودى وانهياره داخلياً وانهزامه نفسياً ، مما

---

(١) عزرا ٩ : ٦ـ ٧ .

ساعد على تقبله الأفكار الوثنية واستغراقه الكامل فى عقائدها ، وعكوفه الدائم على طقوسها وعباداتها .

ولكن فى فترات السلم والهدوء التى تمتع بها اليهود سواء فى مصر أو فى كنعان وسواء ــ أكانوا فى أورشليم أو بابل تحت رعاية البابليين أو فى بابل وأورشليم تحت عناية الفرس أو فى فترة البطالمة والمكابيين فانهم أيضا سرعان ما اختلطوا بالشعوب الوثنية واندمجوا فيهم مما أدى إى الامتزاج بهم ثقافياً والتأثر بهم دينياً .

ففى مصر اتصل الاسرائيليون بالمصريين واختلطوا بهم وتمت بينهم مصاهرة ومجانسة ، وبمرور الزمن اختلط الحابل بالنابل وأصبح الابن لأب مصرى وام اسرائيلية أو لأم مصرية وأب اسرائيلى .

واذا كان بنواسرائيل يطلقون على ابن الصرى أنه ابن غريب ، فقد كان أكثر الذين ولدو من آباء مصريين يتولون القيادة فى بنى اسرائيل لميزة الشجاعة والجرأة ــ

« وحيث ان التاريخ لم يثبت وجود سجلات لقيد بنى اسرائيل يبين فيها الأصل والفرع ، فلا يمكن ان نتبين الخلاصة من بنى اسرائيل الذين لم يختلطوا بالمصريين حيث ان مدة اقامة بنى اسرائيل بمصر كانت مدة طويلة جداً يتوه فيها الأصل والفرع » (١) .

ومن ثم فإن العلماء والمؤرخين ينتهون إلى أن بنى اسرائيل قد ذابوا فى البيئة المصرية (٢) .

وأما فى كنعان فان الاسرائيليين حين دخلوها وجدوا الكنعانيين على مرحلة متقدمة من الحضارة فنقلوا عنهم وامتزجوا بهم وتشبعوا بثقافتهم وانصهروا فيهم ، ولئن لم تستطع الآثار المعاصرة أن تقدم دليلاً مادياً ينهض على وجود ثغرة بين المرحلة الكنعانية والمرحلة الاسرائيلية فليس ذلك الا لأن الاسرائيليين استطاعوا أن يصطبغوا بصبغة الكنعانيين بمجرد الاتصال بهم (٣) .

---

(١) راجع محمد فواد الهاشمى : اليهود من الكتب المقدسة صـ ٧ و صـ ٨ .

(٢) راجع د/ احمد سوسة : مفصل العرب واليهود فى التاريخ صـ ٤٨٥ .

(٣) راجع تفاصيل ذلك : د/ فيليب حتى : تاريخ سورية جـ ١ صـ ١٩١ ــ ٢٢١ ، ــ موجز تاريخ الشرق الادنى صـ ٨٢ ــ ٨٤ ، تاريخ لبنان صـ ١١٣ ، تاريخ العرب جـ ١ صـ ٥١ ، ٥٢ ، غوستاف لوبون : اليهود فى تاريخ الحضارات الاولى صـ ٤٣ ــ ٤٤ ، دى بورج : ـ تراث العالم القديم جـ ١صـ ٤٨ ، موسكاتى : الحضارات السامية القديمة صـ ١٤٠ ، كاترين هنرى : التاريخ فى الكتاب صـ ٤٢ ، د/ نجيب ميخائيل : مصر والشرق الأدنى القديم جـ ٣صـ ٢٨٩ ، حسين حمادة :آثار فلسطين صـ ١٢٣ .

وكما يقول بريستيد فانه بعد زمان معين لم يعد التفريق بينهم وبين الكنعانيين الذين ساكنوهم ممكنا ، لا فى المنظر الخارجي ولا فى المهنة ولا فى أسلوب المعيشة ،لأنهم اقتبسوا الحضارة الكنعانية كما يقتبس المهاجرون إلى امريكا فى هذه الايام عادات الاميركان وأخلاقهم وملابسهم (١) .

وقد كانت النتيجة أن أخذ الاسرائيليون يتكلمون لغة الكنعانيين ويتصاهرون معهم ، ـ ونستطيع أن ندرك بسهولة ـ فيما يقول الأب ديلي ـ ما يجره عليهم مثل هذ التقرب إلى شعب وثنى من الأخطار (٢) .

وكان زواج الاسرائيليين بالوثنيات من أخطر الوسائل وأشدها أثراً على عقائد اليهود وعباداتهم ، ولعل ذلك هو السر فى أن الرب قد نهاهم عن فعله وحذرهم من ممارسته اكثر من مرة (٣) .

لكن الاسرائيليين منذ عهد ابيهم يعقوب لم يكفوا عن الزواج بالوثنيات ففيما عدا الآباء الثلاثة الأوائل (ابراهيم واسحاق ويعقوب) الذين اتخذوا زوجات آراميات من جنسهم ، نجد أسفار العهد القديم زاخرة بعد عهدهم بأخبار زواج اليهود من نساء الأمم الوثنية ، فقد تزوج يهوذا بن يعقوب من امرأة كنعانية (٤) .

---

(١) العصور القديمة صـ ٢٢٢ .

(٢) تاريخ شعب العهد القديم صـ ١٨٦ .

(٣) ورد فى سفر الخروج أن الرب أوصى موسى قائلا : احترز من أن تقطع عهداً مع سكان ـ الأرض فيزنون وراء آلهتهم ويذبحون لآلهتهم فتدعى وتأكل من ذبيحتهم ، وتأخذ من بناتهم لبنيك فتزنى بناتهم وراء آلهتهم ويجعلن بنيك يزنون وراء آلهتهن « (خروج ٣٤ : ١٥ ـ ١٦ .

وجاء فى سفر التثنية « متى أتى بك الرب الهلك إلى الأرض التى أنت داخل اليها لتمتلكها وطرد شعوباً كثيرة من أمامك الحثيين والجرجاشيين والأموريين والكنعانيين والفرزيين والحويين واليبوسيين سبع شعوب اكثر وأعظم منك ، ودفعهم الرب الهك امامك وضربتهم فانك تحرمهم لاتقطع لهم عهداً ولا تشفق عليهم ولا تصاهرهم بنتك لا تعط لابنه وبنته لا تأخذ لابنك ، لانه يرد ابنك من ورائى فيعبد آلهة أخرى فيحمى غضب الرب عليكم ويهلككم سريعاً »

تثنية ٧ : ١ ـ ٤

(٤) تكوين ٣٨ : ١ ـ ٥ ومما يذكر أن يوسف قد تزوج مصرية بنت كاهن مصرى وأنجب منها ولدين : منسى وافرايم (راجع تكوين ٤١ : ٤٥ ، ٥٠ ـ ٥٢) ومن المعلوم أنه نبى معصوم فلا يستبعد أن تكون هذه الزوجة قد أسلمت وحسن اسلامها ، لكن الإسرائيليين بعد أن طال عليهم الأمد تزوجوا بمصريات وثنيات انطلاقاً من زواج يوسف عليه السلام بمصرية .

ولم تذكر لنا التوراة شيئاً عن زواج أبناء يعقوب الباقين ، بيد أن الراجح ـ كما يقول الاستاذ زكي شنوده ـ ان أغلبهم تزوج من نساء يهوديات ، كما أن الراجح أن اليهود طوال اقامتهم فى مصر لمدة أربعمائة وثلاثين عاما قد اختلطوا بالمصريين وتزوجوا من بناتهم وعبدوا معبوداتهم (١) .

وحينما حارب بنو اسرائيل المديانيين كانت الوصية لهم من الرب ـ فيما يزعم كاتب سفر العدد اقتلوا كل ذكر من الاطفال وكل امرأة عرفت رجلا بمضاجعة ذكر اقتلوها ، لكن جميع الاطفال من النساء اللواتى لم يعرفن مضاجعة ذكر ابقوهن لكم حيات » (٢) .

وانتهى القتال بأن اغتنم الاسرائيليون منهم أعداداً غفيرة ، وكان عدد النساء اللواتى لم يعرفن مضاجعة ذكر اثنتين وثلاثين الفاً ، وهكذا نجد أن الاسرائيليين قد أسروا هذا ـ العدد من الوثنيات واتخذوهن زوجات لأنفسهم

وفى عصر القضاة يذكرالسفر أن بنى اسرائيل « سكنوا فى وسط الكنعانيين والحيثيين والأموريين والفرزيين والحويين واليبوسيين واتخذوا بناتهم لأنفسهم نساء وأعطوا بناتهم لبنيهم وعبدوا آلهتهم » (٣) .

وحتى القضاة أنفسهم الذين يزعم كتاب الأسفار أن الرب قد أقامهم كانوا يصاهرون الوثنيين (٤) .

وفى عصر الانقسام ازداد التزاوج بين الاسرائيليين والوثنيات وبلغ ذروته فى عهد

---

(١) المجتمع اليهودى صـ ١٢ـ ١٣، راجع ايضا د/ أحمد سوسة : مفصل العرب واليهود فى التاريخ صـ ٤٨٥ ، محمد فؤاد الهاشمي : اليهود من الكتب المقدسة صـ ٧ ـ ٨.

(٢) عدد ٣١ : ١٧ ـ ١٨ ، ٣٢ ، وقد وردت فى سفر التثنية قاعدة الشريعة بالنسبة لزواج اليهود من السبايا الأجنبيات « راجع سفر التثنية ٢١ : ١٠ ـ ١٤ ، ولمعرفة مزيد من التفاصيل حول زواج اليهود بالاجنبيات وأثره على عقائد وأفكار اليهود راجع موسكاتي : الحضارات السامية القديمة صـ ٥٥ ـ ٦٥ ، قاموس الكتاب المقدس صـ ٦٥٦ ، ٤٦٤ ، زكي شنودة المجتمع اليهودى صـ ١٣ ـ ١٤ ، ثروت الاسيوطى : نظام الاسرة بين الاقتصاد والدين بنوا سرائيل صـ ١٨٠ـ ١٨١ .

(٣) قضاة ٣ : ٥ ـ ٦ .

(٤) فعلى سبيل المثال نجد القاضى يفتاح كان له ثلاثون ابنا وثلاثون ابنة أرسلهن إلى الخارج وأتى من الخارج بثلاثين ابنة لبنيه) قضاة ١٢ : ٩) والقاضى شمشون تزوج من بنات الفلسطينيين (قضاة ١٤ : ١ ـ ٩) ، وفى عصر القضاة ايضا تزوج الاسرائيليون من الموأبيات وخاصة المرأتين : عرفة وراعوث التى هى جدة داود فيما يزعمون (راجع راعوث ١ـ ٤ / : ١٣ ـ ١٧)

اخآب ـ حيث تزوج ايزابل الفينيقية التى أدخلت عبادة البعل إلى المملكة الشمالية (١) وتزوج يهورام ـ ملك يهوذا من ابنتها عثليا التى نقلت هذه العبادة إلى المملكة الجنوبية(٢) .

وحين سمح ملك الفرس لليهود بالعودة إلى فلسطين رفض الكثيرون منهم أن يعودوا وآثروا البقاء فى بابل لأنهم كانوا قد تزوجوا من بنات البابليين والأشوريين واستقر بهم المقام فى بلاد زوجاتهم (٣) .

وحتى الذين عادوا إلى فلسطين استمروا بعد ذلك يتزوجون من الوثنيات حتى عاد إليهم نحميا ومن بعده عزرا فهالهما ذلك الأمر الخطير :

يقول نحميا « فى تلك الأيام رأيت اليهود الذين ساكنوا نساء أشدوديات(٤) وعمونيات ومؤابيات ، ونصف كلام بنيهم باللسان الأشدودى ولم يكونوا يحسنون التكلم باللسان اليهودى بل بلسان شعب وشعب ، فخاصمتهم ولعنتهم وضربت منهم اناساً ونتفت شعورهم واستحلفتهم بالله قائلا : لا تعطوا بناتكم لبنيهم لا تأخذو من بناتهم لبنيكم ولا لأنفسكم » (٥) .

ويذكر السفر أنه قال لهم « أليس من اجل هؤلاء اخطأ سليمان ملك اسرائيل ولم يكن فى الأمم الكثيرة ملك مثله وكان محبوباً إلى الهه فجعله الله ملكا على كل اسرائيل هو أيضا جعلته النساء الأجنبيات يخطىء (٦) فهل نسكت لكم أن تعملوا كل هذا الشر

---

(١) ملوك أول ١٦ : ٣١ ــ ٣٢ .   (٢) ملوك ثان ٨ : ١٨ ، ٢٧ .

(٣) زكى شنودة : المجتمع اليهودى صـ ٢٠.

(٤) الاشدوديات : نسبة إلى اشدود وهى احدى مدن الفلسطينيين الخمس فالمقصود بالاشدوديات الفلسطينيات (راجع قاموس الكتاب المقدس صـ ٧٧)

(٥) نحميا ١٣ : ٢٣ ـ ٢٥ .

(٦) نحميا ١٣ : ٢٦ ، ونحميا يشير إلى ما ورد فى سفر الملوك الأول « وصاهر سليمان فرعون ملك مصر وأخذ بنت فرعون وأتى بها إلى مدينة داود » (٣ : ١)

« وأحب الملك سليمان نساء غريبة كثيرة مع بنت فرعون موآبيات وعمونيات وأدوميات وصيدونيات وحيثيات ، من الامم الذين قال عنهم الرب لبنى اسرائيل لا تدخلون اليهم وهو لا يدخلون اليكم لأنهم يميلون قلوبكم وراء آلهتهم ، فالتصق سليمان بهؤلاء بالمحبة وكانت له سبع مائة من النساء السيدات وثلاثمائة من السرارى ، فأمالت نساؤه قلبه وكان فى زمان شيخوخة سليمان أن =

العظيم بالخيانة ضد الهنا بمساكنة نساء أجنبيات » (١) .

ويذكر أنه طرد أحد أبناء الكهنة فعلوا ذلك وأنه توجه إلى الرب ليذكرهم لأنهم نجسوا الكهنوت وعهد الكهنوت واللاويين وأنه طهرهم من كل غريب (٢) .

ويبدو أن اسلوب نحميا لم يكن مجديا وصار ماً في القضاء على الزواج من الأجنبيات والحد من خطورته ، حيث اننا نجد عزرا يذكر أن الرؤساء قد تقدموا اليه قائلين « لم ينفصل شعب اسرائيل والكهنة واللاويين من شعوب الاراضى حسب رجاستهم من الكنعانيين والحثيين والفرزين واليبوسيين ، والعمونيين ، والموآبيين ، والمصريين والأموريين ، لأنهم اتخذوا من بناتهم لأنفسهم ولبنيهم واختلط الزرع المقدس بشعوب الأراضى ، وكانت يد الرؤساء والولاة فى هذه الخيانة أولاً (٣) .

يقول عزرا « فلما سمعت بهذا الأمر مزقت ثيابى وردائى ونتفت شعر رأسى وذقنى وجلست متحيراً ، فاجتمع إلى كل من ارتعد من كلام اله اسرائيل من اجل خيانة المسببين وأنا جلست متحيراً إلى تقدمه المساء » (٤) .

ويذكر أنه أخذ يتذلل للرب ويعتذر عما فعله اليهود (٥) .

= نساءه آملن قلبه وراء آلهة أخرى ولم يكن قلبه كاملاً مع الرب الهه كقلب داود ابيه ، فذهب سليمان وراء عشتورت الاهة الصيدونيين ولمكوم رجس العمونيين ... ، وهكذا فعل لجميع نسائه الغريبات اللواتى كن يوقدن ويذبحن لآلهتهن » (ملوك أول ١١ : ١ ــ ٨ .

وقد سبق أن بينت بطلان هذا السخف وبراءة سيدنا سليمان مما نسب إليه ، لكنه يمكن القول بأن سليمان عليه السلام قد تزوج فعلا من النساء الأجنبيات وليس هناك ما يمنع ذلك ولعله قد هداهن إلى الاسلام كما فعل بملكة سبأ حين قالت « وأسلمتُ مع سليمان لله رب العالمين » أو على الأقل لم يتأثر اصلا بوثنيتهن ان هن بقين عليها أو بعضهن.

واننى أرجح أن الكهنة الذين اكثروا من الزواج بالاجنبيات وتأثروا بوثنيتهن أرادوا ـ أن يبرروا فعلهم هذا فعمدوا إلى الصاقه بالنبى سليمان عليه السلام .

(١) نحميا ١٣ : ٢٧ .

(٢) المصدر السابق ١٣ : ٢ ــ ٣١

(٣) راجع عزرا ٩ : ١ ــ ٢ .

(٤) عزرا ٩ : ٣ ــ ٤ .

(٥) راجع عزرا ٩ : ٥ـ ٩ .

ومما قاله « والآن فماذا نقول يا الهنا بعد هذا لأننا قد تركنا وصاياك ،التى أوصيت بها عن يد عبيدك الأنبياء قائلاً ان الأرض التى تدخلون لتمتلكوها هى أرض نجسة بنجاسة شعوب الأراضى برجاساتهم التى ملأوها بها من جهة إلى جهة أخرى بنجاستهم ، والآن فلا تعطوا بناتكم لبنيهم ولاتأخذوا بناتهم لبنيكم ، ولا تطلبوا سلامتهم وخيرهم إلى الابد لكى تتشددوا وتأكلوا خير الارض وتورثوا بنيكم اياها إلى الابد ، وبعد كل ما جاء علينا لأجل أعمالنا الرديئة وآثامنا العظيمة ، لأنك قد جازيتنا يا الهنا أقل من آثامنا وأعطيتنا نجاة كهذه ،أفنعود ونتعدى وصاياك ونصاهر شعوب هذه الرجاسات ، أما تسخط علينا حتى تفنينا فلا تكون بقية ولا نجاة »(١) .

ثم يذكر الاصحاح العاشر من السفر :

« انه لما صلي عزراً واعترف وهو باك وساقط أمام بيت الله اجتمع إليه من اسرائيل جماعة كثيرة جداً من الرجال والنساء والأولاد لأن الشعب بكى بكاء عظيماً ومما قالوه لعزرا » اننا قد خنا الهنا واتخذنا نساء غريبة من شعوب الأرض ولكن الآن يوجد رجاء فى إسرائيل فى هذا ، فلنقطع الآن عهداً مع الهنا أن نخرج كل النساء والذين ولدوا منهن حسب مشورة سيدى والذين يخشون وصية الهنا وليعمل حسب الشريعة ، قم فان عليك الأمر ونحن معك تشجع وافعل (٢) .

فقام عزرا واستخلف رؤساء الكهنة واللاويين وكل اسرائيل أن يعملوا حسب هذا الأمر فحلفوا ، ثم قام عزرا من أمام بيت الله وذهب إلى مخدع يهو حاثان بن الياشيب ، فانطلق إلى هناك وهو لم يأكل خبزا ولم يشرب ماء لأنه كان ينوح بسبب خيانة أهل السبى ، وأطلقوا نداء فى يهوذا واورشليم إلى جميع بنى السبى لكى يجتمعوا إلى اورشليم ، وكل من لا يأتى فى ثلاثة أيام حسب مشورة الرؤساء والشيوخ يحرم كل ماله وهو يفرز من جماعة أهل السبى (٣) .

فاجتمع كل رجال يهوذا وبنيامين إلى اورشليم فى ثلاثة ايام ، وجلس جميع الشعب فى ساحة بيت الله مرتعدين من الأمر ومن الامطار و فقام عزرا الكاهن وقال لهم انكم قد خنتم واتخذتم نساء غريبة لتزيدوا على اثم اسرائيل ، فاعترفوا الآن للرب اله ابائكم واعملوا مرضاته وانفصلوا عن شعوب الأرض وعن النساء الغريبة .

---

(١) عزرا ٩ : ١٠ـ ١٤

(٢) عزرا ١٠ : ١ــ ٤ .

(٣) عزراً ١٠ : ٥ ــ ٨ .

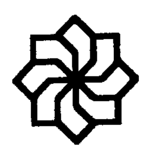
فأجاب كل الجماعة وقالوا بصوت عظيم كما كلمتنا كذلك نعمل ، الأن الشعب كثير والوقت وقت أمطار لاطاقة لنا على الوقوف فى الخارج والعمل ليس ليوم واحد أو لاثنين لأننا قد أكثرنا الذنب فى هذا الأمر .

فليقف رؤساؤنا لكل الجماعة وكل الذين فى مدننا قد اتخذوا نساء غريبة فليأتوا فى أوقات معينة ومعهم شيوخ مدينة فمدينة وقضاتها حتى يرتد عنا حمو غضب الهنا من أجل هذا الأمر ..... (١) .

وفعل هكذا بنو السبى وانفصل عزرا الكاهن والرؤساء وجلسوا للفحص عن هذا الأمر وانتهوا من كل الرجال الذين اتخذوا نساء غريبة (٢) .

فوجد بين بنى الكهنة من اتخذ نساء غريبة (٣) .

وهكذا كان من عوامل تأثر اليهودية بالأديان الوثنية اختلاط اليهود بالشعوب والسلالات الوثنية التى أقامت معهم ، واتخاذهم زوجات وثنيات كان لهن أثر كبير فى انحرافهم عن شريعة موسى وانسياقهم نحو الوثنية .



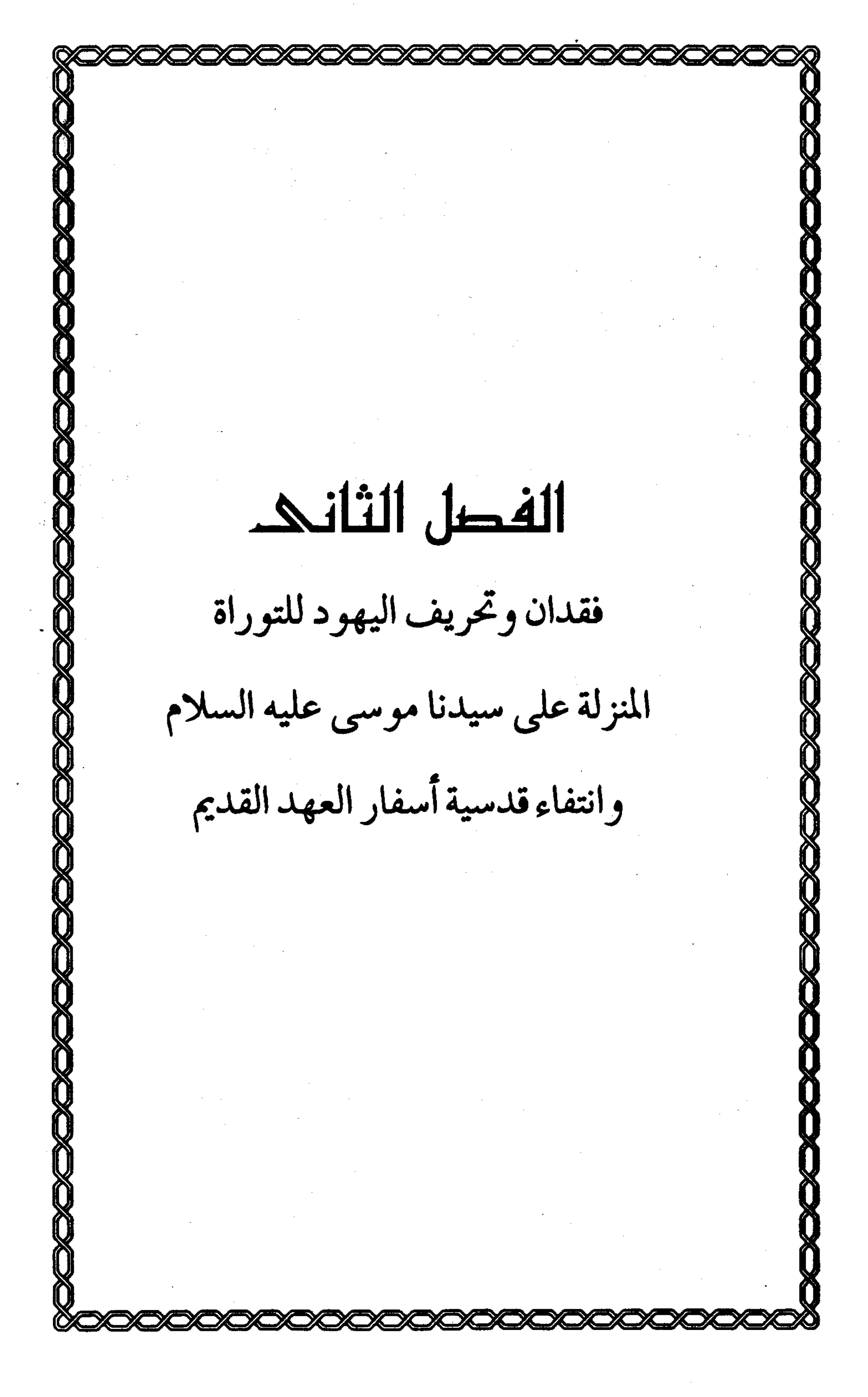
---

(١) عزرا ١٠ : ٩ ـ ٤ .

(٢)عزرا ١٠ : ١٦ ـ ١٧ .

ويذكر أن يوناثان بن عسائيل ويحزيا ابن نقوة فقط قاما على هذا وساعداهما مشلام وشبيتاى اللاوى . (عزرا ١٠ : ١٥)

(٣) يذكر السفر انهم وجدوا بين بنى الكهنة من اتخذ نساء غريبة ، فمن بنى يشوع بن يوصاداق واخوته معشيا واليعزرويا ريب وجدليا ، وأعطو أيديهم لاخراج نسائهم مقربين كبش غنم لاجل اثمهم وأخذ السفر يذكر أسماء الذين اتخذوا نساء غريبة وأن منهن نساء قد وضعن بنين (راجع عزرا ١٠ : ١٨ ـ ٤٤) .



الفصل الثاني

فقدان وتحريف اليهود للتوراة
المنزلة على سيدنا موسى عليه السلام
وانتفاء قدسية أسفار العهد القديم

فقدان اليهود للتوراة المنزلة وتحريفهم لها
وانتفاء قدسية أسفار العهد القديم

من العوامل التى ساعدت أيضاً على تأثر اليهودية بالأديان الوثنية فقدان اليهود للتوراة المنزلة على سيدنا موسى عليه السلام وتحريفهم لها وانتفاء قدسية بقية أسفار العهد القديم .

فلم يكن لديهم حفظ للوحى الصحيح ، يصون عقائدهم وشرائعهم ويضمن لهم بقاءها واستمرارها ، ويقيهم شر الوثنيات التى تسربت إليهم ، واختلطت بأفكارهم وامتزجت بعباداتهم .

ولكى نبرهن على صحة ذلك ينبغى أن نقوم بدراسة سريعة لأسفار العهد القديم بما فيها الأسفار الخمسة التى يزعمون نسبتها إلى سيدنا موسى عليه السلام ونتبين مراحل كتابتها وكيف انتهت إلينا من خلال النسخ المتعاقبة والترجمات المتتالية .

ونبحث : هل الأسفار الخمسة تنسب حقاً لموسى عليه السلام أو أنها نسبة خاطئة وباطلة ، وكذلك الأمر فى بقية الأسفار هل هى منسوبة لأصحابها حقاً وهل هى وحى صحيح لم يتغير أو يتبدل أو أنها أهواء كتاب وأفكار بشر ؟ .

أولاً : التوراة أو الأسفار الخمسة :

سبق أن ذكرت فى المدخل أن التوراة أو الأسفار الخمسة تقع ضمن أسفار العهد القديم وتمثل الجزء الأول والأهم من أجزائه الرئيسة الثلاثة [1] أو الأربعة [2] ونريد الآن أن نعرف ماهى صلة هذه الأسفار الخمسة بسيدنا موسى عليه السلام ، هل هو الذى كتبها ؟ وهل هى التوراة حقاً أو أن التوراة الأصلية شىء آخر فقدت وضاعت تماما ؟ .

---

(١) حسب النسخة العبرية الفلسطينية .

(٢) حسب النسخة اليونانية الاسكندرية .

وكما يقول الدكتور نجيب ميخائيل : أم هى موجودة فى ثنايا التوراة التى بين أيدينا ولكنها لاتستطيع أن تطل علينا من بين صفحاتها الكثيرة التى جعلتها تضيع فى ثنايا هذا السفر الضخم (١) .

وأخيراً أين هى التوراة التى ورد ذكرها فى القرآن الكريم على أنها الكتاب السماوى الذى أنزله الله على النبى موسى عليه السلام وبعثه به إلى بنى إسرائيل ؟ ثم جاء سيدنا عيسى عليه السلام بالإنجيل مصدقاً لما بين يديه من هذه التوراة ، ثم أتى سيدنا محمد « صلى الله عليه وسلم » خاتم الأنبياء بخاتم الكتب السماوية : القرآن الكريم : مصدقاً لما بين يديه من الكتاب (توراة موسى ، وإنجيل عيسى) ومهيمناً عليه ؟ .

من الأفضل أن نجيب على هذا السؤال أولاً من واقع نصوص الأسفار التى يؤمن بها اليهود .

كتابة الأسفار الخمسة :

يشير سفر الخروج إلى أن موسى عليه السلام قد تلقى التوراة فى البداية مشافهة من ربه ثم سجلها كتابة بعد أن قرأها على قومه ، وأخذ منهم الميثاق على اتباعها إذ يذكر أنه : حدث الشعب بجميع أقوال الرب وجميع الأحكام فأجاب جميع الشعب بصوت واحد وقالوا كل الأقوال التى تكلم بها الرب نفعل ، فكتب موسى جميع أقوال الرب .... وأخذ كتاب العهد وقرأ فى مسامع الشعب ، فقالوا كل ماتكلم به الرب نفعل ونسمع له وأخذ موسى الدم ورش على الشعب وقال هوذا دم العهد الذى قطعه الرب معكم على جميع الأقوال (٢) .

بيد أن هذا لم يكن كافياً إذ أن الرب ـ أراد أن يسجل بيده التعليمات التى يريد للاسرائيليين أن يتبعوها فقال لموسى ـ فيما يذكر السفر ـ « اصعد إلىّ إلى الجبل وكُن هناك فأعطيك لوحى الحجارة والشريعة والوصية التى كتبتها لتعليمهم » (٣) ، « ودخل موسى فى وسط السحاب وصعد إلى الجبل ، وكان موسى فى الجبل أربعين

---

(١) د . نجيب ميخائيل : مصر والشرق الأدنى القديم : الجزء الثالث : سورية صـ١٦٩ .

(٢) راجع خروج ٢٤ : ٣ ـ ٤ ، ٦ ـ ٨ .

(٣) خروج ٢٤ : ١٢ .

نهارا وأربعين ليلة » [1] « ثم أعطى (أى الرب) موسى عند فراغه من الكلام معه فى جبل سيناء لوحى الشهادة لوحى حجر مكتوبين بأصبع الله » [2] .

ومن ثم فإن ماكتبه الله هو « لوحى الشهادة » وأما الوصية فلا يشار إليها هنا .

ويذكر السفر أن موسى قد انصرف ونزل من الجبل ولوحا الشهادة فى يده لوحان مكتوبان على جانبيهما ، من هنا ومن هنا كانا مكتوبين ، واللوحان هما صنعة الله والكتابة كتابة الله منقوشة على اللوحين [3] .

وحينما رجع إلى قومه وجدهم عاكفين على عبادة العجل [4] ويرقصون حوله « فحمى غضب موسى وطرح اللوحين من يديه وكسرهما أسفل الجبل » [5] ، فما كان من الرب ـ فيما يذكر السفر ـ إلا أن قال لموسى « انحت لك لوحين من حجر الأولين ، فأكتب أنا على اللوحين الكلمات التى كانت على اللوحين الأولين اللذين كسرتهما ، وأمره أن يصعد إلى جبل سيناء ولا يصعد معه أحد [6] ، ففعل موسى ماأمره به وأخذ يستغفره حتى ألقى عليه عدة وصايا وأمره بحفظها [7] ، وقال له : « اكتب لنفسك هذه الكلمات ، لأننى بحسب هذه الكمات قطعت عهداً معك ومع اسرائيل » .

« وكان هناك عند الرب أربعين نهاراً وأربعين ليلة لم يأكل خبزاً ولم يشرب ماء فكتب على اللوحين كلمات العهد : الكلمات العشر [8] ، وتعرف هذه الكلمات بالوصايا العشر [9] .

---

(١) خروج ٢٤ : ١٨ . (٢) خروج ٣١ : ١٨ . (٣) خروج ٣٢ : ١٥ ـ ١٦ .

(٤) تفصيل الحديث عن اتخاذهم العجل فى الباب الثالث إن شاء الله .

(٥) راجع خروج ٣٢ : ١٧ ـ ١٩ .

(٦) خروج ٣٤ : ١ ـ ٤ .

(٧) راجع خروج ٣٤ : ٤ ـ ٢٦ وفيها تفصيل لتلك الوصايا .

(٨) خروج ٣٤ : ٢٧ ـ ٢٨ .

(٩) وردت الوصايا العشر فى سفر الخروج (٢٠ : ١ ـ ٢١) ، وفى سفر التثنية ٥ : ١ ـ ٣٠ ، راجع الحديث عنها بالتفصيل : د/ محمد بحر عبد المجيد : اليهودية : صـ٢٥ ـ ٢٨ جرهاردوس فوس علم اللاهوت الكتابى صـ٢٠٧ ـ ٢١٤ ـ ترجمة د / عزت زكى : الطبعة الأولى ١٩٨٢ دار الثقافة بالقاهرة ، قاموس الكتاب المقدس صـ١٠٢٩ .

ثم ورد بعد ذلك فى سفر التثنية « وكتب موسى هذه التوراة وسلمها للكهنة بنى لاوى ـ حاملى تابوت عهد الرب ولجميع شيوخ اسرائيل وأمرهم موسى قائلاً : فى نهاية السبع سنين فى ميعاد سنة الإبراء فى عيد المظال حينما يجىء جميع اسرائيل لكى يظهروا أمام الرب الهك فى المكان الذى يختاره تقرأ هذه التوراة أمام كل اسرائيل فى مسامعهم ، اجمع الشعب الرجال والنساء والأطفال والغريب الذى فى أبوابك لكى يسمعوا ويتعلموا أن يتقوا الرب الهكم ويحرصوا أن يعلموا بجميع كلمات هذه التوراة ...... » (١) .

« فعندما كمل موسى كتابة كلمات هذه التوراة فى كتاب إلى تمامها ، أمر موسى اللاويين حاملى تابوت عهد الرب قائلا أخذوا كتاب التوراة وضعوه بجانب تابوت عهد الرب الهكم ليكون شاهدا عليكم ، لأنى عارف تمردكم ورقابكم الصلبة هوذا وأنا بعد حي معكم اليوم قد صرتم تقاومون الرب فكم بالحرى بعد موتى .

اجمعوا إلىّ كل شيوخ أسباطكم وعرفاءكم لأنطق فى مسامعهم بهذه الكلمات وأشهد عليهم السماء والأرض لأنى عارف أنكم بعد موتى تفسدون وتزيغون عن الطريق الذى أوصيتكم به ويصيبكم الشر فى آخر الأيام لأنكم تعملون الشر أمام الرب حتى تغيظوه بأعمال أيديكم (٢) .

والأمر هنا ــ كما يقول الدكتور نجيب ميخائيل ـ واضح لايحتاج إلى تعليق فالوصايا كتبها الله بخط يده والتعليمات ألقاها موسى مشافهة ثم سجلها كتابة ثم هو يدرى تماما نفسية قومه وفساد سرائرهم ويقدر ماسوف يحل بهم بعد موته وماسوف يرتكبونه من معصية وزيغ .

وإذن فالتوراة هنا محدودة لاتحتمل لبسا أو تأويلا ، هى ماكتبه الله وماسجله موسى وما أمر أن يوضع فى تابوت العهد وإلى جانب تابوت العهد ماطلب إليهم أن يسجل على لوحى الحجر اللذين يصنعونهما بعد عبور النهر (٣) .

---

(١) تثنية ٣١ : ٩ ـ ١٢ راجع أيضاً ٣١ : ١٣ .   (٢) تثنية ٣١ : ٢٤ ـ ٣٠ .

(٣) مصر والشرق الأدنى القديم جـ٣ سورية صـ١٧٧ . وينتهى الدكتور نجيب ميخائيل إلى القول بأن التوراة هنا شىء محدد المعالم وأنها مع ذلك ليست الشىءالذى يعرف اليوم بـ « العهد القديم » وإن كانت موجودة بداخله فى سفر التثنية ٢٩ ـ ٣١ وأكدها موسى فى ٣٢ : ٤٤ ـ ٤٧ (المصدر السابق صـ ١٧٧) .

وحينما تولى يشوع بن نون زعامة اسرائيل بعد وفاة موسى يذكر السفر أنه بنى مذبح حجارة صحيحة ـ كما هو مكتوب فى سفر توراة موسى ـ وكتب هناك على الحجارة نسخة توراة موسى التى كتبها أمام بنى اسرائيل (١) .

« وبعد ذلك قرأ جميع كلام التوراة ، البركة واللعنة حسب كل ماكتب فى التوراة ، لم تكن كلمة من كل مأمر به موسى لم يقرأ يشوع قدام كل جماعة اسرائيل (٢) .

ولكن يشوع جمع الشعب فى أواخر حياته (٣) وكما يذكر السفر « وقطع يشوع عهدا للشعب فى ذلك اليوم وجعل لهم فريضة وحكما فى شكيم وكتب يشوع هذا الكلام فى سفر شريعة الله (٤) .

ومعنى هذا أن يشوع أضاف من عنده فرائض وأحكام جديدة إلى سفر شريعة الله .

ولعل هذه هى أول إضافة أو زيادة للتوراة التى أسلمها موسى إليهم (٥) .

ولم يرد فى الأسفار ذكر لقراءة التوراة بعد هذه القراءة التى قام بها بشوع فقد بدأ عصر القضاة بما فيه من فوضى وارتداد ووثنية (٦) إلى أن استصحب الاسرائيليون معهم التابوت الذى كان محفوظاً فى شيلوه (٧) فى حربهم ضد

---

(١) راجع يشوع ٨ : ٣٠ ـ ٣٢ .
(٢) يشوع ٨ : ٣٤ ـ ٣٥ .
(٣) راجع يشوع ٢٤ : ١ .
(٤) يشوع ٢٤ : ٢٥ ـ ٢٦ .
(٥) سبينوزا : رسالة اللاهوت والسياسة صـ٢٧٢ ترجمة د / حسن حنفى ، د / نجيب ميخائيل : مصر والشرق الأدنى القديم جـ٣ صـ١٧٨ ، د / محمد مهران : دراسات فى تاريخ الشرق الأدنى القديم جـ٩ صـ٢١ .
ويذكر اسبينوزا أن أحد شراح التوراة واسمه يوناتان تعسف فى تأويل الكلمات حسب هواه فترجم إلى الكلدانية هذه الكلمات من سفر يشوع ، وكتب يشوع هذا الكلام فى سفر توراة الله بقوله : وكتب يشوع هذا الكلام وحفظه مع سفر توراة الله » فلقد فضل أن يحرف الكتاب بعد أن اقلقته إضافة يشوع لتوراة موسى (رسالة فى اللاهوت والسياسة صـ٢٧٢) .
(٦) راجع عصر القضاة فى الفصل الأول من الباب الأول وسيتبين لنا فى الفصل الثالث من هذا الباب كيف أنه كان عصر وثنية وارتداد .
(٧) مدينة شمال بيت ايل فى منتصف الطريق بين بيتين وشكيم (أى نابلس) ويرجح أنها المسماة الآن سيلون التى تبعد ١٧ ميلا شمالى أورشليم ، راجع : قاموس الكتاب المقدس صـ ٥٣٥ ـ ٥٣٦ .

الفلسطينيين (١) ، ولما خسر المعركة استولى الفلسطينيون على التابوت ولوحى الحجر ونسخة التوراة وظل التابوت فى بلادهم سبعة شهور (٢) .

ثم تم استرجاعه ووضع فى قرية يعاريم (٣) ، وظل بها عشرين عاما سقط خلالها بطريقة غير مفهومة فى غياهب النسيان ربما لأنه كان قد فقد مكانته بعد أن سلبه الفلسطينيون ، ومن ثم فقد أصبح يعيش حوله عدد ضئيل من الكهنة أو الحفاظ الذين لامكانة لهم (٤) .

وفى عهد داود تم نقل التابوت إلى مدينته فى احتفال عظيم (٥) .

ولعل من الأهمية بمكان الإشارة إلي أن القرآن الكريم قد بين لنا أن التابوت لم يكن فيه إلا بقية مما ترك آل موسى وآل هارون وكان ذلك فى عهد شاول (طالوت فى القرآن الكريم) .

قال الله تعالى ﴿ وقال لهم نبيهم إن آية ملكه أن يأتيكم التابوت فيه سكينة من ربكم وبقية مما ترك آل موسى وآل هارون تحمله الملائكة ﴾ (٦) .

(١) راجع تفاصيل احداث هذه الحرب فى فصل قنوات الاتصال التاريخية .
(٢) راجع صموئيل أول : ٤ : ٣ ـ ٧ / ٥ : ١ ـ ١١ .
د / نجيب ميخائيل : مصر والشرق الأدنى جـ٣ صـ١٧٠ .
(٣) يعاريم : جبل فى تخم يهوذا الشمالى وقرية يعاريم معناها مدينة الغابات وهى إحدى مدن الجبعونيين الأربع ، ويرجح أنها الآن قرية العنب التى تقع على مسافة ٩ أميال من غربى القدس.
(راجع تفاصيل الحديث عنها : قاموس الكتاب المقدس صـ٧٢٨ ـ ٧٢٩ ، ١٠٧٢ .
(٤) صموئيل أول ٦ : ١ / ٧ : ١ ـ ٢ .
د / اسماعيل الفاروقى : أصول الصهيونية فى الدين اليهودى صـ٤٦ .
د / محمد بيومى مهران : دراسات فى تاريخ الشرق الأدنى القديم جـ٩ صـ٢٣ .
(٥) راجع تفاصيل هذا الاحتفال فى سفر صموئيل الثانى ٦ : ١ ـ ٢٠ (وفيه يذكر أن داود كان يرقص بكل قوته أمام تابوت الرب وأن زوجته ميكال بنت شاول حين رأته يفعل ذلك احتقرته فى قلبها) (صموئيل الثانى ٦ : ١٤ ـ ١٦) .
(٦) سورة البقرة : ٢٤٨ (وتشير الآيات الكريمة السابقة والتالية لهذه الآية إلى أن الذى استرد التابوت من الفلسطينيين إنما كان « طالوت » المذكور فى التوراة باسم شاول وتؤكد رواية التوراة هذه الحقيقة وذلك عندما تروى كما قلنا أن داود وجد التابوت فى قرية « يعاريم » بعد أن بقى بها عشرين عاما قبل أن ينقله داود إلى عاصمته « أورشليم » .
(راجع د / محمد بيومى مهران جـ٩ صـ٢٥ ، راجع تفسير المنار جـ٢ صـ٣٧٣ ومابعدها) .

ويبدو أن هذه البقية هى مايشير إليها السفر حين ذكر أن سليمان جمع شيوخ اسرائيل لاصعاد التابوت إلى الهيكل « لم يكن فى التابوت إلا لوحا الحجر اللذان وضعهما موسى هناك فى حوريب حين عاهد الرب بنى اسرائيل عند خروجهم من أرض مصر » (١) .

وورد على لسان سليمان أيضاً قوله « ووضعت هناك التابوت الذى فيه عهد الرب الذى قطعه مع بنى اسرائيل » (٢) .

وعلى ذلك فالتابوت فى هذه المرحلة لم يكن به سوى لوحى الحجر ، أما التوراة فلم يرد لها ذكر ولم يعلم مصيرها أحد ، وتفيد عبارة الأسفار أنها قد فقدت (٣) .

ويؤكد ذلك الشيخ رحمت الله الهندى فيذكر أن نسخة التوراة الموضوعة فى جنب الصندوق قد ضاعت ولايعلم جزما متى ضاعت (٤) .

وقد اعترف علماء اللاهوت من النصارى بفقدان توراة موسى الأصلية التى هى أصل دينهم و أساسه ، قال صاحب كتاب « خلاصة الأدلة السنية على صدق الديانة المسيحية » : والأمر مستحيل أن تبقي نسخة موسى الأصلية فى الوجود إلى الآن ولانعلم ماذا كان من أمرها ، والمرجح أنها فقدت مع التابوت » (٥) بل إن اللوحين قد انقطع خبرهما أيضاً بعد ذلك فلم يرد إشارة إليهما حيث يرجح أنهما قد فقدا أيضاً بعد سليمان .

وخلاصة الأمر أن التوراة فقدت فلم يطلع عليها الملوك أو الأنبياء ولم يعرفوا ما بها من أحكام (٦) .

---

(١) ملوك أول ٨ : ٨ . (٢) أخبار ثان ٦ : ١١ .

(٣) راجع د / نجيب ميخائيل : مصر والشرق جـ٣ صـ١٧١ ، محمد عزة دروزة : تاريخ بنى اسرائيل صـ٢٠ .

(٤) إظهار الحق جـ٢ صـ٥٩٩ دراسة وتحقيق وتعليق الدكتور محمد أحمد ملكاوى طبع ونشر الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالرياض السعودية ١٤١٠ هـ / ١٩٨٩ م .

(٥) راجع السيد محمد رشيد رضا : تفسير المنار الجزء الثالث من المجلد الثانى صـ١٣٠ ـ ١٣١ طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٣ .

(٦) د / نجيب ميخائيل : المصدر السابق صـ١٧١ محمد عزة دروزة : المصدر السابق صـ٢٠ .

إذ بدأ عصر الانقسام بعد وفاة سليمان وشاع فيه الارتداد وغلبت عليه الوثنية وعاش اليهود خلاله ـ في كل من المملكتين اسرائيل ويهوذا ـ يعانون مرارة الانقسامات الداخلية والتهديدات الخارجية كما سبق آنفاً (١) .

ولم ترد أدنى إشارة للتوراة فى الأسفار بعد سليمان (٢) واختفت حتى ورد أنه تم العثور عليها فجأة وبمحض الصدفة فى عهد يوشيا (٣) (٦٤١ ـــ ٦١١ ق . م) أى بعد وفاة موسى بأكثر من سبعمائة سنة .

السفر الذى طالعه يوشيا :

فقد جاء فى سفر الملوك الثانى أن هذا الملك قد أرسل فى السنة الثامنة عشرة من ملكه (حوالى عام ٦٢٣ ق . م) شافان بن أصليا الكاتب إلى بيت الرب ليحسب مع كاهنة الأعظم حلقيا النقود التى دخلت الهيكل من الزائرين لكى تصرف على

---

(١) راجع احداث عصر الانقسام فى الفصل الأول من الباب الأول والفصل الأول من الباب الثانى وسيتبين لنا فى الفصل الثالث من هذا الباب كيف أن عصر الانقسام كان عصر وثنية وارتداد .

(٢) كما أشرت من قبل إلى أن الأسفار قد أرجعت الانقسام إلى انحراف سليمان المزعوم (راجع ملوك أول ١١ : ١ ـ ١٣) ، وطبعاً نحن كمسلمين يستحيل علينا أن نصدق هذا البهتان العظيم فى حق سيدنا سليمان عليه السلام ، إلا أن الشيخ رحمت الله الهندى يقول : « ثم وقع الانقلاب العظيم فى أخر سلطنة سليمان عليه السلام على ماتشهد به اسفارهم المقدسة بأن ارتد سليمان والعياذ بالله تعالى فى آخر عمره بترغيب الازواج وعبد الأصنام وبنى المعابد لها ويقول الشيخ رحمت الله « وإذ صار مرتداً وثنيا مابقى له غرض بالتوراة » (إظهار الحق صـ٢٨٢ طبعة دار التراث العربى) وطبعاً هو يذكر هذا من باب محاجة اليهود بما فى كتبهم ، ولكن الحقيقة أنه بصرف النظر عن هذه المحاجة والزامهم بما فى أسفارهم فإننى لا أجد فى القرآن الكريم مايشير إلى أن سليمان عليه السلام كان يعتمد على توراة موسى عليه السلام بل إن داود قد آتاه الله الزبور ، ولم يرد فى القرآن مايشير إلى الارتباط بين موسى وسليمان عليهما السلام ، ومعنى ذلك أن عصر داود وسليمان فيما أحتمل كان بعيداً عن توراة موسى ، ويقول الدكتور فؤاد حسنين « الملاحظة الجديرة بالذكر أن المزامير تتحدث احيانا عن شريعة (يهوه) أو شريعة الله ولا تذكر شريعة موسى التى كثيراً مانجدها فى الأسفار التاريخية » (التوراة الهيروغليفية) صـ ٤١ .

(٣) ملك يهوذا فى عصر الانقسام (راجع الفصل الأول من الباب الأول) فى الأصل (الرسالة المخطوطة) .

ترميمه (١) فلما ذهب إليه قال له حلقيا« قد وجدت سفر الشريعة فى بيت الرب » ، وهذا يشير إلى أنه كان قد فقد من زمن طويل وأن العثور عليه تم أثناء عملية ترميم البيت كما ورد فى سفر الأخبار (٢) .

وعلى أى حال فإن حلقيا سلم السفر لشافان فقرأه وعاد شافان إلى الملك يوشيا وقال له « قد أعطانى حلقيا الكاهن سفراً وقرأه أمامه ، فلما سمع الملك كلام سفر الشريعة مزق ثيابه وأرسل إلى حلقيا وقال له مع غيره من الكهنة » اذهبوا اسألوا الرب لأجلى ولأجل الشعب ولأجل كل يهوذا من جهة كلام هذا السفر الذى وجد لأنه عظيم هو غضب الرب الذى اشتعل علينا من أجل أن آباءنا لم يسمعوا لكلام هذا السفر ليعلموا حسب كل ماهو مكتوب علينا (٣) .

وهنا يبدو واضحاً أن التوراة لم تكن نسياً منسيا على أيام يوشيا فقط ولكن فى عهد أسلافه أيضاً كما تصرح بذلك الجملة الأخيرة ، تضيع التوراة وفى أورشليم هيكل يرعاه جمع من المسئولين على رأسهم كاهن أعظم هو حلقيا ! ! ! وأغرب من ذلك أن تكون بين اليهود فى داخل مدينة أورشليم مع ضياع التوراة منها وفى هذا الوقت عينه امرأة (نبية) يبدو أنها لم تكن تدرى عن موسى شيئاً ولاتذكر كلمة من توراته (٤) .

---

(١) راجع ملوك ثان ٢٢ : ٣ ـ ٧ .

(٢) أورد سفر الأخبار أن يوشيا قام بعملية تطهير من المعبودات الأجنبية وقام بتكسير مافيه من الأوثان والأصنام فى السنة الثانية عشرة من ملكه أى قبل العثور على السفر بست سنوات ويذكر أنه فى العام الثامن عشر من ملكه أوفد رسلا لترميم البيت وأنه عند اخراجهم الفضة المدخلة إلى بيت الرب وجد حلقيا الكاهن سفر شريعة الرب بيد موسى فقال لشافان قد وجدت سفر الشريعة فى بيت الرب .

(راجع أخبار الأيام الثانى ٣٤ : ٣ ـ ١٥) .

(٣) راجع الملوك الثانى ٢٢ : ٨ ـ ١٣ أخبار الأيام الثانى ٣٤ : ١٦ ـ ٢١ .

(٤) وكان اسم هذه المرأة النبية : خلدة وهى امرأة شالوم وكانت نبية شهيرة سكنت القسم الثانى من أورشليم فى عهد الملك يوشيا ، (قاموس الكتاب المقدس صـ٢٤٤) .

وتذكر الأسفار أن حلقيا ومن معه من الكهنة ذهبوا إليها فقالت لهم « قولوا للرجل الذى أرسلكم إلىّ هكذا قال الرب اننى جالب شراً على المكان وعلى سكانه من كل كلام الكتاب الذى =

وتذكر الأسفار أن الملك قد أرسل إلى كل شيوخ يهوذا وأورشليم وجمعهم مع كل رجال يهوذا وسكان أورشليم والكهنة واللاويين وكل الشعب من الكبير إلى الصغير وقرأ في آذانهم كل كلام سفر العهد الذي وجد في بيت الرب ، وقطع معهم عهدا أمام الرب لإقامة كلام هذا العهد المكتوب في هذا السفر (١) .

ويرفض المحققون من العلماء والباحثين ادعاء حلقيا الكاهن بعثوره على سفر شريعة موسى .

فيرى الشيخ رحمت الله الهندي أنه « لايعتمد على هذه النسخة (المعثور عليها) ولا على قول حلقيا لأن البيت نهب مرتين قبل عهد أخزيا ، ثم جعل بيتا للأصنام ، وسدنة الأصنام كانوا يدخلون البيت كل يوم وما سمع أحد إلى سبعة عشر عاما من سلطنة يوشيا أيضاً اسم التوراة ولا رآها مع أن السلطان والأمراء والرعايا كانوا في غاية الاجتهاد لاتباع الملة الموسوية ، وكان الكهنة يدخلون كل يوم إلى هذه المدة ، فالعجب كل العجب أن تكون النسخة في البيت ولايراها أحد .

ويقرر الشيخ رحمت الله الهندي أن هذه النسخة ماكانت إلا من مخترعات حلقيا ، فإنه لما رأى توجه السلطان يوشياإلى اتباع الملة الموسوية جمعها من الروايات اللسانية التي وصلت إليه من أفواه الناس سواء كانت صادقة أو غير صادقة ، وكان إلى هذه المدة في جمعها وتأليفها ، وبعد ماجمع نسب ماجمعه إلى موسى عليه السلام ، ومثل هذا الافتراء والكذب لترويج الملة وإشاعة الحق وكان من المستحبات الدينية عند متأخري اليهود وقدماء المسيحيين (٢) .

= قرأه ملك يهوذا لأنهم تركوني وأحرقوا لالهة غريبة لأجل اغضابي بكل أعمال أيديهم ، فاحتدم سخطي على هذا المكان ......

وخلاصة القول أن النبية خلدة تنبأت بخراب أورشليم ولكنها أضافت أنه نظراً لتقوى الملك فإنه سيموت قبل أن يشهد بعينيه هذه الكارثة .

(راجع الملوك الثاني ٢٢ : ١٤ ـ ٢٠ الأخبار الثاني ٣٤ : ٢٢ ـ ٢٨) .

(راجع أيضاً د / حسن ظاظا : الفكر الديني الاسرائيلي صـ٢٥ ـ ٢٦) .

(١) راجع سفر الملوك الثاني ٢٣ : ١ ـ ٣ .

أخبار الأيام الثاني ٣٤ : ٢٩ ـ ٣١ .

(٢) إظهار الحق جـ٢ صـ٦٠٤ ـ ٦٠٥ .

ويذهب ول ديورانت إلى أن الكهنة حينما وجدوا الشعب قد ارتد عن عبادة يهوه إلى الآلهة الأجنبية رأوا أن يعزو إليه مايجيش فى صدورهم من عواطف يؤمنون بها فاعتزموا أن يبلغوا الناس رسالة من الله نفسه فى صورة سنن الهية تبعث النشاط والقوة فى حياة الأمة الخلقية ويضمنون بها معونة الأنبياء ، وسرعان ماضموا إلى جانبهم الملك يوشيا (١) ، الذى يرجح الدكتور نجيب ميخائيل أنه تأثر بهم وبما وجده من الانحلال الشامل للاسرائيليين فاصطنع هذا السفر ليخيفهم به وليمنع الشرور ويوقف عبادة الأصنام .

ذلك لأن العثور عليه بعد ماحل بالبيت من خراب ومن غزوات فى مختلف عهود الملوك من فراعنة وملوك بابليين لأمر يدعو للشك (٢) .

ويذكر الدكتور سامى سعيد الأحمد أن الحاخام حلقيا قد ادعى أنه رأى فى أثناء منامه النبى موسى وأنه أخبره بأن اسرائيل قد ضلت سواء السبيل وأن الكتاب الحقيقى الذى كتبه بيديه من كلمات الخالق موجودة فى المحل الفلانى من المعبد ، وعندما استيقظ وحفر فى المكان المذكور وجد كتابا ، فصدق الكل حتى الملك يوشيا ادعاء هذا الحاخام وأخذوه مأخذ الحقيقة (٣) .

وسواء أكان حلقيا صادقاً فى ادعائه أم كاذباً فإننا لاندرى على التحقيق ، أو كما يقول ول ديورانت : لانعلم علم اليقين ماهية هذا السفر الذى قرأه يوشيا على الشعب وأطلق عليه سفر الشريعة .

وعلى أية حال فهو لايمكن أن تكون التوراة التى نعرفها اليوم فى صورتها المتداولة وربما يكون منه شىء فى سفر الخروج من الاصحاح العشرين إلى الاصحاح الثالث والعشرين ، وربما فى سفر التثنية أو جانب منه ومهما يكن من أمر

---

(١) قصة الحضارة الجزء الثانى من المجلد الأول : الشرق الأدنى صـ٣٥٦ .

(٢) مصر والشرق الأدنى القديم جـ٣ سورية ١٧١ ، (ويستبعد محمد عزة دروزة العثور على هذا السفر لأنه لم يظهر فى التابوت حينما نقله سليمان إلى المعبد فكيف وجد فى المعبد وبعده (تاريخ بنى اسرائيل صـ٢٠) راجع أيضاً د / أحمد شلبى : اليهودية صـ٢٥٩ .

(٣) الأسس التاريخية للعقيدة اليهودية صـ٢٥ رقم (١) من سلسلة منشورات تاريخية اصدار الجمعية العراقية للتاريخ والآثار ، بغداد ١٩٦٩ م .

فهو سفر صغير يتضمن ملخصاً للتعاليم والوصايا دون أن يتعرض للسرد التاريخي .

وأيا كان مصدر هذه التعاليم فإن الذين استمعوا لها وهي تقرأ عليهم أو سمعوا بها ولم يكونوا حاضرين وقت قراءتها قد تأثروا بها أشد الأثر واغتنم الملك يوشيا هذه الفرصة السانحة فاستعان بهذه العواطف الجياشة على تحطيم مذابح الآلهة الأجنبية وتطهير الهيكل من العبادات الوثنية (١) .

ومهما ترجح كفة رأى من الآراء فإن السؤال يظل حائراً دون جواب ـ إلا الترجيح مع الحذر ـ حتى العثور على وثيقة لايرقى إليها الشك هي ماكتبه موسى فعلا وعرف باسم « سفر الشريعة » الذى كان يصحب عهد الرب والذى طالعه يوشيا الملك ، وفيما عدا ذلك فالأمر لايعدو مرحلة الحدس والترجيح (٢) .

ويذكر سفر الملوك الثانى أن يوشيا أقام كلام الشريعة المكتوب فى السفر الذى وجده حلقيا الكاهن بقية حكمه وتقدر بثلاثة عشر عاما (٣) ، وأنه لم يكن قبله ملك مثله قد رجع إلى الرب بكل قلبه وكل نفسه وكل قوته حسب كل شريعة موسى وبعده لم يقم مثله (٤) .

فالملوك الذى جاءوا بعد يوشيا عطلوا الحكم بما عرف بسفر الشريعة ، ولاندرى أين ذُهب به ، كل ما يمكن أن يقال إن يوشيا قد قتل على يد فرعون مصر وبدأت سيطرة المصريين على مملكة يهوذا ثم انتقلت السيطرة بعدهم إلى الكلدانين الذين حاصرت جيوشهم أورشليم مرتين ونهبت فيهما الهيكل وفى المرة الثانية قامت بتدميره وتخريب أورشليم عام ٥٨٦ وسبوا اليهود إلى بابل (٥) وظل اليهود فى

---

(١) راجع قصة الحضارة : الجزء الثانى من المجلد الأول صـ٣٥٧ .

د / نجيب ميخائيل : مصر والشرق الادنى القديم جـ٣ صـ١٨٠ .

(٢) د / نجيب ميخائيل : المصدر السابق صـ١٨٠ .

(٣) لأن مدة حكمه كما يذكر السفر إحدى وثلاثين سنة (ملوك ثان ٢٢ : ١) .

(٤) ملوك ثان ٢٣ : ٢٤ ـ ٢٥ .

(٥) راجع تفاصيل ذلك فى فصل فترات السبى والاضطهاد التى تعرض لها اليهود ، ومما يذكر أن الملوك الذين جاءوا من بعد يوشيا شجعوا على الوثنية وأعادوا حياة الارتداد والكفر .

السبى مدة خمسين عاما حتى سمح لهم ملك الفرس بالعودة إلى أورشليم (١) .

وبعد أن عادوا لم يكن في وسعهم أن يقيموا لهم دولة حربية ، ذلك أنهم لم يكن لهم من العدد ومن الثروة مايمكنهم من إقامة الدولة ولما كانوا فى حاجة إلى نوع من الادارة يعترفون فيه بسيادة الفرس عليهم ويهىء لهم فى الوقت نفسه سبيل الوحدة القومية والنظام ، فقد شرع الكهنة فى وضع قواعد حكم دينى يقوم كما كان يقوم حكم يوشيا على المأثور من أقوال الكهنة وتقاليدهم وعلى أوامر الله .

السفر الذى قرأه عزرا :

ثم عاد عزرا الكاهن والكاتب فى عام ٣٩٨ ـ على أرجح الآراء كما ذكرت (٢) ـ إلى أورشليم ودعا اليهود إلى إجتماع خطير وشرع يقرأ عليهم من مطلع النهار إلى منتصفه « سفر شريعة موسى » وظل هو وزملاؤه اللاويون سبعة أيام كاملة يقرءون عليهم مايحتويه ملفات هذا السفر .

ولما فرغوا من قراءتها أقسم الكهنة والزعماء والشعب على أن يطيعوا هذه الشرائع ويتخذوها دستوراً لهم يتبعونه ومبادىء خلقية يسيرون على هديها ويطيعونها إلى أبد الآبدين ، وظلت هذه الشرائع ـ كما يقول ول ديورانت ـ منذ تلك الأيام النكدة إلى يومنا هذا المحور الذى تدور عليه حياة اليهود ولايزال تقيدهم بها طوال تجوالهم ومحنهم من أهم الظواهر فى تاريخ العالم (٣) .

ولنا أن نتساءل الآن : ماذا كان سفر شريعة موسى هذا الذى كان يطالعه عزرا ؟ .

والجواب أنه لم يكن هو بعينه كتاب العهد الذى قرأه يوشيا من قبل لأن هذا العهد قد جاء فيه بصريح العبارة أنه قرىء على اليهود مرتين كاملتين فى يوم واحد .

---

(١) راجع الفصل الخاص بقنوات الاتصال التاريخية (اتصال اليهود بالفرس) .
والفصل الخاص بفترات السبى والاضطهاد (السبى البابلى) .

(٢) راجع فصل قنوات الاتصال التاريخية (اتصال اليهود بالفرس) .

(٣) نحميا : الاصحاح الثامن كله ٩ : ١ ـ ٣ .
ول ديورانت : قصة الحضارة الجزء الثانى من المجلد الأول صـ٣٦٦ .
وراجع أيضاً د / نجيب ميخائيل : مصر والشرق الأدنى القديم جـ٣ صـ١٦٦ .

على حين أن قراءة الكتاب الآخر قد احتاجت إلى أسبوع كامل ، وكل مافي وسعنا أن نفعله هو أن نحذر أن الكتاب الكبير كان يحتوى على جزء هام من أسفار العهد القديم الخمسة الآن ، التي يسميها اليهود « تورة » ويسميها غيرهم البنتاتوس أو الأسفار الخمسة (١) .

وهكذا يتضح لنا من خلال هذا العرض السريع أن مايطلق عليه الآن في الأسفار (سفر توراة موسى أو توراة الرب) يختلف عن السفر الذى ادعى حلقيا العثور عليه وأنهما معا يختلفان أيضاً عن السفر الذى طالعه عزرا بعد عودته إلى أورشليم .

ويزيد سبينوزا ذلك الأمر وضوحاً فيذكر أننا إذا أردنا أن نبحث بمزيد من الدقة في الأسفار التي كتبها موسى نفسه والمذكورة في الأسفار الخمسة فسنجد من الثابت أولا في سفر الخروج أن موسى كتب بأمر الله عن الحرب ضد عماليق ١٧ : ١٤ ولايقول لنا هذا الاصحاح نفسه أي سفر كتب بل ترد في سفر العدد ٢١ : ١٤ إشارة إلى سفر يسمى حروب الرب .

كما جاء في سفر الخروج ٢١ : ١٤ أن هناك سفراً آخر يعرف باسم « سفر العهد » (٢) ، قرأه موسى أمام الاسرائيليين عندما عقدوا عهداً مع الله .

ولا يحتوى هذا السفر الرسالة إلا على أشياء قليلة أى أنه لايحتوى إلا على شرائع الله ووصاياه الموجودة في سفر الخروج في الاصحاح ٢٠ الآية ٢٢ حتى الاصحاح ٢٤ .

ولايمكن أن ينكر ذلك من يقرأ هذا الاصحاح المذكور بشيء من الفهم السليم دون تحيز .

ففيه يروى أنه بمجرد أن عرف رأى الشعب في العهد المبرم مع الله كتب على التوراة كلمات الله ووصاياه ، ثم قرأ أمام المجمع العام للشعب شروط العهد في الصباح بعد إقامة بعض الطقوس ، وبعد هذه القراءة دخل الشعب في هذا العهد بمحض رضاه بعد أن عرف الناس كلهم بلاشك هذه الشروط .

---

(١) ول ديورانت :قصة الحضارة الجزء الثاني من المجلد الأول الشرق الادنى ص٣٦٦ - ٣٦٧ .

(٢) تعنى كلمة سفر في اللغة العبرية رسالة أو ورقة .

ونظراً إلى ضيق الوقت الذى استغرقته كتابة العهد المبرم ، وكذلك نظراً إلى طبيعة هذا العهد ، كان حتماً ألا يحتوى هذا السفر أكثر مما قلته الآن (١) .

وأيضاً فمن الثابت أن موسى قد شرح جميع الشرائع التى سنها فى السنة الأربعين بعد الخروج من مصر (٢) وأخذ من الشعب وعداً جديداً بأن يظلوا خاضعين لهذه الشرائع (٣) .

ثم كتب سفراً يحتوى على هذه الشرائع التى تشرح هذا العهد الجديد (٤) ، وقد سمى هذا السفر سفر توراة الله وقد أضاف إليه يشوع بعد ذلك بمدة طويلة رواية العهد الذى قطعه الشعب على نفسه من جديد فى أيامه ، وهو ثالث عهد يقيمونه مع الله (٥) .

وينتهى سبينوزا إلى أنه لما لم يكن لدينا أى سفر يحتوى فى الوقت نفسه على عهد موسى وعهد يشوع فيجب أن نعترف ضرورة بأن هذا السفر قد فقد (٦) .

ويستنتج أن سفر توراة الله هذا الذى كتبه موسى لم يكن من الأسفار الخمسة بل كان سفراً مختلفاً ، أدخله مؤلف الأسفار الخمسة فى سفره فى المكان الذى ارتآه .

ويظهر ذلك بوضوح تام مما سبق ومما يروى فى سفر التثنية من أن موسى كتب سفر التوراة ثم أعطاه للأحبار وطلب إليهم قراءته أمام الشعب فى أوقات معلومة .

وهذا يدل على أن السفر كان أقل حجماً من الأسفار الخمسة ، إذ كان من الممكن قراءته كله فى مجمع عام بحيث يفهمه الجميع .

---

(١) رسالة فى اللاهوت والسياسة : ترجمة وتقديم د / حسن حنفى صـ٢٧١ .

ويقصد سبينوزا ما قاله فى الصفحة السابقة من أن هذا السفر لايحتوى إلا على الشرائع والوصايا الموجودة فى سفر الخروج (من الآية ٢٢ فى الاصحاح ٢٠ حتى الاصحاح ٢٤) .

(٢) تثنية ١ : ٥ .

(٣) تثنية ٢٩ : ١٤ .

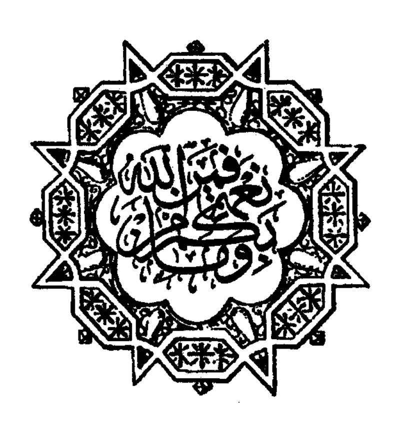
(٤) تثنية ٣١ : ٩ .

(٥) يشوع ٢٤ : ٢٥ ـ ٢٦ رسالة فى اللاهوت صـ٢٧١ ـ ٢٧٢ .

(٦) رسالة فى اللاهوت والسياسة صـ٢٧٢ .

ويقول « ولاننسى أنه من بين جميع الأسفار التى كتبها موسى ، لم يأمر بالمحافظة دينيا إلا على سفر واحد وبالحرص على الإبقاء عليه وهو سفر العهد الثانى والنشيد (الذى كتبه بعد ذلك لكى يعلمه لجميع أفراد الشعب) (١) .

ويخلص سبينوزا إلى القول بأنه لم يكن من الثابت أن موسى قد كتب أسفاراً أخرى سوى هذه الأسفار ، ولم يوص بنفسه بالمحافظة دينيا للأجيال القادمة إلا على سفر التوراة الصغير والنشيد ، وأنه لما كانت توجد نصوص كثيرة فى الأسفار الخمسة لايمكن أن يكون موسى كاتبها فإن أحدا لايستطيع أن يؤكد عن حق ، أن موسى هو مؤلف الأسفار الخمسة ، بل على العكس يكذب العقل هذه النسبة (٢) .



(١) فبالنسبة إلى العهد الأول كان الحاضرون وحدهم هم الملتزمين به ، وأما العهد الثانى فكان ملزماً للخلف (تثنية ٢٩ : ١٤ ــ ١٥) لذلك أمر بالمحافظة دينياً على« سفر العهد الثاني للأجيال المقبلة ، وكذلك بالمحافظة على النشيد الذى يخص القرون التالية (رسالة فى اللاهوت صـ٢٧٣) .

(٢) سبينوزا : رسالة فى اللاهوت والسياسة صـ٢٧٣ .

نسبة الأسفار الخمسة إلى سيدنا موسى والقول ببطلانها :

وهذه النسبة كانت إحدى العقائد الأساسية والتقاليد الثابتة لدى اليهود والمسيحيين إلى فترة طويلة ولا يزال يعتنقها الكثيرون منهما ، فما الذى أدى إلى التشكيك فى هذه النسبة وانتقاء قدسيتها ؟

لعل من الأجدر أولا أن تشير إلى أنه منذ ترميم المعبد وإعادة العبادة عن طريق نحميا وعزراً بدأ اليهود يعتبرون الأسفار الخمسة (البنتاتوك) ـ وهى أساس الدين اليهودى ـ كأنما هى من عمل موسى متضمنة فى ذلك « الناموس والأنبياء » (١) .

ومع ذلك فان هذا القول لا يمكن أن يؤخذ بحرفيته لأن ذلك لا يعنى أكثر مما يعنى قولنا إن نابليون هو واضع أسس القانون الفرنسى اذ أنه عرف بين سلالة اسرائيل أن عزرا هو جامع الكتابات والتراث الموسوى الذى كان قد تناوله التدمير عند خراب مملكة يهوذا (٢) .

الأن اليهود قد اعتقدوا نسبة الأسفار الخمسة إلى موسى واعتباره هو مؤلفها منذ عهد فيلون الاسكندرى (القرن الأول ق .م والأول الميلادى) ويوسيفوس اللذين عاصرا المسيح وأعلنا أن موسى هو مؤلف التوراة وأخذا يدافعان عن ذلك الاعتقاد (٣) .

وكان طبيعيا أن يميل اليهود إلى ارجاع الفضل فى شرائعهم ونظمهم إلى الزعيم الذى ـ حسبوه أعلى سلطة فى تاريخهم المبكر ، ولما تناول المسيحيون العهد القديم من

---

(١) راجع عزرا ١ : ١ ـ ١١ / ٦ : ٣ ـ ٥ ، نحميا ٨ : ١ ـ ١٨ حجى ١ : ١ ـ ٢ . ونوث وروث وكوك نقلا عن د/ مهران : دراسات فى تاريخ الشرق الادنى القديم صـ٩ ، اسرائيل صـ ١٣٦ ، راجع أيضا د/ نجيب ميخائيل : مصر والشرق الأدنى جـ ٣ صـ ١٨٦ .

(٢) راجع عزرا ٩ : ١٠ ـ ١١ ، مرقس ١٢ : ١٩ ، لوقا ٢٠ : ٢٨ ، يوحنا ١ : ٤٥ ، رومية ١٠ : ٥، راجع ايضا د/ نجيب ميخائيل : المصدر السابق جـ ٣ صـ ١٨٦ .

(٣) د/ فؤاد حسنين على التوراة الهيروغليفية صـ ٤٠ مقدمة العهد العتيق من الكتاب المقدس طبعة الكاثوليك صـ ٣ طبعة ٤٩٨٦ ، موريس بوكاى : دراسة الكتب المقدسة فى ضؤ المعارف الحديثة صـ ٢٧ دار المعارف بمصر .

ويدعى اليهود أن التوراة التى بين ايدينا (الأسفار الخمسة) كتبت ايام موسى فيقول موسى بن ميمون ـ فى العقيدة الثامنة من الثلاثة عشرة عقيدة « أنا أؤمن ايمانا تاما أن الشريعة (التوراة) الموجودة الآن بأيدينا هى المعطاة لسيدنا موسى عليه السلام وفى العقيدة التاسعة يقول :أنا أؤمن ايمانا تاما أن هذه الشريعة لا تتغير لا تكون شريعة أخرى من لدن الخالق تبارك اسمه . (د/ محمد بحر عبد الحميد : اليهودية صـ ٣٦ ويذكر سبينورا أن فرقة الفريسيين قد أيدت هذا الرأى ـ نسبة الأسفار الخمسة إلى موسى ـ باصرار شديد حتى إنهم عدوا من يظن خلاف ذلك من المارقين (رسالة فى اللاهوت صـ ٢٦٦) .

اليهود أخذوا عنهم فى الوقت عينه نظريتهم عن الأداة التى كتبت بها الأسفار واعتقادهم الراسخ بأن موسى هو كاتب الأسفار الخمسة ، وظل هذا الاعتقاد قائما أجيالا طويلة لم يتعرض له أحد (١) ولم يكن ذلك الاعتقاد نتيجة بحث تاريخى بل كان عقيدة عامة لا أساس لها من الواقع واعتماداً على آراء تقليدية نقلها الخلف عن السلف (٢) .

والأسفار الخمسة بالصورة التي وصلت بها إلينا تعتبر هى القاعدة الأساسية للعهد القديم والدين اليهودى بأسرها ، ولكنها كما يقول موسكاتى تنطوى على أخطر المشاكل النقدية.

وتفسير أقدم تاريخ سياسى ودينى للعبريين يعتمد كله أخيرا على تاريخ تأليفها وتحديد مصادرها وتاريخها والقيمة التى تعلق عليها ، فلا عجب اذا كانت موضوع جدل معقد طويل (٣) .

وتنسب الرواية اليهودية والمسيحية القديمة ـ كما رأينا ـ تأليف الأسفار الخمسة فى صورتها الحالية إلى موسى ، وهذا يجعلها فى صدر العهد القديم من حيث ترتيب التأليف والترتيب الزمنى لمادتها أيضا ، وكذلك ظن أن بقية أسفار العهد القديم ألفت بالترتيب الذى نراها عليه الآن . ولكن صعوبة قبول هذا الترتيب فى التأليف أدت قرب نهاية القرن الثامن عشر إلى فحص نقدى شامل للمسألة (٤) .

وقبل أن نصل إلى هذه الفترة يحسن بنا أن نرجع كثيراً إلى الوراء حتى نطلع على

المحاولات النقدية الأولى للتوراة .

فقد بدأت هذه المحاولات منذ العصور الأولى لنشأة المسيحية ربما بسبب ترجمتها إلى اليونانية ، وكان القديس « أوريجين » (١٨٥ ـ ٢٥٤ م) الفيلسوف المسيحى المصرى ـ من رواد هذا الميدان ، كما يبدو ذلك واضحا فى الـ « هكسبلا » حيث تناول نص التوراة ـ نقداً ودرساً ، وان كان قد تجنب نقد العقيدة واقتنع بدارسة النص لإدراك المعنى الحقيقى للكلمة الالهية الحقيقية ، فكان النقد ينصرف غالباً إلى الأسفار والحكم عليها من حيث مكانتها (٥) .

---

(١) حبيب سعيد : المدخل إلى الكتاب القدس صـ ٧٠ مورس بوكاى : دراسة الكتب المقدسة صـ ٢٦ مقدمة العهد العتيق من الكتاب المقدس الطبعة الكاثوليكية صـ ٣ .

(٢) د/ نجيب ميخائيل : مصر والشرق الادنى جـ ٣ صـ ١٨٧ . د/ محمد بحر عبد الحميد : اليهودية صـ ٣٦ .

(٣) الحضارات السامية القديمة صـ ١٥٦ . (٤) المصدر السابق صـ ١٥٦ .

(٥) د/ فؤاد حسنين على : التوراة الهيروغليفية صـ ٥٣ ، د/ حسن حنفى فى مقدمته ، وترجمته لكتاب رسالة فى اللاهوت والسياسة صـ ١٨ د/ محمد بيومى مهران : دراسات فى تاريخ الشرق الأدنى جـ ٩ صـ ١٣٧ ـ ١٣٨ .

ولذلك فان نقده لم يتعد تطبيق المبادئ اللغوية التى كانت معروفة فى ذلك الوقت فى مدرسة الاسكندرية ، ووضع لأول مرة التوراة فى ستة عواميد لمقارنة النص العبرى بالنصوص اليونانية المختلفة ، كما أنه وضع عدة شروح لتأويل النصوص (١) .

ابن عـزرا :

ولكن المبادرة الحقيقية ربما تعود إلى العالم اليهودى الكبير ابراهام بن عزرا ، الذى يكاد المرء أن يتلمس الشكوك فى كتاباته فيما بين السطور ولكن صاحبها أحكم لفها بمداراة ــ و مداورة فلا تثير غلاة المتعصبين ــ عن صحة نسبة أسفار الشريعة إلى موسى عليه السلام (٢) .

فقد كان ابن عزرا ــ فيما يرى اسبينوزا ــ أول من تنبه إلى خطأ نسبة الأسفار الخمسة إلى موسى ورغم أن فكره كان حراً إلى حد ما ولم يكن علمه يستهان به إلا إنه لم يجرؤ على الافصاح عن رأيه صراحة واكتفى بالاشارة اليه بالفاظ مبهمة .

فقال فى شرحه على « التثنية » فيما وراء نهر الأردن الخ لو كنت تعرف سر الاثنى عشرة ..... كتب موسى شريعته أيضاً .... وكان الكنعانى على الأرض .. سيوحى به على جبل الله .... هاهوذا سريره سرير من حديد ، حينئذ تعرف الحقيقة.

وابن عزرا بهذه الكلمات القليلة يبين ويثبت فى الوقت ذاته أن موسى ليس هو مؤلف الأسفار الخمسة بل إن مؤلفها شخص آخر عاش بعده بزمن طويل وأن موسى كتب سفراً مختلفاً ويذكر للبرهنة على ذلك :

---

(١) مقدمة الكتاب رسالة فى اللاهوت والسياسة صـ ١٨ ــ ١٩.

(٢) راجع حسين ذو الفقار صبرى : توراة اليهود بين اصول متشعثة وسعى إلى انعقاد صـ ٧ مجلة المجلة عدد يناير ١٩٧٠ ناقلا عن مصادر أجنبية .

وابراهام بن عزرا شخصية فذة أبدعها المجتمع الاندلسى المتفتح فقد نشأ فى طليطلة حيث ولد عام ١٠٩٢ وانطلق منها فتعرف على علماء العصر فى كل مكان مسهما بنصيب فى شتى العلوم والفنون واستقر بعض الوقت فى روما حيث عكف على كتابة التفاسير الدينية ثم وضع كتبا ربما هى أول ما ألف باللغة العبرية عن النحو العبرى تميزت بابتكار ودقة ضبط عن المراجع التى اعتمد عليها وهى الدراسات التى كان ألفها بالعربية بعض بنى ملته مهتدين بالكتب الأصول فى النحو العربى وقيل انه ولد عام ١٠٨٩ ، وتوفى عام ١١٦٤ م.

(راجع المصدر السابق صـ ٧ د/ عبد المنعم الحفنى : الموسوعة النقدية للفلسفة اليهودية صـ ٣٣ ــ ٣٤ د/ ابراهيم موسى هنداوى : الأثر العربى فى الفكر اليهودى صـ ١٥ ــ ١٦ مكتبة الانجلو المصرية ١٩٦٣م.

أ ــ لم يكتب موسى مقدمة سفر التثنية لأنه لم يعبر نهر الأردن .

ب ــ كان سفر موسى مكتوباً على حائط المعبد الذى لم يتجاوز اثنى عشر لوحاً ، أى أن السفر كان أصغر بكثير مما لدينا الآن .

جـ ــ قيل فى سفر التثنية « وقد كتب موسى التوراة (ولا يمكن أن يقول موسى ذلك ان كان هو كاتبها) .

د ــ فى سفر التكوين يعلق الكاتب قائلاً « وكان الكنعانيون فى هذه الأرض » مما يدل على أن الوضع قد تغير وقت تدوين الكاتب هذا السفر أى بعد موت موسى وطرد الكنعانيين « وبذلك لا يكون موسى هو الراوى » .

هـ ــ فى سفر التكوين سمى « جبل مورياً » جبل الله ، ولم يسم بهذا الاسم الابعد بناء المعبد ، وهوماتم بعد عصر موسى .

و ــ فى سفر التثنية وضعت بعض الآيات فى قصة أوج، توحى بأن الرواية كتبت بعد موت موسى بمدة طويلة اذ يروى المؤلف أشياء حدثت منذ زمن بعيد (١) .

حتى اذا ما بدأ عهد الاصلاح الدينى (٢) فى العصور الوسطى نلتقى بكارلشتات الذى يبدأ فى المناداة بأن موسى ليس كاتب الأسفار الخمسة وأنه يستحيل ان يكون موسى قد كتب بنفسه كيف مات (٣) .

---

(١) من هذه الآيات قول كاتب سفر التثنية « ولقد بقى عوج ملك باشان وحده من بين العمالقة الآخرين وها هو سريره ، سرير من حديد ، هذا السرير الذى طوله تسعة أذرع الموجود فى الرباط عند أطفال آمون...

هذه الاضافة تدل بوضوح تام على أن من كتب هذه الأسفار عاش بعد موسى بمدة طويلة . فطريقته فى الحديث عن الأشياء طريقة مؤلف يروى قصصا قديمة جداً ، ويذكر بعض الآثار التى مازالت باقية من هذا الزمن البعيد ليجعل كلامه موثوقاً به .... إلى غير ذلك من الاضافات.

راجع شرح سبينوزا لأقوال ابن عزرا بالتفصيل فى كتابه رسالة فى اللاهوت والسياسة صـ ٢٢ ، ٢٦٦ ــ ٢٦٨)

(٢) يذكر الدكتور فؤاد حسنين أن مارتن لوثر كان من رواد نقاد الكتاب المقدس وقد هاجم شريعة موسى وقسمها إلى شريعة شعبية وأخرى رسمية ثم شريعة العقيدة والحب .

(التوراة الهيروغليفية صـ ٥٣)

(٣) موريس بوكاى : دراسة الكتب المقدسة صـ ٢٧ .

د/ نجيب ميخائيل : مصر والشرق جـ ٣ صـ ١٨٧ .

وبعد قرابة قرن من الزمان نرى « هوبز » يقول ان الأسفار الخمسة كتبت عن موسى ولم يكتبها هو .

- وعند هذه المرحلة بدأت دراسات جدية لتمحيض هذه الأفكار الجديدة ومناقشتها على ضوء دراسة عميقة للتوراة ثم البحث عن مصادرها (١) .

وكان من أوائل من عرضوا لهذه الدراسة رجلان من أبرز رجالات الجالية اليهودية بامستردام كلاهما يمت إلى أصول برتغالية تسنى لها أن تنهل من تراث الحضارة الاسلامية الأندلسية المتفتحة .

أولهما : أوربيل اكوستا (١٥٨٥ ـ ١٦٤٠ م) الذى اتهم الأحبار بتحريف عقيدة موسى وبدأ ما يسمى فى تاريخ الكتب المقدسة بحركة تفسرها تفسيراً تاريخيا ، وشكك فى صدق نسبتها لله أو صدورها عمن صدرت عنهم بالهام من الله للتناقض الواضح بين نصوصها ، ولكن الأحبار تألبوا عليه ، فقاموا باحراق كتاباته واستنزلوا عليه اللعنات فعاش منبوذاً حتى من أقرب أقربائه فى عزلة قاتلة (٢) .

---

(١) د/ نجيب ميخائيل :المصدر السابق .

(٢) يضرب بأكوستا جبريل أو أوربيل اكوستا المثل فى الثورة على الجمود الدينى اليهودى ، وكان من يهود المارانوا البرتغليين الذين تنصروا تحت ضغط الاضطهاد الكنسى ولكنه عاد إلى اليهودية بعد أن هاجر إلى امستردام (١٦١٥ م) وفيها اصطدم بتعصب ـ الأحبار ووجد منهم تعنتا أدهى وأمر من التزمت المتفشى بين أساقفة الكاثوليك بالبرتغال فأخذ يعرض بهم تعريضاً عنيفاً وينقد الأسفار نقداً تاريخياً ألبو عليه الحكومة فصادروا ـ كتبه وأحرقوها وطردوه من مجتمعهم وكانوا يبصقون فى وجهه ويلقون على بيته القاذورات والجيف، ولم يحتمل الرجل سؤ المعاملة والفقر فندم وأعلن توبته بعد خمس عشرة سنة من المهانة ولكنه لم يقبل الطقوس اليهودية ، ومنع اثنين من المسيحيين من اعتناق اليهودية فجددوا اتهامه بالكفر ولم يقبلوا منه التوبة مرة أخرى إلا بعد أن جلدوه أمام جمهور اليهود تسعا وثلاثين جلدة .

(راجع الموسوعة النقدية للفلسفة اليهودية صـ ٥١ ، ٥٢)

(حسين ذو الفقار صبرى : توراة اليهود صـ ٧ نقلا عن مصادر أجنبية) .

سبينوزا :

أما ثانيهما : فهو الفيلسوف ذائع الصيت باروخ سبينوزا (١٦٣٢ - ١٦٧٧) الذى فرض نفسه على الحياة الفكرية بعد دراسات متعمقة فى أبواب الفقه اليهودى جميعاً وضاق بسيطرة الفكر التلمودى الخانقة فتجاسر وتعرض لنصوص التوراة ذاتها فحلت به هو الآخر لعنة التحريم (١) .

ويعتبر سبينوزا من أشهر نقاد العهد القديم وأعظم من تصدى لقومه بالنقد فى أشهر كتبه « البحث اللاهوتى السياسى » أورسالة فى اللاهوت والسياسة ١٦٧٠ م الذى يعتبر بحق البحث الرائد للدراسات النقدية لأسفار التوراة فى العصر الحديث (٢) .

ففى هذا الكتاب وضع نقداً شاملا للعهد القديم على أنه كتاب أدبى قومى ونقده نقدا تاريخيا وفلسفيا فعرض للغته ونصه وزمن تأليفه ومستوى مؤلفيه .

وأدت حركة النقد هذه إلى زعزعة الثقة فى الكتاب المقدس كما انتهى إلى تحويل كبير فى عقيدة الوحى وأصبح النقد لا يوجه إلى الموضوع بقدر اهتمامه بالانسان الذى ألف هذه الأسفار والذى يقال انه اقدم على ما أقدم عليه بوحى ، حتى أصبحت أسفار الكتاب المقدس ليست وحياً إلهامياً مباشراً بل وثائق بشرية تاريخية موحى بها (٣) .

فقد قام سبينوزا بشرح ملاحظات ابن عزرا وذكر أنه قد فاته ذكر ملاحظات أخرى

---

(١) أ. وف . توملين : فلاسفة الشرق صـ ١٠٠ ترجمة عبد الحميد سليم دار المعارف ١٩٨٠ م حسين ذو الفقار صبرى : توراة اليهود صـ ٧ نقلا عن مصادر اجنبية . وباروخ سبينوزا من عائلة برتغالية يهودية أيضا ولكنها كانت هاجرت منذ زمن ، وقد ولد بامستردام قبل وفاة أكوستا بقليل ولكنه كان أصلب عوداً ومعدنا منه (توراة اليهود صـ ٧)

(٢) حسين ذو الفقار صبرى : توراة اليهود صـ ٧ ، د/ عبد المنعم الحفنى : الموسوعة النقدية للفلسفة اليهودية صـ ١١٩ ، وسبينوزا فى هذا الكتاب يتضح تأثره من جهة بكتابات موسى ابن ميمون تأثراً كبيراً وليفى بن جرشوم وشهرته « لا تينيا جرسونيدس) ومن حيث النقد التوراتى بآراء ابراهام ابن عزرا ولكنه طبعاً أضاف إليه وزاد عليه وجهر بما لم يجرؤ على الاجهار به .

ثم ان فكره المتوقد وجرأته الفلسفية انساحت به مكتسحة الحواجز والقيود فأصبح من أعلام الفكر الأوربى كما أن مكانته بعد وفاته إلى ارتقاء مستمر ، وكانت آراؤه الفلسفية أقوى من أن تحتويها أغلال من أى نوع كان .

(٣) د/ فؤاد حسنين على : التوارة الهيروغليفية صـ ٥٤ . راجع توراة اليهود صـ ٧ ، د/ اسرائيل ولفنسون : موسى بن ميمون : حياته ومصنفاته صـ ١٣٩ الطبعة الأولى لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٣٥٥/١٩٣٦م .

ـ متعددة أكثر خطورة على الأسفار الخمسة وهى :

١ـ لا يتحدث الكتاب عن موسى بضمير الغائب فحسب وانما يعطى عنه شهادات عديدة مثل « تحدث الله مع موسى » « كان الله مع موسى وجها لوجه » ، « وكان موسى رجلا حليماً جداً اكثر من جميع الناس » (١) ، « فسخط موسى على وكلاء الجيش » (٢) « موسى رجل الله » (٣) لقد مات موسى خادم الله ولم يقم من بعد نبى فى اسرائيل كموسى (٤) وعلى العكس يتحدث موسى ويقص أفعاله بضمير المتكلم فى سفر التثنية التى كتبت فيها الشريعة التى شرحها موسى للشعب والتى كتبها بنفسه فيقول كلمنى الرب ورجوت الرب الخ . إلافى آخرالسفر حيث يستمر المؤرخ بعد أن نقل أقوال موسى ويحكى فى روايته كيف أعطى موسى الشعب هذه الشريعة (التى شرحها) كتابة ثم أعطاهم تحذيراً أخيراً وبعد ذلك انتهت حياته .

كل ذلك ـ كما يقول سبينوزا ـ ويعنى طريقةالكلام ومجموع نصوص القصة كلها يدعو الى الاعتقاد بأن موسى لم يكتب هذه الأسفار بل كتبها شخص آخر .

٢ـ يجب أن نذكر أيضا أن هذه الرواية لا تقص فقط موت موسى ودفنه وحزنه الايام الثلاثين للعبرانيين بل تروى أيضا أنه فاق جميع الأنبياء إذا قورن بالأنبياء الذين عاشوا بعده ـ ولم يقم من بعد نبى فى اسرائيل كموسى الذى عرفه الرب وجها لوجه(٥) .

ويرى سبينوزا أن هذه شهادة لم تكن من الممكن أن يدلى بها موسى نفسه أو شخص آخر أتى بعده مباشرة بل شخص عاش بعده بقرون عديدة لاسيما أن المؤرخ استعمل صيغة الفعل الماضى ولم يقم الخ ، ويقول عن القبر ولم يعرف احد قبره إلى يومنا هذا(٦) .

٣ـ يجب أن نذكر أيضا ـ كما يقول سبينوزا ـ أن بعض الأماكن لم تطلق عليه الأسماء التى عرفت بها فى زمن موسى بل أطلقت عليه أسماء عرفت بعده بوقت طويل إذ يقال إن

---

(١) عدد ٢٥ : ٣ .

(٢) راجع عدد ١٢ : ٣ .

(٣) تثنية ١٣ : ١ .

(٤) تثنية ٣٣ : ١٠ .

(٥) تثنية ٣٤ : ١٠ .

(٦) تثنية ٣٤ : ٦ رسالة فى اللاهوت والسياسة صـ ٢٦٩ .

ابراهيم تابع أعداده حتى دان (١) وهو اسم لم تأخذه المدينة التى تحمله الا بعد موت يشوع بمدة طويلة (٢) .

٤ـ تمتد الروايات فى بعض الأحيان إلى مابعد موت موسى فيروى فى سفر الخروج أن بنى اسرائيل أكلوا المن أربعين يوماً حتى وصلوا إلى أرض مسكونة على حدود بلاد كنعان (٣) أى حتى هذه اللحظة التى يتحدث عنها سفر يشوع (٤) وكذلك يخبرنا سفر التكوين « وهؤلاء الملوك الذين ملكوا فى أرض أدوم قبل أن يملك ملكٌ فى بنى اسرائيل » (٥) ولا شك أن المؤرخ يتحدث عن الملوك الذين كانوا يحكمون الآدوميين قبل أن يخضعهم داود لحكمه ويضع حاميات ضده فى أديميا (٦) .

وينتهى سبينوزا إلى أنه من هذه الملاحظات كلها يبدو واضحاً وضوح النهار أن موسى لم يكتب الأسفار الخمسة ، بل كتبها شخص آخر عاش بعد موسى بقرون عديدة (٧) وأنه لما كانت توجد نصوصو كثيرة أخرى فى الأسفار الخمسة لا يمكن أن يكون موسى كاتبها فان أحداً لا يستطيع أن يؤكد عن حق أن موسى هو مؤلف الأسفار الخمسة بل على العكس يكذب العقل هذه النسبة (٨) .

ومن الذين حملوا لواء النقد أيضا بعد سبينوزا : القس الفرنسى ريتشارد سيمون ، ـ والطبيب جان استروك ، ولكن الأعمال النقدية لـ « ريتشارد سيمون » تعد فاتحة على النقد الحديث (٩) .

---

(١) تكوين ١٤ : ١٤ ودان اسم مدينة ويرجح أنها تقع على بعد ثلاثة أميال غربى بانياس وهى المعروفة بتل القاضى (راجع تفصيل الحديث عنها : قاموس الكتاب المقدس صـ ٣٥٧)

(٢) قضاة ١٨ : ٢٩ . (٣) خروج ١٦ : ٣٥ . (٤) ٥ : ١٢ .

(٥) تكوين ١٦ : ٣١ . (٦) صموئيل الثانى ٨ : ١٤ .

(٧) رسالة فى اللاهوت والسياسة صـ ٢٧١ . (٨) المصدر السابق صـ ٢٧٣.

(٩) هذا الأعمال النقدية هى :

(أ) التاريخ النقدى لنصوص العهد القديم ودرس فيه تارخ النصر العبرى منذ نشأته حتى الآن وشك فى نسبة التوراة إلى موسى

(ب) التاريخ النقدى لترجمات العهد العتيق وشرح فيه ظهور الترجمات ونقلها واختلافاتها

(جـ) التاريخ النقدى لنصوص العهد الجديد

(د) التاريخ النقدى لترجمات العهد الجديد

(هـ) التاريخ النقدى لشروح العهد الجديد .

(راجع د/ حسن حنفى مقدمة كتاب سبينوزا : رسالة فى اللاهوت والسياسة صـ ١٨ ـ ١٩)

ريتشارد سيمون :

فقد أصدر عام ١٦٧٨ م كتابه عن « التاريخ النقدى للعهد القديم » نفى فيه نفياً قاطعاً نسبة أسفار الشريعة إلى موسى ، وأكد مافيها من الصعوبات الخاصة بتسلسل الأحداث والتكرارات وفوضى الروايات وفوارق الأسلوب .

وتوصل إلى أنها عبارة عن مجموعة من مدونات مختلفة الأصول ، كل منها تعود إلى جيل بعينه من الأجيال المتعاقبة لأنبياء اليهود يستخلصون لنبوءات من واقع تفسيرات متمايزة لأحداث الماضى ، فكأنهم أيضا مؤرخون عكف كل باجتهاد وهوى على اعادة تقييم مادونه الأسلاف ـ تحويراً وحذفاً وإضافة حتى توفر عليها آخر الأمر عزرا ومريدوه فجمعت أسفار الكتاب على الوجه الذى تطالعنا به اليوم (١) .

وقد أثار الكتاب ضجة وسخطاً وقوبلت دراسة ريتشارد سيمون بفورة غضب واستنكار ، فتصدى لها ـ ولما أن جرأت على ذلك جاليات اليهود ـ المفكرون المسيحيون ـ فانها انتهاك أيضا لقدسية عهدهم القديم ـ وتزعم الحملة الكاتب الفرنسى الكبير « بوسييه » فهو من كبار أساقفة الكنيس الكاثوليكى ، واستصدر قرارا باعدام نسخ الكتاب جميعاً الا من بضعة معدودات أفلتت فهربت إلى الخارج (٢) .

جان استروك

أما الطبيب جان استروك (٣) فقد كان أول الباحثين الذين فتحوا بابا جديداً وطرقوا الموضوع من زاويته . اذ أنه عالج « البنتاتوك » من زاوية المعبود الذى يتردد ـ مرة تحت اسم « يهوه » وأخرى تحت اسم « الوهيم »

---

(١) موريس بوكاى : دراسة الكتب المقدسة صـ ٢٧ـ ٢٨ .

(٢)حسين ذو الفقار صبرى : توراة اليهود صـ ٧ نقلا عن مصادر أجنبية موريس بوكاى : دراسة الكب المقدسة صـ ٢٨.

وكان ريتشارد سيمون قد تعمق فى دراسة اللاهوت بانجلترا محاولا استخلاص سمة من اتساق للمتناقضات التى تعج بها اليهوديات ، ثم أصدر فى فرنسا مؤلفات فى الفلك والحساب ترجمت فيما بعد إلى اللاتينية ، وقد راجت مؤلفاته فى أنحاء أوربا ، ذخراً للباحثين يهوداً كانوا أم مستشرقين حسين ذو الفقار : توراة اليهود صـ ٧ .

(٣) جان استروك : كان طبيباً للملك لويس الخامس عشر وكان يعمل استاذاً للطب فى جامعات مونبلييه وباريس وتولوز وكان ابن واعظ بروتستنتى من أصل يهودى . (موريس بوكاى : دراسة الكتب المقدسة صـ ٢٨ .) (د/ بحر عبد المجيد : اليهودية صـ ٣٨)

واستنتج من ذلك أن كلا من المجموعتين صادر عن أصل مختلف عن المجموعة الأخرى وأن هناك مجموعة ثالثة لا ترجع إلى الأصلين ، وبعد دراسة طويلة نراه يقرر أن المجموعة الألوهيمية تكون الجانب الأكبر من سفر التكوين وأن المجموعة « اليهووية » ليست سوى ـ تكملة لها . كما أن الاصحاحات الأولى من سفر الخروج ذات أصول ألوهيمية كذلك (١) .

مابعد (استروك) :

ودفع هذا البحث غير « استروك » للنزول فى الميدان ، فاتفق معه **ايخهورن** (١٧٨٠ ـ ١٧٨٢) وأضاف إليه أن الكتابات ذات الأصول الألوهيمية واليهوية لا تختلف فقط من ناحية اسم الرب تحت عنوان « يهوه » أو « الوهيم » بل ان هناك اختلافا بينا كذلك فى الكلمات والجمل وطبيعة العقيدة نفسها (٢) .

وأضاف باحث ثالث هو « فاتر» الى ذلك رأيا مؤداه أننا لا نلتقى بهذه الظاهرة اليهوية والالوهيمية فى التكوين واصحاحى الخروج الأولين فحسب بل فى كافة الأسفار الأربعة الأخرى ويرى أن الأسفار الخمسة تراث بدائى من مجموعتين منفصلتين متشابهتين فى الوقت نفسه وربما كانت من عصرين متباعدين عرف الرب فى احداهما تحت اسم « يهوه » وفى الأخرى تحت اسم « الوهيم » .

وأخذ « فاتر» يعالج الأسفار الخمسة على ضوء هذه النظرية فذهب إلى أن بالتكوين مجموعة من المتناقضات وأما الخروج فيميزه تباين المصادر اليهووية والألوهيمية وأما

---

(١) ويذكر موريس بوكاى : أننا ندين لجان استروك بالبرهان الحاسم الذى قدمه فى تدحيض خرافة نسبة الأسفار الخمسة إلى موسى فقد نشر فى بروكسل عام ١٧٥٣ . دراسة بعنوان « قرائن عن المذكرات الأصلية التى استخدمها كاتب سفر التكوين » وأكد فيها على تعدد المصادر . ويرى موريس بوكاى أنه لم يكن أول من أشار إلى هذا الا أنه كانت لديه الشجاعة فى أن ينشر على الملأ ملاحظة أساسية هى وجود نصين جنبا إلى جنب فى سفر التكوين يحتوى كل منهما على خاصية مختلفة فى تسمية الرب . (موريس بوكاى : دراسة الكتب المقدسة فى ضوء المعارف الحديثة صـ ٢٨ . د/ نجيب ميخائيل : مصر والشرق الأدنى القديم جـ٣ صـ ١٩١ . راجع ايضا ول ديورانت : قصة الحضارة مجلد / ١ جـ ٢ صـ ٣٦٧ .)

(٢) د/ نجيب ميخائيل : مصر والشرق الأرنى جـ ٣ صـ ١٩١ ـ ١٩٢ . د/ حسن حنفى : مقدمة رسالة فى اللاهوت والسياسة صـ ٢٣. قارن موريس بوكاى : دراسة الكتب المقدسة صـ ٢٨ .

(٣) د/ نجيب ميخائيل : المصدر السابق صـ ١٩٢ . د/ حسن حنفى : المصدر السابق .

اللاويون فمجموعة من أشياء متباينة أما العدد فذو أصول يهويه فى معظمه ، وأما التثنية فالسلسلة محبوكة فيه اكثر منها فى الأسفار السابقة (١) .

ثم جاء ايلجين (١٧٩٨ م) ولاحظ أن أحد النصين اللذين ميزهما استروك ، هو النص الذى يسمى فيه الرب بألوهيم ينقسم هو أيضاً إلى قسمين .

وبهذا ـ كما يقول موريس بوكاى ـ تفتت تماما كتاب أسفار موسى الخمسة (٢) .

أما بحاثة القرن التاسع عشر فقد كرسوا جهودهم فى بحث عن مصادر أكثر دقة للأسفار الخمسة ، وأوفى بيان لنتائج الأبحاث التى قاموا بها هو الذى صدر عن العالم الالمانى المشهور **يوليوس فلهاوزن** .

ويمكن أن نقول دون أن نخوض فى تفاصيل آراء فلها وزن ومؤيديه أنهم عكسوا الترتيب التقليدى لتأليف أسفار العهد القديم ، فنسبوا إلى زمن يلى موت موسى بعدة قرون تأليف الأسفار الخمسة الأولى خاصة ، والاختلافات فى الأسماء التى يشار بها إلى الله ، وتكرار بعض القصص، والفروق البينة فى اللغة والأسلوب بين أجزاء مختلفة من هذه المجموعة .

كل هذا أقنع العلماء الناقدين بأن الأسفار الخمسة المنسوبة إلى موسى مركبة النشأة وأنها كانت فى الواقع نتيجة تصنيف من مصادر مختلفة (٣) .

المصادر الأربعة للتوراة :

وفى عام ١٨٥٤ كانت هناك أربعة مصادر مقبولة (٤) وظلت مقبولة حتى الآن وكما يقول الدكتور صبرى جرجس « والرأى يتجه الآن إلى أن الأسفار الخمسة هى

---

(١) د/ نجيب ميخائيل : مصر والشرق الادنى القديم جـ ٣ صـ ١٩٣ .

(٢) موريس بوكاى : دراسة الكتب المقدسة صـ ٢٨ .

(٣) موسكاتبى : الحضارات السامية القديمة صـ ١٥٦ ـ ١٥٧ ، موريس بوكاى : دراسة الكتب المقدسة صـ ٢٨، د/ صبرى جرجس : التراث اليهودى صـ ٥٨ . وقد أعلن فلهاوزن نظريته المشهورة القائمة على المصادر الأربعة للتوراة وتتلخص فى مبادئ ستة :

١ ـ مجموعات أولى مثل كتاب اثر وكتاب حروب يهوه

٢ ـ ظهور النص الألوهيمى فى الشمال قبل النص الياهوى

٣ ـ ظهور النص الياهوى فى الجنوب الفه شخص أو جماعة

٤ ـ ضم النصين معا بعد سقوط السامرة

٥ ـ ظهور سفر التثنية من وضع أحد الأحبار وضمه للمجموعة الأولى

٦ ـ ظهور نص يحتوى على قوانين الرهبنة او القداسة ، وما زالت هذه النظرية هى السائدة فى كل الدراسات النقدية عن العهد القديم (موسكاتى : الحضارت السامية صـ ١٥٧ ـ ١٥٨ ، د/ حسن حنفى : مقدمة كتاب رسالة فى اللاهوت والسياسة صـ ٢٣ ـ ٢٤

(٤) موريس بوكاى : المصدر السابق صـ ٢٨ ـ ٢٩ .

مجموع أربع وثائق أدمجت بعضها فى بعض بواسطة الأحبار وصيغت فى صورتها الحالية فى القرن الرابع ق . م ـ وان كانت كتابتها قد بدأت فيما يعتقد الكثيرون من الثقات أثناء فترة السبى البابلى فى القرن السادس ق . م (١) .

وهكذا يثبت العلماء أن التوراة ترتد إلى أربعة ينابيع مختلفة : اثنان منها جوهريان قديمان، والثالث منفصل عنهما فى زمانه ومضمونه، وأما الرابع والأخير فانه ينبثق فى مواضع معينة بصورة تكميلية وتوضيحية وهو أحدث هذه الينابيع تاريخاً (٢) .

وهذه الوثائق الأربع أو المصادر الأربعة الرئيسية أطلق عليها :

١ـ المصدراليهُوَى :

وسمى بهذا الاسم لأنه يستعمل اسم العلم (يهوه) على الرب ويرمز لهذا المصدر بالحرف (J) (٣) ويرجع تأليفه إلى القرن التاسع ق .م وحدده البعض بعام ٨٥٠ ق .م وتم هذا التأليف فى مملكة الجنوب يهوذا (٤) .

٢ـ المصدر الألوهيمى :

ويسمى بذلك لأنه يستعمل اسم العلم (الوهيم) على الرب ويرمز له بالحرف (E) (٥) ويرجع تأليفه إلى القرن الثامن ق .م أى حوالى ٧٧٠ ق .م فى المملكة الشمالية (اسرائيل) (٦) .

وهذان المصدران (اليهووى والألوهيمى) يتفقان فى الخطوط العريضة للموضوع ـ

---

(١)التراث اليهودى الصهيونى صـ ٥٨

(٢) د/ حسن ظاظا : الفكر الدينى الاسرائيلى صـ ٢٨

(٣) وهو الحرف الأول منJahuist (اليهووى) (هوامش موسكاتى صـ ٣٣٦)

(٤) موسكاتى : الحضارات السامية القديمة صـ ١٥٧ ، ول ديورانت : قصة الحضارة مجلد ١ جـ ٢ صـ٣٦٧ ، موريس بوكاى دراسة الكتب المقدسة صـ ٢٧ .

(٥) وهو الحرف الأول من Elahist (هوامش موسكاتى صـ ٣٣٦ د/ السيد يعقوب بكر)

(٦)راجع موسكاتى : الحضارات السامية صـ ١٥٧ موريس بوكاى: المصدر السابق صـ ٢٩ ، د/ حسن ظاظا : الفكر الدينى الاسرائيلى صـ ٢٩ .

ويبدو أن الرواة الذين نقلوا عن هذا المصدر قديماً كانوا يعتقدون أن تسمية الرب « الوهيم » هى التسمية التقليدية القديمة للعبريين إلى ظهور موسى .

وان اسم « يهوه » لم يظهر الا مع الدعوة الموسوية نفسها لذلك حرصوا على تمييز المعبود باسم « الوهيم » لقدمه فى الامة ولأن دلالته أعم فهو ليس اسم علم فى الأصل ومعناه اله أو آلهة أو الله .

(د/ حسن ظاظا : المرجع السابق صـ ٢٩ .)

الذى يتناولانه ، كما يتفقان فى طابع القصص وأسلوبه وربما كان قد حدث مزج بين الروايتين « اليهووية والألوهيمية » على ألسنة الناس فى القرون التالية على القرنين التاسع والثامن ق . م (١) .

ويرى العلماء أن هذين المصدرين القديمين قد تم دمجهما فى مجموعة واحدة ، وأن القصص الخاصة بهما قد امتزجت فى قصة واحدة ويذكر ول ديورانت أن ذلك تم بعد سقوط السامرة عام ٧٢٢ ق . م (٢) .

ويرى موسكاتى أن ذلك تم فى عام ٦٥٠ ق . م (٣) ، وعلى أى حال فإنهما قد امتزجا قبل أن تنبثق بقية المصادر الأربعة (٤) .

٣ ـ المصدر التثنوى :

ويرمز لهذا المصدر بالحرف (D) (٥) ، وقد أعلن العثور عليه فى عهد الملك يوشيا (ملك يهوذا) فى القرن السابع ق . م أى حوالى ٦٢٣ ق . م (٦) .

٤ ـ المصدر الكهنوتى :

ويرمز له بالحرف (P) (٧) وهو عبارة عن حواش أو فصول أضافها الكهنة إلى نص التوراة على عهد نحميا وعزرا .

والرأى الغالب أن هذه الفصول تكون الجزء الأكبر من سفر الشريعة الذى أذاعه عزرا ، وترجع هذه الفصول أو تلك الحواشى إلى عصر مابعد النفى أى القرن السادس ق م ، وقيل إنها ترجع إلى القرن الخامس ق . م وإلي النصف الأخير منه على

---

(١) د / حسن ظاظا : المصدر السابق صـ٢٩ .

(٢) قصة الحضارة مجلد ١١ جـ٢ صـ٣٦٧ ـ ٣٦٨ .

(٣) الحضارات السامية القديمة صـ١٧٥ .

(٤) لوسيان جوتييه نقلاً عن د / حسن ظاظا : المصدر السابق صـ٢٩ ـ ٣٠ ، وتقول كاترين هنرى « يعتقد كثيرون من العلماء أن مجموعات ووثائق هذين المصدرين كانت أول الأمر أحاديث سماعية متواترة ثم نسجت نسيجاً واحداً فى قصة واحدة كما تنسج الخيوط المختلفة فى قطعة واحدة من القماش (التاريخ فى الكتاب صـ٥٠) .

(٥) وهو الحرف الأول من (Deterenomy) أى التثنية (د / السيد يعقوب بكر : هوامش موسكاتى صـ٣٣٦) .

(٦) راجع موسكاتى : الحضارات السامية صـ١٥٧ .

د / حسن ظاظا : الفكر الدينى صـ٣٠ .

د / فؤاد حسنين : التوراة الهيروغليفية صـ٥١ ـ ٥٢ .

(٧) وهو الحرف الأول من (Priestly) (الكهنوتى) (هوامش موسكاتى صـ٣٣٦) .

التحقيق(١) .

بهذا اذن ومن خلال التواريخ المذكورة للمصادر الأربعة يتضح لنا أن تحرير نص الأسفار الخمسة قد امتد أكثر من ثلاثة قرون على أقل تقدير ، ولكن المشكلة فيما يقول موريس بوكاى أكثر تعقيداً من هذا ففى سنة ١٩٤١ استطاع لودز أن يميز فى الوثيقة اليهووية ثلاثة مصادر وفى الوثيقة الألوهيمية أربعة وفى سفر التثنية ستة وفى النص الكهنوتى تسعة وهذا « دون حساب الاضافات الموزعة بين ثمانية محررين » (٢) .

وقد أدى تعدد مصادر الأسفار الخمسة إلى تنافر وتكرارات وتداخلات عديدة فى نصوصها.

ويعطى الأب ديفو أمثلة على تعقد هذه الموروثة الخاصة بالخلق وأنسال قابيل والطوفان واختطاف يوسف وماجرى له بمصر والاختلافات الخاصة بأسماء شخص واحد والتصورات المختلفة للأحداث الهامة (٣) .

وبذلك يتضح أن الأسفار الخمسة قد تكونت من أقوال موروثة مختلفة جمعها بشكل يقل أو يزيد حذفا ، محررون وضعوا تارة ماجمعوا جنبا إلى جنب وطورا غيروا من شكل هذه الروايات بهدف إيجاد وحدة مركبة ، تاركين للعين أمورا غير معقولة وأخرى متنافرة

---

(١) راجع ول ديورانت : قصة الحضارة مجلد ١ جـ٢ صـ٣٦٨ ، موسكاتى : الحضارات السامية صـ١٥٧ ، موريس بوكاى : دراسة الكتب المقدسة صـ٢٩ ، د / فؤاد حسنين على : التوراة الهيروغليفية صـ٤٧ ـ ٤٩ ، د / حسن ظاظا : الفكر الدينى الاسرائيلى صـ٣٠ ، د / سامى سعيد الأحمد : الاسس التاريخية للعقيدة اليهودية صـ٢٨ .

(٢) دراسة الكتب المقدسة فى ضوء المعارف الحديثة صـ٢٩ .

وسيتضح لنا فى الفصل الأول من الباب الثالث اكتشاف لودز وغيره لمصادر أخرى استقت منها الأسفار وهى مصادر سومرية وبابلية وكنعانية .

(٣) لقد تداخلت المصادر الأربعة بعضها فى البعض الآخر والأمثلة على ذلك كثيرة ومنها الاصحاح الثانى عشر من سفر الخروج الذى تبين للعلماء أنه ليس وحدة متماسكة وإنما يتألف من أجزاء كانت مستقلة فى الأصل ثم أدمج بعضها فى بعض وخاصة الآيات ٢١ ـ ٢٧ التى تتناول عيد الفصح ، وأما عن تداخل وامتزاج ثلاثة مصادر وهى : اليهووى والألوهيمى والكهنوتى ، فأوضح الأمثلة على ذلك الإصحاح السابع والثلاثون من سفر التكوين الخاص بفصل من فصول قصة يوسف ، وقد قام الدكتور حسن ظاظا ببيان ذلك تفصيلياً فى كتابه الفكر الدينى الاسرائيلى صـ٣١ ـ ٣٥ .

وأما بخصوص قصتى الخلق والطوفان فتفصيل الحديث عنهما فى الباب الثالث عند بيان مظاهر تأثر اليهودية بالأديان الوثنية فى القصص الدينى والأساطير .

كان من شأنها أن قادت المحدثين إلى البحث الموضوعى عن المصادر [١] .

واستدل بعض الباحثين المعاصرين للبرهنة على أن الأسفار الخمسة ليست هى التوراة المنزلة على سيدنا موسى من حيث اللغة التى كتبت بها الأسفار .

فذكر الدكتور فؤاد حسنين على - فى رأى لم يسبق إليه كما يقول - أن التوراة العبرية التى هى بين أيدينا (الأسفار الخمسة الحالية) ويؤمن بها اليهود وغيرهم ليست توراتنا التى أنزلت على موسى لسبب جوهرى صحيح هو أنها جاءتنا فى اللغة العبرية .

والعبرية لم يعرفها موسى ولم يعرفها الاسرائيليون طيلة حياة موسى ، فموسى عاش وتوفى قبل أن توجد العبرية ويعرفها الاسرائيليون فكما تذكر المصادر اليهودية وغيرها ولد فى مصر وتسمى باسم مصرى وتهذب بكل حكمة المصريين .

وينتهى الدكتور فؤاد حسنين إلى أن صحف موسى وتوراته لم تدون فى العبرية بل فى المصرية القديمة ، فتوراة موسى إذن هيروغليفية الأصل [٢] .

ويذهب الدكتور حسن ظاظا إلى أننا لانعرف معرفة يقينية اللغة التى كتب بها موسى رسالته ، ومهما يكن من شىء حتى على افتراض أنها العبرية فلاشك أنها كانت تختلف اختلافاً بيناً جداً عن عبرية النص المقدس الذى بين أيدينا اليوم .

فلابد أنه مع جمع نصوص العهد القديم العبرى وكتابتها ، حدث طوعاً أو كرهاً « تنسيق » لافى السياق والترتيب فحسب بل فى اللغة أيضاً فبين موسى وتجميع الأسفار الخمسة مايقرب من ألف عام لاشك أن اللغة ككل تطورت تطوراً كبيراً [٣] .

وهكذا - كما تبين لنا - وكما يقول الدكتور على عبد الواحد وافى - ظهر للمحدثين من الباحثين من ملاحظة اللغات والأساليب التى كتبت بها الأسفار الخمسة وماتشتمل عليه من موضوعات وأحكام وتشاريع ، والبيئات الاجتماعية والسياسية التى تنعكس فيها ، ظهر لهم من ملاحظة هذا كله أنها قد ألفت فى عصور لاحقة لعصر موسى بأمد غير قصير [٤] .

وأن معظم سفرى التكوين والخروج ألف حوالى القرن التاسع ق . م وأن سفرى العدد واللاويين قد ألفا فى القرنين الخامس والرابع ق . م أى بعد النفى البابلى ، وأنها

---

(١) موريس بوكاى : دراسة الكتب المقدسة فى ضوء المعارف الحديثة صـ٢٩ .

(٢) راجع تفصيل هذا الرأى : التوراة الهيروغليفية صـ٣ - ٨ ، صـ٥٧ - ٥٩ .

(٣) الفكر الدينى الاسرائيلى صـ٢٧ - ٢٨ .

(٤) يقع عصر موسى على الأرجح فى القرن الثالث عشر ق . م .

جميعاً مكتوبة بأقلام اليهود ، وتتمثل فيها عقائد وشرائع مختلفة تعكس الافكار والنظم المتعددة التي كانت سائدة لديهم في مختلف أدوار تاريخهم .

فهي إذن تختلف كل الاختلاف عن التوراة التي يذكر القرآن الكريم أنها كتاب سماوي مقدس أنزله الله على سيدنا موسى عليه السلام (١).

فالقرآن الكريم يذكر أن الله قد أنزل كتاباً على سيدنا موسى عليه السلام :

يقول تعالى ﴿ ومن قبله كتاب موسى إماماً ورحمة ﴾ (٢) .

﴿ وآتينا موسى الكتاب وجعلناه هدىً لبني اسرائيل ﴾ (٣) .

﴿ الله لا اله إلا هو الحي القيوم ، نزل عليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه وأنزل التوراة والانجيل ، من قبل هدى للناس ﴾ (٤) .

القرآن الكريم وتحريف التوراة :

ومن الجدير بالذكر أن القرآن الكريم كان أول من نبه إلى أن اليهود قاموا بتضييع التوراة المنزلة على سيدنا موسى وتحريفها ، وأن فريقاً منهم قام بتأليف أو بكتابة الكتاب بأيديهم ثم زعموا نسبته إلى الله وماهو من عند الله ، وأنهم قاموا بإخفاء وكتمان أجزاء كثيرة من التوراة الصحيحة .

يقول الله تعالى في بيان تضييع اليهود للتوراة المنزلة وإهمالهم لها ، وقلة مبالاتهم بها وبأحكامها:

﴿ مثل الذين حُمِّلوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفاراً بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله والله لايهدى القوم الفاسقين ﴾ (٥) .

---

(١) الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للاسلام صـ١٧ .

(٢) هود : ١٧ .　(٣) الاسراء : ٢ .　(٤) آل عمران : ٢ ، ٣ ، ٤ .

(٥) الجمعة : ٥ (ويذكر المفسرون أن اليهود حملوا التوراة أي كلفوا أمانة العمل بها أو هي من الكفالة بمعنى أنهم ضمنوا أحكامها ولكنهم لم يحملوها أي لم يعملوا بها ولم ينفذوا أحكامها فصاروا كالحمار الذي يحمل الكتب الضخام وليس له منها إلا ثقلها وهو ليس صاحبها وليس شريكاً في الغاية منها وهي صورة رزية بائسة ومثل سيء شائن) .

(راجع الفخر الرازي في التفسير الكبير جـ٢٠ صـ ٤ ـ ٦ الطبعة الثالثة دار إحياء التراث العربي بيروت) .

القرطبي : الجامع لأحكام القرآن جـ١٨ صـ٩٤ ـ ٩٥ نشر دار الكاتب العربي للطباعة والنشر وزارة الثقافة بمصر ١٩٦٧ م .

سيد قطب : في ظلال القرآن المجلد السادس صـ٣٥٦٧ دار الشروق ١٩٨٢ م .

وبين سبحانه أنهم فقدوا أجزاء منها ، ونسوا أجزاء أخرى ، وأن الأجزاء التى لم يفقدوها والتى نسوها قاموا بكتمانها وإخفائها ، يقول تعالى :

﴿ ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يشترون الضلالة ويريدون أن تضلوا السبيل ﴾ (١) .

﴿ ونسوا حظاً مما ذكروا به ﴾ (٢) .

﴿ قل من أنزل الكتاب الذى جاء به موسى نوراً وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيراً ﴾ (٣) .

﴿ ياأهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيراً مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير ﴾ (٤) .

﴿ إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد مابيناه للناس فى الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون ﴾ (٥) .

﴿ إن الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب ويشترون به ثمناً قليلا أولئك ماياكلون فى بطونهم إلا النار ولايكلمهم الله يوم القيامة ولايزكيهم ولهم عذاب أليم أولئك الذين اشتروا الظلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة فما أصبرهم على النار ﴾ (٦) .

ثم بين سبحانه أن الأجزاء التى لم ينسوها ولم يخفوها قاموا بتحريفها .

﴿ من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه ﴾ (٧) .

---

(١) النساء : ٤٤ . (٢) المائدة : ١٣ .تعبير القرآن الكريم ﴿ أوتوا نصيبا من الكتاب ﴾ اشارة إلى أنهم لم يحفظوا الكتاب كله ، بل فقدوا حظاً ونصيباً آخر منه بجانب الحظ الذى نسوه وكان ذلك لعدم حفظهم للكتاب فى صدورهم وعدم كتابتهم أكثر من نسخة منه ، والظاهر أن التنكير فى قوله تعالى ﴿ نصيبا ، وحظاً ﴾ للتعظيم أى مانسوه وأضاعوه كثير وما أوتوه وحفظوه كثير أيضاً . (راجع تفسير المنار جـ٣ صـ١٢٩ – ١٣١ جـ٥ صـ١١١ – ١١٢ من المجلد الثالث والجزء السادس صـ٢٣٤ – ٢٣٥ ، ٢٣٨ .

(٣) الانعام : ٩١ (٤) المائدة : ١٥ (٥) البقرة : ١٥٩ .(٦) البقرة : ٧٤ = : ١٧٥ .

(ولعل القرآن الكريم يشير هنا إلى مايعرف بالأسفار الخفية لدى اليهود ويذكر الدكتور وافى أن بعض هذه الأسفار غير مقدس ولامعتمد فى نظرهم بينما بعضها الآخر مقدس ومعتمد فى نظرهم ولكن رأى أحبارهم وجوب اخفائه وقرروا أنه لايجوز أن يقف عليه الجمهور ولاأن يدرج فى أسفار العهد القديم ، ومن هذا يظهر أن السفر قد يكون خفيا ومقدسا فى آن واحد عند اليهود . (الأسفار المقدسة صـ١٢٣) . (٧) النساء : ٤٦ .

﴿ فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه ﴾ (١) .

﴿ ومن الذين هادوا سماعون للكذب سماعون لقوم آخرين لم يأتوك يحرفون الكلم من بعد مواضعه ﴾ (٢) .

وأشار القرآن الكريم إلى أن فريقاً منهم هو الذى قام بالتحريف وأنهم يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله وما هو من عند الله .

﴿ وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ماعقلوه وهم يعلمون ﴾ (٣) .

﴿ فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلا . فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون ﴾ (٤) .

﴿ وإن منهم لفريقاً يلوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون ﴾ (٥) .

ويبين القرآن الكريم أن هناك مجموعة أمية من اليهود تتلقى هذا التحريف وهذا التبديل دون أن تعلم إلا الأوهام والأمانى والظنون .

﴿ ومنهم أميون لايعلمون الكتاب إلا أمانى وإن هم إلا يظنون ﴾ (٦) .

---

(١) المائدة : ١٣ . (٢) المائدة : ١٤ (والتحريف هو التغيير والتبديل وأصله من الانحراف عن الشىء فمعنى يحرفونه : يبدلون معناه وتأويله ويغيرون والتحريف يكون فى اللفظ والمعنى ، وقد وقع النوعان معا من اليهود) .

(راجع تفسير الطبرى جـ٢ صـ٢٤٨ ـ ٢٤٩ الفخر الرازى جـ٣ صـ٢٣٤ ـ ١٣٥) .

(٣) البقرة ٧٥ . (٤) البقرة : ٧٩ .

(٥) آل عمران : ٧٨ .

والفريق المشار إليه فى الآية الكريمة هم أعلم اليهود وأعرفهم بالحقيقة هم الأحبار والربانيون الذى حرفوا الكلام لاعن جهل ولكن عن عمد للتحريف وعلم به يدفعهم الهوى وتقودهم المصلحة ففى تلك الآية نص فى التعمد وسوء القصد .

(راجع تفسير الطبرى جـ٢ صـ٢٤٩ ، تفسير الفخر الرازى جـ٣ صـ١٣٥ ـ ١٣٦ ، تفسير النار جـ١ صـ٢٩٤ ـ ٢٩٦ ، سيد قطب : فى ظلال القرآن جـ١ صـ٨٤ .

(٦) البقرة : ٧٨ .

وقد أشار الرسول « صلى الله عليه وسلم » إلى عبث اليهود بالتوراة وقيامهم بتحريفها وتغييرها إذ أنه رأى ورقة من التوراة في يد عمر فأمره بإلقائها وأن لايضيع وقته في قراءة مابها من كذب وتحريف ثم قال « ألم آتكم بها بيضاء نقية ؟ والله لو أن موسى كان حيا ماوسعه إلا اتباعى » (١) .

أى أن هذه التوراة المزعومة ملطخة بسواد التحريف والتغيير وقد أنزل الله على رسوله « صلى الله عليه وسلم » في القرآن ملخصاً لما كانت تشتمل عليه التوراة من عقيدة وشريعة وقصص ، فأحياها في صورتها الصحيحة نقية بيضاء ، وأن موسى لو بعث الآن لتبرأ من توراتهم واتبع القرآن الذى أنزل على سيدنا محمد « صلى الله عليه وسلم » (٢) .

ولعل من الأهمية أيضاً أن أشير إلى أن المنهج النقدى للتوراة لايرجع الفضل في حدوثه إلى الكتاب الغربيين كما قد يظن ، وإلى أنه ليس منهجاً مستحدثاً في العصر الحديث وإنما الحقيقة أنه يعود إلى المسلمين في عصور الإسلام الأولى .

ابن حزم ونقد التوراة :

ومن ابرز العلماء المسلمين الذين تعرضوا لنقد التوراة بل من أوائلهم الإمام ابن حزم الظاهرى المتوفى عام ٤٥٦ هـ .

ويعتبر كتابه « الفصل في الملل والأهواء والنحل » بما اشتمل عليه من نقد علمى للتوراة أول دراسة نقدية لنصوص الكتاب المقدس تسبق بآماد طويلة تلك الدراسة التى ظهرت بوادرها في أوربا في القرن السابع عشر وازدهرت في القرن التاسع عشر كما ذكرت (٣) .

---

(١) (أورد ابن كثير نصوص عدد من الأحاديث في هذا المعنى عن الإمام أحمد) (راجع تفسير القرآن العظيم جـ٢ صـ٤٦٧ ـ ٤٦٨ . راجع أيضاً فتح البارى لابن حجر جـ١٣ صـ٥٢٢ ـ ٥٢٦ وجـ٥ صـ٢٩١ ـ ٢٩٢ المطبعة السلفية محمد فؤاد عبد الباقى ومحب الدين الخطيب .

(٢) راجع د / على وافى : الأسفار المقدسة صـ١٨ .

(٣) مما يشهد بسبق ابن حزم في نقد نصوص الكتاب المقدس ماذكره مرجليوث في موسوعة الدين والأخلاق المجلد التاسع صـ٤٨٢ إذ قال « إن دراسات ابن حزم للأسفار الخمسة في العهد القديم أدت به إلى السبق في ايراد بعض الاعتراضات التى أدلى بها النقاد الحديثون من أمثال الأسقف ج . كولنسو ، ولهذا الأسقف كتاب ضخم عنوانه(الفحص النقدى للأسفار الخمسة) وقد هاجم فيه دعوى تأليف موسى للأسفار الخمسة ونشره في سبعة أجزاء من سنة ١٨٦٢ ـ ١٨٧٩ م ، وأيضاً فإن د / فيليب حتى يقول عن ابن حزم « أما أنفس كتبه الباقية إلى الآن وأفيدها هو « الفصل في الملل والأهواء والنحل » الذى يؤهل مؤلفه لاحتلال مركز الأولية بين العلماء الذى عنوا =

وفى هذا الكتاب اهتم ابن حزم بنقد التوراة التى بأيدى اليهود اهتماماً كبيرا وأثبت أنهم حرفوها وبدلوها واعتمد فى اثبات تحريفها على نظريتين أساسيتين :

١ ـ النظرة إلى النصوص ذاتها من حيث كذبها وتناقضها ومغايرة الواقع الذى كشف عنه من داخل التوراة نفسها وأماط عنه اللثام ليكون برهاناً لكل ذى عينين على أنه لايمكن أن يكون من عند الله ـ عز وجل ـ وبذلك استطاع أن يجعل التوراة نفسها تحمل بين جنبيها دليل هدمها وبرهان بطلانها (١) .

٢ ـ النظرة إلى عوامل تاريخية : ويقصد بها الظروف التى مرت بها التوراة منذ أن توفى موسى إلى وقت كتابتها بإجماع من كتبهم واتفاق من علمائهم ، فبين أن بنى اسرائيل قد ارتدوا سبع ردات فارقوا فيها الإيمان وجاهروا بالكفر وعبادة الأوثان (٢) .

ثم يتساءل بحق : أى كتاب يبقى مع تمادى الكفر ورفض الإيمان هذه المدد الطوال فى بلد صغير مقدار ثلاثة أيام فى مثلها فقط ليس على دينهم واتباع كتابهم أحد على ظهر الأرض غيرهم ؟ ! (٣) .

فكان منهج ابن حزم فى نقده للتوراة يتمثل فى بيان معارضة نصوصها بعضها ببعض وإظهار مافيها من اضطراب وتناقض واختلاف ، ورد الروايات التاريخية التى تصادم مقررات العلوم على ماوصلت إليه فى عصره من الحساب والهندسة والجغرافيا والحيوان والنبات ، وبالجملة كل مايتعارض مع القوانين اليقينية الثابتة المطردة التى يسير العالم والمجتمع الإنسانى حسب مقتضياتها .

= بدراسة الأديان على سبيل النقد والمعارضة ، وفى هذا الكتاب لفت ابن حزم الانظار إلى بعض مشاكل فى قصص التوراة لم يتنبه لها فكر أحد من العلماء حتى ظهور مدرسة نقد التوراة العلمى فى القرن السادس عشر (راجع بيان ذلك بالتفصيل : د / فيليب حتى : العرب : تاريخ موجز صـ١٨١ الطبعة الرابعة ١٩٦٨ دار العلم للملايين بيروت ، عبد العزيز عبد الحق حلمى : مقدمة كتاب الرد الجميل للإمام الغزالى صـ٧٩ ـ ٨٣ ، نشر مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر ١٣٩٣ هـ ـ ١٩٧٣ م ، د / محمود على حماية : ابن حزم ومنهجه فى دراسة الأديان صـ١٤٩ ـ ١٥١ دار المعارف الطبعة الأولى ١٩٨٣ م .

(١) راجع كتابه الفصل فى الملل والأهواء والنحل جـ١ صـ٩٨ ـ ١٧٦ نشر مكتبة الخانجى القاهرة د / محمود على حمايه : المصدر السابق صـ٢٥٤ ـ ٢٦٠ .

(٢) راجع الفصل فى الملل والأهواء والنحل جـ١ صـ١٨٧ ـ ٢١٠ ، د / محمود على حماية المصدر السابق صـ٢٦٠ ـ ٢٦٢ .

(٣) د / محمود على حماية : المصدر السابق صـ٢٦٠ .

وقد كان هذا عند ابن حزم كذبا ومحالا من باب ما يتسلى به العجائز من الخرافات والأسمار(١) .

- وكان من أقوى مااستدل به ابن حزم على أن الأسفار الخمسة ليست لموسى عليه السلام حديث سفر التثنية عن وفاة موسى عليه السلام وأنه لم يعرف موضع قبره إلى اليوم.

فقد قال ابن حزم « هذا آخر توراتهم وتمامها وهذا الفصل شاهد عدل وبرهان تام ودليل قاطع وحجة صادقة في أن توراتهم مبدلة وأنها تاريخ مؤلف كتبه لهم من تخرص بجهله أو تعمد بفكره ، وأنها أيضا غير منزلة من عند الله تعالي إذ لايمكن أن يكون هذا الفصل منزلاً على موسى في حياته فكان يكون إخباراً عنهما لم يكن بمساق ماقد كان .

وهذا هو محض الكذب تعالي الله عن ذلك ، وقوله ولم يعرف قبره آدمى إلى اليوم بيان لما ذكرنا كاف وأنه تاريخ ألف بعد دهر طويل ولابد (٢) .

القرطبى ونقد التوراة :

وكان ذكر وفاة موسى في التوراة اليهودية من أظهر البراهين التى استدل بها أيضاً الإمام القرطبى ت (٦٧١ هـ) على أنها ليست المنزلة على سيدنا موسى وقد ناقش هذا الأمر مناقشة موضوعية وقيمة في كتابه « الاعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام » (٣) .

---

(١) عبد العزيز عبد الحق : مقدمة الرد الجميل للإمام الغزالي صـ٨٤ ـ ٨٥ .

وجدير بالذكر أن العلامة الأنثروبولوجي السير جيمس فريزر (١٨٥٤ ـ ١٩٤١) قد عالج هذا الموضوع في كتابه (الفولكلور في العهد القديم) ترجمة : د / نبيلة ابراهيم ، وسأرجع إليه في الباب الثالث إن شاء الله . (٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل جـ١ صـ١٨٦ .

ويقول ابن حزم بعد نقده للتوراة « ها هنا انتهي ما وجدنا من التوراة التي اتفق عليها اليهود والنصاري ـ من الكذب الظاهر في الأخبار وفيما يخبر به عن الله تعالي ثم عن ملائكته ثم عن رسله عليهم السلام ، ولو لم يكن فيها إلا فصل واحد من الفصول التي ذكرنا لكان موجباً ولابد لكونها موضوعة محرفة مبدلة مكذوبة ، فكيف وهي سبعة وخمسون فصلا من جملتها فصول تجمع الفصل الواحد منها سبع كذبات أو متناقضات فأقل سوي ثمانية عشر فصلا لتكاذب فيها نص توراة اليهود مع نص تلك الأخبار بأعينها عند النصاري والكذب لائح ولابد في إحدي الحكايتين فما ظنكم بمثل هذا العدد من الكذب ، والتناقضة في مقدار توراتهم . (راجع الفصل جـ١ صـ١٨٦ ـ ١٨٧) .

(٣) تقديم وتحقيق وتعليق د / أحمد حجازي السقا ـ نشر دار التراث العربي بالقاهرة ١٩٨٠ م .

فهو يقول « إنها ـ أى التوراة التى بأيدى اليهود ـ لم تترك على ماكانت فى الألواح التى كتبها الله تعالى لموسى ، ولا على ما انتسخها لهم موسى بل زيد فيها ، ولابد ، ماليس منها ، ولاكان فى الألواح التى كتبها الله لموسى .

ويدل على ذلك : أن فى آخر السفر الخامس أن « موسى توفى فى أرض مؤاب .... ولا يشك الواقف على هذا التاريخ وهذه الوفاة : أنها ليست مما أنزل الله على موسى ولا مما كتبها موسى عن نفسه ، وإنما هى من إثبات من أراد أن يثبتها بعد وفاة موسى بزمان .

ويدلك على ذلك قوله « ولم يعرف إنسان موضع قبره إلى اليوم » يريد به : اليوم الذى كتب فيه هذا ، وهذا بين عند المنصف ، ومع بيانه ، فليس أحد من اليهود والنصارى فيما أعلم يقول : إن التوراة زيد فيها شىء بعد موسى ، ولا يفرق بين هذا الكلام وغيره ، بل هى كلها عندهم كلام الله ، وهذا جهل عظيم ، وخطب جسيم .

فهم بين أمرين : أما أن يقولوا : إن هذا الكلام هو مما كتبه الله لموسى وأخبر به موسى أو يقولوا : إنه ليس مما أخبر الله به موسى ، ولم يخبر به موسى .

فإن قالوا : الأول : كذبهم مساق الكلام ، فإن المفهوم منه على القطع : أنه كتب بعد وفاة موسى بزمان .

وإن قيل بالقول الآخر قيل لهم : فلأى شىء خلطتم كلام الله بكلام غيره ، وأجريتموها فى نسق واحد ، وزدتم على كلام الله ولم تشعروا بذلك ، بل نسبتم كل ذلك إلى أن الله أنزله ؟ .

وإذا جاز مثل هذا ، ولم يتحرز منه ، جاز أن يكون كل حكاية منها لايصح نسبتها إلى الله زائدة ، ولاسيما الحكايات الركيكة التى تحكى فيها عن الأنبياء التى لايليق ذكرها بسفلة الناس ، وغالب الظن ـ ولايعلم الغيب إلا الله تعالى ـ: أن السفر الأول هو سفرالبدء والأنساب (يقصد سفر التكوين) مما زيد على كلام الله تعالى ولم يشعروا بزيادته (١) .

ونستطيع أن نستخلص من خلال هذا العرض السريع من دراسات العلماء والباحثين القدماء منهم والمحدثين المسلمين منهم وغير المسلمين إلى أن كتبة التوراة أو الكهنة ما فتئوا يلحون فى العبث بتوراة موسى فلم تقف أسفارها عند وضع ولا استقر قرارها حتى عهد

---

(١) راجع الاعلام بما في دين النصاري من الفساد والأوهام صـ١٤٨ ـ ١٤٩ .

راجع أيضاً في هذا الموضوع الفقيه علاء الدين الباجي الشافعي المتوفي ٧١٤ هـ في كتابه علي التوراة والذي نقد فيه التوراة اليونانية صـ١٤٨ ـ ١٤٩ .

تحقيق الدكتور / أحمد حجازي السقا ـ نشر دار الأنصار ١٩٨٠ .

الاسكندر الأكبر (١) ، فأصبحت تنطوى على أمور لا يسوغ أن تكون قد أوحى بها إلى موسى ولا أن يكون موسى قد جاء بها من عنده أو بلغت مسمعه (٢) .

بل ان الناظر فيها لا يجد فيها دليلاً على نسبتها إلى موسى عليه السلام فكما يقول قاموس الكتاب المقدس « وليس فى الأسفار ذاتها آية واحدة تؤكد أن موسى هو كاتبها كلها » (٣) .

واذا ما وجدنا فيها خبراً يفيد ذلك فانه ينسحب إلى تأليف عبارات بعينها (٤) فهى قاصرة عليها ولا تعنى التوراة كلها ، وحتى هذه العبارات التى قد يفهم منها أنها لموسى تشير فى الواقع إلى أن المؤلف قد يشير على أنها لموسى ولا تفيد أن موسى هو الذى كتب هذه التوراة (٥) .

وما نجده فى العهد الجديد بخصوص التوراة أو الشريعة أو الناموس لا يختلف كثيراً عما جاءنا فى العهد القديم أعنى لا يقوم دليلاً على صحة نسبة تأليف هذه التوراة إلى موسى (٦) .

ولذلك فقد هجر ـ كما يقول موريس بوكاى ـ فرض نسبة الأسفار الخمسة

---

(١) يذكر العلماء ان التوراة على شكلها الحالى قد مرت من غير شك بمراحل متعددة تطورت خلالها مادتها من رواية إلى اختيار وتنقيح وحذف ثم تدوين ولم يبق من النسخة المنقولة على ألسنة هؤلاء الكهنة الا ما علق بالأذهان مما لا يعتمد عليه حتى ظهرت التوراة العبرية المتداولة الآن ، وأن الاسفار الخمسة أخذت صورتها التى نعرفها خلال سبى اليهود فى بابل على الأرجح بين عامى ٥٨٦ ـ ٥٣٨ ق . م ثم تناولها التنقيح منذ هذه المرحلة حتى قيام الاسكندر (مدى قرنين من الزمان) ، ويذكر ـ ول ديورانت أنها قد اتخذت هذه الصورة الحاضرة حوالى عام ٣٠٠ ق . م (راجع قصة الحضارة مجلد ١ جـ ٢ صـ ٣٦٨ د/ نجيب ميخائيل : مصر والشرق الأدنى القديم جـ ٣ صـ ١٦٥ .

(٢) عصام الدين حفنى ناصف : محنة التوراة على أيدى اليهود صـ ٦٧ .

(٣) قاموس الكتاب المقدس صـ ٣٤٨ .

(٤) مثلاً : كتاب العهد (خروج ٢٤ : ٧٢٤) و« عبادات العهد » (خروج ٣٤ : ٢٧ ـ ٢٨) والتقرير الخاص بحرب العمالقة (خروج ١٧ : ٤) ووصف المعسكر) عدد ٣٣ : ٢) وشريعة التثنية) تثنية ٣١ :) .

(٥) د/ فؤاد حسنين : التوراة الهيروغليفية صـ ٤١ .

(٦) انجيل لوقا ٢ : ٢٢ / ٤٤ : ٤٤ انجيل يوحنا ٧ : ٢٣ د/ فؤاد حسنين : المراجع السابق صـ ٤١ .

إلى موسى تماماً والكل يتفق على تلك النقطة (١) .

ولـم يبـق أى من العلمـاء التـورانيـين مـن يقبل بنظرية تأليف مـوسى لـهـذه الأسفار (٢) .

من الذى كتب الأسفار الخمسة ؟

ولنا أن نتساءل الآن : اذا كان قد تبين لنا أن سيدنا موسى عليه السلام لم يكتب الأسفار الخمسة ولم يقم بتأليفها فمن الذى كتبها أو من هو جامعها ؟

لقد ذهب سبينوزا إلى أن الاسفار الخمسة ـ وما بعدها من أسفار : يشوع والقضاة وصموئيل الأول والثانى والملوك الأول والثانى ـ اذا نظرنا إلى تسلسلها وإلى محتواها رأينا بسهولة أن الذى كتبها مؤرخ واحد أراد أن يروى تاريخ اليهود القديم منذ نشأتهم الأولى حتى هدم المدينة لأول مرة (٣) ، ويرى أن طريقة تسلسل هذه الأسفار تكفى وحدها لاثبات انها تضم رواية لمؤرخ واحد .

فمجموع النصوص والترتيب الذى تتعاقب به الروايات يدل على أن كاتبها

---

(١) دراسة الكتب المقدسة فى ضوء المعارف الحديثة صـ ١٣ .

(٢) سهيل ديب : التوراة بين الوثنية والتوحيد صـ ١٣ .

ويكفى هنا أن أنقل ما ورد فى مقدمة الطبعة الكاثوليكية للعهد العتيق عن أسفار الشريعة الخمسة « لقد كان اليهود ، أقله فى بدء التاريخ المسيحى يسندون إلى موسى تأليف هذه المجموعة الواسعة وقد جاراهم المسيح ورسله ـ فى نظرهم ـ فى هذا الاصطلاح والواقع أن خلاصة البانتاتيك أى جوهر التقاليد المدونة فيه ونواة التشريع تتصل دون ريب بالزمان الذى فيه بدا اسرائيل كشعب منظم وذلك الزمان تسوده شخصية موسى الكبيرة فهو وسيط الوحى الالهى ومنظم الشعب المختار والمشترع الأول انما مصنفه الملهم لم يحتفظ به وديعة ميتة فى دار المحفوظات بل كان مندمجاً فى حياة الشعب مما يوجب على الشريعة أن تتطابق والحاجات الجديدة .

وورد فى المقدمة أيضا أن كثيراً من علامات التقدم تظهر فى روايات هذا الكتاب وشرائعه مما حمل المفسرين من كاثوليك وغيرهم على التنقيب عن أصل الأسفار الخمسة الأدبى فما من عالم كاثوليكى فى عصرنا يعتقد أن موسى ذاته قد كتب كل البانتاتيك منذ قصة الخلق إلى قصة موته . كما أنه لا يكفى أن يقال ان موسى أشرف على وضع النص الذى دونه كتبه عديدون « فى غضون أربعين سنة ، بل يجب القول مع لجنة الكتاب المقدس البابوية (١٩٤٨) أنه يوجد « ازدياد تدريجى فى الشرائع الموسوية سببته مناسبات العصور التالية الاجتماعية والدينية ، تقدم يظهر أيضا فى الروايات التاريخة » صـ ٣ ـ ٤ .

(٣) يقصد هدمها بواسطة البابليين فى عام ٥٨٦ ق . م مع وقوع السبى البابلى .

مؤرخ واحد له غرض محدد (١) .

ويقول « إذا أخذنا فى اعتبارنا هذه الخصائص الثلاث : وحدة الغرض فى جميع هذه الأسفار ، وطريقة ربطها فيما بينها وتأليفها بعد الحوادث المروية بقرون عديدة نستنتج كما قلنا من قبل أن مؤرخاً واحداً هو الذى كتبها » (٢) .

أما من هو هذا المؤرخ فإن سبينوزا لايستطيع أن يحدده بوضوح وانما يرتاب فى أن يكون عزراً .

ويقوم افتراضه هذا ــ فيما يقول ــ على أسباب وجيهة إلى حد بعيد (٣) .

ومما قاله فى هذا الشأن « ان سفر التثنية لا يحتوى على شريعة موسى فحسب أو على اكبر جزء منه على أقل تقدير بل يتضمن أيضاً شروحاً كثيرة أضيفت اليه »

لذلك فإن سبينوزا يفترض أن سفر التثنية هذا هو سفر توراة الله الذى كتبه

---

(١) فهو يبدأ بقصة النشأة الأولى للأمة العبرية ثم يخبرنا بعد ذلك بالترتيب ما المناسبة وفى أى الاوقات أقام موسى الشرائع وأقام تنبؤاته العديدة للعبرانيين ، بعد ذلك يخبرنا كيف استولوا على الأرض الموعودة كما تنبأ لهم موسى (انظر التثنية : ٧ ثم كيف تركوا الشرائع بعد ان استولوا على الأرض (التثنية ٣١ : ١٦ ، وما نتج عن ذلك من مصائب (نفس الاصحاح : ١٧) ، وكيف أرادوا بعد ذلك انتخاب ملوك (تثنية ٧ : ١٤ كانوا بدورهم يزدهرون أو يتدهورون بمقدار طاعتهم للشرائع أو تركهم لها (تثنية : ٢٨ : ٣٣) ، والآية الاخيرة حتى انهيار الدولة الذى وقع كما تنبأ موسى به .

أما ماعدا ذلك مما لا يمكن استخدامه لتأييد الشريعة ، فان الراوى اما يتجاهله تماما واما يحيل القارئ إلى مؤرخين آخرين . فهذه الأسفار اذن تستلهم كلها فكراً واحداً وترمى إلى غاية واحدة هى تعليم الشريعة التى أملاها موسى والبرهنة بالحوادث على صدقها (رسالة فى اللاهوت صـ ٢٧٦ ــ ٢٧٧

(٢) المصدر السابق صـ ٢٧٧ .

(٣) من هذه الأسباب : انه لما كان المؤرخ يمتد بروايته حتى تحرير يهو ياكين ويضيف أن الراوى ــ كان جالساً طيلة حياته على مائدة الملك فلا يمكن أن يكون الراوى سابقاً على عزرا ، ولكن الكتاب لا يذكر احداً ازدهر فى ذلك الوقت سوى شهادة الكتاب الوحيد بعزرا (عزراً ٧ : ١٠) الذى عكف بحماس بالغ على دراسة شريعة الله وعرضها ، وانه كان كاتباً ملما كل الالمام بشريعة موسى واذن فنحن ــ كما يقول سبينوزا ــ لانجد شخصاً آخر سوى عزراً يمكن الاشتباه فى أن يكون مؤلف هذه الأسفار ، ومن ناحية أخرى يشهد سفر عزرا بأن عزرا لم يعكف بحماسة على دراسة شريعة الله فقط بل عكف أيضا على عرضها(٧ : ٦) .

رسالة فى اللاهوت صـ ٢٧٧ ــ ٢٧٨) .

عزرا والذى ـ يحتوى على عرض الشريعة وشرحها الذى قرأه هؤلاء الرجال الذين يتحدث عنهم جميعاً .

ويذكر أنه قد تبين لنا فى شرحنا لفكر ابن عزرا أن هناك شروحاً كثيرة قد أدخلت فى ثنايا سفر التثنية (١) .

ولنضف إلى ذلك مقدمة السفر وكل النصوص التى تتحدث عن موسى بضمير الغائب ، ـ بالاضافة إلى عدد كبير من الاضافات والتغيرت فى النص لا نستطيع التعرف عليها ، وهى اضافات أدخلت دون شك حتى يسهل على الناس فى عصره ادراك الامور .

ويقول : « والحق أنه لو كان لدينا سفر موسى لوجدنا فيما اعتقد اختلافات كبيرة سواء فى التعبير عن الوصايا أم فى ترتيبها والبراهين عليها » (٢) .

لذلك فان سبينوزا يعتقد أن عزرا هو الذى أجرى كل هذه التغييرات هنا وهناك لأنه شرح شريعة الله لمعاصريه .

وبالتالى يكون سفر التثنية هو سفر توراة الله كما شرحه عزرا وعرضه ، وفى رأى سبينوزا ـ أن سفر التثنية هو أول سفر من الأسفار الخمسةالتى كتبها عزرا (٣) .

ويعتقد سبينوزا أن عزرا بعد أن أكمل سفر التثنية وعلم الشرائع للشعب شرع فى رواية تاريخ الأمة العبرية كله منذ خلق العالم حتى التدمير الأعظم للمدينة ، ثم أدخل فى هذا التاريخ سفر التثنية فى موضعه (٤) .

---

(١) وقد ذكر سبينوزا أمثلة اخرى تبرهن على ادخال شروح كثيرة على سفر التثنية (راجع صـ ٢٧٨ ـ و ٢٧٩

(٢) يقول سبينوزا « والواقع اننى عندما أقارن ـ الوصايا العشر وحدها فى التثنية بالوصايا العشر فى الخروج (وفيه تروى قصتها صراحة) أجد اختلافات من جميع النواحى(راجع تفاصيل ذلك : رسالة فى اللاهوت صـ ٢٧٩ ـ ٢٨١ .

(٣) ويقوم افتراضه ـ فيما يقول ـ على أساس أن هذا السفر يحتوى على قوانين الأمة التى يحتاج إليها الشعب خاصة ، وكذلك لأن هذا ـ السفر لا يرتبط بسابقه كما هى الحال فى الأسفار الأخرى جميعاً ، بل يبدأ فجأة : هذه هى أقوال موسى .. الخ (رسالة فى اللاهوت والسياسة صـ ٢٨١) .

(٤) المصدر السابق صـ ٢٨١ .

ويذكر سبينوزا أنه ربما كان سبب تسمية الأسفار الخمسة الأولى باسم موسى هو أنها تدور أساسا حول حياته ، فأخذت اسم الشخصية الرئيسية ، ولهذا السبب نفسه سميت الأسفار التالية بأسماء اصحابها (يشوع ، القضاة ، راعوث الخ .
(المصدر السابق صـ ٢٨١) .

ويرى ريتشارد سيمون أن العناصر التى تتكون فيها الأسفار الخمسة بالغة القدم وأن بعضها يرجع لموسى نفسه الذى سن أغلب القوانين ، وأن بعضها لأصحاب حوليات سجلوا بها الأحداث المعاصرة على التتابع ، وليست « البنتاتوك » فى صورتها الحالية سوى ـ تجميع متأخر لوثائق متباينة ثم بعد العودة من السبى البابلى على يد عزراً المكمل الحقيقى لأعمال موسى وهو ـ بمعنى آخر ـ موسى ثان » (١) .

واذا كان الكتاب الغربيون بما فيهم سبينورا اليهودى قد رجحوا أن عزراً هو الذى كتب التوراة أو قام بتأليفها من المصادر المختلفة ، فان الإمام ابن حزم كان سباقا فى ذلك إذ أنه عرض لحال التوراة عند بنى اسرائيل من بعد موت موسى إلى رجوعهم إلى بيت المقدس حتى كتبها لهم وأملاها عليهم من حفظه عزرا الوراق الهارونى(٢) .

وينبغى أن لا يفوتنا فى هذا الشأن ماذكره الحبر السابق صموئيل بن يهوذا (ت ٥٧٠ هـ) ، (٣) من أن علماء اليهود وأحبارهم يعلمون أن هذه التوراة التى بأيديهم لا يعتقد أحد منهم أنها المنزلة على موسى البته وأن موسى صان التوراة عن بنى اسرائيل ولم يبثها فيهم .

---

(١) نقلا عن د/ نجيب ميخائيل / مصر والشرق الأدنى القديم جـ ٣ سورية صـ ١٩٠ ـ ١٩١ ويرى فاتر أن جميع الأسفار الخمسة تراث بدائى من جمع رجل واحد جهد فى ترتيبها ترتيباً زمنيا وأنه بدأها بالتكوين وانتهى بالتثنية ويرجح أن جانبا كبيراً من هذه المادة كان تحت يدى موسى ، ولكنه لم يصنع هذا التراث بل ان ذلك من عمل جيل بعيد عنه حوالى عصر السبى البابلى ، وأن السامريين لم يعرفوا الأسفار الخمسة الا بعد دمار مملكة يهوذا بقليل وربما خلال السبى وأن ترتيبها تم من الحقب التالية مباشرة ننقلا عن المصدر السابق صـ ١٩٢ ـ ١٩٣ .

(٢) ويذكر أن ذلك باجماع من كتبهم واتفاق من علمائهم وأنهم مقرون أيضا أنه قد وجدها عندهم وفيها خلل كثير فأصلحه وأنه لم يكتبها لهم ويصلحها إلا بعد أربعين عاما من رجوعهم إلى بيت المقدس ، ولم يكن فيهم حينئذ نبى أصلا ولا القبة ولا التابوت وآنه منذ ذلك الوقت انتشرت التوراة ونسخت وظهرت ظهوراً ضعيفاً .

(راجع الفصل جـ ١ صـ ١٨٧ ـ ١٩٧) .

(٣) الحبر صموائيل بن يهوذا بن آبوان كان يهوديا ثم اهتدى إلى الاسلام وسمى بالامام المهتدى : السمؤال ابن يحيى المغربى ، وألف كتاباً سماه : افحام اليهود وقام بتقديمه وتحقيقه والتعليق عليه : د/ محمد عبد الله الشرقاوى ـ نشر دار الهداية بالقاهرة الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م .

وانما سلمه إلى عشيرته أولاد ليوى أولاد هارون [١] ، وأن هؤلاء الأئمة الهاروبيين الدين كانوا يعرفون التوراة ويخفظون أكثرها ، قتلهم بختنصر على دم واحد يوم فتح بيت المقدس .ولم يكن حفظ التوراة فرضا ولاسنة بل كان كل واحد من الهارونيين يحفظ فصلا من التوراة

فلما رأى عزرا أن القوم قد أحرق هيكلهم ، وزالت دولتهم ، وتفرق جمعهم ورفع كتابهم ، جمع من محفوظاته ، ومن الفصول التى يحفظها الكهنة ، مالفق منه هذه التوراة التى بأيديهم الان .

وينتهي إلى أن هذه التوراة التى بأيدى اليهود ـ على الحقيقة ـ (كتاب عزرا) وليس كتاب الله [٢] .

هذا وقد استدل القرافى (ت٦٨٤ هـ) على تبديل التوراة بواسطة عزرا بنفس كلام السموأل ولعله يكون قد نقله بنصه [٣] .

وهكذا وجدنا أن جمهور العلماء والباحثين من القدماء والمحدثين يرجحون أن عزرا هو الذى قام بكتابة الأسفار الخمسة وتلفيقها وتجميعها من المصادر المختلفة والوثائق المتباينة .

لكنه لابد من الاشارة إلى أمرين : الأمر الأول أن عزرا لم يكن وحده ، وانما كان معه طائفة من الكهنة يعملون تحت يده وهو يقوم بالاشراف عليهم والارشاد لهم .

(١) ونستدل على ذلك بقول التوراة « وكتب موسى هذه التوراة ودفعها إلى الأئمة بنى ليوى » وكان بنو هارون قضاة اليهود وحكامهم لأن الامامة وخدمة القرابين وبيت المقدس ـ كانت موقوفة عليهم ، ولم يبذل موسى من التوراة لبنى اسرائيل الانصف سورة يقال لها « هاأزنيو » فان هذه السورة هى التى علمها موسى بنى اسرائيل وقال الرب لموسى ـ وتكون لى هذه السورة شاهداً على بنى اسرائيل » وقال ايضاً « لأن هذه السورة لاتنسى من أفواه أولادهم » يعنى أن هذه السورة مشتملة على ذم طباعهم وأنهم سيخالفون شرائع التوراة وأن السخط يأتيهم بعد ذلك ، ويدل ذلك على أن الله تعالى علم أن غيرها من السور تنسى . (افحام اليهود صـ ١٣٥ ـ ١٣٨) .

(٢) افحام اليهود وقصة اسلام السموأل ورؤياه النبى « صلى الله عليه وسلم صـ ٣٨ ـ ٤٠

(٣) راجع كتابه : الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة صـ ٢٣٧ ـ ٢٣٩ . تقديم وتحقيق وتعليق د/ بكر زكى عوض سلسلة مقارنة أديان (١) كلية أصول الدين القاهرة الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٦م

الأمر الثاني : أن الأسفار الخمسة في صورتها الحالية قد اعتراها بعض الاضافات والتنقيحات بعد عزرا وأن هناك من جاء بعده وقام باتمام واكمال ماكان عزرا قد اعتزم عليه لكن الأجل قد وافاه كما يرجح سبينوزا .

ولذلك فان العلماء كما سبق يرجحون أن الأسفار الخمسة في صورتها الحالية ترجع إلى عصر الاسكندر الأكبر الذى توفى عام ٣٢٣ ق . م ويذكر ول ديورانت أنها تعود إلى عام ٣٠٠ ق .م .

وبناء على ذلك فان عزرا يعتبر هو أول من قام بتحريف وتبديل توراة موسى عليه السلام .

ويذكر الدكتور اسماعيل الفاروقى أن عدم اتقان عملية التحريف من قبل عزرا هو الذى جعل العلماء يكتشفونه » (١) .

ويقول الدكتور سامى سعيد الاحمد« وعندما ذكر القرآن الكريم قبل زهاء أربعة عشر قرنا أن اليهود قد حرفوا التوراة الأولى ، نجد الآن وبعد كل ماسمعنا به ونلمسه من البحث الدقيق والتقدم العلمى الكبير الذى سهل على علماء الاثارثم المؤرخين عملهم أن هذا الكلام هو عين الحقيقة (٢) .

فهذا (أبا هليل سلفر) العالم اليهودى يقول بالحرف (حتى الوصايا العشر التى يكاد يجمع العلماء أنها الشئ الوحيد المتبقى من التوراة الأصلية ، لم تكن بكمالها وعلى هيئتها الحالية كالتى أتى بها موسى) (٣) .

---

(١)راجع تفاصيل ذلك فى كتابه أصول الصهيونية فى الدين اليهودى صـ ٢ ، ٩٥، ٩٨ .

(٢) الأسس التاريخية للعقيدة اليهودية صـ ٨ . (٣) المصدر السابق صـ ٨ .

ولمعرفة مزيد من التفاصيل عن أقوال العلماء والباحثين حول الوصايا العشر وما اعتراها من اضافات وتغييرات راجع (سبينوزا : رسالة فى اللاهوت والسياسة صـ ٢٧٩ ـ ٢٨١ جرهاردوس فوس : علم اللاهوت الكتابى صـ ٢٠٧ ـ ٢١٤ .

د/ محمد بحر عبد المجيد : اليهودية صـ ٢٦ .

فقد أثبت العلماء أن الوصايا العشر بصورتها الحالية لا يمكن أن ترجع إلى عهد موسى وانما هى تمثل اكثر من عقلية .

وهكذا قد تبين لنا بوضوح تام أن التوراة المنزلة على سيدنا موسى عليه السلام قد فقدت وضيعها اليهود ثم قام عزرا الكاهن ومجموعة معه من الكهنة بتجميع وتلفيق الأسفار الخمسة من المصادر المختلفة والوثائق المتباينة ، وزعم نسبتها إلى موسى عليه السلام وهو زعم باطل حيث ان سندها منقطع تماما به ، وأما بعض الفقرات المبعثرة التى عثر عليها عزرا ومن معه فقد حشروها داخل الأسفار الخمسة ، فالتبس الحق بالباطل واختلط الوحى بالهوى حيث قاموا بتحريفها وتغييرها حتى انتفت عن الأسفار الخمسة كلية صفة القدسية وزالت عنها الصبغة السماوية .

لقد كان فقدان اليهود للتوراة الأصلية وتحريفهم ما عثروا عليه فيها من العوامل التى ساعدت على تأثرهم بالأديان الوثنية حيث لم يكن لديهم وحى صحيح ثابت يحول دون تسرب الوثنيات فى ثنايا عقائدهم وعباداتهم .

وبعد أن تحدثت عن الجزء الأول والأهم من الأجزاء أو الأقسام الرئيسة للعهد القديم وهو الأسفار الخمسة ، وتبين لنا بطلان نسبتها إلى موسى عليه السلام ، ينبغى أن ـ نتحدث عن بقية الأسفار أو عن القسمين الآخرين وهما : أسفار الأنبياء ، وأسفار الكتابات :

ثانيا : أسفار الأنبياء :

١ ـ سفر يشوع :

يتصل سفر يشوع اتصالا وثيقا بالأسفار الخمسة ، ويكون فى الواقع معها وحدة مؤتلفة مما حدا بالكثيرين من العلماء إلى اعتبار أسفار التوراة ستة (هكساتوس) لاخمسة (بنتاتوس) .

ففى هذا السفر نجد سائر المصادر المختلفة ـ والتى أشرت اليها آنفا ـ التى تعتمد عليها التوراة وقد مزجت جميعها فى هذا السفر مزجا يجعل من العسير على الدراس تحليله إلى عناصره الأولية (١) .

(١)راجع تفاصيل ذلك : د/ فؤاد حسنين / التوراة الهيروغليفية صـ ٦٣ ـ ٦٤،
د/ حسن حنفى :مقدمة كتاب سبينوزا : رسالة فى اللاهوت والسياسة صـ ٢٥ .

« يشوع » هو اسم البطل فى السفر وليس كاتبه، ولو أن بعض المصادر اليهودية تدعى أنه هو الذى كتبه لأنه يحمل اسمه (١) .

وقد برهن سبينوزا على بطلان هذا الادعاء وانتهى إلى أن هذا السفر ليس من وضع يشوع وإنما من وضع شخص آخر وانه كتبه بعد يشوع بقرون عديدة حيث ان رواياته تمتد إلى الوقائع التى حدثت بعد موته (٢) .

أما من هو هذا الشخص فقد اختلف فيه العلماء فقيل فينحاس وقيل العازار وقيل صموئيل وقيل ارميا .

ووقوع هذا الأختلاف الفاحش ـ كما يقول الشيخ رحمت الله الهندى ـ دليل كامل على عدم صحة هذا السفر عندهم ،وعلى أن كل قائل منهم يقول بمجرد الظن رجما بالغيب بلحاظ بعض القرائن التى ظهرت له أن مصنفه فلان وهذا الظن هو سند عندهم (٣) .

وقد اختلف أيضا فى الزمن الذى كتب فيه : فقيل انه كتب بعد السبى البابلى ويرجح البعض أنه قد كتب أو على الأقل جمع فى القرن الخامس ق .م بالرغم من وجود بعض النصوص القديمة فيه والتى ترجع إلى القرن التاسع ق .م (٤) .

٢ـ سفر القضاة :

أما سفر القضاة فيقول عنه سبينوزا « لا أظن أن شخصاً سليم العقل يعتقد أن القضاة أنفسهم قد كتبوه لأن نهاية القصة كلها فى الاصحاح الحادى والعشرين ،

---

(١) حبيب سعيد : المدخل إلى الكتاب المقدس صـ ٩٢ .

(٢) رسالة فى اللاهوت والسياسة صـ ٢٧٥ ـ ٢٧٦ راجع فيهما . تفاصيل البرهان الذى ـ استدل به .

(٣) إظهار الحق صـ ٩١ راجع قاموس الكتاب المقدس صـ ١٠٧٠ .

(٤) راجع اظهار الحق صـ ٩١ التوراة الهيروغليفية صـ ٦٤ د/ مهران جـ ٩ صـ ٣٥ .

ولمعرفة مزيد من التفصيلات عن سفر يشوع راجع قاموس الكتاب المقدس صـ ١٠٧٠ وـ ١٠٨٠ ل . توماس هولد كروفت : الأسفار التاريخية صـ ٧ وما بعدها ترجمة أدبية شكرى يعقوب عن سلسلة الدراسات الكتابية للكنيسة الرسولية ١٩٨٥ م .

تبين بوضوح أن مؤرخا واحداً هو الذى كتبه كله » (١) .

أما من هو هذا المؤرخ فتذهب تقاليد أحبار اليهود إلى أنه صموئيل ، ولكنهم قالوا ذلك رجما بالغيب ، ودون أن يقدموا أى دليل يثبت ذلك (٢) .

وهناك من قال انه حزقيال ، وقيل عزرا ، وقيل ارميا .

ولو كان عندهم سند ـ كما يقول الشيخ رحمت الله ـ ما وقعوا فى هذا الاختلاف الفاحش (٣) ، والواقع ـ كما يقول حبيب سعيد ـ أننا لانقدر أن نجزم بقول فاصل عن اسم أو أسماء الكتاب الذين جمعوا وقائع هذا السفر ، ولا التاريخ الذى ظهر فيه . وإن كان الباحثون يرجحون أن جمعه قد تم بين سنة ٦٠٠ ، ٤٠٠ ق . م (٤) .

٣ـ سفرا صموئيل :

ينسب التلمود كتابة هذين السفرين إلى صموئيل النبى (٥) لكنّ العلماء والمؤرخين قد أثبتوا خطأ هذه النسبة .

فذكر سبينوزا أنه قد كتب بعد صموئيل بقرون عديدة (٦) .

---

(١) قضاة ٢١ : ٣٥ . رسالة فى اللاهوت والسياسة صـ ٢٧٦ .

(٢) حبيب سعيد : المدخل إلى الكتاب المقدس صـ ٩٣ ـ ٩٤ و ل توماس كروفت : الأسفار التاريخية صـ ٥٠ رحمت الله الهندى : اظهار الحق صـ ٩٣ .

(٣) اظهار الحق صـ ٩٣ .

(٤) المدخل إلى الكتاب المقدس صـ ٩٤ راجع ايضا د/ ميخائيل : مصر والشرق جـ ٣ صـ ٢٩٠ موريس بوكاى : دراسة الكتب المقدسة صـ ٣٣ ـ ٣٤ ويذكر محمد عزة دروزه أن سفر القضاة قد اختلطت فيه الحقائق بالخيال والمبالغة والتناقض (تاريخ بنى اسرائيل من أسفارهم صـ ١٢٢.

(٥) التوراة الهيروغليفية صـ ٦٨ ، ٧٨ .

(٦) رسالة فى اللاهوت والسياسة صـ ٢٧٦ ، وأما اطلاق اسم صموئيل عليهما فيرجع إلى اهتمامهما بشخصيته (الهيروغليفية صـ ٦٨) .

وعرض « ايشهورن » لنقدهما ضمن أسفار العهد القديم فانتهى إلى أنهما يرجعان إلى مصادر كثيرة متعددة متفاوتة الموضوع والزمن ، ولا وحدة تجمع بين محتوياتهما حتى يستطيع الباحث أن يقرر أنها مؤلف بعينه (١) .

ويذهب الأب ديلى إلى أن مؤلفهما قد استخدم عدة وثائق بعضها معاصر للحوادث فصنع منها رواية متصلة وأنه عاش ولا شك بعد عام ٦٢١ ق .م (٢) .

ويرجح البعض أن وضعهما قد تم فى الفترة الواقعة بين القرنين الثامن والسادس ـ ق .م (٣) .

٤ـ سفر الملوك :

ترجع التقاليد اليهودية كتابة هذين السفرين إلى ارميا ، ولكنه زعم لا يستند إلى دليل وخاصة أن السفر الثاني تمتد حوادثه إلى ما بعد عصر ارميا فلا يعقل أن يكون هو كاتبه (٤) .

والصحيح كما ذكر العلماء والمؤرخون أن السفرين عبارة عن مجموعة من المدونات التاريخية جمعت ونسقت معا ، واستقى كاتبهما مواده من سجلات البلاط وسجلات الهيكل وسير الأنبياء ، واعتمد على كثير من الروايات الشفهية والحكايات الشعبية(٥) .

ويذهب العلماء إلى أن السفرين قد تم تأليفهما مرتين وبصيغتين مختلفتين فقد صيغ فى المرة الأولى أواخر القرن السابع أو مابين ٦٢٢ ـ ٦٠٩ ق.م أى ماقبل السبى .

---

(١) راجع تفاصيل ذلك : التوراة الهيروغليفية صـ ٦٨ ، ٦٩، ٧٧، ٧٨، حبيب سعيد : المدخل إلى الكتاب المقدس صـ ٩٦ ـ ٩٧ ، د/ حسن حنفى : مقدمةرسالة فى اللاهوت صـ ٢٦

(٢) تاريخ شعب العهد القديم صـ ٢٠٦ .

(٣) التوراة الهيروغليفية صـ ٧٨ .

(٤) حبيب سعيد : المدخل إلى الكتاب المقدس صـ ٩٩ .

(٥) راجع الأب ديلى: تاريخ شعب العهد القديم صـ ٢٠٦ .

سبينوزا : رسالة فى اللاهوت والسياسة صـ ٢٧٦ ـ ٢٧٧ .

كاترين هنرى : التاريخ فى الكتاب صـ ١٠٩ ـ ١١٠ .

حبيب سعيد / المدخل صـ ١٠١ ـ ١٠٢ .

د/ حسن حنفى : مقدمة رسالة فى اللاهوت صـ ٢٦.

أما الصيغة الثانية فقد وضعت فى السبى حيث جاء مؤلف ثان وأعاد تأليفه من جديد ، ويستدل على ذلك بعبارات كثيرة جاءت فى السفرين (١) .

ويرجح أن هذا التأليف قد تم فيما بين عامى ٥٦١ ـ ٥٣٨ أى حوالى عام ٥٥٠ ق .م (٢) ويذكر موريس بوكاى أن أسفار صموئيل والملوك قد شك العلماء فى قيمتها التاريخية حيث تختلط الأحداث بالأساطير (٣) .

هذا وقد سبق أن ذكرت أن سبينوزا قد رجح أن الأسفار الخمسة ومن بعدها أسفار : يشوع والقضاة وراعوث وصموئيل الأول والثانى والملوك الأول والثانى قد كتبها مؤرخ واحد أراد أن يروى تاريخ تاريخ اليهود القديم منذ نشأتهم الأولى حتى هدم المدينة لأول مرة وأن هذا المؤرخ هو عزرا (٤) .

ثانيا : الأنبياء المتأخرون :

١ـ الأنبياء الكبار : اشعيا ، ارميا ، حزقيال

سفر اشعيا :

اختلفت آراء الشراح والباحثين حول هذا السفر اختلافا لا نظير له فى أى سفر آخر .

وقد أجمع النقاد على أن اشعيا كتب جزءا من هذا السفر ، على أن بعضهم قد ذهب إلى أنه كتب السفر كله ، وذهب البعض الاخر إلى أن السفر كتبه اثنان ، وقال آخرون ان الكتّابَ ثلاثة ، ولعل الرأى الاخير هو الأرجح .

هذا وقد أطلق على هؤلاء الكتاب الثلاثة :أشعيا الأول (من الإصحاح ١ ـ

---

(١) ملوك أول ٨ : ٤٤ ـ ٥١ / ٩ : ١ـ ٩ ، ملوك ثان ١٧ : ١٩ ـ ٢٠ / ٢١ : ١ـ ١٥ / ٢٢ : ١٦ ـ ١٨ .

(٢) راجع الأب ديلى : تاريخ شعب العهد القديم صـ ٢٠٦ .

التوراة الهيروغليفية صـ ٨١ . ـ كاترين هنرى : التاريخ فى الكتاب صـ ١١٠ . المدخل إلى الكتاب المقدس صـ ١٠٢ .

(٣) دراسة الكتب المقدسة صـ ٣٤ .

(٤) راعوث حسب الترتيب الذى أتبعه يأتى فى القسم الثالث (الكتابات)

الإصحاح ٣٩) وتنسب إلى اشعيا النبى اشعيا الثانى (٤٠ ـ٥٥) اشعيا الثالث (٥٦ ـ ٦٦) واتفق العلماء على أن السفر قد جمع من مصادر متعددة ووثائق متباينة(١) .

ولذلك فانه من الصعب أن نجزم بقول فاصل عن تاريخ كتابته وان هناك من يرجح أنه كتب بعد السبى وقبل مجئ عزرا إلى اورشليم أى مابين ٥٠٠ ـ ٤٠٠ ق .م (٢) .

وقيل ان أشعيا الأول يرجع إلى القرن الرابع والثالث ق .م واشعيا الثانى يرجع إلى حوالى ٥٤٠ ق .م والثالث يرجع إلى القرن الخامس ق .م (٣) .

سفر ارميا :

يذهب العلماء إلى أن السفر كما هو بأيدينا اليوم ، وبشهادة كاتبه ليس من وضع النبى ارميا ، ولا من تأليفه ، بل دبجه وصاغه ، صديقه وكاتبه باروخ بن نيريا(٤).

وهذا السفر عبارة عن مجموعة مأخوذة من كتب أخرى متعددة، ويكون خليطا من نصوص بلا ترتيب ودون مراعاة للأزمنة .

وبعض الاصحاحا ت مستمد من سفر باروخ ، وذلك يدل على انه لم يكن هناك فصل حاد بين أسفار الأنبياء ، كما يدل على وجود مصادر أخرى تشمل روايات توضع فى هذا السفر أوفى ذاك ، وهو مايفسر تكرار النصوص فى الأسفار المختلفة (٥).

ونصوص السفر ذاته تحدثنا عن كيفية جمع أجزائه المختلفة ، والأسباب والعوامل

---

(١)راجع ذلك بالتفصيل : تاريخ شعب العهد القديم صـ ٢٦٠ ، ارنولد توينبى : تاريخ ـ البشرية جـ ١ صـ ٢٢٩ ترجمة د/ نقولا زيادة الأهلية للنشر والتوزيع بيروت ١٩٨٥ ، ـ التوراة الهيروغليفية صـ ٨٧ ـ ٩٤ ، المدخل إلى الكتاب المقدس صـ ١٠٢ مقدمة رسالة فى اللاهوت صـ ٣٠ ـ ٣١ .

(٢) حبيب سعيد ك المدخل إلى الكتاب المقدس صـ ١١١ .

(٣) د/ حسن ظاظا : الفكر الدينى الاسرائيلى صـ ٥١ .

(٤) حبيب سعيد / المدخل إلى الكتاب المقدس صـ ١١٢ راجع التوراة الهيروغليفية صـ ٩٩ .

(٥) سبينوزا : رسالة فى اللاهوت والسياسة صـ ٣١ ، ٣١١ ـ ١١٣ .

التى لعبت دورها فى صياغته ، والزمن الذى جمعت فيه هذه الأجزاء المتناثرة ، وماذا حل ببعضها ، وأكبر الظن أن باروخا هذا أو مؤلفا غيره فيما بعد ، هو الذى أضاف الفصول التاريخية عن حياة النبى وعن الحوادث السياسية التى جرت فى ذلك العصر . (١) .

سفر حزقيال :

يبدو لنا من قراءة سفر حزقيال ـ كما يقول حبيب سعيد ـ ان السفر كله من صنع النبى حزقيال .

على أن الرأى السائد بين الخبراء وعلماء الكتاب أن بعض أجزاء هذا السفر كتبتها أيد فى تاريخ متأخر ، وأن حزقيال لم يضع السفر كله فى وضعه الحالى الذى بين أيدينا ، وفى بعض المواضع القليلة نرانا امام أساليب مختلفة من الكتابة مما يثبت أن أكثر من كاتب واحد اشترك فى صياغته (٢) .

هذا ويجمع النقاد الآن تقريبا على أن السفر قد دون فى مكانين مختلفين وعلى فترتين مختلفتين ، وأنه كتب على مراحل متفاوتة ثلاث : فترة المقطوعات المنفصلة ، ثم فترة المجموعات المتصلة ثم فترة السفر .

وأما تاريخ السفر فيصح القول ان أكثر اجزائه يمكن وضعها تاريخيا بين سنة ٥٩٣ و٥٧٢ ق . م (٣) .

---

(١) حبيب سعيد : المدخل إلى الكتاب المقدس صـ ١١٢ ، ولمعرفة مزيد من التفصيلات راجع المصدر السابق صـ ١١١ ـ ١١٥ تاريخ شعب العهد القديم صـ ٢٩٩ قاموس الكتاب ـ المقدس صـ ٥٤ ـ ٥٥ .

(٢) حبيب سعيد : المدخل : صـ ١١٦ ، ويعتبر هولشر) ١٩٢٤ ، أن سدس السفر وحدة صحيحة من وضع حزقيال وهو الجزء الشعرى فيه فقط ، والباقى أى الجزء النثرى من وضع شخص آخر ، ويرى أرون (١٩٤٣) أن مؤلف السفر اثنان : فلسطينى وآخر من المنفى ، فى حين ان هربتريس (١٩٣٢) وهرفورد (١٩٣٥) يريان أنه قد كتب فى فلسطين قبل سقوط اورشليم ، ثم حسنه كاتب آخر فى المنفى حوالى القرن السادس ق .م .(راجع رسالةفى اللاهوت والسياسة صـ ٣٢ ، ٣١٣ ـ ٣٢٤) .

(٣) رسالة فى اللاهوت والسياسة صـ ٣٢ المدخل صـ ١١٧ الهيروغليفية صـ ١٠٣ ولمزيد من التفاصيل راجع المدخل صـ ١١٦ ـ ١٢٠ قاموس الكتاب المقدس صـ ٣٠١ ـ ٣٠٥ .

ب ـ الأنبياء الصغار (الاثنا عشر)

١ ـ سفر هوشع :

يذكر العلماء أن نص سفر هوشع مضطرب نظراً لتعرضه لكثير من الحذف والاضافة ، حيث انه قد كتب بعد موت هوشع بمدة طويلة وكان عصر رسالته يمتد مابين ٧٥٠ ـ ٧٢٥ ق . م ومن المرجح أن تدوين السفر كما وصلنا قد تم قبل القرن السادس ق .م (١) .

٢ـ سفر يوئيل :

من قراءة السفر يتبين لنا أنه قد خلا من أى تاريخ الا أنه يمكن الاسترشاد بالأدلة التاريخية على آنه قد كتب بعد السبى ويرجح أن يكون فى نهاية القرن الخامس ق .م (٢) .

ويذهب كثير من الباحثين إلى أن السفر ليس من تأليف شخص واحد وأن الاصحاح الثالث على وجه الخصوص لا يمكن أن يكون « يوئيل » هو كاتبه ،ومن ثم فالوحدة مفقودة فى السفر (٣) .

٣ـ سفر عاموس :

ينسب هذا السفر إلى النبى عاموس الذى بدأت فترة نبؤته ٧٦٠ ق .م (٤) (فى القرن الثامن ق .م) لكن من المرجح أن هذا السفر لم يصلنا فى لغة المؤلف ولا فى أسلوبه بل فى لغة أخرى وأسلوب آخر (٥) .

ومن ثم فان هناك من يرى أنه قد كتب بعد السبى البابلى أى فى القرن السادس ق .م (٦).

---

(١) راجع رسالة فى اللاهوت والسياسة صـ ٣٢ ، ٣١٤ ، ٣١٥ الهيروغليفية صـ ١٠٧ ، ولمعرفة مزيد من التفاصيل راجع المدخل صـ ١٢١ ، ١٢٣ وتفسير هوشع تأليف متى هنرى تعريب القمص داود .

(٢) راجع المدخل إلى الكتاب المقدس ١٢٣ ـ ١٢٤ الهيروغليفية صـ١٠٩ راجع أيضا قاموس الكتاب المقدس صـ ١١٠٣ د/ وزة تاريخ بنى اسرائيل صـ ٢٦٨ .

(٣) د/ محمد بيومى مهران جـ ٩ صـ ٥٠ نقلا عن مصادر أجنبية .

(٤) التوراة الهيروغليفية صـ ١٠٩ المدخل صـ ١٢٦ ـ ١٢٧ . (٥) الهيروغليفية صـ ١١٢ .

(٦) المدخل إلى الكتاب المقدس صـ ١٢٦ ، د/ محمد بيومى مهران جـ ٩ صـ ٥١ ، ولمعرفة مزيد من التفاصيل راجع عاموس عبد المسيح : دراسة فى عاموس .

٤ـ سفر عويديا :

ينسب هذا السفر إلى نبى يسمى (عـوبديا) ولا يعرف عنه شئ سوى أن اسمه يعنى (عبد يهوه) وقد يطلق على أى شخص .

ولذلك فانه لا يعرف ايضا تاريخ كتابـة السفر ، وان كان هناك من يخمن أنه قد كتب فى القرنين السادس أو الخامس ق .م (١) .

٥ـ سفر يونان :

يؤرخ سفر يونان عادة بحـوالى عام ٣٥٠ ق .م ولا يـعرف على وجه التحـقيق من الذى كتبه ، وليس هناك ما يثبت أن يونان والذى كانت نبؤته فى نينوى فى الفترة (٧٦٥ ـ ٧٥٩ ق .م) هو كاتب السفر (٢) .

ومن المرجح أن مؤلفه هو أحد قصاصى اليهود وكان ذلك فى القرن الرابع ق .م (٣) .

٦ـ سفر ميخا :

ينسب هذا السفر إلى النبى (ميخا) الذى تنبأ من سنة ٧٥١ ـ ٦٩٣ ق .م (٤) لكن ينقصه الترتيب ويعتريه بعض التناقض ، ولعل مصدر هذا بعض الأضافات التى أضيفت اليه فيما بعد .

وفى ثنايا السفر نجد بعض النبؤات التى ترجع إلى ما قبل عصر السبى أو بعده ، ولا يمكن تأريخها تماما ، أمَّا خاتمة السفر فقد ترجع إلى عصر السبى أو بعده (٥) .

---

(١) راجع المدخل صـ ١٢٧ قاموس صـ ٦٤٥ ، اتاريخ شعب العهد القديم صـ ٣٣٩ـ ٣٤٣ ـ ٣٢٨ ، ٣٢٩ ، الهيروغليفية صـ ١١٢ ـ ١١٤ .

(٢) راجع المدخل إلى الكتاب المقدس ، التوراة الهيروغليفية صـ ١١٤ ـ ١١٥ د/ محمد مهران جـ ٩ صـ ٥٣ .

(٣) د/ فؤاد حسنين على : التوراة الهيروغليفية صـ ١١٦ .

(٤) قاموس الكتاب المقدس صـ ٩٣٦ .

(٥) التوراة الهيروغليفية صـ ١١٧ ـ ١١٨ ، ولمعرفة مزيد من التفاصيل راجع قاموس صـ ٢٩٦ ـ ٩٣٧ ، المدخل إلى الكتاب المقدس صـ ١٢٩ ـ ١٣١ .

٧ـ سفر ناحوم :

يسب هذا السفر إلى نبى اسمه (ناحوم) ولا يعرف شئ عن حياة هذا النبى [١] ولا عن العصر الذى عاش فيه [٢] .

وإن ان البعض يرجح أن هذا السفر قد ظهر حوالى عام ٦١٢ ق.م [٣] .

٨ـ سفر حبقوق :

ينسب هذا السفرإلى نبى اسمه حبقوق ، ولايمكن تعيين التاريخ الذى ظهر فيه بالضبط ، على أن كثرة الشراح يذهبون إلى أنه قد كتب هذا السفر فى الفترة مابين (٦٠٩ ـ ٥٩٨ ق .م [٤] .

وهناك من يحدد ذلك بعام ٦١٥ ق.م [٥] .

وذلك فيما عدا الاصحاح الثالث منه الذى يجب أن ينسب إلى مؤلف آخر من عصر مابعد السبى البابلى ربما فى القرن الرابع أو الثالث ق .م [٦] .

٩ ـ سفر صفنيا :

ينسب هذا السفرإلى صفنيا الذى عاش أوائل القرن السابع ق .م وتنبأ حوالى عام ٦٣٠أو ٦٣٥ ق .م [٧] .

الا أن الباحثين يشكون فى هذه النسبة وذلك لعدم توافق عباراته واضطرابها مما يدل على أنها ليست لمؤلف واحد بعينه [٨] .

حيث ان السفر كما وصلنا فى ترتيبه الحالى يدلنا دلالة واضحة على أن يدا متأحرة امتدت إليه فقامت بترتيبه [٩] .

---

(١) الأب ديلى : تاريخ شعب العهد القديم صـ ٣٠١ . (٢) التوراة الهيروغليفية صـ ١١٩ .
(٣) المصدر السابق صـ ١٢٠ قاموس صـ ٩٤٤ المدخل الى الكتاب المقدس صـ ١٣١ ـ ١٣٢ .
(٤) المدخل إلى الكتاب المقدس صـ ١٣٢ . (٥) التوراة الهيروغليفيةصـ ١٢١ .
(٦) د/ محمد بيومى مهران ناقلا عن مصدر اجنبى جـ ٩ صـ ٥٩ ، ولمزيد من التفاصيل راجع قاموس الكتاب المقدس صـ ٢٨٧ـ ٢٨٨ ،
(٧) تاريخ شعب العهد القديم صـ ٢٧٥ موريس بوكاى : دراسة الكتب المقدسة صـ ٣٥ ، الهيروغليفية صـ ١٢٣. (٨) التوراة الهيروغليفية صـ ١٢٣
(٩) المصدر السابق صـ ١٢٢ ، ولمزيد من التفاصيل راجع المدخل صـ ١٣٤ ـ ١٣٥ ، قاموس صـ ٥٤٤ـ٤٤٥ .

١٠ـ سفر حجى :

ينسب هذا السفر إلى النبى حجى الذى لا نعرف شيئاً عن تاريخه ، الا أن تقاليد اليهود تقول انه ولد فى بابل ، وعاد من السبى فى فوج زر بابل فى القرن السادس ق .م (١) .

ويعتبر هذا السفر أحد الأسفار الثلاثة (حجى ـ زكريا ـ ملاخى) التى تصور لنا عودة اليهود من السبى البابلى (٢) .

ويرجح أنه وضع مباشرة بعد عام ٥٢٠ ق .م ويختلف موضوعاً عن تلك الأسفار التى دونت قبل السبى وأحيانا نجد شخصاً آخر يروى لنا عبارات حجى فيقدم لها ويعرضها جيداً (٣) .

١١ـ سفر زكريا :

ينسب هذا السفر إلى زكريا الذى كان معاصراً لحجى حسبما يذكر التقليد اليهودى (٤) ، لكن طريقة كتابة اعلاناته وأسلوبه يد لان على أنها ليست من عمله

ولهذا يرجح علماء الكتاب المحدثون أنها لم تتخذ شكلها الحالى الا بعد الاسكندر الأكبر (٣٢٣ ق .م) (٥) .

١٢ـ سفر ملاخى :

ينسب هذا السفر إلى نبى يسمى ملاخى الذى لا يعرف عنه الا ماهو مدون فى سفره ، وقيل ان الاسم « ملاخى » هو لقب لاسم كاتب آخر كعزرا مثلاً (٦) .

وقد انتهت أبحاث العلماء إلى أن مؤلف هذا السفر مجهول وغير معروف(٧).

---

(١) المدخل صـ ١٣٥ ، قاموس الكتاب المقدس صـ ٢٩١ .

(٢) التوراة الهيروغليفية صـ ١٢٣ .

(٣) المصدر السابق صـ ١٢٤ . (٤) قاموس الكتاب المقدس صـ ٢٤٨ .

(٥) المدخل إلى الكتاب المقدس صـ ١٣٨ ، ولمزيد من التفصيلات راجع التوراة الهيروغليفية صـ ١٢٥ ـ ١٢٩ ، قاموس الكتاب المقدس صـ ٤٢٨ ـ ٤٢٩ المدخل صـ ١٣٦ ـ ١٣٨ .

رجدير بالذكر أن زكريا هذا غير النبى زكريا عليه السلام الذى تحدث عنه القرآن الكريم .

(٦) قاموس الكتاب المقدس صـ ٦١٣ ـ ٦١٤ .

(٧) المدخل صـ ١٣٩ الهيروغليفية صـ ١٢٩ .

هذا وقد ذكر سبينوزا أن أسفار الأنبياء على وجه العموم رتبت ترتيباً غير الترتيب الذى سار عليه الأنبياء فى أقوالهم أو فى كتاباتهم ، وأنها لا تتضمن جميع للنبوات بل تحتوى على ما أمكن العثور عليه هنا وهناك .

وينتهى إلى أن هذه الأسفار ليست الا مجرد شذرات من الأنبياء بالإضافة إلى أن معلوماتها قد أخذت من كتب أخرى (١) .

ويذهب كثرة علماء الكتاب فى العصر الحديث إلى أن الأنبياءالذين تحمل الأسفار أسماءهم هم الذين بدأو كتابة أسفارهم ، الا أنهم لا يجزمون بقول فصل فى هذا الشأن ، لأن الرسائل انتقل كثير منها بالسماع ، بالاضافة إلى إن أتباع الأنبياء ومريديهم كانوا يجمعون أحاديث النبى بعد موته ، ولا يرون غضاضة فى أن يعلقوا من عندياتهم على الحوادث الجارية فى يومهم ، ليجعلوا كتاباتهم عصرية جذابة للأجيال المقبلة .

وقد يرى بعض أولئك المعلقين أن يدخل فى أحاديث النبى ورسائله أقوالاً لنبى آخر أقل شأناً ، وفى عصور لاحقة قد يتولى مصنف آخر هذه الكتابات بالصقل والتهذيب ويضيف اليها تعليقاً من عنده أويشرح تاريخ بلاده فى عصر النبى .

وهكذا تنتهى الينا مجموعة من الرسائل والأحاديث يطلق عليها اسم النبى الأصلى تتألف من كتابات مؤلفين مختلفين فى تواريخ مختلفة ، ولذلك يصعب جداً الجزم بقول فصل فى تعيين الجزء أو الأجزاء التى كتبها النبى ذاته فى أى سفر من أسفار الأنبياء(٢) .

ثالثاً : الكتابات :

تشتمل الكتابات كما سبق على أحد عشر سفراً : المزامير ، الأمثال ، ايوب ، نشيد الأناشيد ، راعوث ، المراثى ، الجامعة ، استير ، دانيال ، عزرا ونحميا ، أخبار الأيام الأول والثانى .

فأما أسفار : المزامير ، والأمثال ، وأيوب ، ونشيد الأناشيد ، وراعوث ، والجامعة

---

(١)راجع رسالة فى اللاهوت والسياسة صـ ٣١٠ ، ٣١١ .

(٢) راجع كاترين هنرى : التاريخ فى الكتاب صـ ١١٥ .

واستير، ودانيال فسأتحدث عنها بالتفصيل فى الباب الثالث (١) .

وأما بقية أسفار الكتابات فيمكن الحديث عنها بايجاز :

سفر المراثى :

لم يذكر فى الكتاب (المقدس) اسم مؤلف هذا السفر غير أن التقليد اليهودى جرى على أن أرميا هو مؤلف هذه المراثى (٢) .

لكن هذا الرأى لا يعتمد على حقيقة سواء فى نص المراثى أو موضوعها (٣) ومن ثم فقد رأى كثيرون من العلماء أن أسلوب كتابتها يختلف عن اسلوب ارميا اختلافاً تاماً وأنها تضمنت أفكاراً لا يقرها هذا النبى (٤) وانما نسبت اليه نظراً لشهرته وقت كتابتها(٥) .

والواقع أنها عبارة عن مجموعة من القصائد ليست لمؤلف واحد بل لمؤلفين عديدين وأنها تمثل رأيين مختلفين لمدرستين مختلفتين (٦) .

وأما تاريخ تأليفها فيرجح أنه يرجع إلى ما بعد خراب أورشليم على يد الكلدانيين أعنى عام ٥٨٦ ق . م وقبل العودة من السبى أى عام ٥٣٨ ق .م (٧) .

---

(١) حيث سأبين تأثر بعض نصوصها بالأديان الوثنية

(٢) قاموس الكتاب المقدس صـ ٥٦ .

(٣) التوراة الهيروغليفية صـ ٦٨ .

(٤) المدخل إلى الكتاب المقدس صـ ١٥٨ .

(٥) راجع التوراة الهيروغليفية صـ ١٦٩ ـ ١٧٠ .

(٦) المصدر السابق صـ ١٧٠ د/ محمد بحر عبد المجيد : اليهودية صـ ٩٧ .

ويرى معظم النقاد المحدثين أن أرميا لم يكتب المراثى فنرى أيسفلت وهالر (١٩٤٠) أن المراثى قد ألفها كتاب عديدون حتى أدولف (١٩٣٩) الذى يؤمن بوحدانية المصدر اضطر إلى الاعتراف بوجود مصدر فرعى آخر للميراث .

د/ حسن حنفى : مقدمة رسالة فى اللاهوت والسياسة صـ ٣١ .

(٧) د/ فؤاد حسنين على : التوراة الهيروغليفية صـ ١٦٩ ، راجع أيضا قاموس الكتاب المقدس صـ ٥٦ . (ولمعرفة مزيد من التفاصيل راجع القاموس صـ ٥٥ ـ ٥٦ ، المدخل إلى الكتاب المقدس صـ ١٥٨ ، التوراة الهيروغليفية صـ ١٦٨ ـ ١٧٠ .

سفرا عزرا ونحمياً :

يكون السفران عزرا ونحميا سفرا واحدا كملحق لسفر أخبار الأيام ولم ينفصل إلا فى وقت متأخر (١) .

وإذا كان هذا السفر ـ أو السفران ـ ينسب إلى كل من عزرا ونحميا فانه فى وضعه الحالى لم تكتبه يد عزرا ولا يد نحميا وان تكن بعض أجزائه من صنعهما ، فهما قد دونا الحوادث التى وقعت لهما بواسطتهما ، واستخدمها ذلك الكاتب الذى نسق السفر وصاغه على الصورة التى بين أيدينا (٢) .

أما من هو ذلك الكاتب فيرى سبينوزا أن هناك مؤرخاً واحداً قد كتب أسفار : عزراً ونحميا واستيرودانيال ، وأنه استمد معلوماته من سجلات الأحبار ووثائق القضاة والأمراء الذين كانوا يحتفظون فيها بأخبارهم كما يفعل الملوك . ولكن سبينوزا لا يستطيع حتى مجرد التخمين به (٣) .

الا أن الحقيقة التى يجب أن نذكرها ـ كما قال الدكتور فؤاد حسنين ـ ان جميع هذه المصادر التى اعتمد عليه هذا المؤرخ لا تخلو من الأخطاء والتضارب (٤) ويرجح أن وضع السفر فى صورته الأخيرة يرجع إلى منتصف القرن الرابع ق .م أو بعده (٥) .

---

(١) سفرا عزرا ونحميا كانا فى الأصل سفرا واحدا يطلق عليه سفر عزرا لكن ما كاد ينتهى عصر (هيرونيموس) ويأتى (أورنجنيس) حتى قسم السفر إلى سفرين : عزراً الأول وعزرا ـ الثانى أو نحميا ، وقد استخدمت الترجمة اللاتينية المعروفة باسم الفولجاتا والتى وضعها هيرونيموس حوالى أوائل القرن الخامس الميلادى هذه القسمة وحوالى ١٤٤٨ أخذت ـ المخطوطات العبرية بهذا الرأى ، وبذلك فان سفر (عزرا ونحميا) لا يأتى فى موضعه الصحيح سواء من الناحية الموضوعية أو الزمنية وذلك لأنه كما نتبين من خاتمة سفر أخبار ـ الأيام ومن مطلع سفر عزراً هو امتداد لأخبار الأيام . (راجع التوارة الهيروغليفية صـ ١٨١ د/حسن حنفى : مقدمة رسالة فى اللاهوت صـ ٣٤) .

(٢) المدخل إلى الكتاب المقدس صـ ١٧٠ .

(٣) رسالة فى اللاهوت والسياسة صـ ٣٤ ـ ٣٥ / ٣١٦ ـ ٣١٩ .

(٤) الهيروغليفية صـ ١٨٧ .

(٥) المصدر السابق صـ ١٨٧ .

ويقول علماء الكتاب المقدس إن السفر لم يكمل الا بعد زمن الاسكندر الأكبر (توفى عام ٣٢٣ ق . م) ولذلك يكاد يكون مؤكداً أن السفر انتهى الينا فى وضعه الحالى حوالى سنة ٣٠٠ ق .م (١) .

سفرا الأخبار الأيام الأول والثانى :

يذهب علماء التقليد اليهودى إلى أن عزرا هو الذى قام بتأليف وكتابة سفرى أخبار الأيام الأول والثانى (٢) اللذين كانا فى الأصل سفراً واحداً مثل سفرى صموئيل والملوك .

لكن سبينوزا يذكر أن سفر أخبار الأيام قد كتب بعد موت عزرا بمدة طويلة ، وربما بعد اعادة بناء المعبد فى عصر المكابيين ، وأن المؤلفين الحقيقيين لهذ السفر لا يعلم عنهم شئ يقينى ولا عن سلطتهم وفائدتهم وعقيدتهم (٣) .

وان كان الدكتور فؤاد حسنين على قد لاحظ أن فى سفر الأخبار وحدة تكاد تكون شاملة توحى إلى أنها من وضع مؤلف واحد لكنه لا ينكر أن بعض أجزائه قد تعرضت لتغييرات متأخرة ولعل مؤلفا آخر جاء فيما بعد وأعاد تأليف هذا السفر (٤).

ويذهب د/ المسلى إلى أن كاتب سفر عزرا ونحميا هو نفسه جامع سفر أخبار الأيام ، ومعلوماته التاريخية عن بعض الفترات مبتورة مشوشة ولا يمكن الاعتماد عليه فى روايته للأحداث ـ التى = عاصرها نحميا (٥) .

وقد استقى كاتب أو كتاب سفر الأخبار معلوماته من مصادر ووثائق قديمة ومن بعض المأثورات الشفهية أشير إلى بعض منها فى ثنايا السفر (٦) ولكنه لم ينقل منها مجرد نقل ، بل كان يغير ويبدل ويعدل ويضيف ليصل إلى هدف معين كمؤرخ

---

(١) المدخل إلى الكتاب المقدس صـ ١٧٠ ـ ١٧١ .

(٢) الأسفار التاريخية صـ ٣٠٥ د/ بحر : اليهودية صـ ٨٣ قاموس الكتاب المقدس صـ ٣٣٥

(٣) هذان السفران كانا فى الأصل العبرى سفرا واحدا ولم ينفصلا الا فى الترجمة السبعينية وانتقل ذلك إلى الترجمات اللاتينية والطبعات العبرية الحديثة .

(راجع تفاصيل ذلك : الهيروغليفية صـ ١٨٩ ، قاموس الكتاب المقدس صـ ٣٣٤ ـ ٣٣٥ .
المدخل إلى الكتاب المقدس صـ ١٧١ ، د/ حسن حنفى : مقدمة رسالة فى اللاهوت صـ ٢٩ .

(٤) التوراة الهيروغليفية صـ ١٩٠ .   (٥) سقوط أورشليم صـ ٦٣٨ .

(٦) مثل سفر أخبار صموئيل الرائى وأخبار ناثان النبى وأخبار جاد الرائى وغيرها من الأسفار المفقودة التى سأشير اليها . راجع مقدمة رسالة فى اللاهوت صـ ٢٩ .

كهنوتى يخدم وجهة نظر الكهنة (١) .

أما زمن تأليف سفر الأخبار فيرجح أنهما قد أُلفا فى القرن الرابع ق .م (٢) ، ويقول علماء الكتاب إنهما كتبا حوالى سنة ٣٢٥ ق .م (٣) .

وهكذا تبين لنا بوضوح ـ من خلال هذا العرض السريع لأسفار العهد القديم ـ أن نسبة الأسفار إلى أصحابها نسبة خاطئة وغير صحيحة ، وأن دعوى هذه النسبة قائمة على الظن والزعم بلا دليل ، فهؤلاء الذين نسبت اليهم تلك الأسفار لم يكتبوها ، واذا ما كتبوا جزءا منها فانه قد حرف أو زيد عليه أو تم تبديله ، فليس هناك أدنى ثقة فى تلك النسبة المزعومة بل إننا وجدنا العلماء والمؤرخين يجهلون تماما مؤلفى أغلب هذه الأسفار ، بل انهم لا يعرفون زمن تأليفها .

يقول سبينوزا « الواقع أننا نجهل تماما مؤلفى كثير من هذه الأسفار ، أو نجهل الأشخاص الذين كتبوها (اذا كنا نفضل هذا التعبير) أو نشك فيهم ، ومن ناحية أخرى لا ندرى فى أية مناسبة وفى أى زمن كتبت هذه الأسفار التى نجهل مؤلفيها الحقيقيين ولانعلم فى أيدى من وقعت ، وممن جاءت المخطوطات الأصلية التى وجد لها عدد من النسخ المتباينة ، ولا نعلم أخيراً ان كانت هناك نسخ كثيرة أخرى فى مخطوطات من مصدر آخر (٤) .

فالحقيقة أن أسفار العهد القديم ـ كما جاء فى دائرة المعارف الأمريكية ـ قد كتبت على طول الفترة من القرن الحادى عشر ق .م الى القرن الأول ق .م ، وأخذت صورتها النهائية فى القرن الأول الميلادى ، ولم تصلنا أى نسخة بخط المؤلف الأصلى لهذه الأسفار .

فعلى مدى هذه القرون الطويلة التى كتبت فها الأسفار نجد أن نصوصها قد نسخت مراراً وأعيدت كتابتها باليد ، ولقد حدثت أخطاء فى عملية النسخ سببها عدم القدرة على قراءة أحد النصوص قراءة صحيحة أو العجز عن سماع نطقه نطقاً صحيحاً حين كان يملى على الكاتب ، أو من تعب الكاتب نفسه أو عجزه عن فهم ماكان يكتبه أو حتى سبب اهماله ، فقد كان يحدث أحياناً أن بعض المواد التى

---

(١) راجع كاترين هنرى : التاريخ فى الكتاب صـ ١١٠ ـ ١١١ المدخل إلى الكتاب المقدس صـ ١٧١ د/ بحر عبد المجيد : اليهودية صـ ٨٣ .

(٢) د/ فؤاد حسنين على : التوراة الهيروغليفية صـ ١٩١ .

(٣) كاترين هنرى : التاريخ فى الكتاب صـ ١١٠ .

(٤) رسالة فى اللاهوت والسياسة صـ ٢٥٥ .

كتبت على هامش النص تضاف اليه (١) .

فالنصوص التى بين أيدينا قد نقلتها الينا اجيال عديدة من الكتبة والنساخ ولدينا ـ كما تقول دائرة المعارف الأمريكية ـ شواهد وفيرة تبين أن الكتبة قد غيروا بقصد أو بدون قصد فى الوثائق والأسفار التى كان عملهم الرئيسى فيها هو كتابتها ونقلها (٢)

(١) دائرة المعارف الأمريكية نقلا عن مهندس احمد عبد الوهاب : فلسطين بين الحقائق ـ والأباطيل صـ ٢٩ .

(٢) ليس عجيبا ما تذكره دائرة المعارف الأمريكية عما فعله الكتبة الاسرائيليون بالنصوص الأصلية لأسفار العهد القديم على مدى قرون عديدة حيث جرت أقلامهم بالتغيير والتبديل إذ نجد فى الأسفار إلى الآن مايدين أولئك الكتبة ويتهمهم بالكذب والتحريف والافتراء على الله بغية الربح ولو على حساب العقيدة وفى هذا يقول ارميا على لسان الرب « أما شعبى فلم يعرف قضاء الرب ، كيف تقولون نحن حكماء وشريعة الرب معنا ، حقا انه إلى الكذب حولها قلم الكتبة الكاذب ، خزى الحكماء ارتاعوا وأخذوا ، ها قد رفضوا كلمة الرب فاية حكمة لهم ....لأنهم من الصغير إلى الكبير كل واحد مولع بالربح من النبى إلى الكاهن كل واحد يعمل بالكذب (راجع ارميا ٦ : ١٣ / ٨ : ٧ ـ ١٠)

وقد بين الإمام القرطى التحريف بالأسفار بقوله « ان اليهود تعترف بأن السعين كوهانا اجتمعوا على تبديل ثلاثة عشرة حرفا من التوراة ، وذلك قبل المسيح فى زمان القياصرة ، ومن اجترأ على تبديل حرف من كتاب الله وتحريفه فلا يوثق بالذى فى يده مما يدعى أنه كتاب الله لعدم الثقة به ولقلة مبالاته بالدين وأيضاً فلعله قد حرفه كله أو أكثره .

وكذلك يقرون ولا ينكرون : أن طائفة منهم يقال لهم : السامرية حرفوا التوراة تحريفا بينا كثيراً والسامرية يدعون عليهم مثل ذلك التحريف ، وكذلك النصارى أيضا يدعون على اليهود أنهم حرفوا فى التوراة : التاريخ ويزعمون انهم نقصوا من تاريخ آدم صلى الله عليه وسلم ألف سنة ونحو المائتين ، وهذه احتمالات توجب على العاقل : التوقف فلا يدعى حصول العلم بنقل التوراة مع انقداح هذه الممكنات الا مجاهر متعسر .

(راجع الاعلام بما فى دين النصارى من الفساد والأوهام صـ ١٩٠ ـ ١٩١ . راجع أيضا القرافى (شهاب الدين احمد بن ادريس) الاجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة صـ ٢٥٦ ـ ٢٥٨ .

ومن أراد التعرف بالتفصيل والتوضيح على ماقام به الكهنة من تحريف وتبديل فليرجع إلى إظهار الحق للشيخ رحمت الله الهندى صـ ٢٠٥ ـ ٢٩٢ اذ عقد بابا كاملاً لاثبات التحريف فى أسفار العهد القديم وقسمه إلى قسمين : تحريف لفظى وتحريف معنوى وقدم شواهد على تحريفهم بالزيادة وشواهد اخرى على تحريفهم بالنقصان ، راجع أيضا عصام الدين حفنى ناصف : محنة التوراة على أيدى اليهود صـ ٢٨ ـ ٥٥ ، د/ محمد بيومى مهران دراسات فى تاريخ الشرق جـ ٩ ـ صـ ٢٩٧ ـ ٣٠٠ .

وقد حدث التغيير بدون قصد حين أخطأوا فى قراءة أو سماع بعض الكلمات أو فى هجائها ، أو أخطأوا فى التفريق بين ما يجب فصله من الكلمات ، وما يجب أن يكون تركيبا واحدا .

كذلك فانهم ينسخون الكلمة أو السطر مرتين وأحياناً ينسون كتابة كلمات بل فقرات بأكملها .

كما كانوا يحذفون بعض الكلمات أو الفقرات أو يزيدون على النص الأصلى فيضيفون فقرات توضيحية . . . . وهكذا .

ولا يوجد سبب يدعو للافتراض بأن وثائق العهد القديم (الأسفار) لم تتعرض للأنواع العادية من الفساد النسخى على الأقل فى الفترة التى سبقت اعتبارها أسفاراً مقدسة .

فقد نشأت بين اليهود طائفة خصصت نفسها لرعاية هذه الوثائق عرفت بالكتبة . وسميت أخيراً بالسوفريم أو الاسفاريين ، ولم يكن عملهم مقصوراً على النسخ بل كانوا حفاظاً على الوثائق ، ومترجمين لها بل و مؤلفين بكل معنى الكلمة .

وكان من نتيجة عملهم أن أخذ النص صورته القانونية ليترجم بعد ذلك إلى اللغات الأخرى(١) .

ويذكر العلماء أن قصة تطور أسفار العهد القديم سارت فى طرق ثلاث حتى وصلت إلى الصورة القانونية المعترف بها .

١ ـ بدأت أكثر الأسفار لاكتبا مسطورة بل أحاديث شفوية تناقلتها الأفواه وكررها العارفون الحافظون لها ثم كتبت بعد زمن من ذاكرتهم (٢) .

٢ ـ صنفت الأسفار لا بيد كاتب واحد بل من سجلات مدونات احتفظ بها عدد من

---

(١) دائرة المعارف الأمريكية نقلا عن المرجع السابق للمهندس أحمد عبد الوهاب صـ ٢٤ .

(٢) يعترف اليهود فعلاً أن كتابهم المقدس ظل زمناً طويلاً يروى مشافهة من مصادر مختلفة وأن الرواة تناقلوا من الذاكرة روايات توارثها الخلف عن السلف ، ولا شك أن الذاكرة الإنسانية لها حدود ، وقدرتها على الحفظ والنقل ليست مطلقة ، وبذلك فإن الروايات قد تختلف باختلاف قدرة الرواة على الحفظ والنقل فتتيه الأصول الأولى للعقائد الموروثة فى ضباب الأيام .

(راجع د / حسن ظاظا : الفكر الدينى صـ ٧٣ ، د / ثروت الأسيوطى : نظام الأسرة بين الاقتصاد والدين بنو اسرائيل صـ ١٢٧ ـ ١٢٨ / ١٣٧ ـ ١٣٨) .

الناس ، واعتمد مصنفوها على ما يسمى بالأسفار المفقودة (١) .

٣ ــ تولى الكتبة أو الاسفاريون على مر الزمن نقل النسخ باليد من هذه النصوص على التوالى وتارة كانت تقع بعض الأخطاء اللفظية فى النقل ، وتارة أخرى كان يضيف الناقل شرحاً أو تعليقاً فى الهامش وكان هذا التعليق يضاف إلى المتن فى النسخ التالية ، ، وأحياناً كانت تطمس جملة أو كلمة فى نسخة قديمة من كثرة الاستعمال ، وأحياناً أخرى كان يملى على أحد الحفاظ الكاتب فتقع بعض الأخطاء الهجائية أو الهفوات الأخرى . وبعض الاختلاف فى اللفظ أو الهجاءة كان مرده أحياناً إلى اختلاف لهجة المواطن بين الحافظ الذى يملى والكاتب الذى ينقل عنه (٢) .

وبعد هذا كله جاء عصر الترجمات ، وكانت الترجمات تنقل عن نسخ خطية مختلفة فلا عجب أن يقع اختلاف وتناقض فى النسخ المختلفة بالإضافة إلى التناقض

---

(١) هناك أسفار لا يحتويها العهد القديم فى ثوبه الراهن غير أنها مذكورة فى تضاعيفه وتعرف باسم الاسفار المفقودة ، تقول دائرة المعارف الأمريكية « يشير العهد القديم إلى كتب وأسفار أخرى غير موجودة الآن وتشير إليها أسفاره مثل : كتاب الحروب ، سفر ياسر ، سفر أمور سليمان ، سفر أخبار صموئيل وناثان وجاد ، وأخبار سمعيا ونبوءة أخيا الشيلونى وغيرها . وهذا يثبت أن عددا من الاسفار قد فقدت من اليهود وضاعت اما لغفلة عنها واما بسبب الحروب والتدمير .

وفى القرآن الكريم قرائن عديدة على أنه كان فى أيدى اليهود قراطيس ومدونات فى سرد الأحداث والقصص الخاصة بآدم وإبراهيم وموسى وداود وسليمان ، ومن المعتقد أنه كان وارداً فى القراطيس والمدونات المفقودة متطابقاً مع ما جاء فى القرآن الكريم ــ راجع ذلك بالتفصيل : دائرة المعارف الأمريكية نقلا عن فلسطين بين الحقائق والأباطيل صـ ٢٨ محمد عزة دروزة : تاريخ بنى اسرائيل من أسفارهم صـ ٢١ ، ٢٥ ، ١٧٢ عصام الدين حفنى ناصف : محنة التوراة على أيدى اليهود صـ ٤٦ ، ٤٧ ، د / نجيب ميخائيل : مصر والشرق الادنى جـ ٣ صـ ١٦٨ .

(٢) وبالإضافة إلى اختلاف اللهجات كان هناك اختلاف أيضاً فى اللغات التى كتبت بها أسفار العهد القديم ولذلك فإن العهد القديم يعتبر ــ كما ورد فى دائرة المعارف الأمريكية ــ كتاباً غيرمتجانس إذ أنه مجموعة من الوثائق تكونت خلال فترة تزيد على الألف عام بواسطة رجال لهم تراث لغوى متعدد ، ذلك أن اللغة العبرية التى كتبت بها أسفار العهد القديم هى فى الواقع لغة خليط فى أصلها ، وتطورها . ولا نقرر سوى الواقع عندما نقول إن اللغة العبرية لم تكن لغة نقية فتلك هى النتيجة التى تقررها الدراسات اللغوية لكتب العهد القديم .(دائرة المعارف الأمريكية نقلاً عن فلسطين صـ ٢٤) .

الموجود فى النسخة الواحدة (١) .

هذا وقد أدى هذا التناقض وذلك الاختلاف فى النصوص إلى مراجعة الأسفار كلها وتقسيم الأسفار إلى فصول وآيات والاستقرار على وضع نسخة واحدة لأسفار الكتاب تعتبر «قانوناً» ومرجعاً نهائياً .

وقد استغرق هذا العمل مئات من السنين ، وقام به فريق من علماء اليهود و أطلق

---

(١) لاشك أن الترجمات الكثيرة والمختلفة لأسفار العهد القدديم كان لها تأثير مباشر علي عدم سلامة النص وحالت دون الحفاظ علي نقاء النسخ الأصلية التي نقلت عنها الترجمة ، ولو أخذنا الترجمة السبعينية مثلاً لوجدنا أن الاتجاهات العلمية الحديثة تذهب إلي أن رواية اجتماع اثنين وسبعين عالماً واخراجهم لها إنما هي مجرد أسطورة وليس لها أساس من الصحة ، كما أن بعض المؤرخين يشكون في أنها جاءت ترجمة صادقة للتوراة الأصلية وذلك لتأثر المترجمين الواضح بالأساليب الاغريقية التي كانت تصاغ وفقاً للقوانين الهلنية .

ويذكر الدكتور فؤاد حسنين أن الترجمة السبعينية ليست في مجموعها دقيقة حيث نلاحظ في بعض أسفارها اضطراباً كثيراً ، كما انها لم تتم في عصر بعينه فالتوراة مثلاً (الأسفار الخمسة) تمت ترجمتها في القرن الثالث ق . م . أما سائر الأسفار الأخري فقد ترجمت في عصور متأخرة . لذلك فالآراء متضاربة حول الترجمة السبعينية ليس فقط حول ــ ترتيبها وتنسيق أسفارها بل حول اختلافها في كثير من الأحيان عن النص العبري ، وترتيب العهد القديم العبري ، فضلاً عن أنها تضم أسفاراً ليست شرعية (راجع التوراة الهيروغليفية صـ ٢٧ د / مصطفي العبادي وآخرين : مصر من الاسكندر الاكبر إلي الفتح العربي صـ ١١٢ ، ١١٣ نقلاً عن د / مهران : دراسات في تاريخ الشرق الأدني جـ ٩ صـ ١٠٩) كتب الشريعة الخمسة طبعة الرهبان اليسوعيين صـ ٤٨ ، ٤٩ .

هذا وقد قام علاء الدين الباجي (٧١٤ هـ) بنقد التوراة السبعينية في كتابه (علي التوراة) تحقيق د / أحمد حجازي السقا نشر دار الأنصار الطبعة الأولي ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م وبين كثير من العلماء القدامي منهم والمحدثين تناقض النسخ المترجمة المختلفة .

راجع في ذلك ابن حزم في كتابه الفصل ، والشيخ رحمت الله قي إظهار الحق ، والموسوعة النقدية للفلسفة اليهودية ، د / أحمد شلبي : اليهودية ، سهيل ديب : التوراة بين الوثنية والتوحيد .

عليهم لقب « ماسورتين » وسميت كتاباتهم « النصوص الماسورتية » (١) .

وبالرغم من ذلك فإن هذه النصوص الماسورتية مليئة بالاختلافات والتناقضات فالعهد القديم كما جاءنا لم يتم جمعه بين عشية وضحاها ، كما أن الفضل فى هذا الجمع لم يكن لعزرا أو بعض معاصريه من رجال المعبد فقط بدليل لا يقبل الشك ، وهو أن العهد القديم يضم بين دفتيه أسفاراً متأخرة عن عصر (عزرا) الذى عاش فى القرن الخامس ق . م . مثل سفر دانيال الذى كتب حوالى عام ١٦٥ ق . م . (٢) .

فلم يكن عزرا آخر من صاغ روايات الأسفار ولا هو آخر من جمعها ، فقد جمع روايات موجودة عند كتاب متعددين ، وفى بعض الأحيان كان يقتصر على نسخها ونقلها على هذا النحو إلى الخلف دون فحصها أو ترتيبها ، ولا يستطيع سبينوزا أن يخمن الأسباب التى منعته من إتمام عمله هذا بحيث يوليه كل عنايته إلا إذا كان موتاً مبكراً (٣) .

والواقع كما أن وضع العهد القديم تطلب زمناً امتد نحو ألف عام كذلك فإن جمعه قد استدعى قروناً عديدة ، والكتاب الذى يتطلب ألف عام لتأليفه وجمعه يمر بأدوار كثيرة والنتيجة المحتومة لامتداد زمن التأليف وطول عصرالجمع خضوع الأسفار لمؤثرات كثيرة عملت فيها زيادة وحذفا (٤) .

وخلاصة القول أن النسخة العبرية التى يسميها اليهود النسخة القانونية التى انتهوا إليها فى القرن العاشر الميلادى ، لا يعتمد عليها ، فقد تعرض نصها كثيراً لأعمال الحرق

---

(١) والكلمة العبرية « ماسورا » تعنى « تقليد » وذلك لأن العلماء الماسورتين قد استرشدوا فى ضبط الألفاظ والحروف بما أجمعت عليه التقاليد من حيث هجاءه الألفاظ وقواعد النحو وصياغة العبارات وآخر نص قانونى انتهى إلينا هو الذى صاغه هارون بن موسى بن أشير ويدعى عادة « ابن أشير الماسورتى » وقد عاش فى طبرية فى النصف الأول من القرن العاشر الميلادى ، ولقد أثبتت دراسات العلماء والباحثين فى العصور اللاحقة لدى مقارنة النصوص الماسورتية بالنصوص السابقة أن الماسورتيين لم يتوخوا الصواب دائماً وإنما تعرضوا ووقعوا فى أخطاء كثيرة (راجع ظاظا : الفكر الدينى صـ ٧٢ ، ٧٣ كاترين هنرى : التاريخ فى الكتاب صـ١٢٦ راجع بالتفصيل : تكوين قانون الكتب المقدسة فى الدين اليهودى صـ٤٧ ـ ٤٩ من كتب الشريعة الخمسة طبعة الآباء اليسوعيين .

(٢) د / فؤاد حسنين على : التوراة الهيروغليفية صـ ١٥

(٣) راجع رسالة فى اللاهوت صـ ٢٨٣ وما بعدها . (٤) التوراة الهيروغليفية صـ ١٥ .

والإبادة بسبب الحروب الداخلية أولاً والغزو الأجنبى ثانياً (١) وتداولته أياد كثيرة غيرت فيه وبدلت وزادت وأنقصت وتناوله كتاب عديدون ذوو أمزجة مختلفة فى عصور مختلفة (٢) .

وبذلك فان اسفار العهد القديم قد انتفت عنها القدسية وزالت عنها الصبغة السماوية، فلا تعد من كتب الوحى أو السماء حيث انها لم تصل إلينا متصلة السند أو - منقولة بالتواتر الذى يحفظها من التبديل ويقيها من التحريف ويعصمها من التغيير .

وإنما وصلت إلينا مقطوعة السند بأصحابها المزعومين وقد اعتراها الكثير من التبديل والتحريف والتغيير .

وكما يقول الشيخ رحمت الله الهندى « إنه لابد لكون السفر سماوياً واجب التسليم أن يثبت أولا بدليل تام أن هذا السفر كتب بواسطة النبى الفلانى ووصل بعد ذلك إلينا بالسند المتصل بلا تغيير ولا تبديل ، والاستناد إلى شخص ذى إلهام بمجرد الظن والوهم لا يكفى فى اثبات أنه من تصنيف ذلك الشخص وكذلك مجرد إدعاء فرقة أو فرق لا يكفى فيه (٣) .

فالكتاب السماوى الذى يجب الخضوع له ، والأئتمار بأوامره ، والانتهاء بنواهيه ، لابد أن يثبت أنه كتاب الله الذى أنزله على ا النبى الفلانى ، بسند متصل فى جميع طبقاته ، متواتر فى عامة مراتبه بحيث يكون قد رواه الجم الغفير ، الذى يؤمن تواطؤهم على الكذب ، بلا تغيير ولاتبديل ، ولازيادة ولانقصان ، بأن تكون كل طبقة بكثرة عظيمة ، مختلفة الأمكنة ، خالية عن الغرض والعلة والجهل (٤) .

---

(١) راجع اضطهاد انطيوخوس الرابع لليهود وقيام جنوده باحراق نسخ العهد القديم ،
وكذلك اضطهاد الرومانيين واستيلاء تيطس في عام ٧٠ م . علي سفر الشريعة الخ في الفصل الأول من الباب الثاني .

(٢) انظر التوراة الهيروغليفية صـ ١٨ ـ ١٩ ومقدمة رسالة فى اللاهوت والسياسة صـ ٢٨ .

(٣) اظهار الحق صـ ٨٣ .

(٤) راجع عبد الرحمن بن سليم البغدادى الشهير بباجة جي زاده : الفارق بين المخلوق والخالق صـ٩ نشر دار الكتاب الإسلامى .

الفصل الثالث

الاتجاه الوثنى لدى بنى إسرائيل

الاتجاه الوثني لدى بني اسرائيل

لقد تبين لنا في الفصلين السابقين أن هناك عاملين قد ساعدا على تأثر اليهودية بالأديان الوثنية

العامل الأول : ما تعرض له اليهود في فترات السبي والاضطهاد والاختلاط على امتداد تاريخهم القديم .

العامل الثاني : فقدانهم التوراة المنزلة على سيدنا موسى عليه السلام وتحريفهم لها وانتقاء قدسية أسفار العهد القديم .

ولعل السؤال الذى يتبادر الآن إلى الذهن هو : هل هذان العاملان كانا كفيلين وحدهما بتأثر اليهودية بالأديان الوثنية ، أو أن هناك عاملاً ثالثاً ساعد على ذلك ؟

والحقيقة أنه لو لم يكن لدى اليهود استعداد كامل لتقبل الوثنية ، وتهيؤ تام للاستغراق في عباداتها والانسياق وراء أفكارها ، لكان من الممكن أن يتغلبوا على ما قاسوه من اضطهاد وسبي ، وأن يقاوموا ما فرضه عليهم اسيادهم وغالبوهم ، وان يرفضوا كل ما أكرهوا عليه وما يتعارض مع تعاليم دينهم السماوى .

لكننا وجدنا سرعة استجابتهم للعقائد الوثنية واندفاعهم الشديد نحو عبادتها ـ واستغراقهم الكامل في طقوسها ، وأحياناً كنا نجدهم هم الذين يقبلون عليها ويلحون في طلبها دونما ضغط أو إكراه ، ومعنى ذلك ببساطة أن الإنسياق خلف الوثنيه صادف هوى في نفوس اليهود ، ولبى رغبة حقيقية في قلوبهم، وأشبع لديهم إحساسهم الداخلى وشعورهم الباطنى .

وكما يذكر جون هامرتون « أن اليهود كانوا يشتملون دائماً على عنصر منحرف تستميله التعاليم الوثنية والتهاون الخلقى عند الوثنيين (١) .

فاليهود بطبيعتهم المادية الكثيفة يميلون إلى الوثنية وينجذبون إليها بل ويتهافتون عليها ويلهثون خلفها .

وسيتبين لنا البرهنة على كل ذلك في هذا الفصل الذى أخصصه لاظهار وابراز الاتجاه الوثني لدى بني اسرائيل على أنه العامل الثالث من العوامل التى ساعدت على تأثر اليهودية بالأديان الوثنية (٢) .

---

(١) جون هامرتون : العهد الجديد للفتوح الرومانية بحث في المجلد الثالث من تاريخ العالم صـ ٣٤٥ ، ٣٤٦ .

(٢) يمكن أن نعتبر العاملين الأولين من العوامل الخارجية وهذا العامل الثالث يعد أحد العوامل الداخلية .

مفهوم الوثنية

ولكي يتسنى لنا التعرف على الاتجاه الوثنى لدى بنى اسرائيل ينبغى أولا أن نحدد مفهوم الوثنية وما هو المقصود بها ؟

ورد فى لسان العرب أن « الوثْن والواثن بمعنى المقيم الراكد الثابت الدائم ويطلق على الصنم ما كان وقيل يطلق على الصنم الصغير ، وقال ابن الأثير : الفرق بين الوثن والصنم أن الوثن كل ما له جثة معمولة من جواهر الأرض أو من الخشب والحجارة كصورة الأدمى تعمل وتنصب ، والصنم الصورة بلا جثة ومنهم من لم يفرق بينهما وأطلقهما على المعنيين .

وأساس ذلك أن يقال : وثن الشئ أقام وثبت ولما كان الوثن من شأنه أن يكون ثابتاً فى مكانه الذى ينصب فيه سمي وثناً ، وجمع الوثن أوثن ووُثْن وأُثن .

وأصل الأوثان عند العرب كل تمثال من خشب أو حجارة أو ذهب أو فضة أو نحاس أو نحوها ــ وكانت العرب تنصبها وتعبدها (١) .

هذا وقد ورد لفظ الأوثان فى القرآن الكريم ثلاث مرات : مرة مقترنة بالالف واللام ومرتين مجردتين منهما (٢) .

وقد تباينت وجهات نظر العلماء الاجتماع الدينى فى تفسير عبادة العرب للأصنام ــ فبعضهم يعتبر هذه العبادة مستوردة على أساس ان لفظ صنم ليس عربياً ، وإنما هو كلمة آرامية وأن الوثن هو اللفظ العربى الأصيل وميزوا بين الصنم باعتباره حجراً أو مجرد رمز للاله ، وبين الوثن الذى يمثل صنماً على شكل إنسان واستنتج من هذا أن عبادة الأصنام مظهر من مظاهر الديانة الفتشية التى تعتقد بحلول أرواح فى الأَجسام الجامدة يمكن التوجه إليها بالتقرب والعبادة (٣) .

وان كان أكثر العلماء يرون أن كلمة فتش مستمدة من أصل لغوى برتغالى وتعنى المادة السحرية وقد أطلقها البرتغاليون على الديانات الوثنية فى غينيا ، وانتشر استخدامها

---

(١) ابن منظور : لسان العرب : المجلد السادس صـ ٤٧٦٥ مادة وثن طبعة دار المعارف الحديثة ، راجع أيضاً معجم ألفاظ القرآن الكريم المجلد الثانى صـ ٦٢٤ طبعة مجمع اللغة العربية طبع الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٣ .

(٢) راجع الآيات : رقم ٣٠ من سورة الحج والآيتين رقم ١٧ ، ٢٥ من سورة العنكبوت .

(٣) معجم العلوم الاجتماعية صـ ٣٥٠ ، ٣٥١ اعداد نخبة من الأساتذة المصريين والعرب ــ المتخصصين تصدير ومراجعة د / ابراهيم مدكور الهيئة المصرية العامة للكتاب صـ ١٩٧٥ .

منذ أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين (١) .

وقد استخدم هؤلاء العلماء هذا المصطلح (فتش) فى اللغتين الإنجليزية والفرنسية للدلالة على الشئ المادى الذى تقدسه الجماعات البدائية سواء أكان هذا الشئ طبيعياً أم صناعياً ، طالما يتخذونه محور ممارسات دينية ، والاعتقاد السائد عند هذه الجماعات هو أن الفتش يكون مزوداً بقدرة خاصة أو قوة غامضة من شأنها أن تؤثر فى مقدرات الناس بالنفع أو الضرر (٢) .

ويعتبر دوبروس أودىّ بروس (الأديب الفرنسى (١٧٠٩ - ١٧٧٧ م) أول من استخدم كلمة الفتشية فى القرن الثامن عشر فى مجال دراسة الأديان الافريقية البدائية ثم صاغ منها مفهوم الفتشية كمصطلح عام يعنى به عبادة أو تبجيل كل الأجسام والأشياء التى يعتبرها الإنسان تعاويذ أو بدود تمنع عنه الشر أو تجلب له الخير .

ثم لم يلبث هذا الاصطلاح الجديد أن وجد طريقه إلى الكتابات الاجتماعية ثم الانثروبولوجية بعد أن استخدمه أوجست كونت للإشارة إلى كل الديانات البدائية التى تعتبر الاجسام والموضوعات الخارجية موضوعات حية لها حياة تشبه الإنسان (٣) .

أما تايلور فيرى أن ثمة صلة وثيقة بين الفتشية ونظرية الأرواح التى تتجسد فى بعض الأجسام أو الكائنات المادية أو يتعلق بها أو تؤثر عن طريقها ويدخل منها على وجه الخصوص عبادة الأحجار وهذا معناه أن تايلور يعتبر الفتشية أو عبادة البدود خطوة أولى تؤدى بالضرورة إلى الأديان الوثنية أو على الاصح عبادة الأوثان .

وهذا معناه أيضاً أن ميدان الفتشية ميدان واسع رحب إذ تحت هذه الكلمة الواسعة الفضفاضة يمكن إدراج أى شئ يتخذه الإنسان بمثابة تعويذة أوبد أو رمز يتخيل أن له خصائص معينة يمكن أن تنتقل إلى الأشياء والموضوعات الأخرى وتؤثر فيها تأثيراً مشابهاً(٤) .

---

(١) د / فاروق اسماعيل : الوثنية : المفاهيم والممارسات صـ ٢٨ دار المعرفة الجامعية الاسكندرية بدون تاريخ.

(٢) معجم العلوم الاجتماعية صـ ٤٤٦ راجع تفاصيل ذلك د / أحمد أبو زيد : تايلور صـ ١٥٢ دار المعارف بمصر ١٩٥٧ رقم ٩ من سلسلة نوابغ الفكر الغربى.

(٣) د / أحمد أبو زيد : تايلور صـ ١٥٢ دار المعارف بمصر .

(٤) المصدر السابق صـ ١٥٣ د / فاروق اسماعيل : الوثنية مفاهيم وممارسات صـ ٢٨ ـ ٢٩ .

وعلى أى حال فان المفهوم مطلق بصفة عامة فى اتجاهات متباينة وبمعان مختلفة للإشارة إلى المظاهر الطبيعية التى لا حياة فيها ، وقد يطلق على معتقدات الزنوج وكذلك عبادة الأشياء التى يتصور معتنقوها أنها مقر للأرواح ، كما تطلق على الأشياء التى تعتبر بمثابة تعويذة تستمد قوتها السحرية الكامنة من إله أو روح ، وأيا كان الأمر فان اصطلاح الوثنية أو الفتيشية قد استخدم للإشارة إلى عبادة الأحجار أو الجبال أو مجارى المياه أو الأشجار فضلاً عن التماثيل أو الدمى وما يرتبط بها من قداسة واحترام بالغ (١) .

وجاء فى قاموس الكتاب المقدس أن الأوثان تطلق فى الأسفار على الأصنام والتماثيل وعلى كل شئ يرمز إلى آلهة آخرى وأى قوة أو قدرة أو كيان طبيعى غيبى أو ملموس يكون غير الله .

وأن كلا من اليهودية والمسيحية كانتا فى أوائل عهدهما قد نظرنا إلى عبادة الأوثان ـ كانحلال خلقى (٢) .

وأن الأوثان التى كانت عند الأمم والشعوب كثيرة ومتنوعة منها الكواكب والحيوانات والمزروعات والناس والنيران ومنها رموزها كالصور والتماثيل (٣) .

ووقفا لشهادة المقرا (أى العهد القديم) فان اسرائيل قد وصفت بأنها كانت « وثنية » .

ولكن ما هو مفهوم الوثنية الذى قصدته المقرا ؟

---

(١) راجع د / أحمد أبو زيد : المصدر السابق صـ ١٥٣ ـ ١٦٢ ، د / فاروق اسماعيل : المصدر السابق صـ ٢٩ .

(٢) فإلى جانب فساد المعتقدات الوثنية بانكارها ألوهية الله الواحد وتقسيم صفاته بين عدد من الصور والأصنام البشرية الصنع العديمة القدرة ونسبتها إلى أحجار وأشجار وتراب هى من مخلوقات الله نفسه إلى جانب ذلك كانت تلك المعتقدات مسئولة عن الإنحلال الخلقى فى الشعب فكان كهنتها يبرون لأنفسهم من الملذات والمحرمات ما حرمه الله ، وكانوا يقيمون من الطقوس والتقاليد ما لا ينسجم مع الخلق الحميد ، وكانت تلك المعتقدات مصدراً للفساد والسكر والدعارة والسرقة والغش (راجع قاموس الكتاب المقدس صـ ٥٩٥) .

(٣) وقد ذكر الكتاب المقدس الكثير من هذه الأوثان (راجع على سبيل المثال : حزقيال ٨ : ١٠ ارميا ٤٤ : ٣ ـ ١٨ اشعيا ٤٤ : ١٢ ـ ١٧)

ويذكر القاموس أن أول ذكر للأوثان فى الكتاب المقدس ورد فى سفر التكوين ٣١ : ١٩ عن سرقة راحيل أصنام أبيها لابان (راجع قاموس الكتاب المقدس صـ ٥٩٣ ـ ٥٩٤ .

ان مفهوم الوثنية كان واسعاً إلى حد بعيد فى استخدامه المقرائى .

فالوثنى ـ حسب مفهوم المقرا ـ هو بحق كل ما فيه متعلق بـ « عبادة الأوثان عند الأغيار » أو أى عمل من أعمال « الأمورى » (١) .

ولذلك فإن هذه الوثنية قد اشتملت على عبادة جند السماء وعبادة أصنام آلهة الأغيار وذكر اسم آلهة الأغيار ، وعبادة العجول (التى صنعت ليهوه) والنصب والسوارى وتقديم القرابين البشرية وإقامة الهياكل المقدسة بل مجرد العبادة فى المرتفعات كما اشتملت أيضاً على التخمين والسحر والعرافة والتنجيم ، ومجمل القول أن وثنية بنى اسرائيل كانت تعنى التوجه بالعبادة إلى الأغيار وممارسة طقوس أجنبية تبعدهم عن عبادة يهوه والاخلاص التام لإلههم .

ويميز كاتبو الحوادث الواردة فى المقرابين أربعة عصور مختلفة فى تاريخ بنى إسرائيل القديم .

الأول : عصر موسى ويشوع والشيوخ الذين طالت أيامهم بعده ، ويكاد يخلوا هذا العصر من الوثنية القومية ، وان كنا نجد بضع انحرافات محدودة المدى والمدة ـ تمثلت فى عملية صنع العجل الذهبى المسبوك وخطية بعل فغور (٢) .

الثانى : يمثل العصر الأول للوثنية القومية ، وهى الوثنية التى استمرت طوال عصر القضاة وصموئيل وتمثلت فى ترك عبادة يهوه (إله اليهود) والتوجه إلى عبادة الآلهة الأجنبية « الهة الأغيار) أو كما يسميهم اليهود : جوييم أو غوييم .

الثالث : يمثل العصر الثانى للإيمان بيهوه واشتمل على أيام شاول وداود وبداية أيام سليمان .

ولا توجد فى هذا العصر وثنية عند بنى اسرائيل .

الرابع : يعتبر العصر الثانى للوثنية ويشتمل على الفترة الأخيرة من عهد سليمان ـ وامتد حتى تخريب الهيكل الأول فى عام ٥٨٦ ق . م .

والحقيقة ـ كما يذكر محمد على حسن هوارى أن هذا التقسيم غير واقعى ، وتبدوا عدم واقعيته من استمرار الأحداث عبر هذه العصور جميعها ومن ثم لا يمكننا الجزم بأن أيا منها قد خلا من الوثنية تماماً .

كما أنه لا نستطيع القول بأن بنى إسرائيل ـ دون استثناء ـ قد عاشوا طوال عصر

---

(١) قد يطلق على كل أجناس فلسطين الذين أقاموا مع اليهود .

(٢) تفاصيل الحديث عن هذه الخطية فى الباب الثالث عند الكلام عن عبادة اليهود للبعل .

كامل من هذه العصور يعبدون إلهاً واحداً هو « يهوه » دون سواه من الآلهة التى زاحمته ، والتى عرفوها عند الشعوب الأجنبية (أصحاب الأديان الوثنية التى أشوت إليها فى الفصول السابقة) والتى اختلطوا بهم سلماً أو حرباً فى الأراضى الجديدة التى نزحوا إليها(١) .

وعلى أى حال فاننى فى هذا الفصل سأحاول التدليل على وجود الاتجاه الوثنى لدى بنى إسرائيل وشيوع الوثنية فى مختلف عصورهم التاريخية القديمة معتمداً بالدرجة الأولى على ما ورد فى أسفارهم المقدسة لديهم وأبدأ بعصر الآباء :

تشير أسفار اليهود إلى أن الخليل ابراهيم (الأب الأول لليهود) نشأ فى مدينة أور » إحدى مدن الكلدانيين التى كانت تقع فى أرض ما بين النهرين جنوبى بابل وقد ـ أنشئت هذه المدينة نحو ثلاثة آلاف عام ق . م . وسكنها السومريون ثم العيلاميون ثم البابليون ثم الكلدانيون ، وكان أهلها فى عهد ابراهيم وثنيين يعبدون الكواكب والنجوم ولا سيما القمر الذى كانوا يعبدونه آلهاً ويسمونه « ننار » ويعتقدون أو له زوجة يسمونها « ننجال » (٢) .

ورد فى سفر يشوع « وقال يشوع لجميع الشعب ، هكذا قال الرب آله إسرائيل آباؤكم سكنوا فى عبر النهر منذ الدهر تارح أبو ابراهيم وأبو ناحور وعبدوا آلهة آخرى . . . . . فالآن ـ اخشوا الرب واعبدوه بكمال وأمانه وانزعوا الآلهة الذين عبدهم آباؤكم فى عبر النهر وفى مصر واعبدوا الرب » (٣) .

وقد ذكر القرآن الكريم أن قوم ابراهيم كانوا وثنيين وكانوا يعبدون الأصنام ويعكفون عليها وأن سيدنا ابراهيم تبرأ منهم واعتزلهم يقول الله تعالى ﴿ **وإذ قال ابراهيم لأبيه آزر أتتخذ أصناماً آلهة انى أراك وقومك فى ضلال مبين** ﴾ (٤) .

﴿ **ولقد آتينا ابراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين ، إذ قال لأبيه وقومه ما هذه**

---

(١) الألوهية عند بني اسرائيل منذ ظهور موسي حتي العودة من السبي البابلي : رسالة دكتوراه مقدمة إلي قسم اللغات الشرقية بآداب عين شمس ١٩٨٣ راجع صـ ٢٩١ ، ٣٣٥ ، وقد اعتمد علي كثير من المصادر العبرية والأوربية .

(٢) راجع تفاصيل ذلك : قاموس الكتاب المقدس صـ ١١ ، زكي شنودة : اليهود صـ ٢١٧ ، ٤٧٧ ، حبيب سعيد : خليل الله في اليهودية والمسيحية والإسلام صـ ٩ ، ٢٢ ، ٢٣ ، د / السيد يعقوب بكر : هوامش الحضارات السامية القديمة صـ ٢٥٤ ، د / نجيب ميخائيل : مصر والشرق الأدني القديم جـ ٦ صـ ١٢٤ ، ١٢٦ .

(٣) يشوع ٢٤ : ٢ ، ١٤ .

(٤) الانعام : ٧٤ .

التماثيل التى أنتم لها عاكفون ، قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين قال لقد كنتم وآباؤكم فى ضلال مبين ﴾ (١) .

ويذكر المؤرخون أن اليهود أو العبرانيين كانوا فى مطلع ظهورهم على مسرح – التاريخ بدوا رحلا تسيطر عليهم الأفكار البدائية كالخوف من الشيطان والاعتقاد فى الأرواح وكانوا يعبدون الحجارة والأغنام والأشجار (٢) .

وفى عهد يعقوب أو إسرائيل الذى ينتسب إليه الاسرائيليون يذكر سفر التكوين أن زوجتيه ليئة وراحيل ابنتى خاله لابان الارآمى كانتا تعبدان الاصنام كأبيهما فلما أخذهما يعقوب وهرب بهما أخذت راحيل أصنام أبيها معها (٣) .

ظهور الاتجاه الوثنى أو الطبيعة الوثنية للإسرائليين فى عصر موسى :

يعرض لنا القرآن الكريم ثلاثة مواقف لليهود (٤) فى عصر نبيهم موسى عليه السلام ومنها يتضح لنا تماماً مدى تعلق أفئدتهم بالوثنية ومدى تعمقها فى قلوبهم .

وسنلاحظ من خلال هذه المواقف أن النقطة الفاصلة التى تميز السلوك الوثنى الناشئ عن شدة الاختلاط وقوة تأثير الغير عن الاتجاه الوثنى الناشئ عن طبيعة داخلية ، حيث اننا نجد الحالة الثانية تبرز حتى عندما تختفى شبهة الارغام الخارجى تماماً ، عندما يتحرر القوم من سطوة الشعوب الوثنية وتتوفر لهم عَوامل النبوة النقية . . . عند ذاك يجدون صرخة الوثنيين فى أعماقهم ولا يجدونها صوتاً لحوحاً من خارج هذه الاعماق . . ويصبح الصوت الخارجى عندئذ مجرد تنبيه .

---

(١) الأنبياء : ٥١ ـ ٥٤ .

(٢) راجع د / أحمد شلبى : اليهودية صـ ١٨٠ ، ١٨١ ناقلا عن مصادر آجنبية ، وراجع تفاصيل عبادة العبريين القدماء : د / حسن محمود : حضارة مصر والشرق القديم صـ ٣٥٥ ، ٣٥٦ .

(٣) جاء فى سفر التكوين أن يعقوب قد حمل أولاده ونساءه على الجمال وساق كل مواشيه ليجئ إلى اسحاق « فسرقت راحيل أصنام أبيها وخدع يعقوب قلب لابان الارآمى إذ لم يخبره بأنه هارب » وحينما أدركه لابان بعد أن لحق به قال له « ولكن لماذا سرقت آلهتى فأجاب يعقوب : إنى خفت لأنى قلت لعلك تغتصب ابنتيك منى ، الذى تجد آلهتك معه لا يعيش ، قدام اخوتنا انظر ماذا معى وخذه لنفسك ولم يكن يعقوب يعلم أن راحيل سرقتها وكانت راحيل قد أخذت الأصنام ووضعتها فى حداجة الجمل وجلست عليها فجس لابان كل الخباء ولم يجد وقالت لأبيها لا يغتظ سيدى انى لا أستطيع أن أقوم امامك لأن على عادة النساء ففتش ولم يجد الأصنام » راجع تكوين ٣١ : ١٧ ـ ٣٥ .

(٤) راجع تفاصيل ذلك فى رسالة الماجستير : غلاة الشيعة وتأثرهم بالأديان المغايرة للإسلام عند الحديث عن التأثير اليهودى صـ ٢٢٥ ، ٢٢٧ وقد طبعت فى كتاب بنفس العنوان .

الموقف الأول : قولهم لموسى اجعل لنا إلهاً كما لغيرهم آلهة .

يقول الله تعالى ﴿ وجاوزنا ببنى اسرائيل البحر فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم قالوا يا موسى اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة ، قال انكم قوم تجهلون ، ان هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون قال أغير الله أبغيكم آلها وهو فضلكم على العالمين ﴾ (١) .

هذه الآيات تضعنا وجهاً لوجه أمام طبيعة الاسرائيليين المنحرفة المستعصية على التقويم ، بما ترسب فيها من ذلك التاريخ القديم .

ان العهد لم يطل بهم منذ أن كانوا يسامون الخسف فى ظل الوثنية الجاهلية عند فرعون وملئه ، ومنذ أن أنقذهم نبيهم وزعيمهم موسى ـ عليه السلام ـ باسم الله الواحد رب العالمين الذى أهلك عدوهم وشق لهم البحر ، وأنجاهم من العذاب الوحشى الفظيع الذى كانوا يسامون . . .

انهم خارجون للتو واللحظة من مصر ووثنيتها ، ولكن ها هم أولاء ما أن يجاوزوا البحر حتى تقع أبصارهم على قوم وثنيين ، عاكفين على أصنام لهم ، مستغرقين فى طقوسهم الوثنية وإذا هم يطلبون إلى موسى ـ رسول رب العالمين الذى أخرجهم من مصر باسم الإسلام ـ والتوحيد أن يتخذ لهم وثناً يعبدونه من جديد ! ! (٢) .

انها العدوى تصيب الأرواح كما تصيب الأجسام ، ولكن الذى لابد أن يذكر أن العدوى ـ لا تصيب الأرواح حتى يكون لديها الاستعداد والتهيؤ والقابلية .

وطبيعة بنى اسرائيل ـ كما عرضها القرآن الكريم عرضا صادقاً دقيقاً أميناً فى شتى المناسبات ـ وكما يقول صاحب الظلال ـ طبيعة مخلخلة العزيمة ضعيفة الروح ما تكاد تهتدى حتى تضل ، وما تكاد ترتفع حتى تنحط ، وما تكاد تمضى فى الطريق المستقيم حتى ترتكس وتنتكس ويرجع ذلك إلى غلظ فى الكبد ، وتصلب عن الحق وقساوة فى الحس والشعور ! !

وها هم أولاء على طبيعتهم تلك ، ها هم أولاء ما يكادون يمرون بقوم يعكفون على أصنام لهم حتى ينسوا تعليم أكثر من عشرين عاماً (٣) منذ أن جاءهم موسى عليه السلام

---

(١) الاعراف ١٣٨ : ١٤٠ (٢) راجع سيد قطب : فى ظلال القرآن : المجلد الثالث صـ ١٣٦٥ .

(٣) فقد ذكرت بعض الروايات أن موسى أمضى ثلاثة وعشرين عاماً منذ أن واجه فرعون وملأه ـ برسالته إلى يوم الخروج من مصر .

بالتوحيد(١) .

بل انهم نسوا تلك المعجزة الباهرة معجزة انفلاق البحر وصار لهم بعد أن ضربه موسى بعصاه طريقاً يبسا ، وبعد أن فزعوا وقالوا إنا لمدركون بعد أن أدركهم فرعون وجنوده بغياً وعدوا ، ونسوا الرب العظيم الذى أجرى على يدى نبيه موسى تلك المعجزة الخارقة وتطلعوا إلى إله محسوس يعبدونه ويعكفون عليه بمجرد أن وجدوا قوماً يعكفون على أصنام لهم .

يذكر الشيخ عبد الوهاب النجار أن العجائب التى ضرب بها فرعون وقومه لم تكن لتزجر بنى اسرائيل عن تلك الوثنية التى طال إلفهم لها ، إذ أنهم كانوا قد ألفوا وثنية المصريين وقلدوهم فى وثنيتهم شأن المغلوب فى تقليد الغالب .

فبالرغم من أنهم رأوا بأعينهم انفلاق البحر وانجاء الله لهم واغراق فرعون وجنوده ـ إلا أن الوثنية اللاصقة بقلوبهم قد غلبت عليهم ، وغلبت عليهم أيضاً بلادة الطبع وما ركز فى طبيعتهم من السخف وما استولى على أنفسهم من الغثاثة (٢) .

والحقيقة أننا نلمس قمة التبجح وغاية الوقاحة من الإسرائليين حينما يطلبون من نبيهم موسى أن يجعل لهم إلهاً بنفسه ففى ذلك منتهى التجاهل لنبوته واللامبالاة الشديدة ـ لرسالته ويعكس مدى تشبعهم بالوثنية، وسريانها فى دمائهم حتى أعمتهم عن ربهم وعن رسول ربهم .

الموقف الثانى : اتخاذهم العجل وعكوفهم عليه

ثم أخبرنا الله سبحانه وتعالى أن بنى اسرائيل قد اتخذوا العجل من بعد موسى وعكفوا على عبادته .

ويبين سبحانه كيف أن عبادته قد نفذت إلى قلوبهم ، وتغلغلت فى أعماق نفوسهم فقال سبحانه ﴿ **ولقد جاءكم موسى بالبينات ثم اتخذتم العجل من بعدهم وأنتم ظالمون ، وإذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة واسمعوا قالوا سمعنا وعصينا وأشربوا فى قلوبهم العجل بكفرهم قل بئسما يأمركم به إيمانكم إن كنتم مؤمنين** ﴾ (٣) .

﴿ **وإذ واعدنا موسى أربعين ليلة ثم اتخذتم العجل من بعده وأنتم ظالمون** ﴾ (٤) .

---

(١) سيد قطب : فى ظلال القرآن المجلد الثالث صـ ١٣٦٦ راجع تفسير المنار للشيخ رشيد رضا المجلد الخامس الجزء التاسع صـ ٩١ ـ ١٠٣

(٢) قصص الانبياء صـ ٢٥٠ ـ ٢٥١

(٣) البقرة : ٩٢ ـ ٩٣ .

(٤) البقرة : ٥١ .

وقد بلغ من إصررهم على عبادة العجل أن سيدنا هارون عليه السلام قال لهم كما ذكر القرآن الكريم ﴿ **ولقد قال لهم هارون من قبل ياقوم إنما فتنتم به وإن ربكم الرحمن فاتبعونى وأطيعوا أمرى قالوا لن نبرح عليه عاكفين حتي يرجع إلينا موسى** ﴾ (١) .

هذا وقد أخذ القرآن الكريم يعنفهم ويؤنبهم على تلك العبادة الزرية ﴿ **واتخذ قوم موسى من بعده عجلاً جسداً له خواراً ألم يروا أنه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا اتخذوه وكانوا ظالمين** ﴾ (٢) .

﴿ **أفلا يرون ألا يرجع إليهم قولا ولا يملك لهم ضراً ولا نفعاً** ﴾ (٣) .

ولكنها طبيعة بنى اسرائيل التى ما تكاد تستقيم خطوة حتى تلتوى عن الطريق ، والتى ما تكاد ترتفع عن مدى الرؤية الحسية والتصور والاعتقاد ، والتى يسهل انتكاسها كلما فتر عنها التوجيه والتسديد .

لقد راودوا نبيهم من قبل أن يجعل لهم الها يعكفون عليه بمجرد رؤيتهم لقوم وثنيين يعكفون على أصنام لهم فصدهم نبيهم عن ذلك الخاطر وردهم رداً شديداً ، فلما خلوا إلى أنفسهم ورأوا عجلاً جسداً من الذهب ــ لا حياة فيه كما تفيد كلمة جسد ــ صنعه لهم السامرى واستطاع أن يجعله بهيئة بحيث يخرج صوتاً كصوت الثيران ــ لما رأوا ذلك العجل الجسد طاروا إليه وتهافتوا عليه حين قال لهم السامرى « هذا آلهكم وإله موسى » الذى خرج موسى لميقاته معه فنسى موسى موعده معه ــ ولم يتذكروا وصية نبيهم لهم من قبل بعبادة ربهم الذى لا تدركه الأبصار ــ رب العالمين ــ ولم يتدبروا حقيقة هذا العجل الذى صنعه لهم واحد منهم ، وإنها لصورة زرية للبشرية تلك التى كان يمثلها القوم صورة يعجب منها القرآن وهو يعرضها على المشركين فى مكة وهم يعبدون الأصنام (٤) .

ويبرز سفر الخروج ــ فى حادث اتخاذهم العجل ــ مدى تعلقهم بالوثنية ، وشدة توقهم إليها ، وعدم صبرهم عليها، وسرعة الانخراط فيها حينما يقول « ولما رأى الشعب أن موسى أبطأ فى النزول من الجبل اجتمع الشعب على هارون (٥) وقالوا قم اصنع لنا آلهة

---

(١) طه : ٩٠ ــ ٩١ .   (٢) الاعراف : ١٤٨ .   (٣) طه : ٨٩

(٤) سيد قطب : فى ظلال القرآن : المجلد الثالث صـ ١٣٧٣ .

(٥) مما ينبغى ذكره أن اليهود بلغ من انغماسهم فى الوثنية واعتيادهم عليها أن اتهموا نبيهم هارون بأنه هو الذى صاغ لهم من أقراطهم ذلك العجل الذى اتخذوه الها لهم ، وهذا يعكس مدى جراءتهم وتطاولهم على أنبيائهم وتلطيخهم لهم بالوثنية مثلما فعلوا أيضاً مع سليمان حين زعموا أنه سجد للأوثان متأثراً بزوجاته الأجنبيات ــ نعوذ بالله من زعمهم ــ ولعل الهدف من رمى أنبيائهم بهذه =

تسير أمامنا لأن هذا موسى الرجل الذى أصعدنا من أرض مصر لا نعلم ماذا أصابه (١)

ويذكر السفر أن الرب قال لموسى اذهب انزل لأنه قد فسد شعبك الذى أصعدته من أرض مصر ، زاغوا سريعاً عن الطريق الذى أوصيتهم به صنعوا لهم عجلاً مسبوكاً وسجدوا له وذبحوا له وقالوا هذه آلهتك يا اسرائيل التى أصعدتك من أرض مصر (٢) .

ويذهب الأستاذ زكى شنودة إلى أن قصة اتخاذ بنى اسرائيل للعجل كما ترويها التوراة تدل على أن اليهود لم يؤمنوا بالله فى يوم من الأيام إيماناً راسخاً وإنما كانوا سرعان ما ينقلبون إلى عبادة الأوثان وأنهم فعلوا ذلك فى كل مراحل تاريخهم (٣) .

ويرى أنه على الرغم من أن الله قد أعلن نفسه لهم دون غيرهم باعتبار أنه إلههم وباعتبار أنهم شعبه إلا أنهم كانوا شعباً غليظ الرقبة كما كان يقول عنهم فكانوا لا يؤمنون به وكانوا حتى إذا آمنوا به سرعان ما يتمردون عليه ويعودون إلى عبادة الأصنام ولذلك كان لا يفتأ يصنع أمامهم المعجزات التى تقنعهم بقوته وقدرته وتدفعهم إلى التمسك بالولاء له (٤) .

الموقف الثالث قولهم لموسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة

يذكر القرآن الكريم أن موسى بين لبنى إسرائيل أنهم قد ظلموا أنفسهم باتخاذهم العجل وطلب منهم أن يتوبوا إلى ربهم .

فقال سبحانه ﴿ **وإذ قال موسى لقومه انكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم فتاب عليكم إنه هو التواب الرحيم** (٥) .

ولكن اسرائيل هى هى كثافة حس ومادية فكر ، واحتجاباً عن مسارب الغيب فإذا هم يطلبون أن يروا الله جهرة ، والذى طلب هذا هم السبعون المختارون منهم

= السخافات ـ فيما أرى وأرجح ـ هو محاولة تبرير لوثنيتهم وكأنهم يحاولون إقناع أنفسهم وإقناع من يأتى بعدهم بأنهم كانوا يقتدون بالأنبياء وقد انحرف الأنبياء فلا بأس من انحرافنا ما دمنا سنرجع إلى الله ونتوب إليه ، ويعكس ذلك أيضاً شدة إستغراقهم فى الوثنية وولعهم بها ، هذا وقد برأ القرآن الكريم سيدنا هارون من التهمة الشنيعة التى وجهت إليه فيما يتعلق باتخاذ العجل وذكر أن السامرى هو الذى صنعه لهم وأن هارون حاول أن يصدهم إلا أنهم عارضوه فتركهم خشية أن لا تكون فتنة ، وتفصيل ذلك فى الباب الثالث أن شاء الله .

(١) خروج : ٣٢ : ٢ (٢) خروج ٣٢ : ٧ ـ ٨ (٣) اليهود صـ ٢٣٣ . (٤) المصدر السابق صـ ٤١٥ . (٥) البقرة : ٥٤ .

الذين اختارهم موسى لميقات ربه [١] ويرفضون الإيمان لموسى إلا أن يروا الله عياناً .

فهم قد علقوا إيمانهم بموسى ورسالته على رؤيتهم لله تعالى حيث إن عقولهم لم تقو على فهم الذات العلية الفهم الصحيح وظنوا أنه من الممكن رؤيتها .

فالحس المادى الغليظ هو وحده طريقهم إلى المعرفة ، والايات الكثيرة والنعم الالهية والعفو والمغفرة كلها لا تغير من تلك الطبيعة الحاسية التى لا تؤمن إلا بالمحسوس والتى تظل مع ذلك تجادل وتماحل ولا تستجيب إلا تحت وقع العذاب والتنكيل مما يوحى بأن فترة الإذلال الذى ينشئه الطغيان الطويل يحطم فضائل النفس البشرية ويحلل مقوماتها [٢] .

وفى هذا يقول الله سبحانه ﴿ **وإذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون** ﴾ [٣] .

﴿ **يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتاباً من السماء فقد سألوا موسى أكبر من ذلك فقالوا أرنا الله جهرة فأخذتهم الصاعقة بظلمهم** ﴾ [٤] .

الوثنية فى عصر القضاة :

يمثل عصر القضاة العصر الأول للوثنية القومية وهى الوثنية التى استمرت ـ طوال هذا العصر وتمثلت فى ترك يهوه ، والتوجه إلى عبادة الآلهة الأجنبية [٥] .

ويذكر سفر القضاة أن عبادة الرب ظلت معروفة لدى اليهود وبعض الوقت فى عصر القضاة كما ورثوها من تعاليم موسى ويشوع ، ولكنهم سرعان ما انقسموا إلى عشائر متفرقة متباعدة متعادية وسرعان ما ضعف إيمانهم بالله حتى نسوه تماماً ، فلم يكونوا يتذكرونه إلا حين يغير عليهم شعب آخر ويحتل أرضهم ويستعبدهم ثم إذا انتصروا يعودون بعد ذلك إلى نسيان إلههم أو عبادة آلهه وثنية معه [٦] .

---

(١) راجع تفاصيل ذلك فى تفسير القرطبى جـ ١ صـ ٤٠٣ جـ ٧ صـ ٢٩٣ ـ ٢٩٦ .

(٢) راجع على عبد الواحد وافى : اليهودية واليهود صـ ٣٣ ـ ٣٤ ، سيد قطب : فى ظلال القرآن جـ صـ ٧٢ .   (٣) البقرة : ٥٥ .   (٤) النساء : ١٥٣ .

(٥) محمد على حسن هوارى : فكرة الألوهية عند بنى اسرائيل صـ ٥١٢ .

(٦) راجع زكى شنودة : موسوعة تاريخ الأقباط والمسيحية : الجزء الثامن صـ ٢٤٨ ، لودز : اسرائيل صـ ٤٠٤ نقلا عن محمد على حسن هوارى : فكرة الألوهية صـ ٢٩٤

المستفاد من إصحاحات سفر القضاة منذ أوائلها ان انحرافات بنى اسرائيل كانت عقب موت يوشع ودخولهم فى حقبة عصر القضاة دون تلبث قليل ناسين العهد الذى أخذه عليهم يوشع وسجله فى التوراة على ما حكاه آخر إصحاحات يوشع مما كان دأبهم منذ خروجهم من مصر ، وهذا يدل على ضعف صلابتهم وقلة مقاومتهم وسرعة تأثرهم بعقائد وتقاليد الوثنيين حولهم ثم =

ويصور السفر ما انتاب بنى اسرائيل من تغيرات خلقية وعقائدية نتيجة تغيير حياتهم فبعد أن اتصلوا بالشعوب التى تسكن فى المناطق المجاورة أو التى تقيم معها نسوا ربهم ورجعوا إلى طبيعتهم الغالبة وانساقوا وراء عبادة الأوثان (١) .

ولذلك فقد رأى العلماء أن الاطار الأدبى العام والواقعى لهذا السفر يصور عصر القضاة على أنه عصر زنى وثنى مستمر ، بدأ بالتحديد بعد موت يشوع والشيوخ الذين طالت أيامهم بعده (٢) .

فكاتب السفر يشير إلى أن أية نكبة تصيب الشعب انما هى نتيجة لمعصية ارتكبها ، وإن الارتداد عن دين يهوه وعبادة آلهة أجنبية كان سببا فى عقاب سماوى اتخذ صورة الاضطهاد الأجنبى الذى وقع على بنى اسرائيل من قبل الشعوب والأمم المجاورة ، ويتبع هذا العقاب توبة بنى اسرائيل وندمهم ثم توسلهم إلى الرب لكى ينقذهم ويخلصهم .

ولم يكن هذا الإطار إلا وجهة نظر تاريخية فلسفية وهو جزء من وجهة النظر السائدة فى المقرا التى يفسر بها محررو العهد القديم كل ما أصاب بنى اسرائيل من شر وما حل بهم من مصائب طوال تاريخهم الطويل نتيجة لارتكابهم خطيئة الوثنية (٣) .

وعلى اية حال فقد كانت السمة الدينية العامة التى تميز بها عصر القضاة هى الردة عن عبادة « يهوه » والتوجه إلى عبادة الآلهة الأجنبية حتى سمى عصر القضاة بعصر الارتداد ـ إذ أن السفر قد عرض لنا صوراً بشعة جداً لما كان من ارتكاس بنى اسرائيل ، وانحرافهم الدينى والخلقى بسرعة عجيبة مما تكررت حكايته عنهم منذ زمن موسى عليه السلام وما كان وظل طابعهم المميز (٤) .

= على عدم مبالاتهم بزواجر ربهم ونذره وتقريعات الأنبياء ووصاياهم المشددة المتكررة .

(راجع الأب ديلى : تاريخ شعب العهد القديم صـ ١٨٩ محمد عزة دروزة : تاريخ بنى اسرائيل من اسفارهم صـ ١٢٣) .

(١) د / محمد بحر عبد المجيد : اليهودية صـ ٧١ .

(٢) محمد على حسن هوارى : المصدر السابق صـ ٢٩٤ .

(٣) قضاة ٢ : ١١ ـ ٩١ . راجع تفاصيل ذلك : هوارى : فكرة الألوهية صـ ٢٩٤ ـ ٢٩٦ .

(٤) راجع الأب ديلى : تاريخ شعب العهد القديم صـ ١٨٩ و صموئيل شولتز : العهد القديم يتكلم صـ ١٤٠ وما بعدها ، محمد عزة دروزة : تاريخ بنى إسرائيل من أسفارهم صـ ١٢٥ ، محمد على هوارى : الألوهية عند بنى اسرائيل منذ عصر موسى حتى السبى البابلى صـ ٢٩٤ .

وهناك قصه وقعت أحداثها في عصر القضاة تدل على شدة شيوع الوثنية في هذا العصر ، وتعبر عن قوة استشراء الشرك والارتداد في بنى اسرائيل واندماج الجميع فيه

إذ ورد في سفر القضاة أن رجلاً من جبل افرايم كان يدعى ميخا قد صنع له الصائغ من الفضة التي أخذها من أمه تمثالاً منحوتاً وتمثالاً مسبوكاً ووضعهما في بيته وكان له أيضاً بيت للآلهة فعمل أفودا (١) وترافيم (٢) وملأ يد واحد من بنيه فصار له كاهناً ، وفي تلك الايام لم يكن ملك في بنى اسرائيل كان كل واحد يعمل ما يحسن في عينيه .

وحدث أن غلاماً لاويا من بيت لحم ومن عشيرة يهوذا التقى بميخا فطلب منه ميخا أن يقيم عنده وأن يكون له أباً وكاهناً وعرض عليه ما يغريه من المال والثياب فرضى

---

(١) أفود : كلمة عبرانية لا يعرف معناها على وجه التحقيق وهى تنطبق على ثوب يشبه الصدرة كان يلبسه رئيس الكهنة العبرانى أثناء خدمة الكهنوت ، وكان يصنع من لون الذهب واللون الأزرق والارجوانى والقرمزى ، وكان يثبت على الجسم بواسطة شريطين للكتفين من فوق وحزام من أسفل . و من الواضح أن الأفود كان جميلاً جداً وعظيم القيمة ، وقد أدى استخدام الأفود في . . . . العبادة وفى تبين إرادة الله إلى تقديسها كصنم (قضاة ٨ : ٢٧ / ١٧ : ٥ / ١٨ : ١٤ ، هوشع ٣ : ٤) .

(٢) والترافيم : كلمة عبرية معناها « مسعدات » وقد وردت بدون ترجمة وقد تترجم أصناماً (تكوين ٣١ : ١٩ / ٣٤ / ٣٥ وهى أصنام أو آلهة رب البيت وتكون صغيرة جداً لسهولة حملها في الهروب بسرعة ويمكن اخفاؤها تحت حداجة الجمل (تكوين ٣١ : ١٩ / ٣٠ / ٣٤) ، وأكبر ما في التراقيم يكون على هيئة الآدميين (صموئيل أول ١٩ : ١٣) وكان الناس يعتقدون أنها مجلبة للفأل الحسن وكانت تستشار في كل المقترحات (حزقيال ٢١ : ٢١ ، زكريا ١٠ : ٢٠) وبحسب القانون البابلى كان لمن عنده آلهة الاسرة الحق في أن يرث نصيب البكر وقد استعملها لابان في حاران وسرقت ابنته راحيل الترافيم وحملتها إلى كنعان ولم يكن يعقوب على علم بها.

وقد أشار صموئيل إلى أن التمرد كخطية العرافة والعناد كالوثن والترافيم (صموئيل أول ١٥ : ٢٣) ، ومع ذلك فكان يوجد ـ حسب ما جاء في سفر صموئيل الأول ـ في بيت داود ـ ترافيم لزوجته (١٩ : ١٣) ، ويستفاد من اشارة النبى هوشع إلى حالة اليهود بقوله سيقعدون أياماً كثيرة بلا ملك وبلا رئيس وبلا ذبيحة وبلا تمثال وبلا أفود وبلا ترافيم أن اليهود سيقعون في حالة الكفر التام بحيث لا يفقدون عبادة الله فقط بل كل دين وكل عبادة ، وقد أباد الملك يوشيا كما سنرى الترافيم مع غيرها من الأصنام عند قيامه بحركة التطهير ، ومع ذلك فإنه وجد بين الشعب بعد رجوعه من السبى من يسأل الترافيم (هوشع ٣ : ٤) ملوك ثان ٢٣ : ٢٤ ، زكريا ١٠ : ٢ ، راجع قاموس الكتاب المقدس صـ ٢١٤ ـ ٢١٥ عصام الدين حفنى ناصف : اليهودية في العقيدة والتاريخ صـ ١٢٣ .

اللاوى بالإقامة معه فقال ميخا الآن علمت أن الرب يحسن إلى لأنه صار لى اللاوى كاهنا

ثم حدث أن ارتحل ستمائة من عشيرة الدانيين إلى جبل افرايم وجاءوا إلى بيت ميخا وهجم خمسة منهم على البيت وأخذوا ما فيه من التماثيل والأفود والترافيم فقال لهم الكاهن ماذا تفعلون فقالوا له اخرس ، ضع يدك على فمك واذهب معنا وكن لنا أباً وكاهناً ، أهو خير لك أن تكون كاهناً لبيت رجل وا حد أم أن تكون كاهناً لسبط ولعشيرة فى اسرائيل فطاب قلب الكاهن وأخذ الأفود والترافيم والتمثال المنحوت ودخل فى وسط الشعب ثم انصرفوا ، وأخذ ميخا يصرخ ويقول : آلهتى التى عملت ، ولكنه حين رأى أنهم أشد منه انصرف وعاد إلى بيته .

وأما هم فانهم أخذوا ما صنع ميخا والكاهن الذى كان له وجاءوا إلى لارس وضربوا شعبها بحد السيف وأحرقوا المدينة بالنار ثم بنوها وسكنوا بها ودعوا اسمها دان باسم أبيهم وأقاموا لأنفسهم التمثال المنحوت وظلوا يعبدونه حتى عصر السبى (١) .

هذا ويستشهد كثير من العلماء بقصة ميخا وبيت الالهة الذى أقامه على مدى الإرتداد العقائدى الذى كان سائداً فى عصر القضاة (٢) .

الوثنية فى عصر الانقسام :

ويمثل هذا العصر العصر الثانى للوثنية القومية العامة التى غلبت على سكان المملكتين ، وشاعت بين صفوف اليهود بدءاً من البيت المالك وانتهاء بعامة الشعب .

ونبدأ أولاً بمملكة اسرائيل :

يذكر الدكتور حسن ظاظا أن مملكة اسرائيل الشمالية عاشت حوالى قرنين من الزمان تسيطر عليها أساليب الترف الوثنى والانحلال الأخلاقى (٣) .

فقد صاحب التدهور السياسى لمملكة سليمان وانقسامها تدهور دينى أيضاً ، إذ رأى يربعام (أول ملك أسرائيل) أن انقطاعا سياسياً فقط بين شطرى المملكة لم يكن كافياً للإبقاء على استقلال الشمال فاقتنع بضرورة وجود ركيزة دينية لنظامه الجديد .

---

(١) راجع سفر القضاة : الاصحاحين السابع عشر والثامن عشر .

(٢) راجع صموئيل شولتز : العهد القديم يتكلم صـ ١٥٠ ، قاموس الكتاب المقدس صـ ٣٣٧ ، محمد عزة دروزة : تاريخ بنى اسرائيل من أسفارهم صـ ١٣٠ .

(٣) اسرائيل ركيزة الاستعمار : بحث فى كتاب الصهيونية العالمية واسرائيل صـ ٤٣ الهيئة العامة للكتب والأجهزة العلمية القاهرة ١٩٧١ .

ولكى يواجه نفوذ أورشليم الدينى وحتى يتفادى الإغراء المحتمل حدوفه من معبد سليمان على الإسرائيليين أقام مقدسين جديدين ليهوه فى بيت ايل ودان .

ووضع فيهما صنمين على صورة عجلين من الذهب وطلب إلى الأسباط العشرة عبادتهما وأقام لهما كهنة يؤدون طقوس عبادتهما وجعل نفسه رئيساً لأولئك الكهنة (١) .

ويذكر سفر الملوك الأول أن الرب أرسل إليه من يقول له « وقد ساء عملك أكثر من جميع الذين كانوا قبلك فسرت وعملت لنفسك آلهة أخرى ومسبوكات لتغيظنى وقد اطرحتنى وراء ظهرك (٢) .

وتوعده قائلاً « لذلك هاأنذا جالب شراً على بيت يربعام كل بائل بحائط محجوزاً أو مطلقاً فى إسرائيل وأنزع آخر بيت يربعام كما ينزع البعر حتى يفنى ، من مات ليربعام فى المدينة تأكله الكلاب ومن مات فى الحقل تأكله طيور السماء لأن الرب تكلم (٣) .

هذا وقد أطلق على ما فعله يربعام « خطية يربعام » وأخذت الأسفار تعيب على من خلفه من ملوك اسرائيل باتباع خطية يربعام والسير على طريقها ، وأن هذه الخطية كانت سبب البلاء الذى حاق بمملكة اسرائيل .

يقول سفر الملوك عن ابنه ناداب « وعمل الشر فى عينى الرب وسار فى طريق أبيه وفى خطيته التى جعل بها اسرائيل يخطئ (٤) .

ويقول عن الملك بعشا « وعمل الشر فى عينى الرب وسار فى طريق يربعام وفى

---

(١) ملوك أول ١٢ : ٢٦ ــ ٢٩ راجع تعليقات موسكاتى : الحضارات السامية القديمة صـ ١٤٤ ، زكى شنودة : المجتمع اليهودى صـ ٤٢٩ ، صموئيل شولتز : العهد القديم يتكلم صـ ٢٣١ ، ٢٣٢ ، د / أحمد سوسة : مفصل العرب واليهود فى التاريخ صـ ٦٠٣ ، هوارى : فكرة الألوهية صـ ٣٢٩ ــ ٢٣٣ ناقلاً عن مصادر إنجليزية وعبرية ، ويذكر سفر أخبار الأيام الثانى ان أبيًّا بن ربعام قال للأسباط العشرة : والآن أنتم تقولون انكم تثبتون أمام مملكة الرب بيد بنى داود وأنتم جمهور كثير ومعكم عجول ذهب قد عملها يربعام لكم آلهة أما طردتم كهنة الرب بنى هارون واللاويين وعملتم لأنفسكم كهنة كشعوب الأراضى كل من أتى ليملأ يده بثور ابن بقر وسبعة كباش صار كاهنا للذين ليسوا آلهة (١٣ : ٨ ــ ٩) .

(٢) ملوك أول ١٤ : ٩ .

(٣) ملوك أول ١٤ : ١٠ ــ ١١

(٤) ملوك أول ١٥ : ٢٦ .

خطيته التى جعل بها اسرائيل يخطئ (١) .

وحين ذكر استيلاء عمرى على حكم زمرى وانتحار زمرى علل ذلك بقوله « من أجل خطاياه التى أخطأ بهـا بعمله الشر فى عينى الرب وسيره فى طريق بربعام ومن أجل خطيته التى عمل بجعله اسرائيل يخطئ (٢) .

وقال السفر أيضاً عن عمرى « وعمل عمرى الشر فى عينى الرب وأساء أكثر من جميع الذين قبله وسار فى جميع طريق يربعام بن نباط وفى خطيتـه التى جعل بها اسرائيل يخطئ لاغاظة الرب اله اسرائيل بأباطيلهم (٣) .

وأما اخآب بن عمرى فقد ذكر عنه السفر « أنه عمل الشر فى عينى الرب أكثر من جميع الذين قبله وكأنه كان أمراً زهيداً سلوكه فى خطيئة يربعام حتى اتخذ ايزابيل ابنه اثبعل ملك الصيدونيين امرأة وسار وعبد البعل وسجد له وأقام مذبحاً للبعل فى بيت البعل الذى بناه فى السامرة وعمل آخاب سوارى وزاد أخاب فى العمل لاغاظة الرب اله اسرائيل اكثر من جميع ملوك اسرائيل الذين كانوا قبله (٤) .

وقال عن ابنه اخزيا « وعمل الشر فى عينى الرب وسار فى طريق أبيه وطريق أمه وطريق يربعام بن نباط الذى جعل اسرائيل يخطئ وعبد البعل وسجد له وأغاظ الرب اله اسرائيل حسب كل ما فعله أبوه (٥) .

أما أخوه يهورام فبالرغم من أن السَفر قد ذكر أنه عمل الشر فى عينى الرب ولكن ليس كأبيه وأمه حيث انه أزال تمثال البعل الذى عمله أبوه إلا أنه يذكر أنه لصق بخطايا يربعام بن نباط الذى جعل اسرائيل يخطئ لم يحد عنها (٦) .

أما الملك ياهو الذى أقامه الرب ليقضى على عبادة البعل فقد مدحه كتاب الأسفار من أجل ذلك إلا أنهم قالوا « ولكن خطايا يربعام الذى جعل إسرائيل يخطئ لم يحد ياهو عنها أى عجول الذهب التى فى بيت إيل والتى فى دان ــ ولكن ياهو لم يتحفظ للسلوك فى شريعة الرب إله اسرائيل ، لم يحد عن خطايا بربعام (٧) .

وذكر السفر عن ابنه يهواحاز أنه عمل الشر فى عينى الرب وسار وراء خطايا يربعام بن نباط الذى جعل اسرائيل يخطئ لم يحد عنها (٨) .

---

(١) ملوك أول ١٥ : ٣٤ .

(٢) ملوك أول ١٦ : ١٩ .

(٣) ملوك أول ١٦ : ٢٥ ــ ٢٦ .

(٤) ملوك أول ١٦ : ٣٠ ــ ٣٣ .

(٥) ملوك أول ٢٢ : ٥٢ ــ ٥٣ .

(٦) ملوك ثان ٣ : ٢ ــ ٣ .

(٧) راجع سفر الملوك الثانى ١٠ : ٢٩ ــ ٣١ .

(٨) ملوك ثان ١٣ : ٢ .

وقال أيضاً عن حفيده يهوآش بن يهوآحاز « إنه عمل الشر فى عينى الرب ولم يحد عن جميع خطايا يربعام بن نباط الذى جعل اسرائيل يخطئ بل سار بها (١) .

وقال كذلك عن يربعام بن يهواش « وعمل الشر فى عينى الرب لم يحد عن شئ من خطايا يربعام (٢) .

وعن ابنه زكريا قال إنه « عمل الشر فى عينى الرب كما عمل آباؤه لم يحد عن خطايا يربعام (٣) .

وكذلك قال عن منحيم بن حادى(٤) وعن ابنه فقحيا (٥) وأيضاً عن فقح بن رمليا (٦)

أما عن آخر ملوك اسرائيل فقد ذكر أنه عمل الشر فى عينى الرب ولكن ليس كملوك اسرائيل الذين كانوا قبله (٧) .

وهكذا وجدنا أن سائر ملوك اسرائيل قد توارثوا خطايا يربعام ، واستمروا فى ممارسة الطقوس الوثنية ، حتى إن سفر الملوك الثانى أرجع زوال مملكة إسرائيل وتخريب السامرة وسبى الإسرائيليين إلى أشور أرجع ذلك إلى استغراقهم فى الوثنية وعكوفهم على طقوسها .

يقول السفر : « وكان أن بنى اسرائيل أخطأوا إلى الرب إلههم الذى أصعدهم من أرض مصر من تحت يدى فرعون ملك مصر واتقوا آلهة أخرى ، وسلكوا حسب فرائض الأمم الذين طردهم الرب من أمام بنى اسرائيل وملوك اسرائيل الذين أقاموهم ، وعمل بنو اسرائيل سراً ضد الرب إلههم أموراً ليست بمستقيمة وبنوا لأنفسهم مرتفعات فى جميع مدنهم من برج النواطير إلى المدينة المحصنة ، وأقاموا لأنفسهم أنصاباً وسوارى على كل تل عال وتحت كل شجرة خضراء .

وأوقدوا هناك على جميع المرتفعات مثل الأمم الذين ساقهم الرب من أمامهم وعملوا أمورا قبيحة (٨) لاغاظة الرب ، وعبدوا الأصنام التى قال الرب عنها لا تعملوا هذا الأمر .

وأشهد الرب على اسرائيل عن يد جميع الأنبياء وكل راء قائلاً : ارجعوا عن طرقكم الردية واحفظوا وصاياى فرائض حسب كل الشريعة التى أوصيت بها آباءكم والتى

---

(١) ملوك ثان ١٣ : ١١ — (٢) ملوك ثان ١٤ : ٢٤

(٣) ملوك ثان ١٥ : ٩ — (٤) ١٥ : ١٦

(٥) ١٥ : ٢٤ — (٦) ١٥ : ٢٨ — (٧) ١٧ : ٢

(٨) من هذه الأمور القبيحة ممارسة الزنى واللواط واشاعة الفاحشة وما يعرف بالعهر القدس وتفاصيل ذلك فى الباب الثالث

أرسلتها إليكم عن يد عبيدى الأنبياء ، فلم يسمعوا بل صلبوا أقفيتهم كأقفية آبائهم الذين لم يؤمنوا بالرب الههم ، ورفضوا فرائضه وعهده الذى قطعه مع آبائهم وشهادته التى شهد بها عليهم وساروا وراء الباطل وصاروا باطلاً وراء الأمم الذين حولهم الذين أمرهم الرب أن لا يعملوا مثلهم ، وتركوا جميع وصايا الرب الههم وعملوا لأنفسهم مسبوكات عجلين وعملوا سوارى وسجدوا لجميع جند السماء وعبدوا البعل ، وعبروا بنيهم وبناتهم فى النار (١) وعرفوا عرافة وتفاءلوا وباعو أنفسهم لعمل الشر فى عينى الرب لاغاظته فغضب الرب جداً على اسرائيل ونحاهم من أمامه ولم يبق إلا سبط يهوذا وحده (٢) .

فرذل الرب كل نسل اسرائيل وأذلهم ودفعهم ليد ناهبين حتى طرحهم من أمامه لأنه شق اسرائيل عن بيت داود فملكوا يربعام بن نباط فأبعد يربعام اسرائيل من وراء الرب وجعلهم يخطئون خطية عظيمة ، وسلك بنو اسرائيل فى جميع خطايا يربعام التى عمل ، لم يحيدوا عنها ، حتى نحى الرب اسرائيل من أمامه كما تكلم عن يد جميع عبيده الأنبياء فسبى اسرائيل من أرضه إلى أشور إلى هذا اليوم (٣) .

مملكة يهوذا :

أما مملكة يهوذا فلم تكن بعيدة عن الوثنية وإنما كانت غارقة فيها حيث إنها سارت فى نفس الطريق الذى سلكت فيه اسرائيل .

يذكر موسكاتى أن ملوك يهوذا بالرغم من أنهم ظلوا مخلصين للمعبد الكبير فى أورشليم إلا أنهم غضوا النظر فى بداية الأمر عن عبادة الآلهة الأجنبية فقدر للملكتين معاً أن تشهدا دخول عبادات وطقوس وثنية (٤) .

وأخذت الوثنية تضرب بأطنابها فى أنحاء المملكة جميعاً وتفشى فيها الكفر والفسوق والإنحلال وكان الانحراف الدينى شاملاً شمولاً عجيباً فى معظم حقبها ، حتى كان بيت الرب مملوءاً بالرجاسات والأصنام والمشاهد الوثنية ومسرحاً لإقامة الطقوس الوثنية فضلاً

---

(١) والمقصود بذلك ما يعرف بالتضحية البشرية أو ممارسة القرابين البشرية والتفاصيل فى كتابى القرابين البشرية والذبائح التلمودية عند الوثنيين واليهود ١٤١٠ ـ ١٩٩٠ طنطا .

(٢) يشير السفر فى نفس الموضع إلى أن سكان مملكة يهوذا أيضاً لم يحفظوا وصايا الرب الههم بل سلكوا فى فرائض اسرائيل التى عملوها (ملوك ثان ١٧ : ١٩) .

(٣) ملوك ثان ١٧ : ٧ ـ ١٣ .

(٤) راجع الحضارات السامية القديمة صـ ١٤٤ ـ ١٤٥ ، راجع قاموس الكتاب المقدس صـ ٤٠١ .

عن الأماكن الأخرى وفي كل ناحية من أنحاء الدولة (١) .

يقول سفر الملوك الأول : وعمل يهوذا الشر في عيني الرب وأغاروه أكثر من جميع ما عمل آباؤهم بخطاياهم التي أخطأوا بها وبنوا هم أيضاً لأنفسهم مرتفعات وأنصاباً وسواري على كل تل مرتفع وتحت كل شجرة خضراء ، وكان أيضاً مأبونون في الأرض فعلوا حسب كل أرجاس الأمم الذين طردهم الرب من أمام بني اسرائيل (٢) .

فعلى الرغم من حماسة رحبعام المتقدمة للدين في مستهل حكمه ، إلا أنه قد استسلم أخيراً لقيادة الأوثان (٣) .

ورد في سفر أخبار الأيام الثاني « ولما ثبتت مملكة رحبعام وتشددت ترك شريعة الرب هو وكل اسرائيل معه (٤) .

وذكر السفرانه « عمل الشر لأنه لم يهيئ قلبه لطلب الرب (٥) .

وجاء من بعده ابنه ابيام « وسار في جميع خطايا ابيه التي عملها قبله ولم يكن قلبه كاملاً مع الرب الهه كقلب داود أبيه (٦) .

ثم تولى من بعدهما آسا الذى عمل ما هو مستقيم في عيني الرب كداود أبيه وأزال المأبونين من الأرض (٧) ونزع جميع الأصنام التي عملها آباؤه حتى إن معكة أمه خلعها من أن تكون ملكة لأنها عملت تمثالاً لسارية وقطع آسا تمثالها وأحرقه في وادى قدرون (٨) .

وبرغم هذه الإصلاحات التي تعبر عن شيوع الوثنية في عهد من سبقه ، إلا أن المرتفعات لم تنزع (٩) وظلت قائمة في عهده وهذا يعني أنه لم يستطع القضاء تماماً على المظاهر الوثنية (١٠) .

وكذلك كان ابنه يهوشافاط فانه كما يقول السفر « سار في طريق آسا أبيه لم يحد

---

(١) د / حسن ظاظا : الصهيونية العالمية واسرائيل صـ ٤٦ ، محمد عزة دروزة : تاريخ بني اسرائيل من أسفارهم صـ ٢٣٣ ، حسين ذو الفقار صبرى : إنما الأمور بأصولها صـ ١٧ ـ مجلة المجلة العدد ١٥١ عام ١٩٦٩ .   (٢) ملوك أول ١٤ : ٢٢ ـ ٢٤ .

(٣) راجع تفاصيل ذلك : صموئيل شولتز : العهد القديم يتكلم صـ ٢٤٩

(٤) أخبار الأيام الثاني ١٢ : ١ . (٥) المصدر السابق : ١٢ : ١٤   (٦) ملوك أول ١٥ : ٣ . (٧) ،

(٨) ملوك أول ١٥ : ١١ ـ ١٣   (٩) ملوك أول ١٥ : ١٤ .

(١٠) وخاصة أن سفر الملوك يذكر آن آسا لم يقض تماماً على المأبونين وإنما بقى في أيامه عدد منهم أبادهم من بعده ابنه يهوشافاط (ملوك أول ٢٢ : ٤٦) .

عنها إذ عمل المستقيم فى عينى الرب إلا أن المرتفعات لم تنزع بل كان الشعب لا يزال يذبح ويوقد على المرتفعات (١) .

أما ابنه يهورام فانه سار فى طريق ملوك اسرائيل كما فعل بيت اخآب لأن بنت اخآب كانت له امرأة وعمل الشر فى عينى الرب (٢) .

وقد أرسل إليه ايليا النبى من يقول له « هكذا قال الرب من أجل انك لم تسلك فى طرق يهوشافاط أبيك ، وطرق اسا ملك يهوذا بل سلكت فى طرق ملوك اسرائيل وجعلت يهوذا وأورشليم يزنون كزنا بيت اخآب وقتلت أيضاً اخوتك من بيت أبيك الذين هم أفضل منك ، هوذا يضرب الرب شعبك وبنيك ونساءك وكل مالك ضربة عظيمة واياك بأمراض كثيرة بداء أمعائك حتى تخرج أمعاؤك بسبب المرض يوما فيوما(٣) .

وكذلك كان ابنه اخزيا إذ أنه سار فى طريق بيت اخآب وعمل الشر فى عينى الرب كبيت اخآب لأنه كان صهر بيت اخآب (٤) .

أما يهواش فانه عمل المستقيم فى عينى الرب كل أيام يهوياداع (٥) إلا أن المرتفعات لم تنزع بل كان الشعب لا يزالون يذبحون ويوقدون على المرتفعات (٦) .

ثم حدث بعد أن مات يهوياداع جاء رؤساء يهوذا وسجدوا ليهوآش حينئذ سمع لهم وتركوا بيت الرب اله آبائهم وعبدوا السوارى والأصنام فكان غضب على يهوذا وأورشليم لأجل اثمهم هذا وأرسل اليهم أنبياء لارجاعهم إلى الرب وأشهدوا عليهم فلم يصغوا(٧) .

وبلغ من تمكن الوثنية منهم أن زكريا بن يهو ياداع الكاهن وقف فوقهم وقال لهم هكذا يقول الله لماذا تتعدون وصايا الرب فلا تفلحون لأنكم تركتم الرب قد ترككم ففتنوا عليه ورجموه بحجارة بأمر الملك فى دار بيت الرب ولم يذكر يوآش المعروف

---

(١) ملوك أول ٢٢ : ٤٣ (٢) ملوك ثان ٨ ك ١٨ . (٣) أخبار ثان ٢١ : ١٢ ــ ١٥ .

(٤) ملوك ثان ٨ : ٢٧ ويقول سفر الأخبار « وهو أيضاً سلك فى طريق بيت اخآب لأن أمه كانت تشير عليه بفعل الشر فعمل الشر فى عينى الرب مثل بيت اخآب لأنهم كانوا له مشيرين بعد وفاة أبيه لإبادته « أخبار ثان ٢٢ : ٣ ــ ٤) .

(٥) يهو ياداع هو الكاهن الأكبر الذى تولى القضاء على عبادة البعل التى نشرتها عثليا أم اخزيا وتمكن من إنقاذ يهوآش ثم ولاه الملك تحت حمايته (راجع الفصل الخاص بتاريخ اليهود : عصر الانقسام) .

(٦) ملوك ثان ١٢ : ٢ ــ ٣ ، أخبار ثان ٢٤ : ٢ (٧) أخبار ثان ٢٤ : ١٧ ــ ١٩ .

الذى عمله يهو ياداع أبوه معه بل قتل ابنه (١)

أما أمصيا ابنه فقد عمل ما هو مستقيم فى عينى الرب ولكن ليس بقلب كامل ، عمل حسب كل ما عمل يوآش أبوه الا أن المرتفعات لم تنزع بل كان الشعب لا يزالون يذبحون ويوقدون على المرتفعات (٢)

ويروى سفر الاخبار انه عبد آلهة الادوميين وسجد لهم (٣) .

وكذلك ابنه عزربا عمل ما هو مستقيم فى عينى الرب حسب كل ماعمل أمصيا ابوه ولكن المرتفعات لم تنزع بل كان الشعب لا يزالون يذبحون ويوقدون على المرتفعات ، وضرب الرب الملك فكان أبرص الى يوم وفاته وأقام فى بيت المرض (٤) .

ثم جاء من بعده يوثام وعمل المستقيم فى عينى الرب الا أن المرتفعات . كما تذكر الاسفار أيضا لم تنزع بل كان الشعب لا يزالون يفسدون ويذبحون ويوقدون على المرتفعات (٥) .

أما آحاز ين يوثام فانه لم يفعل المستقيم فى عينى الرب الهه كداود أبيه بل سار فى طريق ملوك اسرائيل حتى انه عبر ابنه فى النار حسب أرجاس الامم الذين طردهم الرب من أمام بنى اسرائيل وذبح وأوقد على المرتفعات وعلى التلال وتحت كل شجرة خضراء (٦).

لكن ابنه حزقيا حينما تولى أزال المرتفعات وكسر التماثيل وقطع السوارى وسحق حية النحاس التى عملها موسى (بزعمهم) لأن بنى اسرائيل كانوا إلى تلك الايام يوقدون لها ودعوها نحشتان .

ويذكر السفر أنه اتكل على الرب اله اسرائيل ولم يكن مثله فى جميع ملوك يهوذا ولافى الذين كانوا قبله التصق بالرب ولم يحد عنه (٧) .

ورغم ذلك فان سفر اخبار الايام الثانى يذكر أن « حزقيا مرض إلى حد الموت وصلى إلى الرب فكلمه وأعطاه علامة ولكن لم يرد حسبما أنعم عليه لأن قلبه ارتفع

---

(١) ملوك ثان ١٢ : ٢٠ ، أخبار ثان ٢٤ : ٢٠ ـ ٢٢ .

(٢) ملوك ثان ١٣ : ٣ ـ ٤ ، أخبار ثان ٢٥ : ٢ .

(٣) أخبار ثان ٢٥ : ١٤ . (٤) ملوك ثان ١٥ : ٣ ـ ٥ .

(٥) ملوك ثان ١٥ : ٣٤ ـ ٣٥ ، أخبار ثان ٢٧ : ٢ .

(٦) ملوك ثان ١٦ : ٢ ـ ٤ ، أخبار ثان ٢٨ : ١ ـ ٤ .

(٧) ملوك ثان ١٨ : ٣ ـ ٦ ، راجع تفاصيل الإصلاح الدينى الذى قام به حزقيا فى سفر الاخبار الثانى (٣١ :: ١ ـ ٢١) .

فكان غضب عليه وعلى يهوذا وأورشليم (١) .

ولكن الإصلاح الذى قام به حزقيا قد ذهب سدى وضاع هباء إذ أن ابنه منسى كما تذكر الاسفار « عمل الشر فى عينى الرب حسب رجاسات الامم الذين طردهم الرب من أمام بنى اسرائيل ، وعاد فبنى المرتفعات التى هدمها حزقيا أبوه ، وأقام مذابح للبعليم وعمل سوارى وسجد لكل جند السماء وعبدها وبنى مذابح فى بيت الرب الذى قال عنه الرب فى أورشليم يكون اسمى إلى الأبد ، وبنى مذابح لكل جند السماء فى دارى بيت الرب ، وعبر ابنه في النار وعاف وتفاءل وسحر واستخدم جانا وتوابع واكثر من عمل الشر فى عينى الرب لاغاظته ، ووضع تمثال السارية التى عمل فى البيت الذى قال الله عنه لداود وسليمان ابنه فى هذا البيت وفى أورشليم التى اخترت من جميع اسباط اسرائيل أضع اسمى إلى الأبد (٢) .

وهكذا وجدنا مدى استغراق منسى فى الوثنية حتى إن العلماء والمؤرخين ليذهبون إلى أن عصر الوثنية الحقيقى فى يهوذا كان متمثلاً فى زمن حكم منسى (٦٩٨ ـ ٦٤٣ ق . م) الذى كان يعد بحق ايزابل مملكة الجنوب بل ربما تمادى فى وثنيته عن ايزابيل .

بل إن الكثيرين يرون أنه بالرغم من أن عصر اخآب وزوجته ايزابل كان سيئاً بما فيه الكفاية إلا أن عصر منسى كان يعتبر أسوأ منه بكثير (٣) .

ومع أن العصرين قد شهدا أعنف الاضطهادات الدموية التى وقعت على عبدة يهوه كما أن كلا من الملكين قد أدخل فى مملكته عنصراً أو أكثر من العبادات الوثنية الأجنبية إلا أن وثنية منسى كانت فريدة في نوعها على نحو يثير التساؤلات .

وأيضاً فإن وثنية منسى لم تكن قاصرة على حدود أورشليم وإنما نشر عبادة الأوثان فى مدن فرعية أيضاً .

وهنا نجد اختلافاً بين وثنية منسى ووثنية اخآب إذ كانت عبادة ايزابل للبعل قاصرة على العاصمة وحدها فلا نجدها خارج السامرة .

كما أن الأسفار لم تذكر عن اخآب أنه خطأ اسرائيل بعبادة البعل فى حين ذكرت عن منسى أنه خطأ يهوذا بأصنامه (٤) .

---

(١) اخبار ثان ٣٢ : ٢٤ ـ ٢٥ .

(٢) ملوك ثان ٢١ : ٢ ـ ٧ ، أخبار ثان ٣٣ : ٢ ـ ٧ .

(٣) سيتبين لنا مدى سوء وثنية اخآب وايزابل الفينيقية فى الباب الثالث عند الحديث عن تأثر الإسرائيليين بعبادة البعل .

(٤) ملوك ثان ٢١ : ١١ ، ١٦ .

والواقع أن العلماء والباحثين يعتبرون منسى لغزاً فى حد ذاته حيث إن وثنيته كانت فريدة بين الوثنيات التى شهدتها عصور غيره من الملوك .

فمن اليسير علينا إدراك الدوافع التى ساعدت على ظهور الانحراف الوثنى فى عصر اخآب حيث كانت ايزابيل الصيدونية هى السبب ، ولكن فيما يتعلق بالملك منسى فان أحدا لم يتمكن بالتحديد من معرفة الظروف الحقيقية التى دفعته إلى هذه الوثنية المتمادية والدوافع التى جعلته أشد المتعصبين لها .

وخاصة أننا حينما نرجع بذاكرتنا إلى العصر الذى ورثه منسى والذى عاش فيه طفولته مهما قيل عن قلة السنوات التى عاشها فى ذلك العصر قبل أن يكون ملكاً .

فانه مما لا شك فيه أن منسى شب فى مدينة أورشليم فى جو حكم فيه حزقيا الذى فعل كل ما هو مستقيم فى عينى الرب « على نحو ما ذكرت آنفا » .

كما أنه عاصر النبى اشعيا الذى ظل نشطاً ـ دون شك ـ إلى ما بعد موت حزقيا .

ومن ثم فان منسى شب فى أحضان عقيدة يهوه وفى جو مناهض لأية وثنية فكيف أصبح هذا الرجل وثنياً ، بل كيف كان بحق ـ فيما يرى البعض ـ الوثنى الحقيقى بين ملوك اسرائيل ويهوذا ؟ (١) .

هذه هى القضية : ان وثنية هذا الشعب لم تكن مجرد خضوع لغزو خارجى وإنما هى طبيعة اليهود المادية وميلهم الشديد إلى الوثنية ، ولو استحضرنا ذلك لزال عنا التعجب من وثنية منسى ، ولتأكد لدينا قوة قابليته للوثنية وسرعة استجابته لها وضعف ايمانه أمام ـ اغراءاتها .

ولا يقدح فى ذلك محاولة تقربه من الأشوريين وإرضائه لغرورهم حيث كانوا يبغون نشر ديانتهم وشيوع وثنيتهم (٢) .

---

(١) راجع موسكاتى : الحضارات السامية القديمة صـ ١٤٦ د / السيد يعقوب بكر : هوامش موسكاتى صـ ٢٨٢ ناقلا عن لودز وروبنسون وغيرهما ، راجع أيضاً محمد على حسن هوارى : الألوهية صـ ٣٩٠ ـ ٣٩٤ ناقلاً عن مصادر عبرية وإنجليزية .

(٢) يذكر المؤرخون أن منسى حاول إرضاء اشور والاستسلام لإرادتها فتقرب إليهم بإدخال كثير من العبادات الوثنية الأجنبية ، ولذلك فهم يرجحون أن مجمع الآلهة الذى أقامه منسى كان يضم معبودات كنعانية وأشورية وأن العناصر الأشورية كانت الغالبة فيه ، وأنها قد دخلت إلى وثنية منسى فرضاً ، وذلك لحرص اشور الدائم على إدخال عناصر من ديانتها فى ديانة البلاد =

ويجب أن لا يغيب أيضاً عن بالنا أن الشعب اليهودى قد تفاعل تماماً مع منسى فى نشر وثنيته فتقبلها بقبول حسن واستغرق فيها استغراقاً طويلاً .

فإذا علمنا أن منسى قد حكم خمساً وخمسين سنة فى أورشليم (١) وأنه لم يقتل بل مات ميتة عادية ، فان ذلك يشير إلى أنه لم يجد مقاومة فعلية من الشعب لسياسته الدينية واقتصرت هذه المعارضة على أقوال الأنبياء .

وانما على العكس من ذلك قد وجد استحساناً لهذه السياسة وقبولا لذلك الاتجاه ــ الوثنى فى أعين دوائر كثيرة من اليهود حيث انهم أورثوا العرش لابنه آمون الذى فاق أباه فى وثنيته (٢) .

ولذلك فإن العلماء يرجحون أن وثنية منسى لم تكن وثنية خاصة بالملك ورجاله فقط بل كانت وثنية استحسنها الشعب فضربت جذورها فيهم (٣) .

ومن المرجح أن يكون ذلك هو السبب الذى أزعج محررى العهد القديم فكرروا ما سجلوه بأن حكم التخريب على أورشليم ووقوع السبى البابلى كان بسبب خطايا منسى (٤) .

ويذكر صموئيل شولتز أن الحالة الاخلاقية والدينية فى يهوذا كانت تفوق سوءاً عن جميع الدول التى طردت من أرض كنعان ، ومن ثم فإن تاريخ منسى يرمز إلى أشر فترة

= التى تحتلها أو تدور فى فلكها (راجع موسكاتى الحضارات السامية القديمة صـ ١٤٦ ، صموئيل شولتز : العهد القديم يتكلم صـ ٢٨٩ ، محمد على حسن هوارى : الألوهية صـ ٥١٥) .

(١) ملوك ثان ٢١ : ١ ، أخبار ثان ٣٣ : ١ .

(٢) ملوك ثان ٢١ : ١٨ ، أخبار ثان ٣٣ : ٢٠ ،، ٢٣ .

(٣) راجع محمد على حسن هرارى : الألوهية صـ ٤٠٨ ــ ٤٠٩ .

(٤) تذكر الأسفار أن اليهود قد أظلهم منسى ليعلموا ما هو أقبح من الأمم الذين طردهم الرب من أمام بنى إسرائيل ، وتكلم الرب عن يد عبيده الأنبياء قائلاً : من أجل منسى ملك يهوذا قد عمل هذه الأرجاس وأساء أكثر من جميع الذى عمله الأموريون الذين قبله وجعل أيضاً يهوذا يخطئ بأصنامه ، لذلك هكذا قال الرب اله إسرائيل ، هاأنذا جالب شراً على أورشليم ويهوذا حتى أن كل من يسمع به تطن أذناه ، وأمد على أورشليم خيط السامرة ومطمار بيت اخآب وأمسح أورشليم كما يمسح واحد الصحن يمسحه ويقلبه على وجهه وأرفض بقية ميراثى وأدفعهم إلى أيدى اعدائهم فيكونون غنيمة ونهباً لجميع أعدائهم (ملوك ثان ٢١ : ٩ ــ ١٤) راجع الملوك الثانى ٢٣ : ٢٦ ــ ٢٧ .

فى تاريخ ملوك داود (١) .

ويذكر الدكتور / محمد بيومى مهران أن منسى كان له شهرة سيئة من الناحية الدينية ذلك لأنه إنما كـان كافـراً بدين « يهوه » متبنيـاً لطقوس سـادته الوثنية ، بمـا فيـها من عـبادة الكواكب والتضحية بالأطفال ، ومن هنا فقـد اعتبرت هذه المرحلة أسوأ وأقسى ردة وثنية فى تاريخ يهـوذا ، وأمـا مـا هو أكـثـر دهشـة فى هذه المرحلة فـان هذه الأهوال انما كـان يمارسها هؤلاء القوم الذين ادعوا انهم عباد يهوه ، إنمـا كانوا يعتقدون أنهم بممارستهم مثل هذه الأعمال ، يصبحون جديرين برعاية رب اسرائيل (٢) .

هذا ولم تنتـه وثنية منسى بمـوته وإنما تولى من بعده ابنه آمـون (٣) الذى تابعـه فى نشر الوثنية .

يذكر سفر الملوك أن آمون (عمل الشـر فى عينى الرب كما عمل منسى أبوه وسلك فى كل الطريق الذى سلك فيـه أبوه وعبد الأصنام التى عبدها أبوه وسـجد لها وترك الرب اله آبائه ولم يسلك فى طريق الرب (٤) .

بل إن سفر الأخبـار يذكر أن آمون ذبح لجميع التماثيل التـى عمل منسى أبوه وعبدها ولم يتواضع أمام الرب بل ازداد إثماً (٥) .

ومعنى ذلك أنه بالغ فى الولع بالوثنية حتى فاق أباه فى نشرها .

ويذكر شـولتز أن فترة حكمـه بالرغم من أنها كانت قصيرة (٦) إلا أن المثـال السيئ الذى وضعه أمام شعب يهوذا خلالها هيـأ الفرصة لحدوث ارتداد رهيب ، وأن عهده يمثل آخر الفترات التى شهدت تصاعداً مخيفاً وبلا حدود فى الوثنية (٧) .

ومما يدل على استـغراق اليهـود فى عصر آمـون فى الوثنية انه حـين ثار عليه عبيده ـــ وقتلوه فى بيـته ضرب كل الشعب ـــ أو شـعب الأرض ـــ جميع الفـاتنين عليه وملكوا ابنه

---

(١) العهد القديم يتلكم صـ ١٨٩ .

(٢) دراسات فى تاريخ الشرق الأدنى القديم جـ ٨ صـ ٩٧٨ نقلا عن مصدر أجنبى .

(٣) جاء فى قـاموس الكتاب المقـدس أنه ربما يظهر من الاسم (آمون) وثنيـة أبيه منسى فى اختـيار اسم وثنى لابنه ، وقد سار آمون على مثال أبيه فى عبادة الأوثان صـ ٧ .

(٤) ملوك ثان ٢١ : ٢٠ ـ ٢٢ .

(٥) أخبار ثان ٣٣ : ٢٢ ـ ٢٣ .

(٦) كانت فترة حكمه سنتين فقط (ملوك ثان ٢١ : ١٩) .

(٧) العهد القديم يتكلم صـ ٢٩١ .

يوشيا عوضاً عنه (١) .

وهذا يعنى شدة ارتياحهم للوثنية ومدى استمتاعهم وتلذذهم بها ، حتى إنهم قد فجعوا بموته وأحسوا أن هناك قلقاً يهدد الوثنية فضربوا على أيدى الثائرين وملكوا من هو من صلب هذا الوثنى حتى تبقى لهم الوثنية .

وحينما تولى يوشيا الملك ترك كل شئ على ما هو عليه حتى تم العثور على سفر الشريعة فى السنة الثامنة عشرة من ملكه كما سبق أن أشرت إلى ذلك فى الفصل السابق .

وبعد قراءة هذا السفر بدأ يوشيا بحركة إصلاح وتطهير ، ويهمنا هنا التعرف على هذه الحركة لتتبين ضخامة الوثنية التى حاول يوشيا القضاء عليها ومدى تغلغلها فى نفوس اليهود وبين صفوفهم .

يذكر سفر الملوك الثانى أن الملك يوشيا أمر حلقيا الكاهن العظيم وكهنة الفرقة الثانية وحراس الباب أن يخرجوا من هيكل الرب جميع الآنية المصنوعة للبعل وللسارية ولكل أجناد السماء وأحرقها خارج أورشليم فى حقول قدرون وحمل رمادها إلى بيت ايل ولاشى كهنة الأصنام الذين جعلهم ملوك يهوذا ليوقدوا على المرتفعات فى مدن يهوذا وما يحيط بأورشليم والذين يوقدون للبعل للشمس والقمر والمنازل ولكل أجناد السماء .

وأخرج السارية من بيت الرب خارج أورشليم إلى وادى قدرون ودقها إلى أن صارت غباراً وذرى الغبار على قبور عامة الشعب .

وهدم بيوت المأبونين التى عند بيت الرب حيث كانت النساء ينسجن بيوتاً للسارية وجاء بجميع الكهنة من مدن يهوذا ونجس المرتفعات حيث كان الكهنة يوقدون من جبع إلى بئر سبع وهدم مرتفعات الأبواب التى عند مدخل باب يشوع رئيس المدينة التى عن اليسار فى باب المدينة ، إلا أن كهنة المرتفعات لم يصعدوا إلى مذبح الرب فى أورشليم بل أكلوا فطيراً بين أخوتهم ، ونجس توفة التى فى وادى بنى هنوم لكى لا يعبر أحد ابنه أو ابنته فى النار لمولك .

وأباد الخيل التى أعطاها ملوك يهوذا للشمس عند مدخل بيت الرب عند مخدع نثملك الخصى الذى فى الأروقة ، ومركبات الشمس أحرقها بالنار ، والمذابح التى على سطح عِلِّية آحاز التى عملها ملوك يهوذا والمذابح التى عملها منسى فى وادى بيت الرب هدمها الملك وركض من هناك وذرى غبارها فى وادى قدرون .

---

(١) ملوك ثان ٢١ : ٢٣ ـ ٢٤ ، أخبار ثان ٣٣ : ٢٤ ـ ٢٥ .

والمرتفعات التى قبالة أورشليم التى عن يمين جبل الهلاك التى بناها سليمان ملك اسرائيل (حسب زعم السفر ، لكن الحقيقة أن الملوك الذين جاءوا من بعده هم الذين بنوها) لعشتورت رجاسة الصيدونيين ولكموش رجاسة الموآبيين ولملكوم كراهة بنى عمون نجسها الملك (أى يوشيا) .

وكسر التماثيل وقطع السوارى وملأ مكانها من عظام الناس .

وكذلك المذبح الذى فى بيت ايل فى المرتفعة التى عملها يربعام بن نباط الذى جعل اسرائيل يخطئ فذانك المذبح والمرتفعة هدمهما وأحرق المرتفعة وسحقها ، حتى صارت غباراً ، وأحرق السارية .

والتفت يوشيا فرأى القبور التى هناك فى الجبل فأرسل وأخذ العظام من القبور وأحرقها على المذبح ونجسه حسب كلام الرب الذى نادى به رجل الله الذى نادى بهذا الكلام ، وقال ما هذه الصورة التى أرى فقال له رجال المدينة هى قبر رجل الله الذى جاء من يهوذا ونادى بهده الأمور التى عملت على مذبح بيت ايل ، فقال دعوه لا يحركن أحد عظامه فتركوا عظامه وعظام النبى الذى جاء من السامرة .

وكذا جميع بيوت المرتفعات التى فى مدن السامرة التى عملها ملوك اسرائيل للاغاظة أزالها يوشيا وعمل بها حسب جميع الأعمال التى عملها فى بيت ا يل .

وذبح جميع كهنة المرتفعات التى هناك على المذابح وأحرق عظام الناس عليها ثم رجع إلى أورشليم (١) .

ولعلنا حين اطلعنا على أخبار هذه الحركة الإصلاحية والتطهيرية لابد أن نستنتج حتماً أن يوشيا قد أزال الوثنية تماماً وتمكن من إبادتها والقضاء عليها وأن الملوك الذين جاءوا بعده سيتبعون نهجه .

إلا أننا نجد ــ كما تذكر الأسفار ــ أن وثنية منسى ظلت قائمة ولم تنته تماماً فى عصر يوشيا حيث يخبرنا ارميا انه دعا الشعب للتوبة وأن لا يسيروا وراء الهة أخرى إلا أن الشعب لم يسمح له .

كذلك فإنه لا يمكننا اغفال تلك الإشارات الواردة فى سفر أرميا والتى نستنتج منها أن شعب اسرائيل عامة ظل على وثنيته فى عصر يوشيا ، وأنه لم يحدث أى تغيير طوال

---

(١) سفر الملوك الثاني ٢٣ : ٤ ــ ٢٠ .

عصر ارميا إذ يصف هذا السفر شعب اسرائيل بصفة عامة بأنه شعب وثنى (١) .

وأيضاً فإن سفر الملوك قد ذكر عقب عرضه لحركة إصلاح يوشيا أن الرب لم يرجع عن حمو غضبه العظيم لأن غضبه حمى على يهوذا من أجل جميع الإغاظات التى أغاظه إياها منسى فقال الرب إنى أنزع يهوذا أيضاً من أمامى كما نزعت اسرائيل وأرفض هذه المدينة التى اخترتها أورشليم والبيت الذى قلت يكون اسمى فيه (٢) .

هذا بالإضافة إلى أن الأسفار تذكر أن الملوك الذين جاءوا بعد يوشيا (يهواحاز ، يهويا قيم ، يهوياكين ، صدقيا) قد عملوا الشر فى عينى الرب حسب كل ما عمله آباؤهم وأن الرب قد غضب على شعب يهوذا لخيانته ولذلك فانه مكن البابليين من تدمير أورشليم وسبى اليهود إلى بابل (٣) .

وهكذا وجدنا أن كثيراً من ملوك اسرائيل وملوك يهوذا قد ارتكبوا كل ألوان العسف والعنف والظلم والاغتصاب والدعارة والفجور ضد رعاياهم وتزوجوا من الوثنيات وعبدوا الآلهة الوثنية .

وكانت فترات البغى والقسوة والانحراف أطول من فترات الإستقامة والصلاح .

وكان عدد الملوك المنحرفين أكثر بكثيرمن الملوك المستقيمين ، بل إن من المستقيمين من سجلت عليهم الأسفار بعض الإنحرافات وإن لم تكن خطيرة كانحرافات الأولين(٤) .

حتى إن أنبياء العهد القديم قد نظروا إلى الملكية نظرة ملؤها الريبة والشبهات ، وذلك لأن الملكيات فى البلدان المجاورة كانت تجنح دائماً إلى آلهة كثيرة تثبت دعائم

(١) راجع تفاصيل عودة الشعب إلى الوثنية بعد يوشيا سفر ارميا ٣ : ٦ ـ ١٠ / ٤ : ٣ ـ ٤ / ١١ : ١ : ٨ / ٢٥ : ١ ـ ٧ ، صموئيل شولتز : العهد القديم يتكلم صـ ٢٩٨ ـ ٣٠٠ ، محمد على حسن هوارى : الألوهية صـ ٤٠٥ ـ ٤٠٧ ناقلاً عن مصادر عبرية وإنجليزية .

(٢) ملوك ثان ٢٣ : ٢٦ ـ ٢٧ .

(٣) ملوك ثان ٢٣ : ٣٢ ، ٣٧ / ٢٤ : ٩ ، ١٩ ـ ٢٠ ، أخبار ثان ٣٦ : ٥ ، ٨ ، ٩ ، ١٢ ، ويذكر سفر الأخبار الثانى أن جميع رؤساء الكهنة والشعب أكثروا الخيانة حسب كل رجاسات الأمم ونجسوا بيت الرب الذى قدسه فى أورشليم فأرسل الرب إليهم رسلاً فأخذوا يهزأون بهم ورذلوا كلام الرب وتهاونوا بانبيائه حتى ثار غضب الرب على شعبه حتى لم يكن شفاء فأصعد عليهم ملك الكلدانيين فقتل مختاريهم بالسيف فى بيت مقدسهم ولم يشفق على فتى أو عذراء ولا على شيخ أو أشيب بل دفع الجميع ليده (٣٦ : ١٤ ـ ١٧) .

(٤) راجع زكى شنودة : المجتمع اليهودى صـ ٤٢٩ ـ ٤٣٠ ، محمد عزة دروزة : تاريخ بنى إسرائيل من أسفارهم صـ ٢٣٣ ، د / أحمد سوسة : مفصل العرب واليهود فى التاريخ صـ ٦١١ .

عروشها ، ولأنهم وجدوا أن الشعب اليهودى قد استورد آلهة غربية باغراء الملكات والاميرات الأجنبيات حتى لقد قيل إن الملكية كانت تحدياً ليهوه واعتداء صارخاً على العهد (١) .

وإذا أخذنا بالمثل القائل ان الناس على دين ملوكهم اتضح لنا مدى انسياق اليهود فى المملكتين إلى الوثنية وشدة استغراقهم فى ممارسة طقوسها ، إذ كانوا يتشبهون بهم مع ما كان لديهم من استعداد تام لتقبل هذه الوثنية .

الأنبياء ومكافحة الوثنية :

هذا ونستطيع أن نطلع على مزيد من النصوص التى توضح لنا تعمق الشعب اليهودى واستغراقه فى الوثنية وذلك من خلال قراءة أسفار الأنبياء ومن خلال دعواتهم :

كما تبين لنا من خلال الفصول السابقة أنه قدر لتاريخ اليهود السياسى حتى النفى إلى بابل ، أن تلازمه دون فكاك دعوة الأنبياء إذ تابعوا تقلباته جميعاً ، ونددوا دائماً بسياسة الحكام وكانوا يدعون إلى نقاء القلب وتواضعه واستقامة السلوك والاخلاص للعهد المعقود مع الله ، ويفسرون مصائب الدولة اليوم أو غداً ـ كما يتنبأون ـ بأنها نتيجة لانحراف الناس عن الولاء لله بعد أن أضلهم الحكام ، وكان يميز دعوتهم العداء للتطور السياسى الدينى الذى شهده عصر الملكية ، وأدى إلى تلويث دين يهوه القديم وفساده فنددوا ـ بالبدع الوثنية وبذلك عارضوا السلطة الملكية معارضة صريحة ورأوا فى الملكية بدعة منكرة ونظاماً منقولاً عن العالم الخارجى المعادى لإسرائيل (٢) .

ويذكر جرهاردوس فوس أن سواد الشعب كانوا يعيشون فى مستوى منحط دينياً وأن دعوة الأنبياء كانت على الدوام فى حرب شعواء ضد اتجاهات الشعب الوثنية (٣) .

وقد ظهرت طليعة الأنبياء الكبار فى مملكة اسرائيل فى القرن التاسع ق . م . حين قام فيها الياهو (٤) واليشاع (٥) ، وإليهما يرجع رد الفعل ضد وثنية اخآب (حوالى ٧٨٦ ـ

---

(١) حبيب سعيد : أديان العالم صـ ١٨١ ـ ١٨٢ . (٢) موسكاتى : الحضارات السامية صـ ١٤٥ ، شاهين مكاريوس : تاريخ الإسرائيليين صـ ٣١ قاموس الكتاب المقدس صـ ٧١ .

(٣) علم اللاهوت الكتابى صـ ٤٣٧ ترجمة د / عزت زكى دار الثقافة القاهرة الطبعة الأولى ١٩٨٢ .

(٤) ايلياهو أو ايليا اسم عبرى ومعناه « الهى يهوه » والصيغة اليونانية لهذا الاسم هى الياس وتستعمل أحياناً فى العربية وهو نبى عظيم عاش فى المملكة الشمالية وعاصر الملك اخآب وزوجته ايزابل وقام بمحاربتهما ومحاربة عبادة البعل (راجع تفاصيل الحديث عنه فى قاموس الكتاب المقدس صـ ١٤٤ ، ١٤٥ .

(٥) أليشع اسم عبرانى معناه « الله خلاص » وهو خليفة ايليا فى العمل النبوى فى المملكة الشمالية (راجع تفاصيل الحديث فى المصدر السابق صـ ١١١ ـ ١١٢ .

٨٥٤ ق . م .) والقضاء فى عهد ياهو (حوالى ٨٤٢ ـ ٨١٥ ق . م .) على صور العبادة الوثنية إلا أنه لم تكن لهذا الإصلاح نتائج باقية ، إذ أن الانحرافات القديمة لم تلبث أن عادت إلى الظهور وتدلنا الكشوف الأثرية على كثرة الأشجار المقدسة من النمط الكنعاني ومذابح البخور والتماثيل الصغيرة للآلهات والتمائم (١) .

وقد تعاقب أنبياء جدد فى منتصف القرن الثامن ق . م . : عاموس ، وهوشع ، وميكا (ميخا) .

وإذا كانت دعوة الياهو واليشع بالعمل أكثر منها بالقول فلم يخلف لنا أسفاراً مكتوبة تعبر عن دعوتهما ، فإن هؤلاء الأنبياء كانوا ينذرون الناس وينصحونهم بمواعظ وصلت إلينا فى تلك الأسفار من العهد القديم التى تحمل أسماءهم (٢) .

ولقد احتوت هذه الأسفار العديدة المنسوبة إليهم وإلى أنبياء آخرين عاشوا فى أيام بعض ملوك يهوذا واسرائيل ـ تنديدات وتقريعات وتنبوءات ورؤى متنوعة يبرز من خلالها صور قوية لما كانت عليه الدولتان من انحرافات خلقية ودينية واجتماعية وما قاساه أهلهما من بلاء شديد علل بأنه كان نتيجة لهذه الإنحرافات (٣) .

ومن هذه الأسفار يمكن أن نتخير سفرين هما سفر ارميا وسفر حزقيال :

سفر ارميا والوثنية الإسرائيلية :

فمثلاً فى سفر ارميا نجد أن أرميا يدعو الشعب إلى حفظ وصايا العهد ولكنهم يجيبونه بإباحة الوثنية .

فقد اكتسحت الوثنية الأرض المقدسة فى أيام أرميا على شكل عبادة آلهة عديدة ، ولم تكتف بذلك بل اكتسحت آداب الشعب المختار ! ! فصاروا يعيشون على غرار جيرانهم الوثنيين وصارت أماكن العبادة العالية حتى باحات الهيكل ذاته تشهد كل أنواع الفساد والرجاسة والفجور مما أتت به عبادة الأوثان .

هذا الانحطاط الذى منيت به الآداب الأخلاقية بلغ درجة أصبحت فيها السرقة والقتل والزنا والجحود أموراً عادية مما حدا بالنبى على أن يشن عليها أشد حملاته ، فلقد ذعر لما رأى من ترك سكان أورشليم من كبيرهم إلى صغيرهم أبسط شرائع العهد ووصاياه وكانت حالة الارتداد التى وصلت إليها اسرائيل فى عهد ارميا مرعبة ومخيفة(٤)

---

(١) موسكاتي : الحضارات السامية القديمة صـ ١٤٥ .

(٢) المصدر السابق . (٣) محمد عزة دروزة تاريخ بنى إسرائيل من أسفارهم صـ ٢٣٤ .

(٤) راجع الأب ديلى : تاريخ شعب العهد القديم صـ ٢٨٣ ، صموئيل شولتز : العهد القديم يتكلم صـ ٤٥٠ ـ ٤٥١ .

ذلك لأن تأثير النهضة الروحية التى قام بها حزقيا واشعيا التى استطاعت أن تصد تيار التسفل والانحطاط وقتياً لكنه سرعان مـا زال وعبر ـ بل إن الإصلاحات العظيمة التى قام بها يوشيا والتى أثرت فى الشعب فى مظاهرهم أكثر مما أثرت فى قلوبهم لم تفلح فى أن تحول دون القصاص المحتوم .

إذ أن مملكة يهوذا لم تتعظ مما حل بأختها مملكة اسرائيل بل إنها سرعان ما انحدرت إلى نفس الطريق لكى يقضى عليها بنفس القصاص ، فالملك والحاشية والرؤساء والشعب ـ والأنبياء والكهنة سرت إليهم عدوى الرذائل التى لأجلها طرد الكنعانيون من أرض الموعد من عدة أجيال .

فقد حفل كل جبل بغابة كثيفة من الأشجار الخضراء التى مارس الشعب تحت ظلالها الفرائض الوثنية البغيضة وعبادة الطبيعة القبيحة ، وامتلأت كل أرجاء البلاد بالهياكل التى شيدت لعبادة البعل وعشتاروت وكل جند السماء كما امتلأت بالأوثان الداعرة .

وكـان كهنة هذه العبادات الرجسة يغدون ويروحون فى المدن بملابسهم القاتمة يعلمون الشعب أن الرذيلة جزء من العبادة وكانوا يغشون البيوت المكرسة للدعارة ، وتفشت كل أنواع الشرور دون مقاومة وازداد الجو فساداً والأرض رجساً بسبب انتشار السرقة والقتل والزنى والعبادة الوثنية (١) .

وها هى بعض نصوص هذا السفر تصور باعتراف اليهود أنفسهم استغراقهم فى الوثنية .

ورد فى الإصحاح الثانى أن الرب أوصاه أن يقول « اسمعوا كلمة الرب يابيت يعقوب وكل عشائر بيت اسرائيل . هكذا قال الرب ماذا وجد فىّ آباؤكم من جور حتى ابتعدوا عنى وساروا وراء الباطل وصاروا باطلا ، ولم يقولوا أين هو الرب الذى أصعدنا من أرض مصر الذى سار بنا فى البرية فى أرض قفر وحفر فى أرض يبوسة وظل الموت فى أرض لم يعبرها رجل ولم يسكنها إنسان وأتيت بكم إلى أرض بساتين لتأكلوا ثمرها وخيرها فأتيتم ونجستم أرضى وجعلتم ميراثى رجسا ، الكهنة لم يقولوا أين هو الرب وأهل الشريعة لم يعرفوننى والرعاة عصوا على والأنبياء تنبأوا ببعل وذهبوا وراء ما لا ينفع (٢) .

فهو يبين انحراف اليهود وجنوحهم إلى الوثنية منذ أن خرجوا من مصر وحينما

---

(١) راجع سفر ارميا ٢ : ٢٠ ، ٢٧ ، ٣٤ / ٥ : ٧ ـ ٨ ، ٢٦ ، راجع د / ماير : حياة ارميا صـ ١٥ ـ ١٦ .

(٢) ارميا ٢ : ٤ ـ ٨ .

قدموا إلى أرض كنعان وظلت الوثنية ملازمة لهم ويفسر هذا بتفصيل أكثر فيقول :

« لأنه منذ القديم كسرت نيرك وقطعت قيودك وقلت لا أتعبد ، لأنك على كل أكمة عالية وتحت كل شجرة خضراء أنت اضطجعت زانية ، وأنا قد غرستك كرمة سورق زرع حق كلها فكيف تحولت لى سروغ جفنة غريبة ، فانك وإن اغتسلت بنطرون وأكثرت لنفسك الاشنان فقد نقش اثمك امامي يقول السيد الرب ، كيف تقولين لم أتنجس وراء بعليم لم أذهب ، انظرى طريقك في الوادى ، اعرفى ما عملت ياناقة خفيفة ضبعة فى طريقها ، ياأتان الفرا قد تعودت البرية فى شهور نفسها تستنشق الريح ، عند ضبعها من يردها كل طالبيها لا يعيون ، فى شهرها يجدونها ، احفظى رجلك من الحفا وحلقك من الظمأ فقلت باطل . لا . لأنى أحببت الغرباء ووراءهم أذهب ، كخزى السارق إذا وجد هكذا خزى بيت اسرائيل هم وملوكهم ورؤساؤهم وكهنتهم وأنبياؤهم قائلين للعود أنت ابى وللحجر أنت ولدتنى .

لأنهم حولوا نحوى القفا لا الوجه وفى وقت بليتهم يقولون قم وخلصنا ، فأين آلهتك التى صنعت لنفسك ، فليقوموا ان كانوا يخلصونك فى وقت بليتك لأنه على عدد مدنك صارت آلهتك يا يهوذا (١) .

ثم يذكر ارميا فى الاصحاح الثالث أن الرب قال له « فى أيام يوشيا الملك ، هل رأيت ما فعلت العاصية اسرئيل (٢) انطلقت إلى جبل عال والى كل شجرة خضراء وزنت هناك ،فقلت بعدما فعلت كل هذه ارجعى إلى فلم ترجع ، فرأت أختها الخائنة يهوذا فرأيت انه لأجل كل الأسباب اذ زنت العاصية اسرائيل فطلقتها وأعطيتها كتاب طلاقها لم تخف الخائنة يهوذا أختها بل مضت وزنت هى أيضا ، وكان من هوان زناها أنها نجست الأرض وزنت مع الحجر ومع الشجر.

وفى كل هذا أيضا لم ترجع إلى اختها الخائنة يهوذا بكل قلبها بل بالكذب يقول الرب فقال الرب لى قد بررت نفسها العاصية اسرائيل اكثر من الخائنة يهوذا ، اذهب وناد

---

(١) سفر ارميا ٢ : ٢٠ ــ ٣٠ .

(٢) لقد أطلق السفر على لسان الرب لقب العاصية على اسرائيل ولقب الخائنة على يهوذا بعد أن مثلهما وبعد أن ضرب هذا المثل فى بداية الاصحاح الثالث « إذا طلق رجل امرأته فانطلقت من عنده وصارت لرجل اخر فهل يرجع اليها بعد ، الا تتنجس تلك الأرض نجاسة أما أنت فقد زنيت بأصحاب كثيرين ، لكن ارجعى إلى يقول الرب ، ارفعى عينيك إلى الهضاب وانظرى اين لم تضاجعى فى الطرقات جلست لهم كأعرابى فى البرية ونجست الأرض بزناك وبشرك ، وجبهة امرأة زانية كانت لك أبيت أن تخجلى » ارميا ٣ : ١ ــ ٣ .

بهذه الكلمات نحو الشمال وقل ارجعى أيتها العاصية اسرائيل يقول الرب ، اعرفى فقط اثمك أنك إلى الرب الهلك اذنبت وفرقت طرقك للغرباء تحت كل شجرة خضراء ولصوتى لم تسمعوا يقول الرب (١) .

ثم يقول :

« حقاً انه كما تخون المرأة قرينها هكذا خنتمونى يابيت اسرائيل يقول الرب .
سمع صوت على الهضاب بكاء تضرعات بنى اسرائيل ، لأنهم عوجوا طريقهم ، نسوا الرب الههم ارجعوا أيها البنون العصاة فأشفى عصيانكم (٢) .

ثم يطلب منهم أن يجيئوا اليه ويعترفوا له « وقد أكل الخزى تعب آبائنا منذ صبانا غنمهم وبقرهم بنيهم وبناتهم، نضطجع فى خزينا ويغطينا خجلنا لأننا إلى الرب الهنا أخطأنا نحن وآباؤنا صبانا إلى هذا اليوم ولم نسمع لصوت الرب الهنا » (٣) .

ويصور ارميا حالة اليهود بقوله « وصار لهذا الشعب قلب عاص ومتمرد ، عصوا ومضوا ، ولم يقولوا بقلوبهم لنخف الرب الهنا (٤) .

« اسمع أيها الشعب الجاهل والعديم الفهم الذين لهم أعين ولا يبصرون ، لهم اذان ولا يسمعون و إياى لا تخشون » (٥) .

« لأنه وجد فى شعبى أشرار يرصدون كَمُنْحَنٍ من القانصين ينصبون أشراكا يمسكون الناس ، مثل قفص ملآن طيوراً هكذا بيوتهم ملآنة مكراً ، من أجل ذلك عظموا واستغنوا سمنوا لمعوا ، أيضا تجاوزوا فى أمور الشر» (٦) .

« وكل بيت اسرائيل غلف القلوب » (٧) .

ثم يخاطب الرب اورشليم بقوله « اغسلى من الشر قلبك يا أورشليم لكى تخلصى ،إلى متى تبيت فى وسطك أفكارك الباطلة » (٨) .

ويصف الوثنية المنتشرة فيها وفى مدن يهوذا بقوله :

« أما ترى ماذا يعملون فى مدن يهوذا وفى شوارع أورشليم الأبناء يلتقطون حطباً والآباء يوقدون النار والنساء يعجن العجين ليصنعن كعكاً لملكة السماوات ، ولسكب سكائب لآلهة اخرى لكى يغيظونى ، أفاياى يغيظون يقول الرب ، أليس أنفسهم لأجل خزى وجوههم » (٩) .

---

(١) ارميا ٣ : ٦ ـ ١٣ . (٢) ارميا ٣ : ٢٠ ـ ٢٢ . (٣) ارميا ٣ : ٢٤ ـ ٢٥ .
(٤) ارميا ٥ : ٢٣ . (٥) ارميا ٥ : ٢١ ـ ٢٢ . (٦) ارميا ٥ : ٢٦ـ ٢٨ .
(٧) ارميا ٩ : ٢٦ . (٨) ارميا ٤ : ١٤ . (٩) ارميا ٧ : ١٧ ـ ١٩ .

ويبين أن الشعب قد ارتد ارتداداً دائماً يقول :

« هكذا قال الرب ، هل يسقطون ولا يقومون أو يرتد أحد ولا يرجع ، فلماذا ارتد هذا الشعب فى أورشليم ارتداداً دائماً تمسكوا بالمكر ، أبوا أن يرجعوا ، صغيت وسمعت ، بغير المستقيم يكلمون ، ليس أحد يتوب عن شره قائلاً ماذا عملت (١) .

وتوعد الرب أورشليم ويهددها بكشف وثنيتها بقوله :

« فأنا أيضاً ارفع ذيليك على وجهك فيرى خزيك ، فسقك وصهيلك ورذالة زناك على الآكام فى الحقل قد رأيت مكرهاتك ، ويل لك يا أورشليم لا تطهرين ، حتى متى بعد » (٢) .

ويصف السفر حالة الانحراف العامة التى شملت الأنبياء الكذبة والكهنة بقوله على لسان ارميا :

« فى الأنبياء ـ انسحق قلبى فى وسطى ارتخت كل عظامى ، صرت كانسان سكران ومثل رجل غلبته الخمرة من أجل الرب ومن أجل كلام قدسه ، لأن الأرض امتلأت من الفاسقين ، لأنه من أجل اللعن ناحت الأرض جفت مراعى البرية وصار سعيهم للشر وجبروتهم للباطل ، لأن الأنبياء والكهنة تنجسوا جميعاً بل فى بيتى وجدت شرهم يقول الرب .

لذلك يكون طريقهم لهم كمزالق فى ظلام دامس فيطردون ويسقطون فيها لأنى أجلب عليهم شرا سنة عقابهم يقول الرب .

وقد رأيت فى أنبياء السامرة حماقة ، تنبأوا بالبعل وأضلوا شعبى اسرائيل ، وفى أنبياء أورشليم رأيت ما يقشعر منه ، يفسقون ويسلكون بالكذب ويشددون أيادى فاعلى الشر حتى ـ لا يرجعوا الواحد عن شره ، صاروا لي كلهم كسدوم وسكانها كعمورة (٣) .

ويقول « لأنه من عند أنبياء أورشليم خرج نفاق فى كل الأرض » (٤) .

ويصف ارميا تغلغل الوثنية فى قلوب اليهود جميعاً منذ نشأتهم بقوله : « لأن بنى اسرائيل وبنى يهوذا انما صنعوا الشر فى عينى منذ صباهم ، لأن بنى اسرائيل بعمل ايديهم يقول الرب ، لأن هذه المدينة قد صارت لى لغضبى ولغيظى من اليوم الذى فيه بنوها إلى هذا اليوم لأنزعها من أمام وجهى ، من أجل كل شر بنى اسرائيل وبنى يهوذا الذى عملوه ليغيظونى به هم وملوكهم ورؤساؤهم وكهنتهم وأنبياؤهم ورجال يهوذا وسكان أورشليم

---

(١) ارميا : ٤ ـ ٦ .　　(٢) ارميا ١٣ : ٢٦ ـ ٢٧ .

(٣) ارميا : ٢٣ : ٩ ـ ١٤ .　　(٤) ارميا ٢٣ : ١٥ .

، وقد حولوا لى القفا لا الوجه وقد علمتهم مبكراً ومعلماً ولكنهم لم يسمعوا ليقبلوا أدبا بل وضعوا مكرهاتهم فى البيت الذى دعى باسمى لينجسوه » (١) .

ولعل أبلغ ما ورد فى سفر ارميا للتدليل على الاتجاه الوثنى لدى بنى اسرائيل ماذكره ارميا فى الاصحاح الرابع والأربعين عن اليهود الذين نزحوا إلى أرض مصر عقب سقوط يهوذا وتدمير اورشليم عام ٥٨٦ ق .م وكيف أنهم أصروا على وثنيتهم ورفضوا نصائح أرميا وبينوا له أن حالهم مع الوثنية أفضل وأنفع لهم يقول الاصحاح :

« الكلمة التى صارت إلى ارميا من جهة كل اليهود الساكنين فى أرض مصر .. هكذا قال الرب « أنتم رأيتم كل الشر الذى جلبته على اورشليم وعلى كل مدن يهوذا فها هى خربة هذا اليوم وليس فيها ساكن من أجل شرهم الذى فعلوه ليغيظونى اذ ذهبوا ليبخروا ، ويعبدوا آلهة أخرى لم يعرفوها هم ولا أنتم ولا آباؤكم »

فأرسلت اليكم كل عبيدى الأنبياء مبكرا ومرسلاً قائلا لا تفعلوا أمر هذا الرجس الذى أبغضه ، فلم يسعوا ولا أمالوا أذنهم ليرجعوا عن شرهم فلا يبخروا لآلهة أخرى فانسكب غيظى وغضبى واشتعلا فى مدن يهوذا وفى شوارع اورشليم فصارت خربة مقفرة كهذا اليوم (٢) .

ويوجه حديثه إلى يهود مصر قائلا :

« فالآن هكذا قال الرب » لماذا أنتم فاعلون شراً عظيماً ضد أنفسكم لا نقراضكم رجالاً ونساء أطفالاً ورضعاً من وسط يهوذا ، ولا تبقى لكم بقية ، لإ غاظتى بأعمال ايديكم إذ تبخرون لآلهة أخرى فى أرض مصر التى أتيتم اليها لتتغربوا فيها لكى تنقرضوا ولكى تصيروا لعنة وعاراً بين كل أمم الأرض .

هل نسيتم شرور آبائكم وشرور ملوك يهوذا وشرور نسائهم وشروركم وشرور نسائكم التى فعلت فى أرض يهوذاً وفى شوارع أورشليم ، لم يذلوا إلى هذا اليوم ولا خافوا ولاسلكوا فى شريعتى وفرائضى التى جعلتها امامكم وأمام ابائكم (٣) .

لذلك هكذا قال الرب الجنود اله اسرائيل ها أنذا أجعل وجهى عليكم للشرولأقرض كل يهوذا وآخذ بقية يهوذا الذين جعلوا وجوههم للدخول إلى أرض مصر ليتغربوا هناك فيفنون كلهم فى أرض مصر ، يسقطون بالسيف وبالجوع يفنون من الصغير إلى الكبير بالسيف والجوع يموتون ويصيرون حلفاً ودهشاً ولعنة وعاراً .

وأعاقب الذين يسكنون فى أرض مصر كما عاقبت أورشليم بالسيف والجوع

---

(١) ارميا ٣٢ : ٣٠ - ٣٤ . (٢) ارميا ٤٤ : ١ - ٦ . (٣) ارميا ٤٤ : ٧ - ١٠ .

والوباء ولا يكون ناج ولا باق لبقية يهوذا الآتين ليتغربوا هناك فى أرض مصر (١) .

وأمام هذه النصائح وهذه التهديدات نجد أن اليهود قد عكفوا على وثنيتهم وصمموا على المضى فيها والتمسك بها متحدين ارميا ورب ارميا معلنين له أن الخير كل الخير فى هذه الوثينة .

« فأجاب أرميا كل الرجال الذين عرفوا أن نساءهم يبُخَرُّوْن لآلهة أخرى وكل النساء الواقفات محفل كبير وكل الشعب الساكن فى أرض مصر .. قائلين :

« اننا لانسمع لك الكلمة التى كلمتنا بها باسم الرب ، بل سنعمل كل أمر خرج من فمنا فنبخر لملكة السماوات ونسكب لها سكائب كما فعلنا نحن وأباؤنا وملوكنا ورؤساؤنا فى أرض يهوذا وفى شوارع أورشليم فشبعنا خبزاً وكنا بخير ولم نرشراً .

ولكن من حين كففنا عن التبخير لملكة السماوات ونسكب لها سكائب فهل بدون رجالنا كنا نصنع لها كعكالنعبدها ونسكب لها السكائب » (٢) .

وهكذا وبرغم ما وقع لليهود من سبى وتشريد وما جرى عليهم من تخريب وتدمير ظلوا ــ موالين للوثنية مدافعين عنها معتقدين أنها الحق وأنها مجلبة للخير والسعادة وأن مجرد تركها أو البعد عنها يعنى الشر ومجلبة الشر .

سفر حزقيال والوثنية الإسرائيلية ;

أما سفر حزقيال فانه يذكر أن الرب أرسل حزقيال وقال له مبيناً طبيعة بنى اسرائيل المادية :

« أنا مرسلك إلى بنى اسرائيل إلى أمة متمردة قد تمردت على هم وآباؤهم عصوا على إلى ذات هذا اليوم ، والبنون القساة الوجوه و الصلاب القلوب أنا مرسلك اليهم » (٣) .

« فقال لى « اذهب امض إلى بيت اسرائيل وكلمهم بكلامى ، لأنك غير مرسل إلى شعب غامض اللغة وثقيل اللسان بل إلى بيت اسرائيل ، لا إلى شعوب كثيرة غامضة اللغة وثقيلة اللسان لست تفهم كلامهم .

فلو أرسلتك إلى هؤلاء لسمعوا لك ، لكن بيت اسرائيل لا يشاء أن يسمع لك لأنهم لا يشاؤن أن يسمعوا لى ، لأن كل بيت اسرائيل صلاب الجباه وقساة القلوب ، ها أنذا قد جعلت وجهك صلباً مثل وجوههم وجبهتك صلبة مثل جباههم ، قد جعلت جبهتك كالماس أصلب من الصوّان فلا تخفهم ولاترتعب من وجوههم لأنهم بيت متمرد » (٤).

---

(١)ارميا ٤٤ : ١١ - ١٤ .

(٢) ارميا ٤٤ : ١٥ ــ ١ راجع رد ارميا على اجابتهم فى نفس الاصحاح ٢٠ ــ ٣٠ .

(٣) حزقيال ٢ : ٣ ــ ٤ . (٤) حزقيال ٣ : ٤ــ ٩ .

ثم يتحدث السفر عن وثنية أورشليم وانحراف أهلها بقوله :

« هذه أورشليم فى وسط الشعوب قد أقمتها وحواليها الأراضى فخالفت احكامى بأشر من الأمم وفرائضى بأشر من الأراضى التى حواليها ، لأن احكامى رفضوها وفرائضى لم يسلكوا فيها ، لأجل ذلك هكذا قال السيد الرب ، من أجل أنكم ضججتم اكثر من الأمم التى حواليكم ولم تسلكوا فى فرائضى ولم تعملوا حسب أحكامى (١) .

من أجل ذلك .. أجعلك خراباً وعاراً بين الأمم التى حواليك أمام عينى كل عابر فتكونين عاراً ولعنة وتأديباً ودهشاً اكثر من التى حواليك » (٢) .

ثم يذكر السفر أن الرب قد اطلع حزقيال على المظاهر الوثنية فى بيت أورشليم ومن هذه المظاهر كما يقول :

« فرفعت عينى نحو طريق الشمال واذا من شمالى باب المذبح تمثال الغيرة هذا فى المدخل وقال لى يا ابن ادم هل رأيت ماهم عاملون ، الرجاسات العظيمة التى بيت اسرائيل عاملها هنا لابعادى عن مقدسى ، وبعد تعود تنظر رجاسات أعظم ، ثم جاء بى إلى باب ـ الدار فنظرت واذا ثقب فى الحائط ثم قال لى يا ابن آدم انقب فى الحائط فنقبت فى الحائط فاذا باب وقال لى ادخل وانظر الرجاسات الشريرة التى هم عاملوها هنا .

فدخلت ونظرت وإذا كل شكل دبابات وحيوان نجس وكل أصنام بيت اسرائيل مرسومة على الحائط على دائره ، و وواقف قدامها سبعون رجلاً من شيوخ بيت اسرائيل ويازنيا بن شافان قائم فى وسطهم وكل واحد مجمرته فى يده وعطر عنان البخور صاعد ثم قال أرأيت يا ابن آدم ـ ما تفعله شيوخ بيت اسرائيل فى الظلام كل واحد فى مخادع تصاويره ، لأنهم يقولون الرب لا يرانا الرب قد ترك الأرض » (٣) .

وقال لى بعد تعود تنظر رجاسات أعظم هم عاملوها ، فجاءبى إلى مدخل بيت الرب ـ الذى من جهة الشمال واذا هناك نسوة جالسات يبكين على تمور (٤) ، فقال لى أرأيت هذا يا ابن آدم بعد تعود تنظر رجاسات أعظم من هذه ، فجاء بى إلى دار بيت الرب الداخلية واذا عند باب هيكل الرب بين الرواق والمذبح نحو خمسة وعشرين رجلاً ظهورهم نحو هيكل الرب ووجوههم نحو الشرق وهم ساجدون للشمس نحو الشرق وقال لى أرأيت يا ابن آدم ـ أقليل لبيت يهوذا عمل الرجاسات التى عاملوها هنا ، لأنهم قد ملأوا الأرض ظلماً ـ ويعودون لاغاظتى وهم يقربون الغصن إلى أنفهم فأنا ايضاً أعامل

---

(١)حزقيال : ٥ : ٥ ـ ٧ . (٢) حزقيال ٥ : ١٤ ـ ١٥ . (٣) حزقيال ٨ : ٥ ـ ١٢ .

(٤) تفصيل الحديث عن هذه العبادة ومصدرها وحقيقة الاله تموز فى الباب الثالث ان شاء الله .

بالغضب »(١) .

وقد أطلع الرب حزقيال على مظاهر اخرى من وثنية يهوذا (٢) حتى خر على وجهه وصرخ وقال « هل أنت مهلك بقية اسرائيل كلها بصب رجزك على أورشليم فقال لى ان اثم بيت اسرائيل ويهوذا عظيم جداً جداً وقد امتلأت الأرض دماء وامتلأت المدينة جنفاً ، لأنهم يقولون الرب قد ترك الأرض والرب لا يرى (٣) .

وذكر السفر أن الرب قال لحزقيا ان بيت اسرائيل كلهم قد ارتدوا عنى بأصنامهم لذلك قل لبيت اسرائيل توبوا وارجعوا عن أصنامكم عن كل رجاستكم (٤) .

قاموس الكتاب المقدس والوثنية الإسرائيلية :

وهناك إلى جانب هذه النصوص نصوص أخرى كثيرة من أسفار أخرى للأنبياء تصور بوضوح لا لبس فيه ضخامة الوثنية التى كان اليهود غارقين فيها ، لكنى أكتفى بما ذكرت حتى لا يطول الفصل أكثر من ذلك . وإن كنت أفضل أن أنقل ما ورد فى قاموس الكتاب المقدس عن اليهود كملخص لهذا الفصل :

يذكر القاموس أن تاريخ اليهود حافل بتأثرهم بمختلف المعتقدات الوثنية فلا بد أنهم تأثروا بها ، وهم فى سورية ، ولما هاجروا إلى مصر وجدوا هناك ديانات وثنية منظمة ذات طقوس وآلهة وفلسفات .

وكانت إقامتهم الطويلة فى أرض مصر تعطى مجالاً لهم لكى يكيفوا نظراتهم التوحيدية حسب ظروف ومفاهيم مصر التى كانت تعبد آلهة متعددة وقتذاك .

وحينما خرجوا منها عائدين إلى فلسطين ، تسربت معهم تلك المؤثرات الوثنية ، وظلمت تفعل فيها ، بالرغم من أن خلاصهم من العبودية فى مصر كان بفضل الله الواحد .

بل إن العبرانيين كشفوا عن تأثرهم بالمعتقدات الوثنية من قبل أن يصلوا فلسطين وهم بعد على الطريق فى سيناء فقد عبدوا العجل الذهبى الذى كان سيد آلهة ممفيس فى مصر .

واستمر اليهود فى الخلط بين التوحيد والوثنية فى التوبة إلى الله الواحد ثم النكوث بالعهد والعودة إلى الأصنام المتحجرة حتى أخلصوا لله الواحد أيام يشوع .

وما ان وصلوا فلسطين واستقروا فيها حتى أعادوا سيرتهم الأولى ، وأخذوا أيام

---

(١) حزقيال ٨ : ١٣ ـ ١٧ .

(٢) حزقيال ٩ : ١ ـ ٧ .

(٣) حزقيال ٩ : ٨ ـ ٩ .

(٤) حزقيال ١٤ : ٥ ـ ٦ .

القضـاة يخلطون بين الاعتقـادين من جديد ، بل انهم أخذوا ينـون المذابح للبعل وزاد فى ابتعـادهم عن الله أنهم جاوروا فى فلسطيـن شعوباً سـورية كانت تعبـد الالهة المتـعددة ــ والأصنام العريقة بتراثها الدينى والأدبى والفنى .

ثم ظهر صموئيل وداود وسليمان فتقوت بهـم عبادة الله ، غير أن الشعب لـم يستمر فى توحيده طويلاً فقد ارتد إلى الأوثان فى أواخر سليمان .

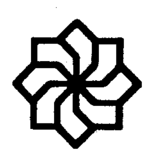
وفى عـصـر الانقسـام قـام تاريخ مملكتي يهـوذا واسـرائيل فى فلسطين علـى محـور الصراع بين التوحيـد والوثنية ، ولم تكن تطول غلبة المعتقد الواحد على الآخـر كثيراً ، إذ كان كل حـزب يشن الحرب ضد خـصمه ، وقد تـأثر بهذا الصراع الدينى ــ السـياسى ــ التاريخ اليـهودى بأكمله ، وعـلاقات اليهـود مع الدول المجاورة لهم ، ومصـير استـقلالهم السياسى .

وظل الأمر كذلك حتى العودة من سبى بابل ، وكان الله يعاقب اليهود على ابتعادهم عنه معاقبة شديدة وينزل بهم المصائب ولذلك كان تاريخهم حافلاً بالويلات والعداءات .

ونِدد أنبيـاء الله بالمعتقـدات الوثنية ودعوا الشعب اليـهودى إلى الاقلاع عنهـا وتنبأوا للأمم المجاورة التى كـانت مصدر تلك المعتـقدات ، بالهلاك والدمار والانـحلال ، وحذروا اليهود من مغبة تقليد جيرانهم والإحاق بهم المصير نفسه (١) .

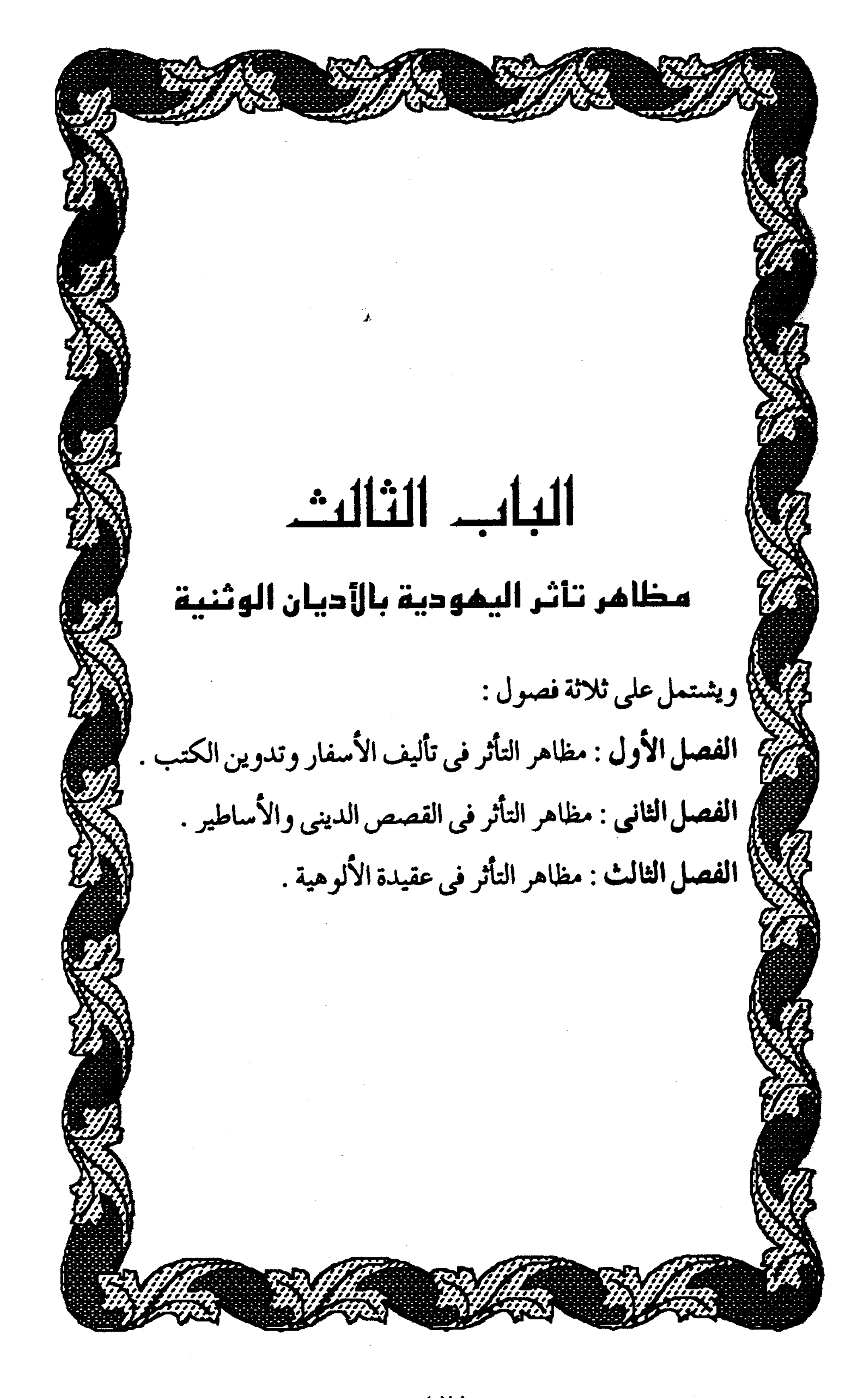
والخلاصة أن اليـهود كانوا ينزعون إلى الوثنيـة بكل جوارحهم وبأفئـدتهم ويعكفون عليها طيلة أيامهم ويستمسكون بها تمسكاً عجيباً ويدافعون عنها دفاعاً شديداً .

وقد كان هذا من العوامل التى ساعدت على تأثر اليهودية بالأديان الوثنية ا لقديمة .



---

(١) قاموس الكتاب المقدس صـ ٥٩٤ ــ ٥٩٥ .



الباب الثالث

مظاهر تأثر اليهودية بالأديان الوثنية

ويشتمل على ثلاثة فصول :

الفصل الأول : مظاهر التأثر فى تأليف الأسفار وتدوين الكتب .

الفصل الثانى : مظاهر التأثر فى القصص الدينى والأساطير .

الفصل الثالث : مظاهر التأثر فى عقيدة الألوهية .

الفصل الأول

مظاهر التأثر فى تأليف الأسفار وتدوين الكتب

ويتضمن دراسة هذه المباحث :

المبحث الأول : نقد مدونات أسفار العهد القديم فى ضوء الكشوفات العلمية الحديثة .

المبحث الثاني : الكشف عن صلة الديانة اليهودية بالأديان الوثنية القديمة .

المبحث الثالث : مظاهر تأثر بعض الأسفار بالأديان الوثنية وهى :

١ ـ سفر المزامير

٢ ـ سفر الأمثال

٣ ـ سفر نشيد الإنشاد

٤ ـ سفر الجامعة

٥ ـ سفر أيوب

٦ ـ سفر دانيال

مظاهر التأثر فى تأليف الأسفار وتدوين الكتب

المبحث الأول :

نقد مدونات العهد القديم فى ضوء الكشوفات العلمية الحديثة :

لقد كانت التوراة أو العهد القديم قبل الكشوفات الأثرية الحديثة قبل قرن أو يزيد ـ باستثناء الكتابات اليونانية والرومانية المتأخرة ـ المصدر الأساسى أو الوحيد تقريبا الذى يرجع إليه الباحثون فى تاريخ اليهود القديم ، بل كان العهد القديم يعتبر المرجع الأول والأساسى لتاريخ الشرق الأدنى القديم كله (١) .

فبينما كان المرء طوال عدة قرون حتى عهد قريب لايعرف عن حضارة الشرق الأدنى القديم عامة سوى مايقصه علينا العهد القديم أو لايعرف غيره إلا القليل ، كان التاريخ العبرى معروفاً على نطاق واسع وكان مادة من مواد التربية والثقافة الدينية فى العالم الأوربى (٢) .

كان الجهد الأساسى للعبريين جيلا بعد جيل موجها إلى تسجيل وحفظ الأسفار التى تضم تاريخهم القومى ودينهم ونقلها إلى الأجيال اللاحقة فاختيرت الكتب التى تشتمل على التعاليم الدينية والتاريخ الدينى وأدرجت فى تاريخ الشعب اليهودى من حيث هو تاريخ للعهد بين يهوه وإسرائيل .

---

(١) راجع موسكاتى : الحضارات السامية القديمة صـ١٣٩ ، د . حسن ظاظا : الفكر الدينى الإسرائيلى صـ٩ ، د . أحمد سوسة : مفصل العرب واليهود فى التاريخ صـ٨٣ ، ٤٠٧ ، ويذكر شاهين مكاريوس أنه لايخفى أن معظم تاريخ اليهود حتى خراب أورشليم مأخوذ عن التوراة (العهد القديم) فهى خزانة تاريخهم وحكاية ماحل بهم من العبودية والظلم وما أصابوه من الغزو والفوز ، كما أنها كتاب وحيهم ومجموعة معتقداتهم وشرائعهم الدينية والأدبية والمدنية فالناظر فى تاريخهم لابد له أن يعتمد على التوراة لاستخلاص أخبارهم (تاريخ الإسرائيليين صـ٣ ـ ٤)

(٢) موسكاتى : الحضارات السامية القديمة صـ١٣٩ .

وأدى هذا إلى أن تعرض تعاليم التوراة فى صورة قصصية وليست على نحو منهجى فالتعاليم القانونية الخلقية والتعليمات العملية ودعوات الأنبياء عرضت فى الغالب حسب ورودها فى وضعها التاريخى (١) .

هذا وقد اعتبر العهد القديم المرجع الأساسى على أساس أنه يعد أقدم كتابة فى تاريخ البشرية فضلاً عن قدسيتها (لدى اليهود والمسيحيين) فكان كل ماورد فيه من عرض للأحداث والوقائع لابد من تقبله كحقائق دون نقاش أو جدال لكونه من المسائل المقدسة من جهة ، ولعدم وجود أى ثبت قديم ينافسه فى هذا الميدان من جهة أخرى .

فكان من الصعب التحقيق فى بدايات التاريخ اليهودى حيث إن اليهود يكادون أن يكونوا هم الأمة الوحيدة التى كتبت تاريخها بيدها ، ووضعته فى إطاره الإنسانى حسب هواها ، بل وضعته فى إطار من المقدسات والغيبيات وجعلته كله وحيا من السماء نازلاً بإرادة الله وبألفاظ فمه بحيث يعلو فوق الجدل والنقاش (٢) .

وهم حينما كتبوا تاريخهم هذا ـ كما يقول الدكتور حسن ظاظا ـ أغاروا على المأثورات الشعبية لأمم قديمة كثيرة فأخذوا وأضافوا إليها من بقايا الحكايات الفولكلورية التى حفظتها ذاكرتهم منذ بداوتهم الأولى ، فنسجوا من ذلك كله ملحمة ، تبدأ ـ مثل ملاحم السومريين والأكاديين فى العراق القديم وأساطير المصريين فى فجر تاريخهم ، بالحديث عن خلق العالم وخلق الإنسان .

ثم مايزال القارىء يتدرج مع القصة وهى تحاول إبراز فكرة أساسية هى أن كل عملية الخلق ، وكل التدبير المحكم الذى دبره الخالق ، وكل الحوادث الأولى للقصة على مسرح يشمل السماوات والأرض جميعاً كانت لهدف واحد هو اختيار بنى إسرائيل واصطفاؤهم وتسليمهم دور البطولة الأبدى على مسرح الإنسانية .

أما الأمم الأخرى فهى ليست إلا شخوصاً مكملة للرواية على هذا المسرح

---

(١) المصدر السابق : صـ١٥٥ ـ ١٥٦ .

(٢) د . أحمد سوسة : مفصل العرب واليهود فى التاريخ صـ٤٠٧ ـ ٤٠٨ ، د . حسن ظاظا : الساميون ولغاتهم صـ٦٧ ، إسرائيل ركيزة الاستعمار ضمن كتاب الصهيونية العالمية وإسرائيل صـ١٢ .

الكبير ، ولا أهمية لهم إلا بقدر مايسهمون فى إبراز مجد اليهود (١) .

ورواياتهم هذه منسوجة من عناصر متضاربة اختلطت فيها شرائع الأنبياء وحكمة الحكماء بحكايات الأبطال الخرافيين وأساطير الأحداث المعجزة الخارقة ، وترجمات تكاد تكون حرفية لملاحم من أمم أقدم منهم (٢) .

ويذكر غوستاف لوبون أن قدماء اليهود لم يجاوزوا أطوار الحضارة السفلى التى لاتكاد تميز من طور الوحشية ، وعندما خرج هؤلاء البدويون الذين لا أثر للثقافة فيهم من باديتهم ليستقروا بفلسطين وجدوا أنفسهم أمام أمم قوية متمدنة منذ زمن طويل فكان أمرهم كأمر جميع العروق الدنيا التى تكون فى أحوال مماثلة فلم يقتبسوا من تلك الأمم العليا سوى أخس مافى حضارتها أى لم يقتبسوا غير عيوبها وعاداتها الضارة ودعارتها وخرافاتها فقربوا لجميع آلهة آسية ، قربوا لعشتروت ولبعل ولمولك من القرابين ماهو أكثر جدا مما قربوه لاله قبيلتهم (يهوه) الذى لم يثقوا به إلا قليلاً لطول زمن على الرغم من كل إنذار جاء به أنبياؤهم .

وكانوا يعبدون عجولاً معدنية وكانوا يضعون أبناءهم فى ذرعان محمرة من نار مولك وكانوا يحملون نساءهم على البغاء المقدس فى المشارف (٣) .

---

(١) راجع د . حسن ظاظا : الساميون ولغاتهم صـ٦٧ ـ ٦٨ الصهيونية العالمية جـ ١٢ ، د . صبرى جرجس : التراث اليهودى الصهيونى صـ٢١ د . أحمد شلبى : اليهودية صـ٢٦٩ .

(٢) د . حسن ظاظا : الساميون ولغاتهم صـ٦٨ ، الصهيونية العالمية وإسرائيل صـ١٢ ـ ١٣ ، ويعترف الأب ديلى بأن الذين كتبوا تاريخ الشعب اليهودى ، عالجوه بمثل ما كان عليه الشرق القديم فى معالجة التاريخ فلا مانع لديه من أن تكون الرواية اليهودية تحتوى بجانب الوثائق الرسمية على عناصر خيالية أو رمزية ، ولاعيب عنده فى أن يعمد المؤلف اليهودى إلى استعارة أقوال لغيره يدخلها فى سياق روايته دون أن ينبهنا إلى أصلها ودون أن يحمل تبعتها ، ويذكر أن النوع التاريخى الصرف لايأبى أن يتخلله أحياناً بعض القطع الشعرية وأن التاريخ اليهودى أحياناً يأتى على شكل سيرة شخص (طوبيا ، استير) وقد ينقل الكتاب الشخص الذى يروى سيرته إلى محيط غير محيطه ويضعه فى إطار كله أو بعضه مختلق (تاريخ شعب العهد القديم صـ٣٤ ـ ٣٥) .

(٣) تفصيل ذلك نراه مبسوطاً فى فصول هذا الباب .

وعلى الجملة فإن اليهود قد أثبتوا عجزهم التام العجيب عن الإتيان بأدنى تقدم فى الحضارة التى اقتبسوا أحط عناصرها (١) .

هذا وقد ظل العهد القديم هو المرجع الأساسى فى تاريخ الشرق الأدنى القديم حتى كانت الطفرة الهائلة التى تمت فى ميدان الحفائر والمكتشفات الأثرية فى منطقة الشرق الأدنى القديم .

فتوفرت مصادر تاريخية جديدة بفضل النجاح فى قراءة كتابات قديمة كانت طلاسم وألغازاً حتى هذا الوقت (القرن التاسع عشر الميلادى) كالهيروغليفية فى الكتابات المصرية الفرعونية وكالكتابات المسمارية فى العراق وماجاورها : السومرية والبابلية ، والأشورية ، والفارسية والحيثية ، والكنعانية .

وتمتاز هذه الكتابات فى كونها عاصرت الأزمنة التى تعود إليها بخلاف العهد القديم الذى ينقل أحداثاً ترجع إلى عهود بعيدة وأزمنة سبقته بعشرات القرون (٢) .

---

(١) اليهود فى تاريخ الحضارات الأولى صـ٢٠ .

(٢) راجع د / حسن ظاظا : الفكر الدينى الإسرائيلى صـ٩ ، د / أحمد سوسة : مفصل العرب واليهود فى التاريخ صـ٨٣ ، ويذكر الدكتور أحمد سوسة أنه لحسن الحظ قد توافرت لدينا الآن ثروة من المعلومات الأصلية التى تركها الأقدمون الذين سبقوا عهد التوراة وهم السومريون والكنعانيون الفينيقيون والبابليون والحثيون والأشوريون والمصريون وقد عثر المنقبون على بعضها خلال القرن ونصف القرن الأخير وترجموها إلى اللغات الحديثة وأصبحت فى متناول أيدى القراء والباحثين ، ويذكر أن هذه المعلومات وصلت إلى أيدى المنقبين كما هى فى الأصل ولغاتها وحروفها الأصلية على عكس ما عهدناه فى توراة اليهود من تباعد فى اللغة وفى العصر ، ويقدر عدد هذه الوثائق الأصلية التى تناولت مختلف شئون الحياة فى تلك الأزمان أكثر من نصف مليون قطعة عثر عليها بين أطلال مدن حضارات الشرق الأدنى القديمة بمختلف اللغات والحروف ، ويعد العلماء هذه الاكتشافات أعظم إنجازات الإنسان فى العصر الحديث فقد كشفت لنا هذه المدونات عن كثير من الأمور الغامضة ، إذ أمكن فى ضوئها التمييز بين الحقائق الواقعة والأساطير الخيالية والتحريفات المتعمدة فى التوراة ، كذلك فقد تمكن علماء الآثار من تعيين تواريخ الحوادث من هذه المدونات بصورة مضبوطة خاصة مايتعلق بالأدوار المتأخرة ، وكذلك تشخيص أكثر مواقع المدن والأماكن التى ورد ذكرها فى هذه المدونات وفى التوراة مما جعل إمكانية عرض الأحداث التاريخية القديمة بحسب تسلسلها =

بالإضافة إلى ذلك فإن حركة نقد العهد القديم كانت قد ازدهرت فى القرن التاسع عشر وتواكبت مع هذه الكشوفات الأثرية الحديثة .

يذكر الدكتور فؤاد حسنين على أنه حوالى منتصف القرن الثامن عشر تكونت جماعة لنقد العهد القديم لا للقضاء عليه أو الحط من شأنه بل كان هدفها إخضاعه للبحث العلمى الذى يقره العقل البشرى وما كاد يطلع القرن التاسع عشر وتتسع أعمال الحفر الأثرى فى بلاد مابين النهرين ومصر حتى ظهرت إلى الوجود وثائق غاية فى الأهمية سواء فى الكتابات الأكادية أو المصرية وفيها الشيء الكثير عن العهد القديم ، وقد أخرجت هذه الاكتشافات الحديثة العهد القديم من جموده وعزلته وأقحمته فى تاريخ الشرق القديم حيث الصلات الثقافية والعقائدية قوية جداً حتى أصبحنا اليوم نرجع فى شيء من اليسر العهد القديم إلى أصوله الشرقية (١) .

فلم يجز علماء العهد القديم اتخاذ نصوصه كأنها محقة فيما تقوله من الأنباء إلا بالإثبات العلمى وهنا جاء علم الآثار يقدم دليله : فآثار فلسطين ورأس شمرا وتل الحريرى فى ديار الشام وثم آثار العمارنة وغيرها فى مصر وآثاربابل وأشور فى شمال العراق وجنوبه ، كل هذه كان لها علاقة مسيسة بالتوراة والتاريخ اليهودى القديم (٢) .

= الزمنى وتوضيح علاقة الأقوام بعضها ببعض وتعيين أدوارها وشكلها الحقيقى بمقارنة الحوادث التى وردت فى كل من المصدرين (مفصل العرب واليهود فى التاريخ صـ٤١٢ ـ ٤١٣) .

(١) التوراة الهيروغليفية صـ٥٤ ـ ٥٥ .

(٢) د . إسماعيل الفاروقى : أصول الصهيونية فى الدين اليهودى ، ويذكر مؤلف هذا الكتاب أن نقاد العهد القديم ومنهم فون جراف وكوهنن وويلهاوزن ، قد دفعهم حبهم للاستطلاع لدراسة القرآن الكريم بحثاً وراء مايلقى الضوء على العهد القديم الذى كان يدرسونه بقصد تفهمه علمياً نقدياً تحليلياً ، وفى دراستهم للقرآن الكريم تشبعوا بالمبدأ القرآنى القائل بأن بنى إسرائيل تلاعبوا فى كتابهم المقدس وأنهم حرفوه حاذفين منه ماحذفوا ومضيفين إليه ما أضافوا لطمع غير خلقى فى نفوسهم ، فزعزع هذا المبدأ ما نشأوا عليه من إيمان بالتوراة هى نفسها فى كل حرف من حروفها وأخذوا عندئذ فى تفسير النزعات المختلفة التى تنم عنها نصوص التوراة ينبئون مختلف الأيدى وراء هذه النصوص فراحوا يبحثون عن أصولها وعن الأحوال التاريخية التى أدخلت هذه المواد فى التوراة تحت ظروفها فكانت علوم التوراة النقدية التى عرفها القرن الأخير ، ويذكر أنه لخدمة هذه العلوم نشأ علم الآثار =

ومن هؤلاء العلماء الذين استخدموا علم الآثار فى دراسة العهد القديم أذكر منهم على سبيل المثال العالم الأكادى فريدريش ديليتش الذى أصدر سلسلة من المؤلفات حول بابل والكتاب المقدس ، كما ألقى فى جامعة برلين وغيرها سلسلة من المحاضرات العامة التى أثبت فيها اعتماد العهد القديم والدين اليهودى على العقائد العربية البابلية (١) .

وكنت قد أشرت إلى أن العلماء قد اتفقوا على أن النصوص التوراتية إنما تعود إلى توليفات مستقاة من أربعة مصادر رئيسية أو كما يسميها أحد الباحثين « الخيوط التوراتية الأربعة » (٢) .

وبينت أن نظرية المصادر الأربعة هذه والتى تعرف بنظرية فلهوزن قد استقر عليها العلماء ، وسادت ميدان الدراسات فترة طويلة دون أن يطرأ عليها تغيير .

إلا أنه لابد من القول هنا بأن الكشوفات الأثرية الحديثة قد عدلت هذه النظرية من بعض الوجوه وأضافت إلى تلك المصادر الأربعة ــ عديداً من الروافد الفروع ــ كما يقول حسين ذو الفقار صبرى : ربما امتد بعضها إلى مأثورات لم تكن تمت إلى

= القديمة (أصول الصهيونية فى الدين اليهودى صـ٧) .

(١) د / فؤاد حسنين على : التوراة الهيروغليفية صـ ٥٥ .

(٢) صاحب هذا التعبير هو الدكتور إسماعيل الفاروقى وقد شبه هذه الخيوط تشبيهاً بارعاً حيث يذكر أن التوراة ليس كتاباً واحداً ذا مؤلف واحد بل هو مجموعة نصوص من عدة أقلام على مدى العصور الكثيرة ، وهو أشبه بالنهر الذى يجرى من رأس العين إلى المصب بيد أنه يستقبل عدداً من الأنهار الفرعية أثناء الطريق فتمتزج مياهه بمياه هذه الأنهار فماء النهر عند المصب هو التوراة التى بين أيدينا الآن فيها القديم جداً أى مياه رأس العين أى مالم يتبخر من مياه رأس العين ولم يرفع للسقاية ولم يضع فى الطريق من مياه رأس العين . وفيها المتوسط « أى المياه التى دخلت النهر فى الطريق وفيها .الحديث ففى كل صفحة من صفحاتها تلتقى عناصر متفاوتة فى القدم نسجت على هذا القالب الذى تقرأه فى النص الذى وصل إلينا إلا أن الخيوط نفسها وكذلك عمليات النسج والتقميش متفاوتة الأعمار ، ولكن لحسن الحظ ليس الأمر تماماً كما فى النهر ، فالخيوط التوراتية احتفظت بمميزاتها اللغوية وغير اللغوية الخاصة ، فإن امتزجت مع بعضها البعض فأغلبيتها لم يصهر بعضها البعض فتضيع هويتها وذلك سهل على الباحثين أمر اكتشافها وعزلها عن بعضها (أصول الصهيونية فى الدين اليهودى صـ ٥ ــ ٦) .

اليهود أصلا إلا أنها صارت بمرور الزمن شائعة مشتركة بين شعوب المنطقة جميعاً ، فقد مضى الوقت الذى كانت تعالج فيه الأصول الإسرائيلية بعزلة عما كان يحوطها من مؤثرات فإنما تداخلت مع غيرها نهباً لتفاعلات اجتاحت المنطقة كلها ، فرسمت مسار التاريخ فى الشرق القديم جميعاً (١) .

فحينما نشأ علم الآثار القديمة وقام الباحثون يجولون الأقطار العربية بحثاً عن هذه الآثار نشأ عن ذلك علم التاريخ القديم ، وأخذ المؤرخون يتتبعون مايكتشفه علماء الآثار ويبنون نظرياتهم فى ذلك التاريخ على ضوء هذه المكتشفات .

ومنذ فلهاوزن وعلماء العهد القديم يقيمون النظرية تلو النظرية والتفسير التوراتى تلو التفسير تبعاً لمكتشفات الآثار التى أخذت تتزايد بشكل عظيم سنة بعد سنة وتماشياً مع ماكانت تجلو عنه هذه المكتشفات من حقائق تاريخية (٢) .

يقول موسكاتى : لقد سادت نظرية فلهوزن الميدان سنين عدة دون معارضة تذكر ، ولكن بتقدم العلم وبفضل الأدلة الأثرية الجديدة خاصة أعيد النظر فيها مرة بعد أخرى .

فمقارنة مادة العهد القديم بمصادر أرض الرافدين - ولاسيما القانونية منها - والمصادر الأوجارتية وغيرها ، تبين فيما يبدو أن الأسفار الخمسة أو على الأقل جزءاً كبيراً من المصادر التى جمعت منها ، أقدم مما ظن فلهوزن (٣) .

ومن هنا نجد أن الدراسات الحديثة للعهد القديم قد عدلت نظام فلهوزن من عدة وجوه وإن لم تستبدل له نظاماً يقارن به (٤) .

---

(١) توراة اليهود بين أصول متشعثة وسعى إلى انعقاد صـ١١ المجلة العدد ١٥٧ يناير ١٩٧٠ م ناقلاً عن مصادر أجنبية .

(٢) د . إسماعيل الفاروقى : أصول الصهيونية فى الدين اليهودى صـ٧ - ٨ .

(٣) سبق أن أشرنا إلى الأزمنة المتفق عليها لكل مصدر فى الفصل الخاص بدراسة فقدان اليهود للتوراة المنزلة .

(٤) الحضارات السامية القديمة صـ١٥٧ - ١٥٨ وبشرح هذا بقوله « فنجد أولاً أنه بفضل أبحاث المدرسة السويدية خاصة (انجنل وغيره) اتجه النظر إلى أن وسائل النقد الأدبى لاتكفى دون سند آخر ، وإلى أنه من الضرورى أن ندخل فى اعتبارنا آثار الرواية الشفوية التى قد تتناقل القصص فى كثير =

وانطلاقاً من هذا فإن دراسة تاريخ اليهود بما يحتوى عليه من عقائدهم وشرائعهم اتخذت نمطاً جديداً وخضعت خضوعاً كاملاً للبحوث النقدية .

يقول بروف سايس « لئن أردنا تفهم تاريخ العبريين على حقيقته فإن علينا أن نعالجه كما يعالج تاريخ أى شعب قديم ، إن من كتبوا التوراة كانوا بشراً مثلنا ــ وهم كمؤرخين لايختلفون عن نظائرهم من معاصريهم فى الشرق ، فليس هناك تاريخ لايحتمل المناقشة بل لايحتمل أن نخطئه » .

إن الكاتب فى العصر الحديث يجب أن يفهم أنه يتحدث كما يتحدث عالم الآثار أو المؤرخ ، انه يتقبل من الناحية الدينية بغير تحفظ ماوضعته قوانين الكنيسة كأسس للإيمان والعقيدة ، وليس من بينها على أية حال مايمنعه من أن يناقش التوراة مناقشة حرة دون تمييز (١) .

فالتوراة تستمد قيمتها ككتاب تاريخ وكتاب أخلاق أساسا من أنها فى نظر من يؤمنون بها كتاب « مقدس » .

وللقداسة شروط كثيرة : منها على سبيل المثال لا الحصر ، أولاً : الصدق ، ومعنى هذا أن يكون كل مايحتويه الكتاب المقدس صادقاً مع النظر بعين التقدير والإكبار إلى المعانى التى لاترد فيه مباشرة وإنما ترد من خلال المجاز و التشبيه والاستعارة والرمز ، وإذن فينبغى أن يكون كل مقدس فى المقام الأول صادقاً ، وأن

=من الأحيان زمنا طويلاً قبل تدوينها وأن ننظر إلى المصنف الناشىء عن ذلك على أنه مكون من طبقات مختلفة ومجموع من مصادر متباينة (رأى بتنسن) ، ونجد ثانيا أن عناصر النظام قد عدلت فقسم المصدر اليهودى قسمين ، وسمى المصدر الجديد منهما (غير الكهنوتى) لخلوه من الأفكار الكهنوتية (رأى اسفلت) ، واقترح أيضاً أساس مشترك للمصدر اليهودى والألوهيمى (وهو اقتراح نوث) واقترحت تقسيمات أخرى للمصادر كالتقسيم الذى اقترحه فون راد للمصدر الكهنوتى ، وقدم تاريخا مصدر التثنية والمصدر الكهنوتى (الحضارات السامية القديمة صـ١٥٨) .

(١) نقلاً عن د . نجيب ميخائيل : مصر والشرق الأدنى القديم جـ٣ صـ ٢٣٥ .

العكس غير صحيح إذ ليس كل ماهو صادق بطبيعة الحال مقدساً (١) .

لكن توراة اليهود كانت ولاتزال - إلى أن يمن علينا الله بمزيد من كشوف حفرية عن أحقاب مافتئنا نجهل الوجه الذى كانت عليه - كاما من متناقضات أو ربما عقداً منظوماً من حلقات متباينات (٢) .

فهى - ولو كره المفتتنون - ليست من التاريخ بشىء وإن سلمنا أنها اشتملت على وقائع لها سند من التاريخ .

ولايسعنا - فيما يقول حسين ذو الفقار صبرى - حتى كما فعل علماء القرن الماضى ، وكما يزال دائباً على ذلك المتحايلون - أن نأخذ بتلك المعطية من أن الوثيقة التاريخية إنما تنطوى أساساً على ماظن صاحبها أن قد حدث ، أو ماورد أن يكون قد حدث ، أو أحيانا ما كان يريد لغيره أن يظنوا أن قد حدث ، فإنا لو فعلنا هذا لما وجدنا تفسيراً منطقياً لما اشتملت عليه التوراة من متناقضات (٣) .

وكما يقول الدكتور صبرى جرجس فإنه لايهمنا فى هذا الصدد أن تكون التوراة بعد ذلك كتاباً مقدساً أولاتكون ، ذلك شأن من يريدون أن يروها فى نصها الراهن على هذا النحو أو ذاك ، ولكن الذى يهمنا ألا تكون كتاب تاريخ يحاول فرض مضمونه على الحاضر والمستقبل كما حاول فرضه على الماضى .

وإذا كان مايعزى للتوراة من قيمة تاريخية لايجد سنداً له إلا فيما يزعم لها من قداسة فالذى لاشك فيه أن هناك ثمة علاقة بين قيمة التوراة ككتاب تاريخ وقيمتها ككتاب مقدس .

ذلك أنه كلما تدعمت قيمتها ككتاب مقدس تضاءلت الريبة فى صدق ماتضمنته من وقائع وسهل وصول هذه الوقائع إلى يقين الناس على أنها من حقائق

---

(١) د . صبري جرجس : التراث اليهودي الصهيوني صـ٥٠ .

(٢) صحيح أنه قد توصل عدد من باحثين إلي التحقق من وقائع عديدة ولكن الوقائع في حد ذاتها ليست هي التاريخ ، إلا أن تتداخل وتترابط فتطرد (توراة اليهود صـ١٢ - ١٣) .

(٣) المصدر السابق صـ١٣ .

التاريخ التى لاينبغى الشك فيها ولامناص من التسليم بها (١) .

ولكن أية قيمة موضوعية تبقى لتاريخ لايجد سنداً له إلا فيما يزعم ككتاب واحد من قداسة توجه إليها سهام الريب من أكثر من جانب وليس بالوسع القول بأنها ترقى إلى مافوق مظان الشبهات (٢) .

فليست التوراة وثائق تاريخية ، إنما هى فى صلبها تشكلت من واقع تدوينات متعاقبة لأصول من مأثورات قديمة ، وأن المأثور بوصفه أصلا قصة محكية تناقلتها ذاكرة الإنسان جيلاً إثر جيل ليخضع لقوانين غير تلك التى تهيمن على الكلمة إذ تكتب سجلاً لتاريخ .

فصحيح أن التوراة قد استقرت آخر الأمر فى صورة من وثيقة مكتوبة ، ولكنها أصلاً مجموعة من قصص محكى لم يتهيأ لحرف منها أن يدون فيسجل إلا بعد أحقاب طوال (٣) .

---

(١) التراث اليهودى الصهيونى صـ٥٨ ـ ٥٩ .

ويقول « لقد أدركت اليهودية الصهيونية هذه الحقيقة فأحسنت استغلالها إعلامياً فى الغرب المسيحى لدعم مازعمت أنه حقها فى إنشاء دولة إسرائيل (المصدر السابق صـ٥٩) .

(٢) التراث اليهودى الصهيونى صـ ٥٩ .

(٣) توراة اليهود صـ١٤ ، ويضرب حسين ذو الفقار على ذلك مثلا بقصص الآباء الأولين فيقول إنها دونت أول مادونت فيما نعلم فى القرن العاشر ق . م عن أقوام تحوطهم ظروف معيشية دالت عما كانت عليه قبل ذلك بخمسة قرون .

فلو دققنا النظر لوجدناها ماتزال وفية للطابع المأثورى ـ إن صح لنا الإلتجاء إلى هذا الاصطلاح ـ مجموعة من قصص لكل طابعها الخاص ومغزاها المتفرد ، تجد إلى وعظ أو تبصير (وقد تنحو إلى سخرية أو ترفيه لاتحفل بالتزام دقة ولاتسعى إلى تحقيق بقدر ما يجنبها التأثير على السامعين ، لاروابط بين بعضها البعض إلا ما ابتدع من بعد ..... خيوطاً واهية من أنساب واضحة الافتعال .

ومن ثم فلا يعول عليها علمياً تحديد لمواقعها من حيث زمانها أو تنسيقاً فيما بينها من حيث تتابع ، فهى أساطير شائعة فى متناول الأقوام جميعها ينتحلها هذا أو ذاك فيصوغها الرواة كل على هواه ، تمجيداً لذكرى أسلاف فإذا بعناصر القصة الواحدة منسوبة إلى عدة أشخاص .

(راجع تفاصيل التدليل على ذلك صـ١٣ توراة اليهود مجلة المجلة ١٩٧٠ م) .

ولذلك فإن الإنطباع العام الأول الذى يبقى فى نفس القارىء للتوراة ككتاب تاريخ ـ كما يقول الدكتور صبرى جرجس ـ أنها لاتكاد تزيد عن كونها مجموعة من الخرافات والقصص التى صيغت فى جو أسطورى حافل بالإثارة مجاف للعقل والمنطق غاص بالمتناقضات مشبع بالسخف مفعم بمشاعر العدوان والتعطش إلى الدماء .

وهذا الانطباع الذى يصطدم على الفور بما كان القارىء يتوقع أن يجد فيها ككتاب تاريخ يصبح مفهوماً ومعقولاً إذا نحى عنها هذه الصفة ونظر إليها فى ضوء العصر الذى روت أخباره والحضارات التى اتصلت بها من ناحية والأفراد الذين قاموا على كتابتها والأهداف التى قصدوا إليها من ذلك من ناحية أخرى ، فإنها فى هذا الضوء تعكس تفكيراً بشرياً محضاً من اللون الذى كان سائداً فى الشرق الأدنى القديم فى ذلك الحين مرادفاً لأمثاله من الأساطير والطقوس ، والاتجاهات الفكرية والعقائدية المميزة لحضارات ذلك العصر (١) .



---

(١) التراث اليهودى الصهيونى صـ٥١ ، ويذكر انها تعكس كل ذلك فى إطار سمات نفسية تغذيها نزعات الجشع والغرور والاستعلاء وتحركها دوافع الجنس والعدوان الذى لايهدأ حتى مع الدم المراق

المبحث الثانى : الكشف عن صلة اليهود بالأديان الوثنية القديمة :

بناء على ماذكرناه فى المبحث السابق فإن الشعور الذى يسود الآن بين الكتاب المحدثين هو أن الوقت قد حان للكشف عن صلة الثقافة اليهودية ومن ضمنها الديانة اليهودية بالثقافات السامية القديمة .

فيقول الأستاذ هوك فى مقدمة كتابه (أصول الديانات السامية القديمة) إننا الآن فى وضع أكثر ملاءمة من أى وقت مضى لتوضيح العناصر الأساسية للديانة اليهودية بشبكة الشعائر الدينية التى كانت سائدة فى البيئة السامية القديمة من وجهة نظر تاريخية جديدة (١) .

ومن أجل هذا فقد شغلت الديانة اليهودية حيزاً كبيراً من مقارنات الأديان وصارت موضوع مقابلة مستفيضة بينها وبين عقائد البابليين والمصريين والكنعانيين ، وأخذ العلماء يبحثون عن صلتها بعقائد اليونان والرومان قبل عصر الفلسفة وبعدها إلى عصر السيد المسيح (٢) .

ولعل من الأهمية بمكان أن نشير إلى أن علماء اليهود أنفسهم قد ساهموا فى تشريح الديانة اليهودية وتجريدها من صفة الدين المنزل ، فالذى يرغب فى التعمق فى الدراسات التوراتية يدهش ولاشك للعدد الضخم من النظريات والمؤلفات ومعظمها لعلماء اليهود وكيفية وضعها .

---

(١) نقلاً عن د / أحمد سوسة : مفصل العرب واليهود فى التاريخ صـ٤١٦ .

(٢) عباس محمود العقاد : الله صـ١١١ ، راجع أيضاً د. نجيب ميخائيل : مصر والشرق الأدنى القديم جـ٣ صـ٢٠١ ، ويرجع العقاد أهمية الديانة اليهودية فى مقارنات الأديان إلى أنها :

١ ـ نقطة التحول بين العبادات القديمة والعبادات فى الديانة الكتابية .

٢ ـ صحبت التطور فى فكرة المسيح المنتظر وماصاحبها فى مبدئها فكانت تمهيداً للدعوة الكتابية انتشاراً بين الأمم التى عنيت بالدراسات العلمية الحديثة فى مقارنات الأديان (المصدر السابق صـ١١) .

(١) راجع فى ذلك : سهيل ديب : التوراة بين الوثنية والتوحيد صـ٦ ، ١١٥ ـ ١٢٠ ، وقد ذكر

وسيتبين له أن اليهود هم أكثر الشعوب تشريحاً لدينهم وعقيدتهم تشريحاً لارحمة فيه ولاشفقة وبلا هوادة ، لقد فضحوا أساطيره وأسراره ورموزه ، وجردوه من صفته الدينية إلى درجة تجعلنا نتساءل :

هل اليهود بعد كل هذا باقون على عقيدتهم وأخلاقهم وانتمائهم اليهودى أو هم قد كفروا به وبها ؟ .

الواقع أن اليهود بالرغم من أنهم كشفوا ما فى دينهم – إلى درجة التعرية التامة من المظاهر الخرافية والأساطير ، إلا أنهم لم يفقدوا إيمانهم بل نراهم بأم أعيننا وقد زاد تعلقهم به وبقى اليهود يهوداً بل زاد تمسكهم بدينهم على الرغم من قرون عديدة من التشتت والإضطهاد وعلى الرغم من هذه الحروب الشعواء التى أعلنوها هم أنفسهم على دينهم (١) .

وكون الديانة اليهودية ثبتت بشكلها النهائى فى بابل ، جعل من الطبيعى أن تتأثر بالديانات والمعتقدات التى كانت مسيطرة هناك فى ذلك الزمان .

ويقول أحد المراجع اليهودية الصميمة فى هذا الموضوع :

« إن تفهم الديانة العبرية مستحيل ما لم تؤخذ بعين الاعتبار وبشكل مستمر ، الديانات والثقافات الأخرى التى نمت وترعرعت فى وادى الفرات .

ان الأصول القضائية البابلية وكذلك الطقوس المعمول بها فى المعابد البابلية يجب أن تؤخذ كعوامل حاسمة للتأثير على الشرائع العبرانية فى الأصول القضائية

المؤلف أسماء بعض اليهود الذين شرحوا الدين اليهودى منهم الدكتور رافائيل باتاى مؤلف كتاب « الالهة العبرية » والأستاذ غيرشوم شوليم الأستاذ فى الجامعة العبرية فى القدس والبروفسورا لليبس صاحب النظرية فى الأسباب السياسية والاقتصادية لتأسيس الدين اليهودى وغيرهم ، وذكر المؤلف أن الدكتورأنيس فريحة قد عالج هذا الموضوع بكثير من الموضوعية والرصانة فى كتابه « دراسات فى التاريخ دار النهار للنشر بيروت ١٩٨٠ ، وللأسف لم أتمكن من العثور عليه (راجع أيضاً التوراة تاريخها وغايتها صـ ٣٩ ــ ٤١) .

والطقوس ـ الدينية (١) .

وعلى ذلك فإن التراث اليهودى ـ المتمثل فى كتبهم وأسفارهم المقدسة ـ لا يمثل العقلية اليهودية فحسب بل يحمل فى ثناياه ثقافات وحضارات ومعتقدات وعادات وطقوس الأمم التى عاش اليهود بينها عبر تاريخهم الطويل .

واستوعب اليهود هذه الحضارات المختلفة وصبغوها بصبغة يهودية حتى بدت وكأنها من نتاج العقلية اليهودية .

ويستطيع الباحث المدقق أن يتتبع خيوط هذه الثقافات فى نسيج التراث اليهودى .

فاليهودية إذن تأثرت بمعتقدات وطقوس أمم مختلفة وساهمت أجيال عديدة فى تطوير وتكوين فكر وشريعة وطقوس هذه الديانة (٢) .

تذكر الباحثة كاترين هنرى أن اليهود الأولين كانوا يعيشون وسط شعوب كثيرة ذات ـ ثقافات مختلفة ولغات وعقائد وعادات مختلفة ولا شك أن دينهتم استمد أصوله من هذه التربات المختلفة (٣) .

---

(١) راجع أيضاً حول هذا الموضوع : غوستاف لوبون : اليهود فى تاريخ الحضارات صـ ٦٣ ـ ٦٤ ، قاموس التوراة منشورات نيويورك ١٩٠٩ نقلاً عن كتاب التوراة تاريخها وغايتها لمؤلف أمريكى الجنسية ترجمة وتعليق سهيل ديب صـ ٢٧ ـ ٢٨ ، ويقول هوك فى كتابه « مصادر الطقوس والملكية « إن عبادات جميع الديانات الشرقية القديمة كان يسودها مجموعة مترابطة من الأفكار التى يعود موطنها الأصلى إلى بابل ، كما أن معظم الطقوس والعبادات البابلية والكنعانية والاسرائيلية وباقى الأنظمة ما هى إلا أنماط فرعية عن ذلك النمط البابلى الأصل وقد أثبت كل من ـ جنكل وجرسمان وغيرهما من باحثى العهد القديم أن الافكار الدينية والاساطير وكثيرا من الصيغ الأدبية لم تكن اسرائيلية الأصل وغالباً ما كانت من أصل بابلى ذلك لأنها تفهم بسهولة عند تفسيرها على ضوء الافكار والمعتقدات والطقوس البابلية (منى ناظم : فكرة الخلاص عند اليهود صـ ١٥ ، ١٦ ، المسيح اليهودى صـ ٣٧ ، ٣٨ . ويذكر الدكتور نجيب ميخائيل أن دراسة عزرا للتفكير الدينى فى بابل وهضمه للثقافة البابلية قد انعكس على التوراة التى بأيدينا الآن (مصر والشرق الأدنى جـ ٣ صـ ١٨٢) .

(٢) د / محمد بحر عبد الحميد : اليهودية صـ ١٨٠ . (٣) التاريخ فى الكتاب : ترجمة حبيب سعيد صـ ٤٥

ويرى الأب ديلى أن التماذج والاختلاط اللذين حدثا بين اليهود وبين الشعوب ـ وهذا الاحتكاك الطويل بمدنيات زاهرة عامرة كل ذلك كان له أثره العميق فى حياة اسرائيل العقلية والأدبية والدينية .

فحينما انتقل اليهود من حياة البدو إلى حياة الحضر واتصلوا بالكنعانيين أخذوا ـ يتكلمون لغتهم ويتصاهرون معهم ، ونستطيع أن ندرك بسهولة ما يجره عليهم مثل هذا التقرب إلى شعب وثنى من الأخطار .

فقد كانت اختبارات اليهود الأولى مؤلمة ، مع أنهم كانوا لا يزالون على بداوتهم الأولى فكان أول التقاء لهم بالكنعانيين التقاءً جر عليهم الوبال .

وها هم الآن مع ذلك على اتصال دائم مع الكنعانيين وهم مثلهم ساميون يتصفون بصفات متقاربة وميول متشابهة مما يجعل الخطر على ديانة التوحيد أشد وأقرب .

فكان الخطر إذاً مداهما والخطب جليلا ولا سيما أن اليهود كانوا حديثى عهد بالتوحيد ميالين إلى المادة وكانت عبادة الأوثان الكنعانية مغرية فهى تتصف بالسهولة والدعارة وهى آلهة تمثلها أوثان وأنصاب تقع تحت الحواس فيتركز عليها الفكر وتقدم إليها القرابين فهى قريبة القصد سهلة المنال ، وهى على ذلك آلهة الحب والحياة والخصب وبذلك تبعث الشهوات الحسية وتثير الأهواء البشرية (١) .

ومن أجل ذلك فإن د / اسرائيل ولفنسون يرى أن ديانة الكنعانيين كانت أرقى ديانات الأمم السامية الوثنية ولهذا تأثرت بها ديانات بابل وورث الآراميون والإسرائيليون هذا التأثير (٢) .

وإذا كان للدين الكنعاني واللغة الكنعانية أثر ظاهر فى دين اليهود ولغتهم فمن الطبيعى أن يتناول هذا الأثر الأدب اليهودى أيضاً ، فإننا نعلم مثلا أن العبرانيين أخذوا عن الكنعانيين كثيراً من فروض عباداتهم وطقوسهم الدينية فكان من الطبيعى أن ـ يأخذوا عنهم ترانيم وأشعارا دينية ، وطبيعى أن يتأثر الاسلوب العبرانى بالأسلوب الكنعانى فان فى الأدب العبرى كثيراً من التشابه والمصطلحات الكنعانية حتى إننا

---

(١) تاريخ شعب العهد القديم صـ ١٨٦ ـ ١٨٧ .   (٢) تاريخ اللغات السامية صـ ٥٣ .

لنجد أحياناً اقتباسات من الأدب الكنعانى مباشرة (١) .

فعلى سبيل المثال نجد أن أسفار الكنعانيين الفينيقيين القديمة فيها ما يشبه تماماً آيات أسفار العهد القديم ، والأولى تتحدث عن البعل اله الفينيقيين والثانية تتحدث عن « يهوه » اله اليهود ، وقد كتبت الأشعار الفينيقية حوالى القرنين الرابع عشر والثالث عشر ق . م . أى فى زمن دخول اليهود أرض كنعان بعد خروجهم من أرض مصر .

ولا بد أن هذه القصائد كانت سماعية ويرجع تاريخها إلى عصر مبكر وكان الشعب ينشدها ويرددها وتناقلتها الأجيال عن طريق السماع .

أما ايات أسفار العهد القديم فقد كتبت بعد هذا التاريخ بزمن طويل ولكنها تتضمن بعض الآيات التى ترجع إلى تاريخ مبكر وبديهى أن أدب الدين العبرانى تأثر بالشعر القصصى الفينقيقى وإليكم بعض هذه المقتطفات (٢) .

مقتطفات من أسفار العهد القديم	مقتطفات من الشعر القصصى الفينيقى
١ ـ لأنه هوذا أعداؤك يارب لأنه هوذا أعداؤك يبيدون ، يتبدد كل فاعلى الإثم (مزمور ٩٢ : ٩)	هوذا أعداؤك يا بعل ، هوذا أعداؤك ليتك تضربهم هوذا أنت تقهر كل أعدائك
٢ ـ إذا أعطى قولا ، تكون كثرة مياه فى السماوات ، منح بروقا للمطر (أرميا ١٠ : ١٣) .	(بعل) يعطى صوته فى السحب ، يرسل بروقا إلى الأرض
٣ ـ اطلع من مسكن قدسك من السماء بارك الأرض التى أعطيتنا أرضا تفيض لبنا وعسلا (تثنية ٢٦ : ١٥) .	السماء تمطر زيتا ، الأودية تفيض بالعسل
٤ ـ رأس كلامك حق وإلى الدهر كل	كلامك حق حكمتك إلى الدهر

(١) د / فيليب حتى : تاريخ لنان صـ ١٧٠ .

(٢) كاترين هنرى : التاريخ فى الكتاب صـ ٤٥ ـ ٤٦ ، والمقتطفات ذكرتها الباحثة صـ ٤٦ ـ ٤٧ ، راجع أيضاً تاريخ سورية جـ ١ صـ ١٢٤ ـ ١٢٥ .

مقتطفات من الشعر القصصي الفينيقي	مقتطفات من أسفار العهد القديم
	أحكام عدلك .
	(مزمور ١١٩ : ١٦٠)
(دانيـال) ينهض ويجلس عند البـوابة بين العظمـاء ، والشـرفاء ، يـحكم فى قـضيـة الأرملة ويدافع عن اليتيم	٥ ـ حـين كنت أخـرج إلى البـاب فى القـرية وأهيئ فـى السـاحـة مجلس رآنى الغلمان فاختبأوا ، والاشباح قاموا ووقفوا لأنى أنقذت المسكين المستغيث واليـتيم ، وجعلت قلب الأرملة يسر
	(أيوب ٢٩ : ٧ ـ ١٣)
أهلكت الحية الملتوية أهلكت الحية الملتوية الملعونة ذات الرؤوس السبع	٦ ـ كسرت رؤوس التنانين على المياه ، أنت رضضت رؤس لوياناثان
	(مزمور ٧٤ : ١٣ ـ ١٤)

وقد كشفت المدونات الكنعانية التى عثر عليها فى مدينة أوغاريت (رأس الشمرة) ـ شمال مدينة اللاذقية بكل جلاء أن أكثر ما دونه اليهود فى التوراة (العهد القديم) من القطع الأدبية من مزامير وأشعار وتراتيل ترجع إلى أصل كنعانى فهناك تعابير وردت فى الأسفار والمزامير و الأمثال ونشيد الانشاد يظهر فيها الشابه واضحاً مع التعابير الأوغاريتيه الكنعانية (١) .

---

(١) راجع تفاصيل ذلك كونتنو : الحضارة الفنيقية صـ ١١١ وما بعدها ، أنيس فريحة : ملاحم وأساطير من أو غاريت صـ ٩٢ وما بعدها ، د/ فيليب حتى : تاريخ لبنان صـ ١٥٣ ، ١٦٩ ـ ١٧٠ تاريخ سورية جـ ١ صـ ١٢٣ ـ ١٢٥ د احمد سوسه : مفصل العرب واليهود فى التاريخ صـ ٤٥٩ ـ ٤٦٠ .

المبحث الثالث : مظاهر تأثر بعض الأسفار بالأديان الوثنية :

وفيما يأتي أبين بشئ من التفصيل مظاهر تأثر اليهود بالأديان الوثنية فيما يتعلق بنصوص ومدونات بعض أسفار العهد القديم وهي :

١ـ سفر المزامير

٢ـ سفر الأمثال

٣ ـ سفر نشيد الانشاد

٤ـ سفر الجامعة

٥ـ سفر أيوب

٦ ـ سفر دانيال

١ـ سفر المزامير :

من بين الأسفار التى ظهر للعلماء أنها قد اعتمدت على مصادر الديانات سفر المزمير

فكثير من المؤرخين والباحثين توصلوا بعد دراسات نقدية للمزامير إلى أن كثيراً منها يرجع إلى أصول بابلية وأشورية ومصرية وغيرها .

وأحب قبل أن أعرض لهذه الدراسات أن أقول : انه يجب أن نفرق دائما بين المزامير المذكورة فى أسفار العهد القديم وبين الزبور الذى ذكره القرآن الكريم على أنه الكتاب السماوى الذى آتاه الله لداود « وآتينا داود زبوراً » (١) .

بل انه سيتبين لنا أن كثيراً من هذه المزامير المذكورة غير منسوبة إلى داود عليه السلام وذلك باعتراف اليهود أنفسهم .

وأبدأ أولاً بدراسة موجزة حول المزامير من حيث موضوعها وأقسامها ومعرفة مؤلفيها وزمن تدوينها .

(١) النساء ١٦٣ .

تعرف المزامير فى العبرية باسم (تهليم) وهى تأتى فى العهد القديم على رأس ـ الكتب المختلفة الموضوعات والأساليب فهى شعر ونثر وهى ترانيم دينية وحكم فلسفية، وهى شعر تعليمي وأغان غزلية وقصص وأساطير وتاريخ وهى كل مالم يرد ضمن أسفار التوراة أو ـ أسفار الأنبياء (١) .

ويحتوى سفر المزامير على مائة وخمسين مزموراً وتنقسم فى وضعها الحالى إلى خمسة كتب أو أقسام وتفصل بين القسم والآخر عبارات مرنمة وهذه الأقسام هى :

القسم الأول : من المزمور ١ ـ ٤١

القسم الثاني :مزمور ٤٢ ـ ٧٢

القسم الثالث : مزمور ٧٣ ـ ٨٩

القسم الرابع : مزمور ٩٠ ـ ١٠٦

القسم الخامس : مزمور ١٠٧ ـ ١٥٠ (٢) .

---

(١) يذكر العلماء أن المزامير ضرب من الشعر سمى بهذا الاسم نسبة إلى الآلة الموسيقية التى تصحب انشاده وباسم الآلة سمى السفر أيضا ، والمزمور هو قصيدة من الشعر الوجدانى الغنائى ذات صور متنوعة وتعابير جزئية ، يأتى سفر المزامير فى الطليعة من بين الأسفار الشعرية فى العهد القديم أعنى الأمثال وأيوب والتى تحتوى على مجموعة ـ كبيرة من الترانيم الدينية لذلك يرجح أن لفظ « هليم » العبرى ومعناه مدائح كان ـ يطلق أيضا على سائر الكتب التى تحتوى على المدائح والأشعار وقد استعاضت الترجمة السبعينية عن لفظ « تهليم » بالكلمة اليونانية وترجمتها « مزامير » وتعنى العزف على آلة وترية (راجع الأب ديلى : تاريخ شعب العهد القديم صـ ٣٦٥ ، د/ فؤاد حسنين التوراة الهيروغليفية صـ ١٣٠ - ١٣١ ، قاموس الكتاب المقدس صـ ٤٣٠ .

(٢) التوراة الهيروغليفية صـ ١٣١ ـ ١٣٢ ،حبيب سعيد : المدخل إلى الكتاب المقدس صـ ١٤٢ وورد فى القاموس أن المزامير تنقسم إلى خمسة كتب تنتهى كل منها بتسبيحة وتكرار لفظة آمين مرتين أضافها جامعو الكتاب لا مؤلفو المزامير ، ولعل هذه التقسيم الخماسى يرمز إلى الأسفار الموسوية الخمسة وهو تقسيم يرى بوضوح فى الترجمة السبعينية كما فى الاصول ـ العبرانية القديمة (راجع تفاصيل هذه الأقسام الخمسة قاموس الكتاب المقدس صـ ٤٣٠ ـ ٤٣١)

ويبدو أن هذا التقسم قد وضع فى عهد متأخر تمشيا مع أسفار التوراة الخمسة ، على أن بعض علماء الكتاب المقدس يرون أن هناك تقسيماً مبكراً يضع المزامير فى ثلاثة أجزاء فقط :

الجزء الأول كما هو من (١ ـ ٤١)

الجزء الثانى من (٤٢ ـ ٨٩)

الجزء الثالث من (٩٠ ـ ١٥٠) (١) .

معرفة مولفى المزامير :

أما فيما يتعلق بمعرفة مؤلفى هذه المزامير أو التحقق من نسبتها إلى أشخاص معروفين فان علماء الكتاب المقدس يذكرون أن مزامير العهد القديم قد انتهت الينا من حقب مختلفة فى تاريخ اسرائيل حيث استمر تأليفها مدة نحو ألف سنة من أيام موسى عليه السلام إلى العودة من السبى البابلى أو حتى بعد هذه العودة بقليل فى أيام عزرا .

ويذكرون أيضا أنه ليس لدينا الا النزر اليسير من المعلومات عن أسماء كتاب هذه المزامير ويبدو أن بعضا منها يرجع إلى تاريخ متقدم ثم أدخل عليها بعض التعديل فى اللفظ (٢) .

وانتهى العلماء إلى أن ثلثى المزامير وعددها (مائة مزمور) تنسب إلى مؤلفين مختلفين وأن الثلث الباقى وعدده (خمسون مزموراً) كتابه مجهولون .

فنسبوا ثلاثة وسبعين مزموراً إلى داود ، واثنى عشر مزموراً إلى آساف وعشرة

---

(١) راجع تفاصيل هذا التقسيم الثلاثي : حبيب سعيد : المدخل إلى الكتاب المقدس صـ ١٢ ـ ١٤٣ .

(٢) حبيب سعيد : المدخل إلى الكتاب المقدس صـ ١٤١ قاموس الكتاب المقدس صـ ٤٣٢ ، ويدافع حبيب سعيد عن ذلك ويقول « على أن هذا السفر لا تقوم أهميته على كاتبه أو تاريخ كتابته وذلك لأن قيمته الروحية انما تستند إلى الخصب الروحى الذى تستمده النفوس الخاشعة وهى تردد هذه المزامير فى مناسبات مختلفة فاليهودى فى القديم وهو فى هيكله والمسيحى فى العصر الحديث فى بيعته كلاهما ألفى مدداً روحيا غزيراً فى حياته الحاضرة وآماله المستقبلة (صـ ١٤١-١٤٢) .

مزامير إلى بنى قورح ، ومزمورين إلى سليمان ، ومزموراً واحداً إلى كل من موسى وايتان وهيمان

فالمزامير المنسوبة إلى داود عليه السلام هى : ٣- ٩و ١١- ٣٢ و٣٤-٤١و٥١-٦٥و٦٨-٧٠و٨٦و١٠١و١٠٣و١٠٨-١١٠و١١٢و١٢٤و١٣١ و١٣٣و١٣٨-١٤٥

والمزامير المنسوبة إلى آساف [١] هى : (٥٠، ٧٣-٨٣)

والمزامير المنسوبة إلى بنى قورح [٢] هى : (٤٢ ، ٤٥-٤٩، ٨٤-٨٧)

والمزموران المنسوبان إلى سليمان هما : ٧٢ ، ١٢٧

والمزمور المنسوب إلى موسى هو رقم ٩٠

والمزمور المنسوب إلى شخص اسمه ايتان رقم : ٨٩

والمزمور المنسوب إلى هيمان هو رقم : ٨٨ .

وأما الأسفار الخمسون التى هى مجهولة المؤلف فهى مزامير :

(١-٢، ١٠، ٣٣، ٤٣، ٦٦-٦٧، ٧١، ٩١-١٠٠، ١٠٢، ١٠٤-١٠٧، ١١١-١٢١، ١٢٢، ١٢٥-١٢٦، ١٢٨-١٣٠، ١٣٤-١٣٧، ١٤٦-١٥٠) [٣]

وهكذا قد تبين لنا أن أكثر من نصف المزامير ليست منسوبة إلى سيدنا داود عليه السلام وانما هى منسوبة إلى غيره أو مجهولة النسبة ، وحتى المزامير المنسوبة إلى داود فان هذه النسبة ليست يقينية وانما قيل بها حسب ماهو مسجل فى عناوينها [٤] .

---

(١) كان آساف هذا لاوياً وأحد رؤساء آلات الطرب والترتيل لداود (قاموس صـ ٤٣٢)

(٢) بنو قورح هم عائلة من الشعراء ـ كانوا يمارسون وظيفة الكهنوت فى أيام داود وخلفائه (المصدر السابق صـ ٤٣٢)

(٣) راجع التفاصيل حول نسبة هذه الأسفار إلى أصحابها: د/ حسن ظاظا : الفكر الدينى الإسرائيلى صـ ٥٧ ـ ٥٨ ناقلا عن بنيامين جرين التوراة الهيروغليفية صـ ١٣٢ ـ ١٣٤ ، قاموس الكتاب المقدس صـ ٤٣٢ ، صموئيل شولتر : العهد القديم يتكلم صـ ٣٨٤.

(٤) وقد تسمى المزامير كمجموع « مزامير داود » ويعلل القاموس ذلك بأن داود كان أشهر المؤلفين ورئيس المرنمين (قاموس الكتاب المقدس صـ ٤٣٢)

يقول الدكتور فؤاد حسنين « أما نسبة هذه المزامير لأفراد بعينهم فيجب أن لانقبله دون بحث أو تحقيق ، فالترجمة السبعينية مثلاً تذهب إلى نسبة أربعة ترانيم إلى النبيين : حجى ، وزكريا كما أضافت إلى داود أكثر من اثنى عشر مزموراً من بينها مايتصل بالأسر و منها مايتصل باعادة بناء المعبد

والنتيجة أن هذه المزامير يجب أن لانحكم عليها أوننسبها إلى ما جاءنا فيها وذلك أن هذه النسبة ثبت بطلانها وعلى الباحث أن يدرس كل مزمور على حدة ليتبين على ضؤ نصه الزمن الذى يرجع إليه (١) .

تاريخ تدوين المزامير :

وأما تاريخ كتابة المزامير فان حبيب سعيد يذكر أنه لا يمكننا أن نحدد الزمن الذى كتبت فيه ، وان كان من الواضح أن بعضها يرجع إلى عصر الملكية لأن للملك ذكرا فيها، وبعضها الآخر يرجع إلى زمن السبى والبعض الثالث يرجع إلى ما بعد السبى (٢)

ويرى أن كل مزمور يحتاج إلى دراسة خاصة لإمكان تحديد زمنه والظروف التى وضع فيها (٣) .

وتذكر الباحثة كاترين هنرى أن العلماء فى العصر الحديث قد عكفوا على دراسة المزامير من حيث تاريخ كتابتها وأصلها والغرض منها ، وترى أن بعض المزامير ذات صبغة شخصية تعبر عن احساس انسان فرد وتنطق بلسانه ، وبعضها الاخر ذات صبغة عامة ينطق بلسان جماعة أو أمة ، وقليلاً منها ينطق بلسان ملك من الملوك.

وتنتهى إلى أننا لانستطيع الآن الجزم بقول عن تاريخ كتابة المزامير والباعث على

(١) التوراة الهيروغليفية صـ ١٣٤ .

(٢) يذكر سبينوزا أن المزامير قد جمعت وقسمت إلى خمسة أسفار بعد اعادة بناء المعبد ، ويشهد فيلون الاسكندرى بأن المزمور ٨٨ قد كتب ومازال الملك يهو ياكين فى السجن فى بابل وان المزمور ٨٩ كتب بعد إطلاق سراحه وما كان فيلون يقول هذا ــ فيما يعتقد سبينورا ـ لو لم تكن هذه الفكرة متواترة فى عصره أو مالم يكن قد تلقاها من الثقات • رسالة فى اللاهوت والسياسة صـ ٣٠٩ ، ويرى د/ المسلى أن سفر المزامير فى صورته الحالية هو فى جوهره أثر من الآثار اليهودية فى العصر التالى للسبى (سقوط أورشليم وأهميته العالمية صـ ٦٤٨) .

(٣) المدخل إلى الكتاب المقدس صـ ١٤٥ .

كتابتها ، فالعلماء ما فتئوا يبحثون وينقبون ولم يصلوا بعد إلى نتائج حاسمة ومايزال الاتفاق فى الرأى بعيداً .

على أنه فى وسعنا ـ كما تقول ـ إلى حد ما أن نلجأ إلى أحكامنا الخاصة وتقدير عقولنا عند دراسة آرائهم التى اجتهدوا فيها ، وقد يكون مايبديه العلماء فى بعض مشاكل هذا البحث صواباً أو قريباً من الصواب ، و الذى يمعن النظر فى بعض المزامير يرى أنها كتبت أو جمعت فى تواريخ متفاوتة متباعدة (١) .

ويذهب صموئيل شولتز إلى أن الآراء تتضارب بشأن الزمن الذى جمعت فيه المزامير ويرجح أن المجموعات القديمة منها ترتبط باسم داود كملك ثم أسهم من بعده ملوك يهوذا فى تنظيم وتوسيع استخدام هذه المزامير على التوالى .

ويرى أن يكون عزرا فى عصر ما بعد السبى هو آخر المؤلفين الذين أسهموا فى كتابة سفر المزامير (٢) .

وعلى أى حال فان أسلوب تدوين المزامير يدل على أنها دونت بعد المنسوبة اليهم بمدة طويلة (٣) .

ويرى ول ديورانت أن المزامير ليست كلها من وضع داود وحده بل من وضع طائفة من الشعراء كتبوها بعد الأسر اليهودى بزمن طويل ، ويغلب أن يكون ذلك فى القرن الثالث ق .م (٤) .

وهكذا فان سفر المزامير لم يثبت بالسند الكامل أن مصنفه فلان ولم يعلم زمان جمع تلك المزامير فى مجلد واحدولم يتحقق أن اسماءها الهامية أو غير الهامية (٥) .

ولذلك فان كثيراً من العلماء والنقاد المحدثين يشكون فى المصدر الالهى لسفر المزامير (٦) .

---

(١) التاريخ فى الكتاب صـ ١١٣ ـ ١١٤ .　　(٢) العهد القديم يتكلم صـ ٣٨٤ .

(٣) محمد عزة دروزة : تاريخ بنى اسرائيل من أسفارهم صـ ١٥٩ .

(٤) قصة الحضارة مجلد ١ جـ ٢ صـ ٣٨٦ .

(٥) الشيخ رحمت الله الهندى : اظهار الحق صـ ٩٤ ـ ٩٥ .

(٦) د/ حسن حنفى : مقدمة رسالة فى اللاهوت والسياسة صـ ٩٢ ، ويذكر أن على رأسهم دوم كالمية ،نويل الاسكندر ، فران .

ويرون أن المزامير كما وصلتنا فى العهد القديم هى صورة صادقة للآثار البعيدة التى اقتبسها العبريون مستقرين أو مسبيين من مصر أولا و بابل وأشور ثانياً (١) .

ويذهبون إلى أن بعض هذه المزامير قد تأثرت بتراتيل الشعوب التى احتك بها اليهود مثل البابليين والمصريين (٢) .

ويذكر الدكتو فؤاد حسنين على أن الاسرائيليين لم ينفردوا بالمزامير فنحن نجدها عند غيرهم أمثال البابليين وقدماء المصريين والشبه بين الفنيين كبيرٌ جدا، بل ان معظم المزامير العبرية ترجع فى الواقع إلى الأدب البابلى (٣) .

حيث كان أثر البابليين شائعاً جداً فى فلسطين قبل السبى منذ عهد (آحاز) (ومنسى) وحيث انتقلت الديانة البابلية وقتذاك بمزاميرها وترانيمها الخاصة وكانت تغنى فى الأعياد إلى اورشليم (٤) .

ويذهب أحد الباحثين إلى أن كتاب المزامير المتأخرين قد أطلعوا على قصة احيقار (٥) واقتبسوا منه بعض الحكم والأفكار (٦) .

---

(١) التوراة الهيروغليفية صـ ١٣٩ .

(٢) د/ بحر عبد المجيد : اليهودية صـ ٩٥ .

(٣) راجع بعض نماذج من المزامير البابلية والمقارنة بينها وبين المزامير اليهودية : بريستيد : فجو الضمير صـ ٣٦٣ ـ ٣٦٥ ، د/ نجيب ميخائيل : مصر والشرق الادنى القديم جـ ٦ حضارات العراق وفار س صـ ١٦٠ـ ١٦٣ .

(٤) التوراة الهيروغليفية صـ ١٣١ ، ويذكر بريستيد أن الثقافة البابلية كان لها أثر هام وخالد على العبرانيين وأنه عن طريق الكنعانيين بوجه خاص وصل أثر البابليين فى الفن والأدب والدين إلى العبرانيين لأنهم حين دخلوا فسطين صاروا على اتصال مباشر بالحضارة الكنعانية المركبة التى انشئ معظمها من العناصر البابلية والمصرية القديمة معاً (فجر الضمير صـ ٣٧٢) .
هذا بالاضافة إلى أن اليهود قد اطلعوا على المزامير البابلية أثناء السبى البابلى ونقلوا كثيراً منها ويؤيد ذلك أن عدداً من المزامير قد وضعت بعد السبى كما سبق .

(٥) عرفت قصة احيقار فى كثير من الآداب القديمة وترجمت إلى عدد من اللغات القديمة و الحديثة ويقص المؤلف ان احيقار كان وزيراً حكيماً لملك اشور سنحاريب بن اسرحدون وكان ذا مال كثير ومعرفة ورأى وتدبير وقد كتب حكمته فى شكل نصائح وجهها إلى ابن اخته) راجع تفاصيل ذلك : سهيل قاشا : الحكمة فى وادى الرافدين صـ ٨٣ـ ١٠٢ مطبعة شفيق بغداد ١٩٨٣)

(٦) المصدر السابق صـ ١٠٨ ـ ١٠٩

أثر الأدب المصرى على المزامير :

أمـا الأثر المصرى فى المزامـير فـان العلمـاء قد توصلـوا إلى نتائج هامـة فى هذا الشـأن ، ونظراً لخطورة هذا الأمـر أحب أن أشـيـر إلى الملابسـات التـاريخـيـة التى توضحه فان حضـارة مصر وثقافتها قد شاعت فى فلسطيـن ووقر فى النفوس علمها وحكمتها:

يذكـر بريستـيد أن اليـهود أخـذوا الكثيـر من قوانينهم وأسـاطيرهم عن المدنـية البابليـة أما فى الأخلاق والدين والـتفكير الاجـتماعى بوجـه عام فاننا نجـدهم قد بنوا حياتهم على الأسس المصرية القديمة .

فـالاسرائيـليون بعـد اسـتيطـانهم فلسطين كـانوا فى الواقع يسكنون أرضـاً من الأملاك المصـرية مضت عـليها فـى هذه الحالة قرون بـأكملهـا ، فقد بدأ المـصريون يسطون سيطرتهم على الساحل الفـينيقى قبل أن يطأ العـبرانيون فلسطين بأكـثر من ألفى سنة إذ اقتـحمت الجيـوش المصرية فلسطين سنة ٢٥٠٠ ق .م ولما فـتح الفراعنة المصـريون آسيـا الغـربيـة ، ووصلوا فى فـتحـهم إلى نهـر الفـرات فى خلال القـرن السادس عشر ق .م بقيت فلسطين مستعمرة فى أيديهم اكثر من أربعة قرون

والواقع أنهم حكموا فـلسطين مدة قرنين بعـد دخول العبـرانيين فيـها ، وبذلك بلغت المدنية الكنـعانية مرتبـة سامـيـة فى القرون التى احتلتـها فيهـامصر ، فلمـا غزاها العبرانيون كانت قد صبغت مراراً وتكراراً بالعناصر المصرية (١) .

ومن قبل أن يدخل الاسـرائيليون فلسطين كانوا قـد أقاموا فى مصـر مدة طويلة قـدرت ـ بأربعمـائة عام أو اكـثر ظلـوا فيـها يعـملون للمصـريين ويتكلمـون لغتـهم ويتداولون فكرهم ، ثم خرجوا يحملون ، مع ماسلبوا من ثياب وحلى من ثقافة مصر وحضـارتها وآدابهـا الكثير ، وذهبت الحـقائق بما أورثـتـهم مصر فى نظـمهم وآدابهم وعقائدهم ـ كما يقول د/ احمديوسف ـ مذهب البدائه التى لا تقبل الجدل ولاتفتقر إلى دليل (٢) .

---

(١) فجر الضمير صـ ٣٧٢ ، ١١٤ ، ٤١٢ .

(٢) مصـر فى القرآن والسنة صـ ١٨٠ ، راجع قنوات الاتصال التاريخية بين مصر واليهـود فى البابين الأول والثانى من هذا البحث .

وقد تبين لنا فيما سبق أن الصلات التاريخية ظلت قائمة فى عصرى المملكة الموحدة ـ والانقسام وعاش اليهود في العصر الأخير يتنقلون بين الخضوع للمصريين وللأشوريين والبابليين حتى السبى البابلى وسقوط مملكة يهوذا فى عام ٥٨٦ ق.م (١) .

وهكذا يبدوا واضحاً أن الاسرائيلين منذ دخولهم مصر علي أيام الهكسوس مروراً باقامتهم فى فلسطين وحتى السبي البابلى وكتابة توراتهم إبانه لم يبتعلوا عن التأثير المصرى فى كل المجالات الفكرية والمادية .

ومن هنا كان التأثير المصرى في التوراة وفى العبادات وفى مجالات الحياة الاسرائيلية الأخرى والتى كان الأدب واحداً من أبرزها ، حيث أقبل علماء الساميات على دراسة هذا الأدب وظهرت نتائج أبحاثهم وكلها تقدير للأدب المصرى وأثره على الأدب العبرانى (٢) .

فقد سبقت مصر الفراعنة الاسرائيليين فى النشاط الأدبى بما لا يقل عن ألفى سنة، وأدى ذلك إلى أن ينقل الاسرائيلون فى شعرهم كل خصائص الشعر المصرى والتى يمكن القول أنها مشابهة تماماً لمثيلاتها فى الشعر العبرى (٣) .

---

(١) راجع علاقة اليهود بمصر فى البابين الأول والثانى من هذا الكتاب .

(٢) ويكفى أن نشير هنا فى هذا الشأن إلى أبحاث « جرسمان » و« أوسترلى » « وهومبير » و« يهودا » (راجع د/ محمد بيومى مهران جـ ٩ صـ ٣٤٩ ـ ٣٥٠ .

(٣) لقد أورد أوسترلى فى فصل « مصر وإسرائيل » الذى جاء بكتاب « تراث مصر » عن ايرمان خصائص الشعر المصرى القديم التى نقلها الاسرائيليون فى شعرهم وتنحصر هذه الخصائص فيما يأتى :

١ـ تقسيم القصائد إلى مقاطع ـ فقرات وأبيات) ليس من الضرورى أن تكون متساوية فى الطول من حيث عدد سطورها ، ولكنها تبين بوضوح أنها مقسمة إلى أقسام وتدل دلالة قاطعة على هذا التقسيم.

٢ـ تكرار استخدام التماثل ، كمظهر من مظاهر هذا التشابه فتأخذ الفكرة الواحدة ـ تعبيراً مزدوجاً ، حتى ان السطر يتكون فيها من جملتين قصيرتين ، توجد فى كل منهما نفس الفكرة بصيغة مختلفة عن الأخرى .

٣ـ يتمثل التشابه كذلك فيما يبدو ، من أن السطور الشعرية انما تحتوى على عدد محدد ومنتظم من الأنغام أو الضربات الايقاعية .=

وعندما نحاول أن نعرف أهم مايدين به الكتاب اليهود لمصر ، فهناك مجالات رئيسية ثلاث هى : الشعر الدينى ، وكتابات الحكمة ، والشعر غير الدينى .

هذا ووجد شعر دينى كثير فى التوراة ـ أو العهد القديم ـ ولكن المزامير بطبيعة الحال أهم هذا الشعر الدينى ، ولعل من اللافت للنظر ذلك التقارب المدهش بين الشعر المصرى فى مديح الاله «آمون رع» وبين فقرات متنوعة من سفر المزامير .

ولاشك أن الموازنة بين المزامير وقصائد المديح المصرية لا يمكن أن تنسب إلى المصادفة البحتة وقد تظهر الأمثلة من كل منهما ذلك بوضوح لا لبس فيه ولاغموض (١) .

بين نشيد اخناتون والمزمور (١٠٤)

ومن أبرز الامثلة على تأثر المزامير بالآداب المصرية تلك المقارنة التى قام بها العلماء بين المزمور رقم (١٠٤)(٢) وبين أنشودة أخناتون (٣) .

= ٤ـ وضوح استخدام اللعب بالألفاظ مما أدى إلى ورود ألفاظ كثيرة فى القصيدة لها نفس النطق ٥ ـ الولع بالتبتيع أى تكرار الحرف الواحد فى أوائل الكلمات من الجملة وأحياناً تكراراً ـ الحرف الواحد فى الكلمة الأولى من كل سطر .

٦ـ الاكثار من استخدام المحسنات اللفظية كالمجاز والاستعارة والكناية .

وكل هذه الخصائص ترى أيضا فى الشعر العبرانى مما يدل على مدى دين الشعر ـ العبرانى للأنماط المصرية واعتماد الشعراء اليهود على النماذج المصرية فى التركيب البنائى لأدبهم الشعرى .

(راجع د/ صبرى جرجس :التراث اليهودى صـ ٧٥ ـ ٧٦ ، د/ مهران جـ٩ صـ ٣٥٠ ـ ٣٥١ .

(١) راجع تفاصيل هذه الموازنة : د/ محمد بيومى مهران : دراسات فى تايخ الشرق الأدنى القديم جـ ٩ صـ ٣٥١ ـ ٣٥٣ .

(٢) المزمور (١٠٤) كما سبق أن ذكرت ضمن الخمسين مزموراً التى هى مجهولة المؤلف وبالتالى فهو بعيد تماماً عن سيدنا داود عليه السلام حتى باعتراف اليهود أنفسهم وبالتالى فلا حرج علينا فى بحثه والتعرض لدراسات العلماء حوله .

(٣) كان اخناتون من فراعنة الاسرة الثامنة عشرة ـ (١٥٧٠ ـ ١٣٢٠) ق .م ، فى عصر الدولة الحديثة ، وكان يسمى امنحوتب الرابع (١٣٧٠ ـ ١٣٤٩) ق .م . وقد تولى الملك شريكا =

وقد كـان المؤرخ الأمريكى جيمس هنرى بريستيد (١٨٦٥ ـ ١٩٣٥ م) هو أول من أشار إلى المطابقة بين نشيد اخناتون والمزمور (١٠٤) من سفر المزامير .

ثم قام بعمل مقارنة بين النصين ـ المصرى والعبرانى ـ فخرج من بحثه ـ أو أبحاثه ـ بأن ذلك لا يمكن أن يكون بسبب توارد الخواطر بحال من الأحوال وانما المرجح أن العبرانيين انما كانوا على علم بأنشودة اخناتون التى وضعها لاله الشمس (١) .

يقول بريستيد : « لقد لا حظنا أن مؤلفى المزامير العبرانيين قد رسموا صورة تدل عى الحماية الالهية المستمدة من تحت جناحى اله الشمس المصرى الظليلين ولا بد أنهم كانوا على علم بأنشودة اخناتون التى وضعها لإله الشمس .

= لأبيه امنحوتب الثالث وأقام معه فى طيبة ولكن منذ أن أصبح له شئ من الأمر بدأ يفكر فى الدعوة إلى عبادة الشمس واختار أحد مظاهرها وهو « أتون » الذى عبر به عن القوة الكامنة فى قرص الشمس الهاله وأقام له معبداً على مقربة من معبد الكرنك . وفى العام السادس من حكمه جهر اخناتون أو امنحوتب الرابع بعقيدته وأعلن التوحيد خالصا فنادى باله واحد لاشريك له ، ولا محل لتعدد الأرباب والربات إلى جانبه ، ليس هو آمون ولكنه آتون ـ وليس هو ممن تقوم عبادته خلف أستار وأسرار ولكنه اله شهد الناس آياته دون حجاب ، وبدأ امنحوتب بنفسه متبرئا من لفظ آمون فى اسمه وسمى نفسه اخناتون) ربما بمعنى المخلص لآتون أو المجد لآتون) وهجر العاصمة التى ساد فيها الاله آمون إلى عاصمة أخرى فى أواسط الصعيد وهبها لربه الواحد الأحد وسماها « أخت أتون » .

ولم تكن ديانة آتون التى دعا اليها اخناتون لمصر وحدها بل كانت للعالم كله وتعتبر محاولة للاتجاه نحو التوحيد ونحو التخلص من عبادة آلهة متعددة فى وقت واحد ولكنها لم تصل إلى الكمال الذى يوجد فى الدين ا لسماوى ، ويذكر الدكتور رءوف شلبى أن ـ دعوة اخناتون لم تكن من منطلق الصراع السياسى بين الملوك والكهنة ، وانما كانت من منطلق دعوة الأنبياء السالفين سيدنا ابراهيم وسيدنا يوسف عليهما السلام .

(راجع تفاصيل الحديث عن اخناتون وديانته : ول ديورانت : قصة الحضارة مجلد ١ جـ ٢ صـ ١٦٨ ـ ١٦٩ ، د/ عبد العزيز صالح : الشرق الادنى القديم : مصر والعراق صـ ٢٠٤ ـ ٢٠٥ ، و ٣٣٢ ـ ٣٣٨ ، د/ احمد فخرى : مصر الفرعونية صـ ٣٠٢ ـ ٣٠٨ ، عباس محمود العقاد : الله صـ ٦٨ ـ ٦٩ ، د/ رءوف شلبى :آلهة فى الأسواق صـ ٢٩١ ـ ١٩٢ مكتبة الأزهر ١٩٨٠م

(١) د/ احمد فخرى : مصر الفرعونية صـ ٣٢٨ ـ ٣٢٩ ، د/ محمد بيومى مهران : دراسات فى تاريخ الشرق الأدنى جـ ٩ صـ ٣٥٣ .

ويرجح بريستيد أن يكون الأصل المصرى القديم لتلك الأنشودة قد انتشر فى فلسطين أو فينيقية قبل ظهور المزامير بزمن طويل ، اذ انتهى اخناتون من اخراج أنشودته هذه قبل منتصف القرن الرابع عشر ق .م .

ومن البدهى أن أعداءه الحانقين عليه ما كانوا يتركونها تنتشر فى مصر مدة ستة أو سبعة قرون (أى إلى ما بعد سنة ١٠٠٠ ق .م بكثير) وهو الوقت الذى ابتدأ فيه العبرانيون يدونون اهتمامهم بها .

وعلى ذلك يجب التسليم بأن تلك الأنشودة قد انتقلت إلى آسيا فى عهد اخناتون ـ نفسه وأنها بذلك أفلتت هناك من الدمار المحقق على يد أعدائه (١) .

ويذكر بريستيد أن هذه الأنشودة قد حدث فيها تغيير عظيم ، بعد أن ترجمت إلى بعض اللهجات السامية من لهجات آسيا الغربية كاللغات الفينيقية أو الآرامية أو ـ العبرية على الأرجح .

على أنه بفحص محتويات الفقرات المشابهة لها (من المزمور ١٠٤) يظهر لنا مدى ـ الشبه المدهش بين الصورتين لا من حيث مضمون أنشودة أخناتون فحسب بل اننا كذلك نجده فى تتابع الأفكار وترتيبها الظاهرى فان ذلك بقى فى الرواية الاسيوية كما كان فى أنشودة اخناتون .

ويقرر بريستيد انه لا يمكن أن تكون تلك المشابهات من قبيل الصدفة بل انها على العكس دليل على وجود جزء عظيم من الأنشودة المصرية الدينية القديمة منشوراً بشكل معدل فى المزامير العبرانية (٢) .

هذا وكان بريستيد قد لفت الأنظار إلى هذا التشابه المدهش الموجود بين المزمور ـ ١٠٤ وبين الأنشودة الاخناتونية فى كتابه « تاريخ مصر من أقدم العصور إلى الفتح الفارسى » (٣) وسرعان ماتقدمت الأبحاث وتطورت الدراسات فعضدت اشارة

---

(١) فجر الضمير صـ ٣٩٣ ترجمة سليم حسن نشر مكتبة مصر من سلسلة الألف كتاب رقم (١٠٨)

(٢) المصدر السابق صـ ٣٩٣ ـ ٣٩٤ .

(٣) تمت ترجمة هذا الكتاب إلى العربية وقام ـ بالترجمة الدكتور حسن كمال وراجعه وصححه محمد حسنين الغمراوى بك ونشرت وزارة ـ المعارف العمومية الطبعة الأولى بالقاهرة ١٣٤٧ هـ/ ١٩٢٩ م .

بريستيد وأضافت اليها براهين جديدة :

يقول بريستيد « وقد مضى الآن ما يقرب من جيل منذ ذلك الحين ولم يكن فى استطاعتى فى ذلك الوقت أن أتعرض لأكثر من بيان وجه الشبه فقط ، اذ كان من الحكمة ألا تبنى أية نتيجة على مجرد وجود تلك الحقيقة .

ولكن الأبحاث والكشوف التى تلت ذلك العهد قد غيرت موقفنا تغييرا جوهرياً حيث صار لدينا الآن الأصل الهيروغليفى المصرى الذى ترجمت ونشرت منه فقرات كاملة برمتها فى « العهد القديم العبرانى »

فقد تعرف الأستاذ المأسوف عليه « هوجوجرسمان » : البحاثة الضليع وصاحب الرأى ـ الثاقب فى الأدب العبرانى بلا تردد على المنهل المصرى الذى استقى منه المزمور (١٠٤) المذكور الذى انحدر إلى فلسطين على ما يعتقد عن طريق فينيقية (١) .

هذا وقد أخذ كثير من الباحثين ـ غير العالميين الكبيريين : بريستيد وجرسمان ـ يعضدون اتجاه تأثير نشيد اخناتون فى أفكار العبرانيين الدينية وخاصة فى المزمور رقم (١٠٤) ومنهم آرثر ويجال ،وهـ . ر . هو ل. وسيرألن جادنر ، وفرانسوا دوما ، وجان بويت ، والكسندرشارف (٢) .

ومنهم أيضا الدكتور فيليب حتى الذى يذكر أن المزمور ١٠٤ يعتبر اقتباساً عبرياً لترنيمة اخناتون (٣) .

ومنهم أيضا ول ديورانت الذى ينقل أنشودة اخناتون ويذكر أن ما بين هذه الأنشودة ـ وبين المزمور (١٠٤) من تشابه يغفل عنه الناس لا يترك مجالاً للشك فيما كان لمصر من أثر فى الشاعر العبرانى (٤) .

---

(١) بريستيد : فجر الضمير صـ ٣٩٤ ـ ٣٩٥ .

(٢) راجع عباس محمود العقاد : : الله صـ ٦٩ ـ ٧٢ ، د/ محمد بيومى مهران جـ ٩ صـ ٣٥٩

(٣) موجز تاريخ الشرق الادنى صـ ٦١ ـ ٦٢ .

(٤) قصة الحضارة مجلد ١ جـ ٢ صـ ١٦٩ ـ ١٧٥ .

ومن الذين يذهبون إلى تأثير نشيد اخناتون على المزامير خبيرا الآثار المصرية جون ويلسون ، و ديفز ، إذ ينقل عنهما الدكتور سامى سعيد الأحمد قولهما « ان التشابه الكبير بين الترتيلة المعروفة لأخناتون إلى قرص الشمس (آتون) والمزمور (١٠٤) من سفر المزامير من العهد القديم أمر مهم فى هذا الاتجاه » (١) .

وقد أيد هذا الرأى عدد كبير من علماء المصريات العرب منهم على سبيل المثال الدكتور احمد فخرى الذى يقول :

« ليس هناك شك فى أن أناشيد اخناتون لإلهه كانت ذات أثر مباشر على المزامير ، فان المزمور (١٠٤) يكاد يكون منقولاً عن النشيد الكبير ،وليس من قبيل توارد الخواطر ، أما كيفية وصول هذا النشيد إلى العبرانيين فمن المحتمل أن يكون قد حفظ فى آسيا وبقى فى آدابها تتناقله الأجيال حتى جاء الوقت الذى بدأ فيه العبرانيون بكتابة التوراة فى القرن الثامن ق . م (٢) .

ويذكر الدكتور أحمد فخرى أنه لاشك أن مثل هذا الرأى لا يمكن أن يطيب قبوله لمن امتلأت نفوسهم تعصباً للكتاب المقدس فأخذوا يتشككون فى ذلك ويقولون ان بدوا جهلاء مثل العبرانيين كانوا يعملون فى أشق الأعمال ويذوقون العذاب على أيدى المصريين لا يمكن أن يفهموا مثل هذا النشيد وأن يعجبوا به أو بغيره ولكن حجج هذا الفريق غير مقنعة ويمكن لأى باحث أن يضع كلا من النشيد والمزمور إلى جوار بعضهما ليتأكد من أن نشيد اخناتون هو دون شك أصل المزمور (٣) .

---

(١) الأسس التاريخية للعقيدة اليهودية صـ ١٥ ، د/ احمد سوسة : مفصل العرب واليهود فى التاريخ صـ ٥٤١ .

(٢) مصر الفرعونية صـ ٣٠٨ ، راجع أيضا : د/ عبد العزيز صالح : مصر والعراق صـ ٣٣٦ ، د/ احمد عبد الحميد يوسف : مصر فى القرآن والسنة صـ ١٨٢ .

(٣) مصرالفرعونية صـ ٣٢٩ وقد تناسى أصحاب هذا الاعتراض أن الاسرائيليين قد اطلعوا على هذا النشيد وهم فى كنعان أو فى بابل حيث كان شائعاً ومنتشراً .

راجع الردود الكاملة على هذا الفريق بالتفصيل : د/ محمد بيومى مهران : دراسات فى تاريخ الشرق الأدنى جـ ٩ صـ ٣٦٠ ـ ٣٦٥ .

نشيد اخناتون	مزمور (١٠٤)
وعندما تغرب فى الأفق الغربى تصبح الأرض سوداء كما لو كان حل بها الموت ينام (الناس) فى حجرة وقد لفوا رءوسهم ويخرج كل أسد من عرينه وجميع الزواحف (تخرج) لتلد ويلف الظلام كل شئ . وفى الصباح ، اذا أشرقت فى الأفق ، انكشف الظلام واذا الناس يقومون على اقدامهم فى العالم كله يؤدون أعمالهم ما أعظم أعمالك التى عملت (يارب) انها خفية على الناس خلقت الأرض كما تشاء . والسفن تبحر شمالا وجنوباً وتعج الطرق بالناس ، الأسماك فى النهر أمامك ، وأشعتك تنفذإلى أعماق الأخضر العظيم (البحر) الناس يرفعون أذرعهم ابتهالاً عند ظهورك انك أنت الذى يمدهم بكل مايحتاجون ، ويحصل كل شخص على طعامه عندما تبزغ فى الأ فق الشرقى تملأ الأرض بجمالك .	تجعل ظلمة فيصير ليل ، فيه يدب كل حيوان الوعر . مزمور ١٠٤ : ٢٠ الأشبال تزمجر لتخطف ولتلتمس من الله طعامها ١٠٤ : ٢١ . تشرق الشمس فتجتمع وفي مآربها تربض ، الانسان يخرج إلى شغله إلى الماء مزمور ١٠٤ : ٢٢ـ ٢٣ . ما أعظم أعمالك يارب كلها بحكمة صنعت ملآنة الارض من غناك مزمور ١٠٤ : ٢٤ هذا البحر الكبير الواسع الأطراف ، هناك دبابات بلا عدد ، صغار حيوان مع كبار ، ـ هناك تجرى السفن « لوياتان » هذا خلقته ليلعب فيه كلها اياك تترجى لترزقها قوتها فى حينه تعطيها فتلتقط ، تفتح يدك فتشبع خيراً ترسل روحك فتخلق وتجدد وجه الأرض (١) مزمور ١٠٤ : ٢٥ ـ ٣٠ .

(١) راجع فى هذه المقارنة : د/ احمد يوسف : مصر في القران والسنة صـ ١٨٤ ، د/ احمد فخرى : مصر الفرعونية صـ ٣٠٩ ـ ٣١٤ ،د/ محمد بيومي مهران : دراسات فى تاريخ الشرق الادنى جـ ٩ صـ ٣٦٦ ـ ٣٦٧ ، سهيل ديب : التوراة بين الوثنيةالتوحيد صـ ٥٥ ـ ٥٩ ، د/ بدران محمد بدران : التوراة :ا لعقل . العلم ـ التاريخ صـ ١٨١ ـ ١٨٣ فؤاد محمد شبل :اخناتون صـ ٩٩ ـ ١٠٠ دور مصر فى تكوين الحضارة صـ ١٠٠ ـ ١٠١ .

هذان النصان وكأن ثانيهما تحريف ركيك متفكك عن الأول ، يكفيان بالواقع لتأكيد الرباط الوثيق بين مؤلفيهما : الأول اخناتون والثانى مجهول الهوية ، لكن قصيدته أشهر من نار على علم ،وهى المزمور (١٠٤) ولم تستطع بلاغة الشيخ ابراهيم اليازجى أن تحسن فيه شيئا عند الترجمة ، والظاهر هو أن شخصا ما حفظ النشيد الاخناتونى لفترة من الزمن ثم حاول اعادة كتابته لإعجابة بلغة جديدة وبشروط دينية جديدة لها طقوسها واستعارتها الخاصة فلم تسعفه شاعريته كثيراً (١).

٢ـ سفر الأمثال :

يعد سفر الأمثال (٢) من أسفار القسم الثالث ، الكتابات) من أقسام العهد القديم ويحتوى على مجموعة كبيرة من الأمثال ويبلغ عدد اصحاحاته واحداً وثلاثين اصحاحاً .

ويحتل هذا السفر مكانا بارزاً على المستوى الشعبى وفى أوساط العلماء والباحثين.

وبالرغم من أنه ينسب إلى سليمان فانه فى نظر العلماء المحدثين من نقاد الكتاب المقدس يعتبر مجموعة من الأقوال المأثورة مروية عن اكثر من مصدر واحد (٣) .

فقد اتفقوا على أن هذا السفر ليس كله تراثاً عبريا فأسقطوا الحجة القائلة بأن سليمان هو مؤلفه ، وان كنا لسنا فى حاجة إلى عناء كبير لسرد كثير من الأدلة المقتبسة من السفر نفسه والتى تنفى نسبته إلى سليمان بن داود عليهما السلام .

فسفر الأمثال عبارة عن مجموعة متفرقة من الحكم والأمثال التى لا تربط بينها رابطة ولانلمس فى أسلوبها وحدة أو تناسقا فهو ليس من وضع مؤلف بعينه نتاج قريحة عصر بمفرده ، ومتى كانت أمثال أمة من الأمم من وضع فرد أو عصارة عصر من عصور تاريخها المختلفة ؟

---

(١) سهيل ديب : التوراة بين الوثنية والتوحيد صـ ٥٩ .

(٢) تعنى كلمة الأمثال بالعبرية «مشاليم» جمع مشل ويسمى السفر باللاتينية سفر الحكم (مقدمة رسالة اللاهوت ـ للدكتور حسن حنفى صـ ٣٠ .

(٣) د/ حسن ظاظا : الفكر الدينى الاسرائيلى : أطواره ومذاهبه صـ ٥٩ .

أليست الأمثال أدباً شعبياً تتناقله الألسنة وتتوارثه الأجيال فتغيره العصور وتبدله الأذواق حتى يأتى عصر التدوين فيقدر لها من يثبتها ، وهذا ما حدث فعلا لسفر الأمثال فهو مجموعة من الوحدات التى لكل واحدة منها لونها الخاص ومذهبها الخاص فهى اما دينية واما دنيوية ، ومنها الخاص بالنصح والخاص بالتحذير والإنذار ومنها الألغاز ومنها الهجاء ومنها ماسبق فى أسلوب قصصى لطيف ومنها ما عبر عنه باللفظ الوجيز .

كما أننا اذا قارنا مجموعة الأمثال العبرية بالترجمة السبعينية وجدنا بينهما فرقا كبيرا ومرجع هذا أن الترجمة اليونانية اعتمدت على نسخة تغاير هذه التى بأيدينا وهذا يؤيد ما ذهبنا اليه من أن سفر الأمثال ليس من وضع رجل واحد وليس نتاج عصر واحد (١) .

تقسيم سفر الأمثال :

قام العلماء بتقسيم سفر الامثال إلى أقسام مختلفة تتلخص فيما يلى :

١ـ اصحاح ١ ـ ٩ (أمثا ل سليمان)

٢ـ اصحاح ١٠ : ١ ـ ٢٢ : ١٦ (أمثا ل سليمان)

اصحاح ٢٢ : ١٧ ـ ٢٤ : ٢٢ (كلام الحكماء)

٣ـ اصحاح ٢٤:٢٣ ـ ٣٤ (هذه أيضا للحكماء)

٤ـ اصحاح ٢٥ ـ ٢٩ (هذه ايضا امثال سليمان التى نقلها حزقيا)

٥ـ اصحاح ٣٠ (كلام اجورين متقية)

٦ ـ اصحاح ٣١ : ١ـ ٩ (كلام موئيل ملك مسا)

٧ـ اصحاح ٣١ : ١٠ ـ ٣١ (قصيد شعرى عن المرأة الفاضلة) (٢) .

---

(١) راجع حول ذلك : غوستاف لوبون :اليهود فى تاريخ الحضارات الأولى صـ ٨٠ ـ ٨١ ، د/ فؤاد حسنين : التوراة الهيروغليفية صـ ١٤٧ ، د/ احمد شلبى :اليهودية صـ ٥١

(٢)راجع تفاصيل هذه الأقسام : د/ حسن ظاظا :الفكر الديني الاسرائيلى صـ ٥٩ ـ ٦٢ د/ فؤاد حسنين :التوراة الهيروغليفية صـ ١٤٧ ـ ١٥٠ ، قاموس الكتاب المقدس صـ ٨٣٦ ، جبيب سعيد : المدخل إلى الكتاب المقدس صـ ١٤٦ ، د/ محمد بحر عبد المجيد : اليهودية صـ ٩٤ .

ويبدو من هذا التقسيم أن هناك أجزاء تنسب فعلا إلى سليمان على حين تبقى أجزاء أخرى متعددة المصادر مجهولة المؤلف ، فمن هم هؤلاء الحكماء ؟ ومن هو موئيل ؟ ومن هو آجور بن ياقة ؟

كل هذه أسئلة اختلف عليها الباحثون ولم يصلوا بعد إلى حل واضح فيها [1] .

ويذكر الشيخ رحمت الله الهندى أن ادعاء البعض بأن سفر الأمثال كله من تصنيف سليمان عليه السلام ادعاء باطل يرده اختلاف المحاورة وتكرار الفقرات

ولو فرض أن بعض اصحاحات هذا السفر من تصنيفه فحسب الظاهر فانها لم تجمع فى عهده

ويذكر الشيخ رحمت الله أيضاً اختلاف العلماء وتضاربهم فى تحديد مؤلف هذا السفر وينتهى إلى أنه لا يمكن أن يكون هذا السفر كله من تصنيف سليمان ولا يمكن أن يكون هو جامعه .

ولذلك اعترف الجمهور أن أناسا كثيرين مثل حزقيا وأشعيا ولعل عزرا ايضا جمعوه [2] .

ولنا أن نتساءل الآن بعد أن رأينا كثيراً من هذه الأمثال ليست لسليمان كيف نسب هذا السفر اليه ؟

الواقع أن السفر قد نسب اليه كما نسبت المزامير إلى داود ولا يستبعد أن ينسب اليه المتأخرون من اليهود معظم ما يتصل بالفلسفة والحكمة فى كتابهم المقدس كالأمثال والجامعة ونشيد الأناشيد حيث اشتهر بالحكمة وعرف بينهم بالحكيم [3] .

أما فيما يتعلق بتاريخ تدوين هذا السفر فان حبيب سعيد يذكر أنه من المتفق عليه اجماعاً بين علماء الكتاب أن هذا السفر فى وضعه النهائى يرجع تاريخه إلى ما بعد عصر عزرا وهو العصر الذى ازدهرت فيه مدارس الحكمة ولكن سفر الأمثال - مثل أسفار التوراة الخمسة الأولى - يمثل الطور النهائى لأحاديث متواترة ترجع فى بداءتها على الأقل إلى عصر سليمان الذى ربما يكون قد وضع أو جمع نواتها

---

(١) د/ حسن ظاظا : الفكر الدينى الاسرائيلى صـ ٦٢ .

(٢) راجع تفاصيل ذلك : اظهار الحق صـ ٩٥ - ٩٦ .

(٣) قاموس الكتاب المقدس صـ ٨٣٧ ، التوراة الهيروغليفية صـ ١٥٠ - ١٥١ .

الأصلية الأولى .

ثم يقول : والذى يمكن الجزم به فى يقين أن سفر الأمثال يشمل مجموعة من الأقوال والأحاديث يمتد تاريخاً إلى كل فترات التاريخ تقريباً فى العهد القديم (١).

ويعتقد سبينوزا أن الأمثال قد جمعت فى عصر السبى البابلى أو على الأقل فى زمان الملك يوشيا (٦٤١ ـ ٦١١) ق .م) وذلك لما جاء فى الآية الأخيرة من الاصحاح ـ الخامس والعشرين مايلى : هذه هى أمثال سليمان التى نقلها رجال حزقيا ملك يهوذا (٢).

ويرجع الدكتور فؤاد حسنين على أن هذا السفر قد تم جمعه حوالى القرن الثالث ق .م (٣).

وعلى أى حال فان نسبة سفر الأمثال كله إلى سليمان عليه السلام نسبة خاطئة وباطلة حيث ان نصوص السفر نفسها تنسب كثيراً من اصحاحاته إلى غيره ، وأيضا فإن نسبة الاجزاء المنسوبة اليه تعتبر غير يقينية وغير مؤكدة حيث انها جمعت ودونت بعده كما رأينا بزمن طويل ففقدت تواترها وانقطع سندها بسيدنا سليمان عليه ا لسلام.

ولذلك فان عددا من الباحثين المحدثين قد أنكروا المصدر الالهى لهذا السفر واعتبروه تعبيرا عن الحكمة الانسانية (٤) .

ويذهب العلماء إلى أن هذا السفر قد جمع أمثال شعوب المنطقة ، أى أن هذه الأمثال التى ذكرت فيه ليست من نتاج العقلية الاسرائيلية وحدها وانما فيها امثال وحكم اقتبست من الأدب الكنعانى والمصرى والبابلى وآداب شعوب الشرق الأدنى القديم (٥) .

---

(١) المدخل إلى الكتاب المقدس صـ ١٤٥ ـ ١٤٦ .

(٢) رسالة فى اللاهوت والسياسة صـ ٣٠٩ .

(٣) التوراة الهيروغليفية صـ ١٥١ .

(٤) د/ حسن حنفى : مقدمة رسالة فى اللاهوت والسياسة صـ ٣٠ .

(٥) د/ محمد بحر عبد المجيد :اليهودية صـ ٩٤ ناقلاً عن مصدر اجنبى ، ويذكر حبيب سعيد أن أربعة أقسام الأمثال تنتمى إلى أحاديث سليمان وأقواله وأن الأقسام ـ الباقية مأخوذة عن =

فهذا السفر يتصل اتصالا وثيقاً بكل من سفرى أيوب والجامعة وثلاثتها تكون فيما بينها مايعرف فى العهد القديم باسم أدب الحكم والأمثال التى شاعت فى الشرق القديم وبخاصة عن البابليين وقدماء المصريين حيث جاءتنا مجموعات غنية من حكم وأمثال الشعبين العريقين البابلى والمصرى (١) .

وقد ركز علماء المصريات على ابراز المصدر المصرى لسفرالأمثال على وجه الخصوص .

يذكر بريستيد قصة ذلك فيقول ان العبارة الشائعة « أمثال سليمان » قد أدت إلى اعتقاد القارئ المعتاد أن أمثال ذلك الكتاب هى من عمل « الملك سليمان الحكيم »

وفى الحق ـ فيما يقول بريستيد ـ انه يبتدئ بنسبة الكتاب إلى سليمان فى مطلع الفصل الأول ثم تكررت تلك التسمية فى بداية الفصل العاشر فى شكل عنوان لمجموعة أخرى من أمثال سليمان .

كما أنه توجد به مجموعة ثالثة تحمل اسم سليمان وتبتدئ بالفصل الخامس والعشرين فى حين أن الفصلين النهائيين من الكتاب ينسبان إلى مؤلفين آخرين مجهولى الاسم وأحدهما منسوب إلى امرأة ، فيتضح من ذلك ومما شهد به كتاب العهد القديم نفسه أن كتاب الأمثال هو مجرد مؤلفة جمعت من مجموعات متفرقة

= أصول اجنبية غربية ومن بين هذه الأصول الأجنبية توجد عناصر كنعانية داخل الأمثال (المدخل إلى الكتاب المقدس صـ ١٤٦)

ويذكر أرنولد توينبى أنه ظهر من اكتشاف النصوص الأدبية الفينيقية المدونة بالكتابة الأوغارتية التى تعود إلى القرن الرابع عشر ق .م أن الفصول (الاصحاحات الثامن والتاسع من سفر الأمثال انما هى ذات أصل كنعانى (تاريخ البشرية جـ ١ صـ ١٧٦) .

(١) التوراة الهيروغليفية صـ ١٥٠ ، وحكم وادى النيل وبلاد الرافدين لاتنتمى إلى عصر بعينه بل إلى عصور مختلفة ففى مصر وصلتنا حكم ترجع إلى الحكيم المصرى (تبح ـ حويت) حوالى عام ٢٦٠٠ ق .م ، ثم حكم الملك (مريكرى) حوالى ٢٣٠٠ ق .م وغيرها حتى تعاليم الحكيم (أمين ـ ام ـ أوبه) حوالى عام ٩٠٠ ق .م وأمثال (آنى) حوالى ٨٥٠ ق .م) هذا وكثيراً ما يشير العهد القديم إلى حكمة المصريين ، هكذا نقرأ فى اشعيا ١٩ : ١١ وارميا الذى ذكر حكمة بابل ٥٠ : ٣٥ ـ ٣٦ / ٥١ : ٥٧ ـ (المصدر السابق صـ ١٥٠) .

ويوجد بالكتاب فضلا عن هذه المجاميع الخمس التى كانت يوما متفرقة مجموعة سادسة ، لأننا نجد فى صلب الفصل الرابع والعشرين (حتى فى الترجمة الانجليزية) ما يكشف لنا عن عنوان جديد بهذا ـ النص « هذه أيضا كلمات « الحكماء » ويلى ذلك مباشرة جزء قصير يجوز أنه ملحق وضعه مؤلف مجهول

كما نجد مدفونا فى قلب الفصل الثانى والعشرين دون أى اشارة تعليقية من جانب المترجمين حتى فى النسخة المنقحة ، ماهو بالتأكيد بداية جزء آخرإن لم يكن عنوانا له (٢٢ ـ ١٧) يسمى « كلمات الحكماء » مثل ما وجدناه فى الفصل الرابع والعشرين سواء بسواء .

ويتساءل بريستيد فيقول : فمن هم ياترى (هؤلاء الحكماء) المعلمون الاجتماعيون ؟ (١) الذين قاموا بكتابة هذا الجزء الذى يبلغ نحو فصل ونصف فصل ؟ .

والواقع أن هذا السؤال ـ كما يقول بريستيد ـ (٢) قد عجز عن الاجابة عنه كل الباحثين إلى وقت قريب جداً ، غير أنه قد طبعت ورقة بردية كانت قد مكثت مدة طويلة فى المتحف البريطانى فكشفت لنا عن أن مؤلف ذلك الجزء لم يكن سوى صديقنا المصرى القديم أمينموبى !

وجميع العلماء بكتاب العهد القديم الذين يعتد بآرائهم وأبحاثهم فيه يجزمون الآن بأن محتويات ذلك الجزء الذى يؤلف نحو فصل ونصف فصل « كتاب الأمثال » قد أخذ معظمه بالنص عن حكم الحكيم المصرى القديم أمينموبى (٣) .

---

(١) لأن كلمة « حكاميم » العبرية يدل معناها على صيغة الجمع .

(٢) جيمس هنرى بريستيد : فجر الضمير صـ ٣٩٦ ـ ٣٩٧ .

(٣) ويذكر الدكتور احمد فخرى أن بردية امينوبى محفوظة فى التحف البريطانى وقد اشتريت هذه البردية من أحد التجار فى الاقصر ولهذا كثيرا مانقرأ أنه عثر عليها فى جبانة طيبة ولكن لو وضعنا فى اذهاننا أن صاحبها وهو أمينوبى كان من أهل اخميم ،وأن ـ قبره كان فيجبلها الغربى لرجحنا العثور عليها هناك وشراء تجار الأقصر لها من تجار أخميم كما يحدث دائما وخير ترجمة ظهرت لها فى اللغة الانجليزية هى ترجمة جريفيث وقام الدكتور سليم حسن بترجمتها كاملة مع مقارنة بعض أجزائها بسفر الأمثال فى كتابة الأدب المصرى القديم الجزء الأول القاهرة ١٩٤٥ =

أى أن النسخة العبرانية هى تقريبا ترجمة حرفية عن الأصل الهيروغليفى العتيق (١) .

وكان عالم المصريات الألمانى (ادولف ارمان) هو أول من أشار إلى أن تعاليم أمينموبى (٢) (امن ـ ام ـ بت) هى الأساس الذى اعتمدت عليه الحكم الموجودة

= صـ ٢٣١ ـ ٢٨٠ .

(راجع د/ احمد فخرى : الأدب المصرى القديم : بحث فى تاريخ الحضارة المصرية : العصر الفرعونى صـ ٤٤٥ ـ ٤٤٦ المجلد الأول : ملتزم الطبع والنشر مكتبة النهضة ـ المصرية القاهرة بإشراف وزارة الثقافة والارشاد القومى : الادارة العامة للثقافة)

(١) فجر الضمير صـ ٣٩٧ .

ويذكر بريستيد أنه كذلك صار من الواضح أن حكم أمينموبى شائعة فى مواضع عدة من كتاب العهد القديم حيث نراها مصدراً لا فى كتاب الأمثال فحسب بل فى القوانين العبرية وفى سفر أيوب وارميا . المصدر السابق) صـ٣٩٧ .

وقد اختلف الباحثون فى الفترة التى كتبت فيها تعاليم « أمينموبى » فذهب البعض إلى إنها ألفت فيما بين القرنين العاشر والتاسع ق .م ، وذهب آخرون إلى أنها كتبت فيما بين عامى ١٠٠٠ ق .م و ٦٠٠ ق .م ، وذهب فريق ثالث إلى أنها كتبت فى القرن ـ السابع ق . م .

وأغلب الأمر أن هذه التعاليم ترجع إلى مابين الاسرتين الحادية والعشرين والثانية والعشرين أى من نفس العصر الذى عاش فيه سليمان .

وأما عن تاريخ انتقالها إلى العبرانيين فربما كان بعد فترة قصيرة من تأليفها وربما بعد ذلك لأن سفر الأمثا ل انما يرجع فى وضعه النهائى إلى القرن الخامس ق .م ـ كما سبق أن ذكرت ـ وان كانت الأمثال ترجع فى بداءتها إلى عصر سليمان الذى ربما يكون هو الذى وضع نواتها الأصلية .

(د/ نجيب ميخائيل : مصر والشرق الأدنى القديم جـ ٤ صـ ٥١٥ ، د/ محمد بيومى ـ مهران ناقلا عن مصدر اجنبى دراسات فى تاريخ الشرق جـ ٩ صـ ٣٧١ ـ ٣٧٢) .

(٢) دون أمينموبى حكمه وتعاليمه التى وجهها إلى ابنه فى ثلاثين فصلاً خص كل فصل منها بموضوع ، وتناولت وصاياه فيما تناولت تحذير ابنه من ألوان الأغراء التى يتعرض لها ذوو السلطان استغلالهم لسلطانهم فى سبيل الكسب وحثه على تجنب الخضوع لذلك الإغراء ، كما أكد أن النزاهة ينبغى أن تشمل المسائل الكبيرة والصغيرة على حد سواء ، وأنه على المرء أن يلتزم بالأمانة بدقة فى معاملاته القضائية، وفى رأيه أن الفطنة فى الحديث والاعتدال فى السلوك من ألزم الأمور للانسان ، أما التهديدات الصاخبة الفارغة فلا حساب لها عند الله فيما يدبر للناس وقد حذر =

فى سفر الأمثال من العهد القديم (التوراة) .

فقد تقدم فى ١٢ يونية ١٩٢٤ إلى المجمع العلمى البروسى ببحثه القيم « مصدر مصر لأمثال سليمان » فسجل ــ فيما يقول د/ فؤاد حسنين ــ حسنة جديدة من حسنات العقلية المصرية القديمة على الكتاب المقدس (١) .

وكان مما قاله ارمان أنه فى وقت ما قد ترجمت هذه التعاليم إلى العبرية أو إلى الآرامية وأن الذى جمع سفر الأمثال فى التوراة قد استعمل الترجمة غير انه أفسد المعنى عند الاستعارة (٢) .

وقد وجه هذا البحث ــ الذى تقدم به ارمان ــ الكثير من العلماء والباحثين إلى تتبع نتائج عقلية قدماء المصريين ومدى تغلغله فى تراث الشعوب الأخرى ففاضت القرائح ــ بالأبحاث الكثيرة التى تناولت الكتاب المقدس نقدا وتحليلا حتى وفق الكثيرون من الباحثين إلى ارجاع كل قطرة إلى نبعها الأصلى (٣) .

ففى عام ١٩٢٥ قام « لانج » بنشر البردية كذلك ، ثم قام فى عام ١٩٢٦ العالمان ــ فرنسيس للولين جريفت (١٨٦٢ ــ ١٩٣٤ م) ود.س سمبسون بترجمة الوثيقة التى تحوى هذه التعليقات من جديد ، ثم قاما بعمل مقارنة بين بعض نصوصها وبعض نصوص سفر الأمثال ، أثبتا فيه أن سفر الأمثال انما قد اعتمد على تعاليم امينموبى إلى حد كبير نظرا لما وجداه بينهما من مشابهة قوية فى الأفكار والأساليب

= من الانطلاق فى الحديث بغير حيطة إلى غير ذلك من الأمور الهامة (راجع تفاصيل هذه التعاليم : د/ نجيب ميخائيل : مصر والشرق الأدنى القديم جـ ٤ صـ ٥١٥ ــ ٥١٧ ، د/ صبرى جرجس : ــ التراث اليهودى الصهيونى صـ ٧٧ ــ ٧٨ .

(١) د/ فؤاد حسنين :التوراة الهيروغليفية صـ ١٤٥ ــ ١٤٦ .

(٢) سليم حسن : الأدب المصرى القديم جـ ١ صـ ٢٧٠ نقلا عن د/ بدران محمد بدران : التوراة :العقل . العلم . التاريخ صـ ١٨٤ دار ــ الأنصار الطبعة الأولى ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م

(٣) د/ فؤاد حسنين :التوراة ــ الهيروغليفية صـ ١٤٦ التوراة عرض وتحليل صـ ٦٨ .

وهناك ترجمة أخرى للوثيقة نشرت أيضا فى عام ١٩٢٩ م الا أن البحث المستفيض فى هذا الموضوع انما قام به العالمان الكبيران هوجو جرسمان ، وجيمس هنرى بريستيد »(١) .

ويرى د/ جرسمان أنه عندما أخذ العبرانيون بأسباب المدنية فى حكم سليمان وخلفائه كانوا يتطلعون إلى مصر وبابل لتعلم فنون الحياة ولاغرابة اذا كان الكاتب الملكى - مثل حزقيال شبنا « عبداً أجنبياً ذا تربية عالية .

وكان فى قدرته أن ينصح الملك من كتبه وتجاربه فيما يتعلق بشئون العالم العظيم وكان فى وسعه كذلك أن يتكلم ويقرأ ويكتب لغة السياسة التى كانت فى هذا العصر (اللغة الارامية) على أن ذكر « رجال حزقيال » الذين نقلوا القسم الخامس من الأمثال (من اصحاح ٢٥ - ٢٦ يدلنا على العصر الذى كان فيه انشاء محتويات سفر الأمثال قائما على قدم وساق (٢) .

أما أبحاث بريستيد (تلميذ أدولف ارمان) فقد ذكرها فى كتابه « فجر الضمير » الذى يعتبر - فيما يرى الدكتور فؤاد حسنين - أنضج كتاب ظهر فى مثل هذا الموضوع(٣) .

يذكر بريستيد أن الأبحاث العلمية لم تكشف لنا من قبل عن مؤلف شرقى قديم بلغة غير فلسطينية ترجم عنه بالتحقيق جزء بأكمله من « كتاب العهد القديم كما نرى فى هذه الحالة :

فقد اشتمل اصحاح ونصف من سفر الأمثال (٢٢ : ١٧ - ٢٧ : ١٨) على ترجمة تكاد تكون حرفية لحكم آمنيموبى .

(١) د/ محمد بيومى مهران : دراسات فى تاريخ الشرق الادنى القديم جـ ٩ صـ ٣٦٨ - ٣٦٩

(٢) سليم حسن :الأدب المصرى القيم صـ ٢٧٠ نقلا عن د/ بدران :التوراة :العقل . العلم . التاريخ صـ ١٨٤ ، د/نجيب ميخائيل : مصر والشرق الادنى القديم جـ ٤ صـ ٥١٧ .

(٣) التوراة الهيروغليفية صـ ١٤٦ .

ويرى بريستيد أن لهذا الكشف أهمية بعيدة لدرجة أننا مع اشفاقنا من ملل القارئ ـ نرى أنه لابد من ايراد بعض الأمثلة للمقابلة بين الأصل المصرى والترجمة العبرانية فى سفر الأمثال .

سفر الأمثال العبرانى	أمينموبى المصرى
أمل اذنيك واسمع كلام الحكماء ووجه قلبك إلى معرفتى لأنه حسن ان حفظتها فى جوفك ان ثبتت جميعا على شفتيك	أمل اذنيك لتسمع أقوالى واعكف قلبك على فهمها لأنه خير أو « شئ مفيد » أن تحفظها فى قلبك ولكن الويل لمن يتعداها
(سفر الأمثال ٢٢ : ١٧ ـ ١٨)	(امينموبى جزء ٣ : ٩ ـ ١٢)

والمقصود من مثل تلك النصائح قد عرفته « الأمثال » (وهو ما أشار اليه « أمينموبى » من أن المهارة العملية أصل جوهرى فى المعاملات الرسمية ، كما نرى فى نص كل منهما : ـ

لأعلمك قسط كلام الحق لترد جواب الحق للذينَ أرسلوك	لأجل أن ترد على تقرير لمن قد أرسله
أمثال ٢٢ : ٢١	أمينموبى جزء ١ : ٦

غير أن العبارة « كلام الحق » الوارد فى سفر الأمثال « هى بالطبع تحريف لما يقابل كلمة « تقرير » الواردة فى الأصل المصرى القديم .

وعلى أية حال فاننا نجد فى كل من سفر الأمثال « وحكم أمينموبى أن الغرض الخلقى من تلك النصائح ظاهر فى كافة ثناياهما ، ولذلك نرى أن ايراد بعض أمثلة هنا مفيد جداً فمن ذلك :

لا تزحزحنّ علامات حدود الحقول ، ولاتكونن شرها من أجل ذراع أرض ، ولاتتعدين على حدود أرملة
(أمنيموبى ٧ : ١٢ ـ ١٥)

لاتنقل التخم القديم ولاتدخل حقول الأيتام
أمثال ٣٢ : ١٠ (١)

وقد يكون من أهم المشابهات العديدة البارزة التى يمكننا ايرادها هنا تلك التحذيرات الخاصة بالثراء وهى :

أمينموبى المصرى	سفر الأمثال العبرانى
لا تتعبن نفسك في طلب المزيد حينما تكون قد حصلت بالفعل على حاجتك واذا جلب اليك المال بالسرقة فانه لا يمكث معك سواد الليل وعندما يأتى الصباح لا يكون فى منزلك	لا تتعب لكى تصير غنيا هل تطير عينيك نحوه وليس هو ؟
بل يكون قد صنع لنفسه أجنحة كالأوز وطار إلى السماء	لأنه انما يصنع لنفسه أجنحة كالنسر يطير نحوه السماء.
(أمينموبى ٩، ١٤ ـ ١٠ ، ٥)	أمثال ٢٣ : ٤ ـ ٥ (٢)

---

(١) راجع فجر الضمير صـ ٣٩٨ ـ ٣٩٩ ، د/ صبرى جرجس : التراث اليهودى صـ ٧٩ ، ومن المهم أن نلاحظ أنه قبل انكشاف النقاب عن حكم « أمينموبى » هذه أبدى نقاد العهد القديم « أن كلمة » « قديم » التى تشبه فى اللغة العبرانية كلمة أرملة هى بلاشك غلطة فى النسخة الخطية صحتها « أرملة » وعلى ذلك اتفقوا علي جعل تلك الفقرة كالاتى « لا تزحزحن حدود الأرملة ، ولا تدخلن فى حقول اليتامى » وجاء هذا الانكشاف مؤيداً لذلك التصحيح ومثبتا له .

(٢) بريستيد : فجر الضمير صـ ٣٩٩ ـ ٤٠٠ .

ويهتم (أمينموبى) كثيراً بتحذير الشباب من الحماقة أو مخالطة رجال ذلك الطراز ، كما ترى المصنف العبرانى أيضا يحذر من ذلك حيث قالا :

لا تصاحبن رجلا حاد الطبع ولا تلحن في محادثته   لا تستصحب غضوبا ومع رجل ساخط لا تجئ (١)

(أمينوبى ١١ :١٣ ـ ١٤)   أمثال ٢٢ : ٢٤ .

وتتفق نصائح « أمينموبى » فيما يختص بالسلوك فى حضرة أصحاب المقامات العالية مع الحياة المصرية القديمة اكثر بكثير مما تتفق مع الحياة العبرانية .

ذلك لأن مراعاة السلوك اللائق فى مصر من جانب الموظف المصرى الشاب كان لامناص منه لمن كان يريد مستقبلا ناجحا .

كذلك كانت تلك الآداب العالية ورسميات القصور فى المعاملات الرسمية المستحدثة في أخلاق شعب فى أصوله خشونة الصحراء البدوية ، فى عهد الملكية العبرانية متأثرة أيما تأثر بآداب اللياقة التليدة المرعية فى بلاط الفرعون الذى قبض موظفوه على زمام الحكم فى فلسطين مدة قرون عديدة.

ومن أجل ذلك لم يتردد مصنف « سفر الأمثال » العبرانى فى توصية الاسرائيليين المعاصرين له باتباع آداب اللياقة المصرية الرسمية واليك ماذكر فى ذلك فى كل من النص المصرى والنص العبرانى :

---

(١) المصدر السابق صـ ٤٠٢ ونجد أن الكلمة العادية التى تعبر عن الرجل الطائش صاحب الطبع الحاد فى حكم أمينوبى « هى بكل بساطة « الشخص الحاد » ، ومن المهم أن ـ نلاحظ هنا أن الأصل العبرانى لتلك الفقرة اذا ترجم حرفيا يكون معناه « الرجل ذو ـ الحرارة » وهى عبارة لاتوجد قط فى أية جهة أخرى من كتاب « العهد القديم » وهى بالبداهة محاولة من المصنف لنقل التعبير المصرى القديم إلى العبرانية . (المصدر السابق صـ ٤٠٢ .)

أمينموبى المصرى	سفر الأمثال العبرانى
لاتأكل الخبز فى حضرة رجل عظيم ولاتعرض فمك فى حضرته واذا أشبعت نفسك من طعام محرم فان ذلك ليس الا لذة ريقك وانظر فقط (انت على المائدة) إلى الوعاء الذى أمامك وكن مكتفيا بما فيه	اذا جلست تأكل مع متسلط فتأمل ماهو أمامك تأملا وضع سكينا لحنجرتك ان كنت شرها لاتشته أطايبه لأنها خبز أكاذيب
أمينموبى ٢٣ : ١٨	سفر الأمثال ٢٣ : ١ـ٣

وكان المترجمون للرواية المنقحة من « كتاب العهد القديم» غير متأكدين مما إذا ـ كانوا يترجمون النص العبرى بقولهم « ماهو أمامك « أو يرجمونها « بالشخص الذى أمامك » وقد حل تلك المسالة ما جاء عن الحكيم المصرى « أمينموبى » حيث قال ماترجمته « الوعاء الذى أمامك »

وقد غير المصنف العبرانى ترتيب الأفكار فنقل العبارة « خبز أكاذيب » التى توازى فى الأصل المصري القديم « طعام محرم « وحرفيا » طعام خطأ إلى السطر الأخير (١) .

وقد لا يوجد فى كتاب « العهد القديم » مثل من الأمثال كثر اقتباسه فى عصرنا الحالى الذى ساد فيه الاهتمام بالمعاملات أكثر من ذلك المثل الذى يطرى من يحسن عمله وهو « هل ترى رجلا ماهراً فى عمله انه سيقف أمام الملوك »

والترجمة السبعينية (وهى الترجمة الاغريقية القديمة) لكتاب العهد القديم لاتحتوى على الفعل « ترى » بل كانت تبتدئ بكلمة « رجل » وقد أوضح الأستاذ « جرم » أن ـ الفعل الذى تبتدئ به الجملة تابع للفقرة السابقة من الأصل العبرانى .

ولذلك نجد أنه بعد اصلاح ذلك الخطأ تصير الموازنة هكذا :

---

(١) راجع بريستيد : فجر الضمير صـ٤٠٣ ـ ٤٠٤ .

أرأيت رجلا مجتهداً فى عمله أمام الملوك يقف	الكاتب الماهر فى وظيفته سيجد نفسه كفؤاً لأن يكون من رجال البلاط
سفر الأمثال ٢٢ : ٢٩ (١)	امينوبى المصرى ٢٧ : ١٦ ـ ١٧

ثم يقول بريستيد بعد أن أورد تلك الأمثلة « لاحصر لما نستطيع ايراده من أمثال تلك المماثلات المتشابهة ولكن ما أوردناه من الأمثلة التى ذكرت يكفى بلاشك للدلالة على أن« سفر الأمثال » العبرانى يحمل في ثناياه جزءا جوهريا من كتاب حكم لمصرى قديم سابق له .

وقد جرى ذلك النقل عن حكم المصريين القدماء دون ذكر المصدر المنقول عنه، وهذا أمر طبيعى فى مثل ذلك الأوان .

غير أنه من الأمور الهامة اننا عثرنا ـ فيما يذكر بريستيد ـ فى كتابه « سفر الأمثال » على اشارةتدل بلاشك على الاقتباس من كتاب « امينموبى » المصرى القديم ، ولو أن ـ هذه الاشارة لم تكن بطبيعة الحال على شكل عنوان أو بذكر اسم ذلك الحكيم المصرى الذى عاش فى مثل ذلك العصر البعيد .

ذلك بأننا نجد فى المقدمة « لكلمات الحكماء » السؤال الغريب الآتى وهو الذى حار فى ترجمته مصنفو الترجمة المنقحة لكتاب العهد القديم وهاك نص السؤال :

« ألم أكتب لك أموراً شريفة من جهة مؤامرة ومعرفة ؟ » (٢) .

وقد وضعت لجنة التنقيح ملاحظة فى الهامش خاصة بعبارة « أموراً شريفة » لفتوا بها النظر إلى أن « تلك العبارة مشكوك فيها » والواقع أن المصنفين العبرانيين الأقدمين كانوا أنفسهم يشكون فيها بعض الشك أيضا .

وذلك لأنهم وضعوا هجاء آخر لتلك الكلمة على هامش النسخة العبرانية فصارت الكلمة بحسب هجاء المصنفين العبرانيين القدامى تعنى « ثلاثين »

فاذا ارتضينا هذه الكلمة يصير السؤال هكذا « ألم أكتب لك أموراً ثلاثين من جهة مؤامرة ومعرفة » (٣) .

---

(١) فجر الضمير صـ ٤٠٥ .　　(٢) سفر الأمثال ٢٢ : ٢٠ .

(٣) فجر الضمير صـ ٤٠٥ ـ ٤٠٦ .

ويذكر بريستيد أنه يبدو لنا لأول وهلة أن صيرورة السؤال بهذه الصيغة يحدثنا بشيء لامعنى له ، ولكننا عندما نلاحظ كما لاحظ الأستاذ « ارمان » أن « أمينموبى » قد قسم كتابه المذكور إلى ثلاثين فصلا ورقمها ، فان كل شيء بعد ذلك يصير واضحاً . ولا بد أن لفافة البردى المصرية الحاوية لهذا الكتاب كانت تسمى فى فلسطين باسم « ثلاثون فصلا فى الحكمة » أو مايشبه ذلك ، ثم اختصر الاسم بعد ذلك على ما يظهر إلى عنوان بسيط أطلق عليها وهو « الثلاثون »

وعلى ذلك تعطينا تلك الترجمة الحقيقية التى وصلنا اليها عن طريق اقتراح العالم « جرم » وبدون أى تغيير فى أصل المتن العبرانى الموازنة التالية :

أمينموبى المصرى	سفر الأمثال العبرانى
تبصر لنفسك فى هذه الفصول الثلاثين	ألم أكتب لك ثلاثين فصلاً من جهة
حتى تكون مسرة (لك) وتعليما	مؤامرة ومعرفة
أمينوبى ٢٧ : ٧ ـ ٨	سفر الأمثال (٢٢ : ٢٠)

وان ذكر أحد مؤلفى « العهد القديم » على غير المألوف ـ لكتاب أجنبى عن العبرانية كان ينقل عنه من غير تحفظ ، يؤكد لنا أنه كان تحت يده ترجمة عبرانية كاملة للكتاب الذى ـ وضعه « أمينموبى » المصرى ، بمعنى أن تلك الترجمة كانت تحتوى على جميع الثلاثين فصلا التى حواها الأصل المصرى الهيروغليفى ، والا كانت كلمة « ثلاثين » بعد وضعها فى كتاب الأمثال لا تدل على أى معنى .

ولكى يحافظ الناقل العبرانى على هذا المعنى نراه ، مع عدم نقله للثلاثين فصلا التى يحتويها الأصل المصرى القديم برمتها ، قد استعمل بالضبط « ثلاثين » مثلا فى نسخته العبرانية المختصرة (١) .

ولا شك أن القارئ قد كون لنفسه ملاحظة ذات أهمية بارزة بعد أن تأمل تلك الفقرات ـ من كتاب الحكمة العبرية ووضعها جنبا لجنب مع الأصل المصرى القديم الذى اقتبست منه .

---

(١) الأمثال ٢٢ : ١٧ ـ ٢٤ : ٢٢) بريستيد : فجر الضمير صـ ٤٠٦ ـ ٤٠٧ .

علي أنه يتضح لنا ـ فيما يرى بريستيد ـ خلافاً للأجزاء التى ترجمت ترجمة حقيقية أن مصنف كتاب « الأمثال » لم يكن مستسلما ولا آلة جامدة فى نقل تلك الحكم المصرية القديمة عن الترجمة الفلسطينية .....

ومهما يكن من الأمر فان الحقيقة الناصعة هى أن الصورة التى ظهرت بها حكم « أمينموبى » مراراً فى سفر الأمثال توضح لنا بجلاء أن المترجم أو المصنف العبرانى قد اقتبس فى الغالب مجرد الأفكار المصرية القديمة ونشرها بتصرف لماله من نظر ثاقب إلى الحياة ، وبما له من المهارة الأدبية السامية والدراسة باللغة التى ينقل اليها وهى عادة لغته (١) .

هذا ولايحسبن أحد أن بريستيد ـ فى استنتاجاته هذه التى عرضتها ـ كان متحيزا لمصر القديمة على حساب اليهودية ، فانه فى الواقع قدم هذا الرأى بما يشبه الاعتذار ـ لليهود وفى محاولة صريحة لنفى تهمة معاداة السامية عنه قائلا : انه اذا كان فى نشأته أثناء الطفولة ما يجعله ينحاز إلى جانب معين فقد كان هذا الجانب هو اليهودية ، ولكن ذلك لا ينبغى أن يحول بينه وبين ابداء رأى استند فيه إلى دراسة محايدة للوثائق القديمة .

فهو يقول فى مقدمة كتابه فجر الضمير :

لقد اعتمدنا فى تدوين الآراء الخاصة بمكانة الحضارة العبرانية فى التاريخ على استنباطات سليمة استنبطت من الوثائق القديمة ، ولذلك نرى من الحكمة أن نشير هنا وبخاصة فى عصر لا يزال يوجد فيه بكل أسف شئ من التعصب ضد الجنس السامى ، إلى أن هذا الكتاب قد ألف بروح خالية من كل شعور مضاد للساميين .

---

(١) ويتضح ذلك تماما من ايراد بعض الأمثلة الواضحة القاطعة ، فنجد مثلا أن « الغنى » يتخذ له أجنحة فى كل من مصر وفلسطين ، غير أن الأجنحة المصرية كانت أجنحة « أوز » وأما الأجنحة فى فلسطين حيث لم تكن هناك مستنقعات زاخرة بالأوز البرى ،فقد أبدل المترجم بها أجنحة النسر.

وكذلك نجد في مصر أن رجل الأعمال الناجح كان فى العادة « كاتبا» أما فى فلسطين حيث لم تكن الأحوال كذلك فان المترجم العبرانى قد سماه « رجلاً » فقط أردف ـ ذلك بوصفه « بالمهارة فى عمله » ليتم تحديد صفته . (بريستيد : فجر الضمير صـ ٤٠٧ ـ ٤٠٨)

بل على العكس من ذلك قد كان اعجاب المؤلف بالأدب اليهودى الذى أخذ فى دراسته منذ صغره عاملا مؤثرا فى نفسه لدرجة أن حكمه عليه كان دائما تحت تأثير عامل المحبة دون أى عامل آخر » (١) .

٣ـ سفر نشيد الانشاد :

هذا السفر مجموعة من أناشيد الحب ، بعضها من رجل إلى امرأة وبعضها الآخر من امرأة إلى رجل وبعضها الثالث من لفيف من الناس إلى رجل أو امرأة .

فهو عبارة عن قصائد غزلية مترابطة .

ونظراً لغرابة موضوعه ولما جاء به واشتمل عليه من غزل جنسى فانه قد ثار حوله جدل كبير ، وتضاربت الآراء فى شأنه وفى الهدف الذى يرمى إليه :

فانقسم فيه اليهود منذ القدم إلى فريقين : فريق يقول انه غزل جنسى دنيوى ، وفريق آخر يعتبره (قودش قودشيم) أى قدس الأقداس بمعنى أنه أقدس كتاب .

وهذا الفريق الذى يقول بقدسيته قد نظر اليه نظرة صوفية وأوله تأويلا رمزيا ورأى أنه بيان عن علاقة الحب بين الله وبين إسرائيل .

وقد أخذ التقليد المسيحى بعده بهذا التأويل وتوسع فيه مرسلا إياه على ذلك الزواج السرى بين المسيح والكنيسة ، فقال المسيحيون المحافظون انه بيان عن العلاقة بين المسيح وكنيسته (٢) .

وظل أمر هذه الرمزية سائداً لدى اليهود والمسيحيين لا يجرؤ أحد على مناقضته

---

(١) راجع مقدمة فجر الضمير صـ ١٤ ـ ١٥ ، د/ صبرى جرجس : التراث اليهودى الصهيونى : صـ ٨٦، ويذكر بريستيد أنه قد اهتم طول حياته بالدراسات العربية ، فدرس اللغة العبرية سنين عدة لفصول جامعية ، ويوجد الآن من بين تلاميذه كثيرون من ذوى المكانة العالمية فى المجتمع (مقدمة فجر الضمير صـ ١٤)

(٢) راجع فى ذلك حبيب سعيد : المدخل إلى الكتاب المقدس صـ ١٥٤ ، الأب ديلى : تاريخ شعب العهد القديم صـ ٣٧٥ ـ ٣٧٦ ، فؤاد حسنين : التوراة الهيروغليفية صـ ١٦١ ، د/ محمد بحر عبد المجيد :اليهودية صـ ٩٨، وللتعرف بشكل أكثر تفصيلا على وجهة النظر المسيحية فى سفر نشيد الانشاد راجع متى هنرى : نشيد الانشاد : ترجمة القمص مرقس داود وهو من سلسلة تفسير الكتاب المقدس الطبعة الرابعة مكتبة المحبة القاهرة ١٩٨٠ م .

حتى جاء القرن السابع عشر فظهر أمثال (جروتيوس) و(رتشارد سيمون) و(ج . د . ميخائيليس) و(ى . ج .هردر) وغيرهم واعترضوا على هذا الاتجاه وقاوموه ،ثم تعاقبت القرون وقوى ساعد حركة نقد الكتب المقدسة وعرض النقاد فيما عرضوا له للنشيد فأجمعوا على بطلان قيمته الدينية وان قالوا بمنزلته الأخلاقية ، فالسفر والحالة هذه يقرن بسفر الأمثال (١) .

وأقر النقاد المتأخرون رأى بعض المتقدمين الذين قالوا ان للنشيد لونا تمثيليا فذكروا أن النشيد رواية تمثيلية يقوم بالأدوار فيها شخصان أو ثلاثة : أحدهم الملك سليمان والثانى : فتاة من شولم وتدعى (شولميت) والثالث : أحد رعاة الأغنام .

فان كانت الرواية من شخصين فيكون مدار القصة أن سليمان شهد هذه الفتاة القروية وأحبها وأخذها إلى اورشليم وحاول أن يستميلها اليه بمعسول القول ونجوى الغرام ! ولكنه لم يظفر بأمنيته الا بعد أن عاد بها إلى موطنها الريفى .

وان كانت الرواية من ثلاثة أشخاص فتكون الفتاة قد أحبت راعيا شابا نقلها إلى اورشليم وهناك تبقى على ولائها فى حبه على الرغم من نعومة الحياة ، وبذخ العيش في قصور سليمان ، وإذ يفشل سليمان ! ! فى الظفر بقلبها يعيدها إلى بيتها فى الريف لتقترن بحبها الأول (٢) .

لكن هذا الرأى القائل بمسرحية النشيد والذى تزعمه (فرنس دليتش) وجد كثيرين من المعارضين الذين يستبعدون أولا سليمان عليه السلام ويقولون ان المحب راع ساذج وهو الذى تخاطبه الحبيبة بقولها :

« قل لى حبيب روحى أين ترعى

أين تربض فى الظهيرة حتى لا أصير كالمجنونة بين قطعان أصدقائك (٣) .

كذلك الحبيبة انها راعية وفيها يقول حبيبها :

ان لم تعرفى يا أجمل النساء فاذهبى واقتفى أثر الغنم وراعى جداءك

(١) د/ فؤاد حسنين :التوراة الهيروغليفية صـ ١٦١ .

(٢) المصدر السابق ، حبيب سعيد :المدخل إلى الكتاب المقدس صـ ١٦١ ، راجع أيضا بتفصيل اكثر :قاموس الكتاب المقدس صـ ٩٦٨ .　　(٣) نشيد الانشاد : ١ : ٧

عند أكواخ الرعاة (١) .

وليست هذه الأمثلة هي الوحيدة ، ففي النشيد أكثر من شاهد يؤيد هذا الرأى ويكاد الدكتور فؤاد حسنين يرجح أن هذين الراعى والراعية كانا من لبنان (٢) .

ولذلك فقد ذهب كثير من الباحثين إلى أن سفر نشيد الانشاد عبارة عن مجموعة من الأغانى والأناشيد كان القوم ينشدونها على آلات الموسيقى فى الأفراح وحفلات الزواج ـ جمعت بعضها كما جمعت فى العهد القديم أناشيد أخرى خاصة بالحرب والقتل أو المراثى والحكمة ، وأن كثيرا من هذه المعانى وتلك العادات التى نجدها فى النشيد مازالت إلى يومنا هذا حية مستعملة لا فى فلسطين وغيرها من بلاد الشرق العربى فقط بل فى الغرب أيضا وبخاصة عادة تتويج العروس أو وضع الاكليل على رأسها (٣) ، ويرى مارتن لوثر أن هذا النشيد مجموعة من الأغانى الشعبية (٤) .

ويذكر الأب ديلى أنه يخيل الينا لأول وهلة أننا أمام مجموعة من أغانى الحب وضعت بمناسبة زواج بألوان واقعية صارخة وأوصاف تدهشنا فننكرها أحيانا (٥) .

من هو كاتب السفر ومتى كتب ؟

أما فيما يتعلق بمعرفة مؤلف هذا السفر وتاريخ كتابته فانه لا يعرف من هو مؤلفه على وجه اليقين وان كان اليهود ينسبونه إلى سيدنا سليمان عليه السلام ويرون أنه قد كتبه فى أيام شبابه وكتب سفر الأمثال فى عهد رجولته وكتب سفر الجامعة فى سنى شيخوخته (٦) .

والواقع أن مطلع السفر لا يؤيد صحة نسبته إلى سليمان عليه السلام واذا كان

---

(١) نشيد الانشاد : ١ : ٨ .

(٢) د/فؤاد حسنين : التوراة الهيروغليفية صص-١٦٢ .

(٣) حبيب سعيد : المدخل إلى الكتاب المقدس صـ ١٥٤ ـ ١٥٥ ، التوراة الهيروغليفية صـ ١٦٢ ، د/ محمد بحر عبد المجيد : اليهودية صـ ٩٢ ، د/ احمد شلبى : اليهودية صـ ٢٥٢ .

(٤) التوراة الهيروغليفية صـ ٥٣ .

(٥) راجع كتابه تاريخ شعب العهد القديم .

(٦) حبيب سعيد : المدخل إلى الكتاب المقدس صـ ١٥٥ ، وسنتعرض لسفر الجامعة عقب الانتهاء من هذا السفر ان شاء الله

قد ذكر اسم سليمـان فى أكثر من موضع الا أنه فى أكير المواضـع لا يذكر اسمه بل ويذكر فى صيغة الغائب لا المؤلف (١) .

ويقول الدكـتور كنى كات مع عـدد من العلماء المتاأخـرين : ان القول بأن هذا السفر من تصنيف سليمان غلط محض ، بل صنف هذا السفر بعد مدة من وفاته (٢) .

فليست الأغاني والأناشيد التي يحتوى عليها السفر من وضع فرد بعينه وانما هو من وضع مجمـوعة كبيرة من أفراد الشـعب ،ثم قام بجمعهـا فرد أو شخص لم يأتنا اسمه بعد عصر سليمان وذلك بدليل اللغة التى نجدها فى السفر (٣) .

وان يكن سليمـان قد وضع ــ على سبيل الفرض ــ طرائف من هذه الأناشيد فليس من المحتمل أن يكون هو نفسه واضع هذا السفر (٤) .

فهناك أدلة تثبت أن هذا السفر فى وضعه الحالى يرجع إلى تاريخ متأخر وربما كان أحـدث أسفـار العهـد القديم من حيث تـاريخه وذلك لأنه حوى بـعض الألفاظ اليونانية التى لم تدخل الا بعد السبى بزمن طويل .

وليس فى الكتاب المقدس كله سفر آخر كتب على طريقته وفى أسلوبه على أن بعض الأناشـيد قـد تكون قـديمة العـهد ثم تطـورت على مسـار الزمن ، ولكنهـا لم تكمل فى وضـعهـا الحالى الا فى القـرن الثالث ق .م وربما قـبل المائتى سنة الأخـيرة بزمن وجيز (٥) .

ويرجع ول ديورانت كـتابة هذا السـفر إلى العـصر اليـونانى ويرى أنه قد ألـفه شاعر يهودى (أو ألفته شاعرة يهودية) قبل اختتام القرن الثالث ق .م .

ففى هذا السفر أو فـى هذا النشيد كل ماحواه السفر اليـونانى من سافوا إلى ثاو فريطوس من روعـة فنية ، وفيـه فوق هذا مالا يمكن الـعثور عليـه عند أى مؤلف من مؤلفى ذلك العصر ــ فـيه قوة فى الخيال وعمق فى الشعور واخـلاص مثالي حوي من القوة مايكفى للترحيب بجسم الحب وروحه وأن يبدل الجسم نفسه روحاً (٦) .

---

(١) التوراة الهيروغليفية صـ ١٦٤ . (٢) الشيخ رحمت الله الهندى : اظهار الحق صـ ٩٦ .
(٣) التوراة الهيروغليفية صـ ١٦٤ . (٤) المدخل إلى الكتاب المقدس صـ ١٥٥ .
(٥) حبيب سعيد :المدخل إلى الكتاب المقدس صـ ١٥٥ ، د/ فـؤاد حسنين :التوراة ــ الهيروغليفية صـ ١٦٤ .
(٦) قصة الحضارة (٨) الجزء الثالث من المجلد الثانى : حياة اليونان صـ ٩٣ .

وأياما كان الأمر فكل مانستطيع الجزم به أن لدينا سفراً حوى أروع الأناشيد وأعذب الأغاني التي تصور الحب المتبادل بين الرجل والمرأة (١)

واذا ماوضعنا هذه الأناشيد إلى جانب المزامير لاح لنا مافي الحياة اليهودية من عنصر شهواني دنيوي ، لعل كتاب العهد القديم وهم الذين يكادون كلهم أن يكونوا من الأنبياء أو الكهنة قد أخفوه عنا ، ولسنا ندري (٢) كيف غفل أو تغافل رجال الدين عما في هذه الاغاني من عواطف شهوانية فأجازوا وضعها بين أقوال أشعيا والخطباء(٣) .

وهذه بعض النماذج التي استرعت انتباه الباحثين ولفتت أنظارهم :

جاء في الاصحاح الأول :

« ليقبلني بقبلات فمه لأن حبك أطيب من الخمر ، لرائحة أدهانك الطيبة اسمك دهن مهراق ، لذلك أحبتك العذارى ، اجذبني وراءك فنجري ، أدخلني الملك إلى حجاله ، نبتهج ونفرح بك ، نذكر حبك أكثر من الخمر » (٤) .

« أنا سوداء وجميلة يابنات أورشليم كخيام قيدار كشقق سليمان »

«أخبرني يا من تحبه نفسي أين ترعى أين تربض عند الظهيرة ، لماذا أنا أكون كمقنعة عند قطعان أصحابك .

ان لم تعرفي أيتها الجميلة بين النساء فاخرجي على آثار الغنم وارعى جداءك عند مساكن الرعاة .

« لقد شبهتك ياحبيبتي بفرس في مركبات فرعون، ما أجمل خديك بسموط وعنقك بقلائد نصنع لك سلاسل من ذهب مع جمان من فضة مادام الملك في مجلسه ، أفاح نار ديني رائحته ، صرة المر حبيبي لي ، بين ثديي يبيت

---

(١) حبيب سعيد : المدخل صـ ١٥٥ .

(٢)لايزال الكلام لول ديورانت .

(٣) ول ديورانت : قصة الحضارة مجلد ١ جـ ٢ الشرق الأدنى صـ ٣٨٧ - ٣٨٨ .

(٤) سفر نشيد الانشاد ١ : ٢ـ ٤ .

ها أنت جميلة يا حبيبتى ها أنت جميلة ،عيناك حمامتان

هاأنت جميل ياحبيبى وحلو وسريرنا أخضر » (١) .

وفى الاصحاح الثانى :

« أنا نرجس شارون سوسنة الأودية ، كالسوسنة بين الشوك كذلك حبيبتى بين البنات كالتفاح بين شجر الوعر كذلك حبيبى بين البنين وتحت ظله اشتهيت أن أجلس وثمرته حلوة لحلقى، أدخلنى إلى بيت الخمر وعلمه فوقى محبة » (٢) .

« أسندونى بأقراص الزبيب أنعشونى بالتفاح فانى مريضة حبا ، شماله تحت رأسى ، ـ ويمينه تعانقنى

أحلفكن يابنات أورشليم بالظباء وبأيائل الحقول ألا تيقظن ولاتنبهن الحبيب حتى يشاء » (٣) .

« صوت حبيبى ، هو ذا آت طافراً على الجبال .... أجاب حبيبى وقال لى قومى يا حبيبتى يا جميلتى وتعالى لأن الشتاء قد مضى والمطر قد مر وزال ... يا حمامتى فى محاجى الصخر فى ستر المعاقل أرينى وجهك أسمعينى صوتك لأن صوتك لطيف ووجهك جميل » (٤) .

وفى الاصحاح الثالث :

«فى الليل على فراشى طلبت من تحبه نفسى طلبته فما وجدته ، انى أقوم وأطوف فى المدينة فى الأسواق وفى الشوارع أطلب من تحبه نفسى طلبته فما وجدته ، وجدنى الحرس الطائف فى المدينة فقلت أرأيتم من تحبه نفسى ، فما جاوزتهم إلا قليلا حتى وجدت من تحبه نفسى فأمسكته ولم أرْخِه حتى أدخلته بيت أمى وحجرة من حبلت بى أحلفكن يابنات أورشليم بالظباء وبأيائل الحقل ألا تيقظن

---

(١) راجع نشيد الانشاد ١ : ٥ ـ ١٦.

(٢) نشيد الانشاد ٢ : ١ ـ ٤ .

(٣) نشيد الانشاد ٢ : ٥ ـ ٧ .

(٤) راجع نشيد الانشاد ٢ : ٨ ـ ١٤ .

ولا تنبهن الحبيب حتى يشاء (١) .

وفى الاصحاح الرابع :

« ها أنت جميلة يا حبيبتي ها أنت جميلة ، عيناك حمامتان من تحت نقابك شعرك كقطيع معز رابض على جبل جلعاد ، أسنانك كقطيع الجزائر الصادرة من الغسل اللواتى كل واحدة متئم وليس فيهن عقيم،شفتاك كسلكة من القرمز ، وفمك حلو ، وخدك كفلقة رمانة تحت نقابك عنقك كبرج داود المبنى للأسلحة ألف مجن علق عليه كلها أتراس الجبابرة .

ثدياك كحشفتى ظبية توأمين يرعيان بين السوسن .. كلك جميل يا حبيبتى ليس فيك عيبة » (٢) .

« قد سبيت قلبى يا أختى العروس ، قد سبيت قلبى باحدى عينيك بقلادة واحدة من عنقك ، ما أحسن حبك يا أختى العروس . كم محبتك أطيب من الخمر ، وكم رائحة أدهانك أطيب من كل الأطياب .

شفتاك باعروس تقطران شهداً ، تحت لسانك عسل ولبن ورائحة ثيابك كرائحة لبنان أختى العروس حنة مغلقة عين مقفلة ينبوع مختوم ...

استيقظى ياريح الشمال وتعالى يا رياح الجنوب ، هبّى على جنتى فتقطر أطيابها ليأت حبيبى إلى جنته ويأكل ثمرة النفيس (٣) .

وفى الإصحاح الخامس :

« قد دخلت جنتى يا أختى العروس ، قطفت مرى مع طيبى ، أكلت شهدى مع عسلى ، ــ شربت خمرى مع لبنى ، كلوا أيها الأصحاب اشربوا واسكروا أيها الأحباء.

---

(١) نشيد النشاد ٣ : ١ ــ ٥ .

(٢) نشيد الانشاد ٤ : ١ ــ ٧ .

(٣) نشيد الانشاد ٤ · ٩ · ١٦ .

أنا نائمة وقلبى مستيقظ ، صوت حبيبى قارعاً ، افتحى لى يا أختى يا حبيبتى ياحمامتى يا كاملتى ، لأن رأسى امتلأ من الطل وقصصى من ندى الليل .

« قد خلعت ثوبى فكيف ألبسه ، قد غسلت رجلى فكيف أوسخها حبيبى مد يده من الكوه فأنّت عليه أحشائى ، قمت لأفتح لحبيبى ويداى تقطران مراً وأصابعى مر قاطر على مقبض القفل فتحت لحبيبى لكن حبيبى تحول وعبر ،نفسى خرجت عندما أدبر طلبته فما وجدته دعوته فما أجابنى ، وجدنى الحرس الطائف فى المدينة ، ضربونى جرحونى ، حفظة الأسوار رفعوا ازارى عنى ، أحلفكن يابنات أورشليم ان وجدتن حبيبى أن تخبرنه بأنى مريضة حباً » (١) .

وفى الأصحاح السادس :

« أين ذهب حبيبك أيتها الجميلة بين النساء أين توجه حبيبك فنطلبه معك حبيبى نزل إلى خمائل الطيب ليرعى فى الجنات ويجمع السوسن أنا لحبيبى وحبيبى لى ، الراعى بين السوسن » (٢) أنت جميلة ياحبيبتى ..... حوّلى عنى عيناك فإنهما غلبتانى (٣) .

وفى الاصحاح السابع :

« ما أجمل رجليك بالنعلين يابنت الكريم ، دوائر فخذيك مثل الحلى صنعة يدى صناع

سرتك كأس مدورة لا يعوزها شراب ممزوج ، بطنك صبرة حنطة مسيجة بالسوسن .

---

(١) نشيد الإنشاد ٥ : ١ ــ ٨ ، وجاء فى نفس الاصحاح عقب ذلك « ما حبيب من حبيب أيتها الجميلة بين النساء ما حبيبك من حبيب حتى تحلفينا هكذا .

حبيبى أبيض واحمر ، معلم بين ربوة ، رأسه ذهب ابريز ، قُصصه مسترسلة حالكة كالغراب عيناه كالحمام على مجارى المياه مغسولتان باللبن جالستان فى وقبيهما ، خداه كخميلة الطيب وأتلام رياحين ذكية ، شفتاه سوسَن تقطران مرا مائعا ، يداه حلقتان من ذهب مرصعتان بالزبرجد ، بطنه عاج أبيض مغلف بالياقوت الأزرق ، ساقاه عمودا رخام مؤسستان على قاعدتين من ابريز ، طلعته كلبنان ، فتى كالأرز ، حلقه حلاوة وكله مشتهيات هذا حبيبى وهذا خليلى يا بنات أورشليم (نشيد الإنشاد ٥ : ٩ ــ ١٦)

(٢) نشيد الإنشاد ٦ : ١ ــ ٣ .

(٣) المصدر السابق ٦ : ٤ ــ ٥ .

ثدياك كخشفتين توأمى ظبية ، عنقك كبرج من عاج ، عيناك كالبرك فى حشبون ، أنفك كبرج لبنان الناظر تجاه دمشق .

رأسك عليك مثل الكرمل وشعر رأسك كأرجوان ما أجملك وأحلاك أيتها الحبيبة باللذات ، قامتك هذه شبيهة بالنخلة وثدياك بالعناقيد .

قلت انى أصعد إلى النخلة وأمسك بعذوقها ، وتكون ثدياك كعناقيد الكرم ورائحة أنفك كالتفاح وحنكك كأجود الخمر ، لحبيبى السائغة المرقرقة السائحة على شفاه النائمين » .

« أنا لحبيبى وإلىّ اشتياقه وتعال يا حبيبى لنخرج إلى الحقل ولنبت فى القرى ، — لنبكرن إلى الكروم لننظر هل تفتح الفعال هل نور الرمان .

هنالك أعطيك حبى ، اللفاح يفوح رائحة وعند أبوابنا كل النفائس من جديدة وقديمة ذخرتها لك ياحبيبى » (١) .

وفى الاصحاح الثامن :

« ليتك كأخ لى الراضع ثديى أمى فأجدك فى الخارج وأقبلك ولا يخزوننى ، وأقودك — وأدخل بيت أمى وهى تعلمنى فأسقيك من الخمر الممزوجة من سلاف رمانى ، شماله تحت رأسى ويمينه تعانقنى أحلفكن يابنات ورشليم ألا تيقظن ولا تنبهن الحبيب حتى يشاء .

من هذه الطالعة من البرية مستندة على حبيبها .

تحت شجرة التفاح شوقتك هناك خطبت لك أمك هناك خطبت لك والدتك

اجعلنى كخاتم على قلبك كخاتم على ساعدك ، لأن المحبة قوية كالموت ، الغيرة قاسية كالهاوية ، لهيبها لهيب نار لظى الرب ، مياه كثيرة لا تستطيع أن تطفئ المحبة والسيول لاتغمرها .

إن أعطى الانسان كل ثروة بيته بدل المحبة تحتقر احتقاراً ، لنا أخت صغيرة ليس لها ثديان ، فماذا نصنع لأختنا فى يوم تخطب .

---

(١) نشيد النشاد ٧ : ١ — ١٣ .

ان تكن سورا فنبنى عليها برج فضة، وان تكن بابا فنحصرها بألواح أرز

أنا سور وثدياى كبرجين حينئذ كنت فى عينيه كواجدة سلامة (١) .

وينتهى السفر بهذا القول :

« أيتها الجالسة فى الجنات ، الأصحاب يسمعون صوتك فأسمعينى

« اهرب ياحبيبى وكن كالظبى أو كغفر الأيائل على جبال الأطياب » (٢) .

وبعد أن عرضت لهذه النماذج المثيرة من سفر نشيد النشاد أعتقد أنه لا مجال للحديث عن رمزيته أو صوفيته وعن العلاقة السرية سواء بين يهوه واسرائيل أو بين المسيح وكنيسته فالألفاظ صارخة والعبارات واضحة والأساليب صريحة فى أن السفر يحتوى على أحاديث غرامية وأوصاف جنسية مكشوفة ويعبر عن علاقة حب أو شهوة بين رجل وامرأة أو بين راعى وراعية .

يذكر الشيخ رحمت الله الهندى أن القسيس تهيودور ــ وكان فى القرن الخامس الميلادى ــ ومعه (سيمن وليكرك) قد ذما هذا السفر ولم يسلما بصحته .

ونقل عن (وشنن) أنه قال انه غناء فسقى فليخرج من الأسفار المقدسة ونقل عن بعض المتأخرين نفس القول وأنهم جميعاً حكموا باخراج هذا السفر من أسفار العهد العتيق لأنه غناء نجس (٣) .

ولا أحب أن أناقش هنا نسبته إلى سيدنا سليمان فهو براءمما فيه على وجه الاطلاق ، فليس هناك أدنى علاقة بين سيدنا سليمان وبين هذا الكلام الفاحش الرخيص وذلك الغزال الداعر المكشوف الذى لا يصلح الا فى الحانات والملاهى بين الرقص والخمور أو على خشبات المسرح حيث تتأوه به المطربات وينعق له المستمعون والمشاهدون .

ولكن لابد من البحث عن مصدره ومن أين اتى به كتاب العهد القديم ؟.

يذكر ول ديورانت أن فى هذه الكتابات الغرامية التى تشتمل عليها الأناشيد

---

(١) نشيد الانشاد ٨ : ١ ــ ١٠.   (٢) نشيد الانشاد ٨ : ١٣ ــ ١٤ .

(٣) اظهار الحق صــ ٩٦ .

مجالا واسعاً للحدس والتخمين :

فقد تكون مجموعة من الأغاني البابلية الأصل تشيد بذكر اشتار وتموز (١) ويؤيد هذا كثير من العلماء حيث يرون أن تأثيرات المعتقدات التموزية على العبرانيين تتجلى في أن سفر أناشيد الانشاد في التوراة (العهد القديم) يتطابق في نقاط عديدة مع الأغاني والأناشيد الخاصة بزواج الاله تموز من الالهة عشتار ، والتي وصلتنا مدونة على رقم الطين من بلاد وادى الرافدين وهي تسبق التوراة في تدوينها بما يزيد على ألف عام (٢) .

ولاشك أن أناشيد اشتار وتموز كانت متداولة أو على الأقل موجودة بين التراث البابلي الذى عكف عليه اليهود أثناء سبيهم في بابل فلا يبعد أن يكون أحد الكتبة قد أعجبته هذه الأناشيد فضمها في سفر وخلط بها من هنا وهناك ووضعها بين أسفار العهد القديم .

وهناك رأى آخر يتمثل في أن تكون هذه الأناشيد من وضع جماعة من شعراء الغزل ـ العبرانيين تأثروا بالروح الهيلينية التي دخلت إلى بلاد اليهود مع الاسكندر

---

(١) قصة الحضارة : الجزء الثاني من المجلد الأول : الشرق الأدنى صـ ٣٨٧ ـ ٣٨٨ واشتار وتموز أو عشتار وتموز : هما اسما الهين من الهة البابليين ، فأما عشتار فهى الهة الحب فالحب الجسدى هبة منها لأنها ربة العشق وهي ملكة اللذة وهى التي تحب المتعة والفرح وترتبط عبادتها بالعاهرات المقدسات ـ والمعروفات باسم « عشتاريو » أى (العشتاريات)وهن لسن العاهرات فقط بل المحظيات كذلك ، وهى زوجة وعشيقة لكبار الآلهة ، وأما تموز فهو أشهر الهة الزراعة واسمه البدائى لدى السومريين هو « دوموزى » وقد ورد ذكره في ملحمة جلجاميش البابلية حين كان يعير عشتار بكثرة عشاقها وأخذ ينشد لها « الاله تموز ... حبيب شبابك . عاما بعد عام . قدرت له الندب والبكاء ..... الخ وقد حفظت لنا مجموعة ضخمة من أصل سومرى من الاناشيد تبين عشق تموز لعشتار وكان يلقب بـ « الراعى » (راجع تفاصيل الحديث عن تموز وعشتارت موسكاتي صـ ٨٦ ـ هوامش موسكاتي للدكتور السيد يعقوب بكر صـ ٥٩ وما بعدها د/ نجيب ميخائيل : مصر والشرق الأدنى جـ ٦ صـ ١٣١ ـ ١٣٣ ، صـ ١٤٣ ـ ١٤٤ ، قاموس الكتاب المقدس صـ ٢٢٢ .

(٢) د/ فاضل عبد الواحد : حضارة بلاد وادى الرافدين صـ ٢٨٦ ضمن كتاب : العراق في التاريخ بغداد ١٩٨٣ م .

لأن فى هذه الأغانى ألفاظا مأخوذة من اللغة اليونانية (١) .

وهناك رأى ثالث يذهب أصحابه إلى أن تكون هذه الأناشيد عبارة عن زهرة يهودية ترعرعت فى الاسكندرية وقطعتها نفس متحررة من ضفاف النيل ، وذلك لأن العاشقين بخاطب أحدهما الآخر بقوله أخى أو اختى كما يفعل المصريون الأقدمون(٢) .

ويذكر الدكتور محمد بحرأن نتأثير شعر الغزل المصرى القديم يظهر فى سفر نشيد الاناشيد فى استخدامه كلمة أختى العروس (٣) .

والواقع أنه ليس هناك مايمنع من أن تكون أغانى وأناشيد هذا السفر قد جمعت من المصادر الثلاثة المذكورة :المصدر البابلى ، والمصدر اليونانى ، والمصدر المصرى .

وان كنت أرجح اعتمادها على المصدر المصرى بشكل أقوى وأكثر ، ويكفى أن نطلع على بعض الأغانى العاطفية وأهازيج الحب عند المصريين القدماء (٤) .

فهذه الفتاة أضناها الهوى تتطلع عبثا لتبحث عن « أخيها » ولا تحس بلذة شئ من طعام أو شراب ولا توفق فى عمل حتى تراه ، رغم أنها تراه فى كل يوم ما يقع عليه ناظرها ، أوهى تراه أمامها فتحدثه مغازلة اياه مقبلة عليه مفتونة به :

الفتاة : أخى ما أحلى أن أذهب إلى البركة لأستحم أمامك حتى ترى مفاتنى فى ثوبى الكتانى الجميل وهو مبتل ملتصق بجسدى ،أنا أنزل معك إلى الماء ثم أخرج لك سمكة حمراء على أصابعى .... تعال وانظر إلى .

الفتى : حب أختى على الجانب الآخر هناك وهناك خط من الماء يفصل بيننا وتمساح يتربص بنا على الشاطئ الرملى ...

(١) ول ديورانت : قصة الحضارة مجلد ١ جـ ٢ صـ ٣٨٨ ، د/ نجيب ميخائيل : مصر والشرق الادنى جـ ٣ صـ ٢٠٧ .

(٢) اليهودية صـ ٩٨ .

(٣) راجع هذه الاغانى وتلك الاهازيج : ول ديورانت : قصة الحضارة مجلد ١ جـ ٢ صـ ١١٢ - ١١٥ .

(٤) راجع المصدرين السابقين .

اننى أحس بالسعادة حين أرى أختى مقبلة ... دراعى تتفتحان لاستقبالها واحتضانها ، قلبى يفرح برؤيتها .

ان احتضنتها وفتحت ذراعى فاننى أحس كما لو تعطرت بعطور « بوينى » ان ـ قبلتها وشفتاها فاغرتان فاننى أسكر ، وذبت لو كنت جاريتها بين يدها حتى أشهد لون أعضائها جميعاً ، وددت لو كنت غسال ملابسها وددت لو كنت خاتما فى أصبعها (١) .

وليسمح لى القارئ بأن أنقل له نموذجاً اخر من الأغانى المصرية وأدعه أن يدرك مدى التشابه الكبير بينه وبين نشيد الإنشاد مما يرجح اعتماد الأخير على الأول اعتماداً رئيسيا :

« حبيبتى مفردة لا نظير لها ، هى أكثر جمالا من كل ماعداها ، هى كنجمة الزهراء فى فجر يوم العام السعيد ، انها تتحرك فى تلألؤ الكمال فضياؤها ساطع وجلدها منير وجهها رائع ، عيناها مغريتان جذابتان ، على شفتيها تتلكأ الكلمات المحرضة ، لكنها لا تتكلم أكثر مما يجب رقبتها رفيعة ، وصدرها ممتلئ ، شعرها من اللا زورد وذراعها أبدع من الذهب فى طلاوته .

أصابعها مثل براعم اللوتس ، انها ثقيلة الأرداف نحلية الخصر ثوبها محبوك حول وسطها يكشف عن أجمل سيقان فى العالم أنت لا تملك الا أن تتابعها بعينيك حيثما تذهب أنها كربة لا نظير لها فى مظهرها ، ما أسعد من يلثم فمها (٢) .

وهناك نموذج ثالث من الاغنيات المصرية يقترب إلى حد كبير من أغانى نشيد الانشاد وخاصة فى أوصاف الجسد العضوية :

الفتاة : ان أردت احتضان فخدى فان صدرى يلبى نداءك .... أتريد أن تبتعدعنى لأنك جائع ؟ أشره أنت ؟ أتولى عنى لتضع ثيابك ... ولكن ... لدى ملاءة فهاكها ... أتبتعد عنى لأنك عطشان ؟ خذ صدرى فسوف ترتوى منه ... ان حبك يتملك جسدى .... اسرع إلى اختك .

الفتى : الأخت كحقل ببراعم اللوتس وصدرها كحقل بتفاح الحب ....

---

(١) د/ نجيب ميخائيل : مصر والشرق الادنى جـ ٤ : الحضارة المصرية صـ ٥٣٠ ـ ٥٣١ .

(٢) المصدر السابق جـ ٤ صـ ٥٣٢ .

ودراعاها كـــ ... وحاجباها كفخ طيور وأنا الأوزة التى تقع فى الحبائل (١) .

هذا ولم تكن الأغانى العاطفية قاصرة على العاشقين وحدهما فى مصر القديمة بل ان الزهور والأشجار فى الحدائق كانت تتغنى بجمال الفتاة ، وهو مالا حظناه فى النصوص التى عرضتها من سفر نشيد الانشاد :

فالفتاة تنظر إلى كل زهرة فى الحديقة ـ وكأنما هى تصنع لنفسها اكليلا من الزهور ـ وتفكر فى حبها كلما قطفت واحدة منها .....

وكل أغنية تبدأ باسم زهرة ، ويلعب الجناس فى هذه الأغانى دورا هاما وهى تحدث ـــ مرة زهرة بدعوى أنها تجعل القلب معتدلا وتعدها بأن تطيع رغباته حين تكون بين ذراعيه ثم تحدث زهرة ثانية مشيرة إلى أنه نور عينيها وأنها ستسكن اليه لأنها تحس أنه رجلها الذى تكاد تجن به .

وأما أشجار الحديقة فتتحدث اليها عن حبيبها وتدعوها إلى أن تنعم معه فى ظلالها حين يتتشيان بالخمر ويتعطران بزيت « كمى » (٢) .

ويذكر ول ديورانت أن الآداب المصرية ـــ بعد انتقالها من الدولة القديمة إلى الدولة الوسطى ـ قد اصطبغت بالصبغة الدنيوية « الدنسة » وروى منها قصة لقاء بين راع وإحدى الإلهات ! ! حيث التقت به وهو سائر فى طريقه إلى البركة ، وكانت قد خلعت ملابسها وأرخت شعرها » (٣) .

ويذكر أيضاً أن هناك عدداً كبيراً من أغانى الحب المصرية القديمة ولكن معظمها يتحدث عن غرام الإخوة والأخوات ، ولهذا تسخر منه أذن السامع فى هذه الأيام وتصطك لسماعه (٤) .

وإذا كان هذا هو انطباع السامع تجاه أدب وثنى ، فماذا يفعل قارىء (الكتاب المقدس) وهو يترنم بأناشيد الهوى والغرام ، فى هذا السفر الداعر المليء بالفسق والمجون .

---

(١) د/ نجيب ميخائيل : مصر والشرق الأدنى القديم جـ ٤ صـ ٥٣٧ .

(٢) راجع تفاصيل ذلك :المصدر السابق صـ ٥٤٠ ـ ٥٤٣ .

(٣) قصة الحضارة الجزء الثانى من المجلد الأول صـ ١١١ ـ ١١٢ .

(٤) المصدر السابق صـ ١١٢ .

٤ ـ سفر الجامعة

الجامعة : كلمة مشتقة من « جمع » أو « جماعة » .

وسمي هذا السفر في الترجمة السبعينية بسفر الجامعة وهي ترجمة للكلمة العبرية « قوهليت » التي معناها من يجلس في محفل أو يتكلم في مجتمع أو كنيسة .

فالكلمة في أصلها العبرى تشير إلى شخص « بشير » أو « واعظ » يحدث جمعاً من الناس ، وليست « الجامعة » اسما علما على فرد بالذات بل هي وصف لوظيفة .

وكان المعتقد أن هذه الوظيفة قام بها سليمان الذى كان من عادته أن « يجمع شيوخ الشعب وكل رءوس الأسباط ورؤساء الآباء » .

ويبدو بينهم كأنه البشير الحكيم المجيد المتفوق (١) .

ولذلك فإن اليهود قد نسبوا هذا السفر إليه على أنه هو الجامعة المقصود ، وزعموا أنه كتبه في شيخوخته أو في كمال اختياره (٢) واستدلوا على ذلك بأدلة سقيمة وواهية تقوم على الظن والتخمين وتعتمد على المغالطة والإهانة لشخص سيدنا سليمان عليه السلام (٣) .

---

(١) قاموس الكتاب المقدس صـ٢٤٣ المدخل إلى الكتاب المقدس صـ١٦١ .

(٢) قاموس الكتاب المقدس صـ٢٤٣
على أن سفر الجامعة ليس عظة بالمعنى المقصود من الحكم والعظات وإنما هو أشبه بمحاضرة متناثرة أفكارها عن معنى الحياة يلقيها معلم حكيم فني وليس من الهواة ، كما أنه ليس منظماً على نسق معين أو نظام متطور ، ولكنه أقوال متفرقة تستهدف في البداية وفي النهاية غاية معلومة ، وهي أن كل نشاط بشرى باطل وقبض الريح : « باطل الأباطيل الكل باطل قال الجامعة » (١ : ٢) .
« باطل الأباطيل قال الجامعة ، الكل باطل » (١٢ : ٨) (المدخل إلى الكتاب المقدس صـ١٦١) .

(٣) لقد استدلوا بما يلي : ١ ـ كتب عن سليمان أنه قد اتخذ نساء كثيرات بينهن كثير من أجنبيات وعابدات الأوثان اللواتي أملن قلبه عن اتباع الرب (ملوك أول ١١ : ٣ ، ٤) ويقول كاتب السفر « وجدت أمر من الموت امرأة التي هي شباك وقلبها شراك ويداها قيود » ويقول « أما المرأة فبين كل أولئك لم أجد » .

٢ ـ يقال إن سليمان ألف أمثالا عديدة ولاشك أنه كتب أكثر سفر الأمثال ويقال إنه تكلم بثلاثة آلاف مثل وجاء في سفر الجامعة « وأتقن أمثالا كثيرة » .

(راجع قاموس الكتاب المقدس صـ٢٤٣) .

ويذكر الشيخ رحمت الله الهندى أن سفر الجامعة فيه اختلاف عظيم فقال البعض انه من تصنيف سليمان عليه السلام ، وقال « الربى قمجى » وهو عالم مشهور من علماء اليهود إنه تصنيف اشعياء وقال علماء التلمود إنه تصنيف حزقيا ، وقال (كروتيس) إن أحداً صنفه لـ « زروبابل » لأجل تعليم ابنه ابيهود ، وقال « جهان » من علماء المسيحية وبعض علماء الألمان إنه صنف بعد ماأطلق بنو إسرائيل من أسر بابل.

وقال (زرقيل) إنه صنف فى زمان (انتيوكس ايپى فانس) واليهود بعدما أطلقوا من أسر بابل أخرجوه من الأسفار الالهامية لكنه أدخل بعد ذلك فيها (١) .

والواقع أن سفر الجامعة لايمكن أن ينسب إلى سيدنا سليمان بن داود عليهما السلام.

وذلك لأن الكاتب يذكر فى هذا السفر أنه كان ملكاً على إسرائيل بأورشليم قبل تأليف الجامعة ، والعهد القديم يحدثنا بأن سليمان ظل ملكاً حتى توفى (٢) .

كما أنه من المستبعد جداً أن يصف سليمان عصره على أنه عصر الظلم واستشراء الفساد فضلا عن أن فلسفة الجامعة تحمل بين طياتها كثيراً من عبارات الكفر والإلحاد (٣) .

---

(١) اظهار الحق صـ٩٦ . (٢) ملوك أول : ١١ التوراة الهيروغليفية صـ١٦٧ يبدأ سفر الجامعة هكذا « كلام الجامعة ابن داود الملك فى أورشليم » وردت كلمة الجامعة فى الترجمة الإنجليزية بلفظ كو ملث وبما أنه ليس بين أبناء داود من يعرف بهذا الاسم فقد استبدلت الترجمة الانجليزية بهذا الاسم كلمة « الواعظ » وابتدع حاخامو اليهود قصة يعللون بها ورود هذا الاسم فزعموا أن يهوه ضاق ذات يوم ذرعاً بما داخل سليمان من غرور وخيلاء فأرسله يجوب أقطار العالم واعظاً الناس وداعياً اياهم إلى مافيه صلاحهم وأحل محله شيطانا فى صورته وتربع فوق عرشه واستمر يحكم الشعب بدلا منه (راجع عصام الدين حفنى ناصف : الأسطورة والوعى صـ١٨٦ ـ ١٨٧) (٣) التوراة الهيروغليفية صـ١٦٧ ، وقد كان هذا الوضع من الأسباب التى أدت إلى قيام عدة مشاكل حول قدسية هذا السفر وتبعيته للعهد القديم ، إذ شك بعض اليهود فى قانونيته ولكنهم اقتنعوا أخيراً بمكانته بين الأسفار القانونية ، والواقع أنه لولا نسبته لسليمان ماحتل هذه المكانة بين أسفار الكتاب المقدس وجدير بالملاحظة أنه لاتوجد منه اقتباسات مباشرة أو تلميحات فى كتب العهد الجديد (راجع قاموس الكتاب المقدس صـ٢٤٤ ، التوراة الهيروغليفية صـ١٦٧) .

ويذكر غوستاف لوبون أن سفر الجامعة قد خلط بالملك سليمان عن غلط يتعذر إدراكه فلا شيء يبتعد عن ذلك السفر العسير العميق أكثر مما نعرفه من حياة هذا الملك وأخلاقه ، وإذا كان واضع ذلك السفر قد أجرى أقواله على لسان ذلك الملك القوى فلافتراض جار فى الآداب ولرغبة ذلك المؤلف فى مضاعفة الوزن ولكى يدعى بأنه أزال وهمه عن كل شيء فى هذ العالم يجب عليه أن يعرف كل شيء عنه كالغنى والسلطان وجلال العرش وأبهة القصور وملق الرجال .

فقال « كنت ملكاً فزدت عظمة ونموا على جميع الذين كانوا قبلى وجمعت لى فضة وذهبا مع أموال الملوك والأقاليم (١) .

ويذهب الأب ديلى إلى أن كاتب هذا السفر مجهول الاسم ، وهو أحد أرباب الحكمة وقد دون لنا خبرته فتقمص شخصية سليمان وأتى لنا بما علمته إياه الحياة عن اللذة والغنى والعمل والسعى وراء الحكمة (٢) .

والدكتور إسرائيل ولفنسون اليهودى لم يجرؤ على القول بأن سليمان هو صاحب هذا السفر فذكر أن بطل هذا السفر ملك من ملوك اليهود اعتزل الحكم لأسباب لانعلمها ، ثم كون لنفسه مذهبا فى الحياة وفى شئون الناس وشجونهم (٣) .

ويقول « إن مؤلف هذا السفر يمثل لنا عصره تمثيلاً كاملا فهو متردد بين المجون والإيمان ثم نراه جريئاً على ربه واقفاً أمامه موقف المناضل ، ونراه يقاوم المجون والفسوق فى ختام سفره ويدعو الناس إلى الفضيلة ، وبينما نراه حزيناً كئيبا لايرى فى الحياة شيئا جميلا إذ نجده يدعو إلى الملاذ واتباع الشهوات ثم يعود فيندم ويتوب ويقف حائراً مضطربا لايكاد يعرف من شدة مايعانيه من المضض والألم (٤) .

فقد كان هذا السفر ــ كما يرى ولفنسون ــ بعد أن فسدت الأخلاق بسبب الحضارة اليونانية فانتشر الفسوق والمجون والاستهزاء بالحياة الساذجة والاستهانة بالتعاليم الدينية وانتقلت الأمة التى كانت فقيرة فى المادة غنية بإيمانها إلى حياة تسود

---

(١) اليهود فى تاريخ الحضارات الأولى صـ٨١ ــ ٨٢ .

(٢) راجع تاريخ شعب العهد القديم صـ٣٨٣ ــ ٣٨٤ .

(٣) تاريخ اللغات السامية صـ٩٥ .

(٤) إسرائيل ولفنسون : تاريخ اللغات السامية صـ٩٥ .

فيها الملذات والشهوات (١) .

ويذكر ول ديورانت أنه لايعرف على وجه اليقين مؤلف سفر الجامعة وإن كان قد أطلق على نفسه اسمين مستعارين يخلط بينهما وهما « كحيلة » و « ابن داود ملك أورشليم » .

كذلك لايعرف وقت تأليفه على وجه التحديد وإن كان سارتن قد أرجعه إلى الفترة مابين عامى ٢٥٠ ، ١٦٨ ق . م (٢) وحدده برتراندرسل بعام ٢٠٠٠ ق . م (٣) .

لكن من المرجح أن كتاب أو سفر الجامعة قد تم تدوينه فى العصر الذى كانت فيه فلسطين خاضعة لحكم اليونان حوالى القرن الثالث ق . م وحدده البعض بأواخر هذا القرن (٤) .

ولذلك فإن العلماء يعتقدون أن كاتب سفر الجامعة الذى عاش فى العصر اليونانى قد تأثر بالفلسفة اليونانية وبفكرة القضاء والقدر التى أشبعت بها الثقافة اليونانية.

وهناك على الأقل بعض التماثل بين أقواله وبين فلسفة الابيقوريين لأن الحكيم ينصح باقتناص الفرص وافتداء اليوم والتمتع بالملاذ الزائلة قبل ضياعها : « لنأكل ونشرب لأن غدا نموت » لأنه ليس للإنسان خير تحت الشمس إلا أن يأكل ويشرب ويفرح » (٥) .

ويذهب بعض المفكرين إلى أن سفر الجامعة يحتوى على تعاليم أخرى تقترب من فلسفة الرواقيين ، بل ذهبوا إلى أبعد من ذلك فقالوا إن كثيراً من الألفاظ مأخوذة

---

(١) المصدر السابق .

(٢) قصة الحضارة مجلد ١ جـ٢ صـ٣٩٤ .

(٣) تاريخ الفلسفة الغربية : الكتاب الثاني : الفلسفة الكاثوليكية صـ٢١ .

(٤) ولفنسون : تاريخ اللغات السامية صـ٩٥ ، موريس بوكاي : دراسة الكتب المقدسة صـ٢٥ التوراة الهيروغليفية صـ١٦٨ .

(٥) راجع سفر الجامعة ٨ : ١٥ .

من أصل يونانى (١) .

والحقيقة أنه من الواضح تماما بين ثنايا السطور ـ كما يقول الدكتور حبيب سعيد ـ أن الجامعة كان متأثراً إلى حد كبير بروح الثقافة اليونانى ، وأنه استنشق عبير هذا الجو فى تفكيره والهامه وخاصته فى فلسفته التشاؤمية ونظرته إلى الحياة نظرة تشاؤم وقنوط إذ ينظر إلى الحياة بمنظار أسود ولم تعهد هذه النظرة فى كتب العهد القديم(٢) .

ـ فسفر الجامعة ـ فيما يقول غوستاف لوبون ـ من أمر الإنكارات التى نطق بها كل ذى شفتين إذ هو أنشودة قنوط المحكوم عليهم بالهلاك الأبدى وهو ينفع كتابة قبر للجنس البشرى حينما تسجى الأرض الخالية من سكانها الأخيرين تحت كفن من الجليد .

والذى ستر حتى يومنا هذا مافى ذلك السفر الباقى من الواقعية الباردة والطيرة القاتمة هو ذلك الشعور الدينى الذى ماانفك يشوه التوراة منذ ألفى سنة ، فإذا ماتخلص المرء من الأباطيل المتأصلة استمع إلى سفر الجامعة منقبض الصدر بما يفوق الوصف(٣) .

وبجانب فلسفته التشاؤمية فإن كاتب سفر الجامعة يتشكك فيما حوله فيتكلم بعبارات الشك والالحاد والزندقة (٤) .

ويذكر غوستاف لوبون أن الروح العامة فى سفرى الأمثال والجامعة أبيقورية ارتيابية وما فيها من قول مؤكد بأن أوضح واجب علينا هو أن نتمتع بالحياة لعدم وجود شىء وراءها وبأن من الجنون أن نضحى بالساعة الراهنة فى سبيل أوهام باطلة وأن هذه الروح الارتيابية لم يسبق إليها أحد فى العالم الوثنى القديم .

---

(١) حبيب سعيد : المدخل إلى الكتاب المقدس صـ١٦٣ .

(٢) المصدر السابق صـ١٦٣ ، د / بحر عبد المجيد صـ٩٢ ، راجع تفاصيل الحديث عن فلسفة التشاؤم فى سفر الجامعة : التوراة الهيروغليفية صـ١٦٥ ـ ١٦٦ .

(٣) اليهود فى تاريخ الحضارات الأولى صـ٨٦ .

(٤) د . أحمد شلبى : اليهودية صـ ٢٥١ ـ ٢٥٢ .

ثم يؤكد أن سفر الجامعة يعتبر أكثر ارتياباً من سفر الأمثال (١) .

ويقول ول ديورانت « ان سفر الجامعة يكشف عن تشكك لانتبينه فيما عن الكتاب باختياره ونشره من أدب اليهود الأقدمين ولاشك فى أن أقواله إنما تعبر عن الحضارة التى بلغت آخر مراحلها ، فلقد نضب معين شباب إسرائيل فى الكفاح المرير الذى قام بينها وبين الإمبراطوريات المحيطة بها والتى لم ينقذها منها يهوه الذى كانت تعتمد على معونته ! ! .

فلما تأزمت أمورها وافتقرت وتشتتت رفعت إلى السماء فى آدابها هذا الصوت وهو أشد الأصوات مرارة لتعبر به عن أعمق الشكوك التى طافت فى يوم من الأيام بالنفس البشرية (٢) .

وهكذا فإن دل هذا السفر على شىء فإنما يدل على تأثر نصوص الديانة اليهودية فى فترة من الفترات بالثقافة اليونانية فنصوص هذا السفر تمثل مدى هذا التأثر ولو أن الكاتب وجه الناحية الفلسفية إلى ناحية دينية (٣) .

ويذكر الدكتور فؤاد حسنين أن مارتن لوثر رأى فى سفر الجامعة أنه مجموعة من فلسفة الفلاسفة (٤) .

ويذهب صموئيل هنرى هوك إلى أن الواعظ العبرى القديم (مؤلف سفر الجامعة كان مطلعاً على ملحمة جلجاميش (٥) البابلية ونقل عنها بعض كلمات ومن هذا القبيل قول إحدى الإلهات للبطل جلجاميش :

جلجاميش إلى أين تغذ الخطى ؟ الحياة التى تروقها لن تجدها

---

(١) اليهود فى تاريخ الحضارات الأولى صـ٧٩ ، ٨١ .

(٢) قصة الحضارة مجلد ١ جـ٢ صـ٣٨٨ ، ٣٩٧ ، ولمعرفة المزيد من التفاصيل راجع النصوص التى أوردها ول ديورانت والتى تعبر عن تشاؤم وشكوك سفر الجامعة .

المصدر السابق صـ٣٩٤ ـ ٣٩٧ .

(٣) د / محمد بحر عبد المجيد : اليهودية صـ٩٢ .

(٤) التوراة الهيروغليفية صـ٥٣ .

(٥) سنتحدث عن هذه الملحمة البابلية فى الفصل الخاص بقصتى الخلق والطوفان .

فالآلهة حين خلقت البشرية ، خلقت الموت معها ، واحتفظت بالحياة بين أيديها املأ بطنك أى جلجاميش ، ابتهج فى ليلك وفى نهارك ، اجعل لنفسك فى كل يوم بهجة ومراحا ، ارقص ليلك ونهارك وامزح والبس الزاهى من الثياب والجديد ، ليكن رأسك مغسولاً واستحم فى الماء ترفق ملتفتا إلى الصغير الذى يمسك بيدك فهذه هى بغية البشرية .

وهذه الكلمات تشبه إلى حد غريب كلمات سيد المجالس فى سفر الجامعة(١) .

« لكل الأحياء يوجد رجاء فإن الكلب الحى خير من الأسد الميت ، لأن الأحياء يعلمون أنهم سيموتون ، أما الموتى فلا يعلمون شيئا وليس لهم أجر بعد لأن ذكرهم نُسى ، ومحبتهم وبغضهم وجسدهم هلكت منذ زمان ولانصيب لهم بعد إلى الأبد فى كل مايحمل تحت الشمس ، اذهب كل خبزك بفرح واشرب خمرك بقلب طيب لأن الله منذ زمان قد رضى عملك ، لتكن ثيابك فى كل حين بيضاء ولايعوز رأسك الدهن التذ عيشا مع المرأة التى أحببتها كل أيام حياة باطلك التى أعطاك إياها تحت الشمس كل أيام باطلك إن ذلك نصيبك فى الحياة وفى تعبك الذى تعبته تحت الشمس .

كل ماتجده يدك لتفعله فافعله بقوتك لأنه ليس من عمل ولا اختراع ولا معرفة ولا حكمة فى الهاوية التى أنت ذاهب إليها (٢) .

وأخيراً فإن د / فيليب حتى يرجح أن الأثر المصرى ظاهر فى سفر الجامعة وخاصة فى الاصحاحى الرابع والثانى والعشرين (٣) .

---

(١) صموئيل هنرى هووك : منعطف المخيلة البشرية : بحث فى الأساطير صـ٤٣ ـ ٤٤ .

(٢) سفر الجامعة ٩ : ٤ ـ ١٠

(٣) تاريخ لبنان صـ٧١ راجع سفر الجامعة ٤ : ٦ / ٢٢ : ١٧ ـ ٢٣ .

٥ ـ سفر أيوب

يذكر الدكتور حسن ظاظا أن سفر أيوب يجىء بين أسفار أو كتب الحكمة التى تعود فى معظمها إلى مأثورات شعبية متواترة عند اليهود ، ولذلك فإن البحث العلمى يصطدم بمشاكل كثيرة عندما يريد تحديد علاقة هذه الأسفار بمن نسبت إليهم ، أو افتراض تاريخ لظهورها وانتشارها ، ويرى أن سفر أيوب يعد من هذه الوجهة أشد تلك الأسفار تعقيداً (١) .

وقبل أن أتعرض لدراسات الباحثين حول سفر أيوب ينبغى أن أقرر هنا أن هناك فرقاً كبيراً جداً بين قصة النبى أيوب عليه السلام كما وردت فى القرآن الكريم وبعيداً عن الإسرائيليات التى أحيطت بها التفاسير ، وبين قصة أيوب كما وردت فى هذا السفر .

فالنبى أيوب شخصية تاريخية حقيقية بنص القرآن الكريم وهو أحد أنبياء الله الذى قص علينا قصصهم ويجب علينا الإيمان به .

لكن دراسات الباحثين تركزت حول النصوص المذكورة فى سفر أيوب :

يتساءل حبيب سعيد عن سفر أيوب أهو تاريخ واقعى أم هو قصة تمثيلية روائية ؟

ويجيب بأن قدامى الشراح يرون أنه تاريخ واقعى بل نسبه بعضهم إلى موسى (عليه السلام) فالسفر فى الترجمة السريانية موضوع بين سفرى التثنية ويشوع ، ويضيفون إلى ذلك أن أيوب شخصية تاريخية بدليل قول الكاتب فى مستهله « رجل فى أرض عوص » وقد أشير إليه فى سفر حزقيا » (٢) .

يقول سبينوزا « أما عن سفر أيوب وعن أيوب نفسه فقد دارت مناقشات طويلة بين الشراح فى هذا الصدد .

فالبعض يظن أن موسى هو مؤلف هذا السفر ، ويعتبرون القصة كلها مثلا

---

(١) د / حسن ظاظا : الفكر الدينى الإسرائيلى صـ٥٥ .

(٢) حزقيا ١٤ : ١٤ المدخل إلى الكتاب المقدس صـ١٤٩ .

للموعظة فقط وهذا مايقوله بعض الأحبار فى التلمود كما يذهب ابن ميمون إلى مثل هذا الرأى (١) .

إلا أن كثيراً من الباحثين ونذكر منهم على سبيل المثال بنيامين جرين فى تلخيصه التاريخي للعهد القديم يرون أن النبى أيوب أقدم من موسى نفسه إذ حددوا تاريخه بعام ١٥٢٠ ق . م (٢) .

ويتابع اسبينوزا قوله فيذكر أن البعض الآخر يعتقد أنه قصة حقيقية ومن هؤلاء الآخرين من يظن أن أيوب عاش فى زمان يعقوب وتزوج ابنته دينة وفى مقابل ذلك فإن ابن عزرا يؤكد فى شرح له على هذا السفر أنه ترجم إلى العبرية من لغة أخرى (٣) .

وهناك نفر من الباحثين يرون أنه عربى الأصل ويستدلون على صحة رأيهم بأدلة مستقاة من روح الكتاب ولغته ومن أصدقاء أيوب ومنهم الأدومى والآرامى والعربى (٤) .

وكان الأديب الفرنسى (فولتير) ١٦٩٤ ـ ١٧٧٨ أول من نادى فى العصر الحديث بأن أيوب وسفره أقدم من التوراة وأن العبريين أخذوه عن العرب وترجموه إلى لغتهم (٥) .

---

(١) رسالة فى اللاهوت والسياسة صـ٣١٥ ، ويذكر الشيخ رحمت الله الهندى أن حال سفر أيوب أشنع من حال بقية الأسفار ففيه اختلاف من أربعة وعشرين وجهاً وأن (الربى ممانى ديز) الذى هو عالم مشهور من علماء اليهود و (ميكايلس وليكرك وسملر واستاك) وغيرهم من علماء المسيحيين مجمعون على أن أيوب المذكور فى السفر اسم فرضى وكتابه حكاية باطلة وقصة كاذبة وقد ذمه (تهيودور) ذماً كثيراً وقال إمام فرقة البروتستانت (إن هذا الكتاب حكاية محضة) (إظهار الحق صـ ٩٣) و صـ ١٣٧ جـ ١ من الطبعة الجديدة .

(٢) د / حسن ظاظا : الفكر الدينى الإسرائيلى صـ٥٥ .

(٣) رسالة فى اللاهوت صـ٣١٥ ، ويذكر الدكتور فؤاد حسنين أن الترجمة السبعينية تنص صراحة على أن سفر أيوب مترجم عن الآرامية السريانية (التوراة الهيروغليفية صـ١٤٤ ، ناقلا عن مصدر أجنبى) .

(٤) التوراة الهيروغليفية صـ١٤٤ .

(٥) د / حسن ظاظا : الفكر الدينى الإسرائيلى صـ٥٥ ، د / محمد بيومى مهران : دراسات فى تاريخ الشرق الأدنى القديم جـ٩ صـ٦٨ .

واستدل على ذلك بأن اسم « الشيطان » الذى يشغل مكانا رئيسياً فيه ليس كلمة عبرية بل هو كلدانى .

ومن الأدلة على الأصل العربى لسفر أيوب أيضاً ، نسبة أيوب نفسه إلى أرض « عوص » وهى تقع فى شمال شبه جزيرة العرب ، وأن أصدقاءه كانوا فيما يبدو من العرب : أليفاز التيمانى ، وبلدد الشوحى ، وصوفر النعمانى .

كذلك لاحظ الباحثون ذكر الجمال عند الحديث على ثروة أيوب من الماشية ، ونحن نعرف أن لحوم الإبل محرمة على اليهود ، وإنما لم تذكر بين ثرواتهم حتى فى دواب الحمل إلا نادراً ، بل إن اسم أيوب نفسه لامثيل له فى أسماء العبريين (١) .

ويذكر عباس محمود العقاد أن الرحالة برترام توماس صاحب كتاب « مفزعات وكشوف فى بلاد العرب » يحسب أيوب من أهل عمان ، وأن غيره يحسبه من أهل نجد ، وأن زمنه متباعد بين المؤرخين وشراح التوراة .

وذكر أن بعض المؤرخين قد قام بتحقيق زمان أيوب عليه السلام بمراصد الفلك مما ذكره فى أسماء النجوم والمنازل ومن أشهر هؤلاء المفسر « هالس » الذى رجح بناءً على أبحاثه الفلكية أن تاريخ أيوب يقترب من سنة ٢٣٠٠ ق . م .

ويرى العقاد أن مما يقرب هذا التقدير ويدل علي أن أيوب كان على اتصال بالبلاد المصرية أنه ذكر الأهرام والمدافن التى يبنيها الملوك لأنفسهم (٢) .

لكن هذا التقدير يجعل زمن أيوب سابقاً على زمن الخليل ابراهيم عليهما السلام وهذا لا يصح حيث إن القرآن الكريم قد ذكر أن أيوب سليل إبراهيم ومن ذريته يقول الله تعالى عن سيدنا إبراهيم ﴿ **ووهبنا له إسحاق ويعقوب ، كلاً هدينا ونوحاً هدينا من قبل ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون** ﴾ (٣) .

ولذلك فإن العقاد يعود بعد أن كان قد مال إلى تقدير « هالس » فيقول :

---

(١) د / حسن ظاظا : المصدر السابق صـ٥٥ ـ ٥٦ و صـ ٤٧ ـ ٤٨ من الطبعة الجديدة .

(٢) الثقافة العربية أسبق من ثقافة اليونان والعبرانيين صـ٨٣ ، ابراهيم أبو الأنبياء صـ ١٦٠ .

(٣) سورة الأنعام ٨٤ .

« إنه إذا لم يبلغ هذا الحد من القدم فلا شك عند جمهـرة الشراح فى سبقه لعهد الخروج من مصر » .

وحجتهم على ذلك أنه لم يشر بكلمة واحدة إلى الخروج ولا إلى خراب المدن التى دمرتهـا الزلازل بجواره ولم يرد ذكـر « يهوه » فى صلب كـتابه ، وإنما ورد فى المقدمة والذيل وهما مضافان إليه بعد عصره كما هو راجح عند الشراح (١) .

وعموماً فإن أيوب عليه السلام بعد من أقـدم الأنبياء فى الجزيرة العربية وقد اتفق المؤرخون على أنه من أبنائها ، وإن اختلفوا فى مكانه بين شمال نجد وشرق العقبة .

وعلى الجملة ـ وكما يقول العقاد ـ يبدو سفر أيوب غريباً فى وضعه وموضوعه بين أسفار العهـد القديم ، ولم يكن من عادة بنى إسرائيل أن يجمعوا فى التـوراة كتباً لغير أنبيائهم المتحدثين عن ميثاقهم وميعادهم ، ولكنهم جمعوا هذا السفر مع الأسفار المشهورة لأنهم وجـدوه فى بقاع فلسطين الجنوبية محـفوظاً يتذاكره الرواة وحـسبه بعضهم من كلام موسى وبعضهم من كلام سليمان (٢) .

أما فيما يتعلق بتاريخ كـتابة سفر أيوب وتدوينه فإن أحداً لايدرى متى كتب على وجه التحقيق (٣) .

إلا أنه بمقابلة السفر بنصوص العهد القديم تبين للباحثين أن عصر تأليفه قد يرجع إلى عصر السبى أو بعده (٤) .

ويذكـر صـاحب القـاموس أن بعض الـنقاد رأوا أنه كـتب بعـد السبى بسـبب الصراع الواضح فيه بشأن الثواب والعقاب (٥) .

ويرى موريس بوكاى أن سفر أيوب قد حرر فى القرن الخامس ق . م (٦) .

ويذهب حبيب سعيد إلى أن من المحتمل ـ على قول الثقـات ـ أن السفر كتب

---

(١) إبراهيم أبو الأنبياء صـ١٦٠ ـ ١٦١ .

(٢) المصدر السابق صـ١٦١ ـ ١٦٢ .

(٣) قاموس الكتاب المقدس صـ٨٤٨ ١ المدخل إلى الكتاب المقدس صـ١٥٣ .

(٤) ول ديورانت : قصة الحضارة مجلد ١ جـ ٢ صـ ٣٩٠ ، التوراة الهيروغليفية صـ١٤٥ .

(٥) قاموس الكتاب المقدس صـ٨٤٨ .

(٦) دراسة الكتب المقدسة فى ضوء المعارف الحديثة صـ٢٥ .

فى الثلاثمائة سنة ق . م (١) .

وهكذا يتبين لنا ـ كما يذكر كثير من العلماء ـ أن أيوب ليس من أنبياء بنى إسرائيل وأنه يسبق موسى بزمن طويل وأنه شخص تاريخى وأن له قصة حقيقية إلا أن السفر المذكور فى العهد القديم قد دون فى عصر السبى أو بعده .

وعلى ذلك فمن المحتمل أن كتبة التوراة أو جامعى العهد القديم قد عثروا على قصة أيوب الأصلية وربما يكون قد لحقها إضافات فنقلوها بإضافاتها وربما يكونون هم الذين كتبوا هذه الإضافات ونقلوها من مصادر أخرى .

وقبل أن أبين هذه الإضافات لابد أولاً من إشارة سريعة لمحتويات هذا السفر .

يقع السفر فى أربعة أجزاء :

١ ـ قصة أيوب ونكباته (ص ١ ـ ٢) .

٢ ـ الحوار بين أيوب وأصدقائه (ص٣ ـ ٣٧) .

٣ ـ جواب الله (ص ٣٨ ـ ٤٢ ص ٤٢ : ١ ـ ٦) .

٤ ـ الخاتمة السعيدة (٤٢ : ٧ ـ ١٧) .

وموضوع هذا السفر فلسفى عميق يتصل بفكرة الجزاء ومشكلة الألم فقد كان الاعتقاد الراسخ أن يهوه هو سيد الأرض وماعليها ومن عليها وأن من صفاته البر والخير ، لذلك كان القصاص من أجل الخطية منسجماً مع صفاته وطبيعته ، وأن الخير نصيب الأتقياء الصالحين ، ولكن فى عالمنا هذا رأى البشر غير هذا ، رأوا الصالح التقى يصيبه أحياناً الألم والحزن ، رأوا الشرير الأثيم لايناله السوء فما علة عدم المساواة فى هذا التوزيع ؟ .

وكاتب هذا السفر واحد من أرباب الفكر والحجا الذين تصدوا لتحليل هذه المشكلة لذلك لما أراد شخصية تتفق وأفكاره اختار أيوب الصابر وقصته قديمة معروفة(٢) .

(١) المدخل إلى الكتاب المقدس صـ١٥٣ .

(٢) حبيب سعيد : المدخل إلى الكتاب المقدس ١٤٩ ، د/ فؤاد حسنين : التوراة الهيروغليفية صـ١٤٠ ، حزقيا ١٤ : ١٤ ، ٢٠ .

ومن ثم نجده يسرد لنا قصة رجل متدين شديد الإيمان بالله ثم جرده من كل ممتلكاته وحرمه حتى من أبنائه وابتلاه بكل كارثة (١) .

ويحدثنا السفر أن كل ماحل بأيوب كان نتيجة جدال عنيف بين الله والشيطان ! ويحسن المؤلف الاختيار فيقع على أصدقاء لأيوب ويجعل بينهم وبين أيوب صلة قوية فى التفكير والمستوى العقلى .

وأبرز المؤلف أيوب على أنه الشخص الحائر الذى لايعرف سببا لما أنزله الله به من ويلات ومصائب (٢) .

ويدير حواراً بين أيوب وأصدقائه يتهمونه فيه باقتراف الذنب وارتكاب الخطيئة ويطلبون إليه التوبة والتفكير (٣) ، فيتألم أيوب ويخرج من كل أحاديثهم أنه خلق ليكون خاطئاً لكنه لايخطىء ، فهو لايجد مبرراً ليتوب إلى الله .

ويظهر أيوب وهو يهاجم أصدقاءه ويهاجم الله ! ! فهو حينما أراد التحدث إلى الله سقط وأخطأ فى حقه واتهمه أصدقاؤه بالكفر (٤) .

ويبرز المؤلف أيوب وهو يتذمر ويتوجع ويسأل نفسه : لماذا يتألم هذا الألم وهو مقتنع ببراءته ولايتعب من ترديد هذه البراءة .

ويصوره لنا يائسا قانطا معتقداً أن الله لن يثيب الخاطىء (٥) .

ويذكر مؤلف السفر أن يأس أيوب وقنوطه أديا به إلى الكفر ، لكن أيوب مضطر إلى الصراخ والتصريح بمثل هذا القول .

---

(١) يذكر السفر أن الشيطان ضرب أيوب بقرح ردىء من باطن قدمه إلى هامته فأخذ لنفسه شقفة ليحتك بها وهو جالس فى وسط الرماد (أيوب ٢ : ٧ ــ ٩) ، ويرى حبيب سعيد أن أيوب كان مصاباً بأخبث صنوف الأدواء ويقول علماء البكتريولوجيا أن أيوب كان مصاباً بمرض جلدى خبيث ــ لعله الزهرى ــ (المدخل إلى الكتاب المقدس صـ١٥١) .

(٢) التوراة الهيروغليفية صـ١٤٠ ــ ١٤١ .

(٣) أيوب : ٥ ، ٨ ، ١١ .

(٤) أيوب ١١ : ٦ / ١٥ ، ١٨ ، ٢٢ التوراة الهيروغليفية صـ١٤١ .

(٥) أيوب ٩ : ٢٢ .

ويتساءل : أيشتبك مع الله فى نزاع سيعود عليه بأوخم العواقب فهو إنسان ضعيف لايقوى على مجابهة الله (١) ، إلا أن يأس أيوب من مواجهة الله لم يحل دون ثورته ورغبته فى منازلة الله صائحاً لماذا ؟ (٢) ويندفع أيوب متحدياً الله ذلك الخالق الذى يتتبع فى كل وقت ، ذلك الخالق الذى يسىء استعمال قوته ـ كما

---

(١) أيوب ٩ : ٣٠ التوراة الهيروغليفية صـ١٤١ ـ ١٤٢ ، ويذكر السفر أن أيوب قال لأصدقائه « فاعلموا إذا أن الله قد عوجنى ولفَّ على أحبولته ، ها انى أصرخ فلا أستجاب ، أدعوه وليس حكم ، قد حوط طريقى فلا أعبر وعلى سبيلى جعل ظلاماً ، أزال عنى كرامتى ونزع تاج رأسى هدمنى من كل جهة فذهبت ، وقلع مثل شجرة رجائى ، وأضرم على غضبه وحسبنى كأعدائه ، معا جاءت غزاته وأعدوا على طريقهم وحلوا حول خيمتى قد أبعد عنى إخوتى ، ومعارفى زاغوا عنى ، أقاربى قد خذلونى والذين عرفونى نسونى ، نزلاء بيتى وإمائى يحسبوننى أجنبياً صرت فى أعينهم غريباً عبدى دعوت فلم يجب ، بفمى تضرعت إليه نكهتى مكروهة عند امرأتى ، الأولاد قد رذلونى ، إذا قمت يتكلمون على كرهنى كل رجالى ، والذين أحببتهم انقلبوا على ، عظمى قد لصق بجلدى ولحمى ، ونجوت بجلد أسنانى : لماذا تطاردوننى كما الله ولا تشبعون من لحمى .

(أيوب ١٩ : ٦ ـ ٢٢) .

(٢) من نماذج الشكوى والتذمر التى عرضها كاتب السفر قوله فى الإصحاح الثالث :

بعدد هذا فتح أيوب فاه وسب يومه وأخذ يتكلم فقال : ليته هلك اليوم الذى ولدت فيه والليل الذى قال قد حبل برجل ، ليكن ذلك اليوم ظلاما ، لايعتن به الله من فوق ولا يشرق عليه نهار ، ليملكه الظلام وظل الموت ، .... هو ذا ذلك الليل ليكن عاقراً ، لا يسمع فيه هتاف ، ليلعنه لاعنوا اليوم (٣ : ١ ـ ٧) .

لأنه لم يغلق أبواب بطن أمى ولم يستر الشقاوة عن عينى ، لم لم أمت من الرحم ، عندما خرجت من البطن ، لم لم أسلم الروح ، لماذا أعانتنى الركب ولم الثدى حتى أرضع (٣ : ١٠ ـ ١١) .

وفى الإصحاح العاشر يذكر على لسان أيوب :

« قد كرهت نفسى حياتى ، أسيب شكواى ، أتكلم فى مرارة نفسى ، قائلا لله لاتستذنبنى فهمنى لماذا تخاصمنى ، أحسن عندك أن تظلم أن ترذل عمل يديك وتشرق على مشورة الأشرار ألك عينا بشر أم كنظر الانسان تنظر ، أأيامك كأيام الإنسان أم سنوك كأيام الرجل حتى تبحث عن إثمى وتفتش على خطيئتى » (أيوب ١٠ : ١ ـ ٦) .

« فلماذا أخرجتنى من الرحم إلى القبر أليست أيامى قليلة أترك ، كف عنى فأتبلج قليلاً (أيوب ١٠ : ١٨ ـ ٢٠) .

يصوره السفر ونستغفر الله من هذا الإلحاد ـ ضد مخلوق ضعيف (١) .

ويذكر العلماء أن سفر أيوب قد تعرض للزيادة والحذف (٢) .

ولذلك فإن اسبينوزا يؤيد ماذهب إليه ابن عزرا بأن هذا السفر مترجم عن لغة أخرى ويعلل ذلك بأنه يذكرنا بشعر غير اليهودى إذ يقال أن أبا الآلهة دعا مجلسه للاجتماع مرتين ولكن مو موس (٣) نقل كلام الله بتصرف كبير (٤) .

ويرى سبينوزا أن التقلبات التى مر بها أيوب وهذا الصبر الذى امتحن به قد أتاحت لمؤلف هذا السفر فرصة لتأليف حوار لا يبدو موضوعه وأسلوبه صادرين عن شقى أنهكه المرض وغطه التراب بل عن رجل متفرغ لاعمل له إلا التأمل فى مكان مخصص لربات الشعر (٥) .

ومما يؤكد رأى ابن عزرا أن هناك تشابهاً بين سفر أيوب وأسفار اليهود من الوثنيين(٦) .

ولذلك فإن العلماء حينما لم يجدوا اسم يهوه فى الحوار الشعرى ولم يجدوا أى إشارة لتاريخ بنى إسرائيل ولا إلى أى شريعة خاصة ببنى إسرائيل استنتجوا من هذا أن العقلية التى صاغت هذه القصة لم تكن عقلية يهودية وإن شأن هذه القصة شأن كثير

---

(١) راجع أيوب ١٣ : ١٤ / ٢٣ : ٣ الهيروغليفية صـ١٤٢ ومن أمثلة ذلك قول المؤلف على لسان أيوب مخاطبة ربه :

« أبعد يديك عنى ولاتدع هيبتك ترعبنى ، ثم ادع فأنا أجيب أو أتكلم فتجاوبنى ، كم لى من الآثام والخطايا ، أعلمنى ذنبى وخطيئتى ، لماذا تحجب وجهك وتحسبنى عدوا لك ، أترعب ورقة مندفعة وتطارد قشا يابساً ، لأنك كتبت على أموراً مرة وورثتنى آثام صباى » (أيوب ١٣ : ٢٠ ـ ٢٦) (٢) التوراة الهيروغليفية صـ١٤٥ ، قاموس الكتاب المقدس صـ١٤٨ .

(٣) موموس هى الإلهة اليونانية التى تشخص السخرية اللاذعة وهى ابنه الليل وأخت هزيريدس طبقا لأنساب الالهة (رسالة فى اللاهوت صـ٣١٦) .

(٤) رسالة فى اللاهوت والسياسة صـ٣١٦ .

(٥) رسالة فى اللاهوت والسياسة صـ٣١٦ .

(٦) د / حسن حنفى : مقدمة المصدر السابق صـ٣٣ .

مما ورد فى العهد القديم من القصص (١) .

وعلى ذلك فإن الباحثين المحدثين يجمعون على أن مؤلف سفر أيوب قد يكون ادوميا أو مصريا .

وإن كان الرأى القائل بمصريته أقرب إلى الصواب وذلك بدليل الأثر الثقافى المصرى الذى يطل علينا من ثنايا هذا السفر فى مواضع كثيرة .

فسفر أيوب فى الواقع ما هو إلا صورة صادقة لقصة المتشائم المصرى (٢) .

وإذا عدنا إلى القرآن الكريم نجد أنه عرض لنا قصة أيوب عليه السلام كنبى ابتلاه الله فكان من الصابرين يقول الله تعالى ﴿ **واذكر عبدنا أيوب إذ نادى ربه أنى مسنى الشيطان بنصب وعذاب** ﴾ (٣) .

ثم يقول سبحانه ﴿ **إنا وجدناه صابراً نعم العبد إنه أواب** ﴾ (٤) .

وبين سبحانه صبر أيوب وتأدبه مع ربه فى تضرعه فقال سبحانه ﴿ **وأيوب إذ نادى ربه أنى مسنى الضر وأنت أرحم الراحمين ، فاستجبنا له فكشفنا مابه من ضر وآتيناه أهله ومثلهم معهم رحمة من عندنا وذكرى للعابدين** ﴾ (٥) .

ومن باب التحقيق فإننا نقف عند كتاب الله ولا نزيد فى قصة أيوب كما تزيد زنادقة أهل الكتاب وألصقوا بالأنبياء مالا يليق بهم .

فقد نقلت التفاسير (٦) كثيراً من الاسرائيليات والروايات المكذوبة عن مرض أيوب وتلقفها الخيال الشعبى فأضاف إليها وزاد فيها من بدن مقروح يتناثر منه الدود وجسم عليل يكاد يشبه الرمة البالية ، إلى غير ذلك مما يستحيل على رسل الله أن

---

(١) د / بحر عبد المجيد : اليهودية صـ٩١ .

(٢) د / فؤاد حسنين : التوراة الهيروغليفية صـ١٤٥ .

(٣) سورة ص : ٤١ .

(٤) سورة ص : ٤٤ .

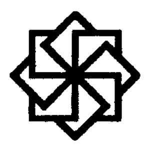
(٥) الأنبياء : ٨٣ ـ ٨٤ .

(٦) انظر على سبيل المثال : تفسير القرطبى جـ١١ صـ٣٢٣ ـ ٣٢٧ ، جـ ١٥ صـ٢٠٧ ـ ٢١٢ ، تفسير ابن كثير جـ٣ صـ١٨٨ ـ ١٩٠ ، جـ ٤ صـ٣٩ ـ ٤٠ .

يصابون به حتى لا ينفر منهم الناس الذين يدعونهم إلى الله (١) .

فقد ذكروا أنه أصيب بالجذام في سائر بدنه ولم يبق منه جزء سليم سوى قلبه ولسانه وصار منبوذاً في ناحية من البلد ، ولم يبق أحد من الناس يحنو عليه غير زوجته وتحملت في بلائه ما تحملت حتى صارت تخدم الناس بل قد باعت شعرها بسبب ذلك (٢) ، ونسبوا كل ذلك إلى السنة النبوية الشريفة .

ويذكر الدكتور محمد بن محمد أبو شهبة أن المحققين من العلماء على أن نسبة هذا إلى المعصوم - صلى الله عليه وسلم - إما من عمل بعض الوضاعين الذين يركبون الأسانيد للمتون أو من غلط بعض الرواة وأن ذلك من إسرائيليات بني إسرائيل وافترائهم على الأنبياء وينتهي إلى أن معظم ماروى في قصة أيوب مما أخذ عن أهل الكتاب الذين أسلموا ، وجاء القصاصون المولعون بالغرائب فزادوا في هذه القصة وأذاعوها ، حتى اتخذ منها الشحاذون والمتسولون وسيلة لاسترقاق قلوب الناس ، واستدرار العطف عليهم (٣) .



---

(١) د / محمد بن محمد أبو شهبة : الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير صـ٣٩١ الكتاب الرابع من سلسلة البحوث الإسلامية ـ السنة الرابعة عشرة مجمع البحوث الإسلامية ١٩٨٤ م ، د / يوسف القرضاوي : الصبر في القرآن صـ٦٥ مكتبة وهبة ١٩٧٧ م .

(٢) راجع التفاسير المذكورة : وأيضاً الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير صـ٣٨٥ ـ ٣٩٠ .

(٣) المصدر السابق صـ٣٩٠ ـ ٣٩٥ ، وسوف نخص إن شاء الله كتاباً مستقلاً بشأن سيدنا أيوب ضمن سلسلة « أنبياء الله بين أهواء العهد القديم وحقائق القرآن الكريم » .

٦ ـ سفر دانيال

يوضع سفر دانيال فى الكتاب المقدس اليونانى بين « أسفار الأنبياء » .

وأما فى الكتاب المقدس العبرى فيوضع بين « الكتابات » وهذا هو الوضع الصحيح وذلك لأن السفر لاينسجم مع أسفار الأنبياء(١) .

وينقسم سفر دانيال إلى جزئين رئيسيين :

أولاً : قصص عن دانيال (٢) وصحابته (ص ١ ـ ٦) .

ثانياً : رؤى يراها دانيال (٧ ـ ١٢) (٣) .

وقد أجمعت الروايات اليهودية والمسيحية على نسبة هذ السفر إلى دانيال ، وظل قدماء الشراح والمفسرون الكاثوليك حتى آخر القرن التاسع عشر يرجحون أن السفر قد كتبه دانيال فى بابل وأن عزرا قد حمله معه مع الأسفار الأخرى عند عودته

---

(١) حبيب سعيد : المدخل إلى الكتاب المقدس صـ١٦٥ ، قاموس الكتاب المقدس صـ٣٥٨ ، ويذكر أنه لاينكر أن بعض الأسفار الأنبياء تضمنت « رؤى » ولكنها كانت على نطاق ضيق أما هذا السفر فيكاد يكون « رؤى » فى جملته .

ويذكر العلماء أن سفر دانيال يعد من الأسفار التى تثير كثيراً من الجدل فى قسم (الكتابات) من العهد القديم ويبدو أن مجموعة أسفار الأنبياء كانت قد أغلقت نهائياً وأقرها الرواة بصورتها وتقسيمها وترتيبها التى سبقت الإشارة إليها فى المدخل قبل أن يظهر سفر دانيال ، ومن هنا جاء الخلاف بين النسخة العبرية وغيرها من النسخ حول وضع دانيال .

(راجع الفكر الدينى الإسرائيلى صـ٦٢ ، د / حسن حنفى : مقدمة رسالة فى اللاهوت صـ٣٣) .

(٢) ودانيال : اسم عبرى معناه « الله قضى » وهو أحد الأنبياء الأربعة الكبار وكان من عائلة شريفة وأتى بأمر بنوخذ نصر إلى بابل فتعلم هناك لغة الكلدانيين ورشح للخدمة فى القصر الملكى (راجع الحديث عنه بالتفصيل : قاموس الكتاب المقدس صـ٣٥٧ ـ ٣٥٨ .

(٣) راجع محتويات السفر بالتفصيل : التوراة الهيروغليفية صـ١٧٤ ـ ١٧٦ ، المدخل إلى الكتاب المقدس صـ١٦٥ ـ ١٦٨ .

إلى أورشليم (١) .

لكن هناك أدلة تعترض ذلك الإجماع وتدحض هذا الترجيح وتثبت أن سفر دانيال قد كتب بعد السبي البابلي بثلاثة قرون أو أربعة .

ومن هذه الأدلة :

١ ـ أن الأحداث التي صور بها السفر عصر دانيال تتعارض تماما مع الحقائق التاريخية التي وصلتنا والتي أقرها العلم ويأخذ بها العلماء (٢) .

٢ ـ أن السفر يتضمن كلمات مقدونية على حين أن اليهود في زمن السبي البابلي لم يكونوا قد خالطوا اليونانيين بعد ولا صكت أسماعهم اللغة اليونانية .

٣ ـ في السفر وصف للكلدانيين لا يتسنى الإتيان به لكاتب سابق على عصر

---

(١) حبيب سعيد المدخل إلى الكتاب المقدس صـ١٦٧ د / حسن حنفي : مقدمة رسالة في اللاهوت والسياسة صـ٣٣ .

(٢) فاحتلال أورشليم في العام الثالث من حكم الملك يهوياقيم أي عام ٦٠٥ ق . م خطأ تاريخي وذكر دانيال أن بلشاصر كان ملكاً وابنا وخليفة لبنوخذ نصر من الخطأ الشنيع .
كما أن الذي غزا بابل وحكم المملكة لم يكن داريوس الميدى بل قورش ملك الفرس ، وغير تاريخي أيضاً هذا الجنون الذي أصاب بنوخذ نصر ولازمه سبعة أعوام .
ولذلك فإن جمهرة من الشراح المحدثين يذهبون إلى أن القصص في الجزء الأول من سفر دانيال ليست تاريخية فالتاريخ العالمي لم يذكر شيئاً عن شخص يدعى داريوس المادى يجلس على العرش مباشرة بعد سقوط بابل ، كما أن بلشاصر لم يكن ملكا ولم يكن ابنا لبنوخذ نصر ، ففي مااحتواه سفر دانيال كثير من الخيال والمفارقات والخلط التاريخي حيث يسوغ ذلك كله أن يكون السفر قد كتب مؤخراً من مذكرات أو ذكريات أو قصص معزوة إلى دانيال ، وليس فيها مع ذلك شيء ذو بال مما يتصل بتاريخ اليهود وحياتهم .
وهذه الأخطاء التاريخية التي يحتوى عليها السفر تدلنا على أن مؤلف السفر كان يجهل التاريخ جهلاً تاماً .
(راجع المدخل إلى الكتاب المقدس صـ١٦٧ ـ ١٦٨ ، التوراة الهيروغليفية صـ١٧٦ ـ ١٧٧ ، د / محمد بحر عبد المجيد : اليهودية صـ٨٥ ـ ٨٧ ، عصام الدين حفني ناصف : محنة التوراة على أيدى اليهود صـ٦١ ـ ٦٦ ، محمد عزة دروزة : تاريخ بني إسرائيل صـ٢٦١ .

الإسكندر الذى وافته منيته سنة ٣٢٣ ق . م (١) .

٤ ـ اقتبس السفر طرفا من أقوال أرميا وحزقيال وزكريا وذلك على حين أن أولئك الأنبياء لم يكونوا قد وجدوا بعد فى ذلك العهد الذى يزعمون أن السفر قد كتب فيه (٢) .

٥ ـ لاحظ الباحثون فى نصوص الكتاب المقدس أن هذا السفر فى لغته الأصلية مكتوب بلغتين هما العبرية والآرامية تتواليان الواحدة منهما فى إثر الأخرى على طول السياق (٣) .

وتبين للباحثين أن توزيع هاتين اللغتين على نصوص هذا السفر غير منطقى ، ولذلك لانعجب إذا وجدنا مؤرخى الكتاب المقدس والباحثين فى نصوصه يقولون والعبارة هنا للوسيان جوتييه ـ إن هذه الازدواجية اللغوية فى سفر دانيال فى غاية الصعوبة من حيث تعليلها .

فبعض الباحثين يلقيها على مسئولية كاتب هذا السفر أيا كان ، ومع ذلك فإنه من الصعب أن نتصور كاتبا يحرر طائعا مختارا كتابا واحدا بهذا الأسلوب الغريب .

والبعض الآخر من الباحثين يعتقد أن هذا السفر قد طرأت عليه أحداث معينة انتهت بتركه على الصورة التى وصلنا بها (٤) .

وفى هذا الصدد يظهر أكثر من افتراض :

---

(١) عصام الدين حفنى ناصف : محنة التوراة على أيدى اليهود صـ٥٩ ـ ٦٠ .

(٢) المصدر السابق صـ٦٠ .

(٣) د / حسن ظاظا : الفكر الدينى الإسرائيلى صـ٦٣ ـ ٦٤ ، د/ محمد بحر عبد المجيد : اليهودية صـ٨٤ ـ ٨٥ .

(٤) يذكر الدكتور فؤاد حسنين أن الإزدواجية اللغوية فى السفر هى المشكلة التى تعترض الباحثين حتى اليوم ، وإن كان حبيب سعيد يرى أن السفر كان كله فى الأصل لغة واحدة فانبرى أحدهم وحاول ترجمته إلى اللغة التى يفهمها الشعب ولكنه لم يكمل هذه المهمة ، وقد ذهب المتأخرون مذاهب مختلفة فى تأويل هذه الإزدواجية فقال بعضهم إن كاتبين أو أكثر قد أدمجا فى كتاب واحد وبالرغم من ذلك فإن هذه الإزدواجية تعتبر مشكلة لانجد لها حلا جازما (التوراة الهيروغليفية صـ ١٨٠ المدخل صـ١٦٨) .

وأقرب هذه الافتراضات إلى واقع هذا السفر يأتي من أن حديثه عن الكلدانيين وعن الامبراطورية الفارسية ينم عن علم مضطرب بهما وعن فاصل زمني لايستهان به هو الذي أحاط الحديث في تلك الموضوعات بما يبدو فيه من خلط واضطراب .

وبالعكس فإننا نشعر في أواخر هذا السفر خصوصا ابتداء من الإصحاح الثامن بأن المتحدث يعرف بدقة أحوال الامبراطورية اليونانية ويشير إشارات دقيقة إلى شخصية تنطبق تماما على الاسكندر اليوناني ، بل إننا نشعر بإشارات إلى خلفاء الاسكندر السلوقيين في الشام والبطالمة في مصر ثم بالأحداث الدامية التي أوقعها باليهود حاكم سوريا (انطيوكوس الرابع) (١) .

فإذا أضفنا ذلك إلى أن النبي دانيال لايذكر في أيام السبي البابلي في نصوص الأنبياء الذين عاصروا هذه الحوادث إلا سفر حزقيال الذي يصفه مرة بالعدل (٢) يمكن أن نفترض أن السفر المنسوب إليه قد كتب متأخراً في مرحلة ما من العصر اليوناني وهو رأي يدعمه انفراد هذا الكتاب بكثير من الألفاظ اليونانية التي لم تكن معروفة من قبل أو مستعملة بين اليهود (٣) .

ولذلك فإن النقاد يكادون يجمعون اليوم على أن سفر دانيال قد كتب في القرن الثاني ق . م وكان اليهود في هذا العصر يرزحون تحت نير الحكم اليوناني في عهد انطيوكوس الرابع الذي قامت على أثر اضطهاده لليهود الثورة المكابية ، فكتب هذا السفر تأييداً لتلك الثورة .

وقام بكتابته رجل فاقد الاتزان استطاع بمعونة الكهنة أن يخدع القوم عن أنفسهم ويحملهم على الاعتقاد أن هذا السفر قد دبجته في أثناء السبي البابلي براعة النبي دانيال وتنبأ فيه بمقدم المسيا المنتظر فلبثوا دهراً ينتظرون على غير طائل ذلك

---

(١) راجع الاضطهاد اليوناني في الفصل الأول من الباب الثاني .

(٢) حزقيال ١٤ : ١٤ ، ٢٠ .

(٣) د / حسن ظاظا : الفكر الديني الإسرائيلي صـ٦٥ ، ويذكر أن هذا هو رأي أكثر المحققين الأوربيين المحدثين وفي مقدمتهم لوسيان جوتييه ودريفر ، راجع أيضاً د / بحر : اليهودية صـ٨٧ ، قاموس الكتاب المقدس صـ٣٥٩ .

الحاكم الذى ينتشلهم مما يكتنفهم من المصاعب وما يلاحقهم من التنكيل والازدراء(١) .

فسفر دانيال يعبر عما يكاد يسود عهد انطيوكوس الرابع من هول ورعب أراد به مؤلفه أن يستثير شجاعة الشعب بأن يصف له ما لاقاه دانيال من العذاب ومانطق به من النبوءات فى بابل أيام بنوخذ نصر ، وتداولت أيدى اليهود فى السر نسخا من هذا الكتاب وشاع بينهم بأنه وضع نبى من الأنبياء .

وهذا السفر ـ كما يقول ول ديورانت ــ يعد ضمن الأدب الصوفى الخيالى الذى يهدف إلى تعليم اليهود وتقوية روحهم ومواساتهم فقد زعزع الأسر البابلى عقيدتهم ثم جددتها إعادة بناء الهيكل ثم حطمتها ضربات انتيوخوس ووجد التشاؤم الآن الميدان فسيحاً أمامه رأى اليهود فى كتابات اليونان أفصح تعبير عن مظالم الحياة ومآسيها(٢) .

وعلى أى حال فإن النقاد يجمعون اليوم على أن دانيال ليس مؤلف السفر ، ويتفق أكثرهم على أن مؤلفه شخص عاش فى القرن الثانى ق . م فى عصر المكابيين(٣) .

ويذكر الأب ديلى أن من المحتمل أن يكون المؤلف قد استخدم مجموعة قديمة سكبها بقالبه .

لذلك فإنه يحتوى على كثير من مظاهر السحر عند الكلدانيين والأساطير البابلية مما دعا ويلسون إلى الاعتقاد بأنه دون أولا فى القرن السادس ق . م (٤) .

---

(١)راجع فى ذلك : موريس بوكاى دراسة الكتب المقدسة فى ضوء المعارف الحديثة صـ٣٦ ، الأب ديلى : تاريخ شعب العهد القديم صـ٣٩٠ ، عصام الدين حفنى ناصف : محنة التوراة صـ٥٨ ـ ٥٩ ، د/ بحر اليهودية صـ٨٤ .

(٢) ول ديورانت : قصة الحضارة (٨) حياة اليونان صـ٩٦ موريس بوكاى : دراسة الكتب المقدسة صـ٣٦ .

(٣) د / حسن حنفى : مقدمة رسالة فى اللاهوت صـ٣٣ ومن هؤلاد النقاد : نيكل وجونسبرجر ولاجرانج .

(٤) المصدر السابق ، الأب ديلى : تاريخ شعب العهد القديم صـ٣٩٠ .

وأخيراً وهو مايهمنا فى هذا الفصل فإن النقاد يجمعون اليوم على أن سفر دانيال هو مجرد أسطورة من الأساطير ترجع فى بعض أجزائها إلى الثقافات البابلية والأشورية وقد استغلها اليهود وطوروها حسب رغباتهم (١) .

وبذلك يحق لنا أن نقول إن سفر دانيال قد ألف بتأثير من الاضطهاد اليونانى وباقتباس من الأساطير البابلية والأشورية ، ثم قام اليهود بدسه بين الأسفار المقدسة على أنه وحى وإلهام من الإله بعد أن نسبوه إلى دانيال وهو منه براء .



(١) التوراة الهيروغليفية صـ٢٠٤ .

د / حسن حنفى مقدمة رسالة فى اللاهوت والسياسة صـ٣٣ .

الفصل الثانى

مظاهر التأثر فى القصص الدينى والأساطير

وينقسم هذ الفصل إلى قسمين :

القسم الأول : مظاهر التأثر فى القصص الدينى .

ويشتمل على ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : مظاهر التأثر فى قصة الخلق .

المبحث الثاني : مظاهر التأثر فى قصة الغواية .

المبحث الثالث : مظاهر التأثر فى قصة الطوفان .

القسم الثانى : مظاهر التأثر فى الأساطير .

ويشتمل على ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : مظاهر التأثر فى أسطورة برج بابل .

المبحث الثاني : مظاهر التأثر فى أسطورة شمشون ودليلة .

المبحث الثالث : مظاهر التأثر فى أسطورة استير ومردوخاى .

القسم الأول

مظاهر التأثر فى القصص الدينى

المبحث الأول : مظاهر التأثر فى قصة الخلق .

لاحظ العلماء أن توراة اليهود قد عرضت فى سفر التكوين قصتين أو روايتين عن الخلق وأن كلا منهما موضوعة إلى جانب الأخرى وأنهما يمثلان مرحلتين مختلفتين من تطور الديانة اليهودية (١) .

وتقع القصتان أو الروايتان فى الإصحاحين الأول والثانى من هذاالسفر فتحتل الأولى الإصحاح الأول كله والفقرات الثلاث الأولى من الإصحاح الثانى وتتمثل الثانية فى الفقرات (٤ ــ ٢٥ من الإصحاح الثانى) (٢) .

ولعل من الأفضل أن نقوم بدراسة كل رواية منهما منفصلة على الأخرى :

الرواية الأولى :

تمثل الرواية الأولى ــ كما يقول موريس بوكاى ــ بناء يتكون من أخطاء من وجهة النظر العلمية (٣) ولابد من القيام بنقدها فقرة بعد فقرة (٤) .

---

(١) راجع فى ذلك : موريس بوكاى : دراسة الكتب المقدسة فى ضوء المعارف الحديثة صـ٤٠ وقد أسند هذه الملاحظة إلى الأب ديفو وهو أستاذ بمدرسة الكتاب المقدس ، بالقدس ، راجع أيضا : جيمس فريزر : الفولكلور في العهد القديم (التوراة : الجزء الأول صـ٧٩ ــ ٨١ ترجمة د / نبيلة إبراهيم دار المعارف بمصر ١٩٨٢ م ، صموئيل هنرى هووك : منعطف المخيلة البشرية صـ٨٨ ترجمة صبحى حديدى الطبعة الأولى ١٩٨٣ دار الحوار للنشر والتوزيع سورية ــ اللاذقية ، عصام الدين حفنى ناصف : اليهودية فى العقيدة والتاريخ صـ١٤٤ .

(٢) راجع المصادر السابقة « وتسمى الرواية الأولى بالرواية الكهنوتية والرواية الثانية بالرواية اليهوية وسيتبين لنا تفصيل ذلك » .

(٣) دراسة الكتب المقدسة صـ٤١ .

(٤) لقد آثرت أن أقسمها إلى فقرات حسب الترجمة البروتستانتينية واعتمدت على نصوص هذه الترجمة لاعتمادها على النص العبرى الفلسطينى .

الفقرة الأولى « فى البدء خلق الله السماوات والأرض ، وكانت الأرض خربة وخالية وعلى وجه الغمر ظلمة روح الله يرف على وجه المياه ، وقال الله ليكن نور فكان نور ، ورأى الله النور أنه حسن ، وفصل الله بين النور والظلمة ، ودعا الله النور نهارا والظلمة دعاها ليلا ، وكان مساء وكان صباح يوما واحدا (١) .

يعلق الشيخ علاء الدين الباجى على تلك الفقرة بقوله : « كيف يحسن أن يقال فى الأول أو البدء خلق الله وفى اليوم الأول . وقد ذكر بعده مايقتضى أنهما مخلوقتان فى اليوم الثانى والثالث لأنه قال بعده فى اليوم الثانى « وقال الله : ليكن جلد وسط السماء » ثم قال بعده « وصنع الله الجلد » ثم قال بعده : « ودعا الله الجلد سماء » .

وقال بعده فى اليوم الثالث « وليظهر اليبس وكان كذلك » ثم قال « فظهر اليبس » ثم قال : « وسمى الله اليبس أرضا » (٢) .

ويستنتج الباجى أنه إذا كانت السماء والأرض قد خلقتا فى اليوم الثانى والثالث ولم يكونا مخلوقتين « فى الأول » بل ظاهر اللفظ : أن المخلوق فى اليوم الأول : اللجة والظلمة ، ثم النور ، ثم الليل والنهار ، ثم فى اليوم الثانى : السماء ثم فى اليوم الثالث : الأرض .

فليس خلق السماء فى الأول لا باعتبار الأيام لأنه خلق السماء فى اليوم الثانى والأرض فى اليوم الثالث ، ولا باعتبار المخلوقات ، لأن قبلهما خلق الظلمة واللجة والنور والليل والنهار على ظاهر هذا اللفظ (٣) .

وإذا كان الباجى قد بين التناقض فى ترتيب الخلق وأن النص قد ذكر خلق السماء والأرض فى الأول ثم ذكر بعده خلاف ذلك ـ فإن موريس بوكاى ـ يذهب إلى أننا نستطيع أن نقبل تماما أن فى مرحلة ماقبل خلق الأرض ماكان سيصبح الكون كما نعرفه غارقا فى الظلمات ولكن الإشارة إلى المياه فى تلك المرحلة أمر رمزى صرف وربما كان ترجمة لأسطورة وخاصة أن هناك مايسمح بالاعتقاد بوجود كتلة غازية فى المرحلة الأولى لتكوين الكون ، وينتهى إلى أن القول بوجود الماء فى تلك

---

(١) تكوين ١ : ١ ـ ٥ .

(٢) تكوين ١ : ٩ ـ ١٣ .

(٣) الشيخ الفقيه على بن محمد بن عبد الرحمن : علاء الدين الباجى : على التوراة : كتاب فى نقد التوراة اليونانية صـ١٩ ـ ٢٠

المرحلة غلط (١) .

أما فيما يتعلق بالنور والظلمة والليل والنهار فإن موريس بوكاى يعلق عليهما بقوله : « الضوء الذى يقطع الكون هونتيجة ردود أفعال معقدة تحدث فى النجوم ولكن النجوم حسب قول التوراة لم تكن قد شكلت بعد فى هذه المرحلة حيث إن أنوار السماوات لاتذكر فى سفر التكوين إلا فى الآية ١٤ باعتبارها ماخلق الله فى اليوم الرابع « ليفصل بين النهار والليل » « ولينير الأرض « وذلك صحيح تماما .

ولكن من غير المنطقى أن نذكر النتيجة الفعلية (أى النور) فى اليوم الأول على حين تذكر وسيلة انتاج هذا النور أى « المنيرة » فى اليوم الرابع .

يضاف إلى ذلك أن وضع الليل والنهار فى اليوم الأول هو أمر مجازى صرف فالليل والنهار باعتبارهما عنصرين ليوم غير معقولين إلا بعد وجود الأرض ودورانها تحت ضوء نجمها الخاص بها : أى الشمس (٢) .

ويلاحظ من خلال هذه الفقرة أن الله خلق كل ما فى الكون بترتيب عجيب فكان الضوء يشيع فى الأفق قبل أن تخلق الشمس ، لقد كان كتبة التوراة يجهلون ـ فيما يجهلون ـ أن تعاقب الليل والنهار إنما يولده تبدل موقع القارات من الشمس نتيجة لدوران الأرض حول محورها ولهذا جعلوا النور يخلق فى اليوم الأول .

ثم يذكرون أن الله فصل بين النور والظلمة فكيف يكون ذلك وكيف كانا مختلطين من قبل ؟ فظاهر كلامهم يعنى أنهما عند خلق النور اختلطا فاحتاجا إلى فصل بينهما ليتميزا كاختلاط الحنطة والشعير وليس كذلك .

فإن النور لايمكن أن توجد معه الظلمة أصلا فضلا عن أنهما مختلطان حتى يحتاجا إلى فصل بينهما فإن من أوقد فى بيت مظلم سراجا مثلا لايمكن أن يقول قد اجتمع فى البيت ظلمة ونور فيحتاجان إلى فصل بينهما بل انعدمت ظلمة البيت بمجرد ابقاء السراج فيه والحقيقة أن الظلمة عدم النور فالنور لايجتمع معه عدمه حتى يحتاج إلى الفصل بينهما (٣) .

---

(١) دراسة الكتب المقدسة صـ٤١ . (٢) موريس بوكاى : دراسة الكتب المقدسة صـ٤١ .

(٣) علاء الدين الباجى : على التوراة صـ٢٠ عصام الدين حفنى ناصف : اليهودية فى العقيدة والتاريخ صـ١٤٩ .

ثم إنه كيف يحسن أن يقال « ودعا الله النور نهارا والظلمة دعاها ليلا فإن ظاهر أن الليل والنهار مخلوقان في اليوم الأول وانهمـا بمجرد الظلمة والنور من غير شمس . فإن الشمس ماتوجد إلا في اليوم الرابع كما ذكر بعد ذلك .

مع أنا نجد بضـرورة عقولنا : أن النهار إنمـا هو بنور الشمس كما ذكـره الحكماء والنور المقابل للظلمة في الدنيا ، ليس إلا نور الشمس .

وهذا أمر لايمكـن أن يكابر فيه أحـد . فقبل وجود الشمس لايمـكن أن يوجد النهار .

وهذا السؤال كما يقول الباجي بالحقيقة هو سؤالان : أحدهما : أن ظاهر اللفظ أن الليل والنهار مخلوقـان في اليوم الأول مع أن الشمس المتوقف عليهـا وجود النهار إنما خلقت في اليوم الرابع .

وثانيهما : أن النهار بنور غيرنور الشمس مع أننا نجد الواقع بخلافه (١) .

الفقرة الثانية :

« وقال الله ليكن جلد في وسط الماء ، وليكن فـاصلا بين مياه وميـاه . فعمل الله الجلد وفصل بين الميـاه التي تحت الجلد والمياه التي فوق الجلد ، وكـان كذلك . ودعا الله الجلد سماء وكان مساء وكان صباح يوماً ثانيا (٢) .

يذكـر موريس بوكـاي : أن أسطورة الميـاه هنا تستـمر بانفـصـالها إلى طبـقتـين بواسطة الجلد الذي سيجـعل الطبـقة العليا عندالطوفـان من خـلاله تمر لتنصب على الأرض ، وينتهي إلى أن صورة انقسام المياه هذه إلى كتلتين غير مقبولة علميا (٣) .

ثم إنه كـيف يحسن أن يقـال « وقال الله لـيكن جلد وسط الماء » ثم قال بعـده « وعـمل الله الجلد » ثم قال بـعده « ودعـا الله الجلد : سـماء » فـإن ظاهره أن السمـاء مخلوقة في اليوم الثاني ، مع أنه قد ذكـر أولا أنها مخلوقة في الأول وإذن فقد تناقض الخبران (٤) .

---

(١) علاء الدين الباجي : على التوراة صـ٢٠ .

(٢) تكوين ١ : ٦ ـ ٨ .

(٣) دراسة الكتب المقدسة صـ٤٢ .

(٤) الباجي : على التوراة صـ٢١ .

الفقرة الثالثة :

« وقال الله لتجتمع المياه تحت السماء إلى مكان واحد ولتظهر اليابسة ، وكان كذلك . ودعا الله اليابسة أرضا ، ومجتمع المياه دعاه بحارا ، ورأى الله ذلك أنه حسن وقال الله لتنبت الأرض عشبا وبقلا يبزر بزرا وشجرا ذا ثمر يعمل ثمرا كجنسه ورأى الله ذلك أنه حسن وكان مساء وكان صباح يوما ثالثا (١) .

يعلق موريس بوكاي على هذه الفترة بقوله « مقبول علميا أن القارات ظهرت في مرحلة من تاريخ الأرض كانت هذه مغطاه بالماء .

ولكن أن يكون هناك في تلك الفقترة عالم نباتي ينتظم جيدا بالتناسل بالبذرة قبل ظهور الشمس (التى تظهر كما يقول سفر التكوين فى اليوم الرابع) وأن ينتظم تعاقب النهار والليل فذلك مالا يمكن مطلقا القول به » (٢) .

الفقرة الرابعة :

« وقال الله لتكن أنوار فى جلد السماء لتفصل بين النهار والليل ، وتكون لآيات وأوقات وأيام وسنين ، وتكون أنواراً فى جلد السماء لتنير على الأرض ، وكان كذلك فعمل الله النورين العظيمين النور الأكبر لحكم النهار والنور الأصغر لحكم الليل ، والنجوم ، وجعلهما الله فى جلد السماء لتنير على الأرض ، ولتحكم على النهار والليل لتفصل بين النور الظلمة ورأى الله ذلك أنه حسن . وكان مساء وكان صباح يوما رابعا » (٣) .

يذكر موريس بوكاى أن وصف الكاتب هنا مقبول والنقد الوحيد الذى يمكن إقامته على هذه (الفقرة) هو المكان الذى تحتله فى مجموع الرواية ، وأن الأرض والقمر ، كما نعرف ، قد نبعا من نجمهما الأصلي أى الشمس ووضع خلق الشمس والقمر بعد خلق الأرض يناقض المعلومات الأساسية عن تشكل عناصر

---

(١) تكوين ١ : ٩ ـ ١٣ .

(٢) دراسة الكتب المقدسة صـ٤٢ راجع أيضا تعليق الباجى على هذه الفقرة صـ٢٢ ـ ٢٣ فى كتابه : على التوراة .

(٣) تكوين ١ : ١٤ ـ ١٩ .

النظام الشمسى[1] .

وقد تنبه الشيخ الباجى إلى ما بهذه الفقرة من تناقض فنقدها من ستة وجوه :

أحدهما : أنه كيف يحسن أن يقال « وقال الله : ليكن نيران فى جلد السماء ، ليضيئا على الأرض[2] ثم قال بعده أيضا : فليضيئا فى جلد السماء[3] .

فإن ظاهر أن الإضاءة والإنارة حصلتا فى اليوم الرابع ، مع أنه قد تقدم أن النور خلق فى اليوم الأول ، وفصل النهار عن الليل فيه . فقد تناقض الخبران .

وثانيها : أن ظاهر أن النور بهما وقد تقدم فى اليوم الأول : أن النور حاصل بدونهما ولاسيما فى نسخة قوله « وأفرق الله الضوء من الظلمة »[4] فهذا تصريح بالسؤال ، فقد تناقض الخبران .

وثالثها : أنه كيف يحسن أن يقال : وليفصلا بين النهار وبين الليل[5] فى اليوم الرابع ؟ وقد تقدم فى اليوم الأول أنه قد فصل الله بين النور والظلمة ، وسماهما ليلا ونهارا ، فتميز الليل والنهار فيه فقد تناقض الخبران .

ورابعها : أن ظاهره أنهما هما الفاصلان بين الليل والنهار . وقد تقدم فى القراءة الأولى : أن الله فى اليوم الأول فصل بين النور والظلمة اللذين سماهما ليلا ونهارا .

فلم يحتج فصلهما بعد ذلك إلى فاصل آخر ، والإلزام منه تحصيل الحاصل ، ولزم منه اجتماع المحصلين التامين على المحصل الواحد وهما محالان .

وخامسها : أنه كيف يحسن أن يقال : « والنجوم وضعها الله فى جلد السماء لتنير على الأرض ، وترؤس على النهار وعلى الليل »[6] مع أن النجوم لارياسة لها على النهار ، ولا أثر ، ولاظهور أصلا ، بل رياستها على الليل خاصة كالنير الأصغر ، وأما رياسة النهار فللشمس خاصة .

وسادسها : أنه كيف يحسن أن يقال أيضا : انها « تميز مابين النور والظلمة »[7]

---

(١) دراسة الكتب المقدسة صـ٤٢ ـ ٤٣ .
(٢) تكوين ١ : ١٤ .
(٣) تكوين ١ : ١٥ .
(٤) تكوين ١ : ٤ .
(٥) تكوين ١ : ٤ .
(٦) تكوين ١ : ١٦ ـ ١٨ .
(٧) تكوين : ١ : ١٨ .

مع أن الذى يميز بين النور والظلمة والليل والنهار ، إنما هما النيران ، كما ذكره فى أول هذه القراءة ، بل فى الحقيقة ظلمة الليل هى التى تميز النجوم وتبينها ، ونور النهار يخفيها . لأنها هى تميز ما بين النور والظلمة ، فالأمر بالعكس (١) .

الفقرة الخامسة :

« وقال الله لتفض المياه زحافات ذات نفس حية وليطير طير فوق الأرض على وجه جلد السماء ، فخلق الله التنانين العظام وكل ذوات الأنفس الحية الدبابة التى فاضت لها المياه كأجناسها وكل طائر ذى جناح كجنسه ، ورأى الله ذلك أنه حسن ، وباركها الله قائلا أثمرى وأكثرى واملأى المياه فى البحار ، وليكثر الطير على الأرض ،وكان مساء وكان صباح يوماً خامسا » (٢) .

يذكر موريس بوكاى : أن هذه الفقرة تحتوى على مزاعم لايمكن قبولها :

يقول سفر التكوين بظهور عالم الحيوان أولا و ابتداء من حيوانات البحر والطيور الواقع أن رواية التوراة تقول إنه فى اليوم التالى ـ كما سنرى ذلك فى الآيات التالية ـ أسكنت الأرض بالحيوانات .

ولاشك أن أصل الحياة مائى ، وابتداءً من هنا إن جاز القول ، احتلت عالم الحيوان الأرض ، ومن الحيوانات التى تعيش على سطح الأرض وهى فئة خاصة مس الزواحف كانت تعيش فى العصر الثانى . جاءت الطيور فيما يعتقد .

وهناك كثير من السمات البيولوجية المشتركة بين هاتين الفئتين التى تسمح بهذا الاستنتاج .

ولكن سفر التكوين لايشير إلى الحيوانات الأرضية إلا فى اليوم السادس بعد ظهور الطيور ، وإذن فنظام ظهور الحيوانات الأرضية والطيور هذا غير مقبول (٣) .

الفقرة السادسة :

« وقال الله لتخرج الأرض ذوات أنفس حية كجنسها ، بهائم ودبابات ووحوش أرض كأجناسها ، وكان كذلك . فعمل الله وحوش الأرض كأجناسها والبهائم

---

(١) على التوراة صـ٢٣ ـ ٢٤ (٢) تكوين ١ : ٢٠ ـ ٢٣ .

(٣) دراسة الكتب المقدسة صـ٤٣ .

كأجناسها وجميع دبابات الأرض كأجناسها ، ورأى الله ذلك أنه حسن ، وقال الله نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا ، فيتسلطون على سمك البحر وعلى طير السماء وعلى البهائم وعلى كل الأرض وعلى جميع الدبابات التى تدب على الأرض ، فخلق الله الإنسان على صورته ، على صورة الله خلقه ذكرا وأنثى خلقهم وباركهم الله وقال لهم أثمروا واكثروا واملأوا الأرض وأخضعوها وتسلطوا على سمك البحر وعلى طير السماء وعلى كل حيوان يدب على الأرض .

وقال الله إنى قد أعطيتكم كل بقل يبزر بزرا على وجه الأرض وكل شجر فيه ثمر شجر يبزر بزرا ، لكم يكون طعاما ، ولكل حيوان الأرض وكل طير السماء وكل دابة على الأرض فيها نفس حية أعطيت كل عشب أخضر طعاما ، وكان كذلك ورأى الله كل ماعمله فإذا هو حسن جداً ، وكان مساء وكان صباح يوما سادسا » (١) .

وفى هذه الفقرة يعدد الكاتب فى وصف تمام الخلق كل المخلوقات الحية غير المذكورة سابقا ويشير إلى الأقوات المختلفة الموضوعة تحت تصرف الناس والحيوانات.

وكما نرى ـ فيما يذكر موريس بوكاى ـ فإن الخطأ يكمن فى وضع ظهور الحيوانات الأرضية بعد ظهور الطيور ، ولكن ظهور الإنسان على الأرض محدد بشكل صحيح بعد ظهور الفئات الأخرى من الكائنات الحية (٢) .

وتنتهى رواية الخلق الأولى بالآيات الثلاث الأولى من الإصحاح الثانى :

« فأكملت السماوات والأرض وكل جندها ، وفرغ الله فى اليوم السابع من عمله الذى عمل ، فاستراح فى اليوم السابع من جميع عمله الذى عمل ، وبارك الله اليوم السابع وقدسه ، لأنه فيه استراح من جميع عمله الذى عمل الله خالقا » (٣) .

وأول ما يؤخذ على هذه الفقرة الأخيرة وصفهم للإله بأنه قد استراح فى اليوم السابع وهذا ممتنع فى حق الله سبحانه (٤) .

---

(١) تكوين ١ : ٢٤ ـ ٣١ .

(٢) دراسة الكتب المقدسة صـ٤٤ .

(٣) تكوين ٢ : ١ ـ ٣ .

(٤) وتفصيل هذه النقطة وبيان مافيها من منافاة للعقيدة السماوية فى نهاية هذا المبحث .

بالإضافة إلى أن إدراج مراحل الخلق المتعاقبة فى إطار أسبوع ، هذا الإدراج الذى أراده الكاتب الكهنوتى بهدف الحث على الطاعة الدينية لايقبل الدفاع من وجهة النظر العلمية ، التى ترجح أن تشكل الكون والأرض قد تم على مراحل تمتد على فترات زمنية شديدة الطول لاتسمح المعطيات الحديثة بتحديد مدتها حتى تقريبيا.

وحتى إذا كانت الرواية تنتهى مساء اليوم السادس ولاتحتوى على إشارة إلى اليوم السابع يوم الراحة الذى استراح فيه الله ـ على زعمهم ـ وحتى إذا كان مسموحا لنا أن نعتبر أن المقصود فعلا هو فترات غير محددة ، وليس أياما بالمعنى الحقيقى ـ فإن ـ النص الكهنوتى يظل ضعيفا غير مقبول ، حيث إن تعاقب الأحداث فيه يناقض المعلومات العلمية الأصلية (١) .

وهكذا إذن تبدو الرواية الأولى للخلق ـ كما يقول موريس بوكاى ـ كبناء خيالى مبتكر كان يهدف إلى شيء آخر غير التعريف بالحقيقة (٢) .

الرواية الثانية للخلق :

يذكر موريس بوكاى أن رواية الخلق الثانية ـ والتى يحتوى عليها سفر التكوين والتى تلى دون انتقال ودون تعليقات الرواية السالفة ـ لاتسمح بنفس الانتقادات التى وجهت إلى الرواية الأولى وأنها رواية قصيرة جدا ، ولكنها أكثر إفاضة بما يخص خلق الإنسان وجنة الأرض مما يخص خلق الأرض والسماء الذى تذكره بإيجاز شديد (٣) .

---

(١) دراسة الكتب المقدسة صـ٤٥ . (٢) المصدر السابق صـ٤٥ .

(٣) دراسة الكتب المقدسة صـ٤٥ ـ ٤٦ ، ويرى بوكاى أن رواية الخلق الثانية تشتمل على الآيات من ٤ ـ ٧ من هذا الإصحاح فقط وهو بذلك يخالف سائر الباحثين حيث يرون أنها تبدأ من ٤ إلى ٢٥ لأن فيها ذكر خلق حواء ، ولعل وجهة نظر بوكاى أن بقية الآيات من ٨ إلى ٢٥ تتعلق بالحديث عن جنة عدن وإسكان آدم بها ، لكن ذكر خلق حواء من ضلع آدم يعنى أن الرواية مستمرة إلى نهاية الإصحاح الثانى وهو ما عليه سائر الباحثين .

« هده مبادئ السماوات والأرض حين خلقت ، يوم عمل الرب الإله الأرض والسماوات كل شجرة البرية لم يكن بعد فى الأرض وكل عشب البرية لم ينبت بعد . لأن الرب الإله لم يكن قد أمطر على الأرض ، ولا كان إنسان ليعمل الأرض . ثم كان ضباب يطلع من الأرض ويسقى كل وجه الأرض ، وجبل الإله آدم ترابا من الأرض ونفخ فى أنفه نسمة حياة فصار آدم نفسا حية » (١) .

ويعلق موريس بوكاى على هذه الفقرة بأنها :

هى الرواية اليهوية الموجودة فى نصوص كتب العهد القديم التى نملكها حاليا ، هذه الرواية التى أضيفت إليها فيما بعد الرواية الكهنوتية هى كانت على هذا القدر من القصر ..... ؟ .

ويذكر أنه لايستطيع أحد أن يقول ما إذا كان النص اليهوى قد قطع عبر الأزمنة ، ولا يستطيع أحد أن يقول ما إذا كانت السطور القليلة التى فى حوزتنا تمثل فعلا كل ماكان يمكن أن يحتوى عليه أقدم نص للتوراة عن الخلق (٢) .

ويرى بوكاى أن هذه الرواية اليهوية لاتشير إلى تشكل الأرض بشكل واضح وخاص ولا إلى تشكل السماء . إنه يدع للفهم الضمنى أن عند خلق الله للإنسان لم تكن هناك نباتات أرضية (فلم يكن المطر قد نزل بعد) هذا برغم أن المياه الآتية من العمق كانت تغطى سطح الأرض .

وتؤكد هذه البقية التالية للنص : زرع الله بستانا فى نفس الوقت الذى خلق فيه الإنسان .

وهكذا يظهر عالم النبات فى نفس وقت ظهور الإنسان على الأرض ، وهذا علميا خطأ ، فقد ظهر الإنسان على الأرض حين كانت الأرض منذ زمن بعيد حاملة لنباتات ، وإن كنا لانستطيع أن نقول كم من مئات ملايين السنوات قد مرت بين

---

(١) تكوين ٢ : ٤ (٢) دراسة الكتب المقدسة صـ ٤٦ .

الحدثين .

ذلك هو الانتقاض الوحيد الذى يمكن توجيـهه إلى النص اليهوى للخلق ، فبما أنه لايحدد فى الزمن لحظة خلق الإنسان بالنسـبة إلى تشكل العالم وتشكل الأرض ، هذا الذى يضعه النص الكهنوتى فى نفس أسبـوع الخلق ، فإنه يفلت من انتقاد خطير كان يوجه لهذا الأخير (١) .

هذا هو رأى مـوريس بوكـاى ـ بناء على وجـهـة نظره فى تحـديد نـص الرواية الثانية .

لكننا لو تابعنا بقية فقرات هذه الرواية لوجدنا أنها قـابلة لانتقادات كثيرة وخاصة فيما يتعلق بأشجار وأنهار الجنة وخلق حواء من ضلع آدم .

ففى الفقرة الثانية يذكر النص :

« وغرس الـرب الإله جنة فى عدن شـرقا ووضع هناك آدم الذى جـبله ، وأنبت الرب الإله من الأرض كل شجـرة شهيـة للنظر وجيـدة للأكل ، وشجرة الحـياة فى وسط الجنة وشجرة مـعرفة الخير والشـر ، وكان نهر يخرج من عـدن ليسقى الجنة ، ومن هناك ينقسم فـيصير أربعة رءوس : اسم واحـد فيشون وهو المحيط بجميع أرض الحويلة حيث الذهب ، وذهب تلك الأرض جيـد ، هناك المقل وحجر الجزع ،واسم النهر الثـانى جيحون ، وهو المحيط بجـميع أرض كوش ، واسم النهر الـثالث حداقل وهو الجارى شرقى أشور ، والنهر الرابع الفرات » (٢) .

ويعلق الباجى على أنهار الجنة بقوله « كيف يحسن أن يقال بأن النهر الخارج من عدن ينقسم أربعة أنهار فإن ظاهره أن الأرض التى نحن عليها متصلة بأرض الحبشة ، فـيمـكن أن تجرى من الجنـة إلى أرضنا ولو كـان كذلك لاتصل بـالجنة بعض الناس ، السالكين فى الأرض مع تطاول السنين .

---

(١) دراسة الكتب المقدسة صـ٤٦ .

(٢) تكوين ٢ : ٨ ـ ١٤ .

وأيضا فإن ظاهر حال جريان هذه الأنهار وهيئتها أن الجنة محيطة بالأرض، فتكون أرضنا التى نحن فيها فى وسط الجنة، فنكون فى وسط الجنة وهو ظاهر الفساد(١).

وقد ذكر ابن حزم أن فى هذا الكلام على أنهار الجنة ـ من الكذب وجوها فاحشة قاطعة بأنها من توليد كذاب مستهزىء:

أول ذلك إخباره أن هذه الأربعة تفترق من النهر الذى يخرج من جنات عدن التى أسكن الله فيها آدم إذ خلقه ثم أخرجه منها إذ أكل من الشجرة التى نهاه الله تعالى عن أكلها وكل من له أدنى معرفة بالهيئة وبصفة الربع المعمور من الأرض الذى هو فى سماك الأرض أو من مشى إلى مصر والشام والموصل يدرى أن هذا كله كذب فاضح وأن مخرج النيل من عين الجنوب من خارج المعمور ومصبه قبالة تنيس وقبالة الاسكندرية فى أخر أعمال مصر فى البحر الشامى وأن مخرج الدجلة والفرات وجيحان من الشمال.

فأما جيحان فيخرج من بلاد الروم ويمر ما بين المصيصة وربضها المسمى كفرينا حتى يصب فى البحر الشامى على أربعة أميال من المصيصة، وأما دجلة فمخرجها من أعين بقرب خلاط من عمل أرمينية بقرب أمد من ديار بكر وتصب مياهها فى البطائح المشهورة بقرب البصرة فى أرض العراق متاخمة أرض العرب، وأما الفرات فمخرجه من بلاد الروم على يوم من قالى قلا قرب أرمينية ثم يخرج إلى ملطية ثم يأخذ على أعمال الرقة إلى العراق، وينقسم إلى قسمين كلاهما يقع فى دجلة فهذه كذبة شنيعة كبيرة لامخلص منها والله تعالى لايكذب ـ وأخرى وهى قوله إن النيل محيط ببلد زويله وجيحان محيط ببلد الحبشة، وهذه كذبة شنيعة فاحشة ما فى جميع أرض السودان والحبشة وغير الحبشة نهر غير النيل أصلا ويتفرع سبعة فروع كلها مخرج واحد ثم يجتمع فوق بلاد النوبة، وكذبة ثالثة وهى قوله إن ببلد زويله اللؤلؤ الجيد وهذا كذب ماللؤلؤ بها مكان أصلا إنما اللؤلؤ فى مغاصاته فى بحر فارس

---

(١) على التوراة صـ ٣٠.

وبحر الهند وأنهار بالهند والصين وهذه فضايح لاخفاء بها لم يقلها الله تعالى قط ولا إنسان يهاب الكذب .

ويضيف ابن حزم « فإن قال قائل فقد صح عن نبيكم ﷺ أنه قال : النيل والفرات وسيحان وجيحان من أنهار الجنة ، قلنا نعم هذا حق لا شك فيه ، ومعناه هو علي ظاهره بلا تكلف تأويل أصلا ، وهى أسماء لأنهار الجنة كالكوثر والسلسبيل .

وليس كذلك هذا الذي فى توراة اليهود ، لأن واضعها لم يدعها فى لبس من كذبه ، بل بيّن أنه عنى النيل المحيط بأرض زويلة بلد الذهب الجيد ، ودجلة التي بشرقي الموصل ، وجيحان المحيط ببلد الحبشة التى لم تخلق بعد ، فم يدع لطالب تأويل لكلامه حيلة ولا مخرجا ، وأيضا فإنهم لا يمكنهم البتة تخريج ما فى توراتهم المكذوبة على ما وصفنا نحن الآن فى نص توراتهم ان الجنة التى أخرج منها آدم لأكله من الشجرة التى فيها إنما هى شرقى عدن فى الأرض لافى السماء كما نقول نحن ، فثبتت الكذبة لا مخرج منها أصلاً

وينتهى ابن حزم إلي أنه لو لم يكن فى توراتهم إلا هذه الكذبة وحدها لكفت فى بيان أنها موضوعة لم يأت بها موسى قط . ولا هى من عند الله تعالى فكيف ولها نظائر ونظائر ونظائر (١) .

وفيما يتعلق بإسكان آدم فى الجنة وتحذير الإله له بعدم الأكل من الشجرة تأتى هذه الفقرة :

« وأخذ الرب الإله آدم ووضعه فى جنة عدن ليعملها ، وأوصى الرب الإله آدم قائلا من جميع شجرة الجنة تأكل أكلا ، وأما شجرة معرفة الخير والشر فلا تأكل منها ، لأنك يوم تأكل منها موتا تموت » (٢) .

ومما يؤخذ على هذه الفقرة أنه كيف يحسن أن يقال « ومن شجرة معرفة الخير

---

(١) راجع الفصل فى الملل والأهواء والنحل جـ ١ صـ ٩٥ ـ ٩٦ مكتبة السلام العالمية بالقاهرة

(٢) تكوين ٢ : ١٥ ـ ١٧

والشر لاتأكل لأنك يوم تأكل منها موتا تموت ، مع أنه أكل منها هو وحواء كما سيأتى ـ ولم يموتا (١) .

وهذا الكلام من كاتب هذه الرواية يصور الإله ـ جل سبحانه ـ بأنه قد نهاهما عن الأكل من شجرة المعرفة وخوفهما مضللا ومخفيا عنهما حقيقة هذه الشجرة فذكر لهما أن الأكل منها يفضى إلى الموت مع أن الأكل منها يفضى إلى رقى التفكير وانحسار أغطية الجهل وانبثاق نور المعرفة ، ولكنه ـ أى الإله فى نظرهم ـ كان يريد ابقاءهما جاهلين حتى لايشاركاه فى صفة من أخص صفاته » (٢) .

وتختم الرواية الثانية بقصة خلق حواء من ضلع آدم فيقول السفر :

« وقال الرب الإله ليس جيداً أن يكون آدم وحده فاصنع له معينا نظيره ، وجبل الرب الإله من الأرض كل حيوانات البرية وكل طيور السماء ، فأحضرها إلى آدم ليرى ماذا يدعوها وكل ما دعا به آدم ذات نفس حيةفهو اسمها ، فدعا آدم بأسماء جميع البهائم وطيور السماء وجميع حيوانات البرية ، وأما لنفسه فلم يجد معينا نظيره ، فأوقع الرب الإله سباتا على آدم فنام فأخذ واحدة من أضلاعه وملأ مكانها لحما ، وبنى الرب الإله الضلع التى أخذها من آدم امرأة وأحضرها إلى آدم ، فقال آدم هذه الآن عظم من عظامى ولحم من لحمى ، هذه تدعى امرأة لأنها من امرء أخذت ، لذلك يترك الرجل اباه وأمه ويلتصق بامرأته ويكونان جسدا واحدا ، وكانا كلاهما عريانين آدم وامرأته وهما لايخجلان » (٣) .

---

(١) علاء الدين الباجى : التوراة صـ٣٠ .

(٢) راجع د / على عبد الواحد وافى : الأسفار المقدسة صـ٢٧ اليهودية واليهود صـ٣٥ فقد ورد فى الإصحاح الثالث أن الإله قال حينما أكل آدم وزوجه من هذه الشجرة « هوذا الإنسان قد صار كواحد منا عارفا بالخير والشر والآن لعله يمد يده ويأخذ من شجرة الحياة أيضا ويأكل ويحيا إلى الأبد » وسندرس هذا عند الحديث عن قصة الغواية .

تكوين ٣ : ٢٢ ـ ٢٤ .

(٣) تكوين ٢ : ١٨ ـ ٢٥ .

يذكر جيمس فريزر أن كاتب هذه الرواية قد رأى أن الله أراد أن يخفف على الرجل وحشته اذ كان يتجول دون رفيق فى الجنة الجميلة التى كانت قد صنعت من أجله فخلق له الطيور والوحوش وقدمها اليه فيما يبدو لتسليته ، ولكى تؤنس وحشته وعند ذلك نظر الرجل اليها وسماها بأسمائها ولكنه كان لا يزال غير راض عن رفقتها فخلق الله له فى النهاية المرأة من جزء من جسمه لا أهمية له وقدمها اليه لكى تكون زوجا له(١) .

وينقد علاء الدين الباجى العبارة قبل الأخيرة من تلك الفقرة التى تقول « لذلك يترك الرجل اباه وأمه ويلتصق بامرأته ويكونان جسدا واحداً » (٢) فيقول :

« كيف يحسن أن يقال هذا فان التصاقه لو كان كذلك لا لتصق بكل امرأة من زوجة أو غيرها وانما التصق بها لأنها محل شهوته فقط ولم يلتصق بغيرها لأنها ليست محل شهوته » (٣) .

ويتنبه الباجى إلى وجود التناقض بين الروايتين دون أن يكون قد تم اكتشاف ـ القول بهما فى عصره وانما هو لاحظ التناقض بين الاصحاحين ومن ذلك قوله :

« كيف يحسن أن يقال « فقال الرب الاله لا يحسن الانسان أن يكون وحده ، نصنع له معينا مثله »(٤) بعد قوله قبل ذلك » صنعه ذكراً وأنثى ، صنعهما وباركهما »

والسؤال بعينه وارد على قوله بعد ذلك « ولم يجد ادم معينا له » فانه قد صنع له معينا (٥) .

تناقض الروايتين ومصدرهما :

هذا وقد أشار العلماء إلى وجود تناقضات كثيرة بين الروايتين : الأولى والثانية عن الخلق .

يقول جيمس فريزر « الذين يقرءون الكتاب المقدس قراءة فاحصة لا يمكن أن يغيب عنهم التناقض الصارخ بين قصتى الخلق اللتين تقعان فى كل من الاصحاحين

---

(١) الفولكلور فى العهد القديم : الجزء الأول صـ ٨٠ . (٢) تكوين ٢ : ٢٤ .

(٣) على التوراة صـ ٣١ . (٤) تكوين ٢ : ١٨ .

(٥) على التوراة صـ ٣٠ ـ ٣١ .

الأول والثانى من سفر التكوين .

ففى الاصحاح الأول نقرأ كيف أن الله خلق فى اليوم الخامس من بدء الخليقة السمك والطيور بل والكائنات التى تعيش فى الماء أو الهواء وكيف أنه خلق فى اليوم السادس ـ كل صنوف الحيوان التى تعيش على وجه الأرض وأخيراً خلق الانسان الذكر والأنثى كليهما على صورته .

ومن هذه القصة الأولى نستنتج أن الله قد خلق صنوف الحيوان وأن الانسان قد خلق بعد أن خلقت كائنات الأرض جميعاً فالله خلق صنوف الحيوان الدنيا أول الأمر ثم ـ أعقبها بخلق الانسان ، وأن الانسان قد انقسم إلى ذكر وانثى ثم خلقهما فى آن واحد معا وأن كلا منهما كان يعيش بنفس الدرجة عظمة أصلهما الالهى » (١) .

ثم يقول « هذا مانقرؤه فى الاصحاح الأول من سفر التكوين فاذا نحن انتقلنا إلى الاصحاح الثانى انتابتنا الحيرة على نحو ما ، عندما نفاجأ برواية تختلف تماما عن هذه الرواية الخطيرة بل انها لتتناقض معها كل التناقض اذ نفاجأ بما يثير فينا الدهشة وهو أن خلق الانسان أولا ثم خلق صنوف الحيوان الدنيا من بعده ، أما المرأة فقد خلقها بعد فراغه من كل هذا وشكلها من ضلع انتزعه من الرجل فى أثناء نومه كما لو كانت مجرد فكرة خطرت له فيما بعد » (٢) .

وأيضا فمن الواضح أن نظام خلق الكائنات من حيث مهمتها معكوس فى كلتا الروايتين :

ففى الرواية الأولى يبدأ الاله بعملية خلق السمك ثم يمضى بعد ذلك فى خلق الطيور والوحوش حتى ينتهى إلى خلق الرجل والمرأة .

وأما فى الرواية الثانية فهو يبدأ بخلق الرجل ويمضى بعد هذا إلى خلق الحيوانات الدنيا ثم يخلق فى النهاية المرأة التى تشير بوضوح إلى أدنى أعمال الصنعة الالهية .

---

(١) الفولكلور فى العهد القديم الجزء الأول صـ ٧٩ بشئ من التصرف .

(٢) المصدر السابق صـ ٧٩ ـ ٨٠ .

بالاضافة إلى أنه ليس هناك فى الرواية الثانية أدنى اشارة إلى أن كلا من الرجل والمرأة قد خلق على صورة الاله(١) .

وهذا التناقض البين بين الروايتين يفسره ببساطة أن الروايتين قد استمدهما كاتب السفر من مصدرين مختلفين ومستقلين أصلا ثم جمع بينهما فى كتاب واحد ونقلهما معًادُون أن يجهد نفسه فى أن يخفف من حدة التناقض فيهما أو يؤائم بينهما .فرواية الخلق الأول مستمدة مما يسمونه بالمصدر الكهنوتى الذى ألفه كتاب كهنوتيون فى أثناء السبى البابلى أو بعده (٢) .

وأما رواية الخلق الثانية فمستمدة مما يسمى بالمصدر اليهوى الذى ألف قبل المصدر الكهنوتى بمئات السنين أى أنه ألف فيما يبدو فى القرن التاسع أو الثامن ق .م (٣) .

ويذكر فريزر أن الاختلاف بيّنٌ بيّن وجهات النظر الدينية لدى كل من الكاتبين فالكاتب المتأخر أو الكهنوتى يصور الاله فى صورة مجردة على نحو ما قد يتصوره الانسان ــ وانه خلق الكائنات جميعا بأن أمرها فى بساطة أن تكون فكانت .

أما الكاتب المتقدم أو اليهوى فقد صور الاله فى صورة حسية فهو يتصرف ويتكلم على نحو ما فعله الانسان وهو يشكل الانسان من الطين وفقا لنموذج معين ويزرع جنة ويسير فيها عندما يميل الجو إلى البرودة ويطلب من الرجل والمرأة أن يظهرا من بين الأشجار التى كانا يختفيان وراءها ويصنع لهما أردية من الجلد ليرتدياها بدلا من الغلالات الهزيلة المصنوعة من أوراق التين التى اهتدى اليها أول ابوين لكى يخفيا بها عورتهما خجلا منها .

فالبساطة الجميلة بل المرح فى القصة المتقدمة تتعارض مع الجدية البالغة فى القصة المتأخرة ، وإن كنا لا نملك إلا أن ندهش لذلك الطابع الحزين المتشائم الذى يستخفى وراء صور الحياة البهيجة فى عصر البراءة ، تلك الصورة التى رسمها لنا

---

(١) المصدر السابق صـ ٨٠ .

(٢) جيمس فريزر : الفولكلور فى العهد القديم جـ ١ صـ ٨٠ ، صموئيل هنرى هووك : منعطف المخيلة البشرية صـ ٩٢ ، موريس بوكاى : دراسة الكتب المقدسة صـ ٤٤ ــ ٤٥ .

(٣) راجع المصادر السابقة .

الفنان اليهودى ـ الكبير (١) .

ويضيف جيمس فريزر أن الرواية المتقدمة لا تتميز عن أختها المتأخرة بأنها اكثر زخرفة منها فحسب ، بل تتميز بها فضلا على هذا بغنى عناصرها الفولكلورية فلقد أبقت على ملامح واضحة من البساطة البدائية طمسها الكاتب الثانى فى حرص .

وبناء على هذا فانها تقدم من العناصر فى مجال المقارنة بالحكايات البدائية الساذجة التى حاول الناس عن طريقها فى العصور والبلاد المختلفة أن يشرحوا اللغز الكبير لبداية الحياة على وجه الأرض اكثر مما تقدمه الحكاياة الكهنوتية (٢) .

هذا ويذهب كثير من العلماء إلى أن اكثر النصوص التى تعبر عن اعتقادات السومريين والبابليين والأشوريين فى الخليقة وأصل الوجود يتفق مع المآثر اليهودية فى التوراة ـ مع الفارق فى صيغة الشرك (أى تعدد الآلهة) فى الأديان الوثنية مقابل صفة الاله الواحد الخاص باليهود فى الديانة اليهودية .

ويرى هؤلاء العلماء أن أكمل هذه القصص القديمة التى عثر عليها علماء الآثار القصة البابلية المشهورة برقم الخليقة السبعة (٣) وأن هناك تشابها كبيراً وواضحا بينهما وبين قصة الخلق فى التوراة (٤) .

والحقيقة أنه لا يمكن أن نتابعهم فى هذا الرأى على وجه الاطلاق ، وانما الذى يمكن أن نقوله فى هذا الشأن أننا أمام احتمالين :

الاحتمال الأول : هو أن التوراة المنزلة على سيدنا موس عليه السلام كانت خالية تماما من قصة الخلق وأنها كانت تشتمل على عدة وصايا وتشريعات فقط وأنها

---

(١) الفولكلور فى العهد القديم جـ ١ صـ ٨٠ .

(٢) المصدر السابق صـ ٨٢ ، راجع تفاصيل هذه المقارنة صـ ٨٢-١٠٣ .

(٣) لأنها دونت على سبعة ألواح من الطين .

(٤) راجع تفاصيل ذلك على سبيل المثال طه باقر وبشير فرنسيس : الخليقة وأصل الوجود ضمن نصوص من الأدب العراقى القديم مجلة سومر العراقية صـ ١ ـ ٣٦ ، ومن ١٧٥ ـ ١٣٤ المجلد الخامس ١٩٤٩ م بغداد .

د/ احمد سوسة : مفصل العرب واليهود فى التاريخ صـ ٤١٧ ـ ٤١٨ .

لم تكن تتعدى عدة اصحاحات من سفرى الخروج والتثنية كما ذكرت نصوص العهد القديم وكما بيناه فى الفصل الخاص بفقدان اليهود للتوراة المنزلة على سيدنا موسى عليه السلام .

ومما يؤيد هذا الاحتمال أن سبينوزا قد ذكر أن أول سفر كتبه عزرا هو سفر التثنية وقد كونه من شرح سفر توراة الله وبعض اضافات اضافها اليه ، ثم شرع بعد ذلك فى رواية تاريخ الأمة العبرية كله منذخلق العالم حتى التدمير الأعظم للمدينة ثم أدخل فى هذا التاريخ سفر التثنية فى موضعه (١) .

وبناء على هذا الاحتمال يكون عزرا أو كتبة التوراة قد نقلوا قصة الخلق من النصوص ـ السومرية والبابلية والأشورية التى كانت تحت أيديهم وهم فى بابل أو أنهم اطلعوا عليها قبل ذلك والتقطها مسامعهم ودونوها فى وثائقهم ثم قاموا بتنقيحها حتى تلائم بعض معتقداتهم السماوية .

يذكر ول ديورانت أن أساطير الجزيزة كانت هى المعين الغزير الذى أخذت منه قصص الخلق التى يرجع عهدها فى تلك البلاد إلى ثلاثة آلاف سنة أو نحوها ق .م.

ويقول « ولعل اليهود قد أخذوا بعضها من الأدب البابلى فى أثناء أسرهم (٢) ، ولكنه يعود فيرجح أنهم أخذوها قبل ذلك العهد بزمن طويل من مصادر سامية وسومرية قديمة كانت منتشرة فى جميع بلاد الشرق الأدنى (٣) .

وأما الاحتمال الثانى : فهو أن توراة موسى السماوية كانت تحتوى على قصة الخلق كما أنزلها الله سبحانه ، وحدث أن فقدت هذه التوراة وقام اليهود بتضييعها

---

(١) رسالة فى اللاهوت والسياسة صـ ٢٨١ .

(٢) يذكر عصام الدين حفنى ناصف : أن اليهود بعد أن عادوا إلى اورشليم من موطن سخرتهم فى بابل قد احتقبوا قصة تتعلق بخلق الدنيا ولكنهم مالبثوا أن أحدثوا فيها من التعديلات ما يجعلها تلائم أفكارهم (اليهودية فى العقيدة والتاريخ صـ ١٣٨) .

(٣) قصة الحضارة الجزء الثانى من المجلد الأول : الشرق الادنى صـ ٣٦٨ ، راجع أيضا أ . و . ف توملين : فلاسفة الشرق صـ ١١٧ ـ ١١٨ ترجمة عبد الحميد سليم دار المعارف ١٩٨٠ .

كما رأينا . ثم حينما عثروا على أجزاء منها كانت تحتوى على قصة الخلق الأصلية أو على جزء منها فقام الكتبة بخلط هذه القصة بأساطير الديانات الوثنية وأضافوا اليها تفصيلات لم تكن موجودة فى قصة التوراة الحقيقة .

وعلى أى الاحتمالين فإن كتبة التوراة وخاصة فى قصة الخلق قد اطلعوا على نصوص الأديان الوثنية وأخذوا منها بعد أن واءموا بينهما وبين تصوراتهم سواء كان لديهم نصوص من توراة موسى أو صحف ابراهيم أو لم يكن لديهم .

جاء فى مقدمة سفر التكوين من كتب الشريعة الخمسة طبعة الرهبانية اليسوعية مايلى :

« لم يتردد مؤلفو الكتاب المقدس وهم يروون بداية العالم والبشرية أن يستقوا معلوماتهم بطريقة مباشرة أو غير مباشرة من تقاليد الشرق الأدنى القديم ، ولا سيما من تقاليد ما بين النهرين ومصر والمنطقة الفينيقية الكنعانية ، فالاكتشافات الاثرية منذ نحو قرن تدل على وجود كثير من الأمور المشتركة بين الصفحات الأولى من سفر التكوين وبين بعض النصوص الغنائية والحكمية والليترجية الخاصة بسومر وبابل وطيبة وأوغاريت ، ولا عجب فى ذلك عند من يعلم أن البلاد التى أقام فيها اسرائيل كانت منفتحة على المؤثرات الخارجية .

وإلى جانب ذلك ، كان شعب الله فى تاريخه على صلة بمختلف شعوب الشرق الادنى .

ولكن علم الآثار يدل أيضا على أن المؤلفين الذين أعادوا النظر فى الفصول الأولى من سفر التكوين وأضفوا عليها اللمسات الأخيرة لم يكونوا مجرد مقلدين عميان ، بل أحسنوا اعادة معالجة المصادر المتوفرة بين أيديهم والتفكير فيها بالنسبة إلى التقاليد الخاصة بشعبهم ، فهم لم يكتفوا بالمحافظة على الايمان اليهوى ، بل أبرزوا أصالته » (١) .

ويذكر د / فيليب حتى إن مؤرخى التوراة لم يكتفوا بابتداء مروياتهم بالجد

---

(١) الكتاب المقدس كتب الشريعة الخمسة صـ ٦٦ اصدار الرهبانية اليسوعية نشر دار المشرق بيروت توزيع المكتبة الشرقية باشراف جمعيات الكتاب المقدس فى المشرق ١٩٨٦ م .

الأكبر للشعب العبرانى (الخليل ابراهيم) وانما توسعوا فى قصة الانسان ولخصوها مبتدئين بالخليقة وأخذوا فى ذلك موادهم من مصادر بابلية وأنه لم يصبح هذا الأمر محققا الا بعد منتصف القرن الماضى حين كشف تفسير الكتابات المسمارية عن وجود ما يقابل قصص الخليقة وغيرها ، غير أن هذه القصص ـ فيما يقول د/ حتى ـ هذبت وبسطت وصار لها مغزى أخلاقي على يد الكتاب العبرانيين ثم كتبت بشكل جميل حتى أصبحت قسما من تراث البشرية الأدبى وهى لا تزال بشكلها هذا تسلى وتعلم أجيالا من القراء فى جميع البلاد وفى مختلف اللغات (١) .

ويمكن أن نستخرج من قصة الخلق التوراتية ثلاثة عناصر يغلب على ظنى أنها ترجع إلى الأديان الوثنية .

وهذه العناصر هى :

١ ـ تشبيه الإنسان بالله سبحانه

٢ـ استراحة الرب فى اليوم السابع .

٣ ـ خلق حواء من ضلع آدم .

أما فيما يتعلق بتشبيه الإنسان بالله سبحانه فانه قد ورد ذلك فى الرواية الأولى « وقال الله نعمل الانسان على صورتنا كشبهنا ـ فخلق الله الانسان على صورته ، على صورة الله خلقه » (٢)

يقول الباجى « كيف يحسن أن يقال « كصورتنا وشبهنا » مع أن الله سبحانه

---

(١) تاريخ سورية ولبنان وفلسطين جـ ١ صـ ١٩٢ ، ويذكر صموئيل هنرى هووك أن معظم المادة الميثولوجية ـ التى أخذها كتاب عبرانيون عن مصادر فى أرض الرافدين بصورة مباشرة أو غير مباشرة ـ كانت تتم اعادة صياغة الاسطورة بطريقة تؤمن خلال المصطلح الرمزى ـ صورة عن النشاط الالهية والعلاقة بين الله والانسان كما يفسرها أبناء اسرائيل (منعطف المخيلة البشرية صـ ١١٦) ، ويقول ايضا « لقد لعبت الميثولوجيا دوراً هاما فى تطور الدين اليهودى فقد استعيرت الاساطير من أديان البلدان المجاورة واستخدمت من قبل الكتاب العبريين للتعبير فى شكل رمزى عن قناعاتهم بدين الكون . وفوق كل شئ ـ لتقديم تاريخ شعبهم فى اطار « تاريخ الخلاص » وهو الذى يسجل لهدف الله المتطور الذى طالب اليهود بأن يكونوا هدف الخلاص (المصدر السابق صـ ١٣٧)

(٢) تكوين ١ : ٢٦ ، ٢٧ .

منزه عن الصورة بل هو خالق الصور كلها والخالق مغاير للمخلوق ومستغن عنه.

فان قيل المراد خلق انسان له قدرة على الخير والشر ، وارادة لهما يفعل بقدرته ما يريده كما لله سبحانه قدرة وارادة .

قلت : هذا . ان سلم . فلفظ الصورة لا يدل عليه ، لأن لفظ الصورة مدلوله الهيئة والشكل ، كما يقول : فلان صورته حسنه ، والصورة فى الحائط مليحة ، واللفظ الدال على هذا أن يقال : صفاته صفاتنا . فلم عدل عن اللفظ الحسن الدال على المعنى المراد من غير ايهام للباطل إلى ما يوهمه (١) .

وكما يقول الامام ابن حزم « لو لم يقل إلا « كصورتنا » لكان له وجه حسن ومعنى حسن وهو أن يضيف الصورة إلى الله تعالى اضافة الملك والخلق كما تقول هذا عمل الله وتقول للقرد والحسن هذه صورة الله أى تصويره الله والصفة التى انفرد بملكها وخلقها لكن قوله : « كشبهنا » منع التأويلات وسد المخارج وقطع السبل وأوجب شبه آدم لله عز وجل ولا بد ضرورة .

وهذا يعلم بطلانه ببديهة العقل اذ الشبه والمثل معناهما واحد وحاشى لله أن يكون له مثل أو شبه (٢) .

وقد نفى القرآن الكريم المثلية عن الله سبحانه نفيا قاطعا فقال عز وجل « ليس كمثله شئ وهو السميع البصير » (٣) .

ولذلك فانى أرجح أن هذا التعبير التوراتى ـ فى خلق الانسان وجعله مشابها للإله وكصورته ـ نابع من تأثر اليهود بالتصور الوثنى فى الديانات القديمة وخاصة عندالبابليين الذين كانوا يقولون بمشابهة الآلهة بالبشر وتعتبر صفة التشبيه من أبرز الصفات وأهم الخصائص فى الديانة البابلية (٤) .

---

(١) على التوراة صـ ٢٥ ـ ٢٦ .

(٢) الفصل الملل والأهواء والنحل جـ ١ صـ ١١٧ ـ ١١٨ .

(٣) الشورى : ١١ .

(٤) راجع الفصل الثانى من الباب الأول الخاص بدراسة الأديان الوثنية.

يقول الدكتور بحر عبد المجيد « وثمة تأثير بابلى فى تصوير القصة فى سفر التكوين بصورة الرب حين يقول ليعمل الانسان على صورتنا كشبهنا » (١) .

ويذكر الدكتور احمد سوسة أن هناك تشابها بين المدونات السومرية والبابلية فى صفة كون الانسان خلق على صورة الاله أو الالهة « فقد عزا السومريون والبابليون إلى آلهتهم صفات البشر جميعها لها عواطفها وميولها مثل البشر وهى تعيش وتأكل وتتزواج وتسكن فى بيوت هى المعابد المشيدة لها وفيها خدمها وطهاتها وكهنتها ولكل إله زوج أو زوجات وسرارى ومعشوقات وله بنات وأولاد ، ومن ظواهر صفة التشبيه أيضا تأليه الملوك العظام فى حياتهم وبعد مماتهم (٢) .

العنصر الثانى : زعمهم استراحة الرب فى اليوم السابع :

وفيما يتعلق بالعنصر الثانى وهو (استراحة الرب فى اليوم السابع كما يزعمون) ـ فان سفر التكوين يذكر مانصه :

« وفرغ الله فى اليوم السابع من عمله الذى عمل ، فا ستراح فى اليوم السابع من جميع عمله الذى عمل ، وبارك الله اليوم السابع وقدسه لأنه فيه استراح من جميع عمله الذى عمل الله خالقا» (٣) .

والنص كما هو معروف هو ختام الرواية الأولى (الكهنوتية) عن الخلق ويفيد أن الرب قد انتهى من عملية الخلق فى ستة أيام ، ومادام الرب كان يقوم بعملية الخلق فى سة أيام متواصلة فلابد ـ فى نظرهم ـ أنه تعب ويحتاج إلى الراحة ولذلك فانه استراح ـ فى اليوم السابع ولأنه استراح فى اليوم السابع فانه بارك هذا اليوم وقدسه . ولعل النص الأصلى للتوراة المنزلة على سيدنا موسى عليه السلام لم يكن يشتمل

---

(١) اليهودية صـ ٤٦ ، راجع ايضا شوقى عبد الحكيم : الفولكلور والأساطير العربيةصـ ٧٤ ـ دار ابن خلدون .

(٢) مفصل العرب واليهود فى التاريخ صـ ٤١٩ ـ ٤٢٠ ، راجع ايضا الفصل الخاص بالديانات من الباب الأول من هذا البحث .

(٣) تكوين ٢ : ٢ ـ ٣ .

على الإشارة إلى اليوم السابع وربما اقتصر على بيان أن الخلق تم فى ستة أيام كما ذكر القرآن الكريم دونما تحديد لبداية اليوم ونهايته .

ومما يرجح ذلك أن الرواية اليهوية التي هى أقدم عهداً لاتشير إلي اليوم السابع ولا إلي راحة الرب المزعومة فيه لكن الذي حدث أن الرب حينما فرض عليهم التزام الراحة فى يوم السبت كنوع من الاختبار لهم ونهاهم عن العمل فيه (١) .

حاول الكهنة ـ بعد ذلك أن يثبتوا هذا التشريع وأن يدعموا هذا التقديس ففسروا أيام الخلق الستة على أنها ذات صباح ومساء وكأنها ايام من أيامنا العادية ثم قاسوا تلك الأيام على أيام الأسبوع السبعة ، وما كان منهم إلا أن ذكروا أن الله سبحانه وتعالى تعب فى الأيام الستة واستراح فى اليوم السابع فعلى المؤمنين أن يقتدوا به وأن يلتزموا بما فعل .

يتضح ذلك بجلاء من خلال النصوص التى أشارت إلى يوم السبت . يقول الدكتور حسن ظاظا :

« من المواضع التى اختلفت فيها الروايتان الخاصتان بالوصايا العشر (٢) : الموضع الذى تشرح فيه حكمة تعطيل العمل يوم السبت ، فرواية الخروج تجعل ذلك لأن ا لله نفسه ـ جل سبحانه ـ استراح فى هذا اليوم بعد انتهائه من تكوين الخليقة فهى

---

(١) يقول الله تعالى مخبراً عن اليهود ﴿ وقلنا لهم لا تعدو فى السبت وأخذنا منهم ميثاقا غليظا ﴾ النساء ١٥٤ . ولعل هذا يوحى بأن الله قد حرم عليهم العمل يوم ـ السبت . وينقل ابن كثير قول ابن عباس رضى الله عنه « ان الله انما افترض على بنى اسرائيل اليوم الذى افترض عليكم فى عيدكم . يوم الجمعة فخالفوا إلى السبت فعظموه وتركوا ماأمروا به فلما أبوا الا لزوم السبت ابتلاهم الله به فحرم عليهم ما أحل لهم فى غيره » (تفسير ابن كثير جـ ١ صـ ١٠٦) راجع ايضا تفسير المنار جـ ١ صـ ٢٨٤ .

(٢) حيث ان الوصايا قد وردت فى كل من سفر الخروج والتثنية وتكررت فيهما بنفس الألفاظ تقريبا وان كان السفران قد اختلفا فى حكمة تعطيل العمل يوم السبت (الفكر الدينى الاسرائيلى صـ ١٩٩).

تقول « اذكر يوم السبت لتقديسه ، ستة أيام تعمل وتصنع جميع عملك ، وأما اليوم السابع ففيه سبت الرب الهك لا تصنع عملا ، أما أنت وابنك وابنتك وعبدك وأمتك وبهيمتك ونزيلك الذى ـ داخل ابوابك ، لأن فى ستة ابام صنع الرب السماء والأرض والبحر وكل ما فيها واستراح فى اليوم السابع ، لذلك بارك الرب يوم السبت وقدسه » (١) .

وفى رواية سفر التثنية يبدو أن الحكمة في تقديس يوم السبت هى بكل بساطة تمكين الانسان والحيوان من الراحة بعد اسبوع من العناء ، ولا يرتبط ذلك هنا بأن الله استراح ـ فى اليوم السابع بل ربما كان المفهوم من السياق هو ربط هذه الراحة بالتحرر من السخرة والعبودية ، عندما كان قوم موسى ما يزالون فى مصر عبيداً لفرعون يعملون بأمره ولا يحق لهم أن يستريحوا يوماً واحداً فى الأسبوع » (٢) .

وعلى ذلك فان التعليل الذى اخترعه كاتب سفر الخروج فى أن الله سبحانه استراح فهو قدوة للإنسان (٣) أخذ به كاتب سفر التكوين حينما عرض لقصة الخلق .

ومن أجل ذلك يذكر موريس بوكاى أن من ا لواضح أن هذه « الراحة » التى يفترض أن ـ الله سبحانه قد أخذها بعد أن عمل ستة أيام ، هى أسطورة ، ولكن لها تعليل ، اذ لا يجب نسيان أن رواية الخلق المدروسة هنا تأتى من النص الكهنوتى كتبه الكهنة أو الكتبة وهم الوريثون الروحيون لحزقيال نبى النفى ببابل فى القرن السادس ق .م ، ومعروف أن هؤلاء الكهنة قد أعادوا روايتى الخلق اليهوية والألوهيمية وأعادوا صياغتهما على مشيئتهم وحسب اهتماماتهم الخاصة التى كتب الأب ديفو عنها قائلاً ان طابعها « التشريعى » كان جوهريا .

---

(١) خروج ٢٠ : ٨ ـ ١١ .

(٢) د/ حسن ظاظا : المفكر الدينى الاسرائيلي صـ ١٩٩ ـ ٢٠٠ راجع سفر التثنية ٥ : ١٢ ـ ١٥

(٣) يتضح هذا بشكل اكثر فى رواية الخروج ٣١ : ١٢ ـ ١٧ فقد ذكر الكاتب أن الرب فى اليوم السابع استراح وتنفس .

على حين لا يشير النص اليهوى الذى يسبق النص الكهنوتى بعدة قرون إلى راحة الله الذى تعب من عمله طيلة الأسبوع ، يدخلها الكاتب الكهنوتى فى روايته : انه يقسم روايته إلى أيام بالمعنى الدقيق لأيام الأسبوع وهو يضع محور الرواية على راحة السبت التى يعللها أمام المؤمنين مؤكداً على هذا بقوله ان الله هو أول من احترمها ، وابتدأ من هذه الضرورة العلمية انتقاد رواية الخلق بمنطق دينى ظاهر وان كان هذا بشكل تسمح معطيات العالم بوصفه بالوهم (1) .

فدعوى استراحة الرب فى اليوم السابع بعد أن لحقه التعب هى من اختلاق الكاتب الكهنوتى ومزاعمه ويرد القرآن الكريم على هذه الدعوى بقوله تعالى ﴿ **ولقد خلقنا السماوت والأرض ومابينهما فى ستة أيام ومامسنا من لغوب** ﴾ (2) .

جاء فى تفاسير الطبرى وابن كثير والدرالمنثور عن قتادة قوله فى تفسير هذه الآية أن اليهود ـ عليهم لعائن الله قالوا : خلق الله السماوات والأرض فى ستة أيام ثم استراح فى اليوم السابع وهو يوم السبت وهم يسمونه يوم الراحة فأنزل الله تعالى تكذيبهم فيما قالوه وتأولوه (3) .

وأورد الطبرى والسيوطى (4) أن اليهود جاءوا إلى النبى ﷺ فقالوا يا محمد أخبرنا ما خلق الله من الخلق فى هذه الأيام الستة فلما أخبرهم قالوا صدقت إن أتممت فعرف النبى ﷺ ما يريدون فغضب فأنزل الله وما مسّنا من لغوب فاصبر على ما يقولون .

ومعنى قوله تعالى ﴿ **وما مسنا من لغوب** ﴾ أى من إعياء ولا تعب ولا نصب كما قال تبارك وتعالى فى الآية الأخرى ﴿ **أولم يروا أن الله الذى خلق السماوات والأرض ولم**

---

(1) دراسة الكتب المقدسة صـ ٤٤ ـ ٤٥ . (2) سورة ق : ٣٨ .

(3) جامع البيان فى تفسير القرآن جـ٢٦ صـ ١١١ ـ ١١٢ نشر دار المعرفة بيروت ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م تفسير القرآن العظيم جـ ٤ صـ ٢٢٩ دار التراث القاهرة الدر المنثور فى التفسير بالمأثور للسيوطى المجلد السابع صـ ٦٠٩ ـ ٦١٠ دار الفكر بيروت .

(4) المصدرين السابقين .

يعى بخلقهن بقادر على أن يحى الموتى بلى إنه على كل شئ قدير ﴾[1] وكما قال عز وجل ﴿ لخلق السماوات والأرض أكبر من خلق الناس ﴾ [2] .

ويذكر الفخر الرازى أن المراد من هذه الآية الرد على اليهود حيث قالوا بدأ الله تعالى خلق العالم يوم الأحد وفرغ منه فى ستة أيام آخرها يوم الجمعة واستراح يوم السبت »[3] .

ويرى أن قولهم هذا تحريف منهم للتوراة ذلك لأن الأحد والاثنين أزمنة متميز بعضها عن بعض ، فلو كان خلق السماوات ابتدئ يوم الأحد لكان الزمان متحققا قبل الأجسام والزمان لا ينفك عن الأجسام فيكون قبل خلق الأجسام أجسام أخر فيلزم القول بقدم العالم وهو مذهب الفلاسفة [4] .

ويقول الشيخ الباجى « كيف يحسن أن يقال » واستراح فى اليوم السابع فان الاستراحة انما تطلق على من يناله التعب ، فأما من أفعاله بالأمر التكوينى يقول للشئ كن فيكون فذلك فى حقه ممتنع [5] .

وخلاصة الأمر أن زعم كاتب الرواية الأولى بأن الرب قد استراح لا يتفق مع تنزيه الله وجلاله ، وبذلك فان من المقطوع به أن هذا مما تأثر به من الديانات القديمة من منطلق التصورات ـ الوثنية للاله حيث يرونه كالبشر يأكل ويشرب ، يستريح ويتعب ولم يكن هذا بعيد ا عن متناول الكاتب الكهنوتى وذلك لأن التراث البابلى كان منشورا أماما يأخذ منه ما يروقه وما يتفق مع ميوله الوثنية ، ولذلك فان موريس بوكاى انتهى كما قلت إلى أن هذه الاستراحة المزعومة اسطورة .

---

(١) الأحقاف : ٣٣ .

(٢) غافر : ٥٧ تفسير ابن كثير جـ ٤ صـ ٢٢٩ .

(٣) التفسير الكبير جـ ٢٨ صـ ١٨٤ .

(٤) المصدر السابق .

(٥) على التوراة صـ ٢٧ ـ ٢٨ .

ويذكر الدكتور محمد بحر عبد المجيد نقلا عن بعض العلماء أن تنظيم مراحل الخلق بما فيه الاشارة إلى استراحة الرب فى اليوم السابع يرجع إلى تأثير بابلى (١) .

وهو الأمر الذى لا نستبعده فى هذا الشأن .

العنصر الثالث : قولهم ان حواء قد خلقت من ضلع آدم :

وأما فيما يتعلق بالعنصر الثالث وهو خلق حواء من ضلع آدم فانه قد سبق ان تبين لنا أن هذه الفكرة موجودة فى الرواية الثانية للخلق وكيف أن الله ـ سبحانه حسب التصوير اليهودى ـ قد لاحظ أن ادم وحيد فريد يفتقر إلى امرأة توفر له أنسه وتحفظ عليه جنسه فعقد العزم على أن يطرفه بما يشتهى غير أنه ولا ندرى لماذا لم يخلق المرأة من العدم الأصلى الذى ـ خلق منه الكون أو التراب الذى خلق آدم بل أوقع على الرجل سباتا وانتزع ضلعا من ضلوعه صاغ منه امرأة فارهة زفها اليه (٢) .

ويرى الباحثون أن فكرة خلق حواء من ضلع الرجل قد انحدرت الينا من التراث السومرى ـ اللاسامى وظهرت فى التراث السامى عندالورثة البابليين والحيثيين وانتقلت إلى الكنعانيين الفينيقيين متبدية فى أسطورة الاله « موت » . فكان أن نقلها العبريون إلى قصة الخلق فى سفر التكوين وكذلك طوف بها الكنعانيون وطليعتهم البحارة الفينقيون إلى كثير من الحضارات » (٣) .

يذكرصموئيل كريمر أن الأدب السومرى قد ترك أثره العميق فى العبرانيين وان من اكثر الأمور المثيرة فى استعادة الآداب الرفيعة السومرية انما هى فى تقصى أوجه الشبه ـ والمطابقة بين الأفكار والبواعث السومرية والتوراتية (٤) .

---

(١) د/ محمد بحر عبد المجيد : اليهودية صـ ٤٦ .

(٢) راجع النص الوارد عن ذلك فى الرواية الثانية للخلق وتعليق جيمس فريزر عليها فى هذا الفصل صـ٤٩٣ راجع ايضا عصام الدين حفني ناصف: اليهودية فى العقيدة والتاريخ صـ ١٥٣.

(٣) شوقي عبد الحكيم : الفولكلور والأساطير العربية صـ ٧٣ دار ابن خلدون للطبع والنشر .

(٤) والشئ المؤكد بهذا الصدد ـ كما يقول كريمر ـ أن السومريين ما كان بامكانهم أن يؤثروا فى العبرانيين رأسا وبدون واسطة لأنهم (أى السومريين) كانوا قد زالوا من الوجود قبل أن يظهر العبرانيون فى الوجود ، ولكن لايوجد أدنى ريب فى أن السومريين قد أثروا تأثيراً عميقا فى =

ويضرب كريمر مثلا على أوجه الشبه والمضاهاة بين الآداب السومرية وآداب العبرانيين بالأسطورة السومرية المعنونة « انكى وننخرساج »[1] .

ولعل أهم نتيجة توصل إلها من تحليله المقارن ـ كما يقول ـ ذلك التفسير الذى ـ تقدمه لنا القصيدة السومرية لتلك الفكرة التوراتية التى تعد من أشد الأمور المحيرة فى قصة الخلق الواردة فى التوراة ويعنى بذلك العبارة المشهورة التى تصف خلق حواء « أم جميع البشر » من « ضلع آدم »

ويتساءل كريمر : فلماذا خلقت من الضلع ؟ وما الذى دفع القصاص العبرانى أن يختار الضلع دون سائر أعضاء الجسم الأخرى ليخلق منه المرأة التى يعنى اسمها « حواء » بحسب تفسير التوراة له « تلك التى تحيى أى تسبب الحياة » .

ويجيب بأن سبب ذلك يكون واضحا إذا افترضنا أن أساسا سومريا كالذى تقدمه لنا قصيدة « دلمون » هو الذى استندت اليه قصة الفردوس فى التوراة .

ففى هذه القصيدة السومرية كان أحد أعضاء الاله « انكى » الذى أصابه المرض هو « الضلع » والكلمة السومرية للضلع هى «تى» ودعيت لآلهة التى خلقت من أجل أن تشفى « ضلع » أنكى باسم (نن ـ تى) أى «سيدة الضلع » ولكن الكلمة السومرية « تى » تعنى أيضا « أحيا » أو « جعله يحيا » .

وعلى هذا فيعنى اسم الاله « نن ـ تى » السيدة التى تحى ، أو « سيدة ـ الضلع » وهكذا صارت « سيدة الضلع » فى الأدب السومرى تعنى أو تطابق بطريق

= الكنعانيين الذين سبقوا استيطان البلاد التى عرفت بعدئذ باسم « فلسطين » وأثروا أيضا في جيرانهم كالأشوريين والبابليين والحوريين والآراميين . (من ألواح سومر صـ ٢٤٠) .

(١) يذكر كريمر أن نص هذه الأسطورة قد نشر عام ١٩٥١ ولكن محتوياته بقيت غير واضحة إلى عام ١٩٥٤ حين نشرت نشرة متصلة عن النص وهذه القصيدة كانت مولفة من ٢٧ سطراً منقوشة فى لوح مؤلف من ستة حقول وهو محفوظ الآن في متحف جامعة بنسلفانيا ويوجد نص صغير مكرر للنص الأول في متحف « اللوفر » سبق أن تعرف عليه ادوارد كييرا صاحب كتاب « كتبوا على الطين » (من ألواح سومر صـ ٢٤٠ ـ ٢٤١) راجع نص هذه الاسطورة : المصدر السابق صـ ٢٤١ ـ ٢٤٢ .

التورية والتلاعب بالألفاظ أيضا « السيدة التى تحيى » فكانت هذه التورية التى تعد أقدم تورية أدبية من نوعها قد نقلت وخلدت فى قصة الفردوس التوراتية (١) .

هذا وقد ذكر جيمس فريزر أن من الروايات المألوفة فى تاهيتى أن الاله « تاروا »الاله الأكبر نادى الرجل باسمه فلما جاء اليه سلط عليه النوم فلما استغرق فى نومه انتزع منه عظمة من عظامه وصنع منها امرأة قدمها إلى الرجل ليتخذ منها زوجة له ومن هذين الزوجين تناسلت البشرية فيما بعد » .

وهذه الحكاية المأثورة بعينها قد دونت فى مناطق أخرى من بولينزيا إلى جانب تدوينها فى تاهيتى فأهالى فاكؤموا أو جزيرة بادويش يقولون : ان الرجل الأول خلق من حجر ، وأنه قرر بعد مرور فترة من الزمن أن يخلق امرأة ، فجمع ترابا وشكله فى صورة ــ امرأة ، ثم انتزع ضلعا من جنبه الأيسر وزج به فى تمثال المرأة ، فدبت فيها الحياة توا ، وأطلق عليها اسم « ايفى » أى الضلع واتخذ منها زوجة له ومنهما معا تناسل الجنس البشرى فيما بعد .

وقد روى كذلك أن الماء وربيين يعتقدون أن المرأة الأولى قد خلقت من ضلوع الرجل الأول .

ويرى فريزر أن انتشار هذه الحكاية على هذا النحو فى بولينزيا يثير الشك فيما اذا ــ كانت كما اعتقده « البعض » مجرد تكرار لحكاية الكتاب المقدس كما سمعها الأهالى عن الأوربيين أم لا .

وينتهى إلى أن قصة خلق أول امرأة من ضلع أول رجل تصادفنا فى أماكن

---

(١) ويذكر كريمر أنه توصل إلي هذا الأساس المحتمل لتفسير قصة « الضلع » التوراتية بوجه مستقل فى عام ١٩٥٤ . ولكن الفكرة نفسها سبق أن اهتدي اليها قبل ثلاثين عاما الباحث المسمارى الشهير « الأب شايل » على ما أخبره المستشرق الأمريكى « وليم أولبرايت » الذى أشرف على نشر كتابه ، وهذا مما يعزز ذلك الافترض ويقربه من الحقيقة (راجع من الواح سومر صــ ٢٤٤ ــ ٢٤٥ ، أساطير سومر : ضمن كتاب اساطير العالم القديم صــ ٨٣ ، صموئيل هنرى هووك : منعطف المخيلة البشرية صــ ٩٧ .

أخرى فى شكل روايات شديدة الشبه بحكاية الكتاب المقدس ،إلى درجه اننا لا يمكن أن نعدها مستقلة عنها .

ويذكر أننا لا نستطيع أن نشك فى أن مثل هذه الأفكار الساذجة كانت مألوفة لدى ـ البابليين والمصريين القدماء والأغريق والعبريين ثم انتقلت إلى الشعوب المتحضرة القديمةعن طريق أجدادهم الهمجيين أو المتبربرين ومثل هذه الحكايات يرويها الهمجيون ـ الذين يعيشون اليوم » (١) .

والواقع أنه من الممكن ترجيح الرأى الذى يقول بأن اليهود قد استقوا هذه الفكرة (خلق حواء من ضلع آدم) من الأديان الوثنية وكانت هذه الفكرة نابعة من نظرة الشعوب الوثنية إلى المرأة فى احتقارها والتقليل من شأنها ـ وتمثل اليهود تلك النظرة فى ذكرهم أن المرأة كانت هى السبب فى سقوط آدم وأنها هى التى أكلت من الشجرة بإغواء الحية كما سنرى ذلك فى قصة الغواية .

يذكر الأستاذ سيد قطب أنها نفس واحدة فى طبيعة تكوينها ، وإن اختلفت وظيفتها بين الذكر والأنثى وإنما هذا الاختلاف ليسكن الزوج إلى زوجة ويستريح إليها ..

وهذه هى نظرة الإسلام لحقيقة الإنسان ، ووظيفة الزوجية فى تكوينه .

وهى نظرة كاملة وصادقة جاءبها هذا الدين منذ أكثر من أربعة عشر قرناً ، يوم أن كانت الديانات المحرفة تعد المرأة أصل البلاء الإنسانى ، وتعتبرها لعنة ونجسا وفخا للغواية تحذر منها تحذيراً شديداً ، ويوم أن كانت الوثنيات لاتزال ـ تعدها من سقط المتاع أو على الأكثر خادماً أدنى مرتبة من الرجل ولا حساب له فى ذاته على الإطلاق(٢) .

ومما يشجعنى على ترجيح هذا الرأى أن ا لقرآن الكريم لم ينص صراحة فى آياته على أن حواء خلقت من ضلع آدم وكذلك السنة النبويةالشريفة فان ما ورد فيها

---

(١) راجع جيمس فريزر : الفولكلور فى العهد القديم صـ ٨٥ ـ ٨٨ .

(٢) فى ظلال القرآن جـ ٩ صـ ١٤١١ دار الشروق الطبعة الثالثة عشرة ١٩٨٧ م / ١٤٠٧ هـ

من أحاديث أشـارت إلى أن حواء خلقت من ضِلَع دون أن تنص على أنـها من ضلع آدم .

يقـول الله تعـالى فى أول سـورة النسـاء ﴿ **يا أيهـا الناس اتقـوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيرا ونساء** ﴾(١).

يقول الفخر الرازى فى تفسير ﴿ **وخلق منها زوجها** ﴾ : المراد من هذا الزوج هو حواء وفى كون حواء مخلوقة من آدم قولان :

القول الأول : وهو الذى عليه الأكثرون : أنه لما خلق الله آدم ألقى عليه النوم ثم خلق حواء من ضلع من أضلاعه اليسرى فلما استيقظ رآها ومال اليها وألفها لأنها كانت مخلوقة من جزء من أجزائه (٢) .

والحقيـقة أن أكثر المفـسرين (٣) يحكون بهذا التـفسير قصـة التوراة فى خلق الانسـان وأنه لولا هذه الرواية التـوراتية مـا خطر ذلك على بـال قارئ القـرآن فكل الروايات التى جـاءت عن خلق حواء من ضلع آدم مـشوبة بالاسـرائيليـات لا يـعتـمـد

---

(١) النساء : ١

(٢) التفسـير الكبير جـ ٩ صـ ١٦١ ، ويذكر الرازي أن هؤلاء الاكثرين قد إحتجوا علي هذا القول بقول النبي « ﷺ » ان المرأة خلقت من ضلع فان ذهبت تقيمها كسرتهـا وان تركتها وفيـها عوج استمتعت بها « والواقع أن ـ المفسرين قـد اعتمدوا فى هذا التفـسير علي رواية التوراة وأما فيما يتعلق بالحديث المشار اليه فإن المتبادر فيه الذى اعتمده الشراح فى تفسيره أن المراد بخلقها منه أنها ذات ـ اعوجاج وشذوذ تخالف به الرجل كما يشير اليه ما رواه ابن حبان عن ابى هريرة ان المرأة خلقت من ضلع أعوج فـهوعلى حد قـوله تعالي ﴿ **خلق الانسـان من عجل** ﴾ الأنبياء :٣٧ ـ راجع تفسيـر القرآن العظيم جـ ١ صـ ٤٤٨ ، طبعة عيـسى الحلبي الشيخ محمد رشـيد رضا : تفسير المنار جـ ٩ صـ ٤٣٢ .

(٣) من أمثال : الطبري راجع تفسيره جـ ٧ صـ ٥١٥ ـ ٥١٦ ، ابن كـثير : تفسير القرآن العظيم جـ ١ صـ ٤٤٨ ، القرطبي : الجامع لأحكام القرآن جـ ٥ صـ ١ ـ ٢ .

عليها (١) .

القول الثاني : وهو اختيار ابى مسلم الأصفهاني : ان المراد من قوله ﴿ وخلق منها زوجها ﴾ أى من جنسها وهو كقوله تعالى ﴿ والله جعل لكم من أنفسكم أزواجاً ﴾(٢) وكقوله ﴿ اذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم ﴾ (٣) ، وقوله ﴿ لقد جاءكم رسول من أنفسكم ﴾ (٤) .

ويعلق الامام الرازى على هذا القول الثاني بأن هناك من قوى الرأى الأول عليه لكى يصح قوله تعالى ﴿ خلقكم من نفس واحدة ﴾ اذ لو كانت حواء مخلوقة ابتداء لكان الناس ــ مخلوقين من نفسين لا من نفس واحدة .

ويدافع الرازى عن قول أبى مسلم ويجيب على هذا الاعتراض بأن كلمة « من » لابتداء الغاية فلما كان ابتداء التخليق والايجاد وقع بآدم عليه السلام صح أن يقال خلقكم من نفس واحدة ، وأيضا فلما ثبت أنه تعالى قادر على خلق آدم من التراب كان قادراً أيضا على خلق حواء من التراب واذا كان الأمر كذلك فأى فائدة فى خلقها من ضلع آدم (٥) .

وقد فصّل الإمام الرازى الحديث فى هذا الموضوع عند تفسيره للآية الأخرى المذكورة فى سورة الأعراف فقال فى قوله تعالى ﴿ خلق منها زوجها ليسكن إليها ﴾ إنه تعالي لما كان قادراً على أن يخلق آدم ابتداء فما الذى دلنا على أن نقول

---

(١) راجع تفسير المنار مجلد ٢ جـ ٤ صـ ٢٧٠ ، د/ محمد البهى : تفسير سورة النساء صـ ١٢ نشر مكتبة وهبة القاهرة الطبعة الأولى ١٩٨٠ سيد قطب : الظلال جـ ٨ صـ ١٢٦٨

(٢) النحل : ٧٢ .   (٣) آل عمران : ١٦٤ .

(٤) التوبة : ١٢٨ . وقد أورد الشيخ رشيد رضا هذه الايات وأمثالها وعلق عليها فذكر أنه لا فرق بين عبارة الاية المذكورة فى أول سورة النساء وعبارة هذه الآيات فالمعني فى الجميع واحد ، ومن ثبت عنده أن حواء خلقت من ضلع آدم فهو غير ملجأ إلى إلصاق ذلك بالاية وجعله تفسيراً لها وإخراجها عن أسلوب أمثالها من الآيات راجع تفسير المنار جـ ٤ صـ ٣٣٠ نشر دار المعرفة بيروت.

(٥) التفسير الكبير جـ٩ صـ١٦١ .

انه تعالى خلق حواء من جزء من أجزاء آدم ؟

ولم لا نقول : انه تعالى خلق حواء أيضا ابتداء ؟

وأيضا الذى يقدر على خلق إنسان من عظم واحد فلم لا يقدر على خلقه ابتداء وأيضا الذى يقال : إن عدد أضلاع الجانب الأيسر أنقص من عدد أضلاع الجانب الأيمن فيه مؤاخذه تنبى عن خلاف الحس والتشريح ، وانتهى الإمام الرازى بعد كلام طويل إلى أن المراد من هذه الاية أنه سبحانه خلق من النوع الإنسانى زوجة آدم ، والمقصود التنبيه على أنه تعالى جعل زوج آدم إنسانا مثله (١) .

وجاء فى تفسير المنار أن قوله تعالى ﴿ **وجعل منها زوجها ليسكن إليها** ﴾ معناه جعل لها زوجا من جنسها فكانا زوجين ذكراً وأنثى كما قال تعالى ﴿ **يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى** ﴾ كما أنه خلق من كل جنس وكل نوع من الأحياء زوجين اثنين .

قال عز وجل ﴿ **ومن كل شئ خلقنا زوجين لعلكم تذكرون** ﴾ .

واننا نشاهد أن كل خلية من الخلايا التى ينمى بها الجسم الحى تنطوى على نُوَيّين ذكر وأنثى يقترنان فيولد بينهما خلية أخرى ، وهلم جراً (٢) .

ولذلك فإن الأستاذ سيد قطب يذكر أن الذى يمكن الجزم به هو فحسب أن الله خلق لآدم زوجاً من جنسه فصارا زوجين اثنين ، والسنة التى نعلمها عن كل خلق الله هى الزوجية ، فهى سنة جارية وهى قاعدة فى كل خلق الله أصيلة ، إذا سرنا مع هذه السنة فإن لنا أن نرجح أن خلق حواء تم على نفس الطريقة التى تم بها خلق آدم (٣) .

ويذكر الدكتور محمد البهى أن الأخذ بتفسير الأكثرين ربما يخل بهدف سورة

---

(١) التفسير الكبير جـ١٥ صـ٩٢ الطبعة الثالثة دار الفكر بيروت ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م راجع أيضا البحر المحيط لأبي حيان جـ٣ صـ١٥٤ دار الفكر الطبعة الثانية ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م .

(٢) الشيخ رشيد رضا تفسير المنار جـ٩ صـ٥١٧ دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت .

(٣) في ظلال القرآن جـ٨ صـ١٢٦٨ .

النساء فالسورة جاءت فى المقام الأول لتوضح أن المرأة ينبغى أن لاتستضعف وبالتالى ينبغى أن لايتعدى عليها بسلب حقوقها إذ أنها مساوية للذكر ـ وهو الذى يعتدى عليها ويستضعفها ـ فى الإعتبار البشرى .

فالقاعدة الأساسية التى تقيم عليها السورة ما يطلب فيها من أمر ونهى وبالأخص فيما يتعلق بوضع المرأة فى الأسرة والحياة الإجتماعية هى قاعدة المساواة فى الإعتبار البشرى وهذه القاعدة تستبعدها رواية التوراة فى خلق الأنثى من ضلع آدم (١) .

وعلى ذلك فمعنى قوله تعالى ﴿ وخلق منها زوجها ﴾ يظهر بطريق الاستخدام بحمل النفس على الجنس وإعادة الضمير عليه بمعنى أحد الزوجين أو بجعل العطف على محذوف يناسب ذلك كما قال الجمهور أى وحد تلك الحقيقة أولا ثم خلق لها زوجها من جنسها (٢) .

فالمراد بالنفس هنا الحقيقة أو الطبيعة البشرية ، ومن الطبيعة البشرية الواحدة التى لها خصائص الإنسان خلق الله زوجين : الذكر والأنثى فالأنثى مساوية فى الإعتبار البشرى للذكر والتفرقة بينهما بالذكورة والأنوثة لاتوجب التفرقة فى الإعتبار لكل منهما (٣) .

وتعبر آية أخرى فى سورة فاطر عن هذه المساواة بعبارة واضحة يقول الله تعالى ﴿ والله خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم جعلكم أزواجا . وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه ﴾ (٤) .

فالآية تذكر أن الأصل الأول فى خلق الإنسان ذكرا وأنثى هو التراب ثم النطفة بعده .

ومن هذه النطفة كانت الذكورة والأنوثة معا وبذلك كان الأصل أو الطبيعة الأولى للذكر والأنثى معا من الإنسان واحدة والنطفة ليست نطفة الرجل وحده ،

---

(١) د / محمد البهي : تفسير سورة النساء صـ١٢ .

(٢) تفسير المنار جـ٤ صـ٢٧١ .

(٣) تفسير سورة النساء للدكتور البهي صـ١١

(٤) فاطر : ١١

وإنما هى نطفة مختلطة ساهم فيها الذكر والأنثى على السواء : ﴿ **إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج** ﴾ (١) ، وهكذا دور الأنثى ودور الذكر سواء (٢) .

هذا بالإضافة إلى أن الله تعالى خاطب الناس فى عصر التنزيل بمثل ماحكاه لهم فى هذه الآية (٣) عن نشأة جنسهم فى كونه تعالى خلق لهم أزواجا من أنفسهم فقال ﴿ **ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة** ﴾ (٤) فهذا المعنى عام لا خاص بالإنسان الأول (٥) .

فإن معنى هذه الآية الأخيرة ـ كما يقول الشيخ محمد عبده ـ أن الله سبحانه خلق أزواجا من جنسنا ولا يصح أن يراد أنه خلق كل زوجة من بدن زوجها كما هو ظاهر (٦) .

قصة الخلق فى القرآن

وأخيرا فإنه لابد من الإشارة سريعا إلى قصة الخلق كما عرضها القرآن الكريم من منطلق هيمنته على ما لدى اليهود حيث لديه القول الفصل من لدن حكيم خبير .

والملاحظ أن القرآن الكريم يختلف عن العهد القديم من حيث إنه لايقدم رواية كاملة عن الخلق فبدلا من الرواية الواحدة المستمرة نجد فى أماكن متعددة من القرآن فقرات تذكر بعض جوانب الخلق وهى تشتمل على كثير أو قليل من التفصيلات حول أحداث الخلق .

ولكى تكون هناك فكرة واضحة عن الطريقة التى سيقت بها هذه الأحداث ،

---

(١) الإنسان : ٢ .

(٢) د / البهي : تفسير سورة النساء صـ١١ ـ ١٢ .

(٣) المقصود بالآية هنا آية افتتاح سورة النساء أو الآية في سورة الأعراف وهي قول الله تعالي ﴿ هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها ﴾ الأعراف : ١٨٩ .

(٤) الروم : ٢١ .

(٥) الشيخ رشيد رضا : تفسير المنار جـ٩ صـ٤٣٢ .

(٦) راجع تفسير المنار جـ١ صـ ٢٨٠ نشر دار المعرفة .

لابد من تجميع الفقرات المتناثرة فى عدد هام من السور القرآنية (١) .

وهناك أيضا بينهما اختلافات جلية فعلى سبيل المثال : تذكر رواية التوراة اليهودية دون أى غموض تمام الخلق فى ستة أيام يتبعها يوم الراحة وذلك بالتجانس مع أيام الأسبوع وسبق أن ذكرت أن هذه الطريقة فى السرد التى استخدمها كهنة القرن السادس ق . م تستجيب لنيات الحض على ممارسة السبت وأن كلمة يوم كما يفهم من التوراة اليهودية تعنى المسافة الزمنية بين إشراقين متوالين للشمس أو غروبين متوالين وذلك بالنسبة لسكان الأرض واليوم وقد تحدد بهذا المعنى يرتبط وظيفيا بدوران الأرض حول نفسها (٢) .

وواضح تماما ـ كما يقول موريس بوكاى ـ أن نتحدث عن « الأيام » بهذا المعنى الذى تحدد على حين أن العملية المركبة التى ستؤدى إلى ظهورها ، أى وجود الأرض ودورانها لم تكن قد انشئت بعد عند أولى مراحل الخلق وذلك بحسب رواية التوراة (٣) .

أما القرآن الكريم فقد ذكر فعلاً أن الله سبحانه خلق السماوات والأرض وما بينهما فى ستة أيام (٤) ، لكن لايفهم من ذلك ضرورة أن تكون أياما كأيامنا ذات صباح ومساء كما عرض سفر التكوين ، وخاصة أن الله سبحانه يبين لنا أن اليوم عنده كألف سنة مما يحسب البشر ﴿ **وإن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون** ﴾ (٥) .

---

(١) قام موريس بوكاي بتجميع الآيات الخاصة بالخلق في القرآن الكريم ودرسها دراسة تفصيلية.

راجع : دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة صـ١٥٧ ـ ٢٣٤ .

(٢) المصدر السابق صـ١٥٨ راجع أيضا النقد الموجه إلي روايتي الخلق في توراة اليهود في بداية هذا الفصل.

(٣) دراسة الكتب المقدسة صـ١٥٨ وسوف نبين بمشيئة الله في بحث مستقل وشامل مسألة هذه الأيام الست بين التوراة والقرآن الكريم والعلم الحديث .

(٤) يقول الله تعالي في سورة السجدة ﴿ الله الذي خلق السماوات والأرض ومابينهما في ستة أيام ثم استوي علي العرش ﴾ السجدة : ٤ ، وهناك آيات أخري كثيرة تشير إلي ذلك .

(٥) الحج : ٤٧ .

يذكر الحافظ ابن كثير أن الله سبحانه قد خلق العالم سماواته وأرضه ومابين ذلك فى ستة أيام كما أخبر بذلك فى غير ما آية من القرآن .

واختلفوا فى هذه الأيام هل كل يوم منها كهذه الأيام كما هو المتبادر إلى الأذهان أو كل يوم كألف سنة كما نص على ذلك مجاهد والإمام أحمد بن حنبل ويروى ذلك من رواية الضحاك عن ابن عباس (١) .

فلا يعقل أن تكون الأيام الستة من أيام أرضنا ، التى يحد ليل اليوم ونهاره منها بأربع وعشرين ساعة من الساعات المعروفة عندنا ، فإن هذه الأيام إنما وجدت بعد خلق هذه الأرض فكيف يكون أصل خلقها فى أيام منها (٢) .

يذكر الإمام ابن تيمية أن الله سبحانه خلق الليل والنهار تبعا للسماوات والأرض فإن الله إذا أطلع الشمس حصل النهار ، وإذا غابت حصل الليل ، فالنهار بظهورها والليل بغروبها(٣) .

فمن الممكن جدا أن تفسر الستة أيام على أنها ست مراحل أو ست فترات .

وقد تبه إلى ذلك الإمام الفخر الرازى فقال ﴿ فى ستة أيام ﴾ إشارة إلى ستة

---

(١) تفسير القرآن العظيم جـ٢ صـ٢٢٠ ويذكر الشيخ رشيد رضا أن كل ما روي في تحديد أيام الخلق بأيام الأسبوع عن الأخبار والآثار مأخوذة من الإسرائيليات لم يصح فيها حديث مرفوع ، وأما الحديث الذي رواه مسلم وأحمد عن أبي هريرة والذي يبين أن الخلق بدأ يوم السبت وانتهى يوم الجمعة وهو أقواها فهو مردود بمخالفة متنه لنص كتاب الله (تفسير المنار جـ٨ صـ٤٤٩) .
وقد بين شيخ الإسلام ابن تيمية أن هذا الحديث معلول قدح فيه أئمة الحديث كالبخاري وغيره .
(راجع تفصيل ذلك في مجموع الفتاوي جـ١٧ صـ٢٣٥ ـ ٢٣٧) .
وجاء في تفسير ابن كثير أن هذا الحديث قد رواه مسلم في صحيحه والنسائي من غير وجه عن حجاج وهو ابن محمد الأعور عن ابن جريج وفيه استيعاب الأيام السبعة والله تعالي قد قال في ستة أيام ولهذا تكلم البخاري وغير واحد من الحفاظ في هذا الحديث وجعلوه من رواية أبي هريرة عن كعب الأحبار ليس مرفوعا (جـ٢ صـ٢٢٠) ويذكر الألوسي أن هذا الحديث مخالف للقرآن فهو غير صحيح وإن رواه مسلم (روح المعاني جـ٨ صـ١٣٣) .
(٢) تفسير المنار جـ٨ صـ٤٤٥ .
(٣) مجموع الفتاوي جـ٦ صـ٥٩٧ جمع وترتيب عبد الرحمن بن قاسم وولده محمدطبع بأمر خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود .

أطوار والذى يدل عليه ويقرره هو أن المراد من الأيام لايمكن أن يكون هو المفهوم فى وضع اللغة لأن اليوم عبارة فى اللغة عن زمان مكث الشمس فوق الأرض من الطلوع إلى الغروب ، وقبل خلق السماوات لم يكن شمس ولاقمر لكن اليوم يطلق ويراد به الوقت (١) .

وبناء على ذلك فمن حقنا أن نفهم فيم يتعلق بخلق العالم المراد من قول الله تعالى أن الأيام فترات زمنية طويلة رقمها بالعدد « ٦ » ولاشك أن العلم الحديث لم يسمح للناس بتقرير أن عدد المراحل المختلفة للعمليات المعقدة التى أدت إلى تشكل العالم هو ست مراحل ولكنه قد أثبت بشكل قاطع أنها فترات زمنية طويلة جدا تتضاءل إلى جانبها الأيام كما نفهمها وتصبح شيئا تافها (٢) .

هذا ومن المؤكد أن ما جاء فى القرآن الكريم عن الخلق لايوجد بينه تعارض على حين ظهر بجلاء أن نص العهد القديم الذى نملك اليوم قد أعطى عن هذه الأحداث معلومات غير مقبولة من وجهة النظر العلمية ، وكيف لاندهش لذلك خاصة إذا علمنا أن النص الأكثر تفصيلية عن رواية الخلق فى التوراة قد كتبت بأقلام كهنة عصر النفى إلى بابل ،وقد كان لهؤلاء الكهنة الأهداف التشريعية التى أشرت إليها آنفا فاصطنعوا لتلك الأهداف رواية تتفق ونظراتهم اللاهوتية (٣) .

وإذا كانت رواية التوراة اليهودية قد أضافت إلى الرواية الأصلية عدة زخارف خيالية وبعض تفصيلات وهمية فإنه لابد من التأكد على الاختلاف العميق لتصريحات القرآن فى هذا الموضوع إذ أنها خالية تماما من التفاصيل الوهمية المصاحبة

---

(١) التفسير الكبير جـ٢٨ صـ١٨٣ ـ ١٨٤ .

(٢) دراسة الكتب المقدسة صـ١٦٠ .

(٣) دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة صـ١٧٢ ، يذكر موريس بوكاي أن هذا الإختلاف بين رواية التوراة والمعطيات القرآنية عن الخلق جدير بالتنويه أمام الإتهامات وكلها عفوية ـ التي اتهم بها سيدنا محمد صلي الله عليه وسلم منذ بدايات الإسلام والتي تقول بأن محمداً صلي الله عليه وسلم قد نقل روايات التوراة فيما يتعلق بموضوع الخلق فإن الإتهام لايتمتع بأي أساس ، كيف يمكن لإنسان منذ أربعة عشر قرنا تقريبا أن يصحح إلي هذا الحد الرواية الشائعة في ذلك العصر وذلك باستبعاد أخطاء علمية وبالتصريح وحده بمبادرته وحده بمعطيات أثبت العلم أخيرا صحتها في عصرنا ، ويري أن هذا فرض لايمكن الدفاع عنه صـ١٧٢ ـ ١٧٣ .

للمعتقدات الموجودة فى قصص الخلق البابلية واليهودية بل إن تصريحات القرآن على العكس مطبوعة بالإيجاز فى القول وبالإتفاق مع المعطيات الحديثة للعلم (١) .

فإذا كانت هذه هى الحقائق التى جاء بها القرآن ، ولأنه قد صرح بها منذ أكثر من أربعة عشر قرنا فلايمكن مطلقا إعطاء هذه الحقائق تفسيرا يشكك أدنى شك فى مصدرها من الوحى الإلهى .

ومن الجدير بالذكر أن موريس بوكاى قد ذكر هذا الكلام فى كتابه الآنف ذكره والذى ظهرت طبعته الأصلية الأولى باللغة الفرنسية سنة ١٩٧٦ م ثم نشر بعد ذلك بالانجليزية فى سنة ١٩٧٨ م ، وصدر فى الطبعتين بعنوان « القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم » .

ثم توسع فى دراسته لهذا الموضوع فى كتاب لاحق بعنوان « ما أصل الإنسان ؟ إجابات العلم والكتب المقدسة » (٢) .

أكد فيه على ما توصل إليه من قبل بشأن القرآن الكريم ، وانتهى إلى أنه بينما يختلف مفهوم خلق العالم فى القرآن الكريم عن الأفكار التى وردت فى التوراة ، إلا أن هذا المفهوم يتفق تماماً مع النظريات العامة الحديثة عن تكوين الكون ونشأته ، وأن هناك بسطاً للقضايا بما يتفق تماماً مع الآراء الحديثة بشأن حركات الأجرام السماوية وتطورها ، وأن القرآن الكريم يتميز بمعالم أصيلة تميزه عن التوراة حيث إنه يهدف إلى إيضاح التأكيدات المتكررة للقدرة الإلهية ، ويقدم لنا وصفا تفصيلياً عن طريقة تطور الظواهر الطبيعية وأسبابها وآثارها ، وفيما يتعلق بأصل الإنسان ونشأته فإنه يذكر أن ما جاء به القرآن الكريم بهذا الشأن يثير دهشة كثير من الناس لاريب ، فالتفضيلات التى أوردتها التوراة فى وصف الخلق ـ وهى غير مقبولة علمياً ـ لاوجود لها فى القرآن ، وإنما هو يحتوى ـ حقاً ـ على آيات بينات عن خلق الإنسان تدعو إلى العجب وإعمال العقل ويستحيل تفسير وجود هذه الآيات البينات بالمنطق البشرى ـ إذا وصعنا فى اعتبارنا مستوى المعارف التى كانت سائدة وقت نزول القرآن (٣) .

---

(١) المصدر السابق صـ١٧٣ .

(٢) ترجمة ونشر مكتب التربية العربى لدول الخليج الرياض ١٩٨٥ م / ١٤٠٦ هـ .

(٣) راجع المصدر السابق صـ٢٠ ـ ٢١ / ١٧٩ ـ ١٨٠ / ١٨٥ .

المبحث الثانى : مظاهر التأثر فى قصة الغواية أو « قصة آدم وحواء »[1]

لقد تبين لنا أن الرواية الثانية للخلق فى سفر التكوين تذكر أن الرب بعد أن جبل آدم ترابا من الأرض قام بغرس جنة فى عدن شرقا وأسكنه فيها ، وأنه أنبت من الأرض الأشجار الشهية للنظر والجيدة للأكل ووضع بجانب الأشجار فى الجنة شجرتين : شجرة الحياة فى وسطها وشجرة معرفة الخير والشر .

ورأينا كيف سمح الرب لآدم أن يأكل من كل الأشجار وحذره من أن يأكل من الشجرة الأخيرة وتوعده بالموت إن فعل ذلك .

وقد انتهت هذه الرواية للخلق بمسألة خلق حواء من ضلع آدم وبأنهما كانا يعيشان حياتهما فى الجنة فى سعادة وهناء[2] .

ويذكر فريزر أن الكاتب اليهودى قد صور عن طريق إلقاء قليل من الضوء ـ ولكن بريشة فنان ماهر ـ الحياة السعيدة التى عاشها الأبوان الأولان فى جنة السعادة التى خلقها الرب لهما ليسكنا فيها ، هناك نمت فى وفرة كل الأشجار التى تعطى الثمار الطيبة وتسعد العين بمرآها ، وهناك عاشت صنوف الحيوان فى وئام مع الإنسان ومع بعضها بعضا ، وهناك لم يكن الرجل والمرأة يعرفان الخجل ، لأنهما لم يكونا يعرفان العيب فقد كان هذا عصر البراءة[3] .

ولكن عصر البراءة هذا لم يستمر كثيراً وهذه الحياة السعيدة لم تدم طويلاً ، إذ سرعان ما غشى الغمام ضوء الشمس ، وينتقل كاتب سفر التكوين فجأة من قصة

---

(١) لقد آثرت أن أسميها قصة الغواية أو قصة آدم وحواء خلافا لما اشتهر من أنها قصة السقوط وإن كان هذا التعبير سيرد على ألسنة الباحثين كما سنرى .

(٢) راجع نص الرواية الثانية للخلق فى سفر التكوين ٢ : ٤ ـ ٢٥ .

(٣) الفولكلور فى العهد القديم (التوراة) الجزء الأول صـ١٠٥ ترجمة د / نبيلة إبراهيم دار المعارف بمصر ١٩٨٣ .

خلق حواء وتقديمـها لآدم ليحكى لنا قصة سقـوطهما (١) الحزينةوفقدانهما للبراءة ، وطردهمـا من جنة عدن ، ومـاقدر لهـما همـا ونسلهـما من بعـد من العمل والحـزن والموت ، ويصور جيمس فريزر ذلك فيقول :

« ففى وسط الجنـة نمت شجرة المعـرفة ، معرفة الخير والشر ، التى حرم الرب على آدم أن يأكل من فاكهتهـا قائلا « وأما شجرة معرفة الخـير والشر فلا تأكل منها ، لأنك يوم تأكل منها موتا تموت » (٢) .

ولكن الحية كـانت ماكرة ، كما كـانت المرأة ضعيفة ومن السـهل أن يغرر بها ، فذهبت الحية إلى حواء وأغرتها أن تأكل من الثـمار المشئومة ، وقدمت حواء بدورها الثمار لزوجهـا فأكلها كذلك ، وما كادا يتذوقـان الثمار حتى تفتحت عيـونهما على الحقيـقة وأدركا أنهمـا عريانان ، فستـرا عورتيهمـا ، وقد ملأهما الخـزى والارتباك ، بغطاء من أوراق التين ، وفى هذه اللحظة ولى عصر البراءة إلى غير رجعة .

وبعـد أن خفت وقـدة حر الظهـيرة ، وانتـشرت الظلال فى ربوع الجنـة ، أخذ الرب يتمشى كما كانت عادته (! !) ، وفى ساعة العصر الرطبة (٣) ، وسـمع الرجل والمرأة وقع خطواته (! !) وربما سـمعـا كذلك حفيف الأوراق وهى تتسـاقط تحت قـدميه (! !) (إذا كان يمكن لأوراق الشـجر فى الجنة أن تتسـاقط) فاختـبأ بين الأشجار ، ولما علم من الزوجين الخجولين أنهما عـصيا أمره وأكلا من شجرة المعرفة ثارت سـورة غضـبه ، ولعن الحـيـة ، وحكـم عليهـا بأن تزحف على بطنهـا وأن تأكل التـراب ، وأن تكون عدو الإنسـان إلى الأبد ، ولعن الأرض وقـضى عليهـا أن تنبت

---

(١) المقصود بسقوطهما أى وقوعهما فى الخطيئة وتعرف بقصة السقوط فى الاصطلاح المسيحى ويبدو أن هذا المصطلح لم يكن قد أطلق فى اليهودية قبل أن تـتبلور عقيـدة الخلاص المسيـحية وتعتـمد على خطيئة آدم .

(٢) تكوين ٢ : ١٧ .

(٣) هذا الوصف استمده جيمس فريزر من تعبير سفر التكوين نفسه فقد ورد فى النسخة الكاثوليكية « فـسمـعـا صوت الرب الإله وهو مـتـمشى فى الجنة عند نسـيم النهـار » تكوين ٣ : ٨ ، وفى النـسـخـة البروتستانتية « وسمعا صوت الرب الإله ماشيا فى الجنة عند هبوب ريح النهار » تكوين ٣ : ٨ .

الشوك والحسك ، ولعن المرأة وحكم عليها أن تلد أولادها فى ألم وأن تكون خاضعة لزوجها ، ولعن الرجل وقضى عليه ، أن يستخرج خبز يومه من الأرض بعرق جبينه ، وأن يعود فى نهاية حياته إلى التراب كما خلق من التراب .

وخفت سورة غضب الرب ! ! بعد أن نطق بهذه اللعنات المتعددة (! !) ، ومع ذلك فإن الرب الغاضب ، بل الرءوف بحق ، أشفق على المذنبين إلى حد ما وصنع لهما رداءين من الجلد ، ليرتدياهما بدلا من الغلالات المصنوعة من ورق التين .

أما آدم وحواء فقد انسحبا إلى الوراء من خلال الأشجار فى رداءيهما الجديدين والخزى يشيع فى وجهيهما ، فى حين كانت الشمس تختفى شيئاً فشيئا جهة الغرب والظلال تتراكم فى الجنة المفقودة (١) .

هكذا بكل ما فى هذه القصة من تصور شنيع لمقام الربوبية جل وعلا علواً كبيرا .

هذا هو ملخص قصة الغواية أو السقوط فى التصور اليهودى ويمكن لنا أن نناقشها فقرة فقرة كما وردت فى سفر التكوين :

الفقرة الأولى :

« وكانت الحية أحيل جميع حيوانات البرية التى عملها الرب الإله ، فقالت للمرأة أحقا قال الله لاتأكلا من كل شجر الجنة ، فقالت المرأة للحية من ثمر شجر الجنة نأكل ، وأما ثمر الشجرة التى فى وسط الجنة فقال الله لا تأكلا منه ولا تمساه لئلا تموتا فقالت الحية للمرأة لن تموتا ، بل الله عالم أنه يوم تأكلان منه تنفتح أعينكما وتكونان كالله عارفين الخير والشر ، فرأت المرأة أن الشجرة جيدة للأكل وأنها بهجة للعيون وأن الشجرة شهية للنظر فأخذت من ثمرها وأكلت وأعطت رجلها أيضا معها فأكل ، فانفتحت أعينهما وعلما أنهما عريانان ، فخاطا أوراق تين وصنعا لأنفسهما مآزر » (٢) .

---

(١) .جيمس فريزر : الفولكلور فى العهد القديم جـ١ صـ١٠٥ ـ ١٠٦ ، راجع أيضاتكوين ٣ : ١ ـ ٢٤ ، عصام الدين حفنى ناصف : اليهودية فى العقيدة والتاريخ صـ١٥٣ ـ ١٦٤ .

(٢) تكوين ٣ : ١ ـ ٧ .

ولعلنا لاحظنا من خلال عرض ملخص القصة ومس خلال نص الفقرة الدور الكبير والرئيسى الذى لعبته الحية فى إغواء حواء بالأكل من الشجرة فنريد أن نعرف ماهى الحية فى التصوير اليهودى أو كما وردت فى أسفار العهد القديم ؟ .

يذكر صاحب القاموس أن الحية هى حيوان يزحف على بطنه (١) لها رأس وذنب (٢) لكن ليس لها أطراف ، وتسمى اسما شاملا فى العبرية نحاش (٣) وإذ تتلوى فى سيرها يكون فمها معرضا للاحتكاك بالتراب الذى تلحسه (٤) ولدغة بعض أنواعهاتصب سما مميتا فى الجرح (٥) وبعضها يمكن أن يرقى (٦) وهى موجودة فى البرية وفى المناطق المأهولة وعلى الطرق وفى السياجات وعلى الصخور وفى الجدران (٧) .

والحيات المحرقة التى لدغت بنى إسرائيل فى البرية وسببت لهم الموت كانت نوعا من الحيات الموجودة فى الصحراء العربية وفى غيرها تحدث لدغته ألماً ناريا محرقا من الالتهاب والعطش (٨) .

وأما حية التجربة المذكورة فى قصة الإغواء فكانت ـ كما ورد فى القاموس ـ كحية عادية ولكنها كانت تفوق وحوش البرية فى المكر والدهاء ، وبعد ماتورطت فى تجربة الإنسان لعنت بين الوحوش (٩) .

فدور الحية كما هو وارد فى سفر التكوين واضح تماما فى إغواء حواء وإغرائها بالأكل من الشجرة المحرمة ولكن بعض المعاصرين حاولوا فى شرحهم لدور الحية فى إغواء حواء أن يفسروا قصتها بالرمزية والمجاز .

يتساءل جرهاردوس فوس قائلا : على أى وجه نفهم الدور الذى قامت به الحية فى السقوط ومدى اتصالها بالروح الشرير ، ويجيب بأن هناك أكثر من رأى لتفسير ذلك :

---

(١) تكوين ٣ : ١ ، ١٤ .
(٢) تكوين ٣ : ١٥ ، خروج ٤ : ٤ .
(٣) تكوين ٣ : ١٣ عدد ٢١ : ٩ .
(٤) ميخا ٧ : ١٧ وقارن تكوين ٣ : ١٤ .
(٥) عدد ٢١ : ٦ مزمور ٥٨ : ٤ أمثال ٢٣ : ٣٢ .
(٦) جامعة ١٠ : ١١ .
(٧) تكوين ٤٩ : ١٧ عدد ٢١ : ٦ أمثال ٣٠ : ١٩ جامعة ١٠ : ٨ عاموس ٥ : ١٩ .
(٨) عدد ٢١ : ٦ تثنية ٨ : ١٥ .
(٩) تكوين ٣ : ١ ، ١٤ راجع قاموس الكتاب المقدس صـ٣٣٢ ـ ٣٣٣ .

أما الرأى العصرى الذى يبغض الاعتراف بصحة الكتاب المقدس فهو يرى أن القصة كلها مجرد قطعة رمزية لم يقصد الكاتب منها وصف حادثة واحدة محددة بل محاولات مستمرة للخطية للدخول إلى قلب الإنسان وهكذا تكون الحية رمزاً ومجازاً مثل بقية القصة .

ويذكر أن هذا الرأى يتنافى مع هدف القصة الواضح فى سفر التكوين والتى تتحدث عن حية فعلية يقارن بينها وبين جميع الحيوانات التى خلقها الله فإن كانت الحيوانات الأخرى حقيقية فلا بد أن تكون الحية حية حقيقية وليست شيئا آخر ويستشهد بما ورد فى العدد ١٤ من سفر التكوين من أن العقاب ينطق به بعبارات تستلزم وجود حية حقيقية (١) .

هذا وقد أشار فوس إلى أكثر من رأى واختار الرأى التقليدى القديم الذى يسلم بوجود حية حقيقية وقوة شيطانية استخدمت هذه الحية مطية لتنفيذ مخططها ، ويرى أن هذا ليس أمراً مستحيلا لكنه يعترف بأن العهد القديم لم يتعرض لهذا الموضوع ويحاول الدفاع عن رأيه ولكننا نضرب صفحا عن هذا الرأى وذلك الاتجاه فهو اتجاه مسيحى فى تفسير إغواء الحية لآدم لم يكن موجودا قبل المسيحية فى اليهودية (٢) .

وهكذا فهناك حية حقيقية فى التصور اليهودى قامت بإغواء وإغراء حواء بالأكل من الشجرة المحرمة .

وإذا ماأردنا مناقشة نص هذه الفقرة الأولى من الاصحاح الثالث فإننا نتساءل مع الشيخ علاء الدين الباجى :

« كيف يحسن أن يقال : فقالت الحية للمرأة : ليس موتا تموتان ، ولكن الله يعلم أنكما يوم تأكلان منها تنفتح أعينكما وتكونان كالآلهة تعلمان الخير والشر » (٣) .

---

(١) علم اللاهوت الكتابى : الإعلان الإلهى فى العهد القديم والجديد صـ٥٩ ترجمة د / عزت زكى دار الثقافة القاهرة الطبعة الأولى ١٩٨٢ م .

(٢) راجع هذا الاتجاه المسيحى فى المصدر السابق صـ ٥٩ ـ ٦١ وقد قام الأخ الزميل الدكتور أحمد عجيبة بعرض قصة السقوط من وجهة نظر المسيحية وانبرى فى ابطالها فى رسالة الماجستير التى قدمها إلى كلية أصول الدين بطنطا بعنوان « الخلاص المسيحى ونظرة الإسلام إليه » ١٩٨٥ م .

(٣) تكوين ٣ : ٤ ـ ٥ .

أفكانت الحية التي هي من وحوش الأرض أعقل من آدم وحواء ، وأفهم منهما وأعلم بحقائق الأمور ، وبمراد الله تعالي منهما ، ومع تمام علم آدم ، كما تقدم قبل هذا في قوله « وخلق الله كل وحش الأرض وكل طير السماء ، وأتى بهم إلى آدم لينظر مايسميهم وكل اسم أسماهم به آدم ولقب به نفسا حية فهو اسمها » (١) .

فأين هذا من ذاك ؟

فإن قيل : لعل الحية تكلمت بهذا عن جهل وادعاء للمعرفة ، قلت تمام الكلام يؤكد أن هذا عن علم منها ، وجهل من آدم وحواء ، وهو قوله : « وأعطت لبعلها أيضا معها فأكل ، فانفتحت أعينهما الاثنان ، وعلما بأنهما عريانان » (٢) .

وأيضا : فكيف يحسن أن يقال : « كالآلهة ولم يعرف يومئذ إلا إله واحد ، ولم يوجد إلى الآن كفر ولا شرك ولا تكثر في المعبود .

وأيضا : فكيف يحسن أن يقال : « وتكونان كالآلهة » ، تعلمان الخير والشر » أفكان آدم وحواء جاهلين ، لايعلمان الخير والشر ، مع تمام علم آدم كما تقدم ؟ .

ولو كانت الحية التي لم تأكل منها جاهلة بالخير والشر ، وهذا كلامهما ، وهذا علمهما كما تقدم :

فإن قيل : لعلها تكلمت بهذا لتعليم إبليس إياها ، ولأن إبليس من بين أنيابها تكلم به .

قلنا : هذان : كلاهما خلاف ظاهر لفظ التوراة ، على أن نقول : كيف يصح تكلم الحية وليست ناطقة ؟ (٣) .

ثم إنه كيف يحسن أيضا أن يقال : « ورأت المرأة أن الشجرة طيبة المأكل » (٤) « مع أنها لم تأكل منها إلى الآن ولم تعرف طعمها ، ولا أنها طيبة أم لا ؟ (٥) .

ويواصل الشيخ الباجي نقده الموضوعي في تلك النقطة فيكشف عن مدى التناقض الذي وقع فيه كاتب القصة في تحليل رائع ومحاجة بالغة « كيف يحسن أن يقال : « فانفتحت أعينهما الاثنان ، وعلما بأنهما عريانان » أفكانا أعميين قبل الأكل

---

(١) تكوين ٢ : ١٩ . (٢) تكوين ٣ : ٦ ـ ٧ (٣) على التوراة صـ٣٢ .

(٤) تكوين ٣ : ٦ . (٥) المصدر السابق .

أو منطبقى الأعين ؟ مع قوله قبل هذا « ورأت المرأة أن الشجرة طيبة الأكل ، شهية لنظر العين وحسنة المنظر » (١) .

فأين هذا من ذاك ؟ .

أم كانا جاهلين بأنهما عريانان مع تمام علم آدم كما تقدم ؟ .

فأين هذا الجهل التام مع ذلك العلم التام ؟ .

فإن قيل : لعل المراد انفتاح أعين البصيرة ، لا عين البصر ؟ .

قلت : هذا تأويل مخالف للظاهر ، مع أنه لايصح ، لأن العاصى لايناسبه أن يترتب على معصيته ، انفتاح بصيرته ، بل المناسب أن تعمى بصيرته (٢) .

وأهم مايؤخذ على هذه الفقرة أن الحية ـ حسب زعمهم ـ قد كذبت الرب وبينت لحواء وآدم أنهما لن يموتا وأن الرب قال لهما ستموتان حينما تأكلان من شجرة المعرفة ، وهو غير صحيح ، وذكرت لهما أن الرب يعلم أنهما لو أكلا منها ستنفتح أعينهما ويكونان كالله عارفين الخير والشر ولذلك فإنه خوفكما وكذب عليكما ، والعجيب أن الفقرة القادمة قد أثبتت نصوصها ـ ادعاء ـ صدق كلام الحية وكذب الرب ـ تعالى عما يقولون ـ فهما لما يموتا بعد أن أكلا من الشجرة وفى الفقرة الثالثة يظهر كاتب السفر الرب فى صورة الخائف ـ تعالى عما يقولون ـ من معرفة آدم وحواء وأنه فعلا كان يقصد خداعهما .

وهذا ماسيتبين لنا فى هاتين الفقرتين :

الفقرة الثانية :

« وسمعا صوت الرب الإله ماشيا فى الجنة عند هبوب ريح النهار فاختبأ آدم وامرأته من وجه الرب الإله فى وسط شجر الجنة ، فنادى الرب الإله آدم وقال له أين أنت ، فقال سمعت صوتك فى الجنة فخشيت لأنى عريان فاختبأت ، فقال منْ أعلمك أنك عريان ، هل أكلت من الشجرة التى أوصيتك أن لا تأكل منها فقال آدم المرأة التى جعلتها معى هى أعطتنى من الشجرة فأكلت ، فقال الرب الإله للمرأة ما

(١) على التوراة صـ ٣٢ ـ ٣٣.

(٢) المصدر السابق صـ٣٣ .

هذا الذى فعلت ، فقالت المرأة : الحية غرتنى فأكلت فقال الرب الإله للحية لأنك فعلت هذا ملعونة أنت من جميع البهائم ومن جميع وحوش البرية ، على بطنك تسعين وترابا تأكلين كل أيام حياتك وأضع عداوة بينك وبين المرأة وبين نسلك ونسلها هو يسحق رأسك وأنت تسحقين عقبه ، وقال يسود عليك ، وقال للمرأة تكثيراً أكثر أتعاب حبلك ، بالوجع تلدين أولادا ، وإلى رجلك يكون اشتياقك وهو يسود عليك وقال لآدم لأنك سمعت لقول امرأتك وأكلت من الشجرة التى أوصيتك قائلا لا تأكل منها ملعونة الأرض بسببك بالتعب تأكل منها خبزا حتى تعود إلى الأرض التى أخذت منها لأنك تراب وإلى تراب تعود .

ودعا آدم اسم امرأته حواء لأنها أم كل حى ، وصنع الرب الإله لآدم وامرأته أقمصة من جلد وألبسهما » (١) .

وهذه الفقرة كما نرى تتحدث عن ثلاثة أمور :

الأمر الأول : اكتشاف الرب للأكل من الشجرة .

الأمر الثانى : معاتبة الرب لآدم وحواء وتنصل كل منهما من التهمة .

الأمر الثالث : اصدار العقوبات على كل من الحية والمرأة والرجل .

ففيما يتعلق بالأمر الأول : فإن الشيخ علاء الدين الباجى يتساءل : كيف يحسن أن يقال « وسمعا صوت الرب الإله ماشيا فى الفردوس عند المساء ، فاختفى آدم وزوجته من وجه الرب الإله فى وسط شجر الفردوس » (٢) مع أن الرب سبحانه وتعالى منزه عن الصوت ، ماشيا .

وأيضاً : فإن آدم أتم علما من أن يتوهم أنه يمكنه أن يختفى من الرب ـ سبحانه ـ فى شجر الفردوس ، وهذان السؤالان واردان بعينهما على قوله بعد هذا « فقال : سمعت صوتك ماشيا فى الفردوس ، فخفت لأنى عريان فاختفيت » (٣) .

ثم إنه كيف يحسن أن يقال : « ودعا الرب الإله آدم ، وقال له : آدم ، أين أنت ؟ (٤) .

---

(١) تكوين ٣ : ٨ ـ ٢١ . (٢) تكوين ٣ : ٨ .

(٣) تكوين ٣ : ١٠ . (٤) تكوين ٣ : ٩ .

مع أن الله تعالى لايخفى عليه آدم ولامكانه (١) .

وأيضا كيف يحسن أن يقال : فقال له : من عرفك أنك عريان ؟ (٢) .

أكان آدم محتاجا فى معرفة نفسه أنه عريان ، إلى من يعرفه بذلك ؟ .

ما على هذا فى الجهالة مزيد ، ولايتوهم فى حق آدم مثل هذا ، بل ولا فى حق أجهل آحادنا نحن (٣) .

وكتبة التوراة فى هذا الأمر إنما صوروا الإله بصورة البشرية حيث نسبوا إليه المشى والتنزه فى الجنة وقت المساء ، وأنه اكتشف خطيئة آدم مصادفة ، ثم إن اختباء آدم منه وسؤال الله له أين أنت كل هذا يعكس تصور اليهود فى نظرتهم للذات الالهية مما يعنى أن أقلام الكتبة وأهواءهم كانت لها دور كبير فى صياغة القصة ، وأنها متأثرة فى ذلك بالأديان الوثنية .

وفيما يتعلق بالأمر الثانى فإن كاتب السفر يذكر أن الرب عاتب آدم على أكله من الشجرة فإذا بآدم يهرب من هذا العتاب ويلقى بالتهمة على كاهل حواء بل إنه يتحدث عنها فى احتقار وتجاهل « المرأة التى جعلتها معى هى أعطتنى من الشجرة فأكلت » .

وهنا يقول الشيخ الباجى « كيف يحسن أن يقال إن آدم اعتذر عن معاتبة الله إياه فى أكل الشجرة المنهى عن أكلها فى قوله « هل أكلت من الشجرة التى نهيتك عنها بقوله « إن المرأة التى جعلت معى هى أعطتنى من الشجرة فأكلت » .

وكيف يليق بآدم أن يعتذر عن معصية الله بأن المرأة أعطته فأكل (٤) .

وحينما توجه الرب لمعاينة حواء ألقت بالتهمة على الحية وأنها هى التى غرتها وزينت لها الأكل من الشجرة (٥) .

وأما فيما يتعلق بالأمر الثالث (العقوبات التى أصدرها الرب على كل من الحية والمرأة والرجل) .

فبالنسبة لعقوبة الحية فإن الرب أصدرها بعد أن صرفت المرأة التهمة عن نفسها

---

(١) على التوراة صـ٣٣ . (٢) تكوين ٣ : ١١ . (٣) على التوراة صـ٣٣ ـ ٣٤ .
(٤) تكوين ٣ : ١٢ . (٥) على التوراة صـ٣٤ .

وحولتها إلى الحية فقال لها الرب « لأنك فعلت ملعونة أنت من جميع وحوش البرية على بطنك تسعين وترابا تأكلين كل أيام حياتك وأضع عداوة بينك وبين المرأة وبين نسلك ونسلها هو يسحق رأسك وأنت تسحقين عقبه (١) .

ويفهم من ذلك :

١ ـ أن الحيات كانت قبل أن تجترم إحداها هذا الذنب تمشى فى الجنة منتصبة .

٢ ـ وأنها كانت تتغذى بغذاء كالذى يتغذى به غيرها من ضروب الحيوان .

٣ ـ وأنها غدت الآن تستف التراب .

٤ ـ وأن التراب وهو خليط من مواد غير عضوية يصلح أن يتخذ غذاء للحيوان يتمثله الجسم الحيوانى (٢) .

وبالنسبة لعقوبة المرأة أو حواء :

فإن الرب قد حكم بها عليها دون أن يهتم بمحاولتها صرف التهمة عن نفسها :

« وقال للمرأة تكثيرا أكثر أتعاب حبلك ، بالوجع تلدين أولاداً وإلى رجلك يكون اشتياقك وهو يسود عليك » (٣) .

يقول عصام الدين حفنى ناصف « فأما أوجاع الحمل والولادة فهى من معقبات المدنية والترف ويزداد شعور الناس بها على قدر ازدياد حظهم من رفاهية العيش ورفاهية الشعور على حين لايشعر بها المتوحشون إلا هوناً ما .

ويلاحظ مثل هذا التباين بين الحيوانات المتوحشة والمستأنسة أما سيادة الذكر على الأنثى فهو القانون السارى فى عالم الحيوان باستثناء أنواع قليلة مثل النحل (٤) .

وأما بالنسبة لعقوبة آدم فقد حكم بها الرب عليه لأنه سمع لقول امرأته وأكل من الشجرة تحت اغرائها :

« ملعونة الأرض بسببك ، بالتعب تأكل منها كل أيام حياتك وشوكا وحسكا

---

(١) تكوين ٣ : ١٣ .

(٢) عصام الدين حفنى ناصف : اليهودية فى العقيدة والتاريخ صـ١٦٠ ـ ١٦١ .

(٣) تكوين ٣ : ١٦ . (٤) اليهودية فى العقيدة والتاريخ صـ١٦٢ .

تنبت لك وتأكل عشب الحقل بعرق وجهك تأكل خبزاً حتى تعود إلى الأرض التى أخذت منها لأنك تراب وإلى تراب تعود (١) .

وهكذا أصبح الجنس البشرى كله آثماً بإثم آدم وحواء وحقت عليه كل اللعنة من أجل ثمرة واحدة من ثمار الفاكهة أكلت وكان أكلاهما على غير خبر بالخير والشر فإلى فضولهما مرد الخطيئة الأولى فى العالم حيث أسست المسيحية كلها على هذه الحكاية ففى إنكارها إنكار للمسيحية من ألفها إلى يائها (٢) .

والحقيقة أن إغواء الحية لحواء وإغراء حواء لآدم وسقوطهما معا فى الخطيئة حسبما ورد فى سفر التكوين كل ذلك يصور أفكارا قديمة كانت شائعة بين شعوب العالم القديم ولاتزال تجد لها صدى حتى الآن فى الأوساط الثقافية والشعبية حيث يعتقد أن المرأة هى أساس الشر والبلاء ومنبع الرجس والنجاسة وأنها استجابت لإغراء الحية المزعومة فتسببت فى طرد آدم من الجنة وفى محنة الجنس البشرى وأحزانه .

ولكن قبل أن نبين مصدر هذا الاعتقاد من الأديان الوثنية ينبغى أن ننتهى من الفقرة الثالثة والأخيرة فى قصة الغواية والتى تتحدث عن مخاوف الرب من أكل آدم من شجرة الحياة بعد أن أكل من شجرة المعرفة فقام بطرده من الجنة .

الفقرة الثالثة والأخيرة :

« وقال الرب الإله هوذا الإنسان قد صار كواحد منا عارفا الخير والشر والآن لعله يمد يده ويأخذ من شجرة الحياة أيضا ويأكل ويحيا إلى الأبد فأخرجه الرب الإله من جنة عدن ليعمل الأرض التى أخذ منها ، فطرد الإنسان وأقام شرقى جنة عدن الكروبيم ولهيب سيف متقلب لحراسة طريق شجرة الحياة (٣) .

يقول الإمام ابن حزم : « حكايتهم عن الله تعالى أنه قال هذا آدم قد صار كواحد منا مصيبة من مصائب الدهر ، وموجب ضرورة أنهم آلهة أكثر من واحد ولقد أدى

---

(١) تكوين ٣ : ١٧ ـ ١٩ .

(٢)عصام الدين حفنى ناصف : المصدر السابق صـ١٦٣ ، ولمزيد من التفاصيل عن أهمية وخطورة عقيدة الخلاص فى المسيحية راجع رسالة الخلاص المسيحى ونظرة الإسلام إليه المشار إليها سابقا .

(٣) تكوين ٣ : ٢٢ ـ ٢٤ .

هذا القول الخبيث المفترى كثيراً من خواص اليهود إلى الاعتقاد أن الذى خلق آدم لم يكن إلا خلقاً خلقه الله تعالى قبل آدم وأكل من الشجرة التى أكل منها آدم فعرف الخير والشر ثم أكل من شجرة الحياة فصار إلهاً من جملة الآلهة ، نعوذ بالله من هذا الكفر الأحمق ، ونحمده إذ هدانا للملة الزهراء الواضحة التى تشهد سلامتها من كل دخل بأنها من عند الله تعالى » (١) .

وينقد الشيخ الباجى هذه الفقرة من ثلاثة أوجه :

أحدها : كيف يحسن أن يقال : « وقال الرب الإله : إن آدم قد صار كواحد منا يعلم الخير والشر (٢) ؟ أيتوهم عاقل أن الالهية تكتسب فضلا عن أنها تكتسب بالأكل ؟ وأيضا : فإن قوله : « كواحد منا » يدل على تكثر الرب سبحانه .

وثانيها : كيف يحسن أن يقال عقب هذا : « عساه الآن يقدم يده ، فيأخذ من شجرة الحياة ، فيأكل منها ، فيحى إلى الدهر » فإن ظاهره أن الحياة والموت ليسا بيد الله وقدرته ، بل بسبب بعض المأكولات وأن الله خشى من حياته الأبدية ، بسبب أكل الشجرة ، فأخرجه من الفردوس ، ولو كان أكل الشجرة الأولى موجبا لعلم الخير ، وأكل الثانية موجبا للحياة الأبدية ، كما هو ظاهر اللفظ ، لكان آدم عقيب أكل الشجرة الأولى ، أكل من الشجرة الثانية ضرورة من غير تأخير ، إذ قد علم الخير والشر ، فيعلم أن هذا خير فلا يمكنه الصبر عنه أصلا .

وأيضا فإن لفظ « عسى » لتوقع مايشتهيه المتكلم فلا يناسب هذا المحل بل المناسب لفظ « أخشى » (٣) .

وثالثها : كيف يحسن أن يقال « وأمر الكروبيم » (٤) ولهيب النار المتقلبة ليحفظ

---

(١) الفصل فى الملل والأهواء والنحل جـ١ صـ٩٧ مكتبة السلام العالمية القاهرة .

(٢) تكوين ٣ : ٢٢ .   (٣) على التوراة صـ٣٤ .

(٤) ورد فى قاموس الكتاب المقدس أن : الكروبيم هم ملائكة يرسلون من قبل الله أو يقيمون فى حضرته تعالى أقامهم الله على أبواب جنة عدن عندما طرد آدم وحواء منها ويقال عنهم إنهم ذوو جناحين أما أشباههم فكانت من ذهب وأوقفت على غطاء تابوت العهد وكان جناحا الكروبيم يظللان التابوت (راجع مزيداً من التفاصيل صـ٧٧٩) .

ويذكر الدكتور السيد بكر أن الأثر البابلى ظاهر فى صورة الكروبيم وهى تحرس شجرة الحياة فالفن البابلى حافل بصورة الشجرة المقدسة والكائنات الجنية التى تحرسها .

(راجع تفاصيل ذلك : هوامش موسكاتى صـ٣٠١ ـ ٣٠٤) .

طريق شجرة الحياة (١) عقيب قوله : « فأخرجه الرب الإله من فردوس النعيم ليعمل فى الأرض » (٢) .

فإن آدم فى الأرض ، خارج الفردوس ، فكيف يمكنه الدخول إلى الفردوس بغير إذن الله ، حتى يحتاج إلى حفظ طريق الشجرة وهى داخل الفردوس ؟ .

وأيضا : فلو كان دخول الفردوس بغير إذن الله ممكنا لدخله الآن كل واحد منا أو بعضنا ، ولكان المناسب له أن يقال : ليحفظ دار الفردوس ، التى هى دار النعيم ، لئلا يدخلها آدم العاصى بعد إخراجه منها سواء أكل من الشجرة أم لا .

وأيضا : فتخصيص لفظ : الإخراج ، بإخراجه من الفردوس ، التى هى فى وسط الجنة كما تقدم ـ ما وجهه ؟ مع أنه أخرج من الجنة مطلقا إلى الأرض ، ولم يقل : فأخرجه من الجنة ؟ (٣) .

وإذا كانت نصوص هذه الفقرة بهذا الشكل من الضعف فإن ماتوحى به من تصور اليهود فى شأن الإله يجعل القصة أشد بعدا عن التصور السماوى للأحداث .

فالقصة بهذا النص تصور لنا أن الرب قد طرد آدم وحواء لا لمجرد مخالفتهما للمحظور الذى حذرهما منه الرب ، ولكن لأنهما سلباه صفة كان يود أن يستبقيها لنفسه دون البشر وهى معرفة الخير والشر ، ومن ثم فقد أسرع الرب فى طردهما من الجنة قبل أن يتمكنا من أن يسلباه صفات الهية أخرى وبصفة خاصة صفة الخلود ، وذلك إذا ماتهورا وأكلا من الشجرة الثانية وهى شجرة الحياة ، بل إن الرب ظل يخشى من أن يسطو الإنسان على شجرة الخلد خلسة ولذلك فقد جعل « لهيب سيف متقلبة لحراسة طريق شجرة الحياة » (٤) .

يذكر الأستاذ سيد قطب أن الأساطير الإغريقية واليهودية قد تركت تصوراً قبيحاً تافها للعلاقة بين الإله والإنسان فى أذهان الأوربيين ظل يسيطر على تصوراتهم حتى بعدما دخلوا فى المسيحية .

ثم يشير إلى الأسطورة الإغريقية التى تصور كبير الآلهة « زيوس » غاضبا على الإله « برومثيوس » لأنه سرق النار المقدسة « سر المعرفة » وأعطاه للإنسان ، من وراء

---

(١) تكوين ٣ : ٢٤ .
(٢) تكوين ٣ : ٢٣ .
(٣) على التوراة صـ٣٤ ـ ٣٥ .
(٤) تكوين ٣ : ٢٤ .

ظهر كبير الآلهة ، الذى لم يكن يريد للإنسان أن يعرف ، لئلا يرتفع مقامه فيهبط مقام كبير الآلهة ويهبط معه مقام « الآلهة » ومن ثم أسلمه إلى أفظع انتقام وحشى رهيب ! (١) .

وكذلك الأسطورة اليهودية التى تصور الإله ـ سبحانه ـ خائفاً من أن يأكل الإنسان من شجرة الحياة ـ بعد ما أكل من شجرة المعرفة ـ فيصبح كواحد من الآلهة ! ومن ثم يطرد الإنسان من الجنة ، ويقيم دونه ودون شجرة الحياة حراساً شداداً ولهيب سيف متقلب ! (٢) .

يذكر جيمس فريزر أن شجرة الحياة كانت تقف مع شجرة المعرفة جنبا إلى جنب وسط الجنة ومع ذلك فإن هذه الشجرة الرائعة لا تلعب أى دور فى قصة السقوط الحقيقية ، فعلى الرغم من أن ثمارها كانت تتدلى منها يانعة القطوف ، وعلى الرغم من أنه لم يكن يحول بين الإنسان وبين هذه الثمار أى تحريم إلهى ، على عكس ما حدث مع شجرة المعرفة فإن أحدا من الأبوين لم يفكر فى قيمة تناول شىء من فاكهتها اللذيذة فيعيش إلى الأبد .

ولكن يبدو أن شخوص المأساة الكبيرة وقد تركزت أبصارهم حول شجرة المعرفة ، لم يبصروا شجرة الحياة ، بل إن الرب نفسه لم يتذكر هذه الشجرة (٣) العجيبة ـ تعالى عما يقولون ـ التى تقف بإمكانياتها غير المحدودة مهملة وسط الجنة ، إلا بعد أن قضى الأمر وانتهى كل شىء .

وقد خشى الرب ـ تعالى عما يقولون ـ بعد أن أصبح الإنسان صنوه فى المعرفة عندما أكل من ثمار شجرة المعرفة ، أن يصبح لذلك خالدا مثله إذا ما أكل من شجرة الحياة ولذلك فقد أسرع بطرده من الجنة ، وعين فريقا من الملائكة الذين يحملون سيوفا لامعة لتحرس الشجرة من كل من يقترب منها حتى لا يتسنى لأحد أن يأكل

---

(١) راجع تفاصيل هذه الأسطورة فى كتاب الأستاذ عباس محمود العقاد : حقائق الإسلام وأباطيل خصومه صـ ٤٠ ـ ٤١ الطبعة الأولى للمؤتمر الإسلامى ١٣٧٦ هـ / ١٩٥٧ م .

(٢) خصائص التصور الإسلامى ومقوماته صـ ١٣٣ ـ ١٣٤ الطبعة الحادية عشرة ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٩ م دار الشروق القاهرة / بيروت .

(٣) يعبر فريزر بهذا بناء على ماانطبع فى ذهنه بعد قراءة النص التوراتى .

من فاكهتها السحرية فيعيش إلى الأبد » (١) .

ولكن ما المراد بالشجرتين المذكورتين : شجرة الحياة وشجرة المعرفة ؟ .

أما فيما يتعلق بشجرة الحياة فهى كما يقول صاحب القاموس : شجرة وسط الجنة ثمرها يمنح الإنسان حياة خالدة ، وعندما أخطأ آدم وحواء طردهما السيد من الجنة لئلا يأكلا من شجرة الحياة ويعيشا إلى الأبد ، ولو كانا يعيشان إلى الأبد بخطيئتهما لصار العالم جميعا مقيما لذلك دبر الله طريقا آخر لإعادة الإنسان إلى الحياة ، ويذكر أنه سرعان ماصار التعبير « شجرة الحياة » تعبيرا شعريا استخدمه كاتب الأمثال إشارة إلى مصادر البركة العظيمة فى حياة الإنسان (٢) .

وأما شجرة المعرفة فلسنا ندرى ـ فيما يقول عصام حفنى ناصف ـ ما هى هذه الشجرة ذات القوى السحرية ؟ ولم نهى عن الآكل من ثمرها وعد تمييز الإنسان بين الخير والشر عملا عدائيا نحوه .

ويواصل عصام الدين حفنى ناصف تعجبه فيقول « إن تمييز الإنسان بين الخير والشر هو بدء إدراكه الخلقى ومستهل مقدرته على توحيد مصيره وهو ارتقاء لا انحطاط فلم يترتب على أكل الإنسان منها اقصاءوه من الجنة ؟ (٣) .

ويذكر جرهاردوس فوس أن شجرة معرفة الخير والشر أكثر غموضا من شجرة الحياة لذلك تضاربت حولها الآراء .

---

(١) راجع الفولكلور فى العهد القديم جـ١ صـ١٠ ، ١٠٦ ، ١٠٧ ، ويصور عصام الدين حفنى هذا الموقف بقوله « وخشى يهوه أن يعود آدم إلى الجنة ويأكل من ثمار شجرة الحياة فيخلد ، فأقام على باب الجنة سرية من الملائكة يذودون عنه ذلك المتطفل إن طوعت له نفسه أن يرجع ، ونصب عند الباب سيفا ينفث نارا ولا ينى يضرب فى الهواء عن اليمين وعن الشمال ويغير اتجاهاته من تلقاء نفسه ليقطع خط الرجعة على آدم إذ كان من الجنة غير بعيد (اليهودية فى العقيدة والتاريخ صـ١٦٣) .

(٢) قاموس صـ٥٠٧ وقد لاحظنا أن صاحب القاموس لم يستطع أن يضيف تفسيراً فاكتفى بأن تحدث عنها كما نص عليها سفر التكوين .

(٣) اليهودية فى العقيدة والتاريخ صـ١٥٤ .

فهناك التفسير الأسطورى الميثولوجى الذى ينادى بأن حكاية شجرة المعرفة جزء من الأساطير الوثنية أدخل فى نص الكتاب وأن الفكرة فكرة وثنية فالآلهة ـ فى العقائد الوثنية ـ تغار من الإنسان لئلا يحصل على شىء هو امتياز قاصر على الآلهة والحصول على هذا الشىء يرتبط بالأكل من الثمار ولذلك فهى تحرص كل الحرص على أن لا يأكل الإنسان من ثمار الجنة ، أى أن منع الأكل كان هدفه هو حرمان الإنسان من معرفة الخير والشر التى هى وقف على الآلهة فحسب .

أما مفهوم ومحتوى هذه المعرفة ومداها فتتضارب الآراء فيه وبحسب أحد هذه الأساطير كانت هذه المعرفة ترتبط بارتقاء الإنسان وتطوره من حلته الحيوانية إلى المستوى الإنسانى العاقل ، لقد كانت الآلهة ترغب فى بقائه فى مرتبة الحيوان ولذلك نهته عن الأكل من الثمرة التى تمنحه الفهم والإدراك (١) .

وفى رأى آخر تضع الأسطورة الإنسان فى مكانة أسمى فقد كان له الفهم منذ البداية ولكنه يحيا حياة بربرية بدون أية ثقافة .

ولقد شاءت الآلهة أن يبقى فى مستواه الهمجى ، بعيداً عن الإرتقاء فى سلم الحضارة التى هى وقف على الآلهة وإننا لنجد هنا نفس الفكرة : خوف الآلهة من الإنسان ورغبتها فى بقائه على ما كان عليه والاختلاف هو فى التفسيرات المختلفة للمقصود من معرفة الخير والشر (٢) .

والحقيقة أنه بالرغم من رفضنا كمسلمين مثل هذه التفسيرات حيث إن القرآن الكريم قد عرض قصة آدم وحواء عرضا سماويا وصافيا نقيا بعيدا عن الشوائب والأوشاب (٣) إلا إننى أجد العذر لأصحاب هذه التفسيرات بعد أن يطلعوا على قصة الغواية فى سفر التكوين .

فالقصة بلا شك تفتح الباب على مصراعيه أمام المقارنات بين التصور اليهودى والتصورات الوثنية عن الصراع بين الآلهة والإنسان حول الخلود وهو موجود بوضوح فى الديانات القديمة .

---

(١) علم اللاهوت الكتابى صـ٥٢ ـ ٥٣ .

(٢) المصدر السابق صـ٥٣ .

(٣) سأشير فى نهاية هذا المبحث إشارة خاطفة إلى قصة آدم كما وردت فى القرآن الكريم .

وقد حاول جيمس فريزر أن يفسر الخلط الذى اعترى حكاية الشجرتين فافترض أنه كان هناك فى الأصل قصتان متميزتان ومختلفتان عن السقوط ثم مزج بينهما كاتب سقيم فى غير حذق فأفسدهما (١) .

وأيا ما كان الأمر فإن فريزر يذكر أن الصفات الشائنة التى نسبت إلى الرب من حقد وحسد وجبن وغير ذلك ـ ظلت بقعة سوداء فى حق الصفات الإلهية بتأثير قصة سفر التكوين .

ذلك أن الإله ـ وفقا لهذه القصة ـ قد نفس على الإنسان امتلاكه للمعرفة والخلود معا ورغب فى أن يستبقى هذه الصفات الطيبة لنفسه وخشى أن يصبح الإنسان مناوئا لخالقه إذا ما استحوذ على أحدهما أو كليهما ، الأمر الذى لم يكن من الممكن للرب أن يتقبله بحال من الأحوال .

ومن ثم فقد حذر الإنسان ـ وفقا لهذه القصة ـ أن يأكل من شجرة المعرفة ، ولما لم يكترث الإنسان لهذا التحذير طرده الرب من الجنة ، وأوصد بابها دونه ، حتى يحول بينه وبين الشجرة الأخرى التى إن هو أكل من ثمارها أصبح خالدا .

وينتهى فريزر إلى أن الدافع الذى تقدمه القصة دنىء ، كما أن السلوك الذى تنسبه للرب يستحق الازدراء .

وفضلا على هذا فإن كلا من هذا الدافع وذلك السلوك يتناقض مع سلوك الرب إزاء الإنسان فى بداية الأمر كما صورته القصة ، قد كان الرب بعيداً كل البعد عن أن ينفس على الإنسان شيئا ، بل إنه بذل كل ما فى وسعه لكى يجعله سعيداً هانئا (٢) .

والآن وبعد أن ناقشنا قصة الغواية أو السقوط كما وردت فى سفر التكوين وكما صورها الكاتب اليهودى وتبين لنا مدى الاضطراب والتناقض اللذين وقعا فيها والصورة المزرية التى صوروا بها الرب ـ سبحانه ـ نريد بعد كل هذا أن نضع أيدينا على بعض الأفكار التى تسربت إلى هذه القصة من الثقافات والديانات الوثنية التى عاصرها اليهود فى تاريخهم القديم .

---

(١) راجع تفاصيل ذلك : الفولكلور فى العهد القديم جـ١ صـ١٠٧ ـ ١٠٩ .

(٢) المصدر السابق صـ١٠٩ .

ومن أبرز هذه الأفكار فكرتان رئيسيتان

الأولى : إغواء الحية لحواء

الثانية : إغراء حواء لآدم وكونها أساس الشر ومصدر البلاء .

فيما يتعلق بالفكرة الأولى يذكر فريزر أنه ربما ساورنا الشك فى أن الحية فى القصة الأصلية قد أثبتت لنفسها مكانا مرموقا بأن استولت على البركة التى حرمت منها الجنس البشرى ، إذ أنها فى الواقع أكلت هى نفسها من شجرة الحياة فاكتسبت الخلود ، فى الوقت الذى أغرت فيه الأبوين الأولين أن يأكلا من شجرة الفناء (١) .

ويرى فريزر أنه ليس مغاليا فى هذا الفرض إذ أن هناك حكايات بدائية ليست بالقليلة تحكى عن أصل الموت أن الحيات سعت فى تدبير حيلة لتسخر من الإنسان أو لتلقى الروع فى قلبه حتى تحتفظ لنفسها بالخلود الذى كان الإنسان معنيا به .

فكثير من البدائيين يعتقدون أن الحيات وبعض أنواع من الحيوان تجدد شبابها وتحيا إلى الأبد ، وذلك عن طريق تغييرها لجلدها مرة كل عام (٢) .

ويبدو أن الشعوب السامية قد عرفت هذه العقيدة كذلك : فالحية ـ وفقا لرأى الكاتب الفينيقى القديم « سانشو نياثون » ـ كانت أطول الحيوانات عمرا ، لأنها كانت تجدد شبابها على الدوام عندما تغير جلدها (٣) .

وإذا كان الفينيقيون قد اعتقدوا أن الحية معمرة ، وأن سبب هذا يرجع إلى تغييرها لجلدها ، فليس ببعيد أن جيرانهم وأترابهم العبرانيين كانوا يعتقدون الاعتقاد نفسه ، والشيء الذى لاجدال فيه هو أن العبريين كانوا يعتقدون أن النسور تجدد شبابها عندما تغير ريشها .

وإذا كان الأمر كذلك ، فلماذا لا يعتقدون بالمثل أن الحية كذلك يتجدد شبابها بتغيير جلدها ؟ (٤) .

على أن فكرة خداع الحية للإنسان وسلبها منه الخلود عن طريق استيلائها على

---

(١) المصدر السابق صـ١١٠ .

(٢) راجع حكايات البدائيين فى ذلك المصدر السابق صـ١١٣ ـ ١٣٥ .

(٣) المصدر السابق صـ١١١ .

(٤) الفولكلور فى العهد القديم صـ١١ .

عشب الخلود الذى كانت الآلهة تقصد الاحتفاظ به للجنس البشرى تتمثل فى الواقع فى ملحمة جلجامش (١) التى تعد معلما من المعالم الأدبية القديمة لدى الجنس السامى ، أكثر قدما من سفر التكوين .

ففى هذه الملحمة نقرأ كيف أن أوتنا بيشيتم الإنسان المؤله ، أفشى للبطل جلجامش سر وجود نبات له مقدرة سحرية على إعادة الشباب إلى الإنسان ، يطلق عليه اسم « الرجل الكهل يعود شابا » وكيف أن جلجامش اهتدى إلى هذا النبات ، وأصابه الزهو بأنه سيأكل منه ويسترجع شبابه الذى ولى .

ثم كيف أن حية تسللت قبل أن يأكل جلجامش هذا العشب ، وسرقت النبات السحرى بينما جلجامش يستحم فى المياة الباردة فى أحد الينابيع أو الغدران ، ثم كيف أن جلجامش بعد أن فقد الأمل فى اكتساب الخلود ، جلس وبكى (٢) .

ويرى صموئيل هنرى هووك أن تسلل الحية وقيامها بسرقة النبات السحرى يعتبر عنصرا أسطوريا تكوينيا دون شك يفسر سبب قدرة الأفعى على تجدد حياتها بسلخ جلدها القديم (٣) .

وفى قصة الخطيئة الفارسية يظهر دور الحية فى إغواء الزوجين الأولين من البشر واللذين يسميان « مشيا ومشانه » (٤) .

---

(١) يذكر علماء الآثار والمؤرخون أن ملحمة جلجامش تعد أنفس وأبدع انتاج أدبى جاءنا من الشرق القديم وتعتبر من أعظم المآثر الأدبية فى تاريخ الاداب البشرية حتى سماها البعض بـ الأوديسية البابلية من حيث أنها كالأوديسية الهرمونية تخلد أقدم قصص الأبطال والبطولة وتزخر بالمادة الأسطورية والدينية ، وقد انتشرت هذه الملحمة فى جميع انحاء الشرق الأدنى القديم ودخلت إلى آداب الأمم الأخرى وأول من ترجمها هو جورج سمث عام ١٨٧٢ م وبطل الملحمة الذى تدور عليه حوادث الرواية هو ملك أو حاكم اسمه جلجامش وهو شخصية تاريخية مذكورة فى اثبات الملوك الأقدمين وتروى الملحمة كيف أنه كان يبحث عن الخلود وماذا فعل فى سبيل ذلك (راجع قصة هذه الملحمة ونصها وشرحها ومزيدا من التفاصيل عنها طه باقر وبشير فرنسيس : ملحمة جلجامش والطوفان بحث فى مجلة سومر المجلد السادس ١٩٥٠ من سلسلة نصوص من الأدب العراقى القديم بغداد العراق ، ول ديورانت : قصة الحضارة مجلد ١ جـ ٢ صـ٢٣٩ ـ ٢٤٣ ، د / نجيب ميخائيل : مصر والشرق الأدنى القديم جـ٦ صـ٤٢ ـ ٨٠ .

(٢) راجع المصادر السابقة وراجع أيضا جيمس فريزر : الفولكلور فى العهد القديم جـ١ صـ١١١ .

(٣) صموئيل هنرى هووك : منعطف المخيلة البشرية صـ٤٥ .

(٤) عصام الدين حفنى ناصف : اليهودية فى العقيدة والتاريخ صـ١٤٤ .

وهناك أيضا قصة افريقية تتناول موضوع الخلود وتقول القصة إن الإله كلف الحية بأن تحمل البشر ثمار شجرة الخلود ولكن هذه المخلوقات الماكرة أكلت هذه الثمار وهذا هو السبب فى أن الحية تغير جلدها دون أن تموت (١) .

ولذلك كان كثير من الأقدمين يعبدون الأفعى أو الحية ويتخذونها رمزاً للخلود ولقدرتها الظاهرة على الفرار من الموت بتبديل جلدها (٢) .

ولاشك أنهم كانوا يعجبون بقدرتها الفائقة على طرح جلدها وتجديد جسمها كل سنة وعلى إصابة من تعضه بالموت المباشر (٣) فكانت عبادة الحية شائعة فى مصر القديمة وكريت وغيرهما من بلاد الشرق (٤) .

وفى تاريخ اليهود الباكر شواهد كثيرة على أنهم عبدوا الأفعى ومن هذه الشواهد صورة الأفعى التى وجدت فى أقدم آثارهم ، ومنها الأفعى النحاسية التى صنعها موسى ـ كما يزعمون ـ والتى عبدها اليهود فى الهيكل إلى أيام حزقيا ملك يهوذا (حوالى ٧٢٠ ق . م) (٥) .

ويقول بعض العلماء إن قبيلة لاوى التى أصبح معظم أفرادها كهنة الديانة اليهودية كانت تقدس الحية وأنهم هم الذين أدخلوا فى اليهودية تقديسها وكانوا يقدمون لها القرابين (٦) .

---

(١) راجع المصادر السابقة وراجع أيضا : جيمس فريزر الفولكلور فى العهد القديم حـ صـ١١١ .

(٢) صموئيل هنرى هووك : منعطف المخيلة البشرية صـ٤٥ .

(٣) يذكر د / فيليب حتى : أنه حتى اليوم قد يتردد الفلاح السورى فى قتل حية سوداء إذا وجدها فى منزله على أساس أنها قد تكون حاميته (تاريخ سورية جـ١ صـ١٣٢) .

(٤) د / فيليب حتى : المصدر السابق صـ١٣٢ .

(٥) ول ديورانت : قصة الحضارة مجلد ١ جـ٢ صـ٣٣٩ قاموس الكتاب المقدس صـ٣٣٣ ، والأفعى النحاسية أو حية النحاس يزعم اليهود أن موسى هو الذى صنعها وأقامها على عمود فى البرية حسب قول الرب لكى ينظر إليها بنو إسرائيل الذى لدغتهم الحيات المحرقة لكن فى السنين التالية بدأ اليهود يعبدونها ويستخدمونها كصنم حتى حطمها حزقيا .

(٦) د / محمد بحر عبد المجيد : اليهودية صـ١٦ ، ملوك أول ١ : ٩ ، وجاء فى الموسوعة النقدية للفلسفة اليهودية أن هناك إحدى فرق اليهود تسمى بالأفعويين وهم عبدة الأفعى وقيل إنهم كانوا أكثر من فرقة ومنهم من عبد الأفعى ضد إله التوراة لأنها كانت سببا فى غواية حواء وهى عندهم رمز الحياة أو لقوة الحياة شأنهم شأن عبدة الشيطان ، وفى التوصية الثالثة من البروتوكولات « الأفعى رمز لسيطرة اليهود » كاللوياثان الاسطورى القابض على زمام العالم (راجع د / عبد الحليم الحفنى : الموسوعة النقدية صـ٥٠ ـ ٥١) .

وعلى أى حال فإن الحية أو الأفعى كانت تبدو حيوانا مقدسا لليهود كما كانت تبدو لشعوب كثيرة غيرهم وذلك لأنها رمز للذكورة المخصبة من جهة ولأنها من جهة أخرى تمثل الحكمة والدهاء والخلود (١) .

وهكذا شاعت فكرة تقديس الحية وكونها رمزاً للخلود فى أساطير الأديان الوثنية انطلاقا من التفسيرات الخرافية حول تغيير جلدها مما أدى إلى عبادتها من قبل كثير من الشعوب القديمة التى عاصرت اليهود فى تاريخهم القديم .

ويذكر الدكتور محمد بحر عبد المجيد أن هذه الأساطير الخاصة بالحية كانت كلها متداولة وانتقى اليهود منها ماشاءوا وصاغوا منها قصة السقوط (٢) .

ويشير العقاد إلى تصوز اليهود بأن الحية هى صاحبة الغواية ويرى أنه كان جريا على سنن الأقدمين الذين كانوا يوحدون بين الضرر الحسى وبين الخطيئة الأخلاقية وقبل أن تصبح الحية مجرد رمز إلى الشيطان (٣) .

وقد عثر علماء الآثار على نقش سومرى يشاهد فيه رجل على رأسه قلنسوة ذات قرنين وامرأة حاسرة الرأس جالسين الواحد أمام الآخر وقد نبتت شجرة بينهما تشبه شجرة النخل تدلى عذقان من التمر من طرفيها ويشاهد الرجل مادا يده اليمنى نحو العذق أمامه ليقطف من ثمره كما تشاهد المرأة وهى مادة يدها اليسرى نحو العذق الذى أمامها لتقطف من ثمره أيضا ، ثم تشاهد الحية وهى منتصبة على ذنبها خلف المرأة تغريها فى الأكل من هذا الثمر المحرم عليها أكله .

وهذا النقش التاريخى وضع قبل التوراة بزهاء ألفى عام ويرجح كثير من العلماء أن اليهود قد اطلعوا على فكرة هذا النقش والذى يعكس وجود الحية ودورها فى إغواء حواء ـ لدى البابليين الذين ورثوا الحضارة السومرية ـ بثقافتها وديانتها (٤) .

---

(١) ول ديورانت : قصة الحضارة الجزء الثانى من المجلد الأول صـ٣٣٩ .   (٢) اليهودية صـ٤٤ .

(٣) إبليس صـ٨٩ ، وفكرة أن تكون الحية مجرد رمز إلى الشيطان فكرة مسيحية حيث زعم المسيحيون أن الشيطان قد اتخذ الحية مطية لإغوائه وقد دلفت إليهم أيضا من الأساطير الوثنية (راجع جرها رودس فوس « علم اللاهوت الكتابى » صـ٦٠ ـ ٦١ والدكتور أحمد عجيبة : الخلاص المسيحى ونظرة الإسلام إليه .

(٤) د / أحمد سوسه : مفصل العرب واليهود فى التاريخ صـ٤٢٧ ـ ٤٢٨ تاريخ حضارة وادى الرافدين جـ١ صـ٤٤١ ـ ٤٤٣ دار الحرية للطباعة بغداد ١٩٨٣ .

وهذا النقش يدل أيضا على أن فكرة إغواء الحية لحواء كانت منتشرة فى الأديان الوثنية القديمة بله فى أقدمها وهى الديانة السومرية .

ويذكر جيمس فريزر أن الشعوب البدائية تحكى حكايات تروى فيها كيف أن الحية قد دبرت مكيدة للإنسان لتحرمه من حق الخلود (١) .

وهذا النوع من الحكايات ـ كما يقول ـ ينتشر انتشارا كبيرا فى أنحاء العالم ، وليس غريبا أن نجدها منتشرة بين الشعوب السامية .

ويبدو أن قصة سقوط الإنسان التى تروى فى سفر التكوين تعد رواية مختصرة لهذه الأسطورة البدائية ، فهى فى حاجة إلى قليل من الإضافة حتى يكتمل تشابهها بمثيلاتها التى لاتزال القبائل البدائية تحكيها فى كثير من بقاع العالم .

فالجزء المحذوف فى الحكاية العبرية ، وربما كان الجزء الوحيد هو الذى يتمثل فى سكوت القاص عن ذكر أكلة الحية من فاكهة شجرة الحياة ، ومانتج عن ذلك من حصول هذا الحيوان الدنىء على الخلود (٢) .

أما فيما يتعلق بالفكرة الثانية وهى فكرة إغراء حواء لآدم وكونها هى أساس الشر والبلاء ومنبع الرجس والرذيلة (٣) فإن ول ديورانت يذكر أن المرأة ـ فى معظم القصص الشعبية عن الجنة والأساطير الوثنية التى كانت شائعة فى الديانات الوثنية القديمة هى الأداة التى تتخذها الحية أو يتخذها الشيطان وسيلة لإيقاع الإنسان فى الشر ـ الجميل سواء كانت هذه المرأة هى حواء أو بندورا أو بوسى الواردة فى الأساطير الصينية .

فقد جاء فى قصص شى جنج أن « كل الأشياء كانت فى بداية الأمر خاضعة للإنسان ولكن امرأة ألقت بنا فى ذل الاستعباد ، فشقاؤنا إذن لم يأتنا من السماء بل جاءت به المرأة لأنها هى التى أضاعت الجنس البشرى « آه ما أشقاك يا بوسى ! لقد أشعلت النار التى أحرقتنا والتى تزداد كل يوم ضراما ... لقد ضاع العالم وطغت الرذيلة على كل شىء» (٤) .

---

(١) راجع هذه الحكايات : الفولكلور فى العهد القديم جـ١ صـ١١٣ ـ ١٣٥ .

(٢) الفولكلور فى العهد القديم صـ١٣٥ ـ ١٣٦ .

(٣) يرى جيمس فريزر أن كاتب سفر التكوين يشير إلى حقارة شأن المرأة حين يعزو محنة الجنس البشرى وأحزانه إلى سلوك الأم الأولى الذى يتسم ـ كما ورد فى السفر ـ بالحماقة الساذجة وإلى شهوتها التى أطلقت لها العنان (الفولكلور فى العهد القديم جـ١ صـ ٨١ ـ ٨٢) .

(٤) قصة الحضارة مجلد ١ جـ٢ صـ٣٦٩ .

وفى أساطير المصريين القدماء أن ايزيس وأوزوريس كانا يعيشان معا فى الفردوس تظللهما السعادة وتحف بهما الهناءة وما فتئنا فى تلك الحال إلى أن استبدت بإيزيس الرغبة فى أن تستقى من ماء الخلود فمضى اوزوريس يطلبه فكانت تلك عثرته (١) .

وقد فشت هذه الأساطير وغيرها فى مختلف الشعوب ، وكلها تجمع على أن المرأة الأولى اقترفت الخطيئة الأولى انقياداً للإغراء ، ومايزال الناس فى الشعوب المتمدنة يقولون « فتش عن المرأة » وأنه ليس للرجل إلا أن يلقى على المرأة تبعة أخطائه والويل للضعيف (٢) .

ويذكر العلماء أن تعليل كاتب سفر التكوين لآلام المرأة عند الولادة وسيادة الرجل عليها بأنها سبب تحريض حواء لآدم على الأكل من شجرة المعرفة وبأنها عقوبات من الرب على ذلك يذكر العلماء بأن هذا كله ترجع مصادره إلى أساطير وثنية(٣) .

ويذكر كريمر أن ماورد فى القصيدة السومرية (التى أشرت إليها آنفا) من أن مولد الآلهات بغير ألم أو مخاض هو أساس اللعنة على حواء بأن يكون نصيبها أن تحمل وتلد أولادها بالألم (٤) .

وانطلاقا من هذا فإن المرأة كانت أهم ما اتجه إليه التحريم عند البدائيين فآلاف الخرافات نشأت عن المرأة لتجعلها آنا بعد آن محرمة اللمس خطرة ، نجسه (٥) .

ويذكر ول ديورانت أن منشىء الأساطير فى أنحاء العالم لم يكونوا أزواجا موفقين لأنهم متفقون جميعا على أن المرأة أساس الشر كله ، ويرى أن هذه الفكرة

---

(١) عصام الدين حفنى ناصف : اليهودية فى العقيدة والتاريخ صـ١٤٤ .

(٢) المصدر السابق صـ١٤٤ .

(٣) د / محمد بحر عبد المجيد : اليهودية صـ٤٣ .

(٤) صموئيل نوح كريمر : أساطير سومر ضمن كتاب أساطير العالم القديم صـ٨٢ .

(٥) ول ديورانت : قصة الحضارة مجلد ١ صـ ١١٩ .

قد تسربت إلى الديانتين اليهودية والمسيحية من مئات الأساطير الوثنية (١) .

فقد اتخذت الأساطير اليونانية امرأة خيالية تسمى (باندورا) ينبوع آلام الإنسان ومصائبه ، كما جعلت الأساطير اليهودية حواء العين التي تنشق منها جداول الآلام والشدائد .

وغير خاف على أحد ما كان لهذه الأسطورة اليهودية الشنيعة عن حواء من تأثير عظيم في سلوك الأمم اليهودية والمسيحية قبل المرأة ، وما كان لها من مفعول قوى في حقول القانون والأخلاق والإجتماع عند هؤلاء الشعوب وكذلك أو دونه بقليل كان تأثير الأسطورة اليونانية عن (باندورا) في عقولهم وأذهانهم ، فلم تكن المرأة عندهم إلا خلقا من الدرك الأسفل ، في غاية من المهانة والذل في كل جانب من جوانب الحياة الإجتماعية (٢) .

وفي أوربة المسيحية اعتبر الآباء المسيحيون من نظريتهم الأولية الأساسية أن المرأة ينبوع المعاصي وأصل السيئة والفجور وهي للرجل باب من أبواب جهنم من حيث هي مصدر تحريكه وحمله على الآثام ، ومنها انبجست عيون المصائب الإنسانية جمعاء ، فيحسبها ندامة وخجلا أنها امرأة ، وينبغي أن تستحي من حسنها وجمالها ، لأنه سلاح إبليس الذي لا يوازيه سلاح من أسلحته المتنوعة وعليها أن تكفر ولا تنقطع عن أداء الكفارة أبداً ، لأنها هي التي قد أتت به من الرزء والشقاء للأرض وأهلها ، يقول ترتوليان أحد أقطاب المسيحية الأول وأئمتها مبينا نظرية المسيحية في المرأة : « إنها مدخل الشيطان إلى نفس الإنسان ، وإنها دافعة بالمرء إلى الشجرة الممنوعة ، ناقضة لقانون الله ومشوهة لصورة الله ـ أي الرجل ـ » .

وكذلك يقول كرائي سوستام الذي يعد من كبار أولياء الديانة المسيحية في شأن المرأة : « هي شر لا بد منه ، ووسوسة جبلية ، وآفة مرغوب فيها ، وخطر على الأسرة والبيت ، ومحبوبة فتاكة ورزء مطلى مموه » (٣) .

---

(١) المصدر السابق ويذكر عصام الدين حفني أن اليهود يعدون المرأة في حال الطمث (الحيض) وعقب الولادة محرمة ونجسة فمن مسها لحقته النجاسة وحق عليه التطهير وهكذا أصبحت المرأة تستشعر العار يجللها حين تحيض وحين تحمل (اليهودية في العقيدة والتاريخ صـ١٧) .

(٢) راجع كتاب الحجاب لأبي الأعلى المودودي صـ١٢ ـ ١٣ دار الفكر بيروت .

(٣) راجع أيضا المصدر السابق صـ٢١ ـ ٢٢ .

قصة آدم وحواء فى القرآن الكريم

ولعل من الأهمية بمكان أن أشير هنا إلى قصة آدم وحواء كما وردت فى القرآن الكريم كنوع من التعقيب القرآنى على ماذكرناه من أباطيل التوراة اليهودية ولكى يتبين لنا ما اعترى هذه القصة ـ كغيرها من القصص الدينى ـ من تغيير وتبديل :

لقد تعرض القرآن بشيء من التفصيل لقصة آدم وحواء فى الجنة فى ثلاث سور :

فى سورة البقرة يقول الله تعالى ﴿ **وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين ، فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم فى الأرض مستقر ومتاع إلى حين** ﴾ (١) .

وفى سورة الأعراف يقول سبحانه ﴿ **ويا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة فكلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين ، فوسوس لهما الشيطان ليبدى لهما ماورى عنهما من سوءاتهما ، وقال مانهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخلدين وقاسمهما إنى لكما لمن الناصحين ، فدلاهما بغرور فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوءاتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما إن الشيطان لكما عدو مبين ، قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين ، قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو ، ولكم فى الأرض مستقر ومتاع إلى حين ، قال فيها تَحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون** ﴾ (٢) .

وفى سورة طه يقول سبحانه مشيراً إلى ابليس : ﴿ **فقلنا يا آدم إن هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى ، إن لك فيها ألا تجوع فيها ولا تعرى وأنك لاتظمؤ فيها ولا تضحى ، فوسوس إليه الشيطان قال ياآدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى فأكلا منها فبدت لهما سوءاتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وعصى آدم ربه فغوى ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى** ﴾(٣)

---

(١) البقرة : ٣٥ ـ ٣٦ . (٢) الأعراف : ١٩ ـ ٢٥ .

(٣) سورة طه : ١١٢ ـ ١١٧ .

ويهمنا هنا أن نشير إلى عدة نقاط من خلال فهم هذه النصوص القرآنية وهى :
النقطة الأولى : أن القرآن الكريم قد عرض لعدة مواقف من قصة آدم وحواء وأكلهما من الشجرة وخروجهما من الجنة بدون أن يبدو فى أى موقف من هذه المواقف مايتعارض مع كمال علم الله وقدرته ومخالفته للحوادث .

وهذا عكس ماورد فى رواية التوراة حيث خلعت على الرب سبحانه صفات إنسانية بل صفات غير محببة إلى النفس البشرية فقد طرد آدم وحواء وفقا لهذه القصة التوراتية لا لمجرد مخالفتهما للمحظور الذى حذرهما منه الرب ولكن لأنهما سلباه صفة كان يود أن يستبقيها لنفسه دون البشر وهى معرفة الخير والشر ومن ثم فقد أسرع الرب فى طردهما من الجنة قبل أن يتمكنا من أن يسلباه صفات الهية أخرى وبصفة خاصة صفة الخلود ، بالإضافة إلى ماعرضته من أن الرب كان يتمشى فى الجنة فى المساء الرطب وهو ينادى آدم الذى اختبأ وراء الشجر ولم يكن يعرف آنذاك أنه قد أكل من الشجرة المحرمة ، ثم قام باستجوابه مع حواء واستنتج من ذلك أنهما قد أكلا من شجرة المعرفة وأن الإنسان بذلك قد أصبح أحد الآلهة لتمييزه بين الحسن والقبيح فكان لزاما على الرب أن يطرده من الجنة حتى لاتمتد يده إلى شجرة أخرى هى « شجرة الخلد » فيكفل لنفسه أرقى صفات الإله وهو البقاء (١) .

النقطة الثانية : أن القرآن الكريم أشار إلى شجرة واحدة (٢) منهى عنها ودون أن يبين حقيقتها ويحدد ماهيتها فقال سبحانه ﴿ **ولا تقربا هذه الشجرة** ﴾ (٣) .

﴿ **ألم أنهكما عن تلكما الشجرة** ﴾ (٤) .

أما وصف الشجرة بأنها شجرة الخلد فقد جاء ذلك على لسان الشيطان من باب الخداع والكذب على آدم وعلى سبيل الإغراء له حتى يأكل منها ﴿ **فوسوس إليه الشيطان قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى** ﴾ (٥) .

وتبين لنا سورة الأعراف أن الشيطان قد وسوس لآدم وحواء بقوله تعالى :

---

(١) د / على عبد الواحد وافى : الأسفار المقدسة فى الأديان السابقة للإسلام صـ٢٧ ـ ٢٨ ، د / نبيلة إبراهيم : مقدمة الفولكلور فى العهد القديم (التوراة) صـ١٠ ، ١٢ .

(٢) على عكس ما ورد فى توراة اليهود أن الجنة فيها شجرتان محظور على الإنسان أن يأكل منهما وهما شجرة المعرفة وشجرة الحياة .

(٣) البقرة : ٣٥ ، الأعراف : ١٩ . (٤) الأعراف : ٢٢ . (٥) طه : ١٢٠ .

﴿ مانهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين ﴾ (١) .

فكل هذا داخل فى إطار الوسوسة والتضليل وليس له أى أساس من الصحة اللهم إلا فى تصور الشيطان الرجيم ، ولعل هذا كان مذكوراً فى القصة الأصلية التى نزلت على سيدنا موسى أو على الأنبياء من قبله ولكن اليهود ذكروه على أنه من أقوال الرب وادعوا عليه سبحانه أنه قد تخوف من أكل آدم من شجرة الخلد بعد أن أكل من شجرة المعرفة (٢) .

وإذا كان القرآن الكريم قد عرض لأمر الشجرة بهذه الصورة التجريدية فإن المفسرين قد خاضوا فى وصفها وتحديد طبيعتها إلى غير ذلك مما نقلوه عن الإسرائيليات(٣) .

وقد تنبه الطبرى إلى خطورة هذا الخوض فى وصف تلك الشجرة فقال « والقول فى ذلك عندنا أن الله جل ثناؤه أخبر عباده أن آدم وزوجه أكلا من الشجرة التى نهاهما ربهما عن الأكل منها ، ولم يضع الله جل ثناؤه لعباده المخاطبين بالقرآن دلالة على أى أشجار الجنة كان نهيه آدم أن يقربها ، بنص عليها باسمها ولا بدلالة عليها .... فالصواب فى ذلك أن يقال : لا علم عندنا بأى شجرة كانت على اليقين لأن الله لم يضع لعباده دليلا على ذلك من القرآن ولا فى السنة الصحيحة .

فأنى يأتى ذلك ، وقد قيل : كانت شجرة البر ، وقيل كانت شجرة العنب ، وقيل شجرة التين ، وجائز أن تكون واحدة منها ، وذلك علم ، إذا علم لم ينفع العالم به علمه وإن جهله جاهل لم يضره جهله به (٤) .

---

(١) الأعراف : ٢٠ .

(٢) من المحتمل أن تكون التوراة الأصلية قد أشارت إلى شجرة واحدة منهى عنها ولم تحدد طبيعتها كما حدث فى القرآن الكريم ، لكن كتبة اليهود أخذوا يجتهدون فى تحديد طبيعة ومعرفة حقيقة الشجرة فنقلوا عن الأديان الوثنية حكاية الشجرتين : المعرفة والحياة ووضعوها فى نص القصة على أنها قد أنزلت على موسى وقد تبين لنا قبل ذلك بطلان نسبة التوراة الحالية إلى سيدنا موسى بطلانا تاما .

(٣) راجع على سبيل المثال تفسير الطبرى جـ١ صـ٥١٩ ـ ٥٢٠ .

(٤) تفسير الطبرى جـ١ صـ٥٢٠ ـ ٥٢١ طبعة دار المعارف الطبعة الثانية ١٩٧٩ حققه وعلى حواشيه : محمود محمد شاكر راجعه وخرّج أحاديثه : أحمد محمد شاكر .

ويذكر الفخر الرازى أنه ليس هناك فى الظاهر مايدل على التعيين فلا حاجة أيضا إلى بيانه لأنه ليس المقصود من هذا الكلام أن يعرفنا عين تلك الشجرة وما لا يكون مقصوداً فى الكلام لا يجب على الحكيم أن يبينه بل ربما كان بيانه عبثا (١) .

النقطة الثالثة : أن القرآن الكريم قد نص صراحة على أن الشيطان هو الذى وسوس لآدم وحواء فأزلهما عن الشجرة وأخرجهما من الجنة ، دون أن يشير من قريب أو بعيد إلى ماورد فى سفر التكوين عن الحية وكيف أغوت حواء وكيف حلت بها عقوبة الرب إلى آخر ماذكرناه.

لكن المفسرين قد تجاوزوا ما نص عليه القرآن وأخذوا يفسرون كيف دخل الشيطان إلى الجنة فلم يجدوا أمامهم إلا الإسرائيليات فنقلوا ما فيها من أن الشيطان قد دخل فى جوف الحية وكان للحية أربعة قوائم فلما دخلت الحية الجنة خرج هو من جوفها وأخذ يوسوس لآدم وحواء ، وذكروا أيضا عقوبة الحية وعقوبة حواء وآدم بمثل ماوردت فى سفر التكوين (٢) .

وقد نقل ذلك ابن جرير عن وهب بن منبه وغيره من مسلمة أهل الكتاب وتابعه المفسرون بدورهم .

ويذكر الدكتور محمد بن محمد أبو شهبة أن كثيراً من التفاسير بالمأثور قد نقلت هذه الإسرائيليات عن تفسير الطبرى ، وأن أغلب كتب التفسير بالرأى ذكرت هذا أيضا ، وكل هذا من قصص بنى إسرائيل الذى تزيدوا فيه ، وخلطوا حقا بباطل ، ثم حمله عنهم بعض الصحابة والتابعين وفسروا به القرآن الكريم ، ويرحم الله ابن جرير فقد أشار بذكره الرواية عن وهب إلى أن ما يرويه عن ابن عباس وابن مسعود إنما مرجعه إلى وهب وغيره من مسلمة أهل الكتاب وياليته لم ينقل شيئا من هذا ، وياليت من جاء بعده من المفسرين صانوا تفاسيرهم عن مثل هذا (٣) .

النقطة الرابعة : أن القرآن الكريم لم ينسب وسوسة الشيطان إلى حواء وحدها ولم يذكر أنها أكلت أولا من الشجرة ثم قامت بإغواء وإغراء آدم مثلما ذكرت

---

(١) التفسير الكبير جـ٣ صـ٦ دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع الطبعة الثالثة ١٤٠٥ هـ/ ١٩٨٥ م

(٢) راجع تفسير الطبرى جـ١ صـ٥٢٥ ـ ٥٣٣ .

(٣) راجع الإسرائيليات والموضوعات فى كتب التفسير صـ٢٥٠ ـ ٢٥٤ .

رواية التوراة ، وإنما نص القرآن الكريم كما رأينا أن الشيطان قد وسوس لكل منهما ، وأنهما أكلا معا بقوله تعالى﴿ **فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه** ﴾(١) .

﴿ **فوسوس لهما الشيطان ليبدى لهما ماوورى عنهما من سوءاتهما** ﴾ (٢) .

﴿ **فدلاهما بغرور فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوءاتهما** ﴾ (٣) .

بل إن الآيات التى وردت فى سورة « طه » تنسب وسوسة الشيطان إلى آدم وحده وتنسب إليه أيضا المعصية والغواية يقول تعالى :

﴿ **فوسوس إليه الشيطان قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لايبلى فأكلا منها فبدت لهما سوءاتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وعصى آدم ربه فغوى** ﴾ (٤) .

وتبين الآيات الكريمة أن الله قد عهد إلى آدم وأنه هو الذى نسى ولم يكن له العزم الذى يمنعه ﴿ **ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسى ولم نجد له عزما** ﴾ (٥) .

وكل هذا يعنى أن القرآن الكريم لم يلق بالمسئولية على حواء وأنها هى التى ارتكبت الخطيئة الأولى كما يشاع الآن وأنها أساس الشر ومنبع الرجس والبلاء مما يرجح أن كتبة التوراة قد نقلوا ذلك عن الأديان الوثنية كما سبق أن بينت .

والعجيب فى الأمر أن المفسرين (٦) نقلوا أسطورة الحية بما تحتوى عليه من أنها أغوت حواء أولا فأكلت من الشجرة ثم قامت هى بدورها بإغراء آدم حتى نزلت العقوبة بحواء الخ الخ .

هذا ولا يفوتنا أن نشير إلى أن القرآن الكريم قد ذكر صراحة أن آدم قد تاب إلى الله فاستجاب الله توبته وكذلك حواء .

﴿ **ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى** ﴾ (٧) .

﴿ **قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين** ﴾(٨) .

---

(١) البقرة : ٣٦ . (٢) الأعراف : ٢٠ . (٣) الأعراف : ٢٢ .

(٤) طه : ١٢٠ ـ ١٢١ . (٥) طه : ١١٥ .

(٦) راجع على سبيل المثال تفسير الطبرى جـ١ صـ٥٢٦ ـ ٥٣٢ .

(٧) طه : ١٢٢ . (٨) الأعراف : ٢٣ .

وبناء على ذلك فليس هناك ضرورة ولا حاجة إلى مايقال عن خطيئة آدم الموروثة أو سقوط آدم الموروث وكونه سببا للخلاص المسيحى إلى غير ذلك مما استحدث من عقائد (١) .

وبهذا يكون قد تبين لنا أن قصة آدم وحواء كما وردت فى القرآن الكريم تختلف عن قصة التوراة اختلافا جوهريا ... ففضلا على اختلافهما فى طريقة العرض فإنهما تختلفان فى المغزى والهدف .

فإذا كان آدم قد أخرج من الجنة فى قصة القرآن الكريم فلأن سكناه فى الأرض كانت مقدرة له من قبل بدليل قوله تعالى للملائكة قبل خلقه آدم ﴿ **وإذ قال ربك للملائكة إنى جاعل فى الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك ، قال إنى أعلم مالا تعلمون** ﴾ (٢) .

ولما جاء فى الحديث الصحيح عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : احتج آدم وموسى فقال موسى : ياآدم ، أنت أبونا خيبتنا وأخرجتنا من الجنة ، فقال له آدم : أنت موسى اصطفاك الله بكلامه وخط لك بيده أتلومنى على أمر قدره الله على قبل أن يخلقنى بأربعين عاماً ؟ .

قال النبى صلى الله عليه وسلم : « فحج آدم موسى » (٣) .

فإذا كان عصيان آدم لله مقدرا له من قبل فإن هدف القصة يتضح بعد ذلك وهو تأكيد النوازع الإنسانية وإبراز جوانب الضعف فيها التى جعلتها موضعا لإغراء الشيطان على الدوام ، فالمسألة تتعلق بتحريم وعصيان لهذا التحريم أو هى بتعبير آخر اختبار لطبيعة الجنس البشرى ، تلك الطبيعة التى لازمت الإنسان منذ بدء الخليقة حتى اليوم وهى التى تتمثل فى ضعفه أمام قوة الإغراء المادى .

---

(١) لقد ناقش الزميل الدكتور / أحمد عجيبة هذا الموضوع مناقشة واسعة فى رسالة الماجستير التى قدمها إلى كلية أصول الدين بطنطا تحت عنوان « الخلاص المسيحى ونظرة الإسلام إليه » .

(٢) البقرة : ٣٠ .

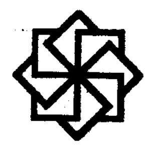
(٣) رواه البخارى ومسلم ومالك وأبو داود والترمذى راجع روايات الحديث فى جامع الأصول فى أحاديث الرسول لابن الأثير جـ١٠ صـ١٢٤ ـ ١٢٧ تحقيق وتخريج وتعليق عبد القادر الأرناؤوط ١٣٩٢ هـ ١٩٧٢ م نشر الحلوانى ودار البيان .

وبناء على ذلك فإن قصة الشجرة المحرمة ، ووسوسة الشيطان باللذة ، ونسيان العهد بالمعصية ، والصحوة من بعد السكرة والندم وطلب المغفرة تعبر عن تجربة البشرية المتجددة المتكررة وكانت هذه التجربة نوعاً من التربية لهذا الخليفة الإنسان وإعداداً ، كانت إيقاظاً للقوى المذخورة فى كيانه ، وتدريبا له على تلقى الغواية وتذوق العاقبة ، وتجرع الندامة ، ومعرفة العدو ، والإلتجاء بعد ذلك إلى الملاذ الأمين وقد اقتضت رحمة الله بهذا المخلوق أن يهبط إلى مقر خلافته ، مزوداً بهذه التجربة التى سيتعرض لمثلها طويلاً استعداداً للمعركة الدائبة وموعظة وتحذيراً .

أما فى قصة التوراة فقد أخرج الله آدم من الجنة غيظا منه وحنقا عليه ، لأنه أصبح نده فى المعرفة ، وقد تصور أن البلاء سيكون أكبر من ذلك لو أنه أكل من شجرة الخلد (١) .

وما قدروا الله حق قدره تعالى عما يقولون علوا كبيرا .

ومن ثم يصبح لزاما أن نقول إن هذه التحريفات البشرية الاسطورية التى وقعت فيها الديانات الوضعية القديمة ، واقتبستها منها اليهودية أو عدلت فيها ، هى زيادات طارئة على أصل صحيح لازم البشرية منذ آدم على توالى الرسل ، وأن هذا الأصل الصحيح لاسبيل إلى معرفته إلا بالإقتصار على ماجاء به القرآن الكريم دون تأويل أو زيادة أو نقصان .



---

(١) راجع سيد قطب : فى ظلال القرآن جـ ١ صـ٥٩ د / نبيلة إبراهيم : مقدمة الفولكلور فى العهد القديم (التوراة) صـ١١ ، صـ١٣ .

المبحث الثالث : مظاهر التأثر فى قصة الطوفان

ومن القصص الدينى التى سأبحثها أيضا فى هذا الفصل قصة الطوفان اليهودية أو كما وردت فى توراة اليهود .

وتقع هذه القصة فى الاصحاحات : السادس والسابع والثامن من سفر التكوين[1] .

وتتلخص وقائع قصة الطوفان وتجرى أحداثها ـ كما وردت ـ على النحو التالى :

لما عم الفساد البشر قرر الله تدميرهم مع كل المخلوقات الحية الأخرى :

فقد رأى الرب أن شر الإنسان قد كثر فى الأرض ، فحزن أنه عمل الإنسان فى الأرض وتأسف فى قلبه وعزم على أن يمحو الإنسان والبهائم والدواب والطيور عن وجه الأرض ، وإن استثنى من ذلك نوحا لأنه « كان رجلا بارا كاملا فى أجياله ، وسار نوح مع الله » [2] .

وتزداد شرور الناس وتمتلئ الأرض ظلما ، ويقرر الرب نهاية البشرية ، إذ تحدرت إلى شر وغواية ، ويحيط نوحا علما بما انتواه ، آمرا إياه بأن يصنع فلكا ضخما « ثلاثمائة ذراع يكون طول الفلك وخمسين ذراعا عرضه ، وثلاثين ذراعا ارتفاعه .

وأن يكون طلاؤها بالقار والقطران من داخل ومن خارج ، حتى لايتسرب إليها الماء ، وأن يدخل فيها اثنين من كل ذى جسد حى ، ذكر وأنثى ، فضلا عن امرأته وبنيه ونساء بنيه ، هذا إلى جانب طعام يكفى من فى الفلك وما فيه [3] .

---

(١) اعتمدت على النسخة البروتستانتية فى نقل النصوص حيث إنها قائمة على النص العبرى اليهودى

(٢) راجع تكوين ٦ : ٥ ـ ٩ .　　(٣) راجع تكوين ٦ : ١١ ـ ٢٢ راجع أيضا موريس بوكاى : دراسة الكتب المقدسة صـ٥٢ ، د / محمد بيومى مهران : دراسة حول قصة الطوفان بين الآثار والكتب المقدسة صـ٤٠٥ : بحث فى مجلة كلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية بجامعة الإمام محمد بن سعود بالرياض العدد الخامس ١٩٧٥ م .

ويكرر الرب أوامره لنوح فى الاصحاح التالى ، فيأمره أن يدخل الفلك ومن معه ، « ومن جميع البهائم الطاهرة تأخذ معك سبعة سبعة ذكر وأنثى ، ومن البهائم التى ليست بطاهرة اثنين ذكر وأنثى ، ومن طيور السماء أيضا سبعة سبعة ذكرا وأنثى لاستبقاء نسل على وجه كل الأرض » .

ذلك لأن الرب قرر أن يغرق الأرض ومن عليها بعد سبعة أيام عن طريق مطر يسقط على الأرض بعد أربعين يوما وأربعين ليلة ، ويصدع نوح بأمر ربه فيأوى إلى السفينة ومعه أهله ، « ومن البهائم الطاهرة والبهائم التى ليست بطاهرة ومن الطيور وكل مايدب على الأرض ، دخل اثنان اثنان إلى نوح إلى الفلك ذكرا وأنثى ، كما أمر الله نوحا » (١) .

وفى اليوم السابع عشر من الشهر الثانى من عام ستمائة من حياة نوح بدأ الطوفان ، « وانفجرت كل ينابيع الغمر العظيم ، وانفتحت طاقات السماء ، واستمر الطوفان أربعين يوما على الأرض » .

وتكاثرت المياه ورفعت الفلك عن الأرض وتغطت جميع الجبال الشامخة التى تحت كل السماء ، خمس عشرة ذراعا فى الارتفاع تعاظمت المياه ، ومات كل جسد كان يدب على الأرض ، ومن الناس والطيور ، والبهائم ، والوحوش ، وكل الزحافات ، وبقى نوح والذين معه فى الفلك فحسب » (٢) .

ومضت مائة وخمسون يوما نقصت من بعدها المياه ، حتى إذا ماكان اليوم السابع عشر من الشهر السابع استقرت الفلك على جبل أراراط ، ثم ظهرت رؤوس الجبال فى اليوم الأول من الشهر العاشر ، ثم تمضى أربعون يوما ، وبعدها يرسل نوح غرابا ثم حمامة تعود بعد فترة ، لأنها لم تجد مقرا لرجلها ، ثم يعود نوح فيرسلها ثانية بعد سبعة أيام أخر ، فتعود ومعها ورقة زيتون خضراء ، ويكرر نوح المحاولة بعد سبعة أيام أخر ، فلا تعود إليه الحمامة (٣) .

---

(١) راجع تكوين ٧ : ١ ـ ٩ . (٢) تكوين ٧ : ٦ ـ ٢٤ .

(٣) تكوين ٨ : ١ ـ ١٢ .

راجع أيضا د / محمد بيومى مهران : المصدر السابق صـ ٤٠٥ ـ ٤٠٦ قاموس الكتاب المقدس صـ٥٨١ ـ ٥٨٢ .

وفى أول الشهر الأول من السنة الواحدة بعد الستمائة من حياة نوح « نشفت المياه عن الأرض » « فكشف نوح الغطاء عن الفلك ونظر فإذا وجه الأرض قد نشف » .

« وكلم الله نوحا قائلا : اخرج من الفلك أنت وامرأتك وبنوك ونساء بنيك معك ، وكل الحيوانات التى معك من كل ذى جسد الطيور والبهائم والدبابات التى تدب على الأرض أخرجها معك » (١) .

وبعد أن خرجوا جميعا من الفلك « بنى نوح مذبحا للرب ، وأخذ من كل البهائم الطاهرة ومن كل الطيور الطاهرة وأصعد محرقات على المذبح ، فتنسم الرب رائحة الرضا وقال الرب فى قلبه لا أعود ألعن الأرض أيضا من أجل الإنسان ، لأن تصور قلب الإنسان شرير منذ حداثته ، ولا أعود أيضا أميت كل حى كما فعلت » (٢) .

يذكر جيمس فريزر أن نقاد العهد القديم يجمعون على أن قصة الطوفان اليهودية كما هى مدونة فى سفر التكوين تجمع بين قصتين أو روايتين متميزتين فى أصلهما ومتناقضتين تناقضا جزئيا ، وأن المؤلف مزج بينهما لكى يكون منهما قصة واحدة متجانسة من ناحية الشكل ، ومع ذلك فقد مزج بينهما بطريقة فجة للغاية بحيث لايفوت القارئ ما فيها من تكرار وتناقض ، حتى وإن كان القارئ غير مدقق فى قراءته .... (٣) .

فليس فى التوراة إذن رواية واحدة فقط عن الطوفان بل روايتان حررتا فى عصور مختلفة :

١ ـ **الرواية اليهوية** : وترجع إلى القرن التاسع ق. م .

٢ ـ **الرواية الكهنوتية** : وترجع إلى القرن السادس ق . م .

ولاتأتى هاتان الروايتان كل إلى جانب الأخرى وإنما تتشابكان وتتداخل عناصر إحداهما فى عناصر الأخرى وترجعان إلى مصدرين متميزين بشكل جلى : المصدر

---

(١) تكوين ٨ : ١٣ ـ ١٧ .

(٢) راجع سفر التكوين ٨ : ١٨ ـ ٢١ .

(٣) الفولكلور فى العهد القديم (التوراة) صـ١٧٧ راجع أيضا صموئيل هنرى هووك : منعطف المخيلة البشرية صـ١١ .

اليهوى والمصدر الكهنوتى (١) .

ومع أن المصدرين متميزان كل هذا التميز إلا أن فقرات كل مصدر تتعاقب بالتبادل مع فقرات المصدر الآخر .

وتشير جيدا تعليقات ترجمة سفر التكوين للأب ديفو الأستاذ بمدرسة الكتاب المقدس إلى هذا التوزيع للفقرات بين المصدرين :

فالرواية تبدأ وتنتهى بفكرة يهوية ، وهناك بالإجمال ١٠ فقرات يهوية ، وبين كل فقرة منها توجد فقرة من النص الكهنوتى (أى بالإجمال ٩ فقرات كهنوتية) .

وهذه النصوص الخاصة بالطوفان متعددة الأصول ولاتتمتع بالوضوح إلا من حيث تعاقب الأحداث ، فبين النصين توجد تناقضات صارخة ، ويقول الأب ديفو « إنهما حكايتان للطوفان تختلف فيهما العوامل التى أدت إلى الطوفان ، كما يختلف زمن وقوعه وتختلف أيضا عدد الحيوانات التى شحنها نوح بالسفينة (٢) .

يذكر جيمس فريزر أنه بجانب أن كلا المصدرين (اليهوى و الكهنوتى) يختلف عن الآخر اختلافا بينا فى أسلوبه(٣) وطبيعته وينتميان إلى عصور مختلفة فإن العناصر التفصيلية التى تتألف منها قصة الطوفان فى سفر التكوين والتى أسهم فى كتابتها كلا الكاتبين اليهوى ، والكهنوتى يتميز بعضها عن بعض من حيث اللفظ والمادة (٤) .

فإذا بدأنا بوجوه الاختلاف الشكلية فإن أول مايلفت النظر هو اختلاف اسم الرب فى كلا المصدرين فهو فى المصدر اليهوى (يهوه) وهو فى المصدر الكهنوتى

---

(١) راجع المصدرين السابقين ، موريس بوكاى : دراسة فى الكتب المقدسة صـ٥٢ ، ٢٤٤ ، هذا وقد عرض جيمس فريزر بشىء من التفصيل للفروق بين المصدرين : اليهوى والكهنوتى على وجه العموم وليس فى الطوفان فقط الفولكلور فى العهد القديم جـ١ صـ١٧٧ ـ ١٨٢ .

(٢) موريس بوكاى : دراسة الكتب المقدسة صـ٥٢ ، ٢٤٤ .

(٣) يذكر حسين ذو الفقار صبرى : أن التباين الواضح ين الروايتين من حيث الصياغة والأسلوب أدل على تناقضهما من أى اختلافات فى التفاصيل : فالرواية « اليهوية » تنبض بحيوية وخيال ، بينما النص « الكهنوتى » وإن كان جافا بالقياس فهو يتميز بدقة وتدبر (توراة اليهود صـ١١) .

(٤) جيمس فريزر : الفولكلور فى العهد الفديم جـ١ صـ١٧٧ ، ١٨٢ .

« الوهيم » (١) .

وإلى جانب هذا الاختلاف اللفظى الجوهرى بين المصدرين ، هناك اختلافات لفظية أخرى لاتبدو واضحة فى « الترجمة الإنجليزية المعتمدة » (٢) .

على أن الإختلافات المادية بين الحكايات (اليهوية والكهنوتية) لاتزال تلفت النظر إلى أكثر من ذلك وحيث إن الاختلافات تصل فى بعض الحالات إلى حد التناقض القاطع فإن اثبات أن هذه الحكايات مستمدة من مصدرين منفصلين تصل إلى حد اليقين :

١ ـ فالحكاية اليهودية عن الطوفان تميز بين الحيوانات الطاهرة والحيوانات النجسة وبينما أخذ نوح معه فى الفلك سبعا من كل صنف من صنوف الحيوان الطاهر لم يأخذ معه سوى زوج من صنف الحيوان النجس .

أما الكاتب الكهنوتى فلم يميز من الجهة الأخرى بين صنوف الحيوان على هذا النحو بل جعلها تدخل الفلك وهى على قدم المساواة مع بعضها البعض وإن قصر عددها بدون تحيز على زوج من كل صنف (٣) .

---

(١) المصدر السابق صـ١٨٢ ـ ١٨٣ .

(٢) راجع تفصيل ذلك : الفولكلور فى العهد القديم جـ١ صـ١٨٣ ـ ١٨٤ .

(٣) المصدر السابق صـ١٨٤ ، موريس بوكاى : دراسة الكتب الكقدسة صـ٥٢ ففى الرواية يأمر « يهوه » نوحا بأن يأخذ من جميع البهائم الطاهرة سبعة سبعة ذكورا وإناثا ومن البهائم التى ليست بطاهرة اثنين ذكرا وأنثى (تكوين ٧ : ٢ ـ ٣) أما فى الثانية فلا تمييز طاهرة كانت الحيوانات أم غير ذلك وإنما يدخل منها إلى السفينة اثنان اثنان ذكرا وأنثى كما أمر الله (الوهيم) نوحا (تكوين ٧ : ٨ ـ ٩) .
والسؤال الآن : هل أمر الله نوحا أن يأخذ « سبعة سبعة » أو « اثنين اثنين » ؟ .
أو أن نوحا ـ وحاشى نبى الله أن يكون كذلك ـ قد عصى أمر ربه ؟ أو أن هذا خطأ من الكاتب ؟ وإذا كان ذلك كذلك ، ففى أى النصين كان الخطأ ، أفى نص الأمر أم فى نص التنفيذ ؟ علما بأن نص التنفيذ قد تكرر مرة ثانية فى التكوين « ودخلت إلى نوح إلى الفلك اثنين اثنين من كل جسد فيه روح حياة (٧ : ١٥ ـ ١٦) كما أن الواضح من نص التكوين هذا أنه يضغط على أن ما أمر به الرب « اثنين اثنين » ولكنه فى التكوين (٧ : ٢) يختلف عن ذلك كثيرا (راجع حسين ذو الفقار صبرى توراة اليهود صـ١١ ، د / محمد بيومى مهران : قصة الطوفان بين الآثار والكتب المقدسة صـ٤٠٩) .=

والسبب فى هذا الاختلاف البين ــ كما يقول النقاد ــ هو أن الكاتب الكهنوتى لم يفرق بين ما هو طاهر من الحيوان وما هونجس ، على أساس أن هذه التفرقة قد أوحى بها الرب لموسى لأول مرة ، ومن ثم فإن نوحا لم يكن يعرفها .

أما الكاتب الذى لم يتعب نفسه بالتفكير فى هذا الموضوع ، فقد ادعى أن التفرقة بين صنوف الحيوان على أساس الطهارة والنجاسة كانت معروفة لدى الجنس البشرى منذ العصور الأولى ، كما لو كانت هذه التفرقة ترتكز على أساس طبيعى واضح كل الوضوح بحيث لايخطئها أحد (١) .

٢ ــ ثم إن هناك اختلافا جوهريا آخر بين الكاتبين يتعلق بدوام مدة الفيضان فقد ظلت الأمطار تهطل فى قصة الكاتب اليهوى مدة أربعين يوما وأربعين ليلة ، ثم ظل نوح فى فلكه بعد ذلك مدة ثلاثة أسابيع قبل أن ينحسر الماء بمقدار يمكنه من الرسو بسفينته.

ووفقا لهذا الحساب فإن الفيضان يكون قد دام واحداً وستين يوما .

أما فى الرواية الكهنوتية فقد أخذ الطوفان يهطل مدة مائة وخمسين يوما وبعدها أخذت المياه فى الانخفاض .

= هذا وقد تنبه إلى ذلك الشيخ الفقيه علاء الدين باجى قبل أن يكتشف العلماء فكرة ازدواجية القصة فنراه يقول : كيف يحسن أن يقال « ومن كل البهائم ، ... اثنين اثنين » (٦ : ٢٠ ــ ٢١) فإن ظاهره أنه يدخل معه من كل أمة « اثنين اثنين » وقد ذكره أيضا فى (تكوين ٧ : ٨ ــ ٩ / ٧ : ١٥) مع أنه ذكر عقيبه فى (تكوين ٧ : ٢ ــ ٣) من الدواب الطاهرة سبعة سبعة : ومن غير الطاهرة اثنين اثنين (وهذا تناقض بين الكلامين) على التوراة صـ٤٥ ، ويعلق مرة أخرى على النص السابق (٧ : ٢ ــ ٣) ويذكر أنه يناقض ما تقدم من أنه يدخل معه من كل أمة اثنين اثنين .

فإن قيل : إنه مخصص لذلك وليس مناقضا له لأنه خص السبعة بالطاهر والاثنين بغير الطاهر ، وإنما يكون مناقضا لو جعل الجميع سبعة سبعة .

قلت : هذا كلام صحيح ، لكنه يكون مناقضا لو جعل الجميع « سبعة سبع » .

قلت : هذا كلام صحيح ، لكنه صرح فى تكوين (٧ : ٨ ــ ٩) بقوله : « ومن الطير الطاهر ومن الطير غير الطاهر ومن البهائم ومن الدبيب الذى يدب على وجه الأرض : اثنين اثنين من كل شىء دخلوا مع نوح (فبطل التخصص وتحقق التناقض) على التوراة صـ ٤٦ ــ ٤٧ .

(١) جيمس فريزر : الفولكلور فى العهد القديم جـ١ صـ١٨٤ صموئيل هنرى هووك : منعطف المخيلة البشرية صـ١١٣ .

أما مدة الطوفان فى العموم فقد استغرقت اثنى عشر شهرا وعشرة أيام وحيث إن الشهور تقدر بثلاثمائة وأربعة وخمسين يوما ، وإذا أضفنا إلى هذا الرقم عشرة أيام أخرى فإن المدة تكون حينئذ سنة شمسية كاملة ، أى ثلاثمائة وأربعة وستين يوما.

وحيث إن الكاتب قد حسب مدة الفيضان بما يساوى سنة شمسية فإنه يمكننا أن ندعي ونحن مطمئنون ـ فيما يقول جيمس فريزر ـ أن هذا الكاتب قد عاش فى الزمن الذى استطاع فيه اليهود أن يصححوا الخطأ فى التقويم عن طريق مراقبتهم للشمس(١) .

وقد تنبه الشيخ الباجى إلى التناقض فى مدة الطوفان فذكر أنه كيف يحسن أن يقال « وكان المطر أربعين يوما وأربعين ليلة (تك ٧ : ١٢) وكذا عقيبه (٧ : ١٧) مع قوله بعد ذلك « وتعالى الماء على الأرض مائة وخمسين يوما (تكوين ٧ : ٢٤) فإنهما إخباران متناقضان عن مدة الطوفان .

فإن قيل : يمكن أن يكون الإخبار الأول : إخباراً عن مدة نبع الماء ، ووقوع المطر فقط ، والإخبار الثانى : إخباراً عن مدة النبع ووقوع المطر وإقامة الماء بعد ذلك بلا مطر .

قلت : هذا ممكن فى نفسه لكن يبطله قوله عقيب ذكر المائة وخمسين يوما « وذكر الله نوحا ، وكل الوحوش وكل البهائم التى معه فى الفلك ، وأجاز الله ريحا على الأرض فهدأت المياه ، وانسدت ينابيع الغمر وطاقات السماء فامتنع المطر من السماء ورجعت المياه عن الأرض رجوعا متواليا ، وبعد مائة وخمسين يوما نقصت المياه » (تكوين ٨ : ١ ـ ٣) .

إن هذا الكلام ظاهره : أن انقطاع المطر والنبع كان هو نقصان الماء بعد المائة وخمسين يوما ، فتحقق التناقض .

وأيضا فإن قوله « وذكر الله نوحا ، وكل الوحوش يوهم أن طول المدة كان بسبب النسيان ، وهو باطل(٢) .

---

(١) الفولكلور فى العهد القديم جـ١ صـ١٨٤ ـ ١٨٥ ، موريس بوكاى : دراسة الكتب المقدسة صـ٥٣ .

(٢) على التوراة صـ٤٩ ـ ٥٠ .

٣ ـ بالإضافة إلى الاختلافين السابقين فإن الروايتين تختلفان فى سبب الطوفان.

ففى أولاهما يقرر « يهوه » القضاء على البشرية إذ تحدرت إلى شر وغواية (تكوين ٦ : ٥ ـ ٧) .

أما فى الرواية الثانية فإن الله (الوهيم) ـ لاحظ مرة أخرى الاختلاف بين « يهوه » هناك وبين الله « الوهيم » هنا ـ إنما يتخذ قراره إذ يرى أن الأرض قد فسدت جميعها كل ما عليها من حى (تكوين ٦ : ١١ ـ ١٢) (١) .

٤ ـ ومرة رابعة يختلف الكاتبان فى عامل أو مصدر الفيضان ، فبينما يعزوه الكاتب اليهوى إلى الأمطار العارمة التى تتهاطل على الأرض أربعين يوما بلياليهم دون انقطاع (تكوين ٧ : ٤ ، ١٢) .

يعزوه الكاتب الكهنوتى إلى تدفق المياه الباطنية إلى جانب سقوط الأمطار الغزيرة فلم يكن المطر وحده ، وإنما انفجرت أيضا ينابيع الغمر العظيم من أسفل كما من فوق (تكوين ٧ : ١١) فكان أن أنهار « الجلد » الذى نصبه الإله عند بدء الخليقة فاصلا بين المياه السفلية والتى فى السماء (تكوين ١ : ٦ ـ ٧) (٢) .

٥ ـ ومرة خامسة فإن الرواية اليهوية لاتحدد تاريخ وقوع حدث الطوفان من حياة نوح بينما الرواية الكهنوتية تحدده بحين كان عمر نوح ٦٠٠ سنة (٣) .

٦ ـ وأخيرا فإن الكاتب اليهوى يحكى عن بناء نوح للهيكل وتقديمه الضحية للرب شكرا له على انقاذه من الطوفان ، فى حين أن الكاتب الكهنوتى لايذكر شيئا عن بناء الهيكل أو تقديم الضحية .

وسبب هذا بدون شك ـ فيما يقول فريزر ـ هو أنه لم يكن هناك هيكل سوى هيكل أورشليم من وجهة نظر القانون اللاوى الذى انشغل به الكاتب الكهنوتى ؟ .

كما أن تقديم الضحية من قبل رجل عادى مثل نوح يعد عملا غير لائق فى نظر الكاتب الكهنوتى ـ لم يحدث من قبل ، كما يعد تعديا كبيرا على حقوق رجال

---

(١) حسين ذو الفقار صبرى : توراة اليهود صـ١١ العدد ١٥٧ من مجلة المجلة ١٩٧٠ م .

(٢) راجع جيمس فريزر : المصدر السابق صـ١٨٥ ، موريس بوكاى : دراسة الكتب المقدسة صـ٥٢ ، حسين ذو الفقار صبرى : توراة اليهود صـ١١ .

(٣) موريس بوكاى : المصدر السابق صـ٥٣ .

الدين لم يفكر الكاتب الكهنوتى لحظة فى أن ينسبه إلى الشيخ المبجل (١) .

وبناء على ذلك فإن الموازنة بين الروايتين اليهوية والكهنوتية تؤكد بصورة واضحة النتيجة التى توصل إليها النقاد وهما أنهما كانا فى الأصل مستقلين وأن الحكايات اليهوية تعد بحق أقدم الحكايات الكهنوتية (٢) .

هذا وبالإضافة إلى تلك التناقضات والإختلافات التى توصل إليها العلماء والنقاد بين روايتى التوراة فإن قصة الطوفان اليهودية تعد غير مقبولة فى إطارها العام .

ويرجع ذلك إلى سببين يتضحان ـ كما يقول موريس بوكاى ـ على ضوء المعارف الحديثة :

(ا) يعطى سفر التكوين للطوفان طابعا عالميا .

(ب) وعلى حين لاتعطى فقرات المصدر اليهوى للطوفان تاريخا ، فإن الرواية الكهنوتية تحدد زمن الطوفان فى عصر لم يكن من الممكن أن تقع به كارثة من هذا النوع(٣) .

والحجج التى يستند إليها هذا الحكم هى مايلى :

تحدد الرواية الكهنوتية أن الطوفان قد حدث حينما كان عمر نوح ستمائة عام

---

(١) الفولكلور فى العهد القديم جـ١ صـ١٨٥ ، صموئيل هنرى هووك : منعطف المخيلة البشرية صـ١١٣ .

(٢) جيمس فريزر : الفولكلور فى العهد القديم جـ١ صـ١٨٦ .

على أنه من الواضح أن الكاتب اليهوى كان يجهل قانون المكان المقدس الواحد الذى يحرم تقديم الضحية فى أى مكان غير أورشليم ، ولما كان هذا القانون قد أعلنه الملك « يوشيا » لأول مرة ونفذه عام ٦٢١ ق . م فإنه يترتب على هذا أن المصدر اليهوى قد ألف قبل هذا التاريخ بزمن يحتمل أن يكون طويلا .

وهذا السبب نفسه يؤكد أن المصدر الكهنوتى قد ألف بعد هذا التاريخ بزمن ليس بالقصير فيما يبدو ، حيث إن الكاتب يعترف ضمنا بقانون المكان المقدس الواحد ، حينما رفض أن ينسب إلى نوح عملا يخالفه ، ويترتب على هذا أنه بينما يكشف الكاتب اليهوى عن لون بعينه من البساطة القديمة ، حيث أرجع بكل بساطة النظم الدينية فى عصره وطبيعة هذا العصر إلى عصور الحياة الأولى ، فإن الكاتب الكهنوتى يكشف عن انعكاسات عصر متأخر تحدد فيه نظرية فى التطور الدينى طبقها الكاتب الكهنوتى على التاريخ تطبيقا دقيقا (المصدر السابق جـ١ صـ١٨٦) .

(٣) دراسة الكتب المقدسة صـ٥٣ ، ٢٤٤ ـ ٢٤٥ .

وتعطى نفس هذه الرواية إشارات عن موقعه الزمنى بالنسبة لآدم وبالنسبة لإبراهيم وذلك من خلال قائمة الأنساب (وهذه الأنساب أيضا هى كهنوتية المصدر) وحسب الحسابات المعمولة بعد الرجوع إلى إشارات سفر التكوين ، والتى تقول إن نوحا قد ولد بعد ١٠٥٦ عاما من آدم فإن الطوفان يكون قد وقع بعد ١٦٥٦ عاما من خلق آدم .

وبالنسبة إلى إبراهيم فيحدد سفر التكوين أن الطوفان قد وقع قبل ميلاده بمائتين واثنين وتسعين عاما .

ولما كان العلماء يرجحون أن إبراهيم كان يعيش فى حوالى ١٨٥٠ ق . م فإن زمن الطوفان يتحدد إذن على حسب التوراة بالقرن الحادى والعشرين أو الثانى والعشرين ق . م .

ولكن كما يقول سفر التكوين فإن الطوفان قد عم كل الجنس البشرى وكل الكائنات الحية التى خلقها الله قد أعدمت على الأرض حسب هذه الرواية .

إن البشرية والأمر هكذا تكون قد أعادت تكوين نفسها ابتداء من أولاد نوح وزوجاتهم بحيث إنه عندما يولد إبراهيم بعد ذلك بثلاثة قرون تقريبا ، فإنه يجد الإنسانية قد أعادت تكوين نفسها فى مجتمعات .

ويتساءل موريس بوكاى : كيف يمكن لإعادة البناء هذه أن تتم فى زمن قليل إلى هذا الحد ؟ ويجيب : إن هذه الملاحظة البسيطة تنزع عن النص أية معقولية .

ويضيف إلى ذلك أن المعطيات التاريخية تثبت استحالة اتفاق هذه الرواية مع المعارف الحديثة .

إذ أنه كيف يمكن أن نتصور اليوم أن كارثة عالمية قد دمرت الحياة على سطح الأرض (باستثناء ركاب السفينة) فى القرن الحادى والعشرين أو الثانى والعشرين ق . م (١) .

ففى ذلك العصر كانت هناك على نقاط عدة من الأرض حضارات قد ازدهرت وانتقلت اطلالها إلى الأجيال التالية فالمعارف التاريخية الحديثة تسمح بتأكيد هذا .

---

(١) دراسة الكتب المقدسة صـ٥٣ ، ٢٤٥ .

فعلى سبيل المثال نجد أن مصر كانت هذه الفترة بالنسبة لها هى التى تسبق الدولة الوسطى (۲۱۰۰ ق . م) وهذا بالتقريب هو تاريخ الفترة الوسطى الأولى قبل الأسرة الحادية عشرة وفى بابل أيضا كانت أسرة أور الثالثة (١) .

ومن المعروف جيدا أنه لم يحدث انقطاع فى هذه الحضارات وبالتالى لم يحدث اعدام البشرية برمتها كما تقول التوراة ، وبالنظر إلى مانعرف عن تاريخ هذا العصر فإنه يكون مضحكا القول بأن الطوفان قد دمرفيه كل الحضارات .

وبناء على ذلك ومن وجهة النظر التاريخية يمكن التأكيد بأن قصة الطوفان كما تقدمها التوراة تتناقض بشكل واضح مع المعارف الحديثة ولاشك أن وجود روايتين متناقضتين هو دليل حاسم على تعديل البشر لهذه القصة (٢) .

ويذهب كثير من العلماء أمثال : صموئيل نوح كريمر (٣) ، وصموئيل هنرى هووك (٤) ، وجيمس فريزر (٥) ، وول ديورانت (٦) ، وويلز (٧) ، وغيرهم (٨) ـ بل يكادون يتفقون ـ على أن قصة الطوفان كما وردت فى سفر التكوين ليست قصة عبرية خالصة أصيلة وإنما أخذها الإسرائيليون من قصص وتراث مابين النهرين ، ولكن القصة لم تنقل بطريقة عمياء وإنما تصرفوا فيها بطريقة تتفق وأهداف كتابهم المقدس ، ذلك لأن القصة التوراتية هى نفس القصة التى وجدت على ألواح مكتوبة منذ فترة ترجع إلى ما قبل عصر إبراهيم عليه السلام (٩) .

---

(١) راجع الفصل الثانى من الباب الأول الخاص بالديانات وسنجد أن الشعوب القديمة يرجع وجود بعضها إلى عصور موغلة فى القدم .

(٢) راجع تفاصيل ذلك : موريس بوكاى : المصدر السابق صـ٥٣ ـ ٥٤ ، ٢٤٥ ـ ٢٤٦ ، صموئيل هووك : منعطف المخيلة البشرية صـ ٤٠ ، ٢٤٥ ـ ٢٤٦ ، عصام الدين حفنى ناصف : اليهودية فى العقيدة والتاريخ صـ١٦٨ ـ ١٦٩ ، ١٧٤ : محنة التوراة على أيدى اليهود صـ٣٦ .

(٣) من ألواح سومر صـ٢٥١ وما بعدها . (٤) منعطف المخيلة البشرية صـ٣٥ .

(٥) الفولكلور فى العهد القديم صـ١٨٦ وما بعدها .

(٦) قصة الحضارة مجلد ١ جـ٢ صـ٣٦٨ ـ ٣٧٠ .(٧) موجز تاريخ العالم صـ٩٠ .

(٨) من أمثال ليونارد وولى ، وأدولف لودز ، وستانلى كوك ، وجورج بارتون ، وجاك فيجان ، ويونجر (د / محمد بيومى مهران : دراسة حول قصة الطوفان صـ٤١٥ ـ ٤١٦) .

(٩) د . محمد بيومى مهران : المصدر السابق نقلا عن ليوناردوولى .

ويذكر صموئيل نوح كريمر (١) أننا الآن صرنا متأكدين من أن قصة الطوفان التي وردت في التوراة لم تكن في الأصل من وضع مدوني أسفار التوراة وذلك منذ أن اكتشف جورج سمث اللوح الحادي عشرمن ملحمة جلجامش وحل رموزه والذي يشتمل على قصة الطوفان البابلية (٢) .

ويذهب إلى أن قصة الطوفان البابلية هي بدورها سومرية الأصل (٣) إذ أن قصة

---

(١) من ألواح سومر صـ٢٥١ .

(٢) يوجد لدى البابليين قصة مفصلة عن الطوفان فقد عثر جورج سمث في خرائب نينوى على لوح « ساردانا بوليس » وخلاصة هذه القصة أنه لما شاع الفساد والانحلال عول « انليل » على إغراق البشر ثم أرسل إلى « اوتونبشيتم » ليصنع فلكا ينجو بـه هو وأهله وتصف القصة كيف أن الآلهـة بعد أن خلقت البشر لم تلبث أن غضبت عليهم فأرسلت عليهم طوفانا عارما لتهلكهم وتمحو به سيء أعمالهم وكيف أن إله الحكمة قد اشفق على البشر واعتزم أن ينجي منهم على الأقل رجلا واحدا وظل الطوفان مهتاجا وغص البحر بالخلق ثم بكت الآلهـة على حين غفلة وعضت بنان الندم على غفلتهـا وسوء تدبيرها وتساءلت « عمن سيقرب لها القربان المعتاد ؟ » ولكن « أوتونبشيم » كان قد بنى فلكا ونجا من الطوفان وحط على جبل نزير وأرسل يمامة تستطلع ، ثم قرر أن يقرب القربان للآلهـة ، وقبلت الآلهـة قربانه وهي مندهشة شاكرة ، و« شمت الآلهة الرائحة الزكية ، واجتمعت كالذباب فوق القربان » ؟؟؟ .
راجع تفاصيل قصة الطوفان البابلية : ول ديورانت : قصة الحضارة مجلد ١ جـ٢ صـ٢١٨ طه باقر وبشير فرنسيس : ملحمة جلجامش والطوفان مجلة سومر صـ٤٢ ـ ٨٠ ، د / فاضل عبد الواحد : ثم جاء الطوفان المجلد ٣١ من مجلة سومر صـ٧ ـ ٣٧ سنة ١٩٧٥ م ، د / نجيب ميخائيل : مصر والشرق الأدنى القديم جـ٣ صـ٢٠٤ جـ٦ صـ٣١٧ ـ ٣٦٤ جيمس فريزر : الفولكلور في العهد القديم صـ١٦٢ ـ ١٧٣ ، صموئيل هووك : منعطف المخيلة البشرية صـ٣٨ ـ ٤٨ .

(٣) لقد تأثر الكتاب البابليون بقصة الطوفان السومرية بصورة مباشرة فأخذوا موضوعها وخطوطها العريضة ولكنهم أضافوا إليها كما فعلوا ذلك بالنسبة لمعظم التآليف الأدبية ذات الأصل السومري ، وقد تم العثور على قصة الطوفان السومرية في بداية هذا القرن ونشرها لأول مرة الأستاذ بوبل عام ١٩١٤ وعلى الرغم من أن الباحثين لم يعثروا إلا على النصف السفلي من اللوح الذي نقشت عليه قصة الخلق السومرية فإن هذا القدر يكفي مع ذلك لأن يمدنا بالخطوط الأساسية لقصة الطوفان السومرية ويظهر من تفاصيل هذه القصة أنها تتناول بصورة رئيسية ثلاث قضايا أساسية أولها خلق الإنسان والكائنات وثانيها حدوث الطوفان الذي أريد به القضاء على البشر كليا ، وثالثها أن هناك منقذا يقوم ببناء سفينة =

الطوفان السومرية تتفق فى ملامحها الأساسية مع قصة الطوفان البابلية التى تحتوى عليها ملحمة جلجامش تلك القصة التى تتميز عن أختها السومرية بطولها البالغ وكثرة حوادثها .

ففى كلتا القصتين قرر إله كبير « انليل » أو « بل » أن يهلك الجنس البشرى عن طريق إغراق الأرض بالأمطار .

وفى كلتيهما حذر إله آخر هو «انكى» أو « ايا » رجلا من حدوث الكارثة ، وقد انقذ هذا الرجل الذى قبل النصح بأن لجأ إلى السفينة التى أمره الإله ببنائها .

وفى كلتا الحكايتين بلغ الفيضان ذروته فى اليوم السابع ، وفى كلتيهما يقدم الإنسان ضحية للآلهة بعد أن انتهى الطوفان ، ثم رفعته الآلهة بعد ذلك إلى مصافها .

أما الاختلاف الجوهرى الوحيد بين القصتين فيتمثل فى اسم البطل فيهما فهو فى السومرية يدعى « زيودسودو » وفى البابلية يدعى « أوتنابشتيم » أو « أثرخاسيس » (١) .

وفيما يتعلق بالعلاقة بين قصة الطوفان السومرية وبين قصة الطوفان التوراتية فإن العلماء قد ذهبوا إلى أنهما يتفقان من حيث أن كلتيهما تعالج موضوع خلق الإنسان وحادثة الطوفان بوصفهما حادثتين حدثتا فى فجر تاريخ الحياة ، وترتبط إحداهما بالأخرى كل الارتباط ، وأكثر من هذا فإن القصة السومرية تتفق مع المصدر اليهوى وتعارض المصدر الكهنوتى فى الوقت نفسه من ناحية أن الإله خَلق الإنسان أولا قبل خلقه صنوف الحيوان (٢) .

=للنجاة وأنه يكافأ مقابل ذلك بالخلود .

راجع تفاصيل الحديث عن الطوفان السومرية : جيمس فريزر المصدر السابق صـ١٧٣ ـ ١٨٥ ، د / فاضل عبد الواحد : ثم جاء الطوفان صـ ٥ ـ ٧ ، د / نجيب ميخائيل : مصر والشرق الأدنى جـ٦ صـ٢٦٤ ـ ٢٦٥ .

(١) جيمس فريزر : الفولكلور فى العهد القديم جـ١ صـ١٧٦ ، راجع أيضا المصادر السابقة الخاصة بالقصتين.

(٢) جيمس فريزر : المصدر السابق جـ١ صـ١٧٤ .

أما بخصوص العلاقة بين حكايتي الطوفان العبرية والبابلية فإن جيمس فريزر يذكر أنه ربما كانت المقارنة بينهما كافية لأن تؤكد أن كلتا الحكايتين لم تنشأ في الأصل مستقلة ، بل إن من المؤكد أن إحداهما اعتمدت على الأخرى ، أو أنهما استمدا معا من أصل واحد .

ويرى أن وجوه الاتفاق بين الحكايتين تتعدد حتى تشمل التفصيلات الجزئية بحيث لايمكننا أن نرجع هذا إلى محض الصدفة (١) .

ومن هذه التفصيلات الجزئية أن في كلتا الحالتين أرسل الرجل الذي أُنقذ طائرين غرابا وحمامة ليرى عن طريقهما ما إذا كانت مياه الطوفان قد انحسرت عن الأرض .

وفي كلتيهما عادت الحمامة إلى السفينة لأنها لم تجد مكانا تستقر فيه أما الغراب فلم يعد في كلتا الحكايتين .

وفي كلتيهما رست السفينة على جبل ، وفي كلتيهما اشتمت الآلهة رائحة الشواء الطيبة فسكن غضبها .

---

(١) الفولكلور في العهد القديم جـ١ صـ١٨٦ ، وقد كان للشيخ الباجي تعليق ومؤاخذة على حكاية إرسال الغراب ومن بعده الحمامة كما ورد ذلك في سفر التكوين يقول الشيخ : « كيف يحسن أن يقال وكان بعد أربعين يوما فتح نوح طاق التابوت ... وأرسل الغراب ينظر إن كان قد قل الماء (تكوين ٨ : ٦) مع أنه قد قال قبله « فظهرت رؤوس الجبال في اليوم الأول من الشهر العاشر (تكوين ٨ : ٥) فإذا كانت قد ظهرت رؤوس الجبال من قبل ذلك بأربعين يوما ، بل وتزداد ظهورا في تلك المدة فكيف يحتاج في معرفة أن الماء قد قل إلى إرسال غراب أو غيره ، فإنه بالمشاهدة ترى رؤوس الجبال بعد أن كان الماء مرتفعا عليها خمسة عشر ذراعا فيعلم نقصان الماء ، ثم يذكر الشيخ الباجي أنه كيف يحسن أن يرسل نوح الحمامة بعد ذلك فلم تجد موضعا لرجليها مع أن رؤوس الجبال قد ظهرت من قبل ذلك فإنها تجد لرجليها موضعا على رؤوس الجبال .

ثم إن بعثها وبعث الغراب لكشف ذلك يستدعي أن يعرف لغة الطير ولم يثبت ذلك لنوح ولا لغير سليمان ــ عليه السلام ــ ولو كان يعلمها وأمرها بلغتها لما خالفت في المرة الثالثة لما بعثها حيث أرسلها فلم ترجع (على التوراة صـ٥٠ ــ ٥١) .

ومن المحتمل أنه ليس من قبيل الصدفة أن يكون البطل الذى أنقذ من الطوفان فى الحكاية البابلية ـ وفقا لرواية «بيروسوس» هو ملك بابل العاشر ، وأن يكون نوح فى الحكاية العبرية هو الرجل العاشر فى نسل آدم (١) .

وهكذا تتعدد وجوه الشبه بين الحكايتين البابلية والعبرية فى مجموعهما ، فإذا شئنا بعد ذلك أن نتعمق التفصيلات فإننا نجد أن الحكاية البابلية أقرب إلى الحكاية اليهوية منها إلى الحكاية الكهنوتية .

فكل من الرواية اليهوية والبابلية تعطى أهمية للعدد سبعة :

فقد حذر نوح فى الرواية اليهوية من حدوث الطوفان سبعة أيام على التوالى كما أخذ معه فى السفينة سبعا من كل صنف من صنوف الحيوانات الطاهرة .

ثم إن المسافة الزمنية بين اطلاقه طائرا وآخر كانت سبعة أيام ، وبالمثل دام الطوفان فى الرواية البابلية حتى بلغ قمته سبعة أيام كما أن البطل فيهما وضع مجموعات من أوعية التضحية فوق الجبل ، وكانت كل مجموعة تتكون من سبعة أوعية .

وتؤكد كل من الروايتين البابلية واليهوية أن باب السفينة أوصد بعد أن دخلها الرجل وأسرته وصنوف الحيوانات التى اختارها .

وفى كلتيهما صورت الحادثة المثيرة : حادثة إرسال الحِمامة ثم الغراب من السفينة كما أن الضحية قدمت كلتا الحكايتين وقد اشتمت الآلهة فيهما رائحة الشواء وسكن غضبها (٢) .

على أننا نجد من ناحية أخرى أن الحكاية الكهنوتية فى سفر التكوين تقرب من الحكاية البابلية فى بعض التفصيلات المحددة ، أكثر من اقتراب الرواية اليهوية .

---

(١) جيمس فريزر : المصدر السابق صـ١٨٦ ـ ١٨٧ .

(٢) جيمس فريزر : الفولكلور فى العهد القديم جـ١ صـ١٨٧ ـ ١٨٨ ، صموئيل هنرى هووك : منعطف المخيلة البشرية صـ١٠٩ ـ ١١٠ ، د / أحمد سوسة : مفصل العرب واليهود فى التاريخ صـ٤٣٣ ـ ٤٣٥ .

ففى كل من الروايتين : الكهنوتية والبابلية أصدرت الآلهة تعليمات محددة إلى البطل لبناء السفينة .

وبناء على هذه التعليمات ، بنيت السفينتان فى أنها طليت فى كل منها بالقار أو القطران ورست كل منهما على جبل ، واستقبل البطلان بركة الإله عند خروجهما(١) .

هذا وقد عرض قاموس الكتاب المقدس لقصتى الطوفان : السومرية والبابلية وانتهى الكاتب إلى أنه لجلى أن بين الرواية العبرية والرواية البابلية عناصر مشتركة كثيرة ، وربما رجعا كلاهما إلى مصدر واحد (٢) .

ونقل الأب ديلى فى كتابه « تاريخ شعب العهد القديم » جدولا وضعه أحد العلماء ويظهر فى هذا الجدول أوجه الشبه والقرابة بين رواية الكتاب المقدس ورواية التقاليد البابلية (٣) .

بل ان صموئيل هنرى هووك وضع نقاط التشابه والاختلاف بين نسخة الكاتب اليهوى ـ ونسخة الكاتب الكهنوتى وبين اعتماد النسختين على مصادر أرض الرافدين فى شكل جداول (٤) .

فاذا كانت القصتان اليهودية والبابلية عن الطوفان تتشابهان إلى هذا الحد فكيف يمكننا أن نفسر هذا التشابه ؟

يذكر فريزر أن الرواية البابلية لا يمكن أن تكون مستمدة من الرواية العبرية حيث إن الرواية البابلية أقدم من الرواية العبرية بما يقرب من أحد عشر أو اثنى عشر قرنا .

وفضلا عن ذلك فان الحكاية العبرية فى جوهرها ، كما لاحظ « تسيمرن » تقضى بأن يكون البلد المشار اليه قابلا لحدوث الفيضانات مثل بابل الذى لايدع

---

(١) جيمس فريزر : المصدر السابق صـ١٨٨ .

(٢) قاموس الكتاب المقدس صـ٥٨٢ ـ ٥٨٤ .

(٣) تاريخ شعب العهد القديم صـ ٨١ - ٨٤ .

(٤) منعطف المخيلة البشرية صـ ١١٢ .

مجالا للشك فى أن الحكاية « نشأت أصلا فى بابل ، ثم انتقلت بعد ذلك إلى فلسطين»(١) .

والواقع أنه لا يمكن قبول رأى فريزر وغيره من العلماء على وجه الإطلاق حيث إن قصة الطوفان الاصلية ترجع الى الوحى السماوى سواء كان هذا الوحى قد نزل على سيدنا نوح أو من خلال صحف الخليل ابراهيم عليهما السلام .

بالاضافة الى أنه من المحتمل جداً أن تكون التوراة الأصلية قد تضمنت اخبار الله لسيدنا موسى بحادث الطوفان .

لكن من المقطوع به على هدى القرآن الكريم ، وعلى ضوء الدراسات التى ذكرتها عن فقدان اليهود للتوراة المنزلة وتحريفهم لها ، من المقطوع به أن الأسفار الخمسة فى صورتها الحالية بما تحتوى عليه من قصص وغيرها ليست وحيا خالصا ولا يمكن أن يعتد بكل مافيها بل ان ثبوت تحريفها وتغييرها جعلنا لا نميز فيها بين الصحيح والفاسد .

وانطلاقا من هذا كله فان اليهود يكونون قد خلطوا ماتبقى لديهم من وحى بما كان ـ يتردد على ألسنة الشعوب القديمة وبما شاع فى أوساطهم الثقافية والشعبية .

ثم انهم قد اطلعوا على قصتى الطوفان : السومرية والبابلية وهم فى بابل حيث ـ كان التراث العراقى القديم تحت ايديهم وتهيأ لهم النظر فيه فعكفوا عليه وأخرجوا لنا تلك القصة التى بين العلماء تناقضها ثم اكتشفوا ازدواجها وأرجعوها إلى روايتين :ــ يهوية ، وكهنوتية .

ولا شك أن هذه الاختلافات الكثيرة والتناقضات الصارخة ترجح أن اليهود قد تلاعبوا بنصوص القصة الأصلية وأضافوا اليها من أهوائهم ثقافتهم المتعددة .

ولعل الذى يستوقف النظر حقا تلك الأوصاف البشرية التى خلعوها على الرب أثناء عرضهم لقصة الطوفان.

فقد ذكر مثلا فى سبب الطوفان أن الرب حينما « رأى أن شر الانسان قد كثر فى الأرض حزن انه عمل الانسان فى الارض وتأسف فى قلبه فقال أمحو عن وجه

---

(١) الفولكلور فى العهد القديم جـ ١ صـ ١٨٨ .

الأرض الانسان ـ الذى خلقته ، الانسان مع بهائم ودبابات لأنى حزنت أنى عملتهم » (١) .

فهكذا صور اليهود الله سبحانه بصورة لا تليق به ... جعلوه غير مدرك لا بعاد ـ مايصنعه .... غير عارف بما سيحدث من الانسان مستقبلاً ، حتى يندم على خلقه لأنه لم يتوقع منه أن ينحرف .

يقول الشيخ الباجى « كيف يحسن أن يقال : « وتأسف الله على آدم اذ خلقه على الأرض » فان الله سبحانه لا يتأسف على شئ ، لأنه يعلم ما يكون قبل أن يكون فلا يفعله الا كما يريد ، فلا يلحقه فيه ندم ولا تأسف ـ سبحانه وتعالى ـ إنما ذلك فى حق عاجز جاهل بعواقب الأمور » (٢) .

وأيضا فان كتبة الطوفان قد ذكروا أن نوحا عليه السلام بعد أن انحسر الطوفان بنى مذبحا للرب وأصعد له محرقات عليه « فتنسم الرب رائحة الرضا وقال الرب فى قلبه لا أعود ألعن الأرض أيضا من أجل الانسان ... ولا أعود أيضا أميت كل حى كما فعلت » (٣) .

فإلى هذا الحد تؤثر فيه رائحة الشواء حتى يندم أشد الندم على اهلاك البشر بالطوفان ويعزم فى قلبه على انه لن يعود أبداً ليلعن الأرض ويهلك الأحياء .

يقول الدكتور بدران محمد بدران « هكذا صورك كتبة التوراة اله اسرائيل . تندم لأنك خلقت الانسان . ثم تعود فتندم لأنك ندمت أنك خلقت الإنسان . صورروك بصورة الاله المرتشى ... لمجرد أن نوحا أحرق لك بعض البهائم والطيور وصعدت رائحة الشواء لك فى السماء ندمت .. لأنك عرفت أن الانسان طيب وليس شريراً كما تصورت وظهر ندمك فى أنك جعلت الأرض خصبة له طول العام ونوعت الجو خلقت البرد والحر والصيف والشتاء فعلت كل هذا من أجل رائحة الشواء التى تنسمتها ألهذا السبب يكثر الاسرائيليون من حرق الذبائح » (٤) .

---

(١) تكوين ٦ : ٥ ـ ٧ .

(٢) على التوراة صـ ٤٣ ـ ٤٤

(٣) تكوين ٨ : ٢١ .

(٤) التوراة :العقل . العلم . التاريخ صـ ٤٦ .

بل ان كتبة قصة الطوفان بالغوا فى هذا الشطط حينما ذكروا أن الرب قد أخذ على نفسه ميثاقا مع نوح وبنيه « أقيم ميثاقاً معكم فلا ينقرض كل ذى جسد أيضا بمياه الطوفان ولا يكون أيضا طوفان ليخرب الأرض » (١) .

فان لفظ « العهد » بأنه لا يقع الطوفان على الأرض أبدا سواء أفسد أهلها أولم يفسدوا ، لايحسن لوجهين :

أحدهما : أنه لا يناسب نفس الشرائع فانها محشوة بتهديد المكلفين بعقوبات الدنيا والآخرة على معاصيهم ليخافوا ، فيستقيموا على طاعته سبحانه وتعالى فان اعلامهم بعدم المؤاخذة ، لاسيما بلفظ المعاهدة فغير المناسب لذلك النفس بل هو ينافيه .

وثانيهما : ان المسامحة بالمؤاخذة يكفى فيه لفظ العفو عن المعصية ، أو ترك التكليف بتجريمها فأما استمرار التكليف مع المعاهدة على ترك المؤاخذة فلا وجه له ولا تحسن هذه المعاهدة الا فى مهادنة طائفتين من البشر ، لتأمن كل منهما من شر الأخرى : فيؤمنها شرها أيضا ، تعالى الله عن ذلك (٢) .

ولكى لا ينسى الله هذا الميثاق جعل لنفسه علاقة ليتذكره بها هذه العلامة هى قوس السحاب أو مايسمى بقوس قزح (٣) .

« وقال الله هذه علامة الميثاق الذى أنا واضعه بينى وبينكم وبين كل ذوات الأنفس الحية التى معكم إلى أجيال الدهر ، ووضعت قوسى فى السحاب فتكون علامة ميثاقى بينى وبين الأرض فيكون متى أنشر سحاباً على الأرض ويظهر القوس فى السحاب أنى أذكر ميثاقى ـ الذى بينى وبينكم وبين كل نفس حية فى كل جسد فلا تكون أيضا المياة طوفانا لتهلك كل ذى جسد فمتى كانت القوس فى السحاب

---

(١) راجع سفر التكوين ٩ : ٨ ـ ١١ .

(٢) علاء الدين الباجى : على التوراة صـ ٥٥ ـ ٥٦ .

(٣) ورد فى قاموس الكتاب المقدس ـ أن قوس قزح عبارة عن نصف دائرة ملونة تحدثها أشعة الشمس على نقط الماء الساقطة ـ ويظهر بأجلى بيان اذ كان الناظر بين الشمس من الجانب الواحد والسحاب من الجانب الآخر ويظهر أيضا بقرب الشلالات والنوافير (قاموس صـ ٧٤٧) .

أبصرها لأذكر ميثاقا أبديا بين الله وبين كل نفس حية فى كل جسد على الأرض ، وقال الله لنوح هذه علامة الميثاق الذى أنا أقمته بينى وبين كل جسد على الأرض » (١) .

فهل الله سبحانه قد ندم على احداث الطوفان وهل يأخذ على نفسه الميثاق بعدم ـ تكرار هذا الطوفان مرة أخرى ، وهل هو ينسى حتى يذكره أحد ؟

يذكر الشيخ الباجى أن كون القوس علامة العهد لا يحسن لوجهين :

أحدهما : ان القوس لا يكون فى كل غمام ، بل فى القليل من أوقات الغمام ، وهو وقت رقة الغمام حيث لا يكون موجبا لكثرة الأمطار التى يخاف منها الطوفان فلا تحصل العلامة وقت الحاجة اليها بل وقت الاستغناء .

وثانيهما :أن عهده بأنه لا يرسل الطوفان عليهم ان لم يعتمدوا على صدقة ، فقوله :ان القوس علامة لعهده ، لا يعتمدون أيضا على صدقه ، وان اعتمدوا على صدقه فلا حاجة إلى هذه العلامة التى لا تناسب الطوفان ولا عدمه ، ولاتنطلى الا على ضعيف العقل ، ثم ان قوله « وليكن قوس فى الغمام أراه وأذكر عهدى » يفهم منه :أن رؤية القوس تذكره ـ سبحانه وتعالى بالعهد .

وهذا لا يتوهمه أحد من العقلاء أن النسيان يجوز تطرقه اليه ـ سبحانه ـ حتى يتذكر برؤية القوس ، فيكف يجوز أن يخبر به ـ سبحانه ـ عن ذاته المقدسة (٢) .

ولاشك أن قصة قوس قزح هذه تشبه رواية الأساطير ولا تليق بكتاب مقدس ولا بأى فكر علمي ... ويأتى سؤال يقول :أليس الله بخالق الكون وواضع ناموسه؟

ألا يعرف اله اسرائيل ان قوس قزح يظهر فى السماء حاويا ألوان الطيف السبعة عند التقاء أشعة الشمس ببخار الماء فتنكسر اشعة الشمس فى مناشير بخار الماء التى تحلل ـ بدورها شعاع الشمس مكونة قوس قزح (٣) .

والواقع أن تصوير كتبة التوراة للرب بأنه بعد أن تنسم رائحة الشواء قد ندم على

---

(١) تكوين ٩ : ١٢ ـ ١٧ .

(٢) على التوراة صـ ٥٦ ـ ٥٧ .

(٣) د/ بدران محمد بدران :التوراة : العقل . العلم . التاريخ صـ ٤٧ .

حدوث الطوفان وعزم فى نفسه على عدم تكراره ، وقال لا أعود ألعن الأوض أبدا وأخذ على نفسه الميثاق ووضع قوس قزح علامة لتذكره بهذا الميثاق ، وكل هذا يذكرنا بالرواية البابلية التى ورد فيها أن الآلهة تجمعت على مذبح الذبيحة كما يجتمع الذباب واستنشقت الرائحة الزكية ، وأخذت بعض الآلهة تؤنب الآلهة الأخرى التى أحدثت الطوفان ثم أخذت الآلهة جميعا ميثاقا على نفسها بعدم إهلاك البشر مرة أخرى ووضعوا عقد عشتار اللازوردى كذكرى (١) .

ويذكر الدكتور محمد عبد المجيد أن قصة الطوفان ـ كما وردت فى التوراة ـ تتشابه مع أساطير الطوفان السومرية والبابلية وخاصة أسطورة جلجامش فى التراث البابلى فى بعض تفاصيله .

فقد احتوت على عبارات تنافى العقيدة الموسوية ومثال ذلك أنه عندما أراد الكاتب أن يمهد لقصة الطوفان استخدم عبارة « بنى ألوهيم » وهذه العبارة حرفياً تعنى « أبناء الأرباب » وربما نقل الكاتب العبارة البابلية .

ويبدو أن كاتب التوراة قد تأثر فى تمهيده فى الاصحاح السادس (١ ـ ٧) بما جاء فى أسطورة « أنوماليس » من ازعاج الآلهة الأبناء للآلهة الكبار ، وتفكير آلهة الكبار فى التخلص من الآلهة الصغار بالإبادة .

فكما تذكر الأسطورة البابلية أن الآلهة الصغار تكاثرت وسببت الازعاج للآلهة الكبار ، يذكر سفر التكوين أن بنى الإنسان تكاثروا وكثرت خطاياهم وندم الرب على خلقهم وفكر فى التخلص منهم بالطوفان ، وكماغضب يهوه فى قصة نوح فقد غضب انليل فى قصة الطوفان البابلية على الناس بعد تكاثرهم وازدياد ضجيجهم (٢) .

ولكن إذا كان اليهود قد أخذوا بعض حكاية الطوفان عن البابليين فمتى وكيف تم ذلك ؟ .

يذكر جيمس فريزر أنه من المحتمل كل الاحتمال أن اليهود قد عرفوا هذه

---

(١) راجع الإشارة إلى قصة الطوفان البابلية فى هذا الفصل .

(٢) اليهودية : صـ ١٨١ .

الحكاية البابلية أثناء تعرفهم على التراث البابلى إما عن طريق الروايات الشفهية أو المدونة وذلك فى أثناء أسرهم فى بابل أو ربما بعد عودتهم إلى فلسطين (١) .

ويحق لنا أن نفترض أن العلاقة الوثيقة بين البلدين التى مهد لها الغزو البابلى لفلسطين ربما أدت على نحو ما إلى انتشار الأدب البابلى فى فلسطين . كما أدى هذا ـ السبى إلى انتشار الأدب اليهودى فى بابل .

وبناء على وجهة النظر هذه فان بعض هذه التفصيلات التى تختلف فيها الرواية الكهنوتية عن الرواية اليهوية وتتفق فيها مع الرواية البابلية قد نقلها الكتاب الكهنوتيون مباشرة عن المصادر البابلية ، وهذه التفصيلات تتعلق ببناء السفينة وطلائها بالقار أو ـ القطران اللذين يعدان بصفة خاصة من منتجات بابل (٢) .

على أن هناك رأيا آخر يذهب إلى أن اليهود قد عرفوا قصة الطوفان البابلية قبل أن يؤخذوا فى الأسر بزمن طويل .

ويرجح ول ديورانت هذا الرأى ويذكر أنهم أخذوها من مصادر سامية وسومرية قديمة كانت منتشرة فى جميع بلاد الشرق الادنى (٣) .

ويذهب كثير من العلماء إلى أن اليهود أخذوا بعض قصة الطوفان بعد أن استقروا فى فلسطين عن طريق الكنعانيين سكان البلاد الأصليين الذين عرفوها بدورهم عن طريق الأدب البابلى فى حوالى الألف الثانى ق . م .

فقد كان للثقافة البابلية أثرها خالد فى فلسطين الكنعانية ، وعن طريق الكنعانيين وصل أثر البابليين فى الفن والأدب والدين إلى العبرانيين .

وبناء على ذلك فان قصة الطوفان البابلية قد شقت طريقها متجهة غربا شطر البحر الأبيض المتوسط حتى انتشرت فى « سوريا وفلسطين حتى انتقلت إلى اليهود عن طريق الكنعانيين (٤) .

---

(١) راجع الفصل الخاص بفترات السبى انظر السبى البابلى .

(٢) الفولكور فى العهد القديم جـ ١ صـ ١٨٨ ـ ١٨٩ .

(٣) قصة الحضارة مجلد ١ جـ٢ صـ ٣٦٨ .

(٤) بريستيد : فجر الضمير صـ ٣٦٠ ـ ٣٦١ . ٣٧١ ـ ٣٧٢ .

وهذا الرأى تؤيده كل التأييد الحكاية اليهوية فى سفر التكوين التى يمكن أن ـ ترجع إلى القرن التاسع ق . م والتى لا يمكن أن تتأخر بحال من الأحوال عن القرن الثامن(١) ق . م .

هذا وقد لعب الخيال اليهودى فى العصور المتأخرة بحكاية الطوفان فأضاف اليها تفاصيل جديدة تميل فى الغالب إلى المغالاة ، وذلك فيما يبدو ، بقصد اشباع شغف العبريين فى عصر انحطاطهم أو مداعبة مزاجهم فى هذا العصر ، ذلك المزاج الذى لم يكن يقتنع ببساطة بحكايات سفر التكوين .

ومن بين هذه الزخارف الرخيصة أو الاضافات الغربية التى أضيفت إلى القصة القديمة تصور الناس وهم يعيشون فى دعة قبل أن يحدث الطوفان ، فقد كانوا يجنون من زراعة واحدة محصولا يكفى حاجتهم طيلة أربعين عاما ، كما كانوا بفنونهم السحرية ، يسخرون ـ الشمس والقمر لخدمتهم ، ولم تكن الأجنة تمكث فى بطون أمهاتها سوى بضعة أيام بدلا من تسعة شهور ، وبمجرد أن يولد الأطفال يكونون قادرين على الكلام والسير على الأقدام ، بل انهم يتحدون الشياطين ويسهزءون بهم .

ولقد كانت هذه الحياة السهلة المرفهة هى السبب ـ كما يزعمون ـ فيما وصل اليه الناس من ضلالة كما كانت دافعا لهم إلى ارتكاب الاثام ، وبخاصة الفسق والسلب ، الأمر الذى أثار غضب الرب وجعله يقرر أن يقضى على العاصين بأن يغرقهم فى الطوفان ، ثم أمهلهم الرب أسبوعاً كانت الشمس تشرق كل صباح من المغرب وتغرب فى المساء فى المشرق ، ولكن هذا لم يردعهم (٢) .

ومن هذه الزخارف أيضا أن الطوفان قد تسبب عن التقاء المياه المذكرة التى هطلت من السماء بالمياه الأنثوية التى تدفقت من تجاويف صنعها الرب بأن انتزع نجمين من برج الثريا فتركا مكانهما تجويفا ، وعندما شاء الرب بعد ذلك أن يسكت الأمطار الهائلة من السماء عاد فسد التجويفين بنجمين أخذهما من برج الدب ، وهذا هو السبب فى أن برج الدب مازال يلاحق برج الثريا حتى اليوم مطالبا بأولاده

---

(١) فريزر :الفولكلور فى العهد القديم صـ ١٨٩ .

(٢) جيمس فريزر : الفولكاور فى الهد القديم جـ ١ صـ ١٨٩ ـ ١٩٠ .

ولكنه لن يحصل عليهم إلى الأبد .

وذكروا أيضا أن نوحا لم يستطع أن يدخل جميع الحيوانات التى أتت اليه جماعات فى أعداد كبيرة للغاية ـ فى الفلك وكان عليه أن يجلس عند بابه ليختار بعضها فأدخل فى الفلك الحيوانات التى كانت تجلس عند الباب ، وأبعد التى كانت واقفة وحتى بعد أن نفذ نوح هذا المبدأ من الاختيار الطبيعى بصرامة ، كان عدد أنواع الزواحف التى دخلت الفلك لا يقل عن ثلاثمائةوخمس وستين صنفا ، كما بلغ عدد أنواع الطيور اثنين وثلاثين نوعا ، ولم يحص نوح عدد أنواع الحيوانات الثديية أو أن الكاتب على الأقل لم يدون ـ عددها .

وكان هناك حيوان ضخم هو الريم لم يجد له مكانا فى الفلك لضخامته ولهذا فقد قيده نوح بحبل طويل ربطه فى الفلك وأخذ الحيوان يخب من ورائها .

ويذكرون أن هناك زوجا غريبا وجد له مكانا فى الفلك وهو النفاق والخيبة ، وكان النفاق قد جاء وحده أول الأمر ووقف عن باب الفلك ولكن نوحا منعه من الدخول لأنه لم يكن يسمح بالدخول سوى للمتزوجين فانصرف النفاق وتقابل مع الخيبة فأقنعها بأن يكون زوجا لها ويرحل معها إلى الفلك وبذلك قبلا معا بالسفينة(١).

على أن مشكلة المشاكل التى كان على نوح أن يواجهها فى الفلك ـ كما تزعم هذه ـ الروايات ـ هى مشكلة توزيع المؤن .

فقد حكى « سام » ولد نوح بعد ذلك بزمن إلى « اليعازر » خادم ابراهيم عن المشقة التى كان نوح يعانيها فى « سبيل إطعام جيش الوحوش داخل الفلك ، فقد كان ـ يصعد ويهبط داخل الفلك عدة مرات فى الليل والنهار اذ كان عليه أن يطعم حيوان النهار نهارا ، وحيوان الليل ليلا ، كما كان يقدم الطعام للمارد « عوج » من خلال ثقب فى سقف السفينة .

وعلى الرغم من أن الأسد كان هادئا نسبيا اذ كان يعانى طوال الوقت من آلام الحمى فانه كان فظا للغاية وعلى استعداد لأن يزأر لأقل اثارة .

وذات مرة لم يقدم له نوح الغذاء الكافى فضربه الحيوان النبيل بكفه ضربة

---

(١) المصدر السابق صـ ١٩٠ ـ ١٩٢ بتصرف واختصار شديد .

عنيفة أصابته بالعرج سائر أيام حياته ، فأصبح بعد ذلك غير قادر على أن يقوم بعمله بوصفه كاهنا .

وتذكر هذه الروايات أن نوحا قد أطلق الغراب ليستطلع الأمر ويقدم له تقريراً عن الطوفان ولكن الغراب وجد جسما يطفو على الماء فأسرع وراءه ليلتهمه ونسى أن يعود إلى نوح ليقدم التقرير فأطلق نوح بعد ذلك بأسبوع الحمامة ثلاث مرات وفى المرة الثالثة عادت وعلى منقارها ورقة من شجر الزيتون وكانت قد انتزعتها من فوق جبل الزيتون فى أورشليم ذلك أن الطوفان لم يكن قد أغرق المدينة المقدسة ! ! (١) .

قصة الطوفان كما وردت فى القرآن الكريم :

ولعله قد حان الوقت بعد أن تقلبت بنا قصة الطوفان بين خرافات السومريين وأساطير البابليين وخلط الاسرائيليين أن نسارع إلى القرآن الكريم لنتعرف فى ايجاز على قصة الطوفان كما أنزلها الحكيم الخبير ـ نقية صحيحة ـ على نبينا الأمين صلوات الله وسلامه عليه .

لقد أشار القرآن الكريم إلى قصة الطوفان كعقاب سماوى أنزله الله سبحانه بقوم نوح عليه السلام جزاء كفرهم وتكذيبهم ـ فى أكثر من سورة من سور القرآن الكريم (٢) .

لكن سورة هود قد اشتملت على أغلب أحداث تلك القصة ان لم يكن كلها (٣) .

فالقرآن الكريم لا يقدم عن الطوفان رواية مستمرة فهناك سور عديدة تتحدث عن العقاب الذى وقع على شعب نوح ، أما أكثر الروايات كمالا فهى فى سورة (هود) أما سورة (نوح) كلها فهى تذكر بشكل خاص موعظة نوح كما تفعل ذلك الآيات من ١٠٥ ـ ١٢١ من سورة الشعراء وان كان فيهما اشارة موجزة إلى

---

(١) نقلا عن فريزر :المصدر السابق بتصرف واختصار صـ ١٩٢ ـ ١٩٣ .

(٢) ومن هذه السورة الكريمة : سورة الاعراف : (٥٩ ـ ٦٤) ، وسورة يونس : (٧١ ـ ٧٣) الأنبياء : (٧٦ ـ ٧٧) ، المؤمنون : (٢٣ - ٢٩) ، الشعراء : (١٠٥ ـ ١٢١) الصافات : (٧٥ - ٨٢) ،القمر : (٩ ـ ١٦)

(٣) هود : ٢٥ ـ ٤٩.

الاغراق .

ويذكر موريس بوكاى أن القرآن الكريم يقدم رواية شاملة عن الطوفان مختلفة عن رواية التوراة ولا تثير أى نقد من وجهة النظر التاريخية (١) .

وهناك فروق جوهرية كثيرة بين قصة الطوفان كما أخبر بها القرآن الكريم وبين القصة التى وردت فى توراة اليهود .

ومن هذه الفروق أن القرآن يقدم كارثة الطوفان باعتبارها عقابا نزل بشكل خاص على شعب نوح بعد أن أنذرهم به زمنا طويلا ليتفادوه .

فعلى حين تتحدث التوراة عن طوفان عالمى لعقاب كل البشرية الكافرة يشير القرآن الكريم على العكس إلى عقوبات عديدة نزلت على جماعات محددة جيداً(٢) .

فعلى سبيل المثال يقول الله تعالى فى سورة الفرقان :

« ولقد آتينا موسى الكتاب وجعلنا معه أخاه هارون وزيراً ، فقلنا اذهبا إلى القوم الذين كذبوا بآياتنا فدمرناهم تدميراً ، وقوم نوح لما كذبوا الرسل أغرقناهم وجعلناهم للناس اية وأعتدنا للظالمين عذاباً أليما ، وعاداً وثموداً وأصحاب الرس

---

(١) دراسة الكتب المقدسة صـ ٢٤٦ ، هذا ويجب دائما أن نفرق بين ما ورد فى القرآن بخصوص هذه القصة وبين ما أضافه المفسرون وما نقلوه عن الاسرائيليات كاختلافهم فى طول السفينة وارتفاعها وفى أمر التنور و ماتبع ذلك من خرافات ومبالغات دون الاعتماد على السند الصحيح فى هذا الشأن ، وكذلك الأمر عن دخول الحيوانات إلى السفينة وكيف أن ابليس دخل إلى السفينة فى ذيل حمار .

يذكر الدكتور محمد بن محمد ابو شهبة أن بعض كتب التفسير قد أحاطت سفينة نوح بهالة من العجائب والغرائب : من أى خشب صنعت ؟ وما طولها ؟ وما عرضها ؟ وما ارتفاعها ، وكيف كانت طبقاتها ، ذكروا خرافات فى خلقة بعض الحيوانات من الأخرى ـ وقد بلغ الأمر ببعض الرواة أن ينسبوا هذا إلى النبى ـ ﷺ ـ وانا لننزه المعصوم من أن يصدر عنه مانسبوه اليه وانما هى أحاديث خرافة اختلقها اليهود وأضرابهم على توالى العصور وما كنا نحب لابن جرير ولا للسيوطى أن يسودوا صحائفهم بهذه الخرافات وتلك الأباطيل .

(راجع تفاصيل هذه العجائب وتلك الخرافات والأباطيل فى كتابة : الاسرائيليات ـ والموضوعات فى كتب التفسير صـ ٣٠١ ـ ٣٠٥ .) مع مراجعة تفسير المنار جـ ١٢ صـ ١٠٤ ـ ١٠٥ مطبعة المنار بمصر الطبعة الأولى ١٣٥٣ هـ

(٢) موريس بوكاى : دراسة الكتب المقدسة صـ ٢٤٦ ـ ٢٤٧ .

وقرونا بين ذلك كثيراً(١) .

ويقول تعالى فى سورة العنكبوت ﴿ **وعادا وثمود وقد تبين لكم من مساكنهم وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل وكانوا مستبصرين ،وقارون وفرعون وهامان ، ولقد جاءهم موسى بالبينات فاستكبروا فى الأرض وماكانوا سابقين فكلا أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا ومنهم من أخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الأرض ومنهم من أغرقنا وماكان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون** ﴾(٢)

وليس فى القرآن الكريم نص صريح على أن الطوفان كان عاما وقد شمل جميع الأرض ـ وكل أفراد الجنس البشرى ، وان كان جمهور المفسرين وأكثر المؤرخين المسلمين قد ـ ذهبوا إلى أن طوفان نوح كان عاما احتجاجا بمثل قول الله تعالى ﴿ **وقال نوح رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا انك ان تذرهم يضلوا عبادك ولايلدوا إلا فاجرا كفارا** ﴾ (٣) .

بينما يذهب البعض الاخر إلى أن الطوفان كان خاصا وأن النوع الإنسانى لم يكن منتشرا فى جميع الكرة الأرضية بل كان الناس منحصربن فى الناحية التى عمها الطوفان وأنهم قد هلكوا وبقى نوح وذريته (٤) .

وقد بحث الدكتور محمد بيومى مهران هذه النقطة بحثا مستفيضا فذكر سبعة عشر دليلا على أن الطوفان كان محليا وكان خاصا بقوم نوح دون سواهم من العالمين (٥) .

أما الفرق الجوهرى الثانى فهو أن القرآن الكريم على عكس التوراة لا يحدد زمن ـ الطوفان ولا يعطى أية اشارة عن مدة الكارثة نفسها ، وبذلك لا يصادم حقائق التاريخ أوما تعارف عليه المؤرخون كما حدث للتوراة وكما سبق أن بينا ذلك فى هذا الفصل .

---

(١) الفرقان : ٣٥ - ٣٩ .   (٢) العنكبوت : ٣٨ ـ ٤٠

(٣) سورة نوح : ٢٦ ـ ٢٧ .   (٤) راجع تفسير المنار جـ ٢١ صـ ٨ ـ ٩١ الشيخ عبد الوهاب النجار : قصص الأنبياء صـ ٥٢ ـ ٥٣ .

(٥) دراسة حول قصة الطوفان بين الاثار والكتب المقدسة صـ ٤٣٧ ـ ٤٤٧ مجلة كلية اللغة العربية بالرياض .

هذا بالاضافة إلى أن القرآن يحدد بشكل صريح محتوى سفينة نوح فقد أمر الله نوحا بأن يضع فى السفينة كل ماسيعيش بعد الطوفان وقد أنجز نوح هذا الأمر بأمانة .

يقول الله تعالى ﴿ **حتى اذا جاء أمرنا وفار التنور قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين وأهلك الا من سبق عليه القول ومن آمن وما آمن معه الا قليل** ﴾ (١) .

والمقصود بمن سبق عليه القول من استبعد من الاسرة : زوجة نوح التى خانته وابنه الذى غرق بعد أن رفض نصيحة ابيه وتضرع نوح بشأنه إلى ربه ﴿ **رب ان ابنى من أهلى وان وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين قال يانوح انه ليس من أهلك انه عمل غير صالح** ﴾ (٢) .

واذا كان القرآن قد أشار إلى من كان يوجد على السفينة أثناء سيرها دون تناقض ـ وصدق الله إذ يقول ﴿ **ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيراً** ﴾ (٣).

فان التوراة الحالية قد عرضت لهذا الأمر بكثير من التناقض إلى جانب تناقضات كثيرة سبق أن أشرت اليها فى هذا الفصل .

هذا ويتميز النص القرآنى الكريم ـ الذى يعرض لقصة الطوفان ـ عن بقية النصوص سواء كانت تلك النصوص بشرية كنص سومر وبابل أو نصوصا اختلطت فيها أهواء البشر بالوحى السماوى ففقدت نقاوتها وصحتها الأولى ـ بعدة ميزات اذكر منها مايلى :

١ ـ ان النص القرآنى هو النص الوحيد الذى حدثنا أن نوحا عليه السلام كان رسولا من رب العالمين وأنه قضى من الزمن ماشاء الله له أن يقضى فى دعوة قومه إلى عبادة الله الواحد القهار(٤) ، وأن الله ـ جل وعلا ـ لم يأت بالطوفان الا بعد أن تحمل النبى الكريم فى دعوته كل صنوف الأذى والاضطهاد والا بعد أن جرب النبى الكريم كل سبل الإقناع والا بعد أن حذرهم من حدوث الطوفان وأنذرهم به (٥) .

---

(١) هود : ٤٠.   (٢) هود : ٤٥ ـ ٤٦ .   (٣) النساء : ٨٢

(٤) ورد فى سورة العنكبوت أنه ظل يدعو قومه ألف سنة الا خمسين عاما يقول الله تعالى « ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه فلبث فيهم الف سنة إلا خمسين عاما » « العنكبوت : ١٤ .

(٥) يقول الله تعالى حكاية عن سيدنا نوح « قال رب انى دعوت قومى ليلا ونهارا فلم يزدهم دعائى إلا فرارا وانى كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم فى آذانهم وأصروا واستكبروا استكبارا ثم انى دعوتهم جهاراً ثم انى أعلنت لهم وأسررت لهم إسراراً » (نوح : ٥ ـ ٩)

٢ـ ان النص القرآني هو النص الوحيد الذى يتسامى عن مهاوى الشرك وضلال الوثنية فهو فى صراحة تامة يذكر أن القوم قد حادوا عن عبادة ربهم وانصرفوا إلى عبادة ـ الأوثان ، وفى كل هذا يقدم لنا وصفا لله سبحانه وتعالى ـ بما يتفق ومقام الذات ـ العلية ـ فلا يتنزل إلى الدرك الأسفل من التفكير الوثنى فى قصص العراق القديم أو يصف الله سبحانه وتعالى بما وصفته التوراة الحالية من أوصاف لا يرتضيها عقل ولا يقرها منطق بل هى أوصاف لا يرتضيها عقلاء الناس لأنفسهم فى كثير من الأحيان(١) .

٣ـ ان النص القرآنى هو النص الوحيد الذى نزه الله سبحانه وتعالى عن الندم على احداث الطوفان بعكس النصوص الأخرى التى ذهبت إلى ندم الله ـ أو الآلهة فى النصوص البابلية ـ على الاتيان بالطوفان .

بل ان التوراة ذهبت إلى أبعد من ذلك حين زعمت أن الله ـ تعالى عن ذلك علوا كبيرا ـ قد عزم ألا يحدث طوفانا بعد ذلك وأنه قد وضع علامة هى القوس فى السماء ليتذكر وعده ، فلا يكون طوفانا يغرق الأرض (٢) .

٤ـ ان النص القرانى هو النص والوحيد الذى تنزه عن الماديات ذلك أن كلا من النصين ـ البابلى والتوراتى ـ يضحى فيه البطل بالأضاحى ، فتشم الآلهة فى القصة البابلية ، ويشم الرب فى قصة التوراة ، رائحة الشواء فيسكن غضبه ويتنسم رائحة الرضا (٣) .

بل ان القرآن الكريم ليرد على فحش يهود هذا بقوله تعالى ﴿ **لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم** ﴾ (٤) .

٥ـ ان النص القرآنى هو النص الوحيد الذى يبرأ من الأخذ من المصادر البشرية ذلك أن السومريين ـ كما يقول الدكتور محمد بيومى مهران ـ بعد أن كتبوا روايتهم عن الطوفان جاء البابليون من بعدهم وأخذوا منها ما أخذوا ، ثم جاءت يهود

---

(١) راجع الحديث عن قصة الطوفان اليهودية فى هذا الفصل ، راجع ايضا د/ محمد بيومى مهران : دراسة حول قصة الطوفان بين الآثار والكتب المقدسة صـ ٤٤٨ ـ ٤٤٩ .

(٢) د/ محمد بيومى مهران : المصدر السابق صـ ٤٤٩ ـ ٥٥٠ .

(٣) المصدر السابق صـ ٥٥٠ فريزر : الفولكلور فى العهد القديم صـ ١٨٧ . (٤) الحج : ٣٦.

ونقلت مانقلت عن الاثنين ، وهكذا كانت كل رواية طوفانية تعتمد على رواية سبقت فى التدوين .

ولكن الأمر جد مختلف بالنسبة إلى القصة القرانية والتى هى وحى من رب العالمين ذلك أنه فى القرن السابع الميلادى وفى مكة المكرمة ، وفى غار حراء بدأ نزول الوحى على مولانا وسيدنا رسول الله - ﷺ - بالقران الكريم ، ولم يكن رسول الله ﷺ ولا قومه على دارية بقصة الطوفان هذه ، ولعل هذا كان سببا فى أن يشير القرآن - الكريم إلى ذلك عقب سرده لقصة الطوفان فى سورة هود .

فقال تعالى ﴿ تلك من أنباء الغيب نوحيها اليك ، ماكنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا ، فاصبر ان العاقبة للمتقين ﴾ (١) .

واذا كان قد أصبح واضحا تمام الوضوح امكانية اتفاق رواية التوراة اليهودية - فى تقديمها للطوفان بزمنه ومدته - مع مكتسبات المعرفة الحديثة فانه على العكس من ذلك نجد أن رواية القرآن الكريم تتضح خالية تماما - كما يقول موريس بوكاى - من أى عنصر مثير للنقد الموضوعى ، اذ أنه يتساءل قائلاً :

من عصر رواية التوراة إلى عصر تنزيل القرآن الكريم هل حصل الناس على معلومات من شأنها أن تلقى نوراً على حدث مثل هذا ؟ ويجيب بقوله :

بالتأكيد لا ، فمن العهد القديم إلى القرآن كانت الوثيقة الوحيدة التى فى حوزة الناس عن هذه الحكاية القيمة هى التوراة الحالية بالتحديد ، واذا لم تكن العوامل الانسانية لم تستطع أن تشرح التغيرات ا لتى طرأت على الروايات لتتجه بها إلى التوافق مع المعارف الحديثة فيجب أن نقبل شرحا اخر وهو أن هناك تنزيلا صافيا من اله قد جاء بعد التنزيل الذى تحتوى عليه بعد أن اختلط بخرافات وأساطير البشر(٢) .

---

(١) سورة هود : ٣٩ قصة الطوفان بين الاثار والكتب المقدسة صـ ٤٥٠ - ٤٥١ بقليل من التصرف .

(٢) دراسة الكتب المقدسة فى ضوء المعارف الحديثة صـ ٢٤٨ . (يذكر الدكتور محمد بيومى مهران أن النص التوراتى عن الطوفان لا يمثل وحيا من الله ولا يمثل الكتابات الانسانية وانما هو خليط من هذا وذلك ومن ثم كان أكثر النصوص تعرضا للخطأ فضلا عن أنه لا يقدم رواية سماوية مقدسة تماما ولا وجهة النظر الإنسانى التى فيها ما فى الانسان نفسه من خطأ أوصواب وانما هى بين بين) (قصة الطوفان بين الاثار والكتب المقدسة صـ ٤٥٠)

القسم الثانى

مظاهر التأثر فى الأساطير

المبحث الأول : أسطورة برج بابل

من بين المسائل الشائكة التى تتصل بالبحث فى أصل الجنس البشرى ، مسألة اللغة أو بالأحرى اللغات المختلفة التى تحدثت بها أجناس البشر منذ الأزل .

فكيف تعددت هذه اللغات واختلفت كل الاختلاف بعد أن كان الجنس البشرى كلا واحدا يعيش فى بقعة واحدة من الأرض ؟

هذه المسألة جذبت بطبيعة الحال أنظار العبريين القدماء وفسروها على النحو التالى

كان الجنس البشرى بأسره يتحدث لغة واحدة فى بداية الحياة ، ثم انتقل هؤلاء الناس بوصفهم بدوا على هيئة قافلة واحدة كبيرة من بابل ، وهناك حطوا رحالهم . وابتنوا مساكنهم من الطوب بعد أن ألصقوا بعضه بالبعض الآخر بملاط من ا الطين ، حيث انه كان يتعذر عليهم الحصول على الأحجار فى التربة الرخوة للمسطحات المستنقعة الشاسعة .

على أنهم لم يكتفوا ببناء مدينة ، بل رأوا أن يشيدوا برجا عاليا يصل إلى عنان السماء من نفس المواد التى بنوا بها مساكنهم .

والسبب الذى دفعهم إلى بناء هذا البرج ، هو أن يكون البرج علامة لهم من ناحية ، وحتى لا يتفرق الناس على سطح الأرض من ناحية أخرى .

ذلك أنه اذا تجول أحدهم خارج المدينة وضل طريقه فى السهول المترامية ، فانه ينظر إلى الوراء غربا ، فيرى من بعيد هذا البرج وهو يقف مظلما وقد انعكست عليه أضواء سماء المساء البراقة ، أو أنه ينظر شرقا فيبصر قمة البرج وقد انعكست عليه بقايا أشعة شمس الغروب .

وعند ذلك يسلك طريقه مسترشدا بهذا المعلم حتى يصل إلى بيته .

وقد كانت هذه الخطة سليمة . لو لا أنهم لم يكونوا قد وضعوا فى حسابهم قوة الرب ـ وغضبه عليهم .

فبينما كانوا يشيدون البرج بقواهم وسواعدهم الفتية ، هبط الرب من السماء ـ فى زعمهم ـ ليبصر المدينة والبرج الذى كان الناس يعملون به فى سرعة فائقة . فساءه هذا المنظر وقال لهم « هاهم أولاد شعب واحد له لسان واحد ، وهذا ماشرعوا فى عمله ولن يمنعهم شئ من تحقيق غرضهم . »

وزعموا أن الرب كان يخشى أنه عندما يكتمل بناء البرج ويصل إلى عناء السماء يتسلقه الناس ويقضون مضجعه وهو الأمر الذى لم يفكر فيه الناس .

ولذلك فقد عزم الرب ـ فى زعمهم أيضا ـ على أن يقضى على هذه الخطة فى مهدها وقال لنفسه أو لمجمعه السماوى « لنهبط إلى الأرض ونبلبل لغتهم حتى لا يفهم بعضهم بعضا » ، وعند ذلك هبط الرب وبلبل لغتهم وفرقهم على وجه الأرض

ومن ثم فقد كف الناس عن بناء المدينة والبرج ، وقد أطلق على هذا المكان اسم بابل ومعناه البلبلة لأن الرب قد بلبل فيه لغات الناس جميعا (١) .

هذا هو تعليل اليهود لاختلاف لغات البشر، ولعل من الأفضل أن نطلع على النص الخاص بذلك كما ورد فى سفر التكوين حتى يتسنى لنا نقده .

« وكانت الأرض كلها لسانا واحدا ولغة واحدة ، وحدث فى ارتحالهم شرقا أنهم وجدوا بقعة فى أرض شنعار وسكنوا هناك ، وقال بعضهم لبعض هلم نصنع لبنا ونشويه شيا فكان لهم اللبن مكان الحجر وكان لهم الحمر مكان ا لطين ، وقالوا هلم نبن لأنفسنا مدينة وبرجا رأسه بالسماء ونصنع لأنفسنا اسما لئلا يتبدد على وجه الأرض فنزل الرب لينظر المدينة والبرج اللذين كان بنو آدم يبنونهما ، وقال الرب هو ذا شعب واحد ولسان واحد لجميعهم ، وهذا ابتداؤهم بالعمل ، والآن لا يمتنع عليهم كل ما ينوون أن ـــ يعملوه هلم ننزل ونبلبل هناك لسانهم حتى لا يسمع بعضهم لسان بعض فبددهم الرب من هناك على وجه كل الأرض ، فكفوا عن بنيان

---

(١) راجع جيمس فريزر : الفولكلور فى العهد القديم صـ ٣١٧ ـ ٣١٨ ، د / نبيلة ابراهيم : مقدمة المصدر السابق صـ ٤٤ ـ ٤٥ .

المدينة ، لذلك دعى اسمها بابل ، لأن الرب هناك بلبل لسان كل الأرض ، ومن هناك بددهم على وجه كل الأرض (١) .

ويذكر علاء الدين الباجى أن قولهم « فنزل الرب لينظر المدينة والبرج لا يحسن لوجوه :

أحدها :أن النزول ممتنع عليه ـ سبحانه

وثانيها : ان النزول لينظر ، يوهم أن النظر مشروط بالنزول لأن العلة الغائية مشروطة بوجد الحلول .

وثالثها : أن المدينة والبرج لم يوجدا ذلك الوقت ولا بعده بدليل قوله عقيبه « وكفوا أن يبنوا المدينة والبرج (تكوين ١١ : ٨)

كذلك فان قولهم هلم ننزل ونبلبل هناك ألسنتهم لا يحسن لوجوه :

أحدها : أن النزول قد حصل قبله بدليل قوله « ونزل الرب (تكوين ١١ : ٥) ـ بصيغة الماضى وتحصيل الحاصل محال .

وثانيها : أنه قرن به قوله « تعالوا ننزل لنبلبل أو لنقسم « وهذا يوهم أنه طلب الاستعانة بنزول غيره على قسمة ألسنتهم وهذا لا يليق الا بعاجز عن تحصيل مقصوده بنفسه ـ تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا .

وثالثها : أنه جعل علة النزول : قسمة أو بلبلة السنتهم وذلك يوجب توقف قسمة ألسنتهم على النزول ، لأن العلة الغائبة متوقفة على وجود الفعل وليس كذلك لامكان قسمتها بدون النزول .

ورابعها : أنه جعل أيضا قسمة ألسنتهم : أن لا يعلم الرجل منهم كلام صاحبه ، ـ وتجهيل الانسان بما يعلمه لا يليق أن يكون مقصودا لله تعالى بل اللائق به أن يعلم الانسان مالم يعلم (٢) .

هذا وقد زخرفت رواية عبرية متأخرة هذه الحكاية البسيطة بتفاصيل تصويرية غنية ، من هذه التفاصيل نعلم أن فكرة تشييد برج بابل لم يكن يقصد بها سوى التمرد على الاله وان لم يتفق المتمردون على هدف واحد :

---

(١) سفر التكوين ١١ : ١ ـ ٩ .
(٢) راجع على التوراة صـ ٥٩ ـ ٦٠ .

فبعضهم كان يرغب فى ارتقاء السماء واعلان الحرب على شخص الاله ، واحلال أصنامهم محله ، و البعض الآخر قصر هدفه على فكرة أكثر تواضعا ، هى الحاق الضرر بالقبو السماوى ، وذلك بضربة الرماح والسهام (١) .

وأن الناس قد ظلوا يشيدون البرج عدة سنين حتى شمخ عاليا ، وأصبح على البناء أن ـ يقضى عاما كاملا فى سبيل الوصول إلى أعلى البناء وهو يحمل وعاء الملاط فوق ظهره ،فاذا هوى البناء ساقطا و كسرت رقبته ، لم يبال أحد بذلك ، انما ينفجر الجميع فى البكاء على الطوب الذى لم يستخدم فى استكمال بناء البرج ، اذ يتحتم عليهم أن ينتظروا عاما آخر حتى يتمكنوا من اضافة قوالب اخرى إلى البناء .

ومن هذه الزخارف أيضا أن الناس كانوا يعملون فى حماسة بالغة إلى درجة أن المرأة لم تكن تكف عن اعداد الطوب ساعة ولادة طفلها فاذا ولدت الطفل ربطته حول بطنها بملاءة واستأنفت عملها فى تشكيل قوالب الطوب و كأن شيئا لم يحدث وأنهم صوبوا سهامهم من أعلى البرج نحو السماء فكانت سهامهم ترتد إلى الذين يقفون أسفل البرج وهى ملوثة بالدماء ، وعند ذلك صاحوا قائلين « لقد قتلنا كل من فى السماء (٢) .

وهنا ـ كما ورد فى هذه الرواية ـ نفد صبر الرب وتوجه إلى الملائكة السبعين الذين يحيطون بعرشه وأمرهم أن يهبطوا إلى الأرض ويبلبلوا ألسنة الناس ، وفعلت الملائكة ما أمروا به ، ونجم عن ذلك سوء تفاهم دائم ومؤلم بين الناس ، فاذا طلب رجل على سبيل المثال الملاط من رجل آخر ، قدم اليه هذا قالبا من الطوب بدلا منه فيغضب الأول ويقذف بقالب الطوب فى وجهه فيقتله .

وهكذا مات كثير من الخلق على هذا النحو ، ومن لم يمت عاقبه الرب جزاء جريمة التمرد التى دبرت ضده (٣) .

أما عن البرج الذى لم يكن قد اكتمل بناؤه بعد ، فقد هوى جزء منه ، كما

---

(١) الفولكلور فى العهد القديم جـ ١ صـ ٣١٨ .

(٢) المصدر السابق صـ٣١٩ .

(٣) المصدر السابق .

التهمت النار جزءا آخر ولم يظل واقفا منه سوى ثلثه .

هذا ولم يفقد هذا المكان خاصيته العجيبة قط ، فكل من مرَّ به نسى كل ماكان يعرفه(١) .

ولاشك أن اليهود هنا قد أساءوا إلى الرب حين ذكروا أنه قد خشى من البشر وتخوف من صعودهم إليه إلى غير ذلك مما لايليق بذاته المقدسة .

كذلك فإن هذا التعليل المذكور لاختلاف لغات البشر يعد تعليلا اسطوريا حيث إنه يفهم منه أن الناس لو لم يقيموا هدا البرج لما اختلفت ألسنتهم مع أن الله سبحانه وتعالى يذكر أن ذلك من آيات الله ﴿ **ومن آياته خلق السماوات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن فى ذلك لآيات للعالمين** ﴾ (٢) .

وهل الرب سبحانه ـ على زعمهم ـ لم يكن يعلم لما سيحدث من البشر ؟ فمن المعروف علميا الآن أنه كان من الاستحالة ولا يزال على البشر أن ينفذوا من أقطار السماوات والأرض فهل تخوف الرب حقا ظنا منه ـ سبحانه ـ أنه يمكن للبشر أن يصعدوا إليه وأن يتمكنوا من الوصول إلى السماء .

وعلى أى حال فإن هذه القصة المزعومة وهدا التعليل المزعوم من الأمور التى لاتستحق المناقشة فلا يقبل ذلك عقل ولاتطمئن إليها نفس .

ولذلك فإن العلماء ذكروا أن هذه القصة المذكورة فى سفِر التكوين عبارة عن أسطورة وأنها ليست عبرية الأصل وإنما تناقلها اليهود ـ كالكثير من أساطير التوراة ـ واستعاروها بحذافيرها من الكلدانيين فقد روى الكاهن الكلدانى يروزس أن الرعيل الأول ممن عمروا الأرض وكانوا ضخام الأجسام موثقى القوة ، حقروا الآلهة واستسخروا منهم وأقاموا برجا يبلغ رأسه عنان السماء وماعتمت الرياح أن ساعفت الآلهة فأطاحت بالبرج وأحدث الآلهة بلبلة فى ألسنة الناس وكانوا من قبل يتكلمون لسانا واحدا(٣) .

---

(١) جيمس فريزر : الفولكلور في العهد القديم حـ١ صـ٣١٩ .

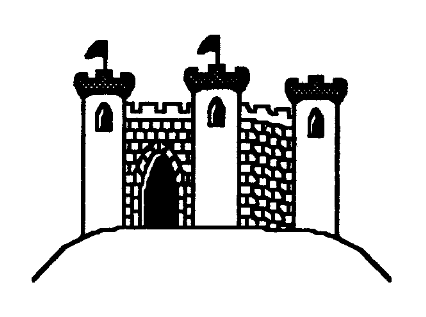
(٢) الروم : ٢٢ .

(٣) راجع صموئيل نوح هووك : منعطف المخيلة البشرية صـ١١٣ ـ ١١٦ .

عصام الدين حفني ناصف : اليهودية في العقيدة والتاريخ صـ١٨٢ ـ ١٨٣ .

وقد كـان الدافع وراء نشـأة اسطورة برج بابل أن الكلدانيـين هالهم منظر ذلك البرج الهائل الذى أقامـه أحد الملوك البابليين فى العصر القـديم وكان قد غابت عنهم حكمة بنائه فاصطنعوا تلك الأسطورة ليفسروا بها بناءه (١) .

ويذكر الدكتور محمد بحر عبد المجيد أن تعليل اختلاف اللغات بين البشر ذلك التعليل الأسطورى الـذى ورد فى سفر التكوين يرجع مـصدره إلى الأساطيـر الوثنية البابلية التى كانت منتشرة فى الشرق الأدنى القديم (٢) .



(١) جيمس فريزر : الفولكلور في العهد القديم جـ١ صـ٣١٩ ـ ٣٢٣ .
ولمعرفة مزيد من التفاصيل عن برج بابل راجع : وينهايم : بلاد مابين النهرين صـ٤٣١ ومابعدها .
جورج رو : العراق القديم صـ٥٢٧ ومابعدها .
بريستيد : العصور القديمة صـ١٢٤ ـ ١٢٥ .
(٢) اليهودية صـ٤٣ .

المبحث الثانى : أسطورة شمشون ودليلة

يذكر سفر القضاة أنه فى خلال الفترة التى استذل فيها الفلسطينيون الاسرائيليين برز شخص يسمى شمشون وتولى القصاء على بنى اسرائيل (١) .

ويعرض سفر القضاة لقصة اختيار الرب له منذ أن ترائ ملاك الرب لأمه العاقر - زوجة منوح - وقال لها - هاأنت عاقر لم تلدى ولكنك تحبلين وتلدين ابنا ، والآن فاحذرى - ولا تشربى خمرا ولامسكرا ولا تأكلى شيئا نجسا منها لأنك تحبليين وتلدين ابنا ولا يعل موسى رأسه لأن الصبى يكون نذيرا لله من البطن وهو يبدأ يخلص اسرائيل من الفلسطينيين (٢) .

ثم حدث أن « ولدت المرأة ابنا ودعت اسمه شمشون فكبر الصبى وباركه الرب وابتدأ - روح الرب يحركه » (٣) .

والواقع أن حياة شمشون - كما يصورها سفر القضاة - لم تكن على نفس هذه الدرجة من النقاء والطهارة على النحو الذى تبدت فيه تلك البشارة المزعومة .

فإذ ما رجعنا إلى قصة شمشون - كما يقدمها هذا السفر فى الاصحاحات من الثالث عشر إلى السادس عشر - لرأينا فيها الكثير من المبالغة والخيال فضلا عما تقدمه عن شخصية صاحبها وما فيها من عورات ، إلى جانب الكثير من الأساطير التى تدور حول قوته الخارقة (٤) .

---

(١) راجع الإصحاح الثالث عشر . (٢) قضاة ١٣ : ٢ - ٥ . (٣) قضاة ١٣ : ٢٤ .

(٤) فهو مرة يهجم على أسد فيشقه كشق الجدى - وليس فى يده شئ ، وهو مرة أخرى يحرق محاصيل الفلسطينيين بأن يطلق عليها ثلاثمائة ثعلب (ابن آوى) ربطت بالمشاعل فى أذيالها ، وهو مرة ثالثة يهجم على الفلسطينيين فيقتل منهم ألف رجل بعظم من فك حمار ميت ، وهو مرة رابعة يدخل عند امرأة زانية فى غزة ، ويعرف بذلك أهل المدينة من قومها فيعدون كمينا لقتله ، ولكن شمشون يقوم فى نصف الليل فيأخذ مصراعى باب المدينة والقائمتين وقلعهما مع العارضة ووضعها على كتفيه وصعد بها إلى رأس الجبل ، ثم نقرأ بعد ذلك عن قصته مع دليلة وكيف وقع فى حبها وأسلم لها زمام قيادته حتى قادته اخر الأمر إلى السجن بعد أن قصت شعره الذى يكمن فيه سر قوته (راجع سفر القضاة ١٤ : ٥ - ٦ / ١٥ : ٤ - ١٧ / ١٦ : ١ - ٣٠ ، راجع د/ محمد بيومى مهران : دراسات فى تاريخ الشرق جـ ٨ صـ ٦٤٩ - ٦٥٠ ، راجع مزيدا من التفاصيل : قاموس الكتاب المقدس صـ ٥٢٠ - ٥٢١ .

يقول جيمس فريزر « يبدو شمشون البطل المارد ، ذا شخصية غريبة بين قضاة بنى اسرائيل الكبار ، وقد ذكر الكتاب المقدس أن شمشون كان يشغل منصب القضاء فى بنى اسرائيل طيلة عشرين عاما ، ولكنه لم يذكر شيئا عن أحكامه القضائية التى أصدرها وفقا لشخصيته القضائية .

واذا كان لنا أن نصدر حكما على فحوى أحكام شمشون من خلال طبيعة أفعاله ، فإنه يحق لنا أن نتشكك فيما اذا كان هذا الرجل يعد مفخرة فى تاريخ القضاء الاسرائيلى .

ذلك أن موهبته كانت أكثر ماتتمثل فى إحداث الشغب والعراك وفى احراق مؤن الذرة ـــ التى يختزنها الناس ، وفى كثرة التردد على بيوت الدعارة .

أى أن شمشون كان يبدو فى شخصيته الطليق الفاجر الخليع أكثر مما كان يبدو فى شخصية القاضى الكفء الصارم (١) .

ومن ثم فنحن لن نعالج الآن قائمة جافة من الاحكام القانونية ، وانما سنعالج حكايات مغامراته المسلية غير اللائقة ، فى الحب والحرب ، أو بالأحرى فى القرصنة.

ذلك أننا اذا قبلنا الحكايات التى دونت عن هذا الطائش الفاجر ، ونحن ملتزمون بها بدون شك ـ (٢) فاننا نجد أنه لم يقم قط بحرب نظامية ، كما لم يقم بعصيان وطنى مسلح ضد الفلسطينيين الذين ظلموا قومه وإنما كان يقوم بمجرد هجوم مفاجئ عليهم بوصفه البطل الفرد أو الفارس المتجول ، ثم يَضْربهم بفك حمار أو بأى سلاح آخر يقع فى يده .

وحتى فى هذه الغارات التى تقوم على السلب (اذ أنه لم يكن يتورع عن أن يسلب ضحاياه من ملابسهم ، ومن المحتمل من ثروتهم) كانت فكرة تخليص قومه من العبودية ، كما يتضح من الشواهد ، آخر ما يتراءى له .

وعندما كان يقوم بمذبحة للفلسطينيين كما كان يفعل ذلك كثيرا فى تهور بالغ وبارتياح قلبى فانه لم يكن يفعل هذا بدافع وطنى أو دهاء سياسى ، وانما بدافع حقد

---

(١) الفولكلور فى العهد القديم جـ ٢ صـ ٥٤٣ ترجمة د/ نبيلة ابراهيم الطبعة الثانية ١٩٨٢ .

(٢) لايزال الكلام لجيمس فريزر .

شخصى صرف يهدف إلى الانتقام من هؤلاء الذين أساءوا له ولزوجته وولدهما .

فقصته من بدايتها حتى نهايتها هى قصة مغامر أنانى مخادع تحركه ثورات عاطفية جامحة ولا يكترث بشئ سوى ارضاء نزواته الوقتية (١) .

والذى يقرأ هذه القصة - كما ترويها التوراة - يرى أمورا تدعو إلى العجب والتساؤل ان لم يكن الاستنكار كذلك ، فرغم أن شمشون كان بطلا قوميا لليهود مهمته الأولى الحفاظ على الكيان القومى لبنى اسرائيل فانه يتزوج من امرأة فلسطينية وفى ذلك مخالفة لمركزه كزعيم قومى فضلا عن مخالفته الصريحة لنصوص التوراة التى تحرم الزواج بغير الاسرائيليات (٢) .

ثم هو نذير للرب من البطن إلى يوم موته ومع ذلك فهو - طبقا لرواية التوراة - انما يقضى أجمل أوقاته بين أحضان الغوانى من نساء غزة الزانيات ، وحين تتعرض حياته للخطر من جراء ذلك ، فاذا به ينتقل إلى احضان امرأة أخرى فى وادى سورق تدعى دليلة تكون نهايته على يديها (٣) .

---

(١) المصدر السابق جـ ٢ صـ ٥٤٣ـ ٥٤٤ .

(٢) قضاة ١٤ : ٣ ، خروج ٣٤ : ١٦ ، تثنية ٧ : ٣ ، قاموس الكتاب المقدس صـ ٥٢٠ ، د/ محمد بيومى مهران : جـ ٨ صـ ٦٥٠ ـ ٦٥١ .

(٣) قضاة ١٦ : ١ـ ٢٢ ، د/مهران المصدر السابق :

تتلخص قصة شمشون مع دليلة فى أنه أحبها فصعد اليها الفلسطينيون وقالوا لها تملقيه وانظرى بماذا قوته العظيمة وبماذا نتمكن منه كى نوثقه لاذلاله فنعطيك كل واحد ألفا ومائة شاقل فضة فقالت دليلة لشمشون أخبرنى بماذا قوتك العظيمة وبماذا توثق لإذلالك فكذب عليها وخدعها ثلاث مرات ولكنها قالت له : كيف تقول أحبك وقلبك ليس معى ، هوذا ثلاث مرات قد خذلتنى ولم تخبرنى بماذا قوتك العظيمة ، ولما كانت تضايقه بكلامها كل يوم وألحت عليه ضاقت نفسه إلى الموت فكشف لها كل قلبه وقال لها لم يعل موسى رأسى لأنى نذير الله من بطن أمى فان حلقت تفارقنى قوتى وأضعف وأصير كأحد الناس ، و لما رأت دليلة أنه قد أخبرها بكل ما بقلبه أرسلت فدعت أقطاب الفلسطينيين وقالت اصعدوا هذه المرة فانه قد كشف لى كل قلبه فصعد اليها أقطاب الفلسطينيين وأصعدوا الفضة بيدهم ، وأنامته على ركبتيها ودعت رجلا وحلقت سبع خصل رأسه وابتدأت باذلاله وفارقته قوته ، وقالت الفلسطينيون عليك ياشمشون فانتبه من نومه وقال لأخرج حسب كل مرة وانتفض ولم يعلم أن الرب قد فارقه ، فأخذه الفلسطينيون وقلعوا عينيه ونزلوا به إلى غزة وأوثقوه بسلاسل نحاس وكان يطحن فى بيت السجن حتى مات بعد ذلك (راجع سفر القضاة ١٦ : ٤ ـ ٣١) .

وهو مكرس لتحرير قومه اليهود من نير الفلسطينيين ، ولكنه لا يخوض المعارك من أجل ذلك ، وانما كانت مغامراته كلها من أجل النساء (١) ، فلم يكن له من قوة العقل مثلما كان له من قوة الجسم ، وكانت عواطفه الجامحة مستولية عليه (٢) .

ويذكر فريزر أنه لم يخفف من حدة نذالة هذه الشخصية وابتذالها المألوف سوى تلك القوة الخارقة للعادة والبسالة الطائشة ، ونمط مقيت من الفكاهة ، وقد رفع هذا كله القصة إلى نوع من الملحمة الهزلية من النوع الذى كتبه أريستو(٣) .

واذا كانت هذه العناصر قد أضفت الجدة على قصة معارك هذه الشخصية فإنها لم تقلل من احساسنا بالنفور من هذه الشخصية الغربية المختالة المتغطرسة ، وبخاصة إذا ـ وضعناها جنبا إلى جنب مع شخصيات القديسين والأبطال الذين صوروا فى معرض التاريخ الاسرائيلى (٤) .

فقصة شمشون من قصص سفر القضاة الذى يحكى أحداثا ربما سجلت عقب حدوثها بزمن طويل حتى أصبحت تروى كما تروى الأساطير ويزاد عليها أحيانا بقدر ما يستطيع خيال الراوى أن يضيف من روايات .

بل ان هذا السفر قد أبرز القضاة فى آخر عصرهم فى صورة أبطال شعبيين تروى عنهم الأساطير ، وتدور القصص حول مغامراتهم .

وأغلب الأمر ـ كما يقول الدكتور نجيب ميخائيل ـ أن المادة التى جمعها المؤلف عن هذه المرحلة أسطورية وأن بعض المعارك ـ على الأقل ـ لم تنشأ الا فى أخيلة رواتها(٥) .

ويذكر الدكتور حسن ظاظا أن قصة شمشون كتبت فى جو عاطر بأريج

---

(١) د/ محمد بيومى مهران جـ ٨ صـ ٦٥١ .

(٢) قاموس الكتاب المقدس صـ ٥٢١ .

(٣) شاعر ايطالى كوميدى عاش فى نهاية القرن الخامس عشر ومطلع القرن السادس عشر (المترجمة) الفولكلور فى العهد القديم جـ ٢ صـ ٥٤٤ .

(٤) المصدر السابق .

(٥) مصر والشرق الادنى القديم جـ ٣ صـ ٢٨٩ ـ ٢٩٦ اندريه ايمار وجانين أوبوليه الشرق واليونان القديمة صـ ٢٦٥ المجلد الأول من تاريخ الحضارات العام .

المسامرات ـ الخرافية والفولكلور البدوى (١) .

ولذلك فان أدولف لودز يذهب إلى أنه بينما تنتمى قصة شمشون إلى الأدب الشعبى الا أنها تبدو ذات أصل أسطورى (٢) .

وعلى ذلك فمن المحتمل ـ فيما يرى فريزر ـ أن الحوادث العجيبة المسلية التى رويت عن تاريخ هذه الشخصية السيئة السمعة ، قد انسابت فى غير ضابط بوصفها حكايات شعبية ، مع تيار التراث الشفاهى ، وذلك قبل أن تتبلور بزمن طويل فى ذاكرة الشعب حول شخصية رجل حقيقى باسل من سكان النجاد والحدود ، ومن نوع الرجال العبريين الذين كانوا يعيشون على السلب والنهب الذى اشتهر بوصفه بطل بنى اسرائيل فى كثير من الغزوات التى كان يقوم بها عبر الحدود إلى سهول فلسطين الغنية بفضل مزاجه الحاد ، وقوته الخارقة وجسمه القوى (٣) .

ذلك لأنه ليس هناك سبب مقنع يجعلنا نشك فى وجود أساس صلب من الواقع يرتكز عليه هذا التكوين المهلهل الخيالى الذى تشف عنه اسطورة شمشون (٤) .

وأكثر ما يتضح تدخل القاضى فى الحكاية الأصلية التى تشف عنها اسطورة شمشون ـ فى وصف الكارثة التى حلت بالبطل بسبب خداع امرأة منافقة له بعد أن استطاعت أن تستدرجه حتى اكتشفت سر قوته وأفشته إلى أعدائه (٥) .

فمن خلال ذلك نرى أن العبريين كانوا يعتقدون أن قوة شمشون المهولة كانت تكمن فى شعره ، وأن مجرد حلق خصلات شعره الطويلة الشعثاء التى كانت تتدلى على كتفيه ولم تحلق منذ نعومة أظافره ـ كافيا أن يسلبه قوته الخارقة للعادة ، ومن ثم يصبح عاجزا عن القيام بأعماله البطولية .

وهذا الاعتقاد ـ كما يقول فريزر ـ ينتشر فى جهات كثيرة من أنحاء

---

(١) الصهيونية العالمية واسرائيل صـ ٣٥ .

(٢) نقلا عن د/ محمد بيومى مهران جـ ٨ صـ ٦٢٨

(٣) الفولكلور فى العهد القديم جـ ٢ صـ ٥٤٤

(٤) المصدر السابق جـ ٢ صـ ٥٤٤ ـ ٥٤٥ .

(٥) المصدر السابق صـ ٥٤٥ راجع القضاة ١٦ : ٤ ـ ٢١ وراجع ملخص قصته مع دليلة الذى ـ أوردته بالهامش سابقا .

العالم (١) .

ويرجع ويلز قصة شمشون إلى الأدب البابلى (٢) .

ويذكر الدكتور حسن ظاظا أن قصة شمشون الجبار ، والخوارق غير المنطقية التى اقترنت بحياته - وخاصة ما كان من وجود سر قوته فى شعره وظهور هذه القوة فى قتاله مع أسد هجم عليه فأخذه شمشون بين يديه وفسخه فقتله - مأخوذه عن مشهد مماثل للبطل العراقى القديم المعروف فى الملاحم البابلية والسومرية « جلجاميش » العملاق الذى يذكرون من مناقبه أيضا قتله الأسد على طريقة شمشون ، وهو قبل شمشون بنحو ثلاثة آلاف سنة على الأقل (٣) .

ومن أجل ذلك فان غوستاف لوبون يذكر أننا لانرى الاساطير الكلدانية فى سفر التكوين وحده بل نجد آثارا لها فى أسفار أقل قدما منها على وجه أقل وضوحا ، ومن ذلك قصة شمشون التى وردت فى سفر القضاة ، فشمشون يمثل الهركول الاسرائيلى بقدرته الغريبة وأعماله التى كان ينجزها بوسائل بسيطة جدا .

والواقع أن هركول من أصل بابلى ويتجلى مثاله فى نينيب المعروف ذلك الانسان - الآشورى الآكادى العجيب الذى كان يقتل الأسد بيد واحدة ، ومع ذلك لم يكن اسمه شمشون بل كان شمشون الذى معناه « الشمس » أى نصف

---

(١) المصدر السابق صـ ٥٤٦ وقصة شمشمون مع دليلة معروفة بوصفها تراثا شعبيا روائيا فهى تكشف عن اعتقاد شعبى قديم مؤداه أن قوى الانسان أوروحه تكمن فى جزء ما من جسمه أو فى أى شىء خارج جسمه فاذا استطاع شخص ما أن يهتدى إلى معرفة مكمن هذه القوة أو الروح وأن يصيبها بضرر فان الضرر سرعان ماينتقل إلى الشخص المعنى فيصاب بأذى قد يفضى به إلى الموت ، وليست قصة شمشون ودليلة كما تروى على هذا النحو سوى رواية من الروايات المتعددة التى تحكى عن هذا الموضوع وتدرج تحت مايسمى بالحكايات الخرافية وقد قدم فريزر نماذج وافرة من هذا النوع ليؤيد بها هذا الاعتقاد من ناحية ويربط بينها وبين قصة شمشون ودليلة من حيث الشكل والمضمون من ناحية أخرى راجع الفولكلور جـ ١ صـ ٥٧ - ٥٨ جـ ٢ صـ ٥٤٦ - ٥٦٤.

(٢) موجز تاريخ العالم صـ ٩٠ .

(٣) د/ حسن ظاظا : الصهيونية العالمية واسرائيل صـ ٣٤ - ٣٥

الاله الذى كان يوجد كثيرا على ضفاف الفرات (١) .

والخلاصة أن قصة شمشون ودليلة المذكورة فى سفر القضاة عبارة عن أسطورة كونها كتبة السفر من الأدب البابلى سواء أكان هناك قصة حقيقية فى الأصل أم لا .

وان كان أغلب الباحثين يرون أنها ليست بواقعة تاريخية حقيقية وليس لها أساس من الواقع وانما هى اسطورة نقلها كتبة التوراة من الأساطير البابلية ووضعوها ضمن أسفار العهد القديم وذلك فى جو حافل بالخرافات والأساطير .



(١) اليهود فى تاريخ الحضارات الأولى صـ ٦٤ .

المبحث الثالث : أسطورة استير ومردوخاى

تعد قصة استير ومردوخاى من قصص العهد القديم التى تتجلى فيها ـ كما يذكر العقاد ـ عبقرية المؤلف فى التعبير اللغوى والابداع فى استخدام العبارات القوية والمحسنات ـ اللفظية إلى حرصه على الاستيلاء على حواس القارئ ومشاعره فلا تلتفت منه عبارة ولا تغيب عنه فكرة (١) .

وتقع حوادث هذه القصة ـ حسبما وردت فى سفر استير ـ فى بلاد فارس القديمة حيث يجلس على عرشها (احشورش) أى (اكسرسيس ٤٨٥ ـ ٤٦٥ ق .م) (٢) .

وتتلخص أحداثها فى أن استير هذه كانت فتاة جميلة فأحضرها ابن عمها مردوخاى ـ الذى تبناها بعد موت أبيها ـ إلى شوشن العاصمة الفارسية وقد أقام الملك وليمة لعظمائه واذ كانوا يحتسون الخمر لعبت الخمر برأسه فأمر أن يحضر امرأته الملكة « وشتى » كى يرى عظمَاؤه جمالها الرائع .

ولكن وشتى رفضت أن تمتهن كرامتها ، وأهاج رفضها ثائرة الملك فأصدر وفقا لنصيحة مشيريه قرارا بحرمان الملكة « وشتى » من المثول لديه ، وأمر بأن يتم البحث فى كل مملكته عن فتاة لتأخذ مكانة « وشتى » فاختيرت استير ونصبت ملكة فى القصر وقد أخفت جنسها ودينها ونجحت فى ايقاع الشاه فى حبائلها والزواج به ، وبذلك استطاعت أن تقدم ـ كما تحدثنا القصة ـ أجل الخدمات لأبناء جنسها المقيمين فى فارس .

فبعد أن اعتلت العرش بخمس سنوات حدث أن ثار غضب هامان (أقرب المقربين إلى الملك) على مردوخاى لأنه رفض أن يقدم له الخضوع والاجلال وقصد

---

(١) د/ فؤاد حسنين على التوراة الهيروغليفية صـ ١٧٠ ، حبيب سعيد : المدخل إلى الكتاب المقدس صـ ١٥٩ .

(٢) د/ فؤاد حسنين : المصدر السابق صـ ١٧٠ ـ ١٧١ ، قاموس الكتاب المقدس صـ ٦٣ .

هامان أن ينتقم لنفسه لابقتله مردوخاى فحسب بل بإبادة كل اليهود فى أنحاء الامبراطورية .

وتمكن هامان من أن يحوز رضا الملك ويأخذ موافقته على ذلك ، ولكى يعضده الرعاح فى فعلته بإبادة اليهود زين لهم النهب والسلب واشباع أطماعهم(١) .

فما كان من استير الا أن دخلت إلى الملك وأخذت تحتال عليه حتى أحبطت محاولة هامان ثم مكنت اليهود بعد ذلك من قتل مالا يقل عن ثمانين ألف ايرانى .

ولم يطفئ هذا العدد ظمأها فى « سفك الدماء بل تفننت فى تقتيل هامان وأولاده(٢) .

ولنا أن نتساءل الآن ـ بعد أن اطلعنا على ملخص القصة كما وردت ـ هل استير ومردوخاى (بطلا القصة) شخصيتان تاريخيتان أو أن قصتهما عبارة عن أسطورة عبثت ـ كما يقول حسين ذو الفقار صبرى ـ بوجدان عميق الجذور؟ (٣) .

والجواب على ذلك يتركز أولا فى دراسة السفر الذى يحتوى على هذه القصة وهو سفر استير .

يذكر حبيب سعيد أنه ليس هناك أى دليل ينبئ عمن هو كاتب هذا السفر ، وعن تاريخ كتابته (٤) .

فمؤلفه الحقيقى مجهول ، بالرغم من نسبته إلى مردوخاى (٥) .

---

(١) استير ٢ : ٥ / ٣ : ١٥ .

(٢) تفاصيل قصة استير ومردخاى : قاموس الكتاب المقدس صـ ٦٣ ـ ٦٤ ، حبيب سعيد : المدخل إلى الكتاب المقدس صـ ١٥٩ ـ ١٦٠ ، د/ فؤاد حسنين : التوراة الهيروغليفية صـ ١٧٠ ـ ١٧١،

(٣) اله موسى فى توراة اليهود صـ ١٧ العدد ١٦٣ من مجلة ١٩٧٠ .

(٤) المدخل إلى الكتاب المقدس صـ ١٥٩ .

(٥) التوراة الهيروغليفية صـ ١٧٤ ـ ، استير ٩ : ٢٠ .

ويرفض سبينوزا هذه النسبة رفضا قاطعا ويؤكد أن الذى كتب أسفار : استير ودانيال وعزرا ونحميا هو مؤرخ واحد ، أما من يكون هذا المؤرخ فانه لايستطيع حتى مجرد التخمين به (١) .

أما فيما يتعلق بتاريخ كتابته فقد ورد فى القاموس أنه لا توجد لدينا المعلومات الكافية لتقدير تاريخ كتابة هذا السفر على وجه التحقيق (٢) .

فلا يدرى أحد متى كتبت قصة هذا السفر وان كانت لغتها وأسلوبها تنبئان على أنها كتبت بعد زمن الأحداث التى تسوقها بوقت طويل (٣) .

ولذلك فان معظم النقاد يميلون إلى القول بأن هذا السفر قد كتب فى العصر الاغريقى الذى بدأ بفتوح الاسكندر عام ٣٣٢ ق .م فيظنون أنه كتب حوالى عام ٣٠٠ ق .م (٤) .

ويرجح الدكتور فؤاد حسنين على أنه لم يتم تأليفه قبل القرن الثالث ق .م (٥) .

وبذهب بعض النقاد والمؤرخين إلى أنه كتب فى أوائل القرن الثانى ق .م ويحدده ـ البعض بحوالى عام ١٣٠ ق .م ابان شدائد اليهود فى العصر المكابى لأن قصة هذا السفر تعكس وجهة نظر المكابيين (٦) .

هذا وقد دفعت الوحشية التى تتجلى فى قصة هذا السفر كثيرين من علماء اليهودية والمسيحية إلى التفكير طويلا فى قيمة هذا السفر وصحة ضمه إلى العهد القديم (٧) .

---

(١) سبينوزا : رسالة فى اللاهوت والسياسة صـ ٣١٧ ـ ٣١٨ .

(٢) قاموس الكتاب المقدس صـ ٦٥ .

(٣) حبيب سعيد : المدخل إلى الكتاب المقدس صـ ١٥٩ .

(٤) قاموس الكتاب المقدس صـ ٦٥ .

(٥) التوراة الهيروغليفية صـ ١٧٤ .

(٦) راجع الأب ديلى : تاريخ شعب العهد القديم صـ ٣٩٢ ، حبيب سعيد : المدخل إلى الكتاب المقدس صـ ١٥٩ ، عجاج نويهض : بروتوكولات حكماء صهيون صـ ٥٤ ، د/ حسن حنفى : مقدمة رسالة اللاهوت والسياسة صـ ٣٤ .

(٧) التوراة الهيروغليفية صـ ١٧١ ـ ١٧٢ .

فظلت مكانته بين أسفار الوحى القانونية (عندهم طبعا) موضع نقاش كثير وجدل طويل ولم يوضع بين الأسفار المقدسة إلا بعد جهد كبير فى مجمع جامينا (عام ٩٠ م) (١) .

فأقرته الكثرة المطلقة من رجال الدين اليهودى وجعلت موضوعه عيدا من أهم الأعياد اليهودية التى يحتفلون بها إلى يومنا هذا (٢) .

بل ان احد ربانى اليهود فى القرن الرابع الميلادى لم يتورع من أن يعلن أن قصة استير لا تقل أهمية دينية عن توراة موسى كما أنها أرفع من مزامير داود وأسفار الأنبياء(٣) .

ومع ذلك فقد ظل كثيرون من علماء الكتاب المقدس يعارضون اقحام هذا السفر فى أسفار العهد القديم ، اذ حذفه مليتو السادس وجرجورى النزيانزى من سجلات الأسفار القانونية وحسبه اثناسيوس بطريرك الاسكندرية بطل مجمع نيقية (٣٢٥ م) ضمن الأسفار غير القانونية .

بل ان مارتن لوثر قد رفض اعتباره ضمن الأسفار الموحى بها و قال « ليت هذا السفر لم يرد » ففيه لم يوجد حتى اسم الله كما أنه ليس فيه ما يحمد عليه .

فكان عدم ذكر اسم الله ولو مرة واحدة سببا من أسباب رفضه اذ أن القصة

---

(١) قاموس الكتاب المقدس صـ ٦٤ ، مقدمة رسالة فى اللاهوت والسياسة صـ ٣٤ ، د/ محمد بيومى مهران جـ ٩ صـ ٨٠ .

(٢) تخليدا لذكرى المذابح التى اقترفها اليهود ـ يحتفلون حتى اليوم بعيد « الأقتراع » المعروف باسم « بوريم » وكان الكتاب العرب ـ يسمونه عيد المسخرة أوعيد المسافر والسبب فى ذلك ماجرت به بعض تقاليد يهودية شعبية فى هذا العيد من اسراف فى شرب الخمر والسكر ولبس الأقنعة والملابس التنكرية ويبدأ هذا العيد من ليلة الثالث عشر من شهر آزار من السنة اليهودية ، وهذا العيد دخيل على الحياة اليهودية فقد تأثروا فيه بغيرهم . راجع د/ حسن ظاظا : الفكر الدينى الاسرائيلى صـ ٢٠٧ ـ ٢٠٨ ، د/ فؤاد حسنين على : التوراة الهيروغليفية صـ ١٧٢ التوراة الهيروغليفية صـ ١٧١ ، راجع أيضا د/ بحر عبد المجيد / اليهود صـ ٨٧ ـ ٨٨ .

(٣)التوراة الهيروغليفية صـ ١٧١ .

تخلو تماما من ذكر اله اليهود (يهوه) (١) .

هناك سبب آخر فى رفض هذا السفر وهو أنه لا يوجد اقتباس واحد منه فى العهد الجديد ولا يشير اليه كُتّاب العهد الجديد (٢) .

وبالاضافة إلى ذلك فان هذا السفر لم يوجد بين مخطوطات البحر الميت (قمران) مما جعل العلماء يستنتجون أن فئة هذا الوادى (قمران) قد رفضت هذا السفر المشبوه برمته حيث انه مطعون بصحته (٣) .

هذا ويدرك الباحثون أن هذا السفر لا يحدثنا عن قصة استير فحسب بل أقحم عليها قصة أخرى وهى قصة مردوخاى ولى ا ستير حيث اكتشف مؤامرة كانت تدبر لاغتيال الشاه ـ فأخبره فى الوقت المناسب وأنقذ حياته .

وقصة مردوخاى هذه قد جاءتنا بشئ من التفصيل فى الترجمة السبعينية ، هذه الترجمة التى تشتمل على كثير من الزيادات التى لا نجدها فى النص العبرى مثل : حلم مردوخاى وتأويله ، واكتشاف المؤامرة وصلوات مردوخاى واستيروا مثالها امام الشاه (٤) .

وتحتوى هذه الزيادات أيضا على وصف لبعض النواحى القومية والدينية عند اليهود ، وبعض الرسائل التى تدعى أنها للملك ارتزركسيس .

وقد أضيفت هذه الزيادات اليونانية فى عام ١١٤ أو ٤٨ ق .م ولا يوجد تناسق أو انسجام بين السفر فى العبرية وبين هذه الزيادات بل ان هناك تناقضا بينهما .

---

(١) راجع فى ذلك : قاموس الكتاب المقدس صـ ٦٤ ، حبيب سعيد : المدخل إلى الكتاب ـ المقدس صـ ١٥٩ ، التوراة الهيروغليفية صـ ١٧٢ ، د/ بحر : اليهودية صـ ٨٧ ـ ٨٨ ، د/ حسن ظاظا : الفكر الدينى صـ ٢١٢ ـ ٢١٣ .

(٢) قاموس الكتاب المقدس صـ ٦٥ .

(٣) حصيلة مكتشفات لفائف البحر الميت كانت بضع عشرة لفافة شبه كاملة ومعها اجزاء من أكثر من ستمائة كتاب مختلف شكل كل كتب العهد القديم وبنسخ متعددة من كل منها باستثناء سفر استير المطعون بصحته (راجع مقدمة رسالة فى اللاهوت صـ ٣٤ ، سهيل ديب : التوراة بين الوثنية والتوحيد صـ ٩٥ ، عجاج نويهض : بروتوكولات حكماء صهيون صـ ٥٥.

(٤) التوراة الهيروغليفية صـ ١٧٣ ، راجع تفاصيل هذه القصة ٢٠٥ ـ ٢٠٦ .

ولذلك فانه تم فصل هذه الزيادات عن السفر ووضعها فى آخره وأعطيت مكانا فى أسفار الأبوكريفا المشار اليها سابقا (١) .

واذا كان هذا هو حال السفر الذى يروى قصة استير ومردوخاى فان كثيرا من الشراح ـ يذهبون إلى أن القصة ليست تاريخية .

واستدلوا على ذلك بأنه ليس فى « سجلات الملك الفارسى احشويرش وهى باقية حتى اليوم ذكر للملكة « وشتى » أو « استير » أو مردوخاى أو هامان (٢) .

بل انه لا يعرف شئ حتى من السفر ـ عن موت استير ولا عن كيفية موتها أو تاريخه ومتى كان ذلك .

بالاضافة إلى بعض الأخطاء والتناقضات التاريخية التى وقع فيها السفر (٣) .

وانتهى العلماء إلى أن هذه القصة عبارة عن أسطورة يرسم بها مؤلفها الطريق ـ للنساء الاسرائيليات أن يتخذن من جمالهن وسيلة لخدمة بنى اسرائيل وخدمة اغرضهم (٤) .

وذكروا أنها وضعت لتشجيع اليهود على المثابرة والمصابرة فى وجه العداء الشديد والكراهية البالغة والاضطهاد المرير الذى كانوا يعانونه فى العصر الاغريقى (٥) .

فقد تناولت هذه الأسطورة الحديث عن كراهية الفرس لليهود واضطهادهم وشحذ فيها الكاتب قريحته واستعمل خياله وتمنى لو أن ملكة ايران كانت يوما

---

(١) المصدر السابق ، قاموس الكتاب المقدس صـ ٦٥ ـ ٦٦ ، مقدمة رسالة فى اللاهوت والسياسة صـ ٣٤ .

(٢) حبيب سعيد : المدخل إلى الكتاب المقدس صـ ١٦٠ ، التوراة الهيروغليفية صـ ١٧٣ ـ ١٧٤ .

(٣) مثال ذلك أن السفر يذكر أن مردوخاى سبى عام ٥٨٧ ق . م (٢ : ٥ ـ ٦) فيكون عمره بناء على ذلك فى العام الثالث من حكم (اكسرسيس) ٤٨٥ ـ ٤٦٥ ق . م مائة وعشرين عاما واستير يجب أن تكون عجوزاً (ـ الهيروغليفية صـ ١٧٢)

(٤) د/ أحمد شلبى : اليهودية صـ ٢٤٨ .

(٥) حبيب سعيد : المدخل إلى الكتاب المقدس صـ ١٦٠ ، الأب ديلى : تاريخ شعب العهد القديم صـ ٣٩٢ .

يهودية وكبير الوزراء أيضا حتى ينتقم اليهود من منافسيهم انتقاما اشد .

ولهذا فهم يحتفلون ويعيدون فى أحلام هذه الخيالات التى تجعل استير الأنثى لا تقنع بمذبحة واحدة فى يوم واحد فى شوشن ، إلى جانب اظهار تعصب اليهود لبعضهم ومحاولتهم نسبة الخير والفضيلة اليهم فقط ، وهذا مظهر من مظاهر الأنانية اليهودية(١) .

ولذلك فان سفر استير ـ بما يحتوى عليه من هذه الأسطورة ـ هو كتاب بعيد كل البعد عن الدين اذ هو درس وضيع صفيق عن كيفية دفع سلطة الغويبم (الأميين) إلى تحطيم شعبها ثم وضعه تحت امرة اليهود الماحقة والباطشة (٢) .

فهو يقوى نزوع اليهود إلى التعصب الدينى والعنصرى وينفث روح الحقد والسخيمة على الأمم الأخرى ويسوغ تأريث الفتن والمذابح فيها واستئصال شأفة مناوئى اليهود أينما كانوا (٣) .

واذا كان ا ليهود قد كتبوه لهذه الأغراض فمن أين جمعوا مادته حتى صاغوا منها تلك الأسطورة ؟

يذكر صاحب القاموس أن أسماء بعض الشخصيات الرئيسية المذكورة فى القصة أسماء بابلية أو عيلامية .

فاسم استير (بطلة القصة) هو اسم (اشتار « الهة البابليين ويقابله فى العبرية (عشتاروت) .

واسم « هدَّسَة » قريب من الكلمة البابلية حد شتو » أى عروس وكان أصلا يطلق على شجرة الاس .

وهامان هو عدو مردخاى اسم الاله البابلى الرئيسى (مردوخ) ومردخاى هو نفس همان « أو » همان » « هميان » أحد الآلهة الرئيسية فى عيلام .

و«شوسن » عاصمة عيلام هى المكان الذى جرت فيه حوادث هذه القصة ،

---

(١) التوراة الهيروغليفية صـ ١٧٢ .

(٢) التوراة تاريخها وغايتها ترجمة وتعليق سهيل ديب صـ ٤٤ .

(٣) عصام الدين حفنى ناصف : محنة التوراة على ايدى اليهود صـ ١١ .

واسم وشتى » كان اسما لأحد الآلهة فى عيلام (١) .

ويقول الأستاذ حسين ذو الفقار صبرى : « أليست (استير) تجسيدا حيا للربة « عشتار » وإن التشابه بين الاسمين لا يخفى على انسان ، ويضيف انه ليس هى فحسب ، وانما الرجل الذى كفلها وهو مردوخاى كاد أن يكون سمى الاله « مردوك » أو « مردوك » زعيم الأرباب فى عصر حمورابى - اله الزوابع الذى يتمكن من الفتك بأعداء اليهود (٢) .

ولذلك فان العلماء يذهبون إلى أن سفر استير والذى يتحدث عن عيد « بوريم » البابلى الأصل ما هو فى الواقع الا انتحال من الأدب البابلى :

فاستير هى فى الواقع « عشتر »

ومردوخاى عبارة عن « مردوك »

فالقصة عبارة عن ملحمة حربية بين الآلهة البابليين والعيلميين (٣) .

ويذكر الدكتور حسن ظاظا أنه بالرغم من أن استير لم تكن غير شخصية قصصية من نسيج الخيال اليهودى الخصب (اذ لم يقم دليل واحد على وجودها تاريخيا ، أو على ممارستها هى وقريبها مردوخاى هذا النفوذ الواسع النطاق فى القصر الامبراطورى الفارسى) .

بالرغم من ذلك فان النزعة الصهيونيةالتى تصيب نفوس اليهود بين الفينة والفينة منذ السبى البابلى قد شاءت أن يجعل هؤلاء اليهود من استير وقصتها لا رمزا للدهاء اليهودى وما يزعمونه من عناية الله عناية خاصة بهم وحدهم بل جعلوا هناك ارتباطاً بين استير وما كان من غرام الامبراطور الفارسى بها ، وبين موضوع العودة من السبى البابلى وانتشر ذلك فى تراثهم الشعبى ، وفى الكرنفال الذى يقيمونه احتفال بعيد « بوريم » .

وهكذا فان الصهيونية الحديثة تضلل وتخلط وتستغل حتى الأساطير فى اشعال

---

(١) قاموس الكتاب المقدس صـ ٦٣ - ٦٤ .

(٢) اله موسى فى توراة اليهود صـ ١٧ المجلة يوليو ١٩٧٠ م .

(٣) التوراة الهيروغليفية صـ ١٧٢ ، كامل سعفان : اليهود تاريخا وعقيدة صـ ٢٤ .

نار ـ العصبية والانفعال العاطفى الأهوج الذى لا يقوم على دليل صلب من التاريخ بقضية خلقوها من العدم .

ومهما يكن من شئ فحكاية استير لا تتصل بالعودة القديمة لليهود إلى فلسطين الا فى الخيال الشعبى لتلك المجموعة البشرية المريضة (١) .



---

(١) الفكر الدينى الاسرائيلى صـ ٢١٤ ـ ٢١٥ .

الفصل الثالث

مظاهر التأثر فى عقيدة الألوهية

ويتضمن دراسة مبحثين رئيسيين :

المبحث الأول : اليهود بين التنزيه والتجسيم .

المبحث الثانى : اليهود بين التوحيد والتعدد .

مظاهر التأثر فى عقيدة الألوهية

عقيدة الألوهية عند اليهود :

كما سبق أن أشرت فى المدخل إلى أن ديانة بنى أسرائيل كما يصورها القرآن الكريم وكما جاء بها سيدنا موسى عليه السلام كانت ديانة توحيدية .

وأن سيدنا موسى قد دعاهم إلى عبادة الله الواحد شأنه فى ذلك شأن سائر الأنبياء عليهم السلام حين كان كل نبى يأتى إلى قومه ولعل أول ما يلقى به إليهم **﴿ ياقوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره ﴾** .

كذلك فإن دعوة سيدنا موسى عليه السلام كانت قائمة على تنزيه الله سبحانه وتعالى ووصفه بما يليق بذاته العلية المقدسة فكانت بعيدة تماما عن قصد التجسيم والتشبيه شأنها أيضا فى ذلك شأن سائر الرسالات السماوية التى نزل بها الأنبياء .

إلا أن اليهود على مدار تاريخهم القديم لم يحافظوا على التوحيد الذى أتاهم به سيدنا موسى عليه السلام ، وإنما تطلعوا إلى الشرك فاتخذوا من دونه آلهة أخرى وحدث هذا فى عهد سيدنا موسى ومن بعده كما سنرى .

كذلك فإنهم لم يستوعبوا الصورة المنزهة لله سبحانه والتى وردت فى التوراة المنزلة ولم يرتفعوا إلى ما جاء بها من تنزيه الله سبحانه فقصدوا إلى تصويره ـ جل شأنه وتعالى علوا كبيرا ـ بصورة حسية ونسبوا إليه صفات النقص والجهل إلى غيرها من صفات الحوادث .

« وعلى الرغم من أن الله أرسل إليهم أنبياء أطهارا كشف الله لهم عن وجوده ووحدانيته وأزليته وسائر صفاته وأعماله فأعلنوا لهم حقيقة الله وشريعته ، إلا أنهم ـ كما يقول زكى شنودة ـ فهموها فى الغالب على مقتضى فهم الشعوب الوثنية المحيطة بهم لحقيقة آلهتهم وما نسبوا إليها من شرائع » (١) .

---

(١) راجع اليهود : نشأتهم وعقيدتهم ومجتمعهم من واقع نصوص التوراة أو الجزء الثامن من موسوعة تاريخ الأقباط صـ٢٩٧ ـ ٢٩٨

ومن ثم فإن اليـهود لم يكونوا يعبدون الله فى غـالب الاحيان إلا بوصـفه واحدا من الآلهة الوثنيـة ، فهو إله اليـهود ، كمـا أن آشور إله الأشورييـين ، ومردوك هو إله البـابليـين ، وبعل هو إله الكنعـانيـين ، ومـولوك هو إله العـمونيـين ، وداجـون هو إله الفلسطينيين.

وكان اتجاه اليهود إلى التجسيم والتعدد واضـحا فى معظم مـراحل تاريخهم ، وتعد كـثرة أنبيـائهم دليلا على تجدد الشرك فيـهم ، وبالتالى تجـدد الحاجة إلى أنبـياء يجددون الدعوة إلى التـوحيد ، وكانت هذه الدعوات قـليلة الجدوى على أى حال فظهروا التاريخ وهم يعبدون الأرواح والأشجار أحيانا وأحيانا أخرى مقلدين يعبدون معبودات الأمم المجاورة التى كانت لها حضارة وفكر قلدهما اليهود (١) .

ولما كانت الديانة التى أتى بهـا موسى إليهم ـ كمـا رأينا بذلك القرآن الكريم ـ ديانة توحيد تتـصف فيها الذات العليـة بصفات الوحدة والكمال والمخـالفة للحوادث فى كل شىء والتجـرد من مظاهر النقص كمـا هو الشأن فى الدين الإسـلامى ، فإنه يظهـر من استـقراء تاريـخ اليهـود ومـا ورد بشـأنهم فى القـرآن الكريم ومـاورد فى أسـفارهم نـفـسـهـا أن فـهـمـهـم لـلـذات العلية لم يـكـن مطـابـقـا كـل المطابقة لـهـذا الـوضع(٢) .

ولو كـانت التـوراة التى بأيديهم الآن ـــ وأعنى بهـا كتـابهم المقدس بأقـسـامـه الثـلاثة (توراة ـــ نبئيم ـــ كتوبيم) كتابا منزلا من لدن على قدير كما يدعون لخرجنا من نصوصه بمفهوم متسق عن الذات العلية إذ يتجلى لموسى هدى للعالمين .

ولكنه ـ كـما يقـول حسين ذو الفـقار صـبرى ـ كـتاب من تواليف مـتشعـثة الأصول دونت على مدار متواتر من مئـات سنين وتشريحات من خرافات ومأثورات مـتداولة وأسـاطير مـوغلة فى القدم ، لفـقت بطقـوس بعضـهـا مـتوارث ، أمـا جلتهـا فمـستـقاة من ديانات شتى ، تـوفر عليهـا مرة بعـد أخرى أجيـال من كهنة وأحـبار ، فيـداخلون بينهـا وبين وقائع ، لاشك أن كـان لها سند من تاريخ حـذفا وإضـافة ، ثم

---

(١) راجع د / أحمد شلبي : اليهودية صـ١٨٠ .

(٢) راجع د / علي عبد الواحد وافي : اليهودية واليهـود صـ٣٣ دار نهضة مصر للطبع والنشر القاهرة بدون تاريخ : الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام صـ١٠ .

خلقا لروابط بادية الافتعال .

فلا غرو أن تصيبنا حيرة أى حيرة إذا ما حاولنا أن نستقرئ منها مفهوما متسقا عن الإله كما أريد لليهود أن يتصوروه ، ولسنا وحدنا فى حيرتنا هذه فقد تملكت الباحثين جميعا منذ أن تبددت دعوى الوحى الإلهى فيما يتعلق بنصوص التوراة (١) .

ولذلك فإن الكلام عن الأصول الأولى للعقيدة اليهودية ـ كما وردت فى التوراة المبدلة ـ ليسى بالأمر السهل اطلاقا إلا أن هناك حقيقة واحدة خرج بها العلماء وهى :

أنه بمناقشة التوراة (الأسفار الخمسة) وكافة الأجزاء الأخرى من العهد القديم لانجد أى اعتقاد راسخ بتوحيد الله وعدم الشرك بذات الخالق جل وعلا (٢) .

ونريد فى هذا الفصل أن نبين ـ اعتمادا على نصوص الأسفار اليهودية ـ قضيتين أساسيتين فيما يتعلق بالعقيدة الآلهية لدى اليهود :

١ ـ اليهود بين التنزيه والتشبيه .

٢ ـ اليهود بين التوحيد والتعدد .

وفى ثنايا البحث فيها سنبين أثر الأديان الوثنية فى جنوح اليهود عن التنزيه إلى التجسيم والتشبيه وانحرافهم عن التوحيد إلى تعدد الآلهة .

وسنتخذ هدى القرآن الكريم مقياسا لفصل الخطاب .

---

(١) حسين ذو الفقار صبرى : إله موسى فى توراة اليهود صـ٤ مجلة المجلة القاهرة العدد ١٦٣ يوليو (تموز) ١٩٧٠م .

(٢) انظر د / سامى سعيد الأحمد : الأسس التاريخية للعقيدة اليهودية صـ٧ ـ ٨ .

المبحث الأول : اليهود بين التنزيه والتجسيم :

يحدثنا القرآن الكريم أن اليهود أو بنى إسرائيل لم يتقبلوا من مبدأ الأمر فهم الذات العلية الفهم الصحيح ، وعلقوا إيمانهم بموسى ورسالته على رؤيتهم لله تعالى:

وفى هذا يقول الله تعالى ﴿ **وإذ قلتم ياموسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون** ﴾ (١) .

ويقول سبحانه لرسوله صلى الله عليه وسلم ﴿ **يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتابا من السماء فقد سألوا موسى أكبر من ذلك فقالوا أرنا الله جهرة فأخذتهم الصاعقة بظلمهم** ﴾ (٢) .

وينبئنا كذلك القرآن الكريم أنهم لم تطمئن نفوسهم إلى عبادة إله لا يستطيعون رؤيته وطلبوا إلى موسى حينما رأوا قوما يعكفون على أصنام لهم أن يجعل لهم إلها يحسونه كما يحس هؤلاء آلهتهم فقال تعالى ﴿ **وجاوزنا ببنى إسرائيل البحر فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم قالوا ياموسى اجعل لنا إلها كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون إن هؤلاء متبر ماهم فيه وباطل ماكانوا يعلمون ، قال أغير الله أبغيكم الها وهو فضلكم على العالمين** ﴾ (٣) .

يذكر الدكتور أحمد يوسف أن سيناء كانت منذ أقدم العصور من أوفر مصادر مصر بالفيروز والنحاس حيث تركت بعثات التعدين كثيرا من النقوش فى وادى مغارة وسرابة الخادم وكان المهندسون والعمال ممن يذهبون إلى سيناء يتعبدون للآلهة حتحور ربه تلال الفيروز طالبين إليها الحماية والأمن ويقربون إليها الحمد والثناء ، ولقد اقتضى استغلال المناجم المنتظم وقيام مجتمعات العمال فيها قيام معبد منذ الدولة الوسطى للآلهة حتحور فى سرابة الخادم نرى أطلاله اليوم .

---

(١) البقرة : ٥٥ .　　(٢) النساء : ١٥٣ .　　(٣) الأعراف : ١٣٨ ـ ١٤٠ .

راجع د / على عبد الواحد وافى : اليهودية واليهود صـ٣٣ ـ ٣٤ ، راجع أيضا تفاصيل ذلك من التفاسير وغيرها فى الفصل الخاص بالاتجاه الوثنى لدى بنى إسرائيل .

والذى لاشك فيه أن بنى إسرائيل ـ فيما يقول الدكتور أحمد يوسف ـ قد اتبعوا الدرب الذى كانت قوافل التعدين تسلكه إلى تلك المناجم فى سيناء وأنهم مروا بتلك المناجم فى تجوالهم هناك ، حيث أشار القرآن الكريم ـ وحده ـ إلى مجتمع مقيم حول عبادة له فى تلك البقاع .

ويذكر أن بنى إسرائيل أحسوا بحكم مقامهم فى مصر واختلاطهم بالمصريين واتخاذهم حضارتهم بالحنين إلى حياتهم الأولى وتعلق قلوبهم بأرباب المصريين التى كانوا ـ معهم ـ يعبدون (١) .

ونلاحظ أن قولهم ـ كما أخبر سبحانه وتعالى ـ اجعل لنا إلها كما لهم آلهة يبين بوضوح مدى استعدادهم لتقليد غيرهم من الوثنيين فى تصور الإله وعبادته وهو ماسنراه ونلمسه على امتداد هذا الفصل من تصورهم الفاسد للألوهية متأثرين بوثنيات الأديان القديمة التى خالطوا أهلها واطلعوا على تراثها .

ولقد ظهر للعلماء من خلال استقرائهم للأسفار اليهودية (العهد القديم والتلمود) أن اليهود لم يتقبلوا فكرة أن يكون الههم مجردا غير محسوس فتخيلوه وهو يتجلى فى الرعد والبرق وانهمار المطر وما إلى ذلك من الظواهر الطبيعية ورأوا إلههم فى صورة عمود دخان ـ أو عمود سحاب ـ نهارا وفى صورة عمود نار ليلا .

وكان شأنه فى نظرهم شأن آلهة العالم القديم ـ لم يتصوروه بلا جسد .

لذلك نقرأ فى العهد القديم كيف يتحدث الإسرائيلى عن الإنسان الذى خلقه الرب على صورته .

ولم يكتف الإسرائيلى بتجسيد الرب بل خلع عليه سائر صفات الإنسان من خير أو شر فهو يأكل ويشرب ويتعب ويستريح ويغار من منافسيه وهو يصارع ويدفن الموتى ويتمشى فى الجنة (٢) .

---

(١) راجع مصر فى القرآن والسنة صـ١٢٥ ـ ١٢٦ .

(٢) راجع د / فؤاد حسنين على : اليهود واليهودية والمسيحية صـ١٤ ـ ١٥ معهد البحوث والدراسات العبرية ١٩٦٨ القاهرة ، د / نجيب ميخائيل : مصر والشرق الأدنى القديم جـ٣ صـ٢١٩ ، عباس محمود العقاد : الله صـ١٠٨ ـ ١١١ ، محمد على حسن هوارى : الألوهية عند بنى إسرائيل صـ٥٩ ـ ٦٠ .

وأن الأسفار تضع الرب ـ كما يقول د / صبرى جرجس ـ فى مواضع وتصفه بصفات لاتليق بالإنسان من البشر ذى العزة والخلق الكريم فضلا عن « الرب الإله » العظيم ، فنسبت إلى الله من الصفات ما هو من صفات العامة لا الخاصة من البشر (١) .

ويرى هؤلاء العلماء أن هذه الصفات قد اقتبسها الإسرائيليون من الكنعانيين(٢) .

يذكر ول ديورانت أن اليهود بعد أن غزوا كنعان ـ وبعد أن نسوا عقيدتهم فى ربهم كما جاءهم بها موسى عليه السلام ـ عمدوا إلى أحد آلهة كنعان فصاغوه فى الصورة التى كانوا هم عليها وجعلوا منه إلها صارما ذا نزعة حربية صعب المراس ، ثم جعلوا هذا الإله لا يطالب الناس بأن يعتقدوا أنه عالم بكل شىء وشاهد ذلك أنه يطلب إلى اليهود أن يميزوا بيوتهم بأن يرشوها بدماء الكباش المضحاة لئلا يهلك أبناءهم على علم منه مع من يهلكهم من أبناء المصريين .

كذلك فإن هذا الإله ـ كما صورته الأسفار وفيما يذكره ول ديورانت ـ ليس معصوما من الخطأ ، بل إن أشنع ما وقع فيه من الأخطاء هو خلق الإنسان ، ولذلك تراه يندم بعد فوات الفرصة على خلق آدم وعلى ارتضائه أن يكون شاول ملكا ، وتراه من حين إلى حين شرها غضوبا متعطشا للدماء ، متقلب الأطوار ، نزقا نكدا (! ! !) .

وقصارى القول ـ كما يقول ول ديورانت ـ أنه لم يكن للأمم القديمة إله آدمى فى كل شىء كاله اليهود هذا (٣) .

وهكذا حبس اليهود الههم داخل ذلك الإطار البشرى المحدود ولم يستطع خيالهم أن يتسامى بصورته إلى ما وراء الحدود المادية فخرج فى رواياتهم على صورة تأباها النفس ويمجها الذوق ، وكانت الصورة العامة التى قدمتها الأسفار أقرب إلى المادية منها إلى الروحية (٤) .

---

(١) التراث اليهودى الصهيونى صـ٥٤ ، ٥٥ .

(٢) د / فؤاد حسنين : المصدر السابق صـ١٣ ـ ١٤ .

(٣) قصة الحضارة مجلد ١ جـ ٢ صـ٣٣٩ ـ ٣٤٠ .

(٤) د / نجيب ميخائيل : مصر والشرق الأدنى القديم جـ٣ صـ٢٢٠ ـ ٢٢١ .

فإذا ما تأملنا الآن فى أقدم سفرين من أسفار توراتهم المزعومة وهما سفر التكوين وسفر الخروج نجد أن فكرة الألوهية ظلت مضطربة فى عقولهم إلى نهاية المرحلة التى تم فيها تدوين هذين السفرين أى إلى نهاية القرن التاسع ق . م (بعد موسى بنحو خمسة قرون) (١) .

فتصوروا الله تعالى فى صورة مجسمة ووصفوه بكثير من صفات النقص والضعف والكذب والغفلة والجهل وظهر تصورهم هذا فى كثير مما ورد فى هذين السفرين :

فمن ذلك ماورد فى سفر التكوين عن قصة الخلق حيث زعموا أن الرب قد انتهى من خلق السماوات والأرض فى ستة أيام ثم استراح فى اليوم السابع وهذا يعنى أنه كالبشر يحتاج إلى الراحة لأنه يتعب ويلحق به النصب واللغوب .

وقد سبق أن عرضت لهذا بالتفصيل وكيف أنهم أخذوا هذا التصور عن الديانات الوثنية وكيف أن الله تعالى قد رد عليهم فى قوله سبحانه ﴿ **ولقد خلقنا السماوات والأرض ومابينهما فى ستة أيام ومامسنا من لغوب** ﴾ (٢) .

ومن ذلك أيضا ما ورد فى سفرَ التكوين عن قصة الطوفان عن ندم الرب على أنه خلق الإنسان فاضطر إلى إهلاك أفراده عن طريق الطوفان لكنه لم يلبث أن ندم مرة أخرى على إهلاكهم بعد أن اشتم رائحة الشواء ثم يعزم فى قلبه على أن لايحدث بعد ذلك طوفانا ولا يعود يلعن الأرض أبدا ، ويأخذ على نفسه ميثاقا بذلك ، ويضع علامة « قوس قزح » ليتذكر بها هذا الميثاق .

وقد سبق أن فصلت هذا وأشرت إلى أن اليهود قد تأثروا فيه بالأديان

---

(١) هذا التاريخ كما ذكره الدكتور على عبد الواحد وافى ينطبق على المصدر اليهوى أما المصدر الكهنوتى فهو يرجع إلى زمن السبى البابلى أو بعده أى فى القرن السادس أو الخامس ق . م ، راجع : اليهودية واليهود صـ٣٤ ـ ٣٥ ، الأسفار المقدسة صـ٢٧ ، جيمس فريزر : الفولكلور فى العهد القديم جـ١ صـ٨١ .

(٢) سورة ق : ٣٨ ، راجع الفصل الثانى من هذا الباب عند بيان مظاهر تأثر اليهودية بالأديان الوثنية فى قصة الخلق .

الوثنية(١) .

ومن ذلك أيضا ماورد فى سفر التكوين عن قصة آدم وحواء وإخراجهما من الجنة : فقد صورت هذه القصة الرب على هيئة بشرية وخلعت عليه صفات إنسانية هى من مجموعة الرذائل الكريهة :

إذ يذكر السفر أن الله تعالى قد نهاهما عن الأكل من شجرة المعرفة وخوفهما ومضللاً لهما ومخفياً عنها حقيقة هذه الشجرة فذكر لهما أن الأكل منها يفضى إلى الموت مع أن الأكل منها ـ فيما أورد السفر ـ يفضى إلى رقى التفكير وانحسار أغطية الجهل وانبثاق نور المعرفة ، ولكن الإله ـ حسب زعمهم ـ كان يريد ابقاءهما جاهلين حتى لايشاركاه فى صفة من أخص صفاته .

وحينما أغرت الحية حواء بالأكل من هذه الشجرة وانساق وراءها آدم أدركا ما كانا يجهلانه من قبل فعرفا أنهما مكشوفا السوءتين وأنه لايليق أن يقابلا ربهما على هذه الصورة ، فلما قدم الإله ـ مخترقا طرق الجنة ـ نحوهما ، وسمعا صوته وحركته وهو يسير ويتمشى فى المساء الرطب اختبأ حتى لايراهما وأخذ الرب ينادى على آدم ـ ولم يكن آنذاك قد علم أنه أكل من الشجرة المحرمة ـ فأخذ يستجوبهما واستنتج من فعلتهما ومن استجوابهما أنه لابد أن يكونا قد أكلا من شجرة المعرفة وأن ذلك قد جعلهما يعرفان حقيقة أمرهما وأن الإنسان قد أصبح بذلك « أحد الآلهة لتمييزه بين الحسن والقبيح وأنه قد أصبح لزاما أن يطرده من الجنة حتى لاتمتد يده إلى شجرة أخرى هى شجرة الخلد فيكفل لنفسه أرقى صفات الإله وهى صفة البقاء (٢) .

ويكفى أن جيمس فريزر ذهب ـ كما سبق أن ذكرت ـ إلى أن الدافع الذى

---

(١) راجع أيضا الفصل الثانى من هذا الباب عند الحديث عن مظاهر تأثر اليهودية بالأديان الوثنية فى قصة الطوفان .

(٢) راجع سفر التكوين ٢ : ١٥٤ ـ ٢٥ / ٣ : ١ ـ ٢٤ ، راجع أيضا د / على عبد الواحد وافى : اليهودية واليهود صـ٣٥ ، الأسفار المقدسة صـ٢٧ ـ ٢٨ ، د / نبيه إبراهيم : مقدمة كتاب الفولكلور فى العهد القديم جـ١ صـ١٠ ، ١٢ ، راجع أيضا الفصل الخاص بمظاهر التأثر فى القصص الدينى عند الحديث عن قصة الغواية أو قصة آدم وحواء .

تقدمه القصة كما وردت فى سفر التكوين دنىء كما أن السلوك الذى تنسبه للرب يستحق الإزدراء وأن الصفات الشائنة التى ألحقتها بالرب ظلت بقعة سوداء فى حق الصفات الالهية ، كما يزعمها اليهود [١] .

تجلى الرب لإبراهيم فى صورة رجل :

ومن القصص التى وردت فى سفر التكوين أيضا والتى تصور الرب بصورة بشرية محضة قصة اهلاك قوم لوط وتدمير قريتى « سدوم وعمورة » [٢] حيث يذكر السفر أن ثلاثة رجال (وهم الله وملكان معه) قدموا على إبراهيم وهو جالس أمام خيمته وأن إبراهيم قد عرف الله من بينهم ورجاه أن يستريحوا عنده قليلا من وعثاء سفرهم وقدم إليهم ماء لشربهم وغسل أرجلهم ، وفطائر وعجلا وجيدا لطعامهم ، فانتحى ثلاثتهم تحت ظل شجرة وأخذوا يأكلون مما قدمه إليهم وإبراهيم جالس على مقربة منهم ثم تفقد الإله زوجه سارة وسأله عنها وأخذ يبشرها ويبشر إبراهيم بأنه سيمر بهما فى هذا الموعد نفسه من السنة القادمة فيجدهما قد رزقا غلاما زكيا ثم اشتبك معه إبراهيم فى نقاش وجدال ومساومة حول القريتين اللتين يريد إهلاكهما بغية أن يثنيه عن ذلك ، لأن بعض أهلهما أتقياء ، ولايصح أن يؤخذ المحسن بالمسىء[٣] .

ولعل من الأفضل أن أثبت نص هذه القصة كما ورد فى ذلك السفر حتى يتسنى لنا نقدها وبيان ما فيها من تصور فاسد للألوهية :

ورد فى الإصحاح الثامن عشر قوله عن إبراهيم الخليل « وظهر له الرب عند بلوطات ممرا وهو جالس فى باب الخيمة وقت حر النهار ، فرفع عينيه ونظر وإذا ثلاثة رجال واقفون لديه ، فلما نظر ركض لاستقبالهم من باب الخيمة وسجد إلى

---

(١) الفولكلور فى العهد القديم جـ١ صـ١٠٩ .

(٢) جاء فى قاموس الكتاب المقدس أن « سدوم » تقع اليوم تحت الماء فى جنوب البحر الميت وكانت القرية التى سكنها لوط ثم تم تدميرها لخطيئة أهلها قوم لوط ، وأما « عمورة » فهى بلدة فى غور الأردن تحالف ملكها مع ملك « سدوم » ثم دمرت أيضا (القاموس صـ٤٦٠ ـ ٤٦١ / ٦٤١ ـ ٦٤٢) .

(٣) راجع د / على عبد الواحد وافى : اليهودية واليهود صـ٣٦ .

الأرض ، وقال ياسيد إن كنت قد وجدت نعمة فى عينيك فلا تتجاوز عبدك ، ليؤخذ قليل من ماء واغسلوا أرجلكم واتكئوا تحت الشجرة ، فأخذ كسرة خبز فتسندون قلوبكم ثم تجتازون ، لأنكم قد مررتم على عبدكم فقالوا هكذا تفعل كما تكلمت ، فأسرع إبراهيم إلى الخيمة إلى سارة وقال أسرعى بثلاث كيلات دقيقا سميدا ، اعجبنى واصنعى خبز ملة ، ثم ركض إبراهيم إلى البقر وأخذ عجلا رخصا وجيّدا وأعطاه للغلام فأسرع لعمله ، ثم أخذ زبدا ولبنا والعجل الذى عمله ووضعها قدامهم وإذ كان هو واقفا لديهم تحت الشجرة أكلوا (١) .

وقالوا له أين سارة امرأتك فقال هاهى فى الخيمة فقال إنى أرجع إليك نحو زمان الحياة ويكون لسارة امرأتك ابن ، وكانت سارة سامعة فى باب الخيمة وهو وراءه ، وكان إبراهيم سارة شيخين متقدمين فى الأيام ، وقد انقطع أن يكون لسارة عادة كالنساء ، فضحكت سارة فى باطنها قائلة أبعد فنائى يكون لى تنعم وسيدى قد شاخ ، فقال الرب لابراهيم لماذا ضحكت سارة قائلة أفبالحقيقة ألد وأنا قد شخت ، هل يستحيل على الرب شىء ، فى الميعاد أرجع إليك نحو زمان الحياة ويكون لسارة ابن فأنكرت سارة قائلة لم أضحك ، لأنها خافت ، فقال : لا بل ضحكت (٢) .

ثم قام الرجال من هناك وتطلعوا نحو سدوم ، وكان إبراهيم ماشيا معهم ليشيعهم قال الرب هل أخفى عن إبراهيم ما أنا فاعله ، وإبراهيم يكون أمة كبيرة وقوية ويتبارك به جميع أمم الأرض ، لأنى عرفته لكى يوصى بنيه وبيته من بعده أن يحفظوا طريق الرب ليعملوا برا وعدلا لكى يأتى الرب لإبراهيم بما تكلم به .

وقال الرب إن صراخ سدوم وعمورة قد كثر وخطيئتهم قد عظمت جدا ، أنزل وأرى هل فعلوا بالتمام حسب صراخها الآتى إلى ، وإلا فاعلم .

وانصرف الرجال من هناك وذهبوا نحو سدوم ، وأما إبراهيم فكان لم يزل قائما أمام الرب (٣) .

---

(١) سفر التكوين ١٨ : ١ ـ ٨ .

(٢) تكوين ١٨ : ٩ ـ ١٥ .

(٣) تكوين ١٨ : ١٦ ـ ٢٢ .

فتقدم إبراهيم وقال أفتهلك البار مع الأثيم ، عسى أن يكون خمسون بارا فى المدينة أفتهلك المكان ولاتصفح عنه من أجل الخمسين بارا الذين فيه ، حاشا لك أن تفعل مثل هذا الأمر أن تميت البار مع الأثيم فيكون البار كالأثيم ، حاشا لك ، أديان كل الأرض لايصنع عدلا ، فقال الرب إن وجدت فى سدوم خمسين بارا فى المدينة فإنى أصفح عن المكان كله من أجلهم ، فأجاب إبراهيم وقال إنى قد شرعت أكلم المولى وأنا تراب ورماد ، وربما نقص الخمسون بارا خمسة أتهلك المدينة بالخمسة ، فقال لا أهلك إن وجدت هناك خمسة وأربعين ، فقال لايسخط المولى فأتكلم ، عسى أن يوجد هناك ثلاثون فقال لاأفعل إن وجدت هناك ثلاثين ، فقال إنى شرعت أكلم المولى ، عسى أن يوجد هناك عشرون فقال لاأهلك من أجل العشرين ، فقال لايسخط المولى فأتكلم هذه المرة فقط ، عسى أن يوجد هناك عشرة ، فقال لاأهلك من أجل عشرة ، وذهب الرب عندما فرغ من الكلام مع إبراهيم ورجع إبراهيم إلى مكانه(١) .

وقد ناقش الشيخ الفقيه علاء الدين الباجى هذا النص فاستنكر ظهور الرب لإبراهيم عند الشجرة فقال « كيف يحسن أن يقال « وظهر الله لإبراهيم ... » فإنه سبحانه وتعالى منزه عن ظهوره للناظر فى صورة رجل من جملة ثلاثة رجال أتوا فى ضيافة إبراهيم من غير أن يستدعيهم لضيافته بل هذا أمر لايرضاه لنفسه بعض البشر ، فضلا عن إله العالم » .

واستنكر أيضا أكل الرب والملكين وشربهما عند إبراهيم فذكر أنه لا أجهل ممن يعتقد أن إله العالم يأكل مع أن الملكين لايأكلان باتفاق العقلاء لأن الملائكة أرواح مجردة عن الأبدان (٢) .

ثم إنه كيف يحسن أن يقال « قال الرب : إن صراخ سدوم وعمورة قد كثر عندى ... فإنه منزه عن أن يستعلم عن شىء بل هو عالم بكل شىء ، من الأزل قبل وجوده .

---

(١) تكوين ١٨ : ٢٣ ـ ٣٣ .

(٢) على التوراة صـ٧٣ .

فقوله بعد ذلك « حاشالك ياديان كـل الأرض أن تقضى بهذا القضاء » لايحسن : ـ لأن مثل هذا الكلام لا يقال إلا لجاهل يفعل مالايليق ، فيتلطف به بحسن عبارة ، ليرجع عن خطئه (١) .

أما الإمام ابن حزم فقـد ناقش هذا النص مناقشة مستفيضـة ونقد هذه القصة نقدا لاذعا فذكر أن فيها آيات شنيعه من البلاء :

« فأول ذلك إخباره أن الله تعـالى تجلى لإبراهيم أنه رأى الثـلاثة رجال فـأسرع إليهم وسـجد وخاطبهم بالـعبودية : فإن كـان أولئك الثلاثة هم الله فهـذا هو التثليث بعينه بلا كلفه بل هو أشد من الثليث لأنه إخبار بشخوص ثلاثة والنصارى يهربون من التشخيص وقد رأيت (٢) فى بعض كتب النصارى الإحتجـاج بهذه القصة فى إثبات الثليث وهذا كما ترى فى غاية الفضيحة (٣) .

فإن كان أولئك الثلاثة ملائكة ـ وهكذا يقولون ـ فعليهم فى ذلك أيضا فضائح عظيمة وكذب فاحش من وجوه :

أولها : من المحال والكذب أن يخبـر بأن الله تعالى تجلى له وإنما تجلى له ثلاثة من الملائكة .

وثانيها : أن يخاطـب أولئك الملائكة بخطاب واحد ، وهذا مما يزيـد فى ضلال النصارى فى هذا الفصل ، وهذا أيضا محال فى الخطاب .

وثالثها : سـجوده للمـلائكة : فإن من البـاطل أن يسـجد رسـول الله صلى الله عليه وسلم وخليله لغير الله تعالى ولمخلوق مثله فهذه كذبة .

وإن قـالوا بل لله سـجـد فـهذه كـذبة ولابد ، أن يكـون الله عندهم هم الثـلاثة المتجلون لابد من إحداها وعادت البلية أشد ما كانت .

---

(١) المصدر السابق . (٢) لازال الكلام للإمام ابن حزم .

(٣) الفصل فى الملل والأهواء والنحل جـ١ صـ١٣٠ ، وإذا كان ابن حزم قد وجد ذلك فى عصره فإن حبيب سعيد يقـول فى عصرنا هذا : « لئـن يكن الله قد كلم إبراهيم كـيهـوه الإله الواحد إلا أن القصة تقول إن إبراهيم رأى ثلاثة رجال ، ولذلك نظر المسيـحيون فى كل العصور إلى هذا المشهد كرمز إلى الأقانيم المثلثة فى وحدانية الله .

(خليل الله فى اليهودية والمسيحية والإسلام صـ٥٢) .

ورابعها : خطابه لهم بأنه عبدهم فإن كان المخاطب بذلك هو الله تعالى وهو المتجلى له فقد عادت البلية ، وإن كان المخاطبون بذلك الملائكة فحاش لله أن يخاطب إبراهيم عليه السلام بالعبودية غير الله تعالى ومخلوقا مثله مع أن من المحال أن يخاطب ثلاثة بخطاب واحد (١) .

وخامسها : قوله يؤخذ قليل من ماء ويغسل أرجلكم وأقدم كسرة من الخبز تشتد بها قلوبكم فهذه الحالة لئن كان خاطب بهذا الخطاب الله تعالى فهى التى لاسوى لها ولابقية بعدها والتى تملأ الفم .

وإن كان خاطب بذلك الملائكة فهذا أكذب لأن إبراهيم عليه السلام لايجهل أن الملائكة لاتشتد قلوبهم بأكل الخبز فهذه على كل حال كذبة باردة سمجة .

فإن قالوا ظنهم ناسا قلنا هذا أكذب لأن فى أول الخبر يخبر أن الله تجلى له وكيف يسجد إبراهيم ويتعبد لخاطر طريق وحاش له من هذا الضلال .

وسادسها : إخباره أنهم أكلوا الخبز والشوى والسمن واللبن وحاشى أن يكون هذا خبرا عن الله تعالى ولا عن الملائكة (٢) .

وهكذا فقد وجدنا أن نص سفر التكوين ـ كما هو واضح ـ يقرر أن الرب سبحانه ظهر لإبراهيم فى صورة بشرية ويدل على ذلك قوله إن الرب قد ظهر لإبراهيم فلما رفع إبراهيم عينيه ونظر وجد ثلاثة رجال واقفين لديه فمعنى ذلك أن الرب واحد من هؤلاء الرجال الثلاثة .

ويدل على ذلك أيضا أن النص يذكر أن الرجال قاموا من هناك وتطلعوا نحو سدوم وكان إبراهيم ماشيا معهم ليشيعهم فقال الرب هل أخفى عن إبراهيم ما أنا فاعله ثم يستمر النص فيذكر أن الرجال انصرفوا وأما إبراهيم فكان لم يزل قائما أمام الرب .

ولايقصد كاتب السفر بالرجال هنا الثلاثة وإنما يقصد بهما الملكين فقط وقد تحدث عنهما بصيغة الجمع بدليل أنه ذكر فى نهاية الإصحاح الثامن عشر ـ كما رأينا

---

(١) الفصل فى الملل والأهواء جـ ١ صـ ١٣٠ ـ ١٣١ .

(٢) الفصل فى الملل والأهواء والنحل جـ ١ صـ ١٣١ .

ـ أن الرب ذهب عندما فرغ من الكلام مع إبراهيم وذكر فى بداية الإصحاح التاسع عشر أن الملكين جاءا إلى سدوم مساء فاستقبلهما إبراهيم ـ وبعد أن ألح عليهما فى المبيت ـ مالا إليه ودخلا بيته فصنع لهما ضيافة وخبز فطيرا فأكلا (١) .

فالنص فى مجموعه يقرر أن الرب سبحانه كان أحد هؤلاء الرجال الثلاثة وأنه أكل مع الملكين وأنه قام يمشى بجوار ابراهيم وأخذا يتحدثان ويتحاوران بعد أن انصرف عنهما الملكان ثم انصرف الرب أخيرا وترك إبراهيم مكانه .

ولذلك فقد ورد فى قاموس الكتاب المقدس عن هذه القصة أن الرب قد ظهر لإبراهيم فى شكل إنسان (٢) .

وذكر زكى شنودة أن الله تراءى لإبراهيم مع ملاكين فى صورة ثلاثة رجال (٣) .

وقال حبيب سعيد « لم يختر الله أن يظهر لإبراهيم ويكلمه فقط ، بل حل عليه كضيف كما يقول السفر المقدس ، إعلاء لمقام إبراهيم وتكريما لخليله (٤) .

وعلق الدكتور ف . ب ماير على هذه القصة بقوله : فى عصر ذلك اليوم التاريخى زار أولئك الضيوف الثلاثة خيمة إبراهيم ، ولاشك فى أن أحدهم كانت تبدو عليه علائم العظمة والرهبة والجلال .

يخبرنا الكتاب المقدس صراحة فى العدد الأول أن الرب ظهر له « عند بلوطات ممرا وهو جالس فى باب الخيمة وقت حر النهار » وفى العدد العاشر نرى اللاهوت يظهر فى لهجة الحديث وفى ثنايا كلمات الوعد الذى أكد لإبراهيم أن سارة ستعطى ابنا يقينا ، فمن ذا الذى يستطيع أن يخلق الحياة ، ومن ذا الذى لايعسر عليه أمر إلا الله .

وعلاوة على ذلك ـ كما يقول د / ماير ـ فإن الكتاب يخبرنا أن ملاكين جاءا

---

(١) تكوين ١٩ : ١ ـ ٣ .

(٢) قاموس الكتاب المقدس صـ١١ .

(٣) اليهود أو الجزء الثامن من موسوعة تاريخ الأقباط والمسيحية صـ٢٢٠ ـ ٢٢١ .

(٤) خليل الله فى اليهودية والمسيحية والإسلام صـ٥٢ .

إلى سدوم مساء ، ولاشك فى أنهما كانا ضمن ضيوف إبراهيم الثلاثة

أما الثالث الذى هو المتكلم الوحيد أثناء الضيافة فإن عظمته قد تجلت فى ذلك الحديث العجيب الذى جرى على مرتفعات ممرا عندما كان إبراهيم لم يزل قائما أمام الرب » يتشفع إليه كديان كل الأرض (١) .

ويذكر الدكتور ماير أن إبراهيم كان كريما فى ضيافة زائريه بكل معانى الكرم الشرقى فإنه ركض لاستقبالهم وسجد إلى الأرض وقدم إليهم ماء لغسل أرجلهم وهيأ لهم مكانا تستريح فيه أجسادهم المنهكة تحت الشجرة الوارفة الظلال ، ثم طلب من زوجته أن تسرع بثلاث كيلات دقيقا وتعجنها ، وتصنع منها خبزا ، ثم ركض إلى البقر واختار أجود العجول دون أن يكل هذا الأمر لشخص آخر ، ووقف يخدم الضيوف بنفسه كخادم بينما كانوا يتناولون الطعام تحت الشجرة (٢) .

ويذكر الدكتور ماير أن إبراهيم لم يخسر بسبب كرمه لأنه بينما كان الضيوف يتناولون الطعام أنبأه الرب بميلاد ابن لسارة ، أما سارة فقد سمعت هذا ـ وهى جالسة متحجبة فى الخباء ـ وضحكت فى نفسها ضحكة تنم على عدم التصديق وفى الحال لوحظت تلك الضحكة بواسطة ذلك الذى لايخفى عليه شىء والذى تتقد عيناه كلهيب نار « فقال الرب لإبراهيم لماذا ضحكت سارة ... » ببساطة غريبة أجابت وهى داخل خبائها منكرة بأنها ضحكت لأنها خافت ولكن إجابتها قوبلت بكلمات التأكيد التى كانت هى القول الفصل « لابل ضحكت » .

ويقول الدكتور ماير « هذه الكلمات الوحيدة التى تمت بين الله وزوجة إبراهيم وهى تبين أن حياتها كانت سطحية تميل إلى الشك وعدم التصديق على أننا يجب أن

---

(١) حياة إبراهيم صـ١٠٢ ترجمة القمص مرقص داود .
وطبعا لم يفت الدكتور ماير أن يحشر المسيح عليه السلام فى هذا الموضوع فقال « وهكذا رأينا ابن الله يعلن تجسده مقدما ، ويظهر فى الهيئة كإنسان قبل أن يأخذ جسدا فإنه قد أحب أن يأتى متنكرا إلى بيوت الذين اتخذهم له أصدقاء قبل أن تطأ أقدامه إلى منحدر جبل الزيتون ليتخذ بيت لعازر مقرا له يستريح فيه من ضوضاء المدينة العظيمة أورشليم ويستعد للصليب ثم للقبر ! ! ! .
(المصدر السابق صـ١٠٢ ـ ١٠٣)
(٢) المصدر السابق صـ١٠٤

لا نشدد النكير عليها فإنها لم تكن لها الفرص التى كانت لزوجها [1] .

أما محاولة البعض تفسير لفظ الرب فى النص المذكور بأنه ملاك الرب مثلما ورد فى مواضع أخرى فهى نوع من التمحل حيث إننا وجدنا العبارات صارخة والألفاظ واضحة تماما فى أنه كان الرب ، وقد ناقشهم الإمام ابن حزم ورد عليهم ردا مفحما .

لكنه من جهة أخرى يمكن القول بأن القصة الأصلية كما وردت فى التوراة المنزلة على سيدنا موسى ربما كانت تشتمل على وصفهم بالملائكة وأنهم نزلوا فى صورة ثلاثة رجال وأنهم لم يأكلوا من الطعام بعد أن قدمه لهم إبراهيم ، لكن كتبة التوراة الحالية قد غيروا معالم القصة وأضافوا إليها هذه الإضافات وألحقوا بالرب تلك الصفات

وبذلك ـ وبناء على هذا الاحتمال ـ تكون القصة الأصلية مشابهة للقصة كما وردت فى القرآن الكريم .

قصة ضيف إبراهيم فى القرآن الكريم :

فقد ذكر القرآن الكريم القصة على حقيقتها فبين أن الذين وفدوا على إبراهيم كانوا ملائكة مشكلين فى صورة آدميين فظنهم بشرا ، فقدم إليهم طعاما ، فلما رأى أيديهم لاتصل إليه نكرهم وأوجس منهم خيفة ، ثم علم أنهم من الملائكة :يقول الله سبحانه وتعالى ﴿ **ولقد جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى قالوا سلاما قال سلام فما لبث أن جاء بعجل حنيذ ، فلما رءا أيديهم لاتصل إليه نكرهم وأوجس منهم خيفة قالوا لاتخف إنا أرسلنا إلى قوم لوط ، وامرأته قائمة فضحكت فبشرناها باسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب ، قالت ياويلتى أألد وأنا عجوز وهذا بعلى شيخا إن**

---

(١) حياة إبراهيم صـ١٠٥ ـ ١٠٦ .

ويعلق الإمام ابن حزم على قول السفر بأن سارة قالت لم أضحك وأن الرب قال لها لابل ضحكت بقوله : فهذه مراجعة الخصوم وتعارض الأكفاء وحاش لسارة الفاضلة المنبأة من الله عز وجل بالبشارة من أن تكذب الله عز وجل فيما يقول وتكذب هى فى ذلك فتجحد ما فعلت فتجمع بين سوأتين إحداهما كبيرة من الكبائر وقد نزه الله عز وجل الصالحين عنها فكيف الأنبياء والأخرى أدهى وأمر وهى التى لايفعلها مؤمن ولو أنه أفسق أهل الأرض لأنها كفر ونعوذ بالله من الضلال .

(الفصل فى الملل والأهواء جـ١ صـ١٣٢) .

هذا لشيء عجيب ، قالوا أتعجبين من أمر الله رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد ﴾ (١) .

ويقول الله تعالى أيضا : **﴿ هل أتاك حديث ضيف إبراهيم المكرمين إذ دخلوا عليه فقالوا سلاما قال سلام قوم منكرون ، فراغ إلى أهله فجاء بعجل سمين ، فقربه إليهم قال ألا تأكلون فأوجس منهم خيفة قالوا لاتخف وبشروه بغلام عليم ، فأقبلت امرأته فى صرة فصكت وجهها وقالت عجوز عقيم قالوا كذلك قال ربك إنه هو الحكيم العليم ﴾** (٢) .

يذكر عباس محمود العقاد أن إخبار القرآن الكريم عن هذه القصة يبين الفارق بين التجسيم والتنزيه ، فالضيوف الثلاثة الذين ورد ذكرهم فى سفر التكوين كانوا يأكلون ويشبعون من الطعام .

إلا أن القرآن الكريم يروى قصة هؤلاء الضيوف ولايروى أنهم أكلوا وشبعوا بل جلسوا إلى الطعام ولم تصل أيديهم إليه وسألهم إبراهيم أن يأكلوا فلم يفعلوا فأوجس منهم خيفة وعلم من ذلك أنهم من غير البشر وأن لهم شأنا غير شأن ضيوف الزاد والمقام(٣) .

ويقول الفخر الرازى : إعلم أن الأضياف إنما امتنعوا من الطعام لأنهم ملائكة والملائكة لايأكلون ولايشربون ، وإنما أتوه فى صورة الأضياف ليكونوا على صفة يحبها وهو كان مشغوفا بالضيافة (٤) .

ويقارن الإمام ابن حزم بين قصة سفر التكوين وبين قصة القرآن الكريم فيقول « أين هذا الكذب البارد الفاضح الذى يشبه عقول اليهود المصدقين به من الحق المنير الواضح عليه ضياء اليقين من قول الله عز وجل فى هذه القصة نفسها ، ثم يقول : « هيهات نور الحق من ظلمات الكذب والحمد لله رب العالمين كثيرا » (٥) .

---

(١) سورة هود : ٦٩ ـ ٧٣ . (٢) سورة الذاريات : ٢٤ ـ ٣٠ .

(٣) إبراهيم أبو الأنبياء صـ٧٥ ـ ٧٦ . (٤) التفسير الكبير جـ١٨ صـ٢٤ .

(٥) الفصل فى الملل والأهواء والنحل جـ١ صـ١٣١ .

وأما عن مجادلة إبراهيم فى قوم لوط فقد ذكر القرآن الكريم عقب بيان القصة السابقة قوله تعالى ﴿ **فلما ذهب عن إبراهيم الروع وجاءته البشرى يجادلنا فى قوم لوط إن إبراهيم لحليم أواه منيب يا إبراهيم أعرض عن هذا إنه قد جاء أمر ربك وإنهم آتيهم عذاب غير مردود** ﴾ (١) .

والمراد بقوله تعالى ﴿ **يجادلنا** ﴾ أى يجادل رسلنا (٢) .

بدليل قوله سبحانه فى سورة العنكبوت ﴿ **ولما جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى قالوا إنا مهلكوا أهل هذه القرية إن أهلها كانوا ظالمين ، قال إن فيها لوطا قالوا نحن أعلم بمن فيها لننجينه وأهله إلا امرأته كانت من الغابرين** ﴾ (٣) .

وقد بين القرآن الكريم أن هذه المجادلة كانت فى غاية التأدب الرفيع مع رسل الله وتجاه قضاء الله وتمت فى صورة بعيدة تماما عن التطاول والتطويل فلذلك مدح الله إبراهيم عقيب إشارته إلى المجادلة بقوله ﴿ **إن إبراهيم لحليم أواه منيب** ﴾ فهو حليم لايحب المعالجة بالعقاب ، أواه : كثير التأوه مما يسوء ويؤلم ، منيب : يرجع إلى الله فى كل أمر .

وعلى القارئ أن يتأمل الفرق بين عبارات القرآن الوجيزة المفيدة المنزهة للرب تعالى عن مشابهة الخلق وعبارات مايسمونه التوراة فى تشبيه الله بعباده وتطويلها غير المفيد (٤) .

---

(١) سورة هود : ٧٤ : ٧٦ .

(٢) تفسير الفخر الرازى جـ١٨ صـ٢٩ ولعل التوراة المنزلة كانت تشتمل على مثل تلك الكلمة (يجادلنا) فلما جاء الكتبة فهموها على ضوء تصورهم المادى والوثنى للإله فذكروا أن الرب نزل فى صورة بشر وتحدث إلى إبراهيم وقام إبراهيم بمجادلته ، لكن القرآن حينما يذكر تلك الكلمة يكون معها مايفسرها فى آيات أخرى كما سنرى فى سورتى العنكبوت والذاريات مثلا .

(٣) العنكبوت : ٣١ ـ ٣٢ .

(٤) راجع تفاصيل ذلك : تفسير الفخر الرازى جـ١٨ صـ٢٨ ـ ٣١ ، تفسير المنار : المجلد السادس الجزء الثانى عشر صـ١٠٨ ـ ١٠٩ .

ظهور الرب ليعقوب ومصارعته حتى الفجر :

ويذكر سفر التكوين قصة مصارعة الرب ليعقوب لاتقل عن قصة تجلى الرب لإبراهيم فى دلالتها على معنى الرب لدى من دونوا أحداث هذه الحقبة من تاريخ إسرائيل فقد أورد فى مجال رواية هروب يعقوب من وجه أخيه عيسو خشية البطش به لخداعه إياه ـ حسب زعمهم ـ أن الرب ظهر ليعقوب ذات ليلة فى صورة رجل وأخذ يصارعه حتى بزغ الفجر دون أن يتمكن من التغلب على يعقوب ، وبين السفر أنه كان صراعا رهيبا أصيب خلاله يعقوب بضربة ينخلع لها حق الورك – عاهة تلازمه من بعد – فقد ضرب الرب حق فخذ يعقوب فانخلع ، ولما بلغ من الله مبلغه طلب إلى يعقوب أن يطلق سراحه ويخلى سبيله لأنه قد طال أمد المصارعة وطلع الفجر ولكن يعقوب تشبث بغريمه وأمسك بتلابيبه وأبى أن يطلقه إذا باركه فقبل الرب تعالى شرطه وباركه (١) .

يقول سفر التكوين « فبقى يعقوب وحده وصارعه إنسان حتى طلوع الفجر ولما رأى أنه لايقدر عليه ضرب حق فخذه فانخلع حق فخذ يعقوب فى مصارعته معه ، وقال أطلقنى لأنه قد طلع الفجر فقال لأطلقك إن لم تباركنى فقال له ما اسمك فقال : يعقوب فقال لايدعى اسمك فيما بعد يعقوب بل إسرائيل لأنك جاهدت مع الله والناس وقدرت ، وسأل يعقوب وقال أخبرنى باسمك فقال لماذا تسأل عن اسمى وباركه هناك ، فدعا يعقوب اسم المكان فنيئيل قائلا لأنى نظرت الله وجها لوجه ونجيت نفسى وأشرقت له الشمس إذ عبر فنوئيل وهو يخمع على فخذه ، لذلك لايأكل بنو إسرائيل عرق النسا الذى على حق الفخذ إلى هذا اليوم لأنه ضرب حق فخذ يعقوب على عرق النسا (٢) .

يعلق الإمام ابن حزم على هذه القصة بقوله « فى هذا الفصل شنعة تقشعر منها جلود أهل العقول وبالله العظيم لولا أن الله عز وجل قص علينا كفرهم بقولهم يد الله مغلوله وبقولهم إن الله فقير ونحن أغنياء لما نطقت ألسنتنا بحكاية هذه العظائم

---

(١) راجع / صبري جرجس : التراث اليهودي صـ٥٤ ، د / علي عبد الواحد وافي : اليهودية واليهود صـ٣٧ ، حسين ذو الفقار صبري : توراة اليهود صـ٤ .

(٢) تكوين ٣٢ : ٢٤ ـ ٣٢

لكنا نحكيه منكرين له كما نتلوه فيما نصه عز وجل تحذيرا من إفكهم » (١) .

فقد ذكر في هذا المكان أن يعقوب صارع الله عز وجل تعالى الله عن ذلك وعن كل شبه لخلقه فكيف عن لعب الصراع الذى لايفعله إلا أهل البطالة ، وأما أهل العقول فلا لغير ضرورة ثم لم يكتفوا بهذه الشهرة حتى قالوا إن الله عز وجل عجز عن أن يصرع يعقوب بنص كلام توراتهم وحقق ذلك قولهم عن الله تعالى انه قال كنت قويا على الله تعالى فكيف على الناس (٢) .

وقد استنكر العلامة الباجي هذه القصة ونقد النص الذى أوردها وبين أنه غير مقبول ولايحسن مطلقا لأنه يحتوى على أشياء لاتليق :

أما أولا : فلأن ظاهره أنه يريد بالإنسان : الله تعالى ، كما ذكره فى آخر الكلام ـ سبحانه وتعالى عن ذلك ـ .

أما ثانيا : فلأنه ذكر فيه المصارعة بينهما .

وأما ثالثا : فلأنه جعلها ممتدة إلى الفجر .

وأما رابعا : فلأن فيه أنه لم يقو أحدهما على الآخر .

وأما خامسا : فلأنه قال « أطلقنى » ولم يقدر أن ينطلق بذاته .

وأما سادسا : فلأنه لم يطلقه ـ كما قال ـ إلا بعوض ، وهو أن يباركه .

وأما سابعا : فلأنه قال « ماسمك ؟ » وفيه دليل على أنه لم يعلم اسمه .

وأما ثامنا : فلأنه قال : لأنك قويت مع الله وفيه شبه من قول الشخص : إن فلانا قوى مع المصارع الفلانى القيم فى الصراع بإدمانه معه .

وأما قوله : لأنى رأيت الله وجها لوجه فهو ـ كما يقول الباجي ـ قد وصل

---

(١) الفصل فى الملل والأهواء والنحل جـ١ صـ١٤١ ، ويذكر الدكتور بدران محمد بدران أن كتبة التوراة الحالية قد تجرأوا على كتابة قصة لايجرؤ أى نبى أو إنسان أن يكتبها أو يقصها ولكنهم كتبوها ، ويقول « هكذا لعب الخيال برءوسهم لدرجة أنهم تصوروا أن الله نفسه لم يقدر على مصارعة جدهم يعقوب » .

(راجع التوراة : العقل ـ العلم ـ التاريخ صـ٥٧ ـ ٥٨) .

(٢) المصدر السابق جـ١ صـ١٤١ ـ ١٤٢ .

على ماذكره إلى ماهو أعلى من ذلك وهو المصارعة والمغالبة ـ سبحان الله وتعالى عن ذلك علوا كبيرا ـ (١) .

هذا ومن الواضح تماما ـ حسب النص الذى أوردته ـ ومن خلال تعليقات العلماء والباحثين عليه أن الذى صارع يعقوب هو الله ـ تعالى عن ذلك علوا كبيرا ـ وإذا كان قد ورد فى بداية النص المذكور أنه « إنسان » إلا أنه فى نهايته يذكر على لسان يعقوب « لأنك جاهدت مع الله ... » ثم يسمى المكان فينوئيل ، ويقول : لأنى رأيت الله وجها لوجه .

لكن هناك من اليهود من يذهب إلى أن هذا الرجل كان ملاك الرب وليس الرب نفسه اعتمادا على ماورد في سفر هوشع ، لكن كما يقول حسين ذو الفقار صبرى أين هوشع من أساطير الأولين ؟ بل إنه يبدو مترددا عازفا عن أن يقطع برأى (٢) ، إذ قال عن يعقوب « وبقوته جاهد مع الله ، جاهد مع الملاك وغلب بكى واسترحمه » (٣) .

وممن قال بذلك من اليهود سعديا الفيومى الذى حذف كلمة « رجل » أو « إنسان » ووضع مكانها فى ترجمته العربية للتوراة لفظة « ملاك » ثم حاول فى آخر القصة الابتعاد عن إثبات حدوث مصارعة بين الله ويعقوب فتصرف فى النص وقال « لأنك ترأست عند الله وعند الناس وطقت ذلك » (٤) .

لكنه نسى أن سفر التكوين ينص صراحة بعد ذلك فى الإصحاح الخامس والثلاثين « وظهر الله ليعقوب أيضا حين جاء من فدان أرام وباركه وقال له الله اسمك يعقوب لايدعى اسمك فيما بعد يعقوب بل يكون اسمك إسرائيل فدعا

---

(١) راجع على التوراة صـ٨٢ ـ ٨٣ .

(٢) توراة اليهود بين أصول متشعثة وسعى إلى انعقاد صـ٤ .

(٣) سفر هوشع ١٢ : ٣ ـ ٤ .

(٤) الجزء الأول من التفاسير والكتب والرسائل لربينو سعديا جاأون بن يوسف الفيومى أخرجها وصححها جماعة من علماء ، الفقير المفتقر إلى رحمة ربه يوسف ديرينوبورج (تفسير التوراة بالعربية باريس ١٨٩٣ صحيفة رقم ٥١) نقلا عن د / حسن ظاظا : الشخصية الإسرائيلية صـ١٥ .

اسمه إسرائيل (١) .

وقد جادل الإمام ابن حزم أمثال سعديا الفيومى ممن يقولون بأن الذى صارعه يعقوب هو ملاك الرب فقال :

« ولقد ضربت بهذا الفصل وجوه المعترضين منهم للجدال فى كل محفل فثبتوا على أن نص التوراة أن يعقوب صارع الوهيم وقال إن لفظ الوهيم يعبر بها عن الملك فإنما صارع ملكا من الملائكة فقلت لهم سياق الكلام يبطل ماتقولون ضرورة ، فيه كنت قويا على الله فكيف على الناس ، وفيه أن يعقوب قال رأيت الله مواجهة وسلمت نفسى ولايمكن البته أن يعجب من سلامة نفسه إذ رأى الملك ولايبلغ من مس الملك كما نص يعقوب أن يحرم على بنى إسرائيل أكل عروق الفخذ فى الأبد من أجل ذلك .

وفيه أنه سمى الموضع بذلك فينيئيل لأنه قابل فيه ايل وهو الله عز وجل بلا احتمال عندكم .

ثم إنه لو كان ملكا كما تدعون عند المناظرة لكان أيضا من الخطأ تصارع نبى وملك لغير معنى فهذه صفة المتحدين فى العنصر لاصفة الملائكة والأنبياء (٢) .

وينتهى الإمام ابن حزم إلى القول « ولكن إذا أكل الملائكة عندكم كسور الخبز حتى تشتد بها قلوبهم والشاى واللبن والسمن والفطاير فما ينكر بعضهم للصراع مع الناس فى الطرقات وهذه مصائب شاهدة بضلالهم وخذلانهم وصحة اليقين بأن توراتهم مبدلة (٣) .

---

(١) تكوين ٣٥ : ٩ - ١٠ .

(٢) الفصل فى الملل والأهواء والنحل جـ١ صـ١٤٢ ، فإن قيل قد رويتم أن نبيكم صارع ركانة ابن عبد يزيد (قلنا نعم) لأن ركانة كان من القوة بحيث لايجد أحدا يقاومه فى جزيرة العرب ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم موصوفاً بالقوة الزائدة فدعاه إلى الإسلام فقال له : إن صرعتنى آمنت بك ورأى أن هذا من المعجزات فأمره عليه السلام بالتأهب لذلك ثم صرعه للوقت وأسلم ركانة بعد مدة فبين الأمرين فرق كما بين العقل والحمق ولكن لكل مقام مقال (المصدر السابق) .

(٣) المصدر السابق جـ١ صـ١٤٢ .

فالقول بأن الملاك هو الذى صارع يخالف ماورد فى نصوصهم حيث أنها ظاهرة الدلالة على أن الذى صارع يعقوب هو الله بنفسه .

يقول صبرى جرجس : « لم يكن هذا « الإنسان » الذى صارع يعقوب حتى الفجر كما ورد فى التوراة اليهودية وخلع حق فخذه إلا « رب » يعقوب نفسه ، وهو أيضا « الرب » الذى طلب من غريمه أن يطلقه ولم يكن يعرف من يصارع حتى سأل عن اسمه ولامجال حتى للتفسير الأسطورى فى هذا المقام » (١) .

ويذكر الدكتور محمد بيومى مهران : أن النص التوراتى نفسه يخبرنا بوضوح أن ذلك الذى صارع يعقوب إنما هو الله نفسه ، ولسنا نملك من أمرنا سوى أن نستغفر الله مما جاء فى توراة اليهود (٢) .

وقد أورد زكى شنودة نص هذه المصارعة المزعومة وقال « معنى هذا أن الله ظهر ليعقوب فى صورة إنسان وصارعه ولذا سماه إسرائيل أى الذى صارع الله ، أو الذى جاهد مع الله » (٣) .

ومن الجدير بالذكر أن المسيحيين قد وافقوا على أن الذى صارع يعقوب هو الرب ولكنهم ـ طبعا ـ فسروه على أنه المسيح ـ تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا ـ .

يقول متى هنرى « قيل عن الملاك الذى صارع معه بأنه هو الله فالمفروض أنه هو « ابن الله » « ملاك العهد » ويذكر أنه صارع يعقوب وفى نفس الوقت كان يعضده ، فى الحالة الثانية كان الله يظهر قوته أعظم مما أظهره فى الحالة الأولى أى عندما صارعه فكأنه صارعه بيده اليسرى وصارعه من أجله بيده اليمنى فأعطاه قوة أعظم » (٤) .

وفى هذا الإطار يتساءل الدكتور ماير قائلا : أكانت هذه المصارعة أو هذه الحرب جسدية ؟ ويجيب بأنه ليس هناك أى مبرر لإنكار هذه الحقيقة ، فنحن نعلم

---

(١) التراث اليهودى الصهيونى صـ٥٤ ـ ٥٥ .

(٢) دراسات فى تاريخ الشرق الأدنى القديم جـ٧ صـ٢٠٥ و صـ٢٢٤ .

(٣) اليهود أو الجزء الثامن من موسوعة تاريخ الأقباط أو المسيحية صـ٢٤٤ .

(٤) تفسير هوشع صـ٣٠٨ ترجمة القمص مرقص داود.

أن ابن الله سبق أن أعلن تجسده بالظهور أحيانا بشكل جسدى لأن لذاته كانت منذ القديم مع بنى آدم ولقد كان من الميسور أن يصارع جسديا مع يعقوب كما كان ميسورا أن يمد يديه ليلمسها توما بعد القيامة .

ويقرر أن الحرب كانت يقينا جسدية بكل معنى الكلمة : لأن يعقوب عند استئناف رحلته خمع على حق فخذه ، ولازال شعبه إلى اليوم يذكرون ماديا هذه الواقعة المادية إذ يمتنعون عن أكل ذلك الجزء من اللحم (عرق النسا) الذى يشبه الجزء الذى انخلع فى فخذ يعقوب ، فالإنسان لايصير أعرج بسبب حرب وهمية أو معنوية(١) .

هذا وقد بين العلماء أسطورية هذه القصة وماتحتوى عليه من خرافات وأباطيل ترجع إلى الأساطير الوثنية القديمة .

يذكر جرهارد فوس أن مصارعة يعقوب تعد حادثة بالغة الغرابة مما دفع بعض العصريين إلى اعتبارها مجرد أسطورة مستندين على وجودها بين القبائل السامية وأنها أدرجت بين الأساطير التى تضمنها تاريخ الآباء .

فذكروا أن الذى التقى بيعقوب وصارعه هو الإله حامى حمى الأرض الذى أغضبه دخول يعقوب إلى دائرته ، أو ربما كانت هذه هى قصة صراع الإله الشمس مع شيطان الشتاء وقد أدخلت الصورة كلها ضمن قصة يعقوب بعد تطوير مناسب .

ويعتقد البعض أن القصة وضعت لتفسير سبب تقديس المكان فى عصور لاحقة فلم يجدوا إلا الزعم بأن يعقوب صارع الله فيه ، وأرغمه على أن يباركه .

وفى كل هذه التفسيرات العصرية نجد أن الصراع يفسر على أنه مجرد صراع جثمانى وأن يعقوب كان أكثر قوة وبأسا من الشخص الذى صارعه (٢) .

ويذكر حسين ذو الفقار صبرى أن جمهرة من العلماء والباحثين رأوا فى هذه القصة ملامح اسطورية قديمة فى ضوء ماكانت عليه شعوب المنطقة فى تلك الأيام الخوالى ، فما من مكان متميز إلا ومن خلفه قوى خارقة تكفل له الحماية : المرتفعات

---

(١) حياة يعقوب صـ١٠٥ ـ ١٠٦ .

(٢) راجع : علم اللاهوت الكتابى صـ١٥٨ ـ ١٥٩ .

والأشجار الباسقة والكهوف وعيون الماء جميعها « مسكونة » مقر الآلهة أو جن أو أرواح ، بل وأرواح شريرة فى بعض الأحيان ، تركب الأحياء ... وظل هذا الاعتقاد عالقا حتى بعد ظهور المسيحية (١) .

فهناك من يفسر ذلك الرجل الغامض ـ الذى صوره اليهود على أنه الرب ـ بأنه فى أصل الأساطير القديمة جنى مريد ، وأن هذا النص كغيره مما يتعلق بالآباء الأولين مستقى ولاشك من مأثورة قديمة ، حين كانت شعوب المنطقة ـ عربا كانوا أم عبريين أم كنعانيين ـ غارقين فى المعتقدات الخرافية (٢) .

ويذهب جيمس فريزر إلى أن قصة مصارعة يعقوب كما وردت فى سفر التكوين مستقاه من مصادر وثنية حيث إننا ـ فيما يقول ـ إذا ربطنا هذه القصة بالملامح الطبيعية للمكان الذى جرت فيه حوادثها ـ بزعمهم ـ من ناحية ، وبالأساطير الأخرى المشابهة لها من ناحية أخرى يتبين لنا أن الغريم الغامض الذى يتصارع مع الإنسان فى الأساطير الوثنية هو روح النهر أو شيطانه وأن الصراع تم على نحو ما ورد فى التوراة الحالية : فقد أمسك « مينيلاوس » بإله البحر « بروتيوس » الذى كان يرقد منعزلا وقت الظهيرة بين الحواجز وفوق الرمال الصفراء ، ليرغمه على أن يخبره بتكهناته وهو ممتنع عن ذلك ويذكر أيضا أنه على نحو ماورد فى القصة التوراتية أمسك « بيليبوس بإلهة البحر » « ثيتيس » واتخذها زوجة له .

وفى كلتا الأسطورتين الإغريقيتين حاول روح الماء ذو الجسد الطيع الأملس أن ينزلق من قبضة أسره مرة بعد أخرى مغيرا شكله من أسد إلى حية ومن حية إلى سائل وهكذا ، حتى وجد فى النهاية أن محاولاته تضيع هباء وأنه لن ينجح فى الإنفلات من يد خصمه العنيد فرضخ لمطلبه وأعطاه المنحة التى يسعى إليها (٣) .

وذكر جيمس فريزر أن أسطورة صراع يعقوب مع خصمه الذى ظهر له فى

---

(١) توراة اليهود صـ٤ مجلة المجلة العدد ١٥٧ عام ١٩٧٠ م ، ويذكر أن العهد الجديد يعزو إلى بولس شفاء المرضى بأن يطرد منها الأرواح الشريرة (أعمال الرسل ١٩ : ١١ ـ ١٢) .

(٢) راجع برستيد : فجر الضمير صـ٣٧٥ ، حسين ذو الفقار صبرى : توراة اليهود صـ٤ ، د / إسماعيل الفاروقى : أصول الصهيونية فى الدين اليهودى صـ٩٩ ـ ١٠٠ .

(٣) راجع تفاصيل ذلك : الفولكلور فى العهد القديم جـ٢ صـ٥٠٧ ـ ٥١٨ .

الليل بقصد انتزاع البركة من هذا الخصم المتمنع لها ، مايناظرها فى خرافات المكسيكيين القدماء (١) .

أما مايحكى من أن يعقوب أصيب فى عصب معين فى فخذه أثناء صراعه مع خصمه الذى ظهر له فى أثناء الليل ، فمن الواضح ـ فيما يقول فريزر ـ أنها محاولة لتفسير امتناع اليهود عن أكل الجزء المقابل لهذا عند الحيوان .

ويرى فريزر أن كلا من هذه الحكاية وهذه العادة ، لها مايماثلها لدى بعض القبائل الهندية التى تسكن أمريكا الشمالية ، هؤلاء الذين يقطعون على الدوام باطن ركبة الغزال الذى يذبحونه ويرمونها ، ويقدم هؤلاء الهنود سببين لاتباع هذه العادة .

أولهما : « أنه عندما يتمزق هذا العصب ، يتقلص داخل اللحم ومن ثم فكل من يأكل لسوء حظه ، من هذا الجزء فإن أطرافه تتقلص على هذا النحو » .

أما السبب الثانى : فهو أنه إذا أكل الصياد هذا الجزء ولم يفصله ويرمه ، سرعان مايحل به التعب فى رحلته .

وكلا السببين يشير إلى عقيدة سحر المشاركة ، وإن كان مفعول السحر يختلف فى كليهما ، وربما كان أحدهما كافيا لفهم مثل هذا التحريم عند اليهود .

ويمدنا سفر التكوين وفقا لهذه النظرية بقانون دينى لعادة ترتكز فى الأصل على عقيدة سحر المشاركة وحدها (٢) .

وعلى أى حال فقد كان المقصود بهذه المصارعة المزعومة هو تزويد سيدنا يعقوب (أبى الإسرائيليين) بامتياز خاص لم ينله أحد من قبل ولا من بعد .

فقد زعمت أسفارهم أن الرب التقى وجها لوجه مع أكثر من واحد من شخصيات العهد القديم .

أما أن يصارع الله ـ تعالى عما يقولون علوا كبيرا ـ واحدا من البشر فهذه

---

(١) راجع تفاصيل هذه الخرافات : الفولكلور فى العهد القديم جـ٢ صـ٥١٨ ـ ٥١٩ .

(٢) المصدر السابق صـ٥١٨ .

المصارعة كانت امتيازا خاصا ليعقوب الذى عجز الرب ـ سبحانه وتعالى ـ عن أن يصرعه فضربه على حق فخذه .

ولعل لمدونى هذه الحكاية عن المصارعة غرضا آخر وهو أنهم ـ فيما يقول محمود نعناعة ـ يريدون أن يذيبوا الفوارق ويحطموا الحواجز بينهم وبين ربهم فهم يقابلونه وجها لوجه ويجادلونه ويصارعونه ، وإن لم يقدروا عليه فهو لم يقدر عليهم ـ سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا ـ فإن كان ثمة مسافة بين بنى إسرائيل وبين ربهم فهى مسافة قصيرة ـ فى زعمهم ـ يستطيع زعماؤهم أن يجتازوها ويشاركوا الرب ـ سبحانه ـ فى جبروته وسائر صفاته .

وليس فى ذلك مبالغة وإنما هو يعكس الإتجاه الإسرائيلى فى تصوير الصلة بينهم وبين ربهم وهو اتجاه تأثروا فيه ـ بلا شك ـ بمعتقدات الشعوب الوثنية التى عايشوها(١) .

وقد ورد أيضا فى سفر الخروج كثير من الأوصاف البشرية المحضة للإله ـ سبحانه وتعالى ـ التى تعكس التصور الوثنى لليهود .

فمن ذلك مانسبه كاتب السفر إلى الرب من النسيان والتذكر .

جاء فى الإصحاح الثانى « وحدث فى تلك الأيام الكثيرة أن ملك مات ، وتنهد بنو إسرائيل من العبودية وصرخوا فصعد صراخهم إلى الله من أجل العبودية ، فسمع الله أنينهم فتذكر الله ميثاقه مع إبراهيم وإسحاق ويعقوب » (٢) .

ولم يفت كاتب السفر أن ينسب للرب أيضا « الندم » .

وآية ذلك أن الله حين غضب على بنى إسرائيل لرجوعهم عن عبادته وعودتهم إلى عبادة العجل الذهبى الذى صنعوه بأيديهم بعد أن طال غياب موسى عليهم حين ذلك دخل الله مع موسى فى جدل ونقاش ـ كما صور ذلك السفر ـ ومما قاله له « اتركنى ليحمى غضبى عليهم وأفنيهم (٣) ، وحاول موسى استغفار ربه فلم يجد من

---

(١) المشكلة اليهودية وهل تحلها إسرائيل : الجزء الأول : من ظهور إبرام حتى سقوط يهوذا صـ١١٦ ـ ١١٧ مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٧٢ م .

(٢) خروج ٢ : ٢٣ ـ ٢٤ . (٣) خروج ٣٢ : ١٠ .

سبيل لذلك ـ أو بمعنى أصح لم يجد كاتب السفر من سبيل لذلك إلا هذه العبارة .

وزعم أن موسى عليه السلام وجهها إلى ربه وهو يراجعه « أرجع عن حمو غضبك واندم على الشر بشعبك » (١) .

فتلقى الرب هذه النصيحة أو هذا التحذير ـ كما يصور السفر ـ بالسمع والطاعة وكان لكلام موسى أثره المرجو « فندم الرب على الشر الذى قال إنه يفعله بشعبه » (٢) .

بيد أن هذه لم تكن هى المناسبة الوحيدة التى ندم « الرب » فيها ـ كما يزعمون ـ على ماكان موشكا أن ينزله بدافع الغضب ببنى إسرائيل ، فما أكثر المناسبات ، التى فيما تروى التوراة انطلق فيها رب إسرائيل ـ تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ـ وكما يقول د / صبرى جرجس ـ مندفعا فى غضبه ثم تراجع متحسرا فى ندمه (٣) .

ولم يكن أيضا هذا هو الموقف الوحيد الذى دخل فيه « إله » إسرائيل فى نقاش مع عباده فإن التوراة غاصة بمناقشات لاحصر لها بين الله وبنى إسرائيل .

وليت الذى ألف هذه المناقشات فطن إلى الاحتفاظ لها بما ينبغى أن تكون عليه من سمو ووقار ، ولكنه أجراها على مستوى من السخف والتفاهة لايكون إلا بين الأنداد الحمقى من بنى البشر (٤) .

ونعود مرة أخرى إلى سفر الخروج فنجد فى الإصحاح الرابع والعشرين مانصه :

---

(١) خروج ٣٢ : ١٢ .

(٢) خروج ٣٢ : ١٤ ، راجع د / صبرى جرجس : التراث اليهودى صـ٥٥ عبد الكريم الخطيب : الله ذاتا وموضوعا صـ٣١٠ ـ ١١١ دار الفكر العربى الطبعة الثالثة ١٩٨٣ م .

(٣) ومن ذلك أنه فى أخريات عهد داود عليه السلام حمى غضب « الرب » على إسرائيل كما اعتاد أن يحمو من قبل عشرات المرات (حسب زعمهم) فجعل الرب وباء فى إسرائيل من الصباح إلى الميعاد فمات من الشعب من دان إلى بئر سبع سبعون ألف رجل وبسط الملاك يده على أورشليم ليهلكها فندم الرب عن الشر (صموئيل الثانى ٢٤ : ١٥ ـ ١٦ ، وهكذا تقول الأسفار إن ندم الرب على شره قد أنقذ إسرائيل من الهلاك (المصدر السابق صـ٥٦) .

(٤) المصدر السابق .

« ثم صعد موسى وهارون وناداب وأبيهو وسبعون من شيوخ إسرائيل ، ورأوا إله إسرائيل تحت رجليه شبه صنعة من العقيق الأزرق والشفاف وكذات السماء فى النقاوة ولكنه لم يمد يده إلى أشراف بنى إسرائيل فرأوا الله وأكلوا وشربوا » (١) .

ويعقب ابن حزم على هذا النص بقوله « هذا تجسيم لاشك فيه وتشبيه لا خفاء به » (٢) .

ويقرر سفر الخروج أن الإله ـ تعالى عن ذلك علوا كبيرا ـ يفيد من الضحايا التى تقدم إليه وينتعش من رائحة الدخان المتصاعد من حرقها (٣) ، ولاشك أنهم فى هذا التصور قد أساءوا إلى الذات العلية وتأثروا فى ذلك بالوثنية .

فإذا ماانتقلنا إلى أحدث أسفار توراتهم المزعومة (التثنية والعدد واللاويين سنجد أن إله اليهود لم يتخلص من صفات الحوادث بل ظل عالقا به فى نظرهم بعض هذه الصفات .

فمن ذلك أن سفر اللاويين يذكر فى أكثر من موضع أن الضحايا المحرقة (وهى التى تحرق أجزاؤها فى المذبح تحت إشراف أحد اللاويين) يرتاح لها الإله ويفيد منها .

وينتعش من رائحة الدخان المتصاعد من حرقها ، وأنه يغضب كل الغضب اذا لم تقدم إليه أو اذا قدمت اليه فى صورة غير الصورة المقررة فى شريعتهم ، وأنه قد يصب حينئذ سوط عذابه على المقصرين أو غير المراعين لمراسم التقديم فيرسل عليهم نارا تحرقهم ، كما فعل مع ولدين من أبناء هارون لم يحسنا تقديم الأضحية (٣).

ويرد الله تعالى فى القرآن الكريم على مزاعمهم هذه فيقرر أن الله لا يناله شئ من لحوم الأضاحى ولا من دمائهم وأنه قد شرع الأضحية لتكون مظهراً من مظاهر تقوى الله وامتثال أوامره وشكره على نعمائه التى أسبغها على عبادة وخاصة على

---

(١) خروج ٢٤ : ٩ ـ ١١ .

(٢) الفصل فى الملل والأهواء والنحل جـ١ صـ١٦١ .

(٣) راجع سفر التكوين ٢٩ : ٣٨ ـ ٤٣ ، د / على عبد الواحد وافى : اليهودية واليهود صـ٣٩ .

(٤) راجع اصحاحات سفر اللاوين وقد ورد حادث ابنى هارون فى الاصحاح العاشر من هذا لسفر .

مارزقهم من بهيمة الأنعام ، وفرصة للاحسان والتوسعة والبر بالفقراء والمساكين .

وفى ذلك يقول الله تعالى **﴿ والبدن جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها خير فاذكروا اسم الله عليها صواف فاذا وجبت جنوبها فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون . لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم كذلك سخرها لكم لتكبروا الله على ماهداكم وبشر المحسنين ﴾** (١) .

فآيات القرآن الكريم صريحة فى بيان أغراض التقريب ومراسمه وتنزيه الاله عن النيل منه طعاما أو شميما يرتاح اليه سبحانه وتعالى (٢) .

عقيدة الاله فى أسفار التلمود :

واذا كانت أسفار العهد القديم قد أبرزت الاله بهذه الصور المادية كما رأينا والتى تعكس التصور الوثنى لدى اليهود فى القرون السابقة للميلاد فان أسفار التلمود الذى وضعوه بعد ذلك تواصل نفس المسيرة فى القرون التالية للميلاد بل انها تضيف اليها مزيدا من الخرافات والأباطيل التى ازدحمت على صفحات هذا التلمود .

فهذه الأسفار التلمودية ـ كما سنرى ـ تظهر الهَ اسرائيل متصفا بكثير من صفات الحوادث وصفات النقص ويبدو ذلك على الأخص فيما يذكره التلمود عن

---

(١) سورة الحج : ٣٦ ـ ٣٧ .

(٢) راجع د/ على عبد الواحد وافى : اليهودية اليهود صـ ٣٩ ، عباس محمود العقاد : ـ الضحية فى مقارنة الأديان مجلة منبر الاسلام العدد ١٢ ـ السنة ٢٠ ـ ذو الحجة ١٣٨٢ / مايو ١٩٦٣م.

راجع تفصيل الحديث عن اقرابين عند اليهود فى كتابى « القرابين البشرية والذبائح التلمودية عند الوثنيين واليهود ومعه نص كتاب « اظهار سر الدم المكتوم » أو طريقة استنزاف دم الأطفال الجارية عند اليهود» ١٤١٠ هـ/ ١٩٩٠م

جسم الاله وضخامة أعضائه وما يرويه عن نشاطه وأعماله فى الليل والنهار وعن حاله بعد هدم الهيكل وتشريد بنى اسرائيل .

فالتلمود يعزو إلى الله ـ كما سبق للتوراة أن عزت إليه على نحو ما رأينا ـ صفات البشر من حب وبغض وضحك وبكاء وشعور بالاثم والندم .

يذكر ول ديورانت أن الله كما يصفه التلمود اله متصف صراحة بصفات البشر فهو ـ على سبيل المثال ـ يحس بوخز الضمير ويلبس التمائم ويدرس التوراة ثلاث مرات فى كل يوم » (١) .

وذكر الإمام ابن حزم أن سفرا من أسفار التلمود يسمى « سفر توما » قد وصف جبهة خالقهم وعظم مساحتها فقال انها من أعلاها إلى أنفه خمسة آلاف ذراع ، وأنه قد جاء فى سفر آخر من أسفار هذا الكتاب يقال له « سادرناشيم » أن فى رأس خالقهم تاجا فيه ألف قنطار من ذهب وفى اصبعه خاتم تضئ منه الشمس والكواكب وأن الملك لذى يخدم ذلك التاج اسمه « صندلقون » (٢) .

ويذكر التلمود للتدليل على ما قد يستولى على اله من نزوات الغضب ما حدث منه حيث غضب علىٰ بنى اسرائيل فى الصحراء وأقسم أن يبيدهم ثم ما كان منه بعد أن ثاب إلى رشده) تعالى الله عن ذلك علو كبيرا) وزالت عنه نزوة الغضب فتحلل من يمينه وكف عن العمل الشرير الذى كان موشكاً أن يقع منه حتى قالوا ـ وكذبوا فى ذلك ـ ان أحد حكماء اسرائيل قد سمع الله يصرخ « يالشقائى » من ينقذنى من قسمه هذا !! .

ويصور التلمود الله سبحانه قبل هدم هيكل أورشليم وتشريد بنى إسرائيل بأنه كان يقسم ا لنهار إلى اثنتى عشر ساعة ويقضى ساعاته الثلاث الأولى فى مراجعة الشريعة واستذكارهاثم كان يقضى الساعات الثلاث التالية ، فى القيام على شئون

---

(١) قصة الحضارة (١٤) عصر الإيمان صـ ١٧ ـ ١٨ ، راجع ايضا د/ صبرى جرجس : التراث ـ اليهودى صـ ٨١ .

(٢) الفصل فى الملل والأهواء والنحل جـ ١ صـ ٢٢١ ، د/ على عبد الواحد وافى : اليهودية واليهود صـ ٤٠ .

الحكم بين الناس والساعات الثلاث الثالثة كان يشغل بتدبير العيش للخلق وأما الساعات الثلاث الأخيرة فيقضيها فى اللعب مع الحوت ملك الأسماك (والحوت فى وصف التلمود حيوان كبيرجداً يبلغ من الضخامة أن يتسع خلقه لسمكة طولها ثلثمائة فرسخ ! !) .

وزعم كتبة التلمود أن الله رأى أن يحرمه من أنثاه حتى لا يتناسلا فيملأ الدنيا وحوشا تهلك من فيها وتأتى على الحرث والنسل ولهذا حبس الذكر بقوته الالهية وقتل الأنثى وملحها وحفظ لحمها طعاما للمؤمنين فى الفردوس ! ! .

وأما ساعات الليل فان الله يقضيها ـ فى زعم أصحاب التلمود ـ فى استذكار التلمود مع الملائكة ومع ملك الشياطين بعد انتهاء هذا الاستذكار وتلك الندوة العملية المزعومة ! ! .

ويذكر التلمود أن هذا النظام قد تغير بعد أن قدر الله هدم الهيكل وتشريد بنى اسرائيل ، فلم يعد لله جلد على اللعب والرقص كما كان يصنع فى الأزمان السالفة (١) ، اذ اعترف هذا الاله بخطئه فى هذا الصدد وندم على ما فعله واعتبر أنه ارتكب خطيئة ثقيلة وهذه الخطيئة أنهكت ضميره الحى حتى إنه قد خصص ثلاثة أرباع الليل للبكاء والندم وكان اذا بكى سقطت من عينيه دمعتان فى البحر فيسمع لهما دوى فى الآفاق يصم الآذان ـ وتضطرب المياه وترجف الأرض فتنجم عن ذلك الزلازل .

ويزعم التلمود أن الله يردد فى أثناء بكائه ونحيبه عبارات تدل على ندمه وتبرئه مما فعل اذ يملأ الدنيا زئيراً كالأسد الصريع ثم يصرخ « الويل لى تبالى لقد أمرت بخراب ـ بيتى واحراق الهيكل وتشريد أبنائى فاذا ما سمع الناس يمجدونه قال « طوبى لمن يمجده الناس وهو أهل لذلك » وويل للذى يمجده أبناؤه الذين قضى عليهم بالتشريد والشقاء لأنه يصبح غير أهل لذلك » أى أن الله يقول عن نفسه ـ كما يزعمون ـ أنه غير أهل لتمجيد بنى اسرائيل اياه لأنه قضى عليهم بالتشريد والشقاء » (١) .

---

(١) يزعم أصحاب التلمود أن أول رقصة رقصها الرب تعالى الله عن ذلك ـ كانت مع حواء بعد أن برجها وزينها وسرح شعرها بنفسه .

ويذكر الامام ابن حزم أنه قد ورد في بعض أسفار التلمود أن رجلا اسمه اسماعيل كان اثر خراب بيت المقدس سمع الله تعالى يئن كما تئن الحمامة ويبكي وهويقول الويل لمن أخرب بيته وضعضع ركنه وهدم قصره وموضع سكينته ، ويلي على ما أخربت من بيتي ، ويلي على ما فرقت من بني وبناتي ، قامتي منكسة حتى ابني بيتي وأردد اليه بني وبناتي (٢) .

ويذكر ابن حزم أن هذا قال فأخذ الله تعالى بثيابي وقال لي اسمعتني يا ابني ــ يا اسماعيل قلت يارب فقال لي يا ابني اسماعيل بارك على ، قال فباركت عليه ومضيت» (٣) .

ويعلق ابن حزم على ذلك يقوله « فاعجبوا لعظيم ما انتظمت هذه القصة عليه من وجوه الكفر الشنيع :

فمنها اخباره عن الله تعالى أن يدعو على نفسه بالويل مرة بعد مرة الويل حقا على من يصدق بهذه القصة وعلى الملعون الذى أتى بها .

ومنها وصفه الله تعالى بالندامة على ما فعل وما الذى دعاه إلى الندامة أتراه كان ــ عاجزاً هذا عجب آخرَ .

واذا كان نادما على تبديهم والقاء النجس عليهم حتى يبلغ ذلك إلى القاء الحكة في أدبارهم كما نص في آخر توراتهم .

---

(١) راجع في ذلك : د/ صبرى جرجس : التراث اليهودى صـ ٩١ ــ ٩٢ ، د/ على عبد الواحد وافي : اليهودية واليهود صـ ٤١ ، الأسفار المقدسة صـ ٣٢ ــ ٣٣ ، محمد صبرى : التلمود صـ ٦٦ من التلمود صـ ٢٥ ــ ٢٨ هدية منبر الاسلام جمادى الأول ١٢٨٧ / أغسطس ١٩٦٧ . ، بولس حنا سعد : همجية التعاليم الصهيونية منشورات المكتب الاسلامي بيروت ١٩٦٩ ، حبيب فارس : صراخ البرئ في بوق الحرية : صـ ٢٥١ ــ ٢٥٢ ثلاثة أجزاء في مجلد واحد القاهرة ١٨٩١ م وقد اطلعت عليه بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٧٨٨ فن التاريخ وقد رجعت إلى الطبعة الجديدة لكتاب الكنز المرصود في قواعد التلمود صـ ٥٥ ــ ٥٧ التي صدرت عام ١٩٨٧ م بعد مناقشتي للدكتوراه واستفدت منه عند نشر الكتاب .

(٢) الفصل جـ ١ صـ ٢٢٢ .

(٣) المصدر السابق .

ما فى العالم صفـة أحمق من صفة من يتمادى على من يندم عليـه هذه الندامة ومنها وصفه الله تعالى بالبكاء والأنين .

ومنها وصفه لربه تعالى بأنه لم يدر هل سمعه أم لا حتى سأله عن ذلك .

ثم أظرف شئ اخباره عن نفسـه بأنه أجاب بالكذب وأن الله تعالى قنع بكذبه وجاز عنده ولم يدر أنه كاذب .

ومنها كونه بين الخرب وهى مأوى المجانين من الناس وخساس الحيوان كالثعالب والقطط البرية ونحوهما .

ومنها وصفه الله تعالى بتنكيس القامة .

ومنها طلبه البركة من ذلك المنتن وبالله الذى لا اله الا هو ما بلغ قط ملحد ولا مستخف هذه المبالغ التى بلغها هذا اللعين ومن يعظمه ، وبالله تعالى نتأيد .

ولولا ما وصـفه الله تعالى من كـفرهم وقولهم يد الـله مغلولة والله فقـير ونحن أغنياء ومـا انطلق لنا لسان بشئ مما أوردنا ولكن سـهل علينا حكاية كفرهم مـاذكره الله تعالى لنا من ذلك (١) .

ويقول الامـام ابن حزم « ولا عـجب من اخبـار هذا الكلب لعنه الله عن نفـسه بهذا الخبر فان اليـهود كلهم يعنى الربانيـين منهم مجـمعون على الغـضب على الله وعلى تلعيبه وتهوين أمره عز وجل فـانهم يقولون ليلة عيد الكبور وهى العاشرة من تشرين الأول (اكتـوبر) يقوم الميططرون ومعنى هذه اللفظة عندهم الرب الصـغير تعالى الله عن كفـرهم قال ويقول وهو قائم ينتف شعـره ويبكى قليلا قليلا ويئلى اذ خربت بيتى وأيتمت بنى وبناتى قامتى منكسـة لا أرفعها حتى ابنى بيتى وأرد اليه بنى وبناتى ويردد هذا الكلام (٢) .

ولا شك فى أن هذه الصـورة الهابـطة التى رسمـها أحبـار اليهـود عن الاله ـ سبـحانه وتعالى ـ قـد تأثر فيهـا اليهود بالتـصورات الوثنيـة وخاصة ديانتى البـابليين

---

(١) المصدر السابق جـ ١ صـ ٢٢٢ ـ ٢٢٣ .

(٢) المصدر السابق جـ ١ صـ ٢٢٣ .

والفرس بل جاءوا منها بما هو أحط (١) .

ولعل من الأهمية بمكان أن نشير إلى ما حكاه القرآن الكريم عن اليهود من أنهم تقولوا على الله سبحانه وتعالى فأساءوا الأدب فى قولهم وأبانوا فساد معتقدهم

يذكر القرآن الكريم أنهم قالوا على الله ـ سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا ـ قولين :

الأول : ما جاء فى قوله تعالى ﴿ لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء سنكتب ماقالوا وقتلهم الأنبياء بغير حق ونقول ذوقوا عذاب الحريق ﴾ (٢) .

الثانى : ما جاء فى قوله سبحانه ﴿ وقالت اليهود يد الله مغلولة ، غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء وليزيدن كثيراً منهم ما أنزل اليك من ربك طغيانا وكفراً ﴾ (٣) .

القول الأول :

ينقل الحافظ ابن كثير عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه لما نزل قوله تعالى **﴿ من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له أضعافا كثيرة ﴾** قالت اليهود: يا محمد . افتقر ربك فسأل عباده القرض ! ! فأنزل الله سبحانه : **﴿ لقد سمع الله**

---

(١) يذكر اسرائيل ولفنسون أن التلمود البابلى قد اشتمل على نظريات كثيرة فى الفلك والطبيعة وكل ما كان يشغل بال اليهود إلى القرن الخامس بعد الميلاد : ففيه إلى جانب الأحكام التشريعية مباحث فى التاريخ والروايات والقصص والاراء الكثيرة التى وصلت إلى الأحبار من البابليين والفرس ، وأدمجت كل هذه النظريات حتى تمثل تمثيلا صحيحا حقيقيا عقلية اليهود فى جميع نواحى حياتهم مدة ثلاثة قرون (اسرائيل ولفنسون موسى بن ميمون : حياته ومصنفاته صـ ٤٦ لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٣٦ م ، د/ محمد جابر عبد العال : فى العقائد والأديان صـ ٢١٨ .

(٢) آل عمران ١٨١.

(٣) المائدة ٦٤ .

قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن أغنياء ﴾ (١) .

وأخرج ابن اسحاق وابن جرير وابن أبى حاتم من طريق عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال : دخل أبو بكر الصديق بيت المدراس (المعلم المدرس) فوجد من يهود ناسا كثيرة قد اجتمعوا على رجل منهم يقال له فنحاص وكان من علمائهم وأحبارهم فقال له أبو بكر : ويحك يا فنحاص اتق الله وأسلم ... فقال فنحاص : والله يا أبا بكر مابنا إلى الله من حاجة من فقر وانه الينا لفقير مانتضرع اليه كما يتضرع الينا وإنا عنه لأغنياء ولو كان عنا غنيا ما استقرض منا كما يزعم صاحبكم (ﷺ) ينهاكم عن الربا ويعطينا ولو كان غنيا ما أعطانا الربا ،فغضب ابو بكر رضى الله عنه فضرب وجه فنحاص ضربا شديداً ، وقال : والذى نفسى بيده لو لا الذى بيننا وبينك من العهد لضربت عنقك يا عدو الله ، فذهب فنحاص إلى رسول الله ﷺ فقال : يا محمد أبصر ماصنع بى صاحبك فقال رسول الله ﷺ ماحملك على ما صنعت يا أبا بكر ، فقال : يارسول الله إن عدو الله قال قولا عظيما ، يزعم أن الله فقير وأنهم أغنياء ، فلما قال ذلك غضبت لله مما قال فضربت وجهه فجحد فنحاص ذلك وقال : ما قلت ذلك فأنزل الله فيما قال فنحاص رداً عليه وتصديقاً لأبى بكر﴿ لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن أغنياء ﴾ الآية (٢) .

فأكثر الروايات على أن هذا القول انما صدر عن اليهود والظاهر أنه صدر عن غير واحد منهم وما يقوله البعض ويجيزه الجمع يسند إلى القائلين والمجيزين جميعاً(٣) .

ومما يقوى نسبة هذا القول اليهم كما يذكر الفخر الرازى أن الله تعالى حكى

---

(١) تفسير القرآن العظيم جـ ١ صـ ٤٣٣ ـ ٤٣٤ طبعة دار احياء الكتب العربية (عيسى الحلبى وشركاه) بدون تاريخ .

(٢) راجع تفسير الطبرى جـ ٧ صـ ٤٤١ ـ ٤٤٤ دار المعارف بمصر ١٩٧١ م . تفسير ابن كثير جـ ١ صـ ٤٣٤ ،التفسير الكبير للفخر الرازى جـ ٩ صـ ١١٧ ، تفسير المنار المجلد الثانى الجزء الرابع صـ ٢١٤ .

(٣) تفسير الفخر الرازى جـ ٩ صـ ١١٧ ، تفسير المنار جـ ٤ صـ ٢١٥ .

عنهم أنهم قالوا : يد الله مغلولة : يعنون أنه بخيل بالعطاء وذلك الجهل مناسب للجهل المذكور فى هذه الآية.

وثانيهما : ما ورد من روايات تخبر أنهم تكلموا بذلك .

وثالثهما : ان القول بالتشبيه غالب على اليهود ، ومن قال بالتشبيه لا يمكنه اثبات كونه تعالى قادراً على كل المقدورات واذا عجز عن اثبات هذا الأصل عجز عن بيان أنه غنى وليس بفقير (١) .

وسوء تصور اليهود للحقيقة الالهية شائع - كما أوردنا - فى كتبهم المحرفة ، ولكن هذه تبلغ مبلغا عظيما من سوء التصور ومن سوء الأدب معا ومن ثم يستحقون هذا التهديد اللاحق .

﴿ سنكتب ما قالوا وقتلهم الأنبياء بغير حق ونقول ذوقوا عذاب الحريق ﴾ .

وانما ضم قتل الأنبياء وهو أفظع جرائم هذاالشعب ... إلى جريمة هذا القول الشنيع الذى صدر عنهم فى حق الله سبحانه لبيان أن مثل هذا الكفر والتهور ليس بدعاً من أمرهم وكما يقول الزمخشرى « جعل قتلهم الأنبياء لم يستبعد منه الاجتراء على مثل هذا القول » (٢) .

وذكر القرطبى أن اليهود كفروا بهذا القول لأنهم أراداوا تشكيك الضعفاء منهم ومن المؤمنين وتكذيب النبى ﷺ ، أى أنه فقير على قول محمد ﷺ لأنه اقترض منا » (٣) .

وذكر الزمخشرى أنه لا يخلو اما أن يقولوا هذا القول عن اعتقاد لذلك أو عن استهزاء - بالقرآن وأيهما كان فالكلمة عظيمة لا تصدر إلا عن متمردين فى كفرهم (٤) .

---

(١) التفسير الكبير جـ ٩ صـ ١١٧ .

(٢) راجع : الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل جـ ١ صـ ٤٨٤ مكتبة ومطبعة مصطفى الحلبى طبعة عام ١٣٩٢ هـ / ١٩٧٢ م ، تفسير المنار جـ ٤ صـ ٢١٩ - سيد قطب : فى ظلال القرآن المجلد الرابع صـ ٤٣٧ .

(٣) الجامع لأحكام القرآن جـ ٤ صـ ٢٩٤ .

(٤) تفسير الكشاف جـ ١ صـ ٤٨٤ .

القول الثانى : ﴿ **وقالت اليهود يد الله مغلولة ، غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا ،بل يداه مبسوطتان ، ينفق كيف يشاء** ﴾ .

هذا القول الفظيع من شواهد قولهم الاثم الذى اثبته القرآن عنهم فيما قبل هذه الآية ﴿ **لولا ينهاهم الربانيون والأحبار عن قولهم الاثم وأكلهم السحت ، لبئس ماكانوا يصنعون** ﴾ (١) .

وقد عزى اليهم ـ وهو قول بعضهم لأنه أثر ما فشا فيهم من الجرأة على الله وترك انكار المنكر والمقر للمنكر شريك الفاعل له (٢) .

يذكر الحافظ ابن كثير أن الله سبحان يخبر عن اليهود ـ عليهم لعائن الله المتتالعة إلى يوم القيامة ـ بأنهم وصفوه تعالى عن قولهم علوا كبيراً بأنه بخيل كما وصفوه بأنه فقير وهم أغنياء وعبروا عن البخل بأن قالوا ﴿ **يد الله مغلولة** ﴾ .

ونقل عن محمد بن اسحاق عن عكرمة عن ابن عباس قال : قال رجل من اليهود يقال له شاس بن قيس ان ربك بخيل لا ينفق فأنزل الله هذه الأية (٣) .

وقيل انها نزلت فى غيره (٤) .

وأيا ما كان الأمر فان القرآن الكريم يصرح تصريحاً قاطعاً بأن اليهود قد صدر عنهم هذا القول الشنيع الذى يعبر عن سوء تصورهم لله سبحانه فساد معتقدهم فيه

وقد بلغ من غلظ حسهم ، وجلافة قلوبهم ، ألا يعبروا عن المعنى الفاسد الكاذب الذى أرادوه وهو البخل بلفظه المباشر ، فاختاروا لفظا أشد وقاحة وتهجما وكفراً فقالوا : يد الله مغلولة ! ! .

ويجىء الرد عليهم باحقاق هذه الصفة عليهم ولعنهم وطردهم من رحمة الله جزاء على قولهم : ﴿ **غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا** ﴾ .

ثم يصحح القرآن الكريم هذا التصور الفاسد السقيم ، ويصف الله سبحانه

---

(١) المائدة : ٦٤ .

(٢) تفسير المنار صـ ٣٧٤ من الجزء السادس .

(٣) تفسير القرآن العظيم جـ ٢ صـ ٧٥ .

(٤) المصدر السابق .

بوصفه الكريم وهو يفيض على عباده من فضله بلا حساب : ﴿ بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء ﴾ (١) .

وهكذا تبين لنا بوضوح لا لبس فيه ولا غموض ـ بعد أن استرشدنا بالقرآن الكريم واعتمدنا على نصوص أسفارهم المقدسة ـ أن اليهود قد أساءوا إساءة بالغة فى فهمهم للذات العلية وأفسدوا فساداً عظيماً فى تصورهم للخالق سبحانه وتعالى فنسبوا اليه ـ سبحانه وتعالى ـ أحط الصفات ، وتحدثوا عنه بسخف واسفاف ، فانحرفوا بذلك انحرافاً شديداً عن التنزيه التام لله سبحانه والذى أتى به نبى الله سيدنا موسى عليه السلام والذى نراه ونلمسه فى كثير من آيات القرآن الكريم ، وجنحوا جنوحاً كاملاً إلى التشبيه والتجسيم ، وأسرفوا اسرافاً شديداً فى اتجاههم الحسى وتصورهم المادى ، مندفعين فى ذلك بتأثير الوثنيات التى التى كانت سائدة فى الديانات القديمة .

وبالرغم من وضوح النصوص وصراحتها فى الاستدلال على وجود التشبيه والتجسيم لدى ـ اليهود والتى تقطع بأنهم مشبهون ومجسمون الا أن هناك من يزعم أن النصوص الدالة على التجسيم والتشبيه ليست على ظاهرها وانما هى قابلة للتأويل ومن ثم فان اليهود ـ منزهون وليسوا مجسمين (٢) .

والواقع أنه فيما يتعلق بالأوصاف البشرية للاله فى التلمود والتقولات التى تطاول بها أحبارها على الذات العلية لا يمكن المماراة فيها أو الدفاع عنها .

وانما من زعم بتنزيه اليهود للذات الالهية قد اعتمد على أمرين :

الأمر الأول : وهو ما أشرت اليه من أن هناك نصوصاً فى العهد القديم ليست على ظاهرها وقابلة للتأويل .

والأمر الثانى : فى أنه يعتمد على أفكار وآراء موسى بن ميمون ومن تبعه من

---

(١) سيد قطب : فى ظلال القرآن جـ ٢ صـ ٩٢٩ ، ولمزيد من التفاصيل حول هذه الآية راجع تفسير الفخر الرازى جـ ١٢ صـ ٤٠ ـ ٤٤ ، تفسير المنار جـ ٦ صـ ٣٧٤ ـ ٣٧٨ .

(٢) راجع على سبيل المثال : ابن كمونة : تنقيح الأبحاث فى الملل الثلاث : اليهودية ، المسيحية ، الاسلام صـ ٣٣ ـ ٣٥ ـ توزيع دار الأنصار القاهرة .

اليهود المتأخرين فى العصور الوسطى من حيث انهم أولوا تلك النصوص وقالوا بتنزيه الله عن الصفات البشرية .

ففيما يتعلق بالأمر الأول فربما نوافق على محاولة تأويل بعض النصوص لكن أكثر النصوص من المتعذر تأويلها وليستعرض القارئ مرة أخرى ماسبق أن قدمناه ، ويكفى أن نشير إلى بعضها مثل ما ورد عن استراحةالرب فى اليوم السابع وما ورد عن تصرفات الرب ـ فى زعمهم ـ مع آدم وحواء ، وما وصفوه به سبحانه ـ من الكذب والغفلة والخداع .

وكذلك ما ورد فى قصة تجلى الرب لابراهيم فى صورةبشر والتصريح بأن الرب والملكين أكلوا وشربوا ، وأيضا ماورد عن مصارعة الرب ليعقوب فى زعمهم وانتصار يعقوب عليه ـ سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيراً ـ

كذلك ما ورد فى أسفار العهد القديم من نسبة الندم إلى الرب سبحانه ويحضرنى هنا أيضا ما ورد على لسان ايليا النبى حيث ورد فى سفر الملوك ـ الأول أن ابن الأرملة التى كانت تعول ايليا قد مات فما كان من ايليا الا أن صرخ إلى الرب وقال أيها الرب الهى أأيضا إلى الأرملة التى أنا نازل عندها قدأسأت باماتتك ابنها(١) .

إلى غير ذلك مما يحتوى عليه الأسفار من اساءة واسفاف كما عرضتها سابقاً .

ولعلنا نستأنس هنا برأى أحد فحول أحبار اليهود بعد أن من الله عليه بالهداية إلى الإسلام وهو الامام المهتدى السموأل بن يحى المغربى (٥٧٠ هـ)

اذ يذكر أن التوراة التى بأيديهم ـ على الحقيقة ـ (كتاب عزرا) وليس كتاب الله فقد جمع عزرا من محفوظاته ومن الفصول التى يحفظها الكهنة ما لفق منه هذه التوراة .

ويستدل السموأل على انه كان رجلا فارغا جاهلا بالصفات الالهية فلذلك نسب إلى الله تعالى ، صفات التجسيم والندامة على ما مضى من أفعاله والاقلاع عن مثلها

---

(١) راجع ملوك أول ١٧ : ٩ ـ ٢٠ .

فمن ذلك قولهم فى التوراة التى بأيديهم «وندم الله على خلق البشر فى الأرض وشق عليه » ونقل هذا بالعبرية .

ويذكر السموأل أن المترجم قد أفرط فى تعصبه وتأويله وتحريفه للألفاظ عن موجب اللغة وفسرها بقوله « وعاد الله فى رأيه » !! .

وهذا التأويل ـ كما يقول السموأل ـ وان كان غير موافق للغة فهو أيضا كفر ! بل مناقض لما يدفعونه من البداء والنسخ .

ويذكر السموأل أن هذه الآية ـ عندهم ـ فى قصة قوم نوح ، زعموا أن الله تعالى لما رأي فساد قوم نوح وأن شرهم وكفرهم قد عظما ، ندم على خلق البشر وشق عليه ، ولايعلم هؤلاء البله أن من يقول بهذه المقالة ، لزمه أن الله سبحانه قبل أن يخلق البشر ، لم يكن عالما بما سيكون من قوم نوح وغير ذلك من النقص تعالى الله عما يكفرون ، ويذكر السموأل أيضا أن عندهم أن نوحا النبى عليه السلام لما خرج من السفينة بدأ ببناء مذبح لله تعالى وقرب عليه قرابين ويتلو ذلك :

فاستنشق الله رائحة القتار (وهو ريح الشواء والقدر) فقال الله تعالى فى ذاته: لن أعاود لعنة الأرض بسبب الناس لأن خاطر البشر مطبوع على الرداءة ولن أعاود اهلاك جميع الحيوان ، كما صنعت !! .

ويذكر السموأل أيضا أنهم فى العشر الأول من كل سنة يقولن فى صلواتهم « يا الهنا واله آبائنا ، املك على جميع أهل الأرض ليقول كل ذى نسمة : الله اله اسرائيل قد ملك ، ومملكته فى الكل متسلطة ، ويقولون فى هذه الصلاة أيضا :

وسيكون لله الملك ، وفى ذلك اليوم يكون الله واحدا ، ويعنون بذلك ـ كما يقول ـ السمؤال وهو أدرى بلغتهم ـ أنه لا يظهر أن الملك لله ، الا اذا صارت الدولة إلى اليهود الذين هم أمته وصفوته !

فأما مادامت الدولة لغير اليهود فان الله خامل الذكر عن الأمم وأنه مطعون فى ملكه مشكوك فى قدرته .

ويقولون أيضا « انتبه لم تنام يارب استيقظ من رقدتك ! !

ويذكر أنهم نطقوا بهذه الهذيانات والكفريات من شدة الضجر من الذل والعبودية والصغار وانتظار فرج لا يزداد منهم الا بعدا ! ! فأوقعهم ذلك فى الطيش

والضجر وأخرجهم إلى نوع من التزندق والهذيان الذى لا يستحسنه إلا عقولهم الركيكة ! !

فتجرأوا على الله بهذه المناجاة القبيحة ، كأنهم يُنَخّون الله بذلك لينتخى لهم ويحمى لنفسه ، لأنهم اذا ناجوا ربهم بذلك فكأنهم يخبرونه بأنه قد اختار الخمول لنفسه ، وينخونه للنباهة واشتهار الصيت ! ! .

ويذكر أيضا أن عندهم ـ فى توراتهم ـ أن موسى صعد الجبل مع مشائخ أمته فأبصروا الله جهرة وتحت رجليه كرسى منظره كمنظر البلور ويقول « يطول بنا الكتاب اذا ـ عددنا ما عندهم من كفريات التجسيم »

وينتهى فى ذلك إلى قوله « لسنا نرى أن هذه الكفريات ، كانت فى التوراة المنزلة على موسى صلوات الله عليه » (١) .

أفبعد ذلك يجئ من يقول ان النصوص المذكورة ليست على ظاهرها وقابلة للتأويل ويدافع عنها على أنها نصوص منزلة من عند الله ـ تعالى الله عما يأفكون ـ ؟ ؟

ومن جهة أخرى فان النصوص التى يمكن أن تكون قابلة للتأويل وليست على ظاهرها واذا ما أولت فانها تفيد التنزيه وتطرد شبح التجسيم ، حتى هذه النصوص لا نبرئ اليهود فى تصورهم لها بصورة حسية وبأنهم أخذوها على ظاهرها ولم يؤولوها وخاصة أن التأويل لم يعرف فى اليهودية الا بعد الاتصال بالفلسفة اليونانية واشتهر على يدى فيلسوفهم فيلون الاسكندرى .

وعلى ذلك فاننا لو قبلنا أن هناك نصوصا داخل توراتهم على ظاهرها وأن من الممكن تأويلها فاننا لا نقبل أن اليهود قد فهموها على هذا التأويل ، فان هذا التأويل انما لجأ اليه أفراد فيما بعد ، والأمر يستوى فى الحالين اذهم فى الأولى تأثروا بالديانات ـ الوثنية ـ وهذا مقصودنا من البحث ـ وفى الثانية تأثر بعضهم بالفكر الفلسفى من حولهم ، كما حدث لفيلون الاسكندرى أو بالفكر الاسلامى ، كما حدث لموسى بن ميمون .

---

(١) راجع كتابه افحام اليهود صـ ١٢٤ ـ ١٤١ تقديم وتحقيق وتعليق د/ محمد عبد الله الشرقاوى دار الهداية ١٩٨٦ م القاهرة .

يذكر زكى شنودة أن الله ـــ سبحانه أراد أن يخاطب الانسان بصيغة يستطيع أن ـــ يفهمها ، وبصورة يستطيع أن يتصورها فتكلم عن نفسه وكأنه فى صورة الانسان وكأن له أوصاف الانسان وصفاته وله مشاعر الإنسان فى أفعاله .

وأراد أن يكون كلامه إلى اليهود قريباً إلى أفهامهم ، فتنازل وخاطبهم ـ وهو الاله الخالق ـ باللغة التى يفهمونها وأراد أن يكون تصويره لنفسه قريباً إلى مداركهم فتنازل وأعطى لهم الصورة التى يمكنهم أن يتصوروها ، لعلهم ـ ولو عن طريق التشبيه والرمز ـ يدركون طبيعته ويعرفون شريعته ، ويسيرون على مقتضى أحكامه ووصاياه ، وبذلك يسلكون سبيل الخلاص الذى شاءت رحمته أن يهديهم اليه لينقذهم من الهلاك المحكوم به عليهم بسبب شرورهم وآثامهم وجرائمهم .

ولكنهم بدلاً من ذلك ظنوا بعمى بصائرهم وغلظة مشاعرهم وغباء قلوبهم أن الله ليس الا واحداً من تلك الآلهة الوثنية الزائفة التى تتمثل فى صورة الانسان والحيوان أو غير ذلك من الكائنات ، والتى كان جيرانهم الوثنيون يعبدونها ، وقد عبدوها هم أنفسهم مع الههم فى بعض الأحيان ، أو عبدوها وحدها بعد أن تمردوا على الههم وكفروا به فى أغلب الأحيان .

إذ كانت هذه الآلهة الوثنية أقرب فى طبيعتها إلى طبيعتهم الحسية البهيمية المنحطة وكان الله العلى السرمدى أسمى من أن يدركوا حقيقته السمائية السامية بأفكارهم الهزلية الهابطة ، وتصوراتهم الأرضية الساقطة ومن ثم أخذوا أقوال التوراة على ظاهرها غافلين عن جوهرها وفحواها ، وتمسكوا بحرفيتها متعامين عن روحها ودلالتها ومرماها .

فكانوا حتى وهم يتظاهرون بأنهم يعرفون الله أجهل ما يكونون به ، وكانوا وهم يزعمون ـــ التقرب اليه وحبه وطاعته أبعد ما يكونون عنه و أكثر ما يكونون عداوة له وتمرداً عليه (١) .

وهذا الذى ذكره شنودة ان كان يصلح دفاعاً عن « العهد القديم كنص الهى موثق ـ وهو ما يهدف إليه الكاتب وقد بينا من قبل بطلانه ـ فانه لا يصلح دفاعاً عن اليهود فى اعتقادهم فى الله ، بل هو يؤكد ما وصل اليه هذا البحث من تأثرهم

(١) اليهود أو الجزء الثامن من موسوعة تاريخ الأقباط والمسيحية صـ ٣٨٨ ـ ٣٨٩ ، ٤٠٨ .

بالوثنية تأثراً شديداً .

على أننا اذا رجعنا إلى ما احتوت عليه نصوص العهد القديم والتلمود من عبارات التشبيه فاننا نبطل ما ذهب اليه شنودة ، لأننا لانجد من المعقول ، أن يقصد النص إلى التنزيه فيأتى بهذه العبارات الصارخة فى باب التجسيم والتشبيه والتى يعذر من آمن بها اذا هوى فى قاع الوثنية لأنها تلح عليه فى ذلك الحاحا شديداً ، وليس من المعقول أن ـ يتهم الوحى الالهى بالعجز عن أن يجمع بين التنزيه ـ الذى هو الحق والمطلوب ـ (وبين أن يخاطب الانسان بلغة يفهمها) .

إن عقلية اليهود ـ على ما كانوا عليه آنذاك ـ تبدو فى قمة الخبث والمكر والدهاء ، وهى على آية حال أرقى كثيراً من عقلية طفل ! !

ولاشك أننا حينما نقدم للطفل فكرة عن الألوهية يتقبلها دون الارتكاس فى حضيض مثل ما ارتكس اليه التصور اليهودى الوثنى البالغ أعماق الوثنية ! !

فهل كان حالهم أحط من حال طفل ، وهل كان حال الوحى عندهم أحط من حال ـ المربى عندنا ؟ ! .

وأما فيما يتعلق بالأمر الثانى وهو الاعتماد على أفكار وآراء موسى بن ميمون ، فاننا لو علمنا من أين جاء ابن ميمون بارائه تلك وكيف كان اثرها على اليهود لتبين لنا تهافت الاعتماد عليه .

يذكر الدكتور حسن ظاظا أن الفكر الدينى لدى اليهودى يتسم بظاهرة وهى بقاء بابه مفتوحا على مصراعه كل ألوان التطور بحث أصبح اليهودى اليوم لا يشبه ما كان عليه اليهود على أيام داود وسليمان عليهما السلام فضلاً عن أولئك الأقوام الذين عاشوا فى البداوة تحت حكم القضاة أو الرعيل الأول الذى اتبع تعاليم موسى وهارون عليهما السلام فالنصوص تغيرت ، والظروف التاريخية كذلك والعقائد والطقوس أيضا بحيث يجد مؤرخ الفكر اليهودى نفسه أمام عدة أديان ومجتمعات مختلفة غريبة بعضها عن بعض لا تتفق الا فى الاسم وتدخل بسببه فى ركام متكتل (١) .

---

(١) الفكر الدينى الاسرائيلى صـ ١٥٢ .

واستدل الدكتور ظاظا على ذلك بنص الأصول الثلاثة التى وضعها موسى ابن ميمون(١) .

وجعلها أركان الإيمان اليهودى والتى تعبر عن تنزيه الله تنزيها تاما وتوحيده توحيداً كاملا وذكر أن موسى بن ميمون قد وصل بالعقائد اليهودية فى هذه الأصول الثلاثة عشر إلى - المستوى الفكرى الموازى لنتائج علم التوحيد وعلوم الكلام عند أئمة المسلمين ، كما أن تأثره بها واضح سواء فى ربوبيه الخالق أو فى حدانيته وتنزيهه عن الشبيه والشريك ويبدو فى أقواله بوضوح أثر الفكر الدينى الاسلامى الذى لم يكن معروفاً فى عهدا التوراة المبدلة » (٢) .

ويعترف بذلك العالم اليهودى الدكتور اسرائيل ولفنسون فيقول « مما لا شك فيه أن ظهور التفكير الفلسفى الدينى اليهودى فى القرون الوسطى انما هو نتيجة لاتصال اليهود - بالحضارة الاسلامية الفلسفية وكانت الفلسفة اليهودية العربية تتقدم مع تقدم الفلسفة الاسلامية عامة ، وكان أول من اتصل بالفلسفة الاسلامية من اليهود سعديا الفيومى الذى اعتنق كثيرا من آراء المتكلمين (٣) .

ويؤكد أن علم الكلام الاسلامى كان له تأثير شديد فى يهود البلدان الشرقية حتى عرفوا من نصوص آدابهم وطرق بحثهم بمتكلمى اليهود .

وينقل عن موسى بن ميمون قوله « ان الذى نجد من الكلام فى معانى التوحيد عند بعض علماء الدين من اليهود فى العراق من الربانيين والقرائين انما هى أمور أخذوها عن المتكلمين المسلمين وكذلك أخذ أصحابنا من المعتزلة ومن

---

(١) ولد موسى بن ميمون عام ١١٣٥ م بالأندلس درس علوم الدين اليهودية وعلوم الفلك و المنطق والحساب والفلسفة ثم أصبح من أحبار اليهود المشهورين (راجع تفصيل الحديث عن حياته (د/ اسرائيل ولفنسون : موسى بن ميمون صـ ١ ـ ٤٠ .

(٢) راجع الفكر الدينى الاسرائيلى صـ ١٥٧ ـ ١٦٦ ، ولمزيد من التفاصيل راجع أيضا ابراهيم موسى هنداوى : الأثر العربى فى الفكر اليهودى صـ ١٣٨ ـ ١٦٨ نشر مكتبة الانجلو المصرية ١٩٦٣ م راجع أيضا د/ عبد الرازق احمد قنديل :الأثر الاسلامى فى الفكر الدينى اليهودى صـ ٢٤٦ ـ ٢٦١ ـ دار التراث بالقاهرة ١٩٨٤ م/ ١٤٠٤ هـ

(٣) موسى بن ميمون : حياته ومصنفاته صـ ٥٨ .

الأشعرية (١)

ويذكر ولفنسون أن كتاب موسى بن ميمون « دلالة الحائرين » يعد ذروة التفكير اليهودى الفلسفى فى القرون الوسطى وأن الجزء الأول منه يبحث فى ماهية الله وكيفية إدراكه وتعريف توحيده ـ كما يدخل فى الكتاب المقدس ـ عن طريق المنطق والعقل ، ويفتح الكتاب بمجادلة عنيفة للذين يصفون الله بالأوصاف المادية ،وأنه أخذ يشرح فى ذلك ألفاظا كثيرة من أسفار الكتاب المقدس يتمرن فى أثنائها العالم الدينى تمرينا منطقيا عقلياً معتمداً ـ على تعاليم أرسطو طاليس وفحول فلاسفة العرب (٢) .

ويذكر ولفنسون أنه ورد فى هذا الكتاب بحث مفصل فى منزلة المعتزلة والأشعرية ـ والمتكلمين مما يدل على أن موسى بن ميمون درس المذاهب الإسلامية دراسة وافية وعلى العموم قد كان له المام بالفلسفة العربية يندر أن يتوفر فى شخص آخر من أحبار اليهود فى القرون الوسطى (٣) .

ويفيد هذا الكتاب أن ابن ميمون قد اطلع على كثير من نظريات المتكلمين فى التوحيد (٤) .

ويذهب ول ديورانت إلى أن موسى بن ميمون كان يحذو حذو المعتزلة فى تفسيرات ـ العبارات التى تشير إلى شئ من أعضاء الجسم أو أية صفة من صفات الله تفسيراً مجازيا (٥) .

هذا وقد قوبلت آراء سعديا الفيومى وموسى بن ميمون وغيرهما بالرفض الشديد من اليهود المعاصرين لهما إلى حد أن اتهم موسى بن ميمون بالزندقة والكفر واحراق كتبه .

---

(١) المصدر السابق صـ ٨٣ .

(٢) راجع المصدر السابق صـ ٦٧ ـ ٨٢

(٣) المصدر السابق صـ ٦٢ ـ ٦٣ .

(٤) المصدر السابق صـ ٨٢

(٥) قصة الحضارة (١٤) الجزء الثالث من المجلد الرابع عصر الايمان صـ ١٢٦ .

يذكر الدكتور بحر عبد المجيد ان انتشار الفكر الفلسفى فى كتابات علماء الدين اليهودى كان له أثره البالغ فى العقائد اليهودية ، وأن هذا ا لفكر قد تعارض أحيانا مع ما ورد فى التلمود والعهد القديم فمثلا لم يوافق موسى بن ميمون العبارات التى توحي بتجسيد الرب والمعتقدات التى بنيت على هذه العبارات والتى أصبحت فى صلب عقيدة اليهود ، فقامت حملات ضد أفكار هؤلاء الذين صبغوا الفكر الدينى اليهودى بالفلسفة ، ووصل الأمر إلى أن بعض رجال الدين اليهودى حرموا قراءة هذه الكتابات . واعتبروا أن بعض ما جاء فى هذه الكتابات نوع من الزندقة والكفر بالعهد القديم والتلمود (١) .

ويرى ول ديورانت أن تأثير ابن ميمون فى الدين اليهودى كان تأثيراً انقلابيا وأن ـ ابناءه وحفدته قد واصلوا عمله واحتفظوا بآرائه وتقاليده فى الفلسفة ، وأتى على الناس ـ حين من الدهر ظهر فيه تطبيق آراء أرسطوا على الكتاب المقدس واستخدام المجاز والاستعارة فى تفسيره استخداما يبلغ حد الشعوذة ، ورفض ما جاء فيه من القصص ، والقول بأنها غير صحيحة من الوجهة التاريخية ، وبدا أن صرح الدين اليهودى كله يوشك أن ينهار على رأس أحبار اليهود .

ويذكر ول ديورانت أيضا أن بعض الأحبار قاوموا نزعة ابن ميمون مقاومة عنيفة ونددوا بتشكك ابن ميمون فى عقيدة الخلود ورفضوا فكرته عن الاله غير المعروف والمحسوس وقالوا انها تحديد مجازى لا يحرك أية نفس نحو التقى والصلاح ، وانضم الكثيرون اليهم حتى ذهبوا إلى قبر ابن ميمون فدنسوه (٢) .

ويذكر ولفنسون أن كتاب دلالة الحائرين قد اشتمل على نظريات معادية لأسس الإيمان ويذهب إلى أن موسى لو نشر كتابه هذا قبل أن ينشر كتابه عن تفسير المشنا والتشريع الاسرائيلى لما كان له تلك الشهرة بين اليهود ولما كان لنظرياته التى أدخلها على التفكير الدينى أدنى أثر ، لو لا شهرته رئيساً دينيا ، لما قبل الرأى العام اليهودى كتابه دلالة الحائرين وربما كان أمره ينتهى بالنسيان (٣) .

---

(١) اليهودية صـ ١٥٢ ناقلا عن مصدر أجنبى .

(٢) قصة الحضارة (١٤) عصر الايمان صـ ١٣١ ـ ١٣٢ .

(٣) اسرائيل ولفنسون : موسى بن ميمون صـ ٦٠ .

ويذكر أن هذا الكتاب قد أنتج ثورة عنيفة بين اليهود أنفسهم وبدأ أمر الفتنة فى أخريات أيام موسى ثم اشتد بعد وفاته وانقلب إلى نضال عنيف بين أنصار مذهبه الفلسفى بين أعدائه وشغلهم هذا النضال إلى نهاية القرون الوسطى (١) .

وكان زعيم المتمردين على كتاب دلالة الحائرين الحبر سليمان بن ابراهيم من مدينة مونبيلييه يعاونه اثنان من كبار تلاميذه الذين اتصلوا برؤساء الدين من اليهود فى شمال فرنسا وأظهروا السخط على كل من يدرس هذا الكتاب ومن يؤول نصوص التوراة وآراء التلمود على النحلة الفلسفية وأنذروه بالحرمان من حقوقه الشرعية(٢) .

وينتهى ولفنسون إلى أنه ليس هناك كتاب عبرى بعد الكتاب المقدس وصحف التلمود قد أثر أثراً عميقا فى حياة اليهود مثل كتاب دلالة الحائرين لأن أنصار موسى فى حياته وبعد وفاته كانوا يقرءونه فى الكنائس ويدرسونه فى المعابد ، وأصبح عماد الاسترشاد لكل من يدرس كتب الدين وفقه الشريعة ، ومن ناحية أخرى تداولته أيدى المعارضين أنفسهم ليدلوا على ما فيه من الكفر والمغالطة والتناقض (٣) .

ومن هنا فاننا نستبعد أن يكون مذهب موسى بن ميمون معبراً عن الاتجاه العام فى العقيدة اليهودية ، كما نذهب إلى أنه مهما يكن من أمره فانه لا ينفى تأثر اليهود بالأديان الوثنية فى أغلب فترات حياتهم .

هذا وقد أرجع العلماء الاتجاه الحسى لدى اليهود وجنوحهم إلى التجسيم والتشبيه إلى المعتقدات والتصورات الوثنية القديمة حيث تبين لهم احتفاظ الدين اليهودى بالكثرة اللافتة من المعتقدات والطقوس التى يبرأ منها الدين السماوى المنزل من عند الله سبحانه حيث ان الدين السماوى يهدف قبل كل شئ إلى القضاء على الوثنية بشتى مظاهرها كما أنه يهدف إلى تنزيه الخالق سبحانه عن كل الصفات الانسانية .

---

(١) المصدر السابق صـ ١٣١ ـ ١٣٢ .

(٢) راجع المصدر السابق صـ ١٣٢ ـ ١٣٥ .

(٣) المصدر السابق صـ ١٣٦ .

فقد ذهب أتباع الديانات القديمة مذاهب السفه والضلال فى تصور الذات الالهية حين حاولوا تجسيدها فى قوالب مادية يحسونها بحواسهم ، ويخالطونها مخالطة الأهل والعشيرة وكان من ذلك أن نزل مستوى الاله فلم يكن له مكان للاحترام والتوقير ، اذ أن ــ ظهور الاله فى هذه الصورة الجسدية التى اتخذها له عابدوه رمزاً ، قد خلعت عنه حجب الهيبة التى كانت تضفى عليه لو أنه ظل محجبا عن العيون بعيدا عن تناول الحس .

فرأينا فى الأديان الوثنية آلهة تعيش مع الناس وتقع تحت أبصارهم وبين أيديهم تأكل وتشرب وتتزوج وتتناسل ، وتضحك وتبكى ، تغضب وتندم ، إلى غير ذلك من الصورة الوثنية التى أطلعنا عليها فى الفصل الخاص بالأديان الوثنية .

وكان لدى اليهود استعداد تام فى نفوسهم وتهيؤ كامل فى قلوبهم لتقبل الأفكار الوثنية من الشعوب التى خالطتهم فكانت هذه التصورات التى فى كتبهم ، والتى تشهد بأنهم لم يرتفعوا إلى التنزيه الذى جاء به الوحى للذات الالهية ، ولم يقدروا على السمو بالخالق وتنزيهه عن الصفات البشرية .

فكانوا أشد الناس الحافا على أنبيائهم فى طلب الاله المجسم ومشاهدته ذاتا مجسدة فى وضح النهار (١) .

---

(١) راجع بيان ذلك بالتفصيل : د/ نبيلة ابراهيم : مقدمة الفولكلور فى العهد القديم ــ صـ ١٤ ــ ١٨ ، عبد الكريم الخطيب : الله ذاتا وموضوعاً صـ ٣٠٣ ــ ٣١٠ .

ومن الجدير بالذكر أن اليهود اشتهروا بالتشبيه والتجسيم فى المجتمع الاسلامى وقد تأثر بهم فى ذلك غلاة الشيعة . راجع رسالة الماجستير التى قدمتها إلى كليه أصول الدين بطنطـا بعنوان (غلاة الشيعة وتأثرهم بالأديان المغايرة للإسلام) صـ ٢٥٧ ــ ٢٦٢ والتى نشرت فى كتاب يحمل نفس العنوان ١٩٨٨م .

المبحث الثانى : اليهود بين التوحيد والتعدد

لا شك أن الديانة التى أتى بها سيدنا موسى عليه السلام إلى بنى اسرائيل كانت ترتكز على عقيدة التوحيد الخالص لله رب العالمين مثلما كانت قائمة على تنزيه الله سبحانه عن كل ما لايليق بذاته العلية .

ولا شك أيضا أن التوراة التى يأيدى اليهود تشتمل على الدعوة إلى التوحيد وتوصية الاسرائيليين به وتحذرهم من الاشراك بالله واتخاذ آلهة أخرى من دونه .

ويحاول البعض الاستدلال بذلك على أن اليهود موحدون شأنهم فى ذلك شأن المسلمين وأن ديانتهم توحيدية شأنها كشأن الاسلام

والواقع أن البرهنة على وجود الوحدانية الحقة لدى اليهود لا تكون بالنظر إلى ما ورد ـ عنها فى الأسفار الخمسة وذلك لسببين :

السبب الأول : أن الخمسة لم تدون وتجمع الا فى القرنين السادس أو الخامس ق.م .

وهذا يعنى أنها لا تصح مرجعا فى تصور حالة اليهود العقدية من بعد سيدنا موسى حتى وقوع السبى البابلى (زمن كتابة وتدوين الأسفار الخمسة) ، وذلك لمدة سبعة أوثمانية قرون مابين عصر سيدنا موسى عليه السلام وعصر كتابة هذه الأسفار .

السبب الثانى : انه لا بد من البحث أولا هل استجاب اليهود لهذه الدعوة إلى التوحيد ؟ وهل اعتنقوا عقيدة التوحيد كما جاءهم بها سيدنا موسى عليه السلام والأنبياء من بعده ؟

ولعل الجواب عن ذلك يتأتى فى النظر إلى تاريخهم المسجل فى أسفارهم المقدسة ، ولقد عرضنا من قبل أطرفا فى هذا التاريخ وتبين لنا تماما أن اليهود لم يستجيبوا لدعوة التوحيد استجابة حقيقية وإنما أشركوا بالله واتخذوا من دونه آلهة أخرى غير آبهين بتحذيرات أنبيائهم ولا بتهديداتهم التى أعلنوها لهم .

واذا ماحدث وعبدوا الاله الواحد ـ سبحانه ـ فانهم كانوا يصبغونه بصبغة القومية ويضفون عليه طابع القبلية ويتخذونه فى صورة الاله القومى أو الاله القبلى الخاص بهم دون غيرهم من الناس .

قومية الاله لدى اليهود :

يذكر الدكتور صبرى جرجس أن نصوص التوراة اليهودية قد صورت الاله على أنه خاص ببنى اسرائيل وحدهم ، ويتعذر علينا أن نتعقب أو نحصى عدد المرات التى تحدثت فيها التوراة عن هذا التصور ، ويتساءل : ماهو المعنى المستخلص مما ورد بالتوراة فى صدد هذا المفهوم المحدد عن الله ؟

ويجيب بأنه يتلخص فى أن اله اسرائيل لم يكن « اللـه » كما تفهمه البشرية فى (ديانات التوحيد اليوم) ولكنه كان مجرد اله قبلى خاص ببنى اسرائيل على غرار الالهة التى كانت للحضارات الاخرى المعاصرة

ومن هنا كان من السهل أن ينتقل بنو اسرائيل من عبادة الههم (يهوه) (١) إلى عبادة غيره من الأرباب المتاخمين والمعاصرين كما سيتبين ذلك بعد .

ويقول الدكتور صبرى جرجس « لسنا نحن الذين نقول بهذا الرأى وحدنا بل يتفق معنا الكثيرون من علماء الدين المقارن فقد ذكر كل من فلويد وروس فى كتابهما « الأديان الكبرى التى يؤمن بها البشر « أن كثيرا من علماء اليهود أوضحوا

---

(١) يذكر حبيب سعيد أن العبرانيين عرفوا الاله الذى عبدوه باسم « يهوه » الا أنه لا يمكن الفصل بقول جازم حاسم عن التاريخ الذى بدأت فية عبادة الله بهذا الاسم (أديان العالم صـ ١٧٦) ، كذلك فانه لا يعرف على التحقيق أصل هذه الكلمة فهناك من يرجعها إلى الديانة العربية القديمة وأن يهوه كان كبير الآلهة وأحد أفراد الثالث ـ المقدس (يهوه ـ بعل ـ عشتاروت) (راجع تفصيل ذلك وبيان العلاقة بين الديانة الاسرائيلية وبين الديانة العربية القديمة : ديتلف نيلسن وآخرين : التاريخ العربى القديم صـ ٣٣٢ ـ ٤٤٢ ترجمة د/ فؤاد حسنين على ملتزم الطبع والنشر : النهضة المصرية بالقاهرة بدون تاريخ ، وقد أدى ازدياد تقديس اليهود لهذا الاسم إلى فقدان النطق القديم لكلمة « يهوه » واستعمال كلمة عبرانية تدل علي « الرب » وهى « ادوناى » وقيل ان « يهوه» ليست كلمة ولا هى مسمى ، وانما هى قراءة للأحرف العبرية (يهوه) التى ذكرتها التوراة كرمز للإله وهنالك محاولات عديدة لتفسير هذه الرموز إلى كلمات ذات معنى (بريستيد : فجر الضمير صـ ٣٧٦ ، د/ اسماعيل الفاروقى : أصول الصهيونية صـ ٦)

أن قصص سفرى التكوين والخروج تدل على أنه كان لدى العبرانيين إله قبلى ، ثم اعتقد اليهود عن طريق أنبيائهم وملوكهم مثل داود واشعيا أنه هو الاله الواحد لكل الخليقة (١) .

وذكر كيليبت فى كتابه « موجز فى تاريخ الأديان » أن إله اليهود كان إلها قبلياً لا يختلف كثيراً عن آلهة موآب وعمون » .

وقرر موسكاتي في كتابه « وجه الشرق القديم « أن اسرائيل كانت متأثره بمعتقد الأقوام المحيطة بها وذكر أن عقيدة التوحيد لديهم بعد سيدنا موسى وقبل عصر الأنبياء كانت تعنى عبادة اله قومى لا يستبعد وجود آلهة غيره للشعوب الأخرى (٢)

وينقل الدكتور محمد بحر عبد المجيد عن أولبرايت أن اليهود قد اعتقدوا فى مرحلة من مراحل تاريخ الديانة اليهودية ـ كالأمم التى عاشوا بينها ـ أن انتماء الاله انتماء قبلى فنظروا اليه كأفراد من أفراد القبيلة ينتمون اليه بصلة الدم فهو لهم بمثابة الأب (٣) .

ويذكر غوستاف لوبون أن بنى اسرائيل قد نظروا إلى الإله كإله خاص بهم واعتبروه ملكا قوميا لهم ـ سبحانه وتعالي عما يأفكون ـ وكان من العادات العامة بآسية حتى فى مصر حتى لدي جميع الأمم القديمة أن كان لكل مدينة ولكل قبيلة إلهها الخاص مع اعترافها بطائفة من الآلهة ، فكان لمؤاب الاله (كموش) ولصور (فينيقية) الاله (ملقارت) وللفلسطينين الاله (داجون) ولبنى اسرائيل الاله (يهوه) (٤) .

فلم يكن (يهوه) اذن سوى اله آخر من الآلهة القبلية السامية ولا يختلف عنها بشئ فى نظر اليهود فجعلوه كمردوخ لدى البابليين وآشور لدى الاشوريين (٥) .

ومن يتتبع نعوت الاله « يهوه » من أوائل أيام العبريين فى أوطان نشأتهم وأوطان هجرتهم إلى أواخرها قبل عصر الميلاد المسيحى لم يتبين من تلك النعوت أنهم وسعوا أفق العبادة لهذا الاله ولا أنهم وسعوا مجال الخطوة عندهم بل إنه ليتبين من

---

(١) التراث اليهودى الصهيونى صـ ٥٢ ـ ٥٣ (٢) المصدر السابق صـ ٥٣ .

(٣) اليهودية صـ ٦ ـ ٧ . (٤) اليهود فى تاريخ الحضارات الأولى صـ ٦٩ .

(٥) التوراة تاريخها وغايتها ترجمة سهيل ديب صـ ٢٧ والكتاب من تأليف كاتب لاهوتى أمريكى الجنسية لم يذكر المترجم اسمه .

نعوته السابقة واللاحقة أنهم كانوا يضيقون أفق عبادته ويحصرون مجال الخطوة عندهم جيلا بعد جيل ، فكان شعبه المختار فى مبدأ الأمر عاما شاملا لقوم ابراهيم ثم أصبح بعد بضعة قرون محصورا مقصورا على قوم يعقوب ثم أصبح بعد ذلك محصورا على قوم موسى ثم على أبناء داود (عليهما السلام) وعلى من يدينوا لعرشه بالولاء(١) .

والقرآن الكريم يبين لنا أن سيدنا موسى قد جاء إلى بنى اسرائيل وارسل إلى فرعون بالدعوة إلى اله العالمين رب الخلائق أجمعين ، وعلى سبيل المثال يقول الله سبحانه لسيدنا موسى وسيدنا هارون عليهما السلام : ﴿ **فأتيا فرعون فقولا إنا رسول رب العالمين** ﴾ (٢) .

.... وبعد ذلك يقول الله سبحانه ﴿ **قال فرعون وما رب العالمين . قال رب السماوات والأرض وما بينهما ان كنتم موقنين ، قال لمن حوله ألا تستمعون قال ربكم ورب آبائكم الأولين قال ان رسولكم الذى أرسل إليكم لمجنون ، قال رب المشرق والمغرب ومابينهما ان كنتم تعقلون** ﴾ (٣) .

لكن بنى اسرائيل ـ كما يقول الدكتور حسن ظاظا ـ قد حولوه مع الزمن إلى اله وطنى وحدهم وجعلوا أنفسهم بناء على هذا شعب الله المختار (٤) .

ويذكر الدكتور بركات دويدار أن اعتقاد اليهود بأن الاله خاص بهم وأنهم شعبه المختار لا يمكن أن يتفق والدين السماوى حيث أضافوا ـ بزعمهم ـ صفات للاله لا تليق بذاته مثل رجوعه فى حكمه وندمه على فعله من أجل شعبه المختار (٥) .

فهم فى هذا متأثرون بالعقائد الوثنية التى كانت من حولهم .

ويذكر الدكتور أحمد سوسة أن اليهود بعد أن انحرفوا عن ديانة موسى عليه السلام عبدوا الأوثان ثم ابتدعوا صورة الاله « يهوه » الها خاصا بهم ، اله لا يهمه من العالم والخلق غير اليهود (شعبه المختار) على غرار مبدأ « التفريد » الذى اعتنقه

---

(١) عباس محمود العقاد : حقائق الإسلام وأباطيل خصومه صـ ٤٤ دار نهضة مصر للطبع والنشر القاهرة بدون تاريخ .

(٢) سورة الشعراء : ١٦ .

(٣) الشعراء : ٢٣ ـ ٢٨ .

(٤) الساميون ولغتهم صـ ٧٦ .

(٥) الحركة الفكرية ضد الاسلام / الطبعة الثانية ١٩٨٠ م .

الأقوام القديمة حين كانت القبيلة أو المدينة تعبد الها واحدا من بين مجموعة الآلهة من غير أن تنبذ عبادة الآلهة الأخرى (١) .

ويذكر جرهاردفوس أن التخصصية القبلية كانت منتشرة بين شعوب الجنس السامى وتعنى عبادة اله واحد يرتبط ارتباطا وثيقا بهذه القبيلة أو تلك ، وهذا لا يعنى عدم الايمان بوجود آلهة أخرى سواء فى القبائل الأخرى أو فى نفس القبيلة والتعبد لهذه الآلهة .

ويرى أن هذا لم يكن توحيدا بالمرة ولكنه كان صورة واضحة للتعبد لإله واحد مع الايمان بوجود آلهة غيره (٢) .

ومن المرجح أن اليهود قد أخذوا بمبدأ التفريد وقومية الاله من الكنعانيين وغيرهم من شعوب فلسطين ثم أثبتوه إبَّان تدوينها أثناء لسبى البابلى وبعده أن كانت كل مدينة من المدائن البابلية تختص باله واحد من بين مجموعة الآلهة (٣) .

وخلاصة الأمر : أن العقيدة الالهية كما دان بها اليهود وجمدوا عليها إلى عصر الميلاد انما هى عقيدة شعب مختار بين الشعوب فى اله مختار بين الالهة وليس فى هذه العقيدة ايمان بالتوحيد ولا هى مما يتسع لديانه انسانية أو مما يصح أن يحسبه الباحث المنصف مقدمة للايمان بالله الذى يدعو اليه (٤) .

وكان معنى الكفر فى الديانة الاسرائيلة ـ فيما يقول العقاد ـ كمعنى الخيانة الوطنية فى هذه الأيام فكانت للشعوب آلهة يؤمن الاسرائيليون بوجودها ولكنهم يحرمون عبادتها كتحريم الانتماء إلى دولة أجنبية فرب الشعب أحق بولائه وعبادته من الأرباب الغرباء (٥) .

فالتوحيد بهذه الصورة التى لمسناها فى عبادة اليهود لإلههم (يهوه) كإله قبلى وقومى خاص دون غيرهم لا يعد توحيداً ، وانما هو نوع من الشرك فى الألوهية وان

---

(١) مفصل العرب واليهود فى التاريخ صـ ٩٣ راجع فصل الأديان الوثنية من الباب الأول .

(٢) علم اللاهوت الكتابي صـ ١٠٥ .

(٣) د / أحمد سوسة : مفصل العرب واليهود في التاريخ صـ٩٣ .

(٤) عباس محمود العقاد : حقائق الإسلام وأباطيل خصومه صـ٤٦ .

(٥) الله : صـ ١١٠ ، ٢٢٥ .

كانوا يختصون الههم وحده بالعبادة (١) .

ولعل اليهود تأثروا في هذه النظرة بما كان عند البابليين والأشوريين حيث كان لدى كل من بابل وأشور بجانب الآلهة المتعددة اله قومي الطابع تتوقف أهميته طبعا على الموقف السياسي فكان في أشور الإله أشور وكان في بابل الإله مردوك(٢) .

ويرى الدكتور محمد حسن هوارى أنه من المؤكد أننا نخطىء إذا ماأطلقنا على الديانة الإسرائيلية التي اتبعها الشعب اسم « ديانة توحيدية » حيث أن بني إسرائيل لم ينكروا وجود الأرباب الأخرى (٣) .

ولذلك فقد كان من السهل على اليهود أن يشركوا مع هذا الإله القبلي أو القومي آلهة أخرى ، فسجل تاريخهم التوراتي حافل بتعدد الآلهة التي اتخذوها من دون الله سبحانه .

---

(١) راجع حول ذلك د / أحمد أبو زيد : تايلور صـ١٦٣ ـ ١٦٨ .

عباس محمود العقاد : الله صـ٢٨ ـ ٢٩ .

(٢) راجع موسكاتي : الحضارات السامية القديمة صـ٧٥ ـ ٧٦ ، د / السيد يعقوب بكر : هوامش موسكاتي صـ٢٦٠ ـ ٢٦٦ ، راجع أيضا فصل الأديان الوثنية .

(٣) راجع : الألوهية عند بني إسرائيل صـ٥٠٨

تعدد الآلهة عند اليهود :

يذكر الدكتور فؤاد حسنين أن الإسرائيليين الأولين كانوا قريبين جداً فى تصورهم للخالق من القائلين بتعدد الآلهة من الشعوب الوثنية القديمة ، ولذلك كان من السهل جداً على الإسرائيليين الإنحراف إلى الإيمان بتعدد الآلهة واتخاذ معبودات أجنبية .

ويرى فى إطار ذلك أن لفظى (يهوه) و (الوهيم) يختلفان فيما بينهما لغويا دلالة وعقيدة : فلفظ (يهوه) اسم علم كغيره من أسماء الأعلام التى تستخدمها اللغة حينما تريد أن تميز فرداً بعينه على سائر بنى جنسه .

فلفظ (يهوه) يفيد كونه معبوداً متميزاً إلى جانب معبودات أخرى عرفها الإسرائيليون قديماً وقدسوها ، وأما لفظ (الوهيم) فيعبر عن النوع لذلك جاءنا فى صورة الجمع للتعبير عن كثرة الآلهة وتعددها (١) .

فلم يكن (يهوه) الإله الوحيد الذى يعترف اليهود بوجوده أو يعترف هو نفسه ـ حسب زعمهم ـ بوجوده وحده .

وشاهد ذلك ـ كما يقول ول ديورانت ـ أن كل مايطلبه فى الوصية الأولى من الوصايا العشر هو أن يكون مقامه فوق سائر الأرباب (٢) .

وانتشرت إلى جانب عبادته عبادة آلهة أخرى من آلهة الشعوب التى أحاطت باليهود فى تاريخهم القديم .

وقد قام اليهود بعبادة هذه الآلهة الوثنية رغم التحذيرات الشديدة من فعل ذلك والتى تحتوى عليها الأسفار الخمسة ومنها على سبيل المثال ماورد فى الإصحاح العشرين من سفر الخروج « أنا الرب الهك الذى أخرجك من أرض مصر من بيت العبودية لايكن لك آلهة أخرى أمامى ، لاتصنع لك تمثالاً منحوتا ، ولاصورة مما فى

---

(١) اليهودية واليهودية المسيحية صـ١١ .

(٢) ول ديورانت : قصة الحضارة مجلد ١ جـ٢ صـ٢٤٣ ، د / نجيب ميخائيل : مصر والشرق الأدنى القديم جـ٣ صـ٢١٧ ـ ٢١٩ .

السماء من فوق وما فى الأرض من تحت ، وما فى الماء من تحت ، لاتسجد بهن ولاتعبدهن ، لأنى أنا الرب الهك إله غيور » (١) .

« لاتصنعوا معى آلهة فضة ولاتصنعوا لكم آلهة ذهب » (٢) .

وحذر السفر من آلهة الشعوب التى سيختلط بها اليهود بقوله :

« فإن ملاكى يسير أمامك ويجىء بك إلى الأموريين والحيثيين والفرزيين والكنعانيين والحويين واليبوسيين فأبيدهم لاتسجد لآلهتهم ولاتعبدها ولاتعمل كأعمالهم بل تبيدهم وتكسر أصنامهم ، وتعبدون الرب إلهكم » (٣) .

وكذلك الأمر فى سفر التثنية فبعد أن تحدث عن شعوب كنعان يقول :

« لاتقطع لهم عهدا ولاتشفق عليهم ولاتصاهرهم ، بنتك لاتعط لابنه وبنته لاتأخذ لابنك لأنه يرد ابنك من ورائى فيعبد آلهة أخرى فيحمى غضب الرب عليكم ويهلككم سريعاً » (٤) .

وبلغ التحذير من التعدد ماورد فى نفس السفر :

« وإذا أغواك سرا أخوك ابن أمك أو ابنك أو ابنتك أو امرأة حضنك أو صاحبك الذى مثل نفسك قائلا نذهب ونعبد آلهة أخرى لم تعرفها أنت ، ولا آباؤك ، من آلهة الشعوب الذى حولك القريبين منك أو البعيدين عنك من أقصاء الأرض إلى أقصائها ، فلا ترض منه ولاتسمع له ...... بل قتلا تقتله .... ترجمه بالحجارة حتى يموت .... » (٥) .

ولكن اليهود ـ على الرغم من هذه التحذيرات التى وجهها الرب إليهم لكى يمتنعوا عن عبادة غيره من أصنام الأمم الأخرى ـ ظلوا ـ كما يقول زكى شنودة ـ طوال عهودهم أو أغلبها يتمردون على عبادة الله ويعبدون آلهة الشعوب الوثنية المخالطة لهم أو المحيطة بهم أو المتعاملة معهم أو المسيطرة عليهم فعبدوا آلهة المصريين والكنعانيين والأشوريين والبابليين والحيثيين والأموريين والأرآميين والفلسطينيين

---

(١) خروج ٢٠ : ١ ـ ٥ .
(٢) خروج ٢٠ : ٢٣ .
(٣) خروج ٢٣ : ٢٤ ـ ٢٥ .
(٤) تثنية ٧ : ٢ ـ ٤ .
(٥) تثنية ١٣ : ٦ ـ ١٠ .

والأدوميين والموابيين والعمونيين والفرزيين والحويين واليبوسيين والصيدونيين والعقرونيين كما عبدوا آلهة كوث وعوا وحماة وسفراويم وبنى سعير وغيرهم من الأمم والشعوب الكبيرة والصغيرة ، ثم حين خضعوا أخيرا لليونان والرومان عبدوا أيضا آلهتهم (١) .

من آلهة المصريين :

ففيما يتعلق بآلهة المصريين فإننا لاندرى إلى أى زمن أو إلى أى حد احتفظ الإسرائيليون بإيمان أبيهم يعقوب عليه السلام وبالدين الذى أتى به يوسف عليه السلام وحافظوا على عبادتهم لله الواحد خلال المدة التى قضوها فى مصر بعد أن تكاثروا وتضاعفوا على مر السنين .

ولاشك أنهم ـ فيما يقول زكى شنودة ـ على مقتضى مايتضح فى كل أسفار التوراة ، من سرعة تحولهم عن عبادة الله فى كل عصور تاريخهم ، سرعان مانسوا إله آبائهم وعبدوا المعبودات التى كان المصريون سادتهم يعبدونها (٢) .

وتقدم لنا التوراة الحالية الكثير من الأدلة على أن الإسرائيليين كانوا يعبدون آلهة البلاد التى كانت تستضيفهم ومنها مصر (٣) .

وقد ذكر ذلك صراحة سفر يشوع إذ ورد فيه أن يشوع قال للإسرائيليين ... فالآن اخشوا الرب واعبدوه بكمال وأمانة وانزعوا الآلهة الذين عبدهم آباؤكم فى عبر النهر وفى مصر واعبدوا الرب » (٤) .

وورد أيضا فى سفر حزقيال على لسان الرب :

« ورفعت يدى لنسل بيت يعقوب وعرفتهم نفسى فى أرض مصر ورفعت لهم قائلا أنا الرب الهكم ، فى ذلك اليوم رفعت لهم يدى لأخرجكم من أرض مصر ...

وقلت لهم اطرحوا كل إنسان منكم أرجاس عينيه ولاتتنجسوا بأصنام مصر أنا

---

(١) راجع : اليهود أو الجزء الثامن من موسوعة تاريخ الأقباط صـ٤٨٣ .

(٢) اليهود صـ٢٢٦ .

(٣) راجع د/ محمد مهران جـ٧ صـ٢٦٥ من كتابه دراسات في تاريخ الشرق الأدني القديم .

(٤) يشوع ٢٤ : ١٤ .

الرب الهكم ، فتمردوا على ولم يريدوا أن يسمعوا إلى ولم يطرح الإنسان منهم أرجاس عينيه ولم يتركوا أصنام مصر فقلت إنى أسكب خزيى عليهم لأتم عليهم سخطى فى وسط أرض مصر »(١) .

ويذكر علماء التاريخ أن الإسرائيليين قد تأثروا كثيراً بسادتهم الهكسوس الذين حاولوا بدورهم أن يكسبوا المصريين ويتكيفوا بالحضارة المصرية فتبينوا ثقافة البلاد وعبدوا آلهتها ، وأكبر الظن أن الإسرائيليين عبدوا مع الهكسوس المعبود المصرى المعروف (ست) إذ قدسه الهكسوس فى صورة آسيوية وسموه « بعل »(٢) .

ويذكر الدكتور الخشاب أن موسى عليه السلام كان يطلب الابتعاد بقومه والفرار بهم حتى ينأى بهم وبدينه الجديد عما يفعله المصريون ومايعتقدونه تخلصاً مما كان عليه قومه قبل رسالته من مشاركة المصريين عقائدهم وتقاليدهم(٣) .

واستمر اليهود - حتى بعد خروجهم من مصر - فى التعلق بآلهة المصريين فقاموا بعبادة العجل الذهبى فى سيناء وأدخل يربعام (ملك إسرائيل) عبادة عجلين من الذهب فى مملكته ، ولذلك فإن من أبرز آلهة المصريين التى تأثر بها اليهود هى المتمثلة فى العجول الذهبية .

عبادة بني إسرائيل للعجل الذهبى فى سيناء :

وردت قصة عبادة بنى إسرائيل للعجل الذهبى فى سيناء فى القرآن الكريم وأيضا فى التوراة اليهودية .

ولعل من الأفضل أن نعرض لها كما صورتها توراة اليهود ثم نتبع ذلك بما رواه القرآن الكريم كنوع من التعقيب القرآنى بما يشتمل عليه من نقد وتصحيح .

أورد سفر الخروج قصة عبادة بنى إسرائيل للعجل الذهبى فى صورة غريبة تدل على أن محررى هذه الأسفار لايرعون لأنبيائهم حرمة ولايرجون لهم وقارا

---

(١) حزقيال ٢٠ : ٥ - ٨ .

(٢) راجع د / أحمد محمد يوسف : مصر في القرآن والسنة صـ٧٦ ، د / محمد بيومي مهران جـ٧ صـ٢٦٤ .

(٣) تاريخ اليهود القديم في مصر صـ٦ - ٧ .

ولايتورعون عن أن ينسبوا إليهم نقيصة ، حتى خيانة الرسالة نفسها التى بعثوا من أجلها ودفع قومهم إلى الشرك بالله فقد نسب هذا السفر لهارون نفسه عليه السلام أنه يسر لبنى إسرائيل سبيل الشرك ودفعهم إلى الوثنية وعبادة الحيوان والأصنام فصنع لهم بيده ــ وحاش له أن يفعل ــ فى سيناء عجلا من ذهب ليعبدوه من دون الله (١) .

جاء فى الإصحاح الحادى والثلاثين من هذا السفر :

« ولما رأى الشعب أن موسى أبطأ فى النزول من الجبل اجتمع الشعب على هارون وقالوا له قم اصنع آلهة تسير أمامنا ، لأن هذا موسى الرجل الذى أصعدنا من أرض مصر لانعلم ماذا أصابه ، فقال لهم هارون انزعوا أقراط الذهب التى فى آذان نسائكم وبنيكم وبناتكم وأتونى بها فنزع كل الشعب أقراط الذهب التى فى آذانهم وأتوا بها إلى هارون فأخذ ذلك من أيديهم وصوره بالأزميل وصنعه عجلا مسبوكا فقالوا هذه آلهتك ياإسرائيل التى أصعدتك من أرض مصر فلما نظر هارون بنى مذبحا أمامه ونادى هارون وقال غدا عيد الرب فبكروا فى الغد وأصعدوا محرقات وقدموا ذبائح سلامة وجلس الشعب للأكل والشرب ثم قاموا للعب (٢) .

ثم يذكر السفر أن الرب أمر موسى بأن ينزل لأن شعبه قد فسد وزاغ عن الطريق الذى وصاهم به ، فعاد إليهم سريعاً (٣) ، وحينما اقترب منهم سمع يشوع (٤) صوت الشعب فى هتافه فقال لموسى صوت قتال فى المحلة فقال ليس صوت صياح النصرة ولاصوت صياح الكسرة بل صوت غناءٍ أنا سامع وكان عندما اقترب إلى المحلة أنه أبصر العجل والرقص فحمى غضب موسى ..... ثم أخذ العجل الذى صنعوه وأحرقه بالنار وطحنه حتى صار ناعما وذراه على وجه الماء (٥) .

وقد عرض القرآن الكريم لبعض تفاصيل قصة اتخاذ بنى إسرائيل العجل وعكوفهم على عبادته فى سورتى الأعراف وطه فذكر أنهم اتخذوا العجل أثناء غياب موسى عنهم وذهابه لميقات ربه ليتلقى الألواح فقال سبحانه ﴿ واتخذ قوم

---

(١) راجع د / علي عبد الواحد وافي : الأسفار المقدسة صـ٥٢ .

(٢) خروج ٣١ : ١ ــ ٦ .   (٣) راجع ٣١ : ٧ ــ ٦ .

(٤) كان يشوع مرافقا له حين ذهب إلي ربه كما يذكر السفر .

(٥) خروج ٣١ : ١٧ ــ ٢٠ .

موسى من بعده من حليهم عجلا جسدا له خوار ، ألم يروا أنه لايكلمهم ولايهديهم سبيلا اتخذوه وكانوا ظالمين ﴾ (١) .

وبين سبحانه كذب مانسبه كتبة سفر الخروج إلى سيدنا هارون عليه السلام وبرأ ساحته من هذا الإتهام الظالم وذلك الإفتئات الشنيع فقرر القرآن الكريم أن الذى قام بصنع العجل وأغراهم بعبادته وفتنهم عن دينهم رجل يسمى السامرى .

فذكر القرآن الكريم أن الله قال لموسى **﴿ وما أعجلك عن قومك ياموسى قال هم أولاء على أثرى وعجلت إليك رب لترضى . قال فإنا قد فتنا قومك من بعدك وأضلهم السامرى فرجع موسى إلى قومه غضبان أسفا قال ياقوم ألم يعدكم ربكم وعداً حسنا أفطال عليكم العهد أم أردتم أن يحل عليكم غضب من ربكم فأخلفتم موعدى . قالوا ما أخلفنا موعدك بملكنا ولكنا حملنا أوزاراً من زينة القوم فقذفناها فكذلك ألقى السامرى فأخرج لهم عجلا جسدا له خوار فقالوا هذا الهكم وإله موسى فنسى ﴾** (٢) .

فالسامرى هو الذى أخذ منهم ماحملوه من أوزار زينة قوم فرعون ـ وهى الحلى التى أهداها إليهم المصريون قبل خروجهم ثم اختلسوها ـ وصهرها وصاغ منها عجلاً له صورة العجل وبدنه وصوته إذ جعل بداخل فمه تجاويف إذا مر فيها الهواء أحدث صوتا كصوت الخوار (٣) .

ثم يبين القرآن الكريم أن هارون لم يأل جهدا فى نهيهم عن ضلالهم والعمل على رجعهم إلى دينهم الحق ولكنهم لم يستمعوا إليه وأن كل ما أخذه موسى على هارون أنه لم يتركهم ويلحق به ليبلغه ما انتهوا إليه أو لم يقاتلهم بمن عسى أن يكون معه وأن هارون قد برر موقفه بأنه خشى إذا فعل ذلك أن يفرق بين بنى إسرائيل ويضرب بعضهم ببعض دون أن يرقب قول موسى وينتظر مشورته فقال سبحانه فى سورة طه :

---

(١) الأعراف : ١٤٨ . (٢) طه : ٨٣ ـ ٨٨ .

(٣) راجع اختلافات المفسرين في ذلك العجل هل صار لحما ودما له خوار أو استمر علي كونه من ذهب إلا أنه يدخل فيه الهواء فيصوت كالبقر ، علي قولين (راجع تفسير ابن كثير جـ٢ صـ٢٤٧ تفسير المنار جـ٩ صـ١٧٤ .

﴿ ولقد قال لهم هارون من قبل ياقوم إنما فتنتم به وإن ربكم الرحمن فاتبعونى وأطيعوا أمرى قالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع إلينا موسى . قال ياهارون مامنعك إذ رأيتهم ضلوا ألا تتبعن أفعصيت أمرى ﴾ (١) .

وقال سبحانه فى سورة الأعراف ﴿ ولما رجع موسى إلى قومه غضبان أسفا قال بئسما خلفتمونى من بعدى أعجلتم أمر ربكم وألقى الألواح وأخذ برأس أخيه يجره إليه قال يا ابن أم إن القوم استضعفونى وكادوا يقتلوننى فلاتشمت بى الأعداء ولاتجعلنى مع القوم الظالمين ﴾ (٢) .

وقال فى سورة طه : ﴿ قال يابنؤم لاتأخذ بلحيتى ولابرأسى إنى خشيت أن تقول فرقت بين بنى إسرائيل ولم ترقب قولى ﴾ (٣) .

ثم ذكر القرآن الكريم أن موسى توجه إلى السامرى ﴿ قال فماخطبك ياسامرى قال بصرت بمالم يبصروا به فقبضت قبضة من أثر الرسول فنبذتها وكذلك سولت لى نفسى . قال فاذهب فإن لك فى الحياة أن تقول لامساس وإن لكَ موعدا لن تخلفه وانظر إلى إلهك الذى ظلت عليه عاكفا لنحرقنه ثم لننسفنه فى اليم نسفا ﴾ (٤) .

ويين سيدنا موسى لقومه أن الله وحده أحق بعبادته ﴿ إنما إلهكم الله الذى لا إله إلا هو وسع كل شىء علما ﴾ (٥) .

هذا وقد بين القرآن الكريم أن بنى إسرائيل عكفوا على عبادة العجل ـ مثلما

---

(١) سورة طه : ٩٠ ـ ٩٣ . تعتبر تبرئة القرآن المجيد هارون عليه السلام من جريمة اتخاذ العجل ومن التقصير في الإنكار علي متخذيه وعابديه من قومه من أهم المواضع التي هيمن بها علي الكتب التي في أيدي أهل الكتاب فصحح أغلاط محرفيها وهو يحثو التراب في أفواه الطاعنين فيه وفيمن جاء به (برأهما الله تعالي) بزعمهم أنه أخذ عن التوراة ا فيه ن أخبار موسي وغيره من أنبياء بني إسرائيل ...... راجع تفاصيل ذلك : تفسير المنار جـ٩ صـ١٨١ ، د / علي عبد الواحد وافي : اليهودية واليهود صـ٧ ـ ٧٦ .

(٢) الأعراف : ١٥٠ .

(٣) طه : ٩٤ .

(٤) طه : ٩٦ ـ ٩٧ .

(٥) طه : ٩٨ .

ذكر سفر الخروج أنهم كانوا يرقصون حوله ـ ويؤخذ هذا من قوله تعالى ﴿ **قالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع إلينا موسى** ﴾ (١) .

وبين أيضا أن عبادة العجل قد تمكنت من نفوسهم وأشربت فى قلوبهم وأنهم ظلموا أنفسهم باتخاذهم العجل من بعد ماجاءتهم البينات :

يقول سبحانه ﴿ **ولقد جاءكم موسى بالبينات ثم اتخذتم العجل من بعده وأنتم ظالمون وإذ اخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ماآتيناكم بقوة واسمعوا قالوا سمعنا وعصينا وأشربوا فى قلوبهم العجل بكفرهم قل بئسما يأمركم به إيمانكم إن كنتم مؤمنين** ﴾ (٢) .

ولذلك توعدهم الله سبحانه على هذا الكفر بالغضب عليهم وإلحاق الذلة بهم فى الحياة الدنيا :

فقال سبحانه ﴿ **إن الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم وذلة فى الحياة الدنيا وكذلك نجزى المفترين** ﴾ (٣) .

وأما قصة طلبهم من نبيهم أن يجعل لهم إلها يحسونه ، والتى ذكرها سفر الخروج فى حادث العجل زاعما أنهم قد طلبوا ذلك إلى هارون وأن هارون قد أذعن لرغبتهم الآثمة فقد ذكرها القرآن الكريم على وجهها الصحيح فقرر أن الطلب كان موجها إلى موسى نفسه لا إلى هارون ، وأن موسى قد نهرهم وبين لهم ضلالهم وسخافة تفكيرهم وسوء فهمهم لذات الإله (٤) .

وهكذا تبين لنا ـ كما ورد فى القرآن الكريم ، وكما جاء فى سفر الخروج ـ أن بنى إسرائيل بعد خروجهم من مصر ما إن غاب عنهم موسى حتى سارعوا إلى اتخاذ العجل وقال بعضهم لبعض هذ الهكم وإله موسى ، ولعلهم انتهزوا فرصة غياب موسى فحققوا ماكانوا قد أرادوه منه وطلبوه حينما وجدوا قوما يعكفون على أصنام لهم ﴿ **اجعل لنا إلها كما لهم آلهة** ﴾ .

---

(١) طه : ٩١ .   (٢) البقرة : ٩٢ ـ ٩٣ .   (٣) الأعراف : ١٥٢ .

(٤) وهو ماورد في الآيات (١٣٨ ـ ١٤٠) من سورة الأعراف التي أشرت إليها في بداية هذا الفصل .

راجع أيضا د / علي عبد الواحد وافي : الأسفار المقدسة صـ٥٤ ـ ٥٥ .

يقول العقاد : « ولايفهم من حادث من حوادث رحلة خروج بنى إسرائيل من مصر أنهم كانوا يؤثرون الفرار حرصا على عقيدتهم (السماوية) فإنهم أسفوا على ماتعودوه من المراسم الدينية فى مصر وودوا لو أنهم يعودون إليها أو يعبدونها منسوخة ممسوخة فى الصحراء » (١) .

ولذلك فإن من المحقق لدى جمهور العلماء والباحثين أن بنى إسرائيل باتخاذهم العجل من بعد موسى إنما كانوا لما اعتادوا فى مصر من الآلهة مرتدين وأنهم فعلوا ذلك بتأثير الديانة المصرية القديمة (٢) .

وجاء فى قاموس الكتاب المقدس أن وقفة موسى ضد العجل الذى اتخذه بنو إسرائيل فى البرية كانت بمثابة محاولة لتخليصهم من ديانة مصر الوثنية (٣) .

وذكر الشيخ محمد رشيد رضا أن اتخاذ بنى إسرائيل عجلا مصوغا من الذهب وعبادته من دون الله كان لما رسخ فى قلوبهم من فخامة مظاهر الوثنية الفرعونية فى مصر (٤) .

وذهب الشيخ عبد الوهاب النجار إلى أن بنى إسرائيل لم تكن أنفس أكثرهم مرتاضة على الإيمان وأنهم كانوا ذوى جهالة ولم يستطيعوا صون عقائدهم من الزيغ فقد عاشوا فى مصر وألفوا رؤية المصريين للعجل أبيس ، وكان للمصريين عناية فائقة بعبادة هذا العجل (٥) .

لكن العلماء قد اختلفوا فيما إذا كان هذا التأثير راجعاً إلى عبادة البقرة حتحور أم إلى عجل أبيس لدى المصريين .

فمن الفريق الأول :

يذكر الدكتور أحمد يوسف أن بنى إسرائيل قد اتخذوا العجل من بعد موسى

---

(١) مطلع النور صـ١٠٤ دار نهضة مصر للطبع والنشر ١٩٨٠ .

(٢) د / أحمد محمد يوسف : مصر في القرآن والسنة صـ١٢٦ ، د / مهران : دراسات في تاريخ الشرق الأدنى جـ٧ صـ٤٦٦ .

(٣) قاموس الكتاب المقدس صـ٢٣٩ .

(٤) تفسير المنار جـ٩ مجلد ٥ صـ١٧٣ .

(٥) قصص الأنبياء صـ٢٦٠ ـ ٢٦١ .

فتنة بالآلهة حتحور الذهبية وما كان لها من منزلة في النفوس إذ عبدها المصريون في صورة البقرة وكانت في عقيدتهم مرضعة ربهم ثم ربة الحب والحنان والموسيقى كما كانت لها تماثيل مموهة بالذهب حفظت بمتحف القاهرة (١) .

ويذهب السير ليونارد ولي » إلى أن الاسرائيليين عندما دخلوا منطقة جنوب سيناء ارتدوا عن الوحدانية إلى العقائد التي اكتسبوها في مصر فصاغوا العجل الذهبي تمجيداً للآلهة البقرة « حتحور » (٢) .

ويعارض الفريق الآخر هذا الاتجاه ويذهب إلى أن إتخاذ بني إسرائيل للعجل إنما كان بتأثير عبادة المصريين للعجل الذهبي .

يذكر الدكتور مهران أن الأستاذ دياكونوف يرى ذلك لأن العجل الذهبي إنما كان في صورة حيوان ذكر وليس أنثى (٣) .

ويذكر ول ديورانت أن اليهود لم يتخلوا عن عبادة العجل إذ لم يستطع موسى أن يمنع قطيعه من عبادة العجل الذهبي ذلك لأن عبادة العجول كانت لاتزال حية في ذاكرتهم منذ كانوا في مصر وظلوا زمنا طويلا يتخذون هذا الحيوان القوى آكل العشب رمزا لالههم ويتبين ذلك حينما نجدهم أخذوا يرقصون وهم عراة أمام العجل (٤) .

وجاء في القاموس أن عجل أبيس كان من آلهة مصر المقدسة وكان يتخذ صورة ثور صغير وتنحت تماثيله من ذهب ، ولذلك كان بنو إسرائيل متأثرين بعبادته إذ صنعوا عجلا من ذهب وعبدوه بعد خروجهم من مصر (٥) .

ويذكر الدكتور الخشاب أن مافعله السامرى من صنع عجل لبني إسرائيل

---

(١) راجع التفاصيل في كتابه : مصر في القرآن والسنة صـ١٢٧ ـ ١٢٨ .

(٢) نقلا عن د / مهران جـ٧ صـ٤٧٢ ـ ٤٧٣ راجع أيضا التفاصيل عن عبادة حتحور جـ٧ صـ ٤٧٣ ـ ٤٧٤

(٣) نقلا عن المصدر السابق جـ٧ صـ٤٧٤ .

(٤) قصة الحضارة مجلد ١ جـ٢ صـ٣٣٨ .

(٥) قاموس الكتاب المقدس صـ٦٠٧

(٦) تاريخ اليهود القديم في مصر صـ٦٥

يعبدونه فى غيبة موسى يرجع لميلهم لعبادة العجل التى ألفوها فى مصر (٦) .

ويؤيد ذلك أن عبادة العجل فى مصر إنما هى جد عميقة الجذور إذ أنها ترجع إلى ماقبل عصر موسى بكثير - إلى أيام الأسرة الأولى حوالى عام ٣٢٠٠ ق . م ثم استمرت حتى ظهور المسيحية وغلبتها عليها .

ويذهب والتر . ب امرى (١٩٠٣ - ١٩٧١ م) إلى أن العجل إنما كان فى نظر القوم رمزا للقوة فى الحروب والإخصاب سواء بسواء وأن عبادته كانت على أيام الأسرة الأولى اعتماداً على تصوير ملوك هذه الأسرة على هيئة ثيران (١) .

وكان عجل أبيس يعد من أشهر العجول المقدسة لدى المصريين القدماء ومن أشهر معبوداتهم إذ كانت له مواصفات خاصة فكان يشترط فيه أن يكون أسود الجلد فيه نقط بيضاء ، وفى جبهته شامة بيضاء مثلثة ، ويوم أن يعثروا عليه يعتبرونه عيدا ، كما أن موته يشكل حزنا عاما ويستمر مهما طال الزمن إلى أن يجدوا غيره (٢) .

ونحن نرى الآن الرأى الصحيح الذى يتوافق مع ماورد فى القرآن الكريم وما ذكر فى سفر الخروج أن بنى إسرائيل اتخذوا العجل الذهبى بتأثير عبادة العجل المقدس فى مصر وليس بتأثير عبادة البقرة (٣) .

عبادة عجلين من الذهب فى مملكة إسرائيل :

يذكر سفر الملوك الأول أن يربعام أول ملوك إسرائيل أقام عجلين من الذهب فى بيتى ايل ودان فى المملكة الشمالية .

وكان يهدف من ذلك إلى إيجاد نوع من التوازن الدينى بين مقدسات المملكة الشمالية وبين هيكل سليمان فى المملكة الجنوبية .

بالإضافة إلى أنه وجد فى ذلك وسيلة يحتفظ بها بولاء أفراد شعبه حيث كان

---

(١) د / أحمد يوسف : مصر في القرآن والسنة صـ١٢٧ ، د / محمد بيومي مهران : دراسات في تاريخ الشرق الأدني القديم جـ٧ صـ٤٦٦ - ٤٦٧ .

(٢) راجع د / رءوف شلبي : آلهة في الأسواق صـ٢٧٤ - ٢٧٥ ، المبحث الخاص بديانة مصر القديمة الفصل الأول من الباب الأول .

(٣) راجع تفاصيل ذلك د / محمد بيومي مهران جـ٧ صـ٤٧٥ - ٤٧٧ .

يخشى أن يجذبهم هيكل أورشليم فيحجون إليه ويميلون إلى عدوه رحبعام ملت يهوذا .

يقول السفر « وقال يربعام فى قلبه الآن ترجع المملكة إلى بيت داود ، إن صعد هذا الشعب ليقربوا ذبائح فى بيت الرب فى أورشليم يرجع قلب هذا الشعب إلى سيدهم رحبعام ملك يهوذا ويقتلونى فاستشار الملك وعمل عجلى ذهب وقال لهم : كثير عليكم أن تصعدوا إلى أورشليم هوذا آلهتك يا إسرائيل الذين أصعدوك من أرض مصر ووضع واحدا فى بيت ايل وجعل الآخر فى بيت دان ، وكان هذا الأمر خطية وكان الشعب يذهب إلى أمام أحدهما حتى إلى دان » (١) .

واستمر يربعام فى إجراءات الإنفصال عن يهوذا فاختار كهنته لهذين العجلين من غير اللاويين ، كما امتدت عنايته بالأماكن المقدسة المقامة على المرتفعات مما دفع الكثير من اللاويين وغيرهم من المتدينين إلى مغادرة البلاد والهجرة إلى يهوذا ، هذا فضلا عن التغيير الذى أحدثه فى « عيد المظال » واحتفالات الحصاد الدينية من الشهر السابع إلى الشهر الثامن .

يقول السفر « وبنى بيت المرتفعات وصير كهنة من أطراف الشعب لم يكونوا من بنى لاوى ، وعمل يربعام عيدا فى الشهر الثامن فى اليوم الخامس عشر من الشهر كالعيد الذى فى يهوذا وأصعد على المذبح ، هكذا فعل فى بيت ايل بذبحه للعجلين اللذين عملهما وأوقف فى بيت ايل كهنة المرتفعات التى عملها ، وأصعد على المذبح الذى عمل به فى بيت ايل فى اليوم الخامس عشر من الشهر الثامن فى الشهر الذى ابتدعه من قلبه فعمل عيدا لبنى إسرائيل وصعد على المذبح ليوقد » (٢) .

وهكذا أراد يربعام أن يكون هناك انفصال دينى بعد أن وقع الإنقسام السياسى وبذلك يضمن استقرار الأوضاع فى مملكته فما كان منه إلا أن صنع هذين العجلين

---

(١) ملوك أول ١٢ : ٢٦ ــ ٣٠ .

(٢) ملوك أول ١٢ : ٣١ ــ ٣٣ ، وورد في سفر أخبار الأيام الثاني قول رحبعام لشعب إسرائيل « وأنتم جمهور كثير ومعكم عجول ذهب قد عملها يربعام لكم آلهة ، أما طردتم كهنة الرب بني هارون واللاويين وعملتم لأنفسكم كهنة كشعوب الأراضي كل من أتي ليملأ يده بثور ابن بقر وسبعة كباش صار كاهنا للذين ليسوا آلهة » أخبار ثان ١٣ : ٨ ــ ٩ ، راجع أيضا أخبار ثان ١١ : ١٤ ــ ١٦ .

وجعلهما آلهة لشعب مملكة إسرائيل .

فكان ملوك إسرائيل إلى هذا الحد من الجرأة فى اختراع الآلهة وتعيين كهنتها وإحياء معابدها القديمة .

يقول موسكاتي « وقد صحب انقسام المملكة اضمحلال دينى إذ أعاد يربعام فى الشمال الهيكلين القديمين فى مدينتى بيت ايل ودان ليجابه نفوذ أورشليم (١) .

وقد اعتبر عبادة عجلى الذهب فى مملكة إسرائيل خطية يربعام حيث إنه ارتكب خطيئة فى حق « يهوه » وظلت الأسفار التى تحكى تاريخ المملكة تنطق بعبارات التنديد والشجب التى تدين يربعام على هذه الخطية بل إن هذه الأسفار لتذكر أن هذه الخطية توارثها ملوك إسرائيل حتى سقوط السامرة ووقوع السبى الأشورى وأن خطاياهم كانت تنحصر فى الغالب فى أنهم ساروا وراء خطية يربعام حيث أبقوا على العجول الذهبية ولم ينزعوها (٢) .

يذكر سفر الملوك الأول أن أخيا النبى قال لامرأة يربعام « اذهبى قولى ليربعام هكذا قال الرب إله إسرائيل من أجل أنى قد رفعتك من وسط الشعب وجعلتك رئيسا على شعبى إسرائيل وشققت المملكة من بيت داود وأعطيتك إياها .... وقد ساء عملك أكثر من جميع الذين كانوا قبلك فسرت وعملت لنفسك آلهة أخرى ومسبوكات لتغيظنى وقد طرحتنى وراء ظهرك لهذا أنا جالب شرا على بيت يربعام وأقطع ليربعام كل بائل بحائط محجوزا ومطلقا فى إسرائيل وأنزع آخر بيت يربعام كما ينزع البعر حتى يفنى ، من مات ليربعام تأكله الكلاب ومن مات فى الحقل تأكله طيور السماء(٣) .

ومن المعروف أن يربعام كان قد هرب إلى مصر ـ حسب ماورد بالأسفار ـ وقام بالثورة على رحبعام بتشجيع من مصر بل إنه حاول أن يضعف من نفوذه فشجع فرعون مصر على غزو مملكة يهوذا ومحاربة رحبعام (٤) .

---

(١) الحضارات السامية القديمة صـ١٤٤ ، ٢٨٠ .

(٢) راجع الفصل الخاص بالإتجاه الوثني لدي بني إسرائيل من الباب الثاني .

(٣) ملوك أول ١٤ : ٧ ـ ١١ .

(٤) راجع اتصال اليهود بمصر في فصل قنوات الإتصال التاريخية .

وبناء على ذلك فقد ذهب العلماء إلى أن صنع يربعام لعجلى الذهب كان بتاثير من مصر والديانة المصرية القديمة .

يذكر محمد حسن هوارى أن عجل أبيس الذى قدسه المصريون يعد ضمن مجموعة مؤثرات دفعت يربعام إلى تمثل الإله فى صورة « ثور » (١) .

وهناك من يرى أن عبادة الإسرائيليين (يهوه) فى أقداس « بيت ايل » « ودان » فى صورة « ثور » منذ أن صنع يربعام فى هذين الموضعين عجوله الذهبية تعد صورة واضحة من صور العبادة الكنعانية حيث إنه في رأس شمرا كان الإله « ايل » يسمى « الثور ايل » كما كان للبعل الكنعانى علاقات مع بقرة صغيرة (٢) .

ويذهب بعض العلماء إلى أن الثور كان رمز القوة والإخصاب فى جميع أنحاء الشرق الأدنى وكانت العقائد الدينية فى مصر وبابل شأنها فى ذلك شأن الديانات القديمة عقائد تمس خصوبة الأرض عندهم مؤنثة والشمس مذكرة وكان العجل عادة يتخذ رمزا لخصوبة الذكر حتى شاعت بين القوم الآلهة العجول (٣) .

ومن ثم يذهب غوستاف لوبون إلى أن ذلك العجل الذهبى الذى عبده اليهود والذى هو رمز الرجولة كان منتشرا فى جميع أنحاء آسيا وكان ذلك العجل من أصل كلدانى وكان بنو إسرائيل يعبدون العجول المعدنية بعد خروجهم من مصر بطويل زمن لارتوائهم من مبادىء ما بين النهرين الدينية ، وكان هذا هو الوجه المفضل الذى يرمزون به إلى « يهوه » (٤) .

وعلى أى حال فإذا كانت عبادة الثور أو العجل منتشرة فى الشرق الأدنى القديم وأدى ذلك إلى تبادل واتفاق بين شعوب الأديان القديمة فإنه لابد من ترجيح الأثر المصرى على عبادة الإسرائيليين للعجل الذهبى فى سيناء ولعجلى الذهب فى مملكة إسرائيل واعتباره هو الأثر المباشر نظرا للظروف التاريخية التى سبق الحديث

---

(١) الألوهية عند بني إسرائيل صـ٣٣٢ .

(٢) المصدر السابق صـ٣٣١ نقلا عن مصادر أجنبية (أولبرايت ورينجرين) .

(٣) برتراندرسل : تاريخ الفلسفة الغربية الكتاب الأول : الفلسفة القديمة صـ٢٥ ، ترجمة / زكي نجيب محمود لجنة التأليف والترجمة والنشر الطبعة الثالثة ١٩٧٨ .

(٤) اليهود في تاريخ الحضارات الأولي صـ٦١ .

من آلهة الكنعانيين :

وفيما يتعلق بآلهة الكنعانيين فإنه كما سبق أن أشرت إلى الديانة الكنعانية كانت تعد ـ فيما يذكر إسرائيل ولفنسون ـ أرقى ديانات الأمم السامية الوثنية ومن أجل ذلك تأثرت بها ديانات بابل ، وورث الآراميون والإسرائيليون هذا التأثير (١) .

وأشار الأب ديلي إلى شدة خطر الاتصال بين الإسرائيليين والكنعانيين على ديانة التوحيد ولاسيما أن الإسرائيليين كانوا حديثي عهد بالتوحيد ميالين إلى المادة ، وكانت عبادة الأوثان الكنعانية مغرية فهي تتصف بالسهولة والدعارة وهي آلهة تمثلها أوثان وأنصاب تقع تحت الحواس فيرتكز عليها الفكر ، وتقدم إليها القرابين وهي قريبة المقصد سهلة المنال ، وهي فوق ذلك آلهة الحب والحياة والخصب وبذلك تبعث الشهوات الحسية وتثير الأهواء البشرية (٢) .

عبادة اليهود للإله « بعل » الكنعاني :

وقد عبد اليهود آلهة الكنعانيين وقدموا لها القرابين ، ومن أبرز هذه الآلهة الإله « بعل » الذي عبده اليهود واتخذوه من دون الله وأشركوا به في بعض الأحيان وفي أحيان أخرى كانوا يرتدون تماما عن عبادة الرب ويعبدون بعل وحده فكان يحل محل « يهوه » رب إسرائيل .

ولكن قبل أن نبين متى وكيف عبد الإسرائيليون الإله « بعل » لابد أولا من التعرف على هذا الإله والإشارة إليه سريعا .

ورد في القاموس أن بعل : اسم سامي معناه « رب أو سيد أو زوج » وأنه إله كنعاني وكان ابن الإله ايل وزوج الإلهة بعلة أو عشيرة أو عنات أو عشتاروت » (٣) .

ويعتبر من أبرز الآلهة الكنعانية ، ولما كانت كلمة « بعل » اسما عاما في الأصل معناه « سيد » لهذا أمكن إطلاقه على آلهة مختلفة ، ولكن بعل الأكبر كان إله العاصفة والبرق والمطر والأعصار كالإله هدد لدى البابليين والأراميين (٤) .

---

(١) تاريخ اللغات السامية صـ٥٣ .

(٢) تاريخ شعب العهد القديم صـ١٨٧ .

(٣) قاموس الكتاب المقدس صـ١٨١ .

(٤) موسكاتي : الحضارات السامية القديمة صـ١٢٧ ـ ١٢٨ .

يقول كونتنتو « جرى بعض العلماء على اعتبار « بعل » إلها معينا وهذا خلط يحسن أن يزول فإن اللفظ يطلق على الآلهة بوجه عام فيما عدا إطلاقه فى نصوص رأس الشمرا الكنعانية على الإله الأكبر بعل فيقال فيما عدا هذا الاستثناء بعل هذا الإقليم أو ذاك مثل بعل صور أو بعل لبنان بمعنى سيد صور وسيد لبنان والمهم أن هذا الإصطلاح كان يومئذ اسم جنس محتاجا إلى وصف يحدد مدلوله (١) .

فكانت عبادة البعل عمومية بين أهالى المشرق فى الزمن القديم ولذلك ترى له أسماء عديدة ، وما ذلك إلا لأن كل أمة كانت تسميه باسم يعرف به عند شعبها ، وكان الاسم يبتدئ غالبا ببعل وينتهى باسم تلك البلاد أو المدينة الموجودة فيها نحو « بعل فغور » الذى كان يعبده المؤابيون ، و « بعل بريث » الذى كان يعبده الكنعانيون ، و « بعل زبوب » الذى كان يعبده الفلسطينيون ، وقد عبد اليهود هذه البعول الثلاثة (٢) .

وتشير التوراة اليهودية إلى هذه الآلهة التى تنسب إلى بعل بصيغة الجمع فى اللغة العبرانية وهى « البعليم » وقد يقصد بهذا اللفظ أحيانا الآلهة الوثنية عموما (٣) .

وقد بدأ اليهود عبادة البعل فى عصر موسى وفى عصر القضاة وازدهرت هذه العبادة فى عصر الإنقسام فأدخلت فى المملكة الشمالية فى عهد اخآب عن طريق زوجه ايزابيل الفينيقية ودخلت فى المملكة الجنوبية عن طريق ابنتها « عثليا » التى تزوجت يهورام ملك يهوذا .

وسنتعرض لذلك كله بالتفصيل .

---

(١) الحضارة الفينيقية صـ١١٩ ـ ١٢٠ .

(٢) راجع ول ديورانت : قصة الحضارة مجلد ١ جـ٢ صـ٣١٥ .

د / إيفار ليسنر : الماضي الحي صـ١٠٧ ترجمة شاكر سعيد .

أنيس فريحة : ملاحم وأساطير من أوغاريت صـ٤٧ .

قاموس الكتاب المقدس صـ١٨١ ، زكي شنودة : اليهود صـ٤٨٦ .

(٣) زكي شنودة : المصدر السابق .

عبادة بعل فغور فى عصر سيدنا موسى عليه السلام :

ورد فى الإصحاح الخامس والعشرين من سفر العدد قوله « وابتدأ الشعب يزنون مع بنات مؤاب فدعون الشعب إلى ذبائح آلهتهن فأكل الشعب وسجدوا لآلهتهن وتعلق إسرائيل ببعل فغور ، فغضب الرب على إسرائيل فقال الرب لموسى خذ جميع رؤس الشعب وعلقهم للرب مقابل الشمس فيرتد غضب الرب عن إسرائيل فقال لموسى لقضاة إسرائيل اقتلوا كل واحد قومه المتعلقين ببعل فغور » (١) .

وبعل فغور هو إله مؤابى و كان فى الأصل طبعا إلها كنعانيا لأن المؤابيين عبدوا آلهة الكنعانيين وسمى بذلك لأنه كان يعبد فى جبل فاغور أو فغور (٢) .

عبادة البعل فى عصر القضاة :

حينما دخل الإسرائيليون أرض كنعان واتصلوا بالكنعانيين عبدوا آلهتهم و كان الإله بعل من أبرز الآلهة الكنعانية التى عبدوها فى عصر القضاة إذ كانوا عاكفين على مذبحة يقدمون له القرابين ويدفعون عنه بكل الوسائل .

يذكر سفر القضاة أن الرب أمر قاضيهم جدعون أن يهدم مذبح البعل الذى لأبيه وأن يقطع السارية التى عنده وأن يبنى مذبحا للرب الهه بدلا منه .

« فأخذ جدعون عشرة رجال من عبيده وعمل كما كلمه الرب وإذ كان يخاف من بيت أبيه وأهل المدينة أن يعمل ذلك نهارا فعمله ليلا » .

فبكر أهل المدينة فى الغد وإذا بمذبح البعل قد هدم والسارية التى عنده قد قطعت فقالوا : الواحد لصاحبه من عمل هذا الأمر ؟ فسألوا وبحثوا فقالوا إن جدعون ابن يوآش قد فعل هذا الأمر ، فقال أهل المدينة ليوآش اخرج لكى يموت لأنه هدم مذبح البعل وقطع السارية التى عنده » .

ثم بعد ذلك رأوا « أن يدعوه حتى يقاتله بعل نفسه ، لأنه هدم مذبحه ومن ثم أطلقوا على جدعون يربعل قائلين ليقاتله البعل (٣) .

---

(١) عدد ٢٥ : ١ ــ ٥ .

(٢) فاغور : جبل فى مؤاب يشرف على البرية (قاموس الكتاب المقدس صـ٦٨٢) .

(٣) راجع سفر القضاة ٦ : ٢٥ ــ ٣٢ .

وإذا كان جدعون قد هدم مذبح البعل فإن الإسرائيليين بعد موته سرعان ماعادوا إلى عبادته ونسوا ربهم .

يقول السفر : « وكان بعد موت جدعون أن بنى إسرائيل رجعوا وزنوا وراء البعليم وجعلوا لهم بعل بريث [1] إلها ولم يذكر بنو إسرائيل الرب إلههم الذى أنقذهم من جميع أعدائهم » [2] .

عبادة الإسرائيليين البعل فى عصر الإنقسام :

أولاً : فى المملكة الشمالية :

١ ـ فى عهد آخاب :

دخلت عبادة البعل فى مملكة إسرائيل الشمالية عن طريق ايزابل الفينيقية التى تزوجها اخآب وكانت بنت اثبعل ملك الفينيقيين وتزوجها من أجل تدعيم الصلات والروابط بينه وبين الفينيقيين لكن كما يقول « كونتنتو » كان اثبعل شديد التحمس لدينه الوثنى ، وكذلك ابنته ايزابيل فلما زوجها للملك اخآب اتجه نفوذها وهى ملكة جديدة إلى إحلال آلهة الفينيقيين شيئا فشيئاً محل عبادة الله فى مملكة إسرائيل » [3] .

وتم هذا الزواج فى وسط بنى إسرائيل على نمط زواج الفينيقيين وعاداتهم مما يعد بداية لانتشار العادات والديانات الفينيقية فى البلاد [4] .

وتذكر كاترين هنرى أن خطورة هذا الزواج تمثلت فى أن فينيقية كانت دولة وثنية وقد انطبعت على حياة إسرائيل مؤثرات وثنية وتسربت إلى البلاد العادات والعبادات الوثنية بتأثير الملكة ايزابيل وتغلغلت فى إسرائيل عبادة الأوثان الكنعانية

---

(١) جاء فى القاموس أن بعل بريث : معناه رب العهد وهو الاسم الذى كان يعبد به البعل فى شكيم فى زمن القضاة وكان له هيكل هناك وأحيانا كان يعرف باسم « ايل بريث » أى إله العهد (قاموس الكتاب المقدس صـ١٨٢) .

(٢) سفر القضاة ٨ : ٣٣ ـ ٣٥ .

(٣) الحضارة الفينيقية صـ٧٤ راجع أيضا : دكتور عبد الحميد زايد : الشرق الخالد صـ٢٧٣

(٤) هوارى نقلا عن مصدر عبرى : الألوهية عند بنى إسرائيل صـ٣٤٠ .

الفينيقية بدلا من عبادة الإله الواحد (١) .

فقد كانت ايزابيل الوثنية ذات شخصية قوية وسيطرت على زوجها اخآب وكان ضعيف الإرادة قليل العزيمة ، ولأنها كانت تعبد الإله « بعل » (بعل صور ـ ملقارت) فقد حاولت فرض عبادته على مملكة اسرائيل ولعبت دورا هاما فى صبغ عبادته بالصبغة الرسمية فى المملكة وانساق وراءها اخآب فقد قام بنفسه تحت تأثيرها ببناء معبد ومذبح للبعل فى السامرة (٢) .

فشاع فى عصر اخآب وتفشى فى أيامه الانحلال الدينى والخلقى بشكل واضح بين الإسرائيليين فقد استغرقوا فى الملذات والملاهى بعد أن تركوا عبادة الرب تركا تاما واتخذوا البعل إلها واحدا للبلاد ولذلك امتاز عصره بظهور أنبياء مشهورين ونزاعهم معه (٣) .

---

(١) التاريخ فى الكتاب صـ٧٢ ـ ٧٣ ، راجع أيضا صموئيل شولتز : العهد القديم يتكلم صـ٢٣٤ ـ ٢٣٥ .

(٢) راجع تفاصيل ذلك : د / فيليب حتى : تاريخ سورية جـ١ صـ٢٠٩ ـ ٢١١ قاموس الكتاب المقدس صـ٣٠ ، د / حسن أحمد محمود : العبرانيون ضمن حضارة مصر والشرق القديم صـ٣٦٤ ، هوارى : الألوهية عند بنى إسرائيل صـ٣٣٩ ـ ٣٤١ .

ويبدو أن عبادة البعل التى طغت على ديانة بنى إسرائيل فى عصر اخآب كانت تحمل جذور الوثنية الشعبية التى ضربت فى ديانة بنى إسرائيل ونبتت فى تاريخهم الدينى بعد دخولهم أرض كنعان ، فقد استمد بنو إسرائيل عبادة البعل من الثقافة الكنعانية أى أنها موروثة عن الكنعانيين الذين امتزجوا بهم عندما دخلوا البلاد ومن ثم فإن عقيدة « يهوه » « تكنعنت » قبل ظهور اخآب وايزابيل وتحولت إلى عقيدة « توفيقية » بين « يهوه » و « بعل » ولكن هذه الحركة التوفيقية زادت مع ظهور ايزابيل التى حاولت إحلال عقيدة « بعل صور ـ ملقارت » محل عقيدة « يهوه » القديمة ، ولابد أن تكون محاولة ايزابيل قد وجدت أرضا خصبة تتقبل أفكارها ومن المرجح أن الجو لم يكن قد خلا من نسمات عبادة البعل التى تسربت إلى أوساط شعبيه فى أزمنة سابقة نتيجة الاحتكاك بالكنعانيين أهل البلاد الأصليين .

راجع روبنسون : تاريخ إسرائيل : نقلا عن محمد على .

حسن هوارى : الألوهية عند بنى إسرائيل صـ٣٤١ ـ ٣٤٢ ، ٥١٣ ـ ٥١٤ .

(٣) بطرس البستانى : دائرة المعارف مجلد ٣ صـ٤٨٢ .

د / حسن ظاظا : الفكر الدينى صـ٤٥ .

وإن كان هناك من يذهب إلى أن الشعب الإسرائيلى قد سيق فى عصر اخآب وايزابيل إلى عبادة توفيقية ، أى إلى اشراك بعل مع يهوه وأن النبيين ايليا واليشع حاربا هذا الاشراك (١) .

ولعل الأرجح أن الشعب قد استغرق تماما فى عبادة البعل أول عصر اخآب حتى إذا ما أرسل الرب الأنبياء وبدأوا يحاربون هذه العبادة وقف الإسرائيليون موقفا وسطا فقاموا بالتوفيق بين عبادتى يهوه وبعل .

وقد بلغ من تأثير عبادة البعل على الإسرائيليين وانتشارها بينهم أن بلغ عدد الذين كانوا يزعمون أنهم أنبياؤه من اليهود فى عهد اخآب أربعمائة وخمسين نبيا غير أربعمائة آخرين كانوا منتشرين فى السوارى الوثنية التى أقامها اليهود وكان هؤلاء جميعا يتمتعون برعاية الملكة ايزابل ويأكلون على مائدتها (٢) .

وقد حدثت مواجهة بين مدعى النبوة وبين النبى ايليا وكانت نهاية الصراع بين النبى ايليا وبين عبادة البعل .

يذكر سفر الملوك الأول أن الرب أرسل ايليا إلى اخآب فلما رآه قال له اخآب آأنت هو مُكدِّر إسرائيل فقالَ ايليا لم أُكدِّر إسرائيل بل أنت وبيت أبيك بترككم وصايا الرب وسيرك وراء البعليم .

فالآن أرسل واجمع إلى كل إسرائيل إلى جبل الكرمل وأنبياء البعل الأربع مائة والخمسين وأنبياء السوارى الأربع مائة الذين يأكلون على مائدة ايزابيل (٣) .

ويذكر السفر أن جميع بنى إسرائيل وجميع مدعى النبوة أتوا إلى جبل الكرمل بعد أن أرسل إليهم اخآب .

وهنا تقدم ايليا إلى جميع الشعب وقال « حتى متى تعرجون بين الفرقتين إن كان الرب هو الله فاتبعوه وإن كان البعل فاتبعوه ، ولكن الشعب ــ كما يقول السفر ــ لم يجبه بكلمة (٤) .

---

(١) هوارى : الألوهية عند بنى إسرائيل صـ٣٤٢ .

(٢) ملوك أول ١٨ : ١٩ ، زكى شنودة اليهود صـ٤٨٦ .

(٣) ملوك أول ١٨ : ١ ــ ٢ ، ١٧ ــ ١٩ .

(٤) ملوك أول ١٨ : ٢٠ ــ ٢١ .

ثم بدأت المواجهة أو المباراة حينما طلب منهم ايليا إحضار ثورين وأن يقدموا ثورا كمحرقة للبعل على أن يقدم هو ثورا آخر للرب سبحانه ولينظر أيهما يرسل نارا تلتهم المحرقة الرب أم البعل .

ففعل ذلك أنبياء البعل وأخذوا يدعون البعل ولكنه لم يستجب لهم لكن ايليا بمجرد أن دعا الرب سبحانه استجاب له ونزلت نار من السماء والتهمت المحرقة ، فأعلن الشعب أن الرب هو الإله وبناء على أمر ايليا قاموا بقتل أنبياء البعل الكذابين !.

وحينما أخبر اخآب ايزابل بما فعله ايليا توعدته وهددته بالقتل فهرب إلى الجنوب وطلب من الله ـ كما ورد فى السفر ـ الموت لنفسه ! ! ! ولكن الله أرسل له ملاكا ليشجعه ثم بعثه ليصبح ياهو ملكا على إسرائيل (١) .

لكن انتصار ايليا على أنبياء البعل الكذبة لم يكن معناه القضاء على تلك العبادة تماما فربما يكون قد ألحق بها ضربة بالغة بوجه عام إلا أنها لم تكن مميتة فقد استمرت ايزابيل على قوتها حتى اضطرته إلى الهرب وهذا يعكس مدى استمرار نفوذها فى المملكة .

ويذكر محمد حسن هوارى أن تجربة ايليا قد نجحت ـ بلاشك ـ ولكن بصورة مؤقتة فى مقاومة البعولية ، وأن عبادة البعل عادت بعدها إلى الحياة من جديد (٢) .

ولعل من الأهمية بمكان أن نشير ـ ولكن بحذر شديد ـ إلى أن ايليا هذا ربما يكون هو النبى الياس عليه السلام الذى ورد ذكره فى القرآن الكريم حيث إن قصة هذا النبى الكريم تشير إلى أنه نعى على قومه عبادة ودعوة البعل وتركهم ربهم أحسن الخالقين .

يقول الله تعالى : ﴿ وإن الياس لمن المرسلين ، إذ قال لقومه ألا تتقون ، أتدعون بعلا وتذرون أحسن الخالقين الله ربكم ورب آبائكم الأولين فكذبوه فإنهم لمحضرون إلا عباد الله المخلصين ، وتركنا عليه فى الآخرين ، سلام على ال ياسين ،

---

(١) راجع ملوك أول ١٨ : ٢٢ ـ ٤٦ ، ملوك أول ١٩ : ١ ـ ١٦ راجع أيضا قاموس الكتاب المقدس صـ١٤٤ .

(٢) الألوهية عند بنى إسرائيل صـ٣٤٧ ـ ٣٤٨ .

إنا كذلك نجزى المحسنين إنه من عبادنا المؤمنين ﴾ (١) .

٢ ـ فى عهد اخزيا بن اخآب :

يذكر سفر الملوك الأول أن أخزيا بن اخآب عمل الشر فى عينى الرب ، وسار فى طريق أبيه وطريق أمه وطريق يربعام الذى جعل اسرائيل يخطىء ، وأنه عبد البعل وسجد له وأغاظ الرب إله إسرائيل حسب كل مافعله أبوه (٢) .

وهذا مما يدل على استمرار عبادة البعل بعد موت اخآب ، بل إن اخزيا طلب الشفاء أثناء مرضه من البعل دون الرب (٣) .

يذكر سفر الملوك الثانى أن « أخزيا سقط من الكوة التى ، فى عليته التى فى السامرة فمرض وأرسل رسلا وقال لهم اذهبوا اسألوا بعل زبوب اله عقرون إن كنت أبرأ من هذا المرض فقال ملاك الرب لايليا قم اصعد للقاء رسل ملك السامرة وقل لهم أليس لأنه لايوجد فى إسرائيل إله تذهبون لتسألوا بعل زبوب إله عقرون ، فلذلك هكذا قال الرب إن السرير الذى صعدت عليه لاتنزل عنه بل موتا تموت » (٤) .

وحدث فعلا أنه مات ولم يتم شفاؤه كما ذكر السفر (٥) .

---

(١) الصافات : ١٢٣ ـ ١٣٢ ، راجع تفسير القرطبى جـ١٩ صـ١١٥ ـ ١١٩ ، وسيد قطب فى ظلال القرآن مجلد ٥ صـ٢٩٩٧ ـ ٢٩٩٨ ، راجع أيضا د / محمد بيومى مهران جـ٨ صـ٩١٢ ـ ٩١٣ ، مهندس أحمد عبد الوهاب : النبوة والأنبياء فى اليهودية والمسيحية والإسلام صـ٥١ ـ ٥٧ الناشر مكتبة وهبة الطبعة الأولى ١٩٧٩ م .

(٢) ملوك أول ٢٢ : ٥٢ ـ ٥٣ .

(٣) كان بعلزبول اله عقرون (إحدى مدن الفلسطينيين الخمس) ثم حرفه اليهود إلى « بعل زبوب أو بعلزبوب » ومعناه « بعل الأقذار » أو إله الذباب وتسمى هذا الاسم اعتقادا من عابديه فى قدرته على جلب هذه الحشرات لهم ودفع أذاها عنهم وهى حشرات كانوا يعتبرونها أرواحا حارسة لأمراض معينة ومن هنا ندرك السبب الذى من أجله أرسل اخزيا لاستشارة هذا البعل (راجع أنيس فريحة : ملاحم وأساطير من أوغاريت صـ٤٧ ـ ٤٨ ، قاموس الكتاب المقدس صـ١٨٣ ـ ٦٣٣ ، لودز : إسرائيل صـ١٠٩ ـ ١١٠ ، نقلا عن هوارى : الألوهية عند بنى إسرائيل صـ٣٧ .

(٤) ملوك ثان ١ : ٢ ـ ٤ .

(٥) راجع سفر الملوك الثانى : ١ : ٥ ـ ١١٧ .

٣ ـ في عهد يهورام بن اخآب :

يذكر سفر الملوك الثانى أن يهورام عمل الشر فى عينى الرب ولكن ليس كأبيه وأمه فإنه أزال تمثال البعل الذى عمله أبوه إلا أنه لصق بخطايا يربعام ولم يحد عنها(١) .

ويذكر رينجرين أن يهورام قد اتخذ فى بداية ملكه كثيرا من الإجراءات التى كانت نتيجة لما بذله ايليا من جهود فى سبيل محاربة البعل فأزال يهورام رموزا معينة لعبادة البعل وبدا واضحا أنه لم يعتزم اتباع السياسة الدينية التى سار عليها أبوه من قبل (٢) .

ويبدو أن سياسته الدينية كانت متمشية مع الحركة التوفيقية التى سادت البلاد منذ عصر يربعام (بين يهوه وعجلى الذهب) ، وبين (يهوه والبعل) ثم حاول هو التخفيف من هذه التوفيقية ، فإزالته لتمثال البعل كانت نوعا من التطهير الدينى لكن من الواضح أنه لم يقض تماما على عبادة البعل فى مملكة إسرائيل (٣) .

ثورة ياهو على عبادة البعل :

يذكر سفر الملوك الثانى أن ياهو بعد أن تولى الحكم قام بمذبحة مروعة قضى فيها على عبدة البعل وأزال تماثيلهم وتبين الطريقة التى احتال فى تنفيذها أن عبادة البعل كانت لايزال لها تأثير كبير فى نفوس الإسرائيليين .

يقول السفر « ثم جمع ياهو كل الشعب وقال لهم إن اخآب قد عبد البعل قليلا وأما ياهو فإنه يعبده كثيرا والآن فادعوا جميع أنبياء البعل وكل عابديه وكل كهنته ، لايفقد أحد لأن لى ذبيحة عظيمة للبعل ، ..... وقد فعل ياهو بمكر لكى يفنى عبدة البعل ، وقال ياهو قدسوا اعتكافا للبعل فنادوا به وأتى جميع عبدة البعل ودخلوا بيت البعل الذى امتلأ من جانب إلى جانب ! ! فقال ياهو للذى على الملابس أخرج ملابس لكل عبدة البعل فأخرج لهم ملابس » .

---

(١) ملوك ثان ٣ : ٢ ـ ٣ .

(٢) هوارى : الألوهية عند بنى إسرائيل صـ٣٥١ .

(٣) روبنسون : تاريخ إسرائيل نقلا عن المصدر السابق صـ٣٥٢ .

« ودخل ياهو إليهم وقال لهم فتشوا وانظروا لئلا يكون معكم ها هنا أحد من عبيد الرب ، ودخلوا ليقربوا ذبائح ومحرقات » .

وأمر رجاله أن يدخلوا عليهم بعد أن ينتهوا من تقريب محرقاتهم ليقتلوهم وفعلا قضوا عليهم جميعا ثم انطلقوا إلى بيت البعل « وأخرجوا تماثيله وأحرقوها وكسروا تمثال البعل وهدموا بيته وجعلوه مزبلة إلى هذا اليوم » (١) .

ويذكر السفر أن ياهو استأصل عبادة البعل من مملكة إسرائيل (٢) .

وبالرغم من ذلك فإن هناك من يذكر أن عبادة البعل لم تمح تماما من المملكة وإنما استمرت أيضا بعد هذه المذبحة (٣) .

ثانيا : دخول عبادة البعل إلى المملكة الجنوبية :

لقد سبق أن أشرت إلى أن يهورام بن يهو شافاط (ملك يهوذا) تزوج من عثاليا بنت اخآب من ايزابل .

وإذا كانت أمها قد أدخلت ديانتها الوثنية إلى المملكة الشمالية فإن عثليا ـ بعد أن تزوجت من يهورام أدخلت دينها الوثني ـ كما يقول كونتنتو ـ في مملكة يهوذا وأحلت عبادة البعل محل عبادة يهوه » (٤) .

ويذكر صموئيل شولتر أن تغييرات عنيفة طرأت على الجو الديني في مملكة يهوذا بعد موت يهوشافاط ذلك لأن عثليا كانت من المؤيدين لعبادة البعل مثل أمها ايزابيل فقد عملت على تصعيد ممارسة عبادة الأوثان في أورشليم وفي سائر أنحاء يهوذا فاستخدمت الأشياء المكرسة المحفوظة في الهيكل في أغراض خاصة بالبعل وعينت كاهنا أعلى للبعل في أورشليم ولاشك أن سفك الدماء والاضطهاد الذي حدث بسبب عبادة البعل في المملكة الشمالية ابان حكم ياهو هيأ لها فرصة سانحة

---

(١) راجع ملوك ثان : ١٠ : ١٨ ـ ٢٧ .

(٢) ملوك ثان ١٠ : ٢٨ .

(٣) راجع هوارى : الألوهية عند بني إسرائيل صـ٣٥٨ ـ ٣٥٩ .

(٤) الحضارة الفينيقية صـ٧٤ راجع أيضا د / عبد الحميد زايد : الشرق الخالد صـ٢٧٢ ـ ٢٧٣ .

لكى تثبت هذه العبادة فى يهوذا فى هذه الفترة (١) .

فقد كان لها تأثير كبير على زوجها يهورام الذى انقاد لها واتبع سياسة أبيها اخآب .

جاء فى سفر الملوك الثانى والأخبار الثانى عنه مانصه :

« وسار فى طريق ملوك إسرائيل كما فعل بيت اخآب لأن بنت اخآب كانت له امرأة وعمل الشر فى عينى الرب » (٢) .

وفى سفر الأخبار ورد أن ايليا أرسل إليه قائلا :

« هكذا قال الرب من أجل أنك لم تسلك فى طريق يهوشافاط أبيك وطريق آساملك يهوذا بل سلكت فى طريق ملوك إسرائيل وجعلت يهوذا وسكان أورشليم يزنون كزنا بيت اخآب وقتلت أيضا إخوتك من بيت أبيك الذين هم أفضل منك ، هوذا يضرب الرب شعبك وبيتك ونساءك وكل مالك ضربة عظيمة واياك بأمراض كثيرة بداء أمعائك حتى تخرج أمعاؤك بسبب المرض يوما فيوما » (٣) .

وحينما مات يهورام تولى ابنه اخزيا فسار على نفس سياسة أبيه تجاه عبادة البعل وكان هذا بتأثير أمه عثليا بنت اخآب أيضا .

يقول عنه سفر الأخبار الثانى « وهو أيضا سلك فى طريق بيت اخآب لأن أمه كانت تشير عليه بفعل الشر ، فعمل الشر فى عينى الرب مثل بيت اخآب ، لأنهم كانوا له مشيرين بعد وفاة أبيه لإبادته فسلك بمشورتهم » (٤) .

وحينما علمت أمه بمقتله على يد ياهو قامت فأبادت جميع النسل الملكى من بيت يهوذا وأعلنت نفسها ملكة على يهوذا لمدة ست سنوات (٥) .

ويبدو أن عثليا ـ كما يقول رينجرين ـ كانت تبسط سلطانها ونفوذها على

---

(١) العهد القديم يتكلم صـ٢٦٩ ـ ٢٧٠ .

(٢) ملوك ثان ٨ : ١٨ ، أخبار ثان ٢١ : ٦ .

(٣) أخبار ثان ٢١ : ١٢ ـ ١٥ .

(٤) أخبار ثان ٢٢ : ٣ ـ ٥ راجع أيضا سفر الملوك الثانى ٨ : ٢٧ .

(٥) ملوك ثان ١١ : ١ ، ٣ أخبار ثان ١٢٢ : ١٠ ، ٢٢ .

البيت المالك حتى بعد موت زوجها يهورام وكانت تتمتع بنفوذ قوى وهيمنة أوسع مما تتمتع به الملكة الزوجة ـ زوجة ابنها اخزيا ـ ولم يكن موت زوجها سببا فى إضعاف قوته أو تحجيم نفوذها (١) .

ثم حدث فى السنة السابعة من حكمها أن استدعى الكاهن يهويا داع قواد الجيش والكهنة واللاويين وشيوخ الشعب إلى أورشليم وقاموا بتنصيب يهوآش ملكا على يهوذا وأقسموا له يمين الولاء (٢) .

ويذكر السفر « أن عثليا لما سمعت صوت الشعب يركضون ويمدحون الملك دخلت إلى الشعب فى بيت الرب ونظرت وإذا الملك واقف على منبره ، فشقت ثيابها وصرخت خيانة خيانة فأمر يهويادا ع قواد الجيش بقتلها فأخرجوها من بيت الرب وقتلوها مع من اتبعها (٣) .

ويذكر السفر « أن » جميع الشعب دخل إلى بيت البعل وهدموا مذبحه وكسروا تماثيله تماما وقتلوا كاهن البعل أمام المذبح » (٤) .

وهكذا وجدنا أن عبادة البعل قد دخلت المملكتين فى عصر الانقسام عن طريق امرأتين فينيفيتين (ايزابل الأم فى الشمال ، وعثليا الابنة فى الجنوب) وكان لهما دور كبير فى التأثير على اليهود ونشر عبادة البعل بينهم .

عبادة اليهود للآلهة الأشوريين :

لقد سبق أن تبين لنا كيف خضع اليهود للأشوريين ووقعوا تحت قبضتهم وكيف حدث تخريب السامرة ووقع السبى الأشورى ، وقد كان لهذا الخضوع وذلك السبى أثرهما على الديانة اليهودية حيث تأثرت بالديانة الأشورية .

ذلك أن الملوك الأشوريين ـ والبابليين من بعدهم ـ لكى يوطدوا سلطتهم على

---

(١) نقلا عن هوارى : الألوهية عند بنى إسرائيل صـ٣٧٥ .

(٢) راجع سفر الملوك الثانى ١١ : ١ ـ ١٢ ، أخبار الأيام الثانى ٢٣ : ١ ـ ١١ .

(٣) ملوك ثان ١١ : ١٣ ـ ١٦ ، أخبار ثان ٢٣ : ١٢ ـ ١٥ .

(٤) ملوك ثان ١١ : ١٨ ، أخبار ثان ٢٣ : ١٧ .

الأقاليم الخاضعة لهم كانوا يقومون بإدخال دين الامبراطورية الرسمى فى عواصم هذه الأقاليم إلى جانب الأديان المحلية وكانوا يفرضون عبادة الأرباب الأشوريين على شعوب تلك الأقاليم (١) .

وكانوا يعتبرون ذلك علامة على سيادتهم وتفوقهم فكأن مألوفا أن نرى من يقدس فرع شجرة خضراء أو أجمة خضراء أو قرص الشمس المجنح الذى يرمز إلى الإله أشور (٢) .

وقد سبق أن أشرت أيضا إلى استنجاد (آحاز ملك يهوذا) بالملك الأشورى رغم معارضة اشعيا النبى .

إذ حاول اشعيا أن يثنيه عن ذلك وأخذ يشجعه إلا أن آحاز كان قد فقد الثقة فى نفسه وفى ربه (يهوه) ! ! كذلك .

ومن ثم قرر أن يستدعى قوات أشور لحمايته ثم أرسل الهدايا من خزائن المعبد إلى « تجلات بلاسر » سائلا اياه بل وملحا فى سؤاله أن ينقذه من ملكى دمشق والسامرة على شريطة أن يكون « عبدا وابنا » (٣) .

وهنا بدأت الأتصالات اليهودية الأشورية التى نشأ عنها دخول لأشكال من العبادات الأجنبية إلى المملكة الجنوبية إذ قدس اليهود الآلهة الأشورية وأخذوا عنهم الكثير من التعاليم الدينية ، وأدخل آحاز بدعا معينة على طقوس وشعائر المعبد فى أورشليم (٤) .

يقول روبنسون « وظل السلطان الأشورى فى الجنوب سائدا بل إن مظاهر

---

(١) نوث نقلا عن د / مهران جـ٨ صـ١٠٣٤ ، د / عبد العزيز صالح : مصر والعراق صـ٥٢٢ .

(٢) روبنسون : تاريخ إسرائيل نقلا عن هوارى : الألوهية عند بنى إسرائيل صـ٣٨٥ .

(٣) راجع سفر الملوك الثانى ١٦ : ٧ ـ ٨ ، تيودور روبنسون : إسرائيل فى ضوء التاريخ صـ١٢٢ كوك : نقلا عن د / مهران جـ٨ صـ٩٣٧ ، قاموس الكتاب المقدس صـ٢ ، راجع فصل فترات السبى من الباب الثانى راجع د / سامى سعيد الأحمد : الأسس التاريخية للعقيدة اليهودية صـ٢١ ـ ٢٣ .

(٤) د / عبد الحميد زايد : الشرق الخالد صـ٣٨١ محمد على هوارى : الألوهية عند بنى إسرائيل صـ٣٨٥ .

العبادة قد حورت وكان ذلك من مقتضيات الخضوع لأشور ، فمن الواضح أن ضربا من العبادات الأشورية قد أدخل إلى أورشليم ولعل من ذلك تمجيد الأجرام السماوية(١) .

وقد ذهب احاز إلى دمشق مع غيره من الملوك الخاضعين لأشور لتقديم فروض الولاء للملك أشور (تغلاث فلاسر) ، وهناك رأى مذبحا وثنيا فأعجب به وأراد أن يقيم مثله فى معبد أورشليم ، فأرسل إلى كهنته يوصيهم بذلك .

يقول سفر الملوك الثانى « وسار الملك آحاز للقاء تغلاث فلاسر ملك أشور ، ورأى المذبح الذى فى دمشق وأرسل الملك إلى أوريا الكاهن شبه المذبح وشكله حسب كل صناعته فبنى أوريا الكاهن مذبحا حسب كل ماأرسل الملك آحاز من دمشق ، فلما قدم الملك من دمشق رأى المذبح فتقدم إليه وأصعد عليه وأوقد محرقته وسكب سكيبه ورش دمه ذبيحة السلامة التى على المذبح (٢) .

وترى كاترين هنرى أن هذا المذبح الوثنى قد أقامه الأشوريون فى دمشق لعبادة ملكهم الذى حسبوه إلها ولعل الأشوريين أرادوا أن يشاركوا صنائعهم فى عبادتهم فأمروا آحاز أن يقيم مثل هذا المذبح فى أورشليم فأخذوا نموذجاً منه وأقامه فى الهيكل (٣) .

وربما ظن البعض أن هذا المذبح كان آراميا حيث كان فى دمشق عاصمة الآراميين لكن هذا غير صحيح لأنه لايوجد مايبرر استعارة آحاز لأى عنصر من عناصر عبادة دولة مقهورة ومدمرة .

بالإضافة إلى أنه كانت لديه بواعث أقوى جعلته يحاكى نمطا من المذابح الأشورية بل ربما كان مضطرا إلى أن يدخل عنصرا ما من عناصر العبادة الأشورية(٤) .

---

(١) روبنسون : إسرائيل فى ضوء التاريخ صـ١٢٢ ، د / فؤد حسنين على : إسرائيل عبر التاريخ صـ٧٠ د / سامى سعيد الأحمد : الأسس التاريخية صـ٢٢ .

(٢) ملوك ثان ١٦ : ١٠ ـ ١٣ .

(٣) التاريخ فى الكتاب صـ٧٨ . راجع أيضا روبنسون : إسرائيل فى ضوء التاريخ صـ١٢٢

(٤) محمد على حسن هوارى : الألوهية عند بنى إسرائيل صـ٣٨٦

من آلهة البابليين :

وفيما يتعلق بآلهة البابليين فقد سبق أن أشرت إلى أن اليهود الذين سبوا إلى بابل قد استهوتهم الديانة البابلية فعبدوا آلهتها ومارسوا طقوسها الوثنية حتى ذكر ول ديورانت أن طائفة منهم مطردة الزيادة أخذت تعبد الآلهة البابلية وتألف الأساليب الشهوانية الشائعة فى العاصمة القديمة (بابل) حتى اذا كان الجيل الثانى من أبنائهم كانت ذكرى أورشليم قد محيت من أذهانهم [1] .

تموز وعشتروت :

ومن الآلهة البابلية التى عبدها اليهود الالهان (تموز وعشتروت) وكانت عبادة الاله (تموز) تتضمن طقوسا داعرة يزاول فيها الرجال والنساء الدعارة فى هيكله وكانت النسوة تبكين مرة كل سنة حزنا على موته فى الأسطورة التى كانوا يتداولونها عنه [2] ، وكان اليهود يفعلون كل ذلك فى عبادة تموز داخل هيكل أورشليم نفسه [3] .

وعبد اليهود الالهة (عشتروت) التى كانت تعبدها أغلب الشعوب الوثنية مع البابليين وكانوا يعتقدون أنها ملكة السماوات والهة القمر ، وأنها زوجة الاله (تموز) وأخته فى الوقت نفسه ، وكانوا يبنون هياكلها فوق التلال والمرتفعات ويحيطونها بالأشجار الخضراء وكانت عبادتها كعبادة تموز تتضمن طقوسا داعرة ، وتنطوى على كثير من معالم الخلاعة فكانت النساء يزاولن الدعارة فى هيكلها ليلا ويقمن بتطريز الخيام لهيكلها نهاراً واذ كانت تميل إلى العلاقة الجنسية كانت كاهناتها عاهرات يمارسن هذه العلاقة كطقس دينى كما كان المأبونون الذكور

---

(١) قصة الحضارة مجلد ١ جـ ٢ صـ ٣٦٢ راجع السبى البابلى فى فترات السبى والاضطهاد .

(٢) كان الاله تموز يعد اله الأرض السفلى عند البابليين وكانوا يتصورون أنه يموت سنويا ثم يعود إلى الحياة مع السنة الجديدة وتقول الأسطورة انه بينما كان يموت فى الأرض السفلية توقفت الحياة على ظهر الأرض ثم اخترقت عشتار (عشتروت) الدنيا السفلية ومنحته الشفاء (راجع تفاصيل هذه الأسطورة : ول ديورانت : قصة الحضارة المجلد الأول صـ ٢١٩ ـ ٢٢١ .

(٣) راجع حزقيال ٨ : ١٣ ـ ١٤ ، قاموس الكتاب المقدس صـ ٢٢٢ ، زكى شنودة : اليهود صـ ٤٨٤ ـ ٥٨٥ ، د/ فيليب حتى : تاريخ سورية جـ ١ صـ ١٢٦ .

يمارسون العلاقات الشاذة مع أمثالهم من الذكور اكراما لها .

وقد أدخلت عبادتها فى بنى اسرائيل فى بداية عصر الانقسام وظلوا يعبدونها فى كل مراحل تاريخهم القديم (١) .

هـذا وقـد مـارس اليـهـود البغـاء الدينى ، أو مـا يسـمى بالعهـر المقـدس تأثرا بالبابليين (٢) ، ومارسـوا طقوسـه الخليعـة وتوجد شواهـد كثيـرة تدل على ذلك من كتابهم المقدس (٣) .

كان كهنة اليهـود يمارسون هذا البغاء فارتكبوا أقـذر أنواع العبادة الوثنية وسط الغابات وعلى المرتفـعات ومارسوا الطقوس الشـهوانية فكانوا يضاجـعون النساء فى خيمة الاجتماع وفى المعبد وشاع هذا بين أفراد الشعب (٤) .

من آلهة العمونيين والمؤابيين :

وقـد عبد اليهـود أيـضـا كلا من الإله « مـولك » أو « ملكوم » العمونى والاله « كموش » المؤابى وقدموا لهما القرابين البشرية :

فالاله « مـولك » (٥) أو « مـولوك » (٦) هو فى الأصل اله الكنعـانيين وكـانوا يعتبرونه اله النهار أو اله جهنم ثم عبده العمونيون حتى اشتهـر عنهم وأطـلقـوا عليه « ملكوم » (٧) وظل الجميع يرهبونه ويعملون على استرضائه بتقديم أطفالهم ضحايا

---

(١) راجع سـفـر الملوك الثـانى ١١ : ٥ ، ٣٣ / ٢٣ : ١٣ ، غـوسـتـاف لوبون : اليـهـود فى تاريخ الحـضارات الأولى صـ ٦٧ ، د/ فيليب حتى : تـاريخ سورية جـ ١ صـ ١٢٨ ، ود ديورانت : قـصة الحضـارة مجلد ١ صـ ٣١٥ جـ ٢ ، قاموس الكتـاب المقدس صـ ٦٢٨ ، زكى شنودة : اليهود صـ ٤٨٥ ـ ٤٨٦ .

(٢) عـامـوس ٢ : ٧ ـ ٨ ، حزقيـال ٨ : ١٤ ، ميـخـا ١ : ٧ تثنيـه ٢٣ : ١٨ ، جـرهاردوس : علم اللاهوت الكتـابى صـ٤١٢ د / فيليب حتى / تاريخ سـورية جـ١ صـ١٢٧ د / صـبرى جـرجس التراث اليهودى الصهيونى صـ٣٩ .

(٣) راجع تفاصيل الحديث عن البغـاء المقدس لدى البابليـين : ول ديورانت قصة الحضـارة مجلد ١ جـ ٢ صـ ٢٣٠ ـ ٢٣١ .

(٤) راجع تفاصيل ذلك : صمـوئيل الأول ٢ : ٢٢ ـ ٢٦ ، د / ف . ماير : حـياة صمـوئيل صـ ٢٧ زكى شنودة : المجتمع اليهودى صـ ١٥٢ ـ ١٥٣ .

(٥) لاويين ١٨ : ٢١ . (٦) أعمال الرسل ٧ : ٤٣ . (٧) ملوك أول ١١ : ٥ ، صفنيا ١ : ٥ .

له وكانوا يقيمون له صنما ضخما من النحاس المجوف ذا ذراعين ممدودين ويوقدون في داخله النار حتى اذا اشتد احمرار الذراعين من فرط الحرارة ألقوا عليهما أطفالهم ، فتشويهم النار شيا وهم بينذاك يدقون الطبول ليحجبوا صوت صراخ أولئك الأطفال الأبرياء .

وكانوا يفعلون ذلك في أورشليم وفي مختلف أماكن بلادهم وأشهرها مكان يسمى « توفة » (١) ومعناه بالآرامية « مكان الحريق » (٢) .

وكان الاله « كوش » اله المؤابيين قد عبده اليهود أيضا وأطلقوا اسمه على شعبه فقالوا « شعب كموش » « أو أمة كموش (٣) ، وكانت طقوس عبادته تشبه من كل الوجود عبادة ــ الاله (مولك) ، فكانوا يقدمون له الأطفال ضحايا له ، والظاهر أن كموش كان يتصل بملكوم اله العمونيين اتصالا وثيقا (٤) .

من آلهة اليونانيين :

وفيما يتعلق بعبادة اليهود لآلهة اليونانيين فان انطيوكوس الرابع (٥) - كما سبق أن أشرت ــ كان يتبع السياسة التقليدية للأسرة السلوقية التي اعتبرت « الهيللينية » القاسم المشترك الذى سيلتقي عنده جميع رعاياهم ولكن انطيوخوس ذهب أبعد من هذا وبلغ منه أن أعلن نفسه الهـا أو الاله الظاهر (تيوس ابيفانس) وقرن نفسه بهذه المناسبة بالإله (زفس أليمبيوس) (٦) .

والاله « زفس » يعد رئيس الالهة عند اليونان وكان متسلطا على جميع الالهة الوثنية وقد هدف الحكام اليونانيون إلى تعميم عبادته في العالم كله فأقاموا له معابد وتماثيل في كل المدن الهامة تقريباً (٧) .

---

(١) كان هذا المكان يقعل شرقي الوادى الذى تاخم جنوب غربي أورشليم وكان يسمى وادى هنوم أو وادى ابن هنوم أو وادى بنى هنوم . راجع كتابي بالتفصيل « القرابين البشرية » .

(٢) راجع أشعياء ٣٠ : ٣٣ ارميا ٧ : ٣١، ٣٢ : ٣٥ ، قاموس الكتاب المقدس صـ ٢٢٦ ، ٩٣٤ ـ ٩٣٥ ، ٧٢١ ، زكى شنودة : اليهود صـ ٤٨٣ـ ٤٨٤ ، د/ نجيب ميخائيل : مصر والشرق جـ ٣ صـ ٧٠ . (٣) عدد ١ : ٢٩ ، ارميا ٤٨ : ٤٦ .

(٤) راجع قاموس الكتاب المقدس صـ٧٨٧ زكى شنوده ليهود صـ٤٨٦ .

(٥) صاحب أكبر اضطهاد دينى لليهود فى العصر اليونانى (راجع الفصل الأول من الباب الثانى.

(٦) د/ فيليب حتى تاريخ سورية جـ ١ صـ ٢٦٧ . (٧) قاموس الكتاب المقدس صـ ٤٢٦

وقد كان انطيوكوس يعتمد على معاونيه من اليهود فشجع اعتبار « يهوه » مساويا للاله (زفس) وأقام له مذبحا فى هيكل أورشليم بعد أن جردوه من كل كنوزه (١) .

وكما سبق أن ذكرت ـ عند الحديث عن الاضطهاد اليونانى ـ أن الكثيرين من اليهود قد مالوا إلى الوثنية وعبدوا الآلهة اليونانية وقدموا الذبائح إلى كبيرهم الاله « زفس » (٢) .

من آلهة الرومان :

وفيما يتعلق بآلهة الرومانيين فإن الرومان بعد أن استولوا على البلاد ظلوا يعممون عبادة الاله اليونانى « زفس » بعد أن سموه « جوبيتر » الرومانى (٣).

كذلك فان هيرودس حينما تولى الحكم كان كل همه منصرفا ـ كما سبق أن رأينا ـ (٤) إلى تملق الرومان والتزلف اليهم ، فأقام هياكل وثنية لعبادة الامبراطور الرومانى فى أورشليم ذاتها ، وبعد موته تابعه أبناؤه فى سياسة التملق للرومان واقامة الهياكل لعبادة أباطرتهم ومتابعتهم فى كثير من عاداتهم وتقاليدهم الوثنية متجاهلين أحكام الشريعة وكان يساندهمَ فى ذلك كثير من طوائف اليهود ولا سيما طائفة الصدوقيين والهيرودسيين(٥) .

وقد استمر اليهود فى العهد الرومانى كما كانوا فى كل عهودهم التاريخية موسومين بالضلال و الانحلال و النفاق واضمحلال الأخلاق اذ كانوا يتظاهرون باحترام الشريعة اليهودية مدعين الحرص على أحكامها ، والتزمت فى تطبيق هذه الأحكام بينما هم ـ كما يقول زكى شنودة ـ فى حقيقتهم ـ كما كانوا على الدوام ـ عبيد شهواتهم وعباد أصنام (٦) .

---

(١) د/ فيليب حتى : تاريخ سورية جـ ١ صـ ٢٦٧ موجز تاريخ الشرق الادنى صـ ٩٧ .

(٢) راجع الفصل الخاص بفترات الاضطهاد : الاضطهاد اليونانى .

(٣) قاموس الكتاب المقدس صـ ٤٢٦ .

(٤) راجع الاضطهاد الرومانى فى الفصل الخاص ـ بفترات السبى والاضطهاد .

(٥) زكى شنودة : اليهود صـ ٢٩٠ .

(٦) المصدر السابق .

تعقيب :

وهكذا تبين لنا من هذه الأمثلة القليلة أن اليهود لم يعبدوا الها واحدا ولكنهم اتخذوا من دونه وأشركوا معه آلهة أخرى من معبودات الأمم الوثنية التى اختلطوا بها (١) .

ويصف ارميا كثرة الآلهة التى عبدها اليهود فى مملكة يهوذا فقط بقوله « لأنه بعدد مدنك صارت آلهتك يا يهوذا وبعدد شوارع أورشليم وضعتم مذابح للخزى مذابح للتبخير للبعل » (٢) .

ويبين أنهم فى ذلك يعيدون سيرة آبائهم الأولين :

« وقال الرب لى توجد فتنة بين رجال يهوذا وسكان أورشليم قد رجعوا إلى آثام ـ آبائهم الأولين الذين أبوا أن يسمعوا كلامى وقد ذهبوا وراء آلهة أخرى ليعبدوها(٣) .

وخاطب حزقيال أورشليم على لسان الرب مبينا تأثرها بالشعوب الوثنية بقوله

« فى رأس كل طريق بنيت مرتفعاتك ورجست جمالك وفرجت رجليك لكل عابر وأكثرت زناك وزنيت مع جيرانك بنى مصر الغلاظ اللحم وزدت فى زناك لإغاظتى ، فها أنذا قد مددت يدى عليك ومنعت عنك فريضتك وأسلمتك لمرام مبغضاتك بنات الفلسطينيين اللواتى يخجلن من طريقك الرذيله .

وزنيت مع بنى أشور ، اذ كنت لم تشبعى فزنيت بهم ولم تشبعى أيضا ،

---

(١) يبدو أن الاسرائيلى كان ميالا إلى التقليد وسرعة التأثر بالوثنيين فسفر الأخبار الثانى يذكر أن امصيا ملك يهوذا بعد أن هزم الأدوميين أتى بآلهتهم وجعلهم له آلهة وسجد أمامها وأن غضب الرب قد حمى عليه وأرسل اليه نبيا فقال له لماذا طلبت آلهة الشعب الذين لم ينقذوا شعبهم من يدك » (أخبار ثان ٢٥ : ١٤ ـ ١٦) .

راجع جورج قرم : تعدد الأديان وأنظمة الحكم صـ ٦١ ـ ٧١ دار النهار للنشر بيروت ـ ١٩٧٩ .

راجع أيضا رأى العلماء اليهود أنفسهم فى التوحيد لدى اليهود وقولهم بأن ـ اليهود غير موحدين التوراة تاريخها وغايتها صـ ٧٩ ـ ٨٢ .

(٢) ارميا ١١ : ١٣ . (٣) ارميا ١١ : ٩ ـ ١٠ .

وكثرت زناك فى أرض كنعان إلى أرض الكلدانيين وبهذا أيضا لم تشبعى .

ما أمرض قلبك يقول السيد الرب إذا فعلت كل هذا فعل امرأة زانية سليطة ، ببنائك ـ قبتك فى رأس كل طريق وصنعك مرتفعات فى كل شارع ، **ولم تكونى كزانية بل محتقرة الأجرة ، أيتها الزوجة الفاسقة تأخذ أجنبيين مكان زوجها ، لكل الزوانى يعطون هدية .**

أما أنت فقد أعطيت كل محبيك هدا ياك ورشيتهم ليأتوك من كل جانب للزنا بك .

وصار فيك عكس عادة النساء فى زناك اذ لم يزن وراءك بل أنت تعطين أجرة ولا أجرة تعطى لك فصرت بالعكس (١) .

وليسمح لى القارى بأن أنقل له وصف حزقيال لإنحراف المملكتين معا عن عبادة الاله الواحد وشبه عبادتهما للآلهة الأخرى بخيانة زوجتين لزوجهما وسماهما **أهوله وأهوليبة** :

ورد فى الاصحاح الثالث والعشرين ما نصه :

« وكان إلى كلام الرب قائلا : يا ابن آدم كانت امرأتان ابنتا أم واحدة ، وزنتا بمصر ، فى صباهما زنتا ، هناك دغدغت ثديهما ، وهناك تزعزعت ترائب عذريتهما واسمهما أهولة الكبيرة وأهوليبة أختهما ، وكانتا لى وولدتا بنين وبنات، واسماهما السامرة أهولة وأورشليم أهوليبة .

وزنت أهولة من تحتى وعشقت محبيها أشور الأبطال ، ..... كلهم شبان شهوة فرسان راكبون الخيل ، فدفعت لهم عقرها لمختارى بنى اشور كلهم وتنجست بكل من عشقتهم بكل أصنامهم .

ولم تترك زناها من مصر أيضا لأنهم ضاجعوها فى صباها وزغزغوا ترائب عذرتها وسكبوا عليها زناهم .

لذلك سلمتها ليد عشاقها ليد بنى اشور الذين عشقتهم ، هم كشفوا عورتها ، أخذوا ـ بنيها وبناتها وذبحوها بالسيف فصارت عبرة للنساء وأجروا عليها حكما .

---

(١) حزقيال ١٦ : ٢٥ ـ ٣٤ .

فلما رأت أختها أهوليبة ذلك أفسدت فى عشقها أكثر منها وفى زناها أكثر من اختها عشقت بنى أشور ... كلهم شبان شهوه ، .... وزادت زناها وما نظرت إلى رجال مصورين على الحائط صور الكلدانيين مصورة ، منطقين بمناطق على أحقائهم عمائمهم مسدولة على رءوسهم ، كلهم فى المنظر رؤساء مركبات شبه بنى بابل الكلدانيين أرض ميلادهم .

عشقتهم عند لمح عينيها اياهم ، وأرسلت اليهم رسلا إلى أرض الكلدانيين ، فأتاها بنو بابل فى مضجع الحب ، ونجسوها بزناهم فتنجست بهم وجفتهم نفسها ، وكشفت زناها وكشفت عورتها فجفتها نفسى كما جفت نفسى أختها ، وأكثرت زناها بذكرها أيام صباها التى فيها زنت بأرض مصر ، وعشقت معشوقيهم الذين لحمهم كلحم الحمير ، ومنيهم كمنى الخيل ، وافتقدت رذيلة صباك بزغزغة المصريين ترائبك لأجل ثدى صباك .

لأجل ذلك يا أهوليبة ... ها أنذا أهيج عليك عشاقك الذين جفتهم نفسك وآتى عليك من كل جهة ، بنى بابل وكل الكلدانيين ومعهم كل بنى أشور .. فأسلم لهم الحكم . فيحكمون عليك بأحكامهم .....

فعل بك هذا لأنك زنيت وراء الأمم لأنك تنجست بأصنامهم .

فى طريق اختك سلكت فادفع كأسها ليدك ، انك تشربين كأس اختك العميقة الكبيرة .... تمتلئين سكراً وحزنا كأس التحير والخراب كأس أختك السامرة (١) .

ولعل من الأهمية بمكان أن نشير إلى أن القرآن الكريم بعد أن بين فساد اعتقاد الذين أوتوا الكتاب فذكر أنهم لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق (٢) ، أخبرنا سبحانه وتعالى بشئ من ذلك فقال :

﴿ وقالت اليهود عزير ابن اله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم

(١) حزقيال ٢٣ : ١ - ٣٣ .

(٢) وهو ما ورد فى قوله تعالى ﴿ قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يدوهم صاغرون ﴾ (التوبة : ٢٩) .

بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله، أنى يوفكون ﴾

﴿ اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا الها واحدا لا اله إلا هو سبحانه وتعالى عما يشركون ﴾ (١) .

ويهمنا هنا الاشارة إلى قول اليهود ﴿ عزير ابن الله ﴾ وإلى اتخاذ أحبارهم أرباباً من دون الله :

١ ـ قول اليهود ﴿ عزير ابن الله ﴾ :

يذكر المفسرون أن اليهود كلهم لم يقولوا بهذا القول وانما قاله بعضهم ولهم في ذلك أقولا منها مثلا ما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما أن جماعة من اليهود أتوا إلى رسول ﷺ وهم سلام بن مشكم والنعمان بن أوفي ، ومالك ابن الصيف ، وقالوا كيف نتبعك وقد تركت قبلتنا ولاتزعم أن عزيراً ابن الله فنزلت هذه الآية (٢) .

وينسب الإمام ابن حزم هذا القول إلى احدى فرقهم وهى فرقة الصدوقية أو الصدوقيين وذكر أنهم يقولون من بين سائر اليهود أن العزير هو ابن الله تعالى عن ذلك وأنهم كانوا بجهة اليمن (٣) .

وذكر هرشيرج أن بعض يهود اليمن كانوا يعتقدون أن عزرا أو عزيزا ابن الله (٤) .

ويذكر الفخر الرازى أن هذا المذهب كان فاشيا فى اليهود ثم انقطع ، فحكى الله عنهم ، ولا عبرة بإنكار اليهود ذلك فان حكاية الله عنهم أصدق ، وتعد دليلا قاطعاً على أن بعضهم على الأقل ـ وبخاصة يهود المدينة ـ زعموا هذا الزعم ، وراج بينهم ، وقد كان القرآن يواجه اليهود مواجهة واقعية ولو كان فيما يحكيه من أقوالهم مالا وجود له بينهم لكان هذا حجة لهم على تكذيب ما يرويه رسول الله

---

(١) التوبة ٣٠ : ٣١ .

(٢) راجع الفخر الرازى : التفسير الكبير جـ ١٦ صـ ٣٢ .

(٣) الفصل جـ ١ صـ ٦٩ .

(٤) نقلا عن أحمد عوف : عزير وعزرا فى القرآن الكريم والعهد القديم صـ ١٢

ﷺ ولما سكتوا عن ـ ا ستخدام هذا على أوسع نطاق (١) .

ويذكر المفسرون أن السبب الذى لأجله قال اليهود هذا القول ما رواه ابن عباس رضى الله عنهما أن اليهود أضاعوا التوراةوعملوا بغير الحق ، فأنسا هم الله تعالى التوراة ـ ونسخها من صدورهم فتضرع عزير إلى الله وابتهل اليه فعاد حفظ التوراة إلى قلبه فأنذر قومه به فلما جربوه وجدوه صادقا فيه فقالوا ماتيسر هذا لعزير الا انه ابن الله (٢) .

وذكروا فى ذلك روايات غريبة وعجيبة منها على سبيل المثال مانقله ابن كثير عن السدى أن العمالقة !!! لما غلبت على بنى اسرائيل فقتلوا علماءهم وسبوا كبارهم بقى العزير يبكى على بنى اسرائيل وذهاب العلم منهم حتى سقطت جفون عينيه ، ثم قيل له اذهب إلى نهر كذا فاغتسل منه وصل ركعتين فانك ستلقى هناك شيخا فما أطعمك فكله فذهب ففعل ما أمر به فاذا الشيخ فقال له افتح فمه ففتح فمه فألقى فيه شيئا عظيما كهيئة الحجرة العظيمة ثلاث مرات فرجع عزير وهو من أعلم الناس بالتوراة ! ! ، فقال يا بنى اسرائيل قد جئتكم بالتوراةفقال يا عزير ماكنت كذابا فعمد فربط على أصبع من أصابعه قلما وكتب التوراة بأصبعه كلها فلما تراجع الناس من عدوهم ورجع العلماء أخبروا بشأن عزيز فاختبروه فوجدوا ما جاد به صحيحا فقال بعض جهلتهم ، انما صنع هذا لأنه ابن الله (٣) .

ومن الواضح أن هذه الرواية وأمثالها من الخرافات والمبالغات ونقلها المفسرون ـ عن الاسرائيليات (٤) .

وقد تابع المفسرون فى ذلك اليهود فى قولهم ان عزرا قد ألهم التوراة بعد ضياعها وان اليهود أحضروا نسخا وطابقوا بينها وبين نسخة عزرا فوجدوها صحيحة ، وتبين لنا فيما سبق بطلان هذا القول حيث ان التوراة الحالية المنسوبة إلى

---

(١) التفسير الكبير جـ ١٦ صـ ٣٣ ، راجع أيضا سيد قطب : فى ظلال القرآن مجلد ٣ صـ ١٦٣٥ .

(٢) راجع الطبرى والرازى وابن كثير وغيرهم فى تفسير هذه الاية .

(٣) ابن كثير : تفسير القرآن العظيم جـ ٢ صـ ٣٤٨ .

(٤) راجع تفصيل ذلك : تفسير المنار مجلد ٥ جـ ١٠ صـ ٢٨٨ .

عزرا تخالف توراة موسى المنزلة وتشتمل على تناقضات ومبالغات وتحريفات كثيرة(١) .

وان كان هذا لا يمنع أن يكون اليهود قد عظموا عزرا وقدسوه ولعل الامام المهتدى ـ السموأل بن يحيى المغربى (وكان يهوديا فأسلم) يكون أكثر دراية بهذا الموضوع من غيره فهو يقول :

« ولم يكن حفظ التوراة فرضا ولا سنة كان كل واحد من الهارونيين يحفظ فصلا من التوراة فلما رأى عزرا أن القوم أحرق هيكلهم وزالت دولتهم وتفرق جمعهم ورفع كتابهم جمع من محفوظاته ومن الفصول التى يحفظها الكهنة ، ما لفق منه هذه التوراة التى بأيديهم الآن .

ولذلك بالغوا فى تعظيم (عزرا) هذا ،غاية المبالغة ، وزعموا أن النور ـ إلى الآن ـ يظهر على قبره الذى عند بطائح العراق ،لأنه عمل لهم كتابا يحفظ دينهم(٢) .

وهكذا فان اليهود قد عظموا عزرا بعد أن أوهمهم بكتابة التوراة المنزلة مع أنه قام بتأليفها وتلفيقها من مصادر مختلفة .

هذا وقد ذهب عدد من العلماء والباحثين إلى أن عزرا الذى كتب التوراة وعظمه اليهود هو نفسه عزير المذكور فى القرآن الكريم والذى قال عنه اليهود انه ابن الله .

وذكروا أن كلمة عزير هى تعريب للاسم العبرى والآرامى عزرا .

ويرى الشيخ محمد رشيد رضا أن يهود العرب هم الذين صغروا اسم عزرا بالصيغة العربية للتحبب وصرفوه وعنهم أخذ المسلمون، مثلما قلبت العرب اسم « يسوع » إلى « عيسى » (٣) .

---

(١) راجع الفصل الخاص بفقدان وتحريف اليهود للتوراة المنزلة .

(٢) افحام اليهود صـ ١٣٩ ـ ١٤٠ ، امام الحرمين : شفاء الغليل فى بيان ما وقع فى التوراة والانجيل من التبديل صـ ٣١ الناشر : مكتبة الكليات الأزهرية الطبعة الأولى ١٩٧٨ .

(٣) تفسير المنار جـ ١٠ صـ ٢٨٢ .

وتشير دائرة المعارف العبرية العامة إلى أن العرب يعرفون عزرا باسم العزير (١) .

ورجح د / أحمد عوف هذا الرأى وبحث هذه النقطة بشئ من التفصيل (٢).

لكن الامام السموأل يذهب إلى أن عزرا هذا ليس هو (العزير) كما يظن لأن العزير هو تعريب (العازار) (٣) .

وقد ارتضى الدكتور محمد عبد الله الشرقاوى رأى السموأل فذكر أنه كلام مقبول حيث انه رجل متضلع فى اللغتين العبرية والعربية ومتبحر فى علوم التوراة والقرآن الكريم ، وهو كلام فصل فى هذه النقطة ، وأن علماءنا المتثبتين كانوا يرون ذلك ولا يخلطون بين الرجال لا سيما وأن الخلط فى هذه الحالة خطير جداً لأنه بين رجل صالح (العازار) وبين فاسق جاهل فارغ هو عزرا الوراق رئيس الكتبة المنشقين الذين حرفوا التوراة (٤) ومهما يكن من أمر فان اليهود قد قالوا إن عزيرا هو ابن الله وسواء أكان هو عزرا أم غيره فان ما يعنينا هنا أن القائلين بهذا خرجوا من دائرة الايمان الحقيقى بالله وأن هذا القول قد باعد بينهم وبين عقيدة التوحيد .

فالقرآن الكريم قد وضعهم مع النصارى القائلين بأن المسيح ابن الله فى سلة واحدة ، وقال عنهم « ذلك قولهم بأفواههم » ويراد به القول الذى لا يعضده برهان فما هو الا لفظ يفوهون به (٥) .

ويذكر القرطبى أن أهل المعانى قالوا ان الله سبحانه لم يذكر قولا مقرونا بذكر الأفواه والألسن إلا وكان قولا زورا كقوله تعالى **﴿ يقولون بأفواههم ماليس فى قلوبهم ﴾** (٦) **﴿ كبرت كلمة تخرج من أفواههم ﴾** (٧) **﴿ يقولون بألسنتهم ماليس فى قلوبهم ﴾** (٨) .

ويذكر الشيخ رشيد رضا أنه لا يبعد أن يكون بعض المتقدمين على عصر البعثة المحمدية من اليهود قد قالوا ان عزيزا ابن الله بمثل قول فيلون الفيلسوف اليهودى

---

(١) نقلا عن عزير وعزرا صـ ١١

(٢) عزير وعزرا فى القرآن الكريم فى الهد القديم صـ ١٥٢ .

(٣) راجع تفصيل الكتاب هذا الرأى : افحام اليهود صـ ١٥٢ .

(٤) هامش افحام اليهود صـ ١٥٣ . (٥) الفخر الرازى جـ ١٦ صـ ٣٥ .

(٦) ال عمران : ١٦٧ . (٧) الكهف : ٥ . (٨) الفتح : ١١ .

الاسكندرى المعاصر للمسيح « ان لله ابنا هو كلمتـه التى خلق بها الأشياء ـ وخاصة أن من المعلوم أن بعض النصارى الذين قالوا ان المسيح ابن الله كانوا من اليهود(١).

ويرى الفـخر الرازى أن الله سبحـانه لما حكم فى الآية المتقدمة على اليهـود والنصارى بأنهم لا يؤمنون بالله شرح ذلك فى الآية وذلك بأن نقل عنهم أنهم أثبتوا لله ابنا ومن جوز ذلك فى حق الاله فهو فى الحقيقة قد أنكر الاله .

وأيضـا بين تعـالى أنهم بمنزلة المشـركين فى الشـرك وان كـانت طرق القـول بالشرك مختلفة لأنه لامعنى للشرك الا أن يتـخذ الانسان مع الله معبوداً فا ذا حصل هذا المعنى فقد حصل الشرك (٢) .

لكن يقال ان قول النصارى المسيح ابن الله قد اشتهر عنهم وصار من عقائدهم الأساسيـة أما اليهود فـلا يقولون بذلك الآن والجواب أن الآية القرآنيـة تسمح لنا بأن نفهم أن اليهود فى قولهم « عزيز ابن الله » والنصارى فى قولهم « المسيح ابن الله » كانوا معا يضاهئون قول الذين كفروا من قبل

وكان المفسرون يرون أن المقصود بالذين كـفروا هم مشركـوا مكة حيث لم تكن الآثار قد كشفت بعد عن ديانات المصريـين وغيرهم ممن قالوا بنوة البشر لله ، وأخـذ العلمـاء يقـارنون الآن ـ بين قـول النصـارى (المسيح ابـن الله) وبين قـول المصريين والهنود والبابليين بمثل ذلك فى آلهتهم .

ومن أجل ذلك ينبـغى علينا أن لا نحكم الآن حكمـا جـازما ونقـول ان اليهـود كانوا يقولون ـــ ببنوة عزير على وجه مخـالف لقول المسيحيين (المسيح ابن الله) فربما تظهر الاكتشافات ـ وثائق تبين حقيقة هذا القول الذى صدر من اليهود .

ولنا أن نفهم الآن أن اليـهود فى قولهم (عـزير ابن الله) كانوا يضاهئـون قول الذين كفـروا وأنهم بذلك خرجوا عن العـقيدة الصحيحة وصاروا مـثل الكفار فى تصـورهم للاله ، بالإضافـة إلى ماسـتلقيـه علينا الآية التـالية بأنهم اتخـذوا أحبـارهم أربابا من دون الله وأنهم بذلك مشركون .

---

(١) تفسير المنار جـ ١٠ صـ ٢٨٨ .

(٢) التفسير الكبير جـ ١٦ صـ ٣٤ .

٢ـ اتخاذ اليهود أحبارهم أربابا من دون الله :

المقصود بالأحبار عند اليهود العلماء أو الفقهاء أو الكهنة أو مايسمونهم الآن بالحاخامات ويراد بهم على وجه الإجمال رجال الدين الذين لهم حق التشريع فيحللون ويحرمون ويغيرون ويبدلون .

يذكر الإمام الفخر الرازى أن الله سبحانه وصف اليهود والنصارى فى هذه الآية (١) بضرب آخر من الشرك (٢).

ويهمنا هنا أن نشير إلى اليهود فاذا كانوا قد قالوا « عزير ابن الله » كما ورد فى الاية السابقة فانهم هنا اتخذوا أحبارهم أربابا من دون الله .

وقد بين سبحانه وتعالى أنهم باتخاذهم الأحبار أربابا من دون الله يكونون قد أشركوا به حيث انهم لم يؤمروا إلا بعبادة اله واحد لا اله الا هو وما داموا قد عصوا هذا الأمر واتخذوا الأحبار أربابا من دون الله فان الله سبحانه قد صرح بشركهم فقال تعالى ﴿ **سبحانه عما يشركون** ﴾ .

يذكر الفخر الرازى أن الأكثرين من المفسرين قالوا : ليس المراد من الأرباب أنهم اعتقدوا فيهم أنهم آلهة العالم بل المراد أنهم أطاعوهم فى أوامرهم ونواهيهم (٣).

وينقل الحافظ ابن كثير عن كل من الامام احمد والترمذى وابن جرير عن عدى ابن حاتم رضى الله عنه لما بلغته دعوة رسول الله ﷺ فر إلى الشام ـ وكان قد تنصر فى الجاهلية ـ ثم حدث أن قدم على رسول الله ﷺ فدخل وهو يقرأ هذه الآية ﴿ **اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله** ﴾ قال : فقلت : انهم لم يعبدوهم فقال رسول الله ﷺ : بلى ، انهم حرموا عليهم الحلال وأحلوا لهم الحرام ـ فاتبعوهم فذلك عبادتهم اياهم (٤) .

---

(١) الآية رقم ٣١ من سورة التوبة والتى أشرت اليها فى بداية هذا المبحث .

(٢) التفسير الكبير جـ ١٦ صـ ٣٧ .

(٣) المصدر السابق جـ ١٦ صـ ٣٧ .

(٤) راجع تفسير القرآن العظيم جـ ٢ صـ ٣٤٨ .

ونقل أيضا عن حذيفة بن اليمان وعبد الله بن عباس وغيرهما بمثل هذا [1]

وكذلك نقل القرطبي في تفسيره [2] .

وذكر الفخر الرازي عن الربيع أنه قال قلت لأبي العالية كانت تلك الربوبية في بني اسرئيل ؟ فقال انهم ربما وجدوا في كتاب الله ما يخالف أقوال الأحبار فكانوا يأخذون ـ بأقوالهم وماكانوا يقبلون حكم كتاب الله تعالى [3] .

وحاصل الكلام كما يقول الرازي أن تلك الربوبية يحتمل أن يكون المراد منها أنهم أطاعوهم فيما كانوا مخالفين لحكم الله ، وأن يكون المراد منها أنهم قبلوا أنواع الكفر فكفروا بالله فصار ذلك جاريا مجرى أنهم اتخذوهم أربابا من دون الله ويحتمل أنهم أثبتوا في حقهم الحلول والاتحاد [4] .

ولعل اتخاذ اليهود أحبارهم أربابا من دون الله يتجلى أعظم ما يتجلى في تقديسهم للتلمود وتفضيلهم ماجاء فيه من أقوال أحبارهم على أحكام الله ان وجدت لديهم .

فالتلمود يعتبر في نظر اليهود كتابا مقدسا كالتوراة (الأسفار الخمسة) لكن اذا أمعن الانسان النظر ، رأى أن اليهود أو بعضهم يعتبرون التلمود أفضل من التوراة ولهم في ذلك أقوال واضحة وصريحة فوق ما هي عليه من شطط .

ومن ذلك مثلا قولهم أنه لاخلاص لمن ترك تعاليم التلمود واشتغل بالتوراة فقط لأن أقوال علماء التلمود أفضل مما جاء بشريعة موسى أو دعوة بعض أحبارهم إلى الانتباه لأقوال ـ الحاخامات أكثر من الانتباه لشريعة موسى .

بل لقد ذهب الغلو ببعضهم إلى حد القول بأن من قرأ في التوراة بدون المشنا والجامارا (أي التلمود) فليس له اله .

ويرون أن من يحتقر أقوال الحاخامات يستحق الموت أما من يحتقر أقوال

---

(١) المصدر السابق جـ ٢ صـ ٣٤٩ .

(٢) تفسير القرطبي جـ ٨ صـ ١٢٠ .

(٣) التفسير الكبير جـ ١٦ صـ ٣٧ .

(٤) المصدر السابق جـ ١٦ صـ ٣٨ .

التوراة فانه لا ينال عقابا .

وجاء فى كتاب يهودى اسمه (كرافت) مطبوع فى سنة ١٥٩٠ م .

اعلم أن أقوال الحاخامات أفضل من الأنبياء وزيادة على ذلك يلزمك اعتبار أقوال الحاخامات مثل الشريعة ،لأن أقوالهم هى قول الله الحى ، فإذا قال لك الحاخام إن يدك اليمنى هى اليسرى وبالعكس فصدقه .

وجاء فى احدى صفحات التلمود أن تعاليم الحاخامات لا يمكن نقضها ولا تغييرها ولو بأمر الله ، وأنه وقع خلاف بين الله وبين علماء اليهود فى أمر من الأمور وبعد أن طال الجدال تقرر احالة فصل الخلاف إلى أحد الحاخامات الذى حكم بخطأ الاله ـ جل سبحانه وتعالى عما يقولون علواً كبيراً ـ مما اضطر معه سبحانه وتعالى إلى الاعتراف بخطئه كما يزعمون .

وقال أحد علماء اليهود « مخافة الحاخامات هى مخافة الله » .

وقد زعم أحد حاخاماتهم « أن الله تعالى يستشير الحاخامات على الأرض عندما توجد مسألة عويصة لا يمكن حلها فى السماء !! .

وذكر فى التلمود ان الحاخامات المتوفين مكلفون بتعليم المؤمنين فى السماء .

ووردت فى التلمود العبارات الآتية :

من يجادل حاخامه أو معلمه فقد أخطأ وكأنه جادل العزة الإلهية ، وقال الحاخام مناحم فى أقوال الحاخامات المناقض بعضها لبعض إنها كلام الله مهما وجد فيها من تناقض فمن لم يؤمن بها أوقال انها ليست أقوال الله فقد أخطأ فى حقه تعالى .

وذكر فى كثير من كتب اليهود أن أقوال الحاخامات المناقضة بعضها لبعض منزلة من السماء ومن يحتقرها فمثواه جهنم وبئس المصير .

فهم يعتقدون أن لحاخاماتهم سلطة الهية وأن كل أقوالهم صادرة من الله وبذلك فانهم معصومون من الخطأ (١) .

---

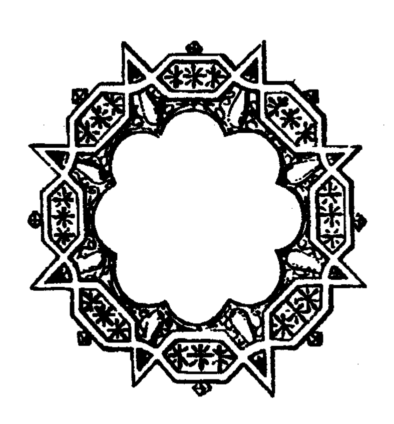
(١) راجع هذه الأقوال وغيرها فى كتاب « روهلنج » عقائد اليهود على حسب التلمود صـ ٥٠ ـ ٥٣ وهو الجزء الأول من كتاب « الكنز المرصود فى قواعد التلمود ترجمة الدكتور يوسف نصر الله دار القلم دمشق ١٩٨٧ م .=

بل لعل مصارعة يعقوب للرب ـ في زعمهم ـ هي التي أكدت الانتصار الانساني على الله ـ سبحانه ـ في أذهانهم (١) .

وهكذا يتبين لنا من هذه الأقوال أن اليهود يعظمون أحبارهم ويرفعون أقوالهم فوق درجة الوحي الالهي ـ اذا وجد لديهم ـ والكلام النبوي ان توفر عندهم ، ونستعيذ بالله من هذا التطاول الشديد على الله وعلى أنبيائه.

ومن المعروف أن التلمود يحتوى على عقائد وشرائع وعبادات اليهود ، وأنهم ينقادون تماما لتعاليم التلمود وما يحتوى عليه .

وعلى ذلك هم قد اتخذوا أحبارهم أربابا من دون الله ونسوا ماأمرهم به من أن يعبدوا الها واحداً وصدق الله تعالى وتنزه سبحانه عما يشركون .



= وكتاب د/ صبرى جرجس : التراث اليهودى الصهيونى صـ ٩١ وإسرائيل والتلمود صـ ٦٥ ومن التلمود صـ ١٩ ـ ٢٣ هدية منبر الإسلام أغسطس ١٩٦٧ م واليهودية صـ ٢٧٤ وخطر اليهودية صـ ٧٤

(١) إسرائيل والتلمود صـ ٦٥ - ٦٦ .



الخاتمة

وتشتمل على أهم نتائج البحث

أهم نتائج البحث

١ ـ بين لنا القرآن الكريم أن الرسالة التى جاء بها الأنبياء إلى بنى إسرائيل كانت قائمة على توحيد الله وتنزيهه عن كل مالايليق بذاته المقدسة شأنها فى ذلك شأن سائر الرسالات التى جاء بها الأنبياء جميعاً من لدن آدم عليه السلام إلى نبينا محمد « صلى الله عليه وسلم » ، فقد كان دينهم جميعا هو الإسلام حيث إنه الدين المقبول عند الله **﴿ إن الدين عند الله الإسلام ﴾ ﴿ ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين ﴾** .

٢ ـ أنزل الله سبحانه القرآن الكريم على سيدنا محمد « صلى الله عليه وسلم مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه ، وأمره أن يحكم بينهم بما أنزل فيه من الحق وأن لايتبع أهواء الذين أوتوا الكتاب ، ومن ثم فإن القرآن الكريم هو الحكم الفيصل فى عقائد أهل الكتاب .

٣ ـ من الخطأ أن نطلق على اليهودية أنها ديانة سماوية حيث إنها دين اليهود وهى غير مطابقة مع ماجاء بها سيدنا موسى عليه السلام ومن ثم فهى ليست دين موسى وإنما دينه هو الإسلام .

٤ ـ من خلال استقراء تاريخ اليهود تبين لنا أنهم عاشوا أغلب فترات تاريخهم فى تفكك شامل وفوضى كاملة وتفرق شديد وأن الفترة التى توحدوا فيها كانت فى عهدى داود وسليمان عليهما السلام إلا أنها سرعان ماانتهت وعاد اليهود إلى حياة الإنقسام والشقاق والتطاحن .

٥ ـ تبين لنا من خلال البحث أن اليهود قضوا أغلب فترات تاريخهم تحت سياط الرق والاستعباد ورزحوا تحت نير التعذيب والاضطهاد وشربوا من كئوس الذل والهوان فقد اضطهدوا أثناء مقامهم بمصر ، وعانوا مرارة التيه والبؤس فى البرية واستذلوا فى عصر القضاة ، ثم وقعوا تحت قبضة الأشوريين حتى قضوا على المملكة

الشمالية وكان السبى الأشورى .

ثم تسلط عليهم البابليون حتى أسقطوا المملكة الجنوبية ووقع السبى البابلى .

ثم انتقلوا إلى حكم الفرس ومن بعدهم إلى الإضطهاد اليونانى ووقع الشتات الهلينى ثم كان الاضطهاد الرومانى والشتات الأخير .

٦ ـ ظهر لنا أيضا من البحث أن اليهود قد اختلطوا بالشعوب الوثنية ـ سواء فى حالة السلم أو الحرب ـ وتزاوجوا معهم وانخرطوا فيهم ، وتأثروا بهم فعبدوا آلهتهم ومارسوا طقوسهم ، وهذا يعكس سرعة انقيادهم للوثنيين وشدة تقليدهم للآخرين .

٧ ـ تبين لنا أيضا فقدان اليهود وتضعيهم للتوراة المنزلة على سيدنا موسى عليه السلام ثم حين عثروا على أجزاء منها قاموا بإخفاء بعضها وحرفوا بقية الأجزاء وأخذوا يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله وما هو من عند الله .

٨ ـ تبين لنا أيضا أن الأسفار الخمسة فى صورتها الحالية ليست هى التوراة المنزلة على سيدنا موسى عليه السلام ، وأن نسبة هذه الأسفار إلى سيدنا موسى نسبة خاطئة وباطلة وقد برهن على بطلانها كثير من العلماء القدامى منهم والمحدثين المسلمين منهم وغير المسلمين .

٩ ـ تبين لنا أيضا أن عزرا الكاتب هو الذى قام ـ بمساعدة عدد من الكهنة ـ بتأليف هذه الأسفار الخمسة وتجميعها من مصادر مختلفة ، ووثائق متباينة ، وجمع أيضا بعض أسفار العهد القديم .

١٠ ـ تبين لنا أيضا أن نسبة بقية أسفار العهد القديم إلى أصحابها نسبة خاطئة وغير صحيحة ، وأن دعوى هذه النسبةقائمة على الظن والزعم بلا دليل ، فهؤلاء الذين نسبت إليهم تلك الأسفار لم يكتبوها وإذا ماكتبوا جزءا منها فإنه قد حرف أو زيد عليه وتم تبديله ، فليس هناك أدنى ثقة فى تلك النسبة المزعومة بل إن كثيرا من هذه الأسفار لايعرف مؤلفوها ولازمن تأليفها .

١١ ـ تبين لنا أيضا أن اليهود بطبيعتهم المادية كانوا يميلون إلى الوثنية ويغلب عليهم الإتجاه الوثنى ، ولذلك فإنهم كانوا سرعان ماينجذبون إلى الوثنية وينزعون إليها بكل جوارحهم وأفئدتهم ويعكفون على طقوسها طيلة أيامهم وكانوا

يستمسكون بها تمسكا عجيبا ويدافعون عنها بشتى الوسائل فاستغرقوا فى أغلب عهودهم فى حياة وثنية كاملة .

١٢ ـ تبين لنا أيضا أن اليهود كتبوا تاريخهم بأيديهم وخلعوا عليه صفة التقديس لكن علماء الآثار والمؤرخين سرعان ماكشفوا بطلان هذه الدعوى وفضحوا ما فى هذا التاريخ من زعم وزيف وتحريف وتزوير وبينوا ما اشتمل عليه من تناقض ووثنية .

وكشف العلماء عن تأثر اليهود فى كتابة أسفارهم بآداب وأفكار وعقائد الشعوب الوثنية القديمة ، حيث تأثروا فى كتابة بعض المزامير بالأدب المصرى القديم ، وكذلك الأمر فى سفرى الأمثال ونشيد الإنشاد ، وإن كان الأخير قد استقى بجانب المصدر المصرى بالمصدرين البابلى واليونانى ، وأما سفر الجامعة فقد تأثر كاتبه بالثقافة اليونانية ، مع ملاحظة أن نسبة هذه الأسفار إلى داود وسليمان عليهما السلام نسبة باطلة ، وهذا هو ماانتهى إليه نقاد الكتاب المقدس ، وانتهيت كذلك إلى صحته بعد نقد النصوص الواردة فيها ، وماشتملت عليه من الغزل الداعر ، والكلام الماجن ، والفسق المكشوف وخاصة سفر نشيد الإنشاد .

١٣ ـ تبين لنا أيضا أن التوراة السماوية كانت تشتمل على قصص الخلق والغواية والطوفان ، لكن اليهود خلطوا بين نصوص الوحى الخاصة بهذه القصص وبين ما اطلعوا عليه من الثقافات الوثنية القديمة سواء فى كنعان أو فى بابل فشوهوا النصوص الأصلية لهذه القصة حتى زالت عنها صفة الوحى واعتراها كثير من التناقضات والاختلافات واشتملت على أفكار وعقائد وتصورات وثنية .

١٤ ـ ثبت لنا بالأدلة القاطعة من خلال نصوصهم الصريحة انحراف اليهود عن تنزيه الذات العلية الذى جاء به الوحى واتجهوا إلى التشبيه والتجسيم .

فتصوروا الله سبحانه فى صورة حسية ووصفوه بصفات بشرية لاتليق بذاته المقدسة ونسبوا إليه من الأقوال والأفعال مالا يمكن النطق به وهو ماعرضنا له بالتفصيل فى هذه الرسالة ، ومن ثم فإن اليهود مجسمون مشبهون واتجاههم إلى التجسيم والتشبيه واضح فى نصوصهم وفى تصوراتهم .

١٥ ـ تبين لنا أيضا أن اليهود لم يستجيبوا فى أغلب تاريخهم القديم ـ لدعوة

التوحيد التى جاء بها الانبياء وانهم تصوروا الله بصورة قبلية فاتخذوا الها قبليا أو قوميا خاصا بهم مع الاعتراف بآلهة أخرى للشعوب الوثنية .

ومن ثم فكان من السهل أن يتخذوا آلهة هذه الشعوب وأن يعبدوها من دون الله فعبدوا آلهة المصريين والكنعانيين ، والأشوريين ، والبابليين وغيرهم .

١٦ ـ أن الله سبحانه وتعالى قد أعلن عن كفرهم وشركهم فى كثير من آيات القرآن الكريم ومنها قوله تعالى :

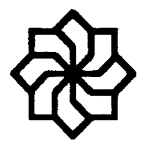
﴿ لعن الذين كفروا من بنى إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ﴾(١) .

﴿ وليزيدن كثيرا منهم ما أنزل إليك من ربك طغيانا وكفرا ﴾ (٢) .

﴿ وأشربوا فى قلوبهم العجل بكفرهم قل بئسما يأمركم به إيمانكم ﴾ (٣) .

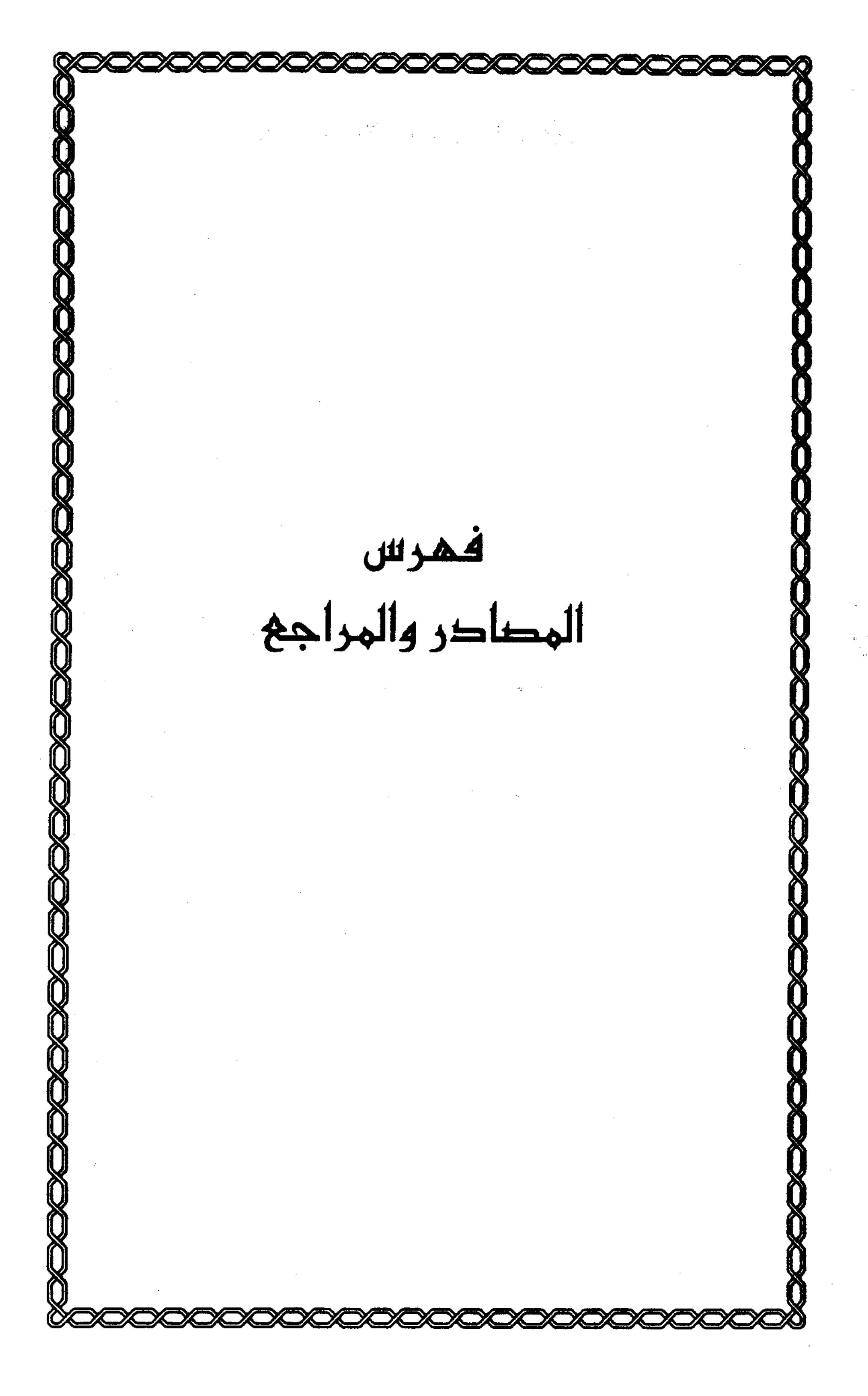
﴿ قاتلوا الذين لايؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولايحرمون ماحرم الله ورسوله ولايدينون دين الحق من الذين أوتو الكتاب عن يد وهم صاغرون ﴾ (٤) .

﴿ اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم . وما أمروا إلا ليعبدوا إلها واحدا لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون ﴾ (٥) .



---

(١) المائدة : ٧٨ .
(٢) المائدة : ٦٤ .
(٣) البقرة : ٩٣ .
(٤) التوبة : ٢٩ .
(٥) التوبة : ٣١ .



فهرس
المصادر والمراجع

أهم المصادر والمراجع [1]

لقد قمت بتقسيم المراجع والمصادر حسب مؤلفيها إلى مؤلفين مسلمين ومؤلفين غير مسلمين متبعا فى هذا الترتيب الأبجدى [2] .

ويدخل فى ذلك المطبوعات والمخطوطات والكتب المؤلفة بالعربية إلى جانب المترجمة إليها من اللغات الأخرى :

القرآن الكريم .

السنة النبوية الشريفة .

أولا : مؤلفون مسلمون :

ابراهيم خليل أحمد :

١ ـ إسرائيل فتنة الأجيال (العصور القديمة) : نشر مكتبة الوعى العربى القاهرة ١٩٦٩ م .

٢ ـ إسرائيل والتلمود : دراسة تحليلية : نشر مكتبة الوعى العربى القاهرة ١٩٨٣ .

ابكار السقاف :

٣ ـ إسرائيل وعقيدة الأرض الموعودة : نشر عالم الكتب القاهرة الطبعة الأولى ١٩٦٧ .

د / أحمد بدوى :

٤ ـ فى موكب الشمس : الجزء الثانى فى تاريخ مصر الفرعونية من آخر الضحى إلى أول الأصيل الطبعة الأولى ١٣٦٩ هـ ١٩٥٠ م . لجنة التأليف والترجمة

---

(١) هناك مصادر لم أثبتها في هذه القائمة ورأيت الاكتفاء بايرادها بين ثنايا الكتاب .

(٢) اعتمدت في هذا الترتيب علي شهرة المؤلف سواء كانت هذه الشهرة راجعة إلي اسمه أو لقبه أو كنيته .

والنشر القاهرة .

د / أحمد شلبي :

٥ ـ اليـهودية : رقم (١) من سلسلة مقارنة الأديان مكتبة النهضة المصرية القاهرة الطبعة الخامسة ١٩٧٨ م .

د / أحمد فخرى : (أستاذ تاريخ مصر الفرعونية والشرق القديم بآداب القاهرة) .

٦ ـ الأدب المصرى القديم : بحث ضمن كتاب تاريخ الحضارة المصرية الفرعونية ـ دار النشر والتوزيع ـ مكتبة النهضة المصرية : وزارة الثقافة والإرشاد القومى الإدارة العامة للثقافة .

٧ ـ دراسات فى تاريخ الشرق القديم ـــ ملتزم الطبع والنشر مكتبة الانجلو المصرية ـ الطبعة الرابعة ١٩٨٤ م .

٨ ـ مصر الفرعونية : موجز تاريخ مصر منذ أقدم العصور حتى عام ٣٣٢ ق . م ـ ملتزم الطبع والنشر مكتبة الانجلو المصرية ١٩٨٣ م .

د / أحمد عبد الحميد يوسف :

٩ ـ مصر فى القرآن والسنة ـ العدد ٣٧٣ من سلسلة اقرأ دار المعارف بمصر أكتوبر ١٩٧٣ م .

مهندس : أحمد عبد الوهاب :

١٠ ـ إسرائيل حرفت الأناجيل والأسفار المقدسة ـ مكتبة وهبة الطبعة الأولى ١٩٧٢م .

١١ ـ فلسطين بين الحقائق والأباطيل ـ الناشر مكتبة وهبة القاهرة ـ الطبعة الأولى ١٣٩٢ هـ / ١٩٧٢ م .

١٢ ـ النبوة والأنبياء فى اليهودية والمسيحية والإسلام : الناشر مكتبة وهبة رقم (٢) من سلسلة داراسة فى الأديان الطبعة الأولى ١٤٠٠ هـ / ١٩٧٩ م .

الباجى : (الشيخ الفقيه على بن محمد علاء الدين الباجى الشافعى ت ٧١٤

هـ) .

١٣ ـ على التوراة : تحقيق د / أحمد حجازى السقا دار الأنصار القاهرة : الطبعة الأولى بمصر ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م .

بحر : (د / محمد بحر عبد المجيد) : أستاذ اللغات الشرقية بآداب عين شمس ووكيل الكلية سابقا) .

١٤ ـ اليهودية : ملتزم الطبع والنشر مكتبة سعيد رأفت القاهرة .

د / بدران محمد بدران :

١٥ التوراة : العقل ، العلم ، التاريخ توزيع دار الأنصار الطبعة الأولى ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م .

د / بركات عبد الفتاح دويدار :

١٦ ـ الحركة الفكرية ضد الإسلام : الطبعة الثانية ١٩٨٠ دار التراث العربى للطبع والنشر القاهرة .

١٧ ـ الوحدانية مع دراسة فى الأديان والفرق رقم (١) من سلسلة فى ميدان العقيدة : الناشر : مكتبة النهضة المصرية ١٩٧٧ م .

ابن تيمية (الإمام شيخ الإسلام ابن تيمية) :

١٨ ـ جامع الرسائل تحقيق د / محمد رشاد سالم .

١٩ ـ الجواب الصحيح لمن بدل دين المسح مكتبة المدنى .

٢٠ ـ الصفدية تحقيق د / محمد رشاد سالم .

د / جمال حمدان :

٢١ ـ اليهود انثروبولوجيا : العدد (١٦٩) من المكتبة الثقافية فبراير ١٩٦٧ بإشراف د / محمد شكرى عياد : دار الكاتب العربى للطباعة والنشر القاهرة .

د / جواد على :

٢٢ ـ المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام : الجزء الأول نشر : دار العلم

للملايين بيروت ، ومكتبة النهضة ببغداد الطبعة الثانية ١٩٧٦ ، وساعدت جامعة بغداد على نشره .

الجوينى : (الإمام حجة الإسلام أبو المعالى إمام الحرمين ت ٤٧٨ هـ) .

٢٣ ـ شفاء العليل فى بيان ماوقع فى التوراة والإنجيل من التبديل تقديم وتحقيق وتعليق د / أحمد حجازى السقا ، الناشر مكبة الكليات الأزهرية ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩م .

حامد عبد القادر :

٢٤ ـ الأمم السامية : مصادر ناريخها وحضارتها ، مراجعة وتعليق د / عونى عبد الرءوف : دار نهضة مصر للطبع والنشر القاهرة سنة ١٩٨١ م .

٢٥ ـ زرادشت الحكيم : حياته وفلسفته رقم (١) من سلسلة قادة الفكر فى الشرق والغرب نشر مكتبة نهضة مصر ومطبعتها القاهرة ١٩٥٦ م .

٢٦ ـ قصة الأدب الفارسى : الجزء الأول ويشمل تاريخ الأدب الفارسى من مبدئه إلى نهاية الدولة الغزنوية : ملتزم الطبع والنشر مكتبة نهضة مصر القاهرة ١٣٧٠ هـ / ١٩٥١ م .

ابن حزم : (الإمام أبو محمد على بن أحمد بن حزم الظاهرى ت ٤٥٦ هـ) .

٢٧ ـ الفصل فى الملل والأهواء والنحل : نسخة من خسيمة أجزاء فى مجلد واحد نشر مكتبة الخانجى بمصر ١٣٢١ هـ وطبعة مكتبة السلام العالمية .

د / حسن محمود :

٢٨ ـ العبرانيون : بحث ضمن كتاب حضارة مصر والشرق القديم مكتبة مصر بالقاهرة بدون تاريخ .

د / حسين ذو الفقار صبرى :

٢٩ ـ إنما الأمور بأصولها : بحث فى مجلة العدد ١٥١ سنة ١٩٦٩ م .

٣٠ ـ توراة اليهود بين أصول متشعثة وسعى إلى انعقاد بحث فى المجلة : العدد ١٥٧ من السنة الرابعة عشرة يناير ١٩٧٠ .

٣١ ـ إله موسى فى توراة اليهود : بحث فى المجلة العدد ١٦٣ من السنة الرابعة عشرة يوليو ١٩٧٠ م .

د / حسين فوزى النجار :

٣٢ ـ أرض الميعاد : دراسة علميه للوعد الألهى لبنى إسرائيل بأرض الميعاد على ضوء الكتب (السماوية) دار المعارف الطبعة الثانية ١٩٨٥ م .

حسن عمر حمادة :

٣٣ ـ آثار فلسطين بين حرب الهياكل العظيمة التوراتية اليهودية وبين الاستكشافات الأثرية العلمية الطبعة الأولى ١٤٠٣ هـ ١٩٨٣ م نشر وتوزيع دار قتيبة دمشق .

٣٤ ـ مخطوطات البحر الميت (قصة اللفائف الكتابية والنحاسية التوراتية فى كهوف قمران) دار منارات للنشر عمان ـ الأردن الطبعة الأولى ١٩٨٢ م .

حفنى ناصف (عصام الدين حفنى ناصف) :

٣٥ ـ الأسطورة والوعى : دار العالم الجديد ١٩٧٦ م .

٣٦ ـ محنة التوراة على أيدى اليهود : مطبعة الرسالة بمصر الطبعة الأولى ١٣٨٥ هـ . ١٩٦٥ م .

٣٧ ـ اليهودية فى العقيدة والتاريخ : دار العالم الجديد القاهرة الطبعة الأولى ١٩٧٧ م .

الحفنى : (د / عبد المنعم الحفنى) .

٣٨ ـ الموسوعة النقدية للفلسفة اليهودية نشر مكتبة مدبولى القاهرة الطبعة الأولى ١٩٨٠ م .

حماية : (د/ محمودعلى حماية) .

٣٩ـ ابن حزم ومنهجه فى دراسة الأديان : دار المعارف ـ الطبعة الأولى ١٩٨٣م.

الخشاب : (د/ محمد عبد المحسن الخشاب) عضو المجمع العلمى المصرى .

٤٠ ـ تاريخ اليهود القديم فى مصر المجلد ٦٢ من رسائل المجمع العلمى المصرى القاهرة ١٩٨٥م .

الدباغ : (تقى الدباغ)

٤١ ـ آلهة فوق الأرض : دراسة مقارنة المجلد ٢٣ من مجلة سومر العراقية بغداد ١٩٦٧ م صـ١٠١ ـ ١٢٣ .

٤٢ ـ البية الطبيعية والإنسان :

بحث ضمن كتاب حضارة العراق : الجزء الأول دار الحرية للطباعة بغداد ١٩٨٥م .

دراز(د / محمد عبد الله دراز) :

٤٣ ـ الدين : بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان : مطبعة السعادة بمصر ١٣٨٩ هـ ـ ١٩٦٩ م .

دروزة : (محمد عزة دروزة)

٤٤ ـ تاريخ بنى إسرائيل من أسفارهم : طبعة جديدة من منشورات المكتبة العصرية للطباعة والنشر ـ صيدا بيروت ١٣٨٩ ـ ١٩٦٩ م .

٤٥ ـ تاريخ الجنس العربى فى مختلف الأطوار والأدوار والأقطار الجزء الثالث ١٣٧٨ ـ ١٩٥٩ ، الجزء الرابع ١٣٧٩ هـ ١٩٦٠ المطبعة العصرية للطباعة والنشر صيدا لبنان .

٤٦ ـ عبرة من تاريخ فلسطين : منشورات المكتبة العصرية صيدا بيروت ١٩٧٨م .

الرازى (العلامة فخر الدين أبو عبد الله محمد بن حسين الرازى) .

٤٧ ـ التفسير الكبير المسمى مفاتيح الغيب : نسخة فى ستة عشر مجلدا تحتوى على اثنين وثلاثين جزءا الطبعةالثالثة دار إحياء التراث العربى بيروت .

الدكتور رءوف شلبى :

٤٨ ـ آلهة فى الأسواق (دراسة فى الأهواء والنحل القديمة) مكتبة الأزهر

للطباعة والنشر والتوزيع : القاهرة الطبعة الأولى ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م .

٤٩ ـ الدعوة الإسلامية فى عهدها المكى : مناهجها وغاياتها دار القلم الكويت : الطبعة الثانية ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م .

٥٠ ـ « يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء » نشر مكتبة الأزهر القاهرة الطبعة الأولى ١٣٩٤ هـ / ١٩٧٤ م .

الشيخ رحمت الله الهندى (١٢٢٣ ـ ١٣٠٨ هـ) .

٥١ ـ إظهار الحق : تقديم وتحقيق وتعليق د / أحمد حجازى السقا دار التراث العربى للطباعة والنشر القاهرة الطبعة الأولى ١٩٧٨ م .

والطبعة الجديدة دراسة وتحقيق وتعليق د / محمد أحمد ملكاوى طبع وتشر الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء بالرياض المملكة العربية السعودية ١٤١٠ هـ / ١٩٨٩ م .

الشيخ رشيد رضا : (محمد رشيد رضا) .

٥٢ ـ تفسير القرآن الحكيم المسمى (تفسير المنار) نسخة من اثنى عشر جزءا فى ست مجلدات نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٢ ـ ١٩٧٣ م .

د / رشيد الناضورى (أستاذ كرسى التاريخ القديم بجامعة الأسكندرية) .

٥٣ ـ المدخل فى التطور التاريخى للفكر الدينى : مصر ، سومر ، فلسطين ، عيلام ، المغرب دار مكتبة الجامعة العربية بيروت ١٣٨٨ هـ / ١٩٦٩ م .

الزغبى : (د . فتحى محمد الزغبى) .

٥٤ ـ غلاة الشيعة وتأثرهم بالأديان المغايرة للإسلام رسالة ماچستير بكلية أصول الدين والدعوة بطنطا ١٩٨٤ م وقد تم نشرها بنفس العنوان ١٩٨٨ م .

٥٥ ـ القرابين البشرية والذبائح التلمودية عند الوثنيين واليهود ١٤١٠ هـ / ١٩٩١ م .

ـ تنزيه نبى الله داود عن مطاعن وأكاذيب اليهود فى العهد القديم والإسرائيليات الطبعة الأولى ١٤١٢ هـ / ١٩٩١ م .

الزمخشرى (أبو القاسم جار الله محمود الزمخشرى) .

٥٦ ـ الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل : نسخة من أربعة أجزاء فى أربعة مجلدات شركة مكتبة مصطفى الحلبى بمصر ١٣٩٢ هـ ـ ١٩٧٢ م .

أبو زهرة : (الشيخ محمد أبو زهرة) .

٥٧ ـ محاضرات فى مقارنات الأديان : القسم الأول : الديانات القديمة طبع ونشر دار الفكر العربى بدون تاريخ .

د / سامى سعيد الأحمد (أستاذ التاريخ القديم بكلية آداب بغداد) .

٥٨ ـ الأسس التاريخية للعقيدة اليهودية : العدد (١) من سلسلة منشورات تاريخية مطبعة الإرشاد بغداد ١٩٦٩ م .

٥٩ ـ سلاسل بابل الحديثة (٥٢٦ ـ ٥٣٩ ق . م) بحث ضمن القسم الأول : العراق القديم من كتاب العراق فى التاريخ دار الحرية للطباعة بغداد ١٩٨٣ م .

٦٠ ـ السومريون وتراثهم الحضارى : العدد رقم (٣) من منشورات الجمعية التاريخية العراقية بغداد ١٩٧٥ م .

٦١ ـ العصر البابلى القديم : بحث ضمن القسم الأول : العراق القديم من كتاب العراق فى التاريخ ، دار الحرية للطباعة بغداد ١٩٨٣ م .

سعفان (د / كامل سعفان) .

٦٢ ـ اليهود تاريخا وعقيدة سلسلة كتاب الهلال عدد ابريل ١٩٨١ م .

سليم حسن :

٦٣ ـ مصر القديمة : الجزء الخامس : السيادة العالمية والتوحيد مطبعة دار الكتب المصرية القاهرة ١٩٤٨ م .

٦٤ ـ مصر القديمة : الجزء السابع (عصر مرنبتاح ورعمسيس الثالث مطبعة دار الكتب المصرية ١٩٥٠ م .

٦٥ ـ مصر القديمة : الجزء التاسع : نهاية الأسرة الواحدة والعشرين وحكم

دولة اللوبيين لمصر حتى بداية العهد الأثيوبى ولمحة على تاريخ العبرانيين مطبعة جامعة فؤاد الأول مكتبة الانجلو المصرية ١٩٥٢ .

سليمان مظهر :

٦٦ ـ قصة الديانات : دار الوطن العربى للطباعة والنشر بدون تاريخ .

الإمام المهتدى السموال بن يحى المغربى ت ٥٧٠ هـ .

٦٧ ـ افحام اليهود وقصة اسلام السموال ورؤيا النبى صلى الله عليه وسلم تقديم وتحقيق وتعليق د / محمد عبد الله الشرقاوى الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م دار الهداية القاهرة .

سوسة (د / أحمد سوسة)

٦٨ ـ تاريخ حضارة وادى الرافدين الجزء الأول دار الحرية للطباعة بغداد بدون تاريخ .

٦٩ ـ مفصل العرب واليهود فى التاريخ : منشورات وزارة الثقافة والإعلام بالعراق الطبعة الخامسة دار الحرية لِلطباعة بغداد توزيع الدار الوطنية للتوزيع ١٩٨١ م .

سيد قطب :

٧٠ ـ فى ظلال القرآن : نسخة فى ست مجلدات : دار الشروق بيروت القاهرة الطبعة الشرعية العاشرة ١٤٠٢ هـ ـ ١٩٨٢ م .

٧١ ـ خصائص التصور الإسلامى ومقوماته دار الشروق القاهرة / بيروت ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٩ م .

الشامى (د / رشاد عبد الله الشامى)

٧٢ ـ الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية العدد ١٠٢ من سلسلة عالم المعرفة اصدار المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب الكويت رمضان ١٤٠٦ هـ ـ يونيو ١٩٨٦ م .

أبو شهبة (د / محمد بن محمد أبو شهبة)

٧٣ ـ الإسرائيليات والموضوعات فى كتب التفسير الكتاب الرابع فى السنة الرابعة عشرة من سلسلة البحوث الإسلامية ١٤٠٤ هـ/ ١٩٨٤ م مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر .

الشهرستانى (أبو الفتح محمد عبد الكريم الشهرستانى (٤٧٩ ـ ٥٤٨ هـ)

٧٤ ـ الملل والنحل : نسخة من جزئين بتحقيق محمد سيد كيلانى مكتبة ومطبعة مصطفى الحلبى ١٣٩٦ هـ/ ١٩٧٦ م .

شوقى عبد الحكيم :

٧٥ ـ الفولكلور والأساطير العربية دار ابن خلدون الطبعة الأولى ١٩٧٨ م .

الطبرى : (أبو جعفر بن جرير الطبرى ت ٣١٠ هـ) .

٧٦ ـ تفسير الطبرى : جامع البيان عن تأويل القرآن حققه وعلق حواشيه محمود محمد شاكر ، راجعه وخرّج أحاديثه أحمد محمد شاكر دار المعارف بمصر الطبعة الثانية ، والطبعة الكاملة نشر دار المعرفة بيروت ١٤٠٦ هـ/ ١٩٨٦ م .

طه باقر :

٧٧ ـ ديانة البابليين والأشوريين : بحث فى المجلد الثانى من مجلة سومر بغداد ١٩٤٦ م من صـ١ ـ ١٩ ومن صـ١٧٩ ـ ١٩٦ .

٧٨ ـ مقدمة فى تاريخ الحضارات القديمة : الجزء الأول الوجيز فى تاريخ حضارة وادى الرافدين : منشورات دار البيان بغداد (٥٣) دار الثقافة بيروت لبنان الطبعة الأولى ١٣٩٣ هـ/١٩٧٣ م .

٧٩ ـ ملحمة كلكامش وقصص أخرى عن كلكامش والطوفان دار الشئون الثقافية العامة بوزارة الثقافة والإعلام العراقية بغداد .

طه باقر وبشير فرنسيس :

٨٠ ـ الخليقة وأصل الوجود المجلد الخامس من مجلة سومر بغداد ١٩٤٩ من صـ١ ـ ٣٦ و صـ١٧٥ ـ ٣١٤ .

٨١ ـ ملحمة جلجامش والطوفان : المجلد السادس من مجلة سومر بغداد

١٩٥٠ ص ٣٢ - ٨ ، ١٤٣ - ١٩١ .

ظاظا (د / حسن ظاظا) :

٨٢ - إسرائيل كفصيلة خاصة من فصائل المعسكر الإستعماري بحث من كتاب الصهيونية العالمية وإسرائيل بالإشتراك مع د / عائشة راتب ود / محمد فتح الله الخطيب .

الهيئة العامة للكتب والأجهزة العلمية القاهرة ١٩٧١ م .

٨٣ - الساميون ولغاتهم : مطبعة المصرى الأسكندرية ١٩٧١ م .

٨٤ - الشخصية الإسرائيلية : دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع دمشق الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م .

٨٥ - الفكر الديني الإسرائيلي (أطواره ومذاهبه)

الناشر مكتبة سعيد رأفت ١٩٧٥ م ، والطبعة الجديدة بعنوان الفكر الديني اليهودي دار القلم دمشق ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م .

ظفر الإسلام خان :

٨٦ - تاريخ فلسطين القديم (١٢٢٠ ق . م - ١٣٥٩ م) منذ أول غزو يهودي حتى آخر غزو صليبي دار النفائس الطبعة الرابعة ١٩٨٤ بيروت .

٨٧ - التلمود تاريخه وتعاليمه : دار النفائس بيروت للطباعة والنشر والتوزيع الطبعة الثانية ١٩٧٢ م .

عامر سليمان :

٨٨ - جوانب من حضارة العراق القديم بحث ضمن القسم الأول :

العراق القديم من كتاب العراق فى التاريخ دار الحرية للطباعة بغداد ١٩٨٣ م .

عبد الله التل :

٨٩ - خطر اليهودية العالمية على الإسلام والمسيحية الطبعة الثانية دار القلم بالقاهرة بدون تاريخ .

عبد الحكيم ذا النون :

٩٠ ـ تاريخ فلسطين القديم والخلفية الزائفة للصهيونية دار الكتاب العربى سورية الطبعة الأولى ١٤٠٤ هـ ١٩٨٤ م .

عبد الرزاق أحمد قنديل :

٩١ ـ الأثر الإسلامى فى الفكر الدينى اليهودى : دار التراث بالقاهرة بالإشتراك مع مركز بحوث الشرق الأوسط جامعة عين شمس ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤م .

عبد الحميد زايد :

٩٢ ـ الشرق الخالد : مقدمة فى تاريخ وحضارة الشرق الأدنى من أقدم العصور حتى عام ٣٢٣ ق . م نشر دار النهضة العربية القاهرة ١٩٦٧ م .

٩٣ ـ القدس الخالدة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٤ م .

د / **عبد العزيز صالح** (عميد كلية الآثار الأسبق وأستاذ تاريخ مصر والشرق القديم بجامعة القاهرة) .

٩٤ ـ الشرق الأدنى القديم : الجزء الأول : مصر والعراق الطبعة الرابعة مكتبةالانجلو المصرية ١٩٨٤ م .

عبد العزيز عبد الحق حلمى :

٩٥ ـ مقدمة كتاب الرد الجميل للإمام الغزالى نشر مجمع البحوث الإسلامية القاهرة ١٣٩٤ هـ / ١٩٧٤ م .

عبد الكريم الخطيب :

٩٦ ـ الله ذاتا وموضوعا : الكتاب الأول من سلسلة قضية الألوهية بين الفلسفة والدين دار الفكر العربى الطبعة الثالثة ١٩٨٣ م .

عبد المنعم أبو بكر :

٩٧ ـ ضمن كتاب حضارة مصر والشرق القديم مكتبة مصر ـ القاهرة بدون تاريخ .

عبده الراجحي :

٩٨ ـ الشخصية الإسرائيلية :دار المعارف ١٩٦٨ م مطبعة م .ب الأسكندرية .

عجاج ذويهض :

٩٩ ـ بروتوكولات حكماء صهيون : المجلد الثانى (الجزءان الثالث والرابع) الطبعة الأولى دار الجليل للنشر عمان ١٩٨٤ م .

عجيبة (د / أحمد على عجيبة) :

١٠٠ ـ الخلاص المسيحى ونظرة الإسلام إليه : رسالة ماجستير بكلية أصول الدين بطنطا ١٩٨٥ م .

عصفور (د / محمد أبو المحاسن عصفور) .

١٠١ ـ معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم منذ أقدم العصور إلى مجىء الاسكندر دار النهضة العربية للطباعة والنشر بيروت الطبعة الثالثة ١٤٠٤ هـ ١٩٨٤م .

العقاد (عباس محمود العقاد)

١٠٢ ـ الله: كتاب فى نشأة العقيدة الالهية دار المعارف بمصر الطبعة السادسة ١٩٦٩م .

١٠٣ ـ إبراهيم أبو الأنبياء : منشورات المكتبة العصرية : بيروت صيدا ١٩٨١م .

١٠٤ ـ ابليس : بحث فى تاريخ الخير والشر وتمييز الإنسان بينهما من مطلع التاريخ إلى اليوم دار نهضة مصر ١٩٨٥ م .

١٠٥ ـ الثقافة العربية أسبق من ثقافة اليونان والعبريين المكتبة الثقافية الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٥ م .

١٠٦ ـ حقائق الإسلام وأباطيل خصومه : دار نهضة مصر طبعة جديدة بدون تاريخ .

١٠٧ ـ الضحية فى مقارنة الأديان : بحث فى مجلة منبر الإسلام العدد ١٢

السنة ٢٠ ذى الحجة ١٣٨٢ هـ مايو ١٩٦٣ م .

١٠٨ ـ مطلع النور أو طوالع البعثة المحمدية دار نهضة مصر للطبع والنشر القاهرة ١٩٨٠ م .

عوف (عبد الرحمن على عوف)

١٠٩ ـ عزير وعزرا فى القرآن الكريم والعهد القديم رسالة ماجستير بكلية دار العلوم جامعة القاهرة قسم علم اللغة والدراسات السامية والشرقية ١٩٧٤ م .

عياد (د / محمد كامل عياد)

١١٠ ـ تاريخ اليونان : الجزء الأول : الطبعة الثالثة دمشق ١٤٠٠ هـ ـ ١٩٨٠ م .

غلاب (محمد غلاب)

١١١ ـ الفلسفة الشرقية : الطبعة الثانية مكتبة الأنجلو المصرية بدون تاريخ .

د / فاروق إسماعيل :

١١٢ ـ الوثنية مفاهيم وممارسات : دار المعرفة الجامعية الاسكندرية ١٩٨٥ م .

الفاروقى (د / إسماعيل راجى الفاروقى) :

١١٣ ـ أصول الصهيونية فى الدين اليهودى نشر معهد الدراسات العربية العالية ١٩٦٣ / ١٩٦٤ م .

د / فاضل عبد الواحد على :

١١٤ ـ ثم جاء الطوفان : بحث فى المجلد الواحد والثلاثين من مجلة سومر بغداد ١٩٧٥ م صـ٣ ـ ٣٧ .

١١٥ ـ حضارة بلاد وادى الرافدين (أصالتها وتأثيرها فى بلدان الشرق الأدنى القديم) بحث ضمن كتاب العراق فى التاريخ القسم الأول : العراق القديم دار الحرية للطباعة بغداد ١٩٨٣ م .

١١٦ ـ السومريون والأكاديون : بحث ضمن القسم الأول : العراق القديم من كتاب العراق فى التاريخ دار الحرية للطباعة بغداد ١٩٨٣ م .

د / فؤاد حسنين على :

١١٧ ـ إسرائيل عبر التاريخ الجزء الأول : نشر دار النهضة العربية مطبعة الرسالة بدون تاريخ .

١١٨ ـ التوراة عرض وتحليل طبعة ١٩٤٦ م .

١١٩ ـ التوراة الهيروغليفية : دار الكاتب العربى للطباعة والنشر القاهرة بدون تاريخ .

١٢٠ ـ فلسطين الغربية : معهد البحوث والدراسات العربية قسم البحوث والدراسات الفلسطينية ١٩٧٣ م .

١٢١ ـ المجتمع الإسرائيلى حتى تشريده : نشر معهد الدراسات العربية العالية ١٩٦٦ مطبعة الرسالة القاهرة .

١٢٢ ـ من الأدب العبرى : نشر معهد الدراسات العربية العالية ١٩٦٣ .

١٢٣ ـ اليهودية واليهودية المسيحية : معهد البحوث والدراسات العربية ١٩٦٨ م .

فؤاد محمد شبل :

١٢٤ ـ إخناتون رائد الثورة الثقافية : العدد (١) من سلسلة قادة الفكر : الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٤ م .

١٢٥ ـ دور مصر فى تكوين الحضارة : العدد ٢٧٠ من سلسلة المكتبة الثقافية الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧١ م .

أبو الفداء (الملك المؤيد إسماعيل أبو الفداء) :

١٢٦ ـ تاريخ أبى الفداء : المختصر فى أخبار البشر الجزء الأول من المجلد الأول طبعة ١٩٣٥ نسخة قديمة بدار الكتب تحت رقم ٥٩٠٢ .

د / فرج الله عبد البارى أبو عطا الله :

١٢٧ ـ اليوم الآخر بين الأديان الثلاثة : اليهودية ، المسيحية والإسلام : رسالة ماجستير بكلية أصول الدين بطنطا ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م وقد تم نشرها فى كتاب بنفس العنوان بدار الوفاء ١٩٩١ م .

فوزى رشيد :

١٢٨ المعتقدات الدينية : بحث فى الديانة العراقية القديمة ضمن كتاب حضارة العراق الجزء الأول دار الحرية للطباعة ببغداد .

القرافى (شهاب الدين أحمد بن ادريس القرافى ت ٦٨٤ هـ) :

١٢٩ ـ الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة : تقديم وتحقيق وتعليق د / بكر زكى عوض : رقم (١) من سلسسلة مقارنة أديان كلية أصول الدين القاهرة ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٦ م .

القرطبى (أبو عبد الله محمدبن أحمد الأنصارى القرطبى) :

١٣٠ ـ الإعلام بما فى دين النصارى من الفساد والأوهام وإظهار محاسن دين الإسلام وإثبات نبوة نبينا محمد عليه الصلاة والسلام .

تقديم وتحقيق وتعليق د / أحمد حجازى السقا دار التراث العربى القاهرة ١٩٨٠م .

١٣١ ـ الجامع لأحكام القرآن : نسخة من عشرين جزءا فى عشرة مجلدات طبعة وزارة الثقافة المصورة عن طبعة دار الكتب نشر دار الكاتب العربى للطباعة والنشر ١٣٨٧ هـ / ١٩٦٧ م .

ابن كثير (الحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير ت ٧٧٤ هـ) :

١٣٢ ـ تفسير القرآن العظيم نسخة من أربعة أجزاء فى أربعة مجلدات طبعة عيسى الحلبى القاهرة بدون تاريخ .

د / محمد أحمد محمود حسن :

١٣٣ ـ مصر والعرب وإسرائيل فى الكتب المقدسة : دار المعارف ١٩٨٠ م .

١٣٤ ـ اليهودية التبشيرية فى الكتب المقدسة وإلى اليوم مكتبة النهضة المصرية ١٩٨٥م .

محمد إسماعيل على السيد :

١٣٥ ـ مدى مشروعية أسانيد السيادة الإسرائيلية فى فلسطين : دراسة فى

إطار القانون الدولى العام الناشر عالم الكتب القاهرة ١٩٧٥ م .

محمد بديع شريف :

١٣٦ ـ مدخل لدراسة مطامع اليهود فى فلسطين قديما وحديثا معهد البحوث والدراسات العربية ١٩٧٣ م .

محمد جابر عبد العال الحينى :

١٣٧ ـ فى العقائد والأديان (الديانات الكبرى المعاصرة) سلسلة دارسات إسلامية : الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ١٩٧١ م .

محمد حسنى عبد الحميد :

١٣٨ ـ أبو الأنبياء إبراهيم الخليل : طبع ونشر دار سعد بمصر القاهرة الطبعة الأولى ١٣٦٦ هـ / ١٩٤٧ م .

د / محمد شفيق غربال :

١٣٩ ـ تكوين مصر : وزارة الإرشاد القومى نشر وطبع مكتبة النهضة المصرية ١٩٥٧ م .

محمد صبرى :

١٤٠ ـ التلمود شريعة بنى إسرائيل حقائق ووقائع نشر مؤسسة دار الهلال ١٩٧٤م .

د / محمدعبد القادر محمد :

١٤١ ـ الديانة فى مصر الفرعونية : دار المعارف بدون تاريخ .

١٤٢ ـ الساميون فى العصور القديمة : دار النهضة العربية القاهرة ١٩٦٨ م المطبعة العالمية .

المسيرى (د / عبد الوهاب محمد المسيرى) :

١٤٣ ـ الأقليات اليهودية بين التجارة والإدعاء القومى معهد البحوث والدراسات العربية ١٩٧٥ م .

مصطفى حمزة :

١٤٤ ـ تاريخ اليهود العبرانيين منذ أقدم الأزمنة حتى قيام مملكة داود أو أصل اليهود ومبادىء الأشياء الجزء الأول دار فجر الإسلام للطباعة والنشر والتوزيع الاسكندرية ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م .

د / مصطفى كمال عبد العليم :

١٤٥ ـ اليهود فى مصر فى عصرى البطالمة والرومان مع مقدمة عن اليهود فى العصر الفرعونى : الطبعة الأولى ١٩٦٨ ملتزم الطبع والنشر مكتبة القاهرة الحديثة .

منى ناظم محمد الدبوسى :

١٤٦ ـ فكرة الخلاص عن اليهود : منذ فترة العهد القديم حتى العصر الحديث رسالة دكتوراه بقسم اللغات الشرقية بآداب عين شمس ١٩٨٣ م .

١٤٧ المسيح اليهودى ومفهوم السيادة الإسرائيلية رقم (١) من سلسة (نحن وهم) سلسلة ثقافية قومية تصدرها مؤسسة الاتحاد للصحافة والنشر بدولة الإمارات العربية المتحدة (أبو ظبى) .

مهران (د / محمد بيومى مهران) :

١٤٨ ـ دراسة حول قصة الطوفان بين الآثار والكتب المقدسة : بحث فى مجلة كلية اللغة العربية والعلوم الإجتماعية جامعة الإمام محمد بن سعود بالرياض العدد الخامس ١٣٩٥ هـ / ١٩٧٥ م صـ٣٨٣ ـ ٤٥٥ .

١٤٩ ـ دراسات فى تاريخ الشرق الأدنى القديم الجزءان السابع والثامن : إسرائيل : الكتابان الأول والثانى : التاريخ الاسكندرية ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م .

الجزءان التاسع والعاشر : إسرائيل : الكتابان الثالث والرابع (الحضارة) الاسكندرية ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م .

١٥٠ ـ النبوة والأنبياء عند بنى إسرائيل مطبعة الرشاد الاسكندرية ١٩٧٨ م .

المودودى (الإمام أبو الأعلى المودودى) :

١٥١ ـ الحجاب نشر دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت .

موريس بوكاى (١) :

١٥٢ ـ القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم دراسة الكتب المقدسة فى ضوء المعارف الجديثة دار المعارف الطبعة الرابعة ١٩٧٧ م .

ـ ما أصل الإنسان ؟ : اجابات العلم والكتب المقدسة : قام بترجمته إلى العربية ونشره مكتب التربية العربى لدول الخليج الرياض ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٥ م .

النجار (الشيخ عبد الوهاب النجار) :

١٥٣ ـ قصص الأنبياء : مكتبة دار التراث القاهرة بدون تاريخ المطبعة العربية الحديثة .

الشيخ نسيب وهيبة الخازن :

١٥٤ ـ من الساميين إلى العرب : منشورات مكتبة الحياة بيروت لبنان بدون تاريخ .

النشار (د / على سامى النشار وعباس الشربينى) :

١٥٥ ـ الفكر اليهودى وتأثره بالفلسفة الإسلامية الناشر : منشأة المعارف الاسكندرية .

نصحى (د / إبراهيم نصحى) :

١٥٦ ـ تاريخ مصر فى عصر البطالمة : الجزء الأول : الطبعة السادسة : القاهرة ١٩٨٤ ، الجزء الثانى : الطبعة الخامسة ملتزم الطبع والنشر مكتبة الأنجلو المصرية القاهرة ١٩٨١ .

نعناعة (محمود نعناعة) :

١٥٧ ـ المشكلة اليهودية وهل تحلها إسرائيل من ظهور ابرام حتى سقوط يهوذا مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٧٢ م .

الهاشمى (محمد فؤاد الهاشمى) :

١٥٨ ـ اليهود من الكتب المقدسة : العدد ٧٢ من سلسلة دراسات فى الإسلام التى تصدرها المجلس الأعلى للشئون الإسلامية السنة السابعة ١٥ ربيع الأول ١٣٨٧

---

(١) كتب المؤلف هذا الكتاب ونشره قبل أن يعلن إسلامه مؤخرا ، وقد وضعته بين المؤلفين المسلمين باعتبار ماهو عليه الآن .

هـ ٢٣ يونية ١٩٦٧ م .

هنداوى (إبراهيم موسى هنداوى) :

١٥٩ ـ الأثر العربى فى الفكر اليهودى نشر مكتبة الأنجلو المصرية القاهرة ١٩٦٣م.

هوارى (محمد على حسن هوارى) :

١٦٠ ـ الألوهية عند بنى إسرائيل منذ ظهور موسى حتى العودة من السبى البابلى : رسالة دكتوراه بقسم اللغات الشرقية وآدابها كلية الآداب جامعة عين شمس ١٩٨٣ م .

وافى (د / على عبد الواحد وافى) :

١٦١ ـ الأدب اليونانى القديم ودلالته على عقائد اليونان ونظامهم الاجتماعى: دار نهضة مصر للطبع والنشر ١٩٧٩ م .

١٦٢ ـ الأسفار المقدسة فى الأديان السابقة للإسلام دار نهضة مصر للطباعة والنشر القاهرة ١٩٨٤ م .

١٦٣ ـ غرائب النظم والتقاليد والعادات دار نهضة مصر للطباعة والنشر القاهرة ١٩٨٤ م .

١٦٤ ـ فقه اللغة دار نهضة مصر القاهرة .

١٦٥ ـ الطوطمية أشهر الديانات البدائية : العدد رقم ١٩٤ من سلسلة اقرأ فبراير ١٩٥٩ دار المعارف بمصر .

١٦٦ ـ اليهودية واليهود (بحث فى ديانة اليهود وتاريخهم ونظامهم الإجتماعى والإقتصادى) دار نهضة مصر للطبع والنشر بدون تاريخ .

دكتور يحيى هاشم حسن فرغل :

١٦٧ ـ الإسلام والإتجاهات العلمية المعاصرة : دار المعارف ١٩٨٤ م .

١٦٨ ـ الفكر الإسلامى فى مواجهة التيارات الفكرية المعاصرة : الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م مطبعة الجبلاوى القاهرة .

ثانيا : مؤلفون غير مسلمين :

١٦٩ ـ الكتاب المقدس : أى كتب العهد القديم والعهد الجديد طبعة البروتستانت التى أصدرتها دار الكتاب المقدس فى العالم العربى بدون تاريخ .

١٧٠ ـ الكتاب المقدس : العهد العتيق والعهد الجديد :

طبعة الأساقفة الكاثوليك منشورات دار المشرق توزيع المكتبة الشرقية بيروت ١٩٨٦ م وتحتوى هذه الطبعة على مقدمة لكل سفر .

١٧١ ـ الكتاب المقدس : كتب الشريعة الخمسة طبعة الآباء اليسوعيين منشورات دار المشرق بيروت توزيع المكتبة الشرقية بيروت إشراف جمعيات الكتاب المقدس المشرق ١٩٨٦ م .

وتحتوى هذه الطبعة على مدخل إلى الكتاب المقدس ، ومدخل إلى العهد القديم ومقدمة وشرح لكل سفر .

١٧٢ ـ التوراة السامرية (النص الكامل للتوراة السامرية باللغة العربية) ترجمة الكاهن السامرى : أبو الحسن إسحاق الصورى ، نشرها وعرف بها د / أحمد حجازى السقا ، الناشر : دار الأنصار القاهرة الطبعة الأولى ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م .

١٧٣ ـ قاموس الكتاب المقدس : تأليف نخبة من الأساتذة ذوى الإختصاص ومن اللاهوتين .

هيئة التحرير : د / بطرس عبد الملك و د / جون الكساندر طمسن ، والأستاذ إبراهيم مطر .

من منشورات مكتبة المشعل فى بيروت بإشراف رابطة الكنائس الإنجيلية فى الشرق الأوسط الطبعة السادسة ١٩٨١ م .

كاتب مسيحى لاهوتى أمريكى الجنسية (لم يذكر المترجم اسمه) .

١٧٤ ـ التوراة تاريخها وغايتها : ترجمة وتعليق سهيل ديب دار النفائس بيروت الطبعة الثانية ١٣٩٧ / ١٩٧٧ م .

ارمان (ادولف ارمان) :

١٧٥ ـ ديانة مصر القديمة : نشأتها وتطورها ونهايتها فى أربعة آلاف سنة ترجمة ومراجعة د / عبد المنعم أبو بكر ، د / محمد أنور شكرى ملتزم الطبع والنشر شركة مكتبة ومطبعة مصطفى الحلبى بمصر بدون تاريخ ، بإشراف وزارة المعارف العمومية : إدارة الثقافة العامة .

استانلى كاسون :

١٧٦ ـ اليونان قبيل بلوغ أوج عظمتها : ترجمة عبد الحافظ معوض بحث ضمن المجلد الثانى من تاريخ العالم الذى نشره جون هامرتون ، وأشرفت على ترجمته إلى العربية فى سبع مجلدات إدارة الترجمة بوزارة المعارف العمومية : مكتبة النهضة المصرية : الطبعة الثانية بدون تاريخ .

الأب إسحاق الساكا :

١٧٧ ـ معنى التسميات للشعوب السامية الثلاثة الكبرى (العرب الآراميين ، العبرانيين) العدد ٩١ من مجلة العربى يونيو ١٩٦٦ صفر ١٣٨٦ هـ الكويت .

اندريه ايمار وجانين اوبوليه :

١٧٨ ـ الشرق واليونان القديمة : المجلد الأول من كتاب تاريخ الحضارات العام بإشراف موريس كروزيه .

ترجمة : فريد م . داغر ، وفؤاد ج . أبو ريحان منشورات عويدات بيروت لبنان الطبعة الأولى ١٩٦٤ م .

١٧٩ ـ روما وامبراطوريتها : المجلد الثانى من كتاب تاريخ الحضارات العام بنفس الإشراف والترجمة والطبعة والناشر .

اندريه بارو :

١٨٠ ـ بلاد أشور : نينوى وبابل : ترجمة وتعليق دكتور عيسى سلمان وسليم طه التكريتى : منشورات وزارة الثقافة والإعلام ـ الجمهورية العراقية سلسلة الكتب المترجمة (٧٧) ١٩٨٠ دار الرشيد للنشر .

١٨١ ـ سومر : فنونها وحضارتها : ترجمة وتعليق : دكتور عيسى سلمان وسليم طه التكريتي : دار الحرية للطباعة بغداد وزارة الثقافة والفنون الجمهورية العراقية بغداد ١٩٧٨ م .

أنيس فريحة :

١٨٢ ـ ملاحم وأساطير من أوغاريت (رأس الشمرا) نشر الجامعة الأمريكية بيروت لبنان ١٩٦٦ م .

أورسيل (ماسون أورسيل) :

١٨٣ ـ الفلسفة في الشرق : ترجمة د / محمد يوسف موسى : دار المعارف بمصر ١٩٤٧ م .

أولبرايت (وليم . ف . أولبرايت) :

١٨٤ ـ آثار فلسطين : ترجمة د / زكي اسكندر ، د/ محمد عبد القادر محمد مراجعة د / سعاد ماهر .

الكتاب الحادى عشر من سلسلة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ١٣٩١ هـ / ١٩٧١ م .

ايفار ليسنر :

١٨٥ ـ الماضي الحي :(حضارة تمتد سبعة آلاف سنة) ترجمة شاكر إبراهيم سعيد مراجعة د / محمد أبو المحاسن عصفور : الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨١ م .

ايليف (ج . هـ . ايليف) :

١٨٦ ـ فارس والعالم القديم : بحث ترجمة محمد صقر خفاجه ضمن كتاب تراث فارس الذى أشرف على نشره ا . ج . آربرى ـ راجع الترجمة د / يحيى الخشاب نشر دار إحياء الكتب العربية القاهرة ١٩٥٩ م .

بارو (ر . هـ . بارو) :

١٨٧ ـ الرومان : ترجمة عبد الرازق يسرى راجعه د / سهير القلماوى العدد

٦١٢ من سلسلة الألف كتاب بإشراف الهيئة العامة للكتب والأجهزة العليمية بوزارة التعليم العالى ملتزم الطبع والنشر : دار نهضة مصر ١٩٦٨ م .

بترى (سيرو . م . فلندرز بترى) :

١٨٨ ـ الحياة الإجتماعية فى مصر القديمة : ترجمه وعلق عليه وقدم له حسن محمد جوهر وعبد المنعم عبد الحليم الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٥ م .

براناتيس (الأب آى . بى براناتيس) :

١٨٩ ـ فضح التلمود (تعاليم الحاخاميين السرية) إعداد زهدى الفاتح دار النفائس بيروت الطبعة الثالثة ١٤٠٥ هـ ـ ١٩٨٥ م .

برتراندرسل:

١٩٠ ـ (الفلسفة القديمة) الكتاب الأول من تاريخ الفلسفة الغربية ترجمة زكى نجيب محمود ، ومراجعة د / أحمدأمين الطبعة الثالثة ١٩٧٨ م لجنة التأليف والترجمة والنشر .

١٩١ ـ (الفلسفة الكاثوليكية) الكتاب الثانى من تاريخ الفلسفة الغربية ترجمة زكى نجيب محمود مراجعة د / أحمد أمين لجنة التأليف والترجمة والنشر الطبعة الثانية ١٩٦٨ م ـ القاهرة بإشراف الإدارة العامة للثقافة بوزارة التربية والتعليم .

برستيد (جيمس هنرى برستيد : أستاذ تاريخ الشرق فى جامعة شيكاغو) :

١٩٢ ـ انتصار الحضارة (تاريخ الشرق القديم) نقله إلى العربية د / أحمد فخرى ملتزم الطبع والنشر مكتبة الأنجلو المصرية الطبعة الأولى يوليو ١٩٥٥ م .

١٩٣ـ تاريخ مصر من أقدم العصور إلى الفتح الفارسى : ترجمة د / حسن كمال راجعه وصححه محمد حسنين الغمراوى بالطبعة الأولى ١٣٤٧ هـ / ١٩٢٩م مطبعة الأميرية بالقاهرة بإشراف وزارة المعارف العمومية .

١٩٤ ـ العصور القديمة : ترجمة داود قريان مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر بيروت لبنان (١٤٠٣ هـ ـ ١٩٨٣ م) .

١٩٥ ـ فجر الضمير : ترجمة د / سليم حسن مراجعة الأستاذ عمر

الاسكندرى والأستاذ على أدهم نشر مكتبة مصر ورقم (١٠٨) من سلسلة الالف كتاب ١٩٨٠م .

البستانى (المعلم بطرس البساتى) :

١٩٦ ـ دائرة المعارف (قاموس عام لكل فن وطلب) المجلدان الثالث والحادى عشر دار المعرفة بيروت بدون تاريخ .

بنيامين فريدمان :

١٩٧ ـ يهود اليوم ليسوا يهودا : ترجمة زهدى الفاتح : دار النفائس الطبعة الثانية ١٤٠٣ هـ ـ ١٩٨٣ م بيروت .

د / بولس بولس عياد (أستاذ مساعد للآثار المصرية والشرق القديم بجامعة كلورادو الأمريكية) :

١٩٨ ـ الآراميون فى مصر : منذ بداية ظهورهم فى القرن السابع ق . م حتى اختفائهم فى القرن الثانى ق . م مطبعة دار العالم العربى القاهرة ١٩٧٥ م .

بولس حنا مسعد :

١٩٩ ـ همجية التعاليم الصهيونية : منشورات المكتب الإسلامى بيروت ١٩٦٩م .

تيودور جياناكوليس :

٢٠٠ ـ اليونان : شعبها وأرضها ترجمة محمد أمين رستم مراجعة د / عز الدين فريد : مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر القاهرة ونيويورك ١٩٦٣ مكتبة النهضة المصرية .

ل . توماس هولد كروفت :

٢٠١ : الأسفار التاريخية : تعريب أديبة شكرى يعقوب مراجعة القس سمير صادق أبسخيرون (الدراسات الكتابية للكنيسة الرسولية دار الجيل للطباعة القاهرة ١٩٨٥م .

توملين (أ . و . ف . توملين) :

٢٠٢ ـ فلاسفة الشرق : ترجمة عبد الحميد سليم مراجعة على أدهم : دار المعارف بمصر ١٩٨٠ م .

توينبى (ارنولد توينبى) :

٢٠٣ ـ تاريخ البشرية : الجزء الأول نقله إلى العربية د / نقولا زيادة : الأهلية للنشر والتوزيع بيروت ١٩٨٥ م .

ثروت أنيس الأسيوطى (أستاذ فى فلسفة القانون : نيويورك) (أستاذ مساعد بجامعة القاهرة) :

٢٠٤ ـ نظام الأسرة بين الإقتصاد والدين : الجماعات البدائية بنو إسرائيل : الناشر دار الكاتب العربى للطباعة والنشر بالقاهرة بدون تاريخ .

جرجى زيدان :

٢٠٥ ـ العرب قبل الإسلام : طبعة جديدة راجعها وعلق عليها د / حسين مؤنس دار الهلال بدون تاريخ .

جرندى (ج . ب . جرندى) :

٢٠٦ ـ الفرس امبراطورية الشاه الأعظم : ترجمة عبد الفتاح صدقى بحث ضمن المجلد الثانى من كتاب تاريخ العالم بإشراف ونشر جون هامرتون .

جلانفيل داونى :

٢٠٧ ـ انطاكية القديمة : ترجمة وتقديم د / إبراهيم نصحى الناشر دار نهضة مصر للطبع والنشر بالقاهرة بالإشتراك مع مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر القاهرة نيويورك ١٩٦٧ م .

د / جورج بوست :

٢٠٨ ـ فهرس الكتاب المقدس وهو قاموس يستدل به من ألفاظ الكتاب المقدس على مواضع آياته من منشورات مكتبة المشعل فى بيروت بإشراف رابطة الكنائس الإنجيلية فى الشرق الأوسط الطبعة الخامسة ١٩٨١ م .

جورج رو :

٢٠٩ ـ العراق القديم : ترجمة وتعليق حسين علوان حسين مراجعة د / فاضل عبد الواحد على العدد ١٢٧ من سلسلة الكتب المترجمة منشورات وزارة الثقافة والإعلام الجمهورية العراقية ١٩٨٤ م .

جورج قرم :

٢١٠ ـ تعدد الأديان وأنظمة الحكم : دراسة سوسيولوجية وقانونية مقارنة / دار النهار للنشر بيروت ١٩٧٩ م .

جون . ا . هامرتون :

٢١١ ـ العصر اليونانى المتأخر / ترجمة الأستاذ فؤاد اندراوس ضمن المجلد الثالث من تاريخ العالم .

جينيبير (شارل جينيبير) :

٢١٢ ـ المسيحية نشأتها وتطورها : ترجمة الإمام الدكتور عبد الحليم محمود دار المعارف ١٩٨١ م .

حبيب سعيد :

٢١٣ ـ أديان العالم : صدر عن دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية طبعة ١٩٧٧ القاهرة .

٢١٤ ـ خليل الله فى اليهودية والمسيحية والإسلام : صدر عن دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية بالقاهرة ١٩٥٩ م مطبعة النيل المسيحية .

٢١٥ ـ المدخل إلى الكتاب المقدس : صدر عن دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية بالقاهرة بالإشتراك مع مجمع الكنائس فى الشرق الأدنى بدون تاريخ المطبعة الفنية الحديثة .

حبيب فارس :

٢١٦ ـ صراع البرىء فى بوق الحرية : ثلاثة أجزاء فى مجلد واحد القاهرة يونيو ١٨٩١ م (دار الكتب ٢٧٨٨ تاريخ) .

حتى (د / فيليب حتى) :

٢١٧ ـ تاريخ سورية ولبنان وفلسطين : الجزء الأول ترجمة د / جورج حدادا وعبد الكريم رافق إشراف د / جبرائيل جبور نشر دار الثقافة بيروت بالإشتراك مع مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر بيروت ـ القاهرة ـ بغداد ـ نيويورك ١٩٥٨ م .

٢١٨ ـ تاريخ العرب (مطول) :

الجزء الأول ترجمة الدكتور(ادورد جرجي ، د / جبرائيل جبور دار الكشاف للنشر والطباعة والتوزيع ١٩٤٩ م .

٢١٩ ـ تاريخ لبنان من أقدم العصور التاريخية إلى عصرنا الحاضر ترجمة د / أنيس فريحة مراجعة د / نقولا زيادة إشراف د / جبرائيل جبور دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع بيروت الطبعة الثالثة ١٩٧٨ م .

٢٢٠ ـ العرب ، تاريخ موجز) : دار العلم للملايين إعداد جبرائيل جبور الطبعة الرابعة ١٩٦٨ م .

٢٢١ ـ موجز تاريخ الشرق الأدنى : ترجمة د / أنيس فريحه دار الثقافة بيروت لبنان مطبعة الغريب بيروت بدون تاريخ .

دريوتون (ايتين دريوتون وجاك فلنديه) :

٢٢٢ ـ مصر : ترجمة عباس بيومى راجعه محمد شفيق غبريال (بك) وعبد الحميد الدواخلى نشر وطبع مكتبة النهضة المصرية القاهرة .

دونالد . ر . دولى :

٢٢٣ ـ حضارة روما : ترجمة جميل يواقيم الذهبى ، فاروق أبوزيد راجعه د / صقر خفاجة دار نهضة مصر للطبع والنشر القاهرة ١٩٧٩ م .

دى بورج (و . ج دى بورج) :

٢٢٤ ـ تراث العالم القديم : الجزء الأول ترجمة زكى سوس مراجعة د / يحيى الخشاب ، ودكتور صقر خفاجة العدد (٥٥٧) من سلسلة من الألف كتاب نشر دار الكرنك للنشر والطبع والتوزيع القاهرة ١٩٦٥ بإشراف الإدارة العامة للثقافة بوزارة التعليم العالى .

ديلابورت (ل . ديلابورت) :

٢٢٥ ـ بلاد مابين النهرين (الحضارتان البابلية والأشورية) ترجمة محرم كمال مراجعة د / عبد المنعم أبو بكر العدد ٣٥ من سلسلة الألف كتاب إشراف إدارة الثقافة العامة بوزارة التربية والتعليم بمصر ملتزم الطبع والنشر مكتبة الآداب ومطبعتها بالجماميز .

الأب ديلى (الأستاذ فى جامعة باريس الكاثوليكية) :

٢٢٦ ـ تاريخ شعب العهد القديم : ترجمة الأب جرجس ماردينى المطبعة الكاثوليكية بيروت ١٩٦١ م .

ديورانت (ول وايريل ديورانت) :

٢٢٧ ـ قصة الحضارة (٢) : الشرق الأدنى : الجزء الثانى من المجلد الأول ترجمة محمد بدران لجنة التأليف والترجمة والنشر أنفقت على ترجمته الإدارة الثقافية بجامعة الدول العربية ١٩٧١ م .

٢٢٨ ـ قصة الحضارة (٦)حياة اليونان : الجزء الأول من المجلد الثانى ترجمة محمد بدران لجنة التأليف والترجمة والنشر الطبعة الثالثة ١٣٨٨ هـ ـ ١٩٦٩ م .

٢٢٩ ـ قصة الحضارة (٧) الجزء الثانى من المجلد الثانى : حياة اليونان ترجمة محمد بدران لجنة التأليف والترجمة والنشر الطبعة الثالثة ١٩٦٨ م .

٢٣٠ ـ قصة الحضارة (٨) الجزء الثالث من المجلد الثانى حياة اليونان : ترجمة محمد بدران لجنة التأليف والترجمة والنشر الطبعة الثالثة ١٩٧٣ م .

٢٣١ ـ قصة الحضارة (٩) الجزء الأول من المجلد الثالث : قيصر والمسيح أو الحضارة الرومانية : لجنة التأليف والترجمة والنشر الطبعة الثالثة ١٩٧٢ م .

٢٣٢ ـ قصة الحضارة (١١) الجزء الثالث من المجلد الثالث : قيصر والمسيح أو الحضارة الرومانية لجنة التأليف والترجمة والنشر الطبعة الثالثة ١٩٧٣ م .

٢٣٣ ـ قصة الحضارة (١٤) الجزء الثالث من المجلد الرابع : عصر الإيمان : ترجمة محمد بدران لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٧٥ م .

رالف لنتون :

٢٣٤ ـ شجرة الحضارة : الجزء الثانى : ترجمة د / أحمد فخرى نشر مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر القاهرة ونيويورك ، ومكتبة الأنجلو المصرية .

روبنسون (تيودور . هـ . روبنسون) : الحائز على الدكتوراة فى اللاهوت وأستاذ اللغات السامية فى كلية الجامعة بكارديف) :

٢٣٥ ـ إسرائيل فى ضوء التاريخ : تصور الأيام الأولى من تاريخ الأمة اليهودية مستقاة من الكتاب المقدس والمصادر المعاصرة : بحث ضمن المجلد الثانى من كتاب تاريخ العالم نشره جون هامرتون .

روز (هـ . ج . روز) :

٢٣٦ ـ الديانة اليونانية القديمة : ترجمة رمزى عبده جرجس مراجعة د / محمد سليم سالم نشر دار نهضة مصر للطبع والنشر القاهرة ١٩٦٥ م العدد رقم ٥٦٩٠) من سلسلة الألف كتاب .

روهلنج :

٢٣٧ ـ عقائد اليهود على حسب التلمود الجزء الأول من كتاب الكنز المرصود فى قواعد التلمود ترجمة يوسف نصر الله دار القلم دمشق ودارة العلوم بيروت ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٧ م .

سبينوزا (باروخ سبينوزا) :

٢٣٨ ـ رسالة فى اللاهوت والسياسة : ترجمة وتقديم دكتور حسن حنفى مراجعة دكتور فؤاد زكريا دار وهدان للطباعة والنشر بدون تاريخ طبعة مصورة عن طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب .

ستورات جونز :

٢٣٩ ـ روما وأسباب عظمتها فيما بعد : ضمن المجلد الثالث من كتاب تاريخ العالم ترجمة عثمان نويه .

سهيل ميخائيل ديب :

٢٤٠ ـ التوراة بين الوثنية والتوحيد : دار النفائس بيروت الطبعة الثانية ١٤٠٥ هـ ـ ١٩٨٥ م .

سونيرون (سير . ج . سونيرون) :

٢٤١ ـ كهان مصر القديمة : ترجمة زينب الكردى مراجعة د / أحمد بدوى : الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٥ م .

سيريل بايلى :

٢٤٢ ـ ديانة اللاتين صمن المجلد الثالث من كتاب تاريخ العالم ترجمة محمد بكير خليل بإشرف جون هامرتون .

شنودة (زكى شنودة المحامى) :

٢٤٣ ـ المجتمع اليهودى : مكتبة الخانجى بالقاهرة بدون تاريخ .

٢٤٤ ـ العصر الفرعونى : الجزء الرابع من موسوعة تاريخ الأقباط الطبعة الأولى ١٩٦٦ مطبعة أطلس القاهرة .

٢٤٥ ـ العصر اليونانى : الجزء الخامس من موسوعة تاريخ الأقباط الطبعة الأولى ١٩٦٦ مطعة أطلس القاهرة .

٢٤٦ ـ الجزء الثامن من موسوعة تاريخ الأقباط والمسيحية :

اليهود قبل المسيح مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة ١٩٧٣ ، ثم نشر للمؤلف هذا الجزء بنفس صفحاته تحت عنوان (اليهود : نشأتهم وعقيدتهم ومجتمعهم من واقع نصوص التوراة : كتابهم المقدس) الطبعة الأولى ١٩٧٤ م واطلعت على النسختين معا .

شولتز (صموئيل شولتز) :

٢٤٧ ـ العهد القديم يتكلم : ترجمة أديبة شكرى يعقوب مطبعة السلام القاهرة : نشر معهد المراسلة الدولى فى بروكسل ببلجيكا ١٩٨٤ م .

د / صبرى جرجس :

٢٤٨ ـ التراث اليهودى الصهيونى والفكر الفرويدى : نشر عالم الكتب

الطبعة الأولى ١٩٧٠ م القاهرة مطبعة مخيمر .

عاموس عبد المسيح :

٢٤٩ ـ دراسة فى عاموس : تعريب القس حارث قريضة دار الثقافة المسيحية الطبعة الثانية ١٩٧٩ م .

غوستاف لوبون :

٢٥٠ ـ اليهود فى تاريخ الحضارات الأولى : نقله إلى العربية عادل زعيتر عيسى البابلى الحلبى وشركاه القاهرة ١٩٧٠ م .

فارنل (لويس . فارنل) :

٢٥١ ـ ديانة اليونانيين : ترجمة درينى خشبة ضمن المجلد الثانى من تاريخ العالم بإشراف جون هامرتون .

فرانسوا دوماس :

٢٥٢ ـ آلهة مصر : ترجمة زكى سوس : العدد رقم (١٠) من سلسلة الألف كتاب ، الثانى) الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٦ م .

فرانكفورت وآخرين :

٢٥٣ ـ ماقبل الفلسفة : الإنسان فى مغامراته الأولى : ترجمة جبرا إبراهيم جبرا : المؤسسة العربية للدراسات والنشر الطبعة الثالثة ١٩٨٢ م بيروت .

فرويد (سيجموند فرويد) :

٢٥٤ ـ اليهودية فى ضوء التحليل النفسى (موسى والتوحيد) ترجمة دكتور عبد المنعم الحفنى نشر وتوزيع الدار المصرية للطباعة والنشر والتوزيع القاهرة الطبعة الثانية ١٩٧٨ م .

فريزر (جيمس فريزر) :

٢٥٥ ـ الفولكلور فى العهد القديم (التوراة) :

الجزءان الأول والثانى ترجمة د / نبيلة ابراهيم الطبعة الثانية ١٩٨٢ دار المعارف

فوس (جرهاردوس فوس) :

٢٥٦ ـ علم اللاهوت الكتابى : الإعلان الإلهى فى العهدين القديم والجديد : ترجمة د / عزت زكى الطبعة الأولى دار الثقافة القاهرة ١٩٨٢ م دار الجيل للطباعة .

كاترين هنرى :

٢٥٧ ـ التاريخ فى الكتاب : خلاصة كتابين باللغة الإنجليزية تلخيص حبيب سعيد : صدر عن دار التأليف والترجمة والنشر للكنيسة الأسقفية بمصر مطبعة النيل المسيحية بدون تاريخ .

كريمر (صموئيل نوح كريمر) :

٢٥٨ ـ الأساطير السومرية : بحث ضمن كتاب أساطير العالم القديم الذى قام بتقديمه ونشره أيضا ترجمة د / أحمد عبد الحميد يوسف مراجعة د / عبد المنعم أبو بكر الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٤ م .

٢٥٩ ـ من ألواح سومر : ترجمة طه باقر مراجعة وتقديم د / أحمد فخرى : نشر هذا الكتاب مع مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر مكتبة المثنى ببغداد ومؤسسة الخانجى بالقاهرة بدون تاريخ .

ابن كمونة (سعد بن منصور بن كمونة اليهودى) القرن السابع الهجرى :

٢٦٠ ـ تنقيح الأبحاث للملل الثلاث : اليهودية ، المسيحية ، الإسلام توزيع دار الأنصار القاهرة .

كونتنتو (ج . كونتنتو) :

٢٦١ ـ الحضارة الفينيقية : ترجمة د / محمد عبد الهادى شعيرة راجعه د / طه حسين من سلسلة المراجع الجامعية : إدارة الثقافة وزارة التربية والتعليم بمعاونة المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب .

الناشر : شركة مركز كتب الشرق الأوسط القاهرة بدون تاريخ .

كيتو (هـ . د . كيتو) :

٢٦٢ ـ الإغريق : ترجمة عبد الرازق يسرى راجعه محمد صقر خفاجة ملتزم الطبع والنشر دار الفكر العربى ١٩٦٢ م بإشراف الإدارة العامة للثقافة بوزارة التعليم العالى .

لانجر (وليم لانجر) :

٢٦٣ ـ موسوعة تاريخ العالم الجزء الأول : أشرف على الترجمة د / مصطفى زيادة : نشر هذا الكتاب مع مؤسسة فرانكلين للطبع والنشر مكتبة النهضة المصرية .

ليوا وينهايم :

٢٦٤ ـ بلاد مابين النهرين : ترجمة سعدى فيض عبد الرازق : دار الشئون الثقافية العامة بوزارة الثقافة والإعلام بغداد الطبعة الثانية ١٩٨٦ م .

ماير (د . ف . ب . ماير) :

٢٦٥ ـ حياة إبراهيم (أوطاعة الإيمان) : ترجمة القمص مرقس داود ملتزم النشر مكتبة المحبة القاهرة ١٩٨٠ م .

٢٦٦ ـ حياة ارميا (الكاهن والنبى) ترجمة القمص مرقس داود مكتبة المحبة القاهرة ١٩٨١ م .

٢٦٧ ـ حياة ايليا وسر قوته : نفس المترجم والناشر الطبعة الثالثة القاهرة ١٩٨٠ م .

٢٦٨ ـ حياة داود (الراعى ـ المرنم ، الملك) نفس المترجم والناشر القاهرة ١٩٨٠ م .

٢٦٩ ـ حياة صموئيل النبى : نفس المترجم والناشر الطبعة الثانية القاهرة ١٩٧٩ م .

٢٧٠ ـ حياة يشوع وأرض الموعد : نفس المترجم والناشر طبعة ١٩٨١ م .

٢٧١ ـ حياة يعقوب : نفس المترجم والناشر طبعة ١٩٨٠ م .

٢٧٢ ـ حياة يوسف : نفس المترجم والناشر طبعة ١٩٧٨ م .

متى هنرى :

٢٧٣ ـ تفسير هوشع تعريب القمص مرقس داود دار الثقافة المسيحية طبعة

ثانية منقحة ١٩٨٠ م .

٢٧٤ ـ نشيد الإنشاد : نفس المترجم مكتبة المحبة الطبعة الرابعة ١٩٨٠ م .

د / مراد كامل :

٢٧٥ ـ الكتب التاريخية فى العهد القديم : نشر معهد البحوث والدراسات العربية ١٩٦٨ م .

٢٧٦ ـ مصر ومجدها الغابر : ترجمة محرم كمال مراجعة د / نجيب ميخائيل العدد رقم (١٠٠) من سلسلة الألف كتاب نشرته لجنة البيان العربى ١٩٥٧ م .

المسلى : (و . أ . ل . المسلى) (دكتوراه فى اللاهوت وأستاذ العبرية) :

٢٧٧ ـ سقوط أورشليم وأهميته العالمية : بحث ضمن المجلد الثالث من كتاب تاريخ العالم نشر جون هامرتون .

مكاريوس (شاهين بك مكاريوس) :

٢٧٨ ـ تاريخ الإسرائيليين : مطبعة المقتطف بمصر ١٩٠٤ م .

القس : منيس عبد النور :

٢٧٩ ـ إبراهيم السائح الروحى : دار الثقافة القاهرة الطبعة الثانية ١٩٧٩ م مطبعة القاهرة الحديثة .

موسكاتى (سبيتينو موسكاتى) :

٢٨٠ ـ الحضارات السامية القديمة : ضمن سلسلة روائع الفكر الإنسانى ترجمه وزاد عليه : دكتور السيد يعقوب بكر راجعه : دكتور محمد القصاص نشر دار الرقى بيروت ١٩٨٦ م .

دكتور نجيب ميخائيل إبراهيم :

٢٨١ ـ مصر والشرق الأدنى القديم : الجزء الأول : مصر الكتاب الأول : الطبعة الثانية ١٩٥٧ م مطبعة الاسكندرية الكتاب الثانى ١٩٥٨ دار المعارف بمصر .

٢٨٢ ـ مصر والشرق الأدنى القديم : الجزء الثالث : الشرق الأدنى القديم : سورية (الفينيقيون والكنعانيون ، الإسرائيليون ، والفلسطينيون ، الآراميون) دار

المعارف بمصر ١٩٦٤ م .

٢٨٣ ـ مصر والشرق الأدنى القديم : الجزء الرابع : الحضارة المصرية القديمة الطبعة الثانية دار المعارف بمصر ١٩٦٦ .

٢٨٤ ـ مصر والشرق الأدنى القديم : الجزء الخامس : الشرق الأدنى القديم : وادى الرافدين ـ بلاد الحيثيين فارس : الطبعة الأولى ١٩٦٣ دار المعارف : الأسكندرية .

٢٨٥ ـ مصر والشرق الأدنى القديم : حضارات الشرق القديم : العراق ، فارس : ملتزم الطبع والنشر دار المعارف بالاسكندرية الطبعة الثانية ١٩٦٧ م .

نيلسن (د / تيلف نيلسن) :

٢٨٦ ـ الديانة العربية القديمة ضمن كتاب التاريخ العربى القديم ترجمه واستكمله د / فؤاد حسنين على ، راجعه د / زكى محمد حسن طبع ونشر مكتبة النهضة المصرية القاهرة بإشراف وزارة التربية والتعليم قسم الترجمة إدارة الثقافة العامة بدون تاريخ .

هلير (ف . م . هلير) :

٢٨٧ ـ مجمل تاريخ العالم : ترجمة إبراهيم ميخائيل عودة دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر المطبعة التعاونية بدمشق بدون تاريخ .

هووك (صموئيل هنرى هووك) :

٢٨٨ ـ منعطف المخيلة البشرية (بحث فى الأساطير) ترجمة : صبحى حديدى الطبعة الأولى ١٩٨٣ م الناشر دار الحوار للنشر والتوزيع : سورية .

ولز (هـ . ج . ولز) :

٢٨٩ ـ معالم تاريخ الإنسانية : المجلد الثانى فى تاريخ الإغريق والرومان ومن عاصروهما ، ويحتوى على الكتابين الرابع والخامس ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد الطبعة الثالثة ١٩٦٩ م لجنة التأليف والترجمة والنشر .

٢٩٠ ـ موجز تاريخ العالم : ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد مراجعة محمد

مأمون نجا طبع ونشر مكتبة النهضة المصرية مطبعة السعادة بمصر ١٩٥٨ م .

ولفنسون (إسرائيل ولفنسون) :

٢٩١ ـ تاريخ اللغات السامية : طبعة دار القلم بيروت لبنان الطبعة الأولى ١٩٨٠م .

وهيب كامل :

٢٩٢ ـ هيرودوت فى مصر (القرن الخامس ق . م) قام بنقل هذا الكتاب من اليونانية : طبع ونشر دار المعارف بمصر .

وورث (م . ب . تشارلز وورث) :

٢٩٣ ـ الإمبراطورية الرومانية : ترجمة رمزى عبده جرجس راجعه د / محمد صقر خفاجة العدد رقم ٣٦٠ من سلسلة الألف كتاب طبع ونشر دار الفكر العربى ١٩٦١ م .

معاجم :

٢٩٤ ـ القاموس المحيط للفيروزآبادى : نشر مؤسسة الرسالة بيروت الطبعة الثالثة ١٤١٣ هـ ـ ١٩٩٣ م .

٢٩٥ ـ لسان العرب لابن منظور : طبعة جديدة نشرتها دار المعارف حديثا فى ست مجلدات .

٢٩٦ ـ معجم ألفاظ القرآن الكريم : جزءان نشر مجمع اللغة العربية القاهرة (التراث للجميع) .

٢٩٧ ـ معجم العلوم الإجتماعية : تصدير ومراجعة د / إبراهيم مدكور إعداد نخبة من الأساتذة المصريين والعرب المتخصصين : الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٥م .

٢٩٨ ـ المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم وضعه محمد فؤاد عبد الباقى دار الحديث بالقاهرة توزيع مكتبة المعارف بالرياض .

٢٩٩ ـ المعجم الوسيط : قام بإخراجه ابراهيم مصطفى ، أحمد حسن الزيات ، حامد عبد القادر ، محمد على النجار ـ مجمع اللغة العربية القاهرة ١٩٨٠ م نشر دار الدعوة .



تعريف بالمؤلف

١ ـ ولد فى ٢ / ٩ / ١٩٥٧ م بقرية شونى مركز طنطا محافظة الغربية ج . م . ع .

٢ ـ تلقى تعليمه الابتدائى وحفظ ا لقرآن الكريم بالقرية ثم التحق بالأزهر بطنطا فى العام الدراسى ١٩٦٩ / ١٩٧٠ م .

٣ ـ حصل على الشهادة الثانوية الأزهرية من معهد طنطا الثانوى فى العام الدراسى ١٩٧٥ م / ١٩٧٦ م وجاء ترتيبه الثانى - بتوفيق الله - على مستوى الجمهورية .

٤ ـ فاز بلقب الطالب المثالى الأول على مستوى الكلية والثالث على مستوى الجامعة عام ١٩٨٠ م .

٥ ـ حصل على الشهادة العالية (الليسانس) من كلية أصول الدين والدعوة الإسلامية بطنطا فى العام الدراسى ١٩٧٩ / ١٩٨٠ م بتقدير ممتاز مع مرتبة الشرف وكان ترتيبه الأول (بتقدير ممتاز) ـ بفضل الله ـ مدة سنوات الدراسة الأربع .

٦ ـ صدر قرار بتكليفه معيداً فى قسم مقارنة الأديان بالكلية بتاريخ ١٧ / ٩ / ١٩٨٠ م .

٧ ـ حصل على تقدير جيد جداً فى مرحلة الدراسات العليا وكان ترتيبه الأول فى السنة الأولى عام ١٩٨١ م وفى ا لسنة الثانية عام ١٩٨٢ م .

٨ ـ حصل على درجة التخصص (الماجستير) بقسم مقارنة الأديان من كلية أصول الدين والدعوة الإسلامية بطنطا فى ٢٥ يناير ١٩٨٥ م بتقدير « ممتاز » وكان له شرف الحصول على أول ماجستير تمنحه الكلية .

٩ ـ صدر قرار رئيس الجامعة بتعيينه مدرساً مساعداً بقسم مقارنة الأديان بالكلية فى ١٦ / ٢ / ١٩٨٥ م .

١٠ ـ حصل على درجة العالمية (الدكتوراه) بقسم العقيدة والفلسفة وكان له شرف الحصول على أول دكتوراه تمنحها الكلية .

١١ ـ صدر قرار مجلس الجامعة بتعيينه مدرساً بقسم العقيدة والفلسفة بكلية أصول الدين والدعوة الإسلامية بطنطا فى ١٧ / ١٠ / ١٩٨٧ م .

١٢ ـ قام ـ بتوفيق الله ـ بأداء خطبة الجمعة فى مسجد المعمورة الجامع بالإسكندرية منذ شهر سبتمبر ١٩٨١ م إلى سبتمبر ١٩٩٠ م .

١٣ ـ أعير إلى قسم الثقافة الإسلامية بكلية الشريعة بالرياض جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالمملكة العربية السعودية فى سبتمبر ١٩٩٠ م .

١٤ ـ حصل على درجة « أستاذ مساعد » بقسم العقيدة والفلسفة بكلية أصول الدين بطنطا فى ٦ / ١١ / ١٩٩١ م .



كتب وبحوث للمؤلف :

١ ـ غلاة الشيعة وتأثرهم بالأديان المغايرة للإسلام « اليهودية ، المسيحية ، المجوسية » أول رسالة ماچستير بكلية أصول الدين والدعوة الإسلامية بطنطا يناير ١٩٨٥ م ثم طبعت فى كتاب بنفس العنوان فى عام ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٨ مطابع غباشى بطنطا .

٢ ـ القرابين البشرية والذبائح التلمودية عند الوثنيين واليهود ومعه نص كتاب « إظهار سر الدم المكتوم » أو « طريقة استنزاف دم الأطفال الجارية لدى اليهود » للحاخام ناوفيطوس مطبعة غباشى بطنطا ١٤١٠ هـ / ١٩٩٠ م .

٣ ـ تنزيه نبى الله داود عن مطاعن وأكاذيب اليهود فى العهد القديم والإسرائيليات ١٤١٢ هـ / ١٩٩١ م .

٤ ـ خلق النبى العظيم : من دلائل نبوته وبراهين رسالته بحث منشور فى حولية كلية أصول الدين والدعوة الإسلامية بطنطا العدد الثانى ١٤١٠ هـ / ١٩٩٠ م .

٥ ـ نظرات فى علم الاجتماع العام وضرورة قيام علم اجتماع إسلامى ، كتاب مطبوع على الآلة الكاتبة .

٦ ـ دراسة الأخلاق بين مسكويه والغزالى (تحت الطبع) .

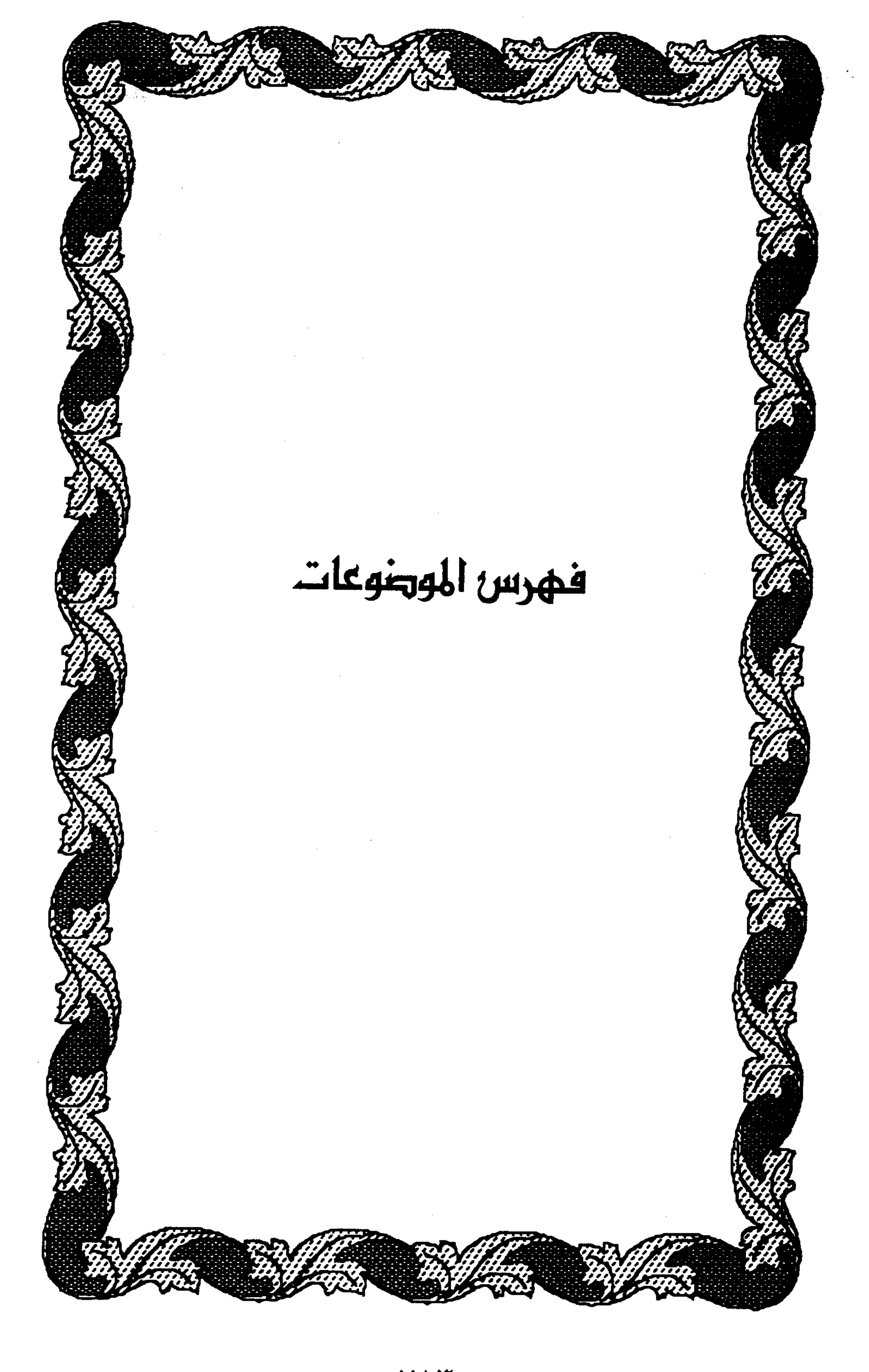
٧ ـ فتنة سليمان فى القرآن بين مفتريات العهد القديم وأكاذيب الإسرائيليات (تحت الطبع) .

٨ ـ قصة الذبيح بين أهل الكتاب والمسلمين (تحت الطبع) .

٩ ـ الكهانة ورجال الدين فى الأديان الوثنية والكتابية وموقف الإسلام (تحت الطبع) .

١٠ ـ دور اليهود فى إفساد العقائد وتدمير الأخلاق (تحت الطبع) .

١١ ـ نظام الزواج فى الإسلام بين نظم الرهبانية والإباحية وأنكحة الجاهلية (تحت الطبع) .



فهرس الموضوعات

الموضوع	رقم الصفحة

الموضوع	رقم الصفحة

الموضـــوع	رقم الصفحة

الموضـــوع	رقم الصفحة

الموضوع	رقم الصفحة

الموضـــوع	رقم الصفحة

الموضــــوع	رقم الصفحة

الموضـــوع	رقم الصفحة

الموضــــوع	رقم الصفحة

الموضـــوع	رقم الصفحة

الموضوع	رقم الصفحة
اليهود)	
رأى زكى شنودة	
اعتماد ابن ميمون على الفكر الاسلامى	
تأثر اليهود بالتصورات الوثنية فى قولهم بالتجسيم	
المبحث الثانى : اليهود بين التوحيد والتعدد	٦٨٣
قومية الاله لدى اليهود	٦٨٤
تعدد الالهة عند اليهود	٦٨٩
من آلهة مصر	٦٨١
عبادة بنى اسرائيل للعجل الذهبى فى سيناء وتأثرهم فى ذلك بوثنية المصريين	٦٩٢
عبادة عجلى الذهب فى مملكة ارسرائيل وتأثرهم بالوثنية فى ذلك	٦٩٩
من آلهة الكنعانيين	٧٠٣
عبادة اليهود للاله « بعل » الكنعانى	٧٠٣
عبادة بعل فغور فى عصر سيدنا موسى	٧٠٥
عبادة البعل فى عصر القضاة	٧٠٥
عبادة الاسرائيليين للبعل فى عصر الانقسام	٧٠٦
أولا : فى المملكة الشمالية	٧٠٦
١ـ فى عهد آخاب وايزابل	٧١٠
٢ـ فى عهد اخزيا	
٣ـ فى عهد يهورام	٧١١

الموضـــوع	رقم الصفحة